هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات ولم تُراجَع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

الجزء الأول

فهرس الموضوعات

مقدمة: 2

نبذة عن كتاب الشريعة 29

نبذة عن الإمام الآجري 30

1- بَابُ ذِكْرِ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ بَلِ الِاتِّبَاعُ وَتَرْكُ الِابْتِدَاعِ 48

2-بَابُ ذِكْرِ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَتَحْذِيرِهِ إِيَّاهم الْفُرْقَةَ 97

3- بَابُ ذِكْرِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ فِي دِينِهِمْ وَعَلَى كَمْ تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟ 149

4-بَابُ ذِكْرِ خَوْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَتَحْذِيرِهِ إِيَّاهُمْ سُنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأمم ... 181

5-بَابُ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ , وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ 201

6-بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ 211

7-بَابُ ذِكْرِ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْخَوَارِجِ مِمَّا أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِقِتَالِهِمْ 250

8-بَابُ ذِكْرِ ثَوَابِ مَنْ قَاتَلَ الْخَوَارِجَ فَقَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ 262

9-بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا , وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ 267

10-بَابُ فَضْلِ الْقُعُودِ فِي الْفِتْنَةِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا وَتَخَوُّفِ الْعُقَلَاءِ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَنْ تَهْوَى مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلُزُومِ الْبُيُوتِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى 302

11-بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ 329

12-بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ تُعَارِضُ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ 409

13-بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ 488

14-بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ 567

15-بَابُ تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعُقُوبَةِ الْإِمَامِ لِمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ 592

16-بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ 629

17- بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ مَذَاهِبِ الْوَاقِفَةِ 710

18-بَابُ ذِكْرِ اللَّفْظِيَّةِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حِكَايَةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَذَبُوا ... 719

المحاضرة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام،، نحن على موعد على كتاب جديد من مادة العقيدة، ولا شك بأن دراسة العقيدة من أهم العلوم دراسة، وأعظمها شأنًا، فهي أعظم العلوم على الاطلاق، هي علم العقيدة لأن شرف العلم من شرف الموضوع ومن شرف المعلوم، ولا أحد أشرف من الله عز وجل.

مقدمة:

فعلم العقيدة هو العلم بالله، والعلم بتوحيده، والعلم باسمائه، بربوبيته، بألوهيته، العلم بصفاته، العلم والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، هو العلم بالصحابة رضوان الله عليهم، وبالغيبيات التي تكون بعد ذلك، كل هذا يدخل في مادة العقيدة.

معنى العقيدة لغة:

والعقيدة الأصل فيها الكلمة مأخوذة من العقد؛ وهو الربط بشدة أو بقوة، لذلك العقيدة أيضًا بمعنى الإحكام، ومعنى الإبرام والتمسك والإثبات. لذلك جاءت العقيدة بمعنى ما عقد الإنسان عليه قلبه يقينًا جازمًا؛ هذا لغة.

معنى العقيدة اصطلاحًا:

وأما اصطلاحًا؛ فالعقيدة لها معنى عام ولها معنى خاص؛

- أما الاصطلاح العام الذي يطلق عمومًا للعقيدة هو: الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد؛ سواء كان هذا الإعتقاد باطلًا أو اعتقادًا حقًا. إذًا هذا معنى عام للعقيدة.
- أما العقيدة بالمعنى المصطلح الخاص وهو عند أهل العلم: الإيمان الجازم لله وما يجب لله عز وجل من ألوهية، ومن ربوبية، ومن أسماء وصفات، وهو أيضًا الإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وإيمان بكل ما جاءت به النصوص الصريحة الصحيحة من أمور الغيب، ومما أجمع عليه السلف الصالح أيضًا، فكل هذا يدخل في معنى العقيدة بالمعنى الخاص. فالعقيدة هو "عقد القلب" وهذا يدخل فيها أيضًا الأعمال القلبية، ويدخل فيها من حيث الإيمان، والرجاء، والخوف، والخشية، ويدخل فيها أيضًا الأعمال الظاهرة من إعتقاد، ومن معاملات، وعبادات، وغير ذلك.

أسماء علم العقيدة:

اسم العقيدة هذا أحد الأسماء المشهورة الذي يطلق على العقيدة باسمها العقيدة الذي قلناه، وسنبين أن العقيدة أتت أيضًا بمعنى:

- التوحيد؛
- أصول الدين؛
- السنة؛
- الشريعة– وهذه المناسبة للكتاب الذي معنا؛
- الفقه الأكبر.

فهذه مسميات جاءت كلها مترادفات –لو صح القول– على أنها كلها لمعنى واحد.

لكن العقيدة كما هو مشاع في التدريس والكتب تسمى مادة العقيدة، وهنا البعض يلمز يقول: هل وردت العقيدة في الكتاب والسنة؟ من أين أتيتم بهذا اللفظ؟

وطبعًا هناك من لا يعجبه تدريس العقيدة عمومًا في المطلق أو تذكير الناس بعقيدة أهل السنة والجماعة يحاربون ذلك، وسنبين أن تدريس العقيدة هو وسيلة لجمع المسلمين على الحق وليست تفرقة كما يدندن هؤلاء! بل عدم تدريس العقيدة سيؤدي إلى التفرقة – وهذه سأبينها في نهاية المقدمة – وهذا كلام علماؤنا من المتأخرين ومن المتقدمين أيضًا، أو نقول المتقدمين لم يظهر لهم الخلاف في العقيدة، لكن المتقدمين بعد القرن الثالث لو أردنا أن نبين عندما ظهرت الطوائف وغير ذلك التي خالفت أهل السنة والجماعة.

لكن كلمة العقيدة نعم لم يأت تصريحًا لهذه الكلمة في الكتاب والسنة، لكن المعنى حق جاءت في اللغة، وجاءت إشارة في الكتاب من قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ} [المائدة:89]، فهنا جاءت الكلمة في الكتاب من هذا الباب.

ولكن أهل السنة والجماعة اعتمدوا اللفظ، أي ألفت كتب وذكر فيها اسم العقيدة أو الاعتقاد.

من أشهر هذه الكتب:

- كتاب "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للإمام اللالكائي" وهذا متوفى في سنة 418هـ، أي أن هذا من المتقدمين من علماء السلف وعلماء أهل السنة والجماعة؛ وهذا من أمتع الكتب ومن أصول الكتب وأمهاتها– ست مجلدات من أصول أهل السنة والجماعة، حقًا اسمًا على مسمى.
- كتاب "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" لأبي عثمان الصابوني عليه رحمة الله تعالى، وهذا متوفى 449هـ.

هذه كلها في المتقدمين حتى لا يأتي أحد ويقول لك: أنتم اخترعتم أسماء أو مسميات لم تكن موجودة! فهذا اللالكائي وهذا الصابوني.

- كتاب "الاعتقاد على مذهب السلف" لأبي بكر البيهقي، عليه رحمة الله تعالى. فهذه كتب ذكر فيها كلمة "اعتقاد".
- وبعض من المعاصرين طبعًا الشيخ ابن باز له كتاب يسمى "العقيدة الصحيحة"، أو إن كان هذا استئناسًا.

إذًا من المتأخرين أو المعاصرين ومن المتقدمين منهم من صنف وذكر كلمة العقيدة في عناوين الكتاب.

ثم أيضًا سميت باسم السنة؛ أو جاءت كلمة السنة وهي اسم أيضًا للعقيدة الصحيحة، أي تأتي السنة ويراد بها عند أهل العلم "العقيدة الصحيحة".

والسنة في اللغة هي: الطريقة، أو المسيرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[لتتَّبعنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم]** أي مسيرة وطريقة من كان قبلكم **[قالوا: اليهودُ والنَّصارى؟ قالَ: فمَن]**وغير ذلك، أي طريقتهم في الدين.

فالمقصود بالسنة عند أهل السنة والجماعة خاصة هذا القرن الثالث، بداية كانت من زمان الإمام أحمد –رحمة الله عليه– لأن أريد بالسنة هنا لما ذكرت العقيدة اطلقوا العقيدة على السنة خاصة –كما قلت– في القرن الثالث الهجري في عصر الإمام أحمد، ليفرقوا بين أهل السنة وأهل البدعة، لما ظهرت البدعة في عصر الإمام أحمد فأرادوا أن يفرقوا بين عقيدة أهل السنة فحرصوا على أن يسموا العقيدة (السنة). لذلك ألفت مؤلفات– كما سنبين– يراد بها بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وسميت السنة.

والسنة طبعًا لها معاني؛ عند الأصوليين غير المحدثين، غير الفقهاء، غير أهل علماء العقيدة.

- فمثلًا السنة عند علماء الحديث: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة أو وصف لخلقي أو خلقي.
- السنة عند الفقهاء: ما أضيف من قول، أو فعل، أو تقرير، استثنوا فقط الصفة الخُلقية والخَلقية، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتاجونه في الفقه. لكن هو له تعريف آخر: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.
- عند الأصوليين: ما طلبه الشارع طلبًا غير جازمًا، أو ما أمر به الشارع لا على سبيل الحتم ولا الجزم.
- عند علماء العقيدة: هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم؛ الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، وهذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة التي هي سالمة من الشبهات، ومن الاعتقادات الباطلة؛ سواء كانت في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هذه كلها تسمى السنة، إطلاق السنة عند علماء العقيدة.

لماذا أطلق علماء العقيدة على العقيدة كلمة "السنة"؟

ظهرت أكثر في زمان الإمام أحمد في القرن الثالث؛ لما ظهرت أقوال بعض الفرق المبتدعة، أو الفرق الضالة في العقيدة، أرادوا أن يميزوا بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة، فأطلقوا على كتب العقيدة عندهم "السنة"، حتى يبينوا أن من يخالف هذه العقيدة قد خالف السنة، فيكون من أهل البدعة.

وهذا وصف دقيق خاصة لما ظهرت الرافضة، وظهرت المعتزلة، وغير ذلك، وظهر أهل الكلام، والصوفية، كل هؤلاء يخالفون أهل السنة والجماعة، فأرادوا أن يميزوا بينهم وبين أهل السنة، فجاءت المؤلفات بمعنى ذلك.

ما هي أكثر المؤلفات التي جاءت باسم السنة؟

- كتاب السنة للإمام أحمد؛
- كتاب السنة لابن أبي عاصم؛
- كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ابن الإمام أحمد؛
- كتاب السنة للخلال؛
- كتاب السنة لابن منده؛
- كتاب السنة للمروزي.

كل هذه كتب لأهل العلم سميت باسم كتاب السنة، ولو رجعت لها ستجد أنها تبين عقيدة أهل السنة والجماعة. إذًا هذا معنى آخر أو إسم آخر أُطلق على العقيدة؛ بمعنى السنة.

الاسم الثالث: التوحيد:

وهو اسم ثالث، التوحيد؛ أريد بالتوحيد العقيدة، هو إطلاق ثالث على العقيدة، وهي على عقيدة أهل السنة والجماعة.

معنى التوحيد لغة: الإفراد؛ هذا في اللغة.

أما في الشرع: هنا لابد فيه حتى توحد من ركنين:

إثبات ونفي، إثبات (لا إله)، ونفي (إلا الله).

نقول: لا إله إلا الله: نفي الألوهية عن غير الله عز وجل، وإثباتها لله عز وجل، **لا معبود بحق إلا الله.** فهنا في التوحيد لابد من إثبات ونفي؛ تثبت الألوهية لله عز وجل وتنفيها عن غيره سبحانه وتعالى.

مع أن التوحيد لو نظرت إليه حتى عند علماء العقيدة تجد أنه يختص بإثبات التوحيد لله؛ باسمائه، وصفاته، ربوبيته، ألوهيته، وغير ذلك، ولكن ومع ذلك أُلفت مصنفات في التوحيد، ويراد بها العقيدة، فكأنهم أرادوا بأن أشرف جزء في العقيدة هو التوحيد لله عز وجل، لأن العقيدة ليست التوحيد فقط، التوحيد هذا بينّا الآن؛ هو التوحيد لله عز وجل أسمائه وصفاته، ربوبية وألوهية، لكن لابد يدخل في العقيدة الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، بالرسل، بالقدر، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بأفضلية الصحابة رضوان الله عليهم، وبعض المسائل الأخرى التي يدخل فيها؛ الشفاعة، وغير ذلك، كل هذه تدخل في العقيدة كما سيأتي، كرامات الأولياء وعدم العصمة إلا للأنبياء فقط، أيضًا كل هذه تدخل في العقيدة.

ولكن كأنهم أرادوا أن يقولوا أشرف شيء في العقيدة هو التوحيد لله، فسميت المصنفات بالتوحيد على أشرف جزء في العقيدة، وهو توحيد الله عز وجل، لكنهم أرادوا في بعض هذه المصنفات التوحيد العقيدة بالكلية، وليست التوحيد فقط.

مصنفات خاصة بالتوحيد:

- كتاب التوحيد لابن خزيمة؛
- كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، هذا من المعاصرين طبعًا الشيخ محمد عبد الوهاب رحمة الله عليه؛
- كتاب التوحيد لأبو العباس بن سريج، من أئمة الشافعية؛
- كتاب التوحيد لابن منده أيضًا، وابن منده عنده الإيمان وعنده التوحيد،
- كتاب التوحيد للمقريزي.

فكل هذه جاءت كتب باسم التوحيد، كأنهم سموها التوحيد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج، قال: [**الحَجُّ عَرَفَةُ**] فأتى بالحج قال عرفة، كأنه أفضل أركان الحج هو عرفة. كذلك سميت العقيدة بالتوحيد، لأنه أفضل وأشرف شيء فيها هو توحيد الله عز وجل.

الاسم الرابع للعقيدة جاء باسم أصول الدين:

وأصول الدين هي أيضًا مركبة من:

- **(أصول)**
  - **ومعناها لغة:** جمع أصل، وهذا الأصل ما يبنى عليه غيره، هذا لغة.
  - **وشرعًا:** يأتي بمعنى الدليل، ولذلك الأصول: الآية أصل، والحديث أصل، الدليل الذي جاء من الكتاب أو السنة.
- **(الدين)** وهنا يقصد به الإسلام لا شك، و **اللغة** الدين يأتي بمعنى الذل والخضوع، وهو أيضًا فيه إمتثال المأمور، واجتناب المحظور.

فكأن أصول الدين هي ما يختص بالقيام بالواجبات، والبعد عن المحرمات.

وأصول الدين هنا أيضًا هذه الكلمة حتى لا يقول أحد من أين أتيتم بها! جاءت **كتب لعلماء السلف كتب وذكروا فيها كلمة "أصول الدين" وكانت في العقيدة منها:**

- الإمام إبن بطة –عليه رحمة الله تعالى– ألف "الإبانة على أصول السنة والديانة"؛
- وأيضًا أبو الحسن الأشعري أيضًا ألف "الإبانة عن أصول الديانة".

وهذه كلها كتب تبين فيها أن أهل السنة والجماعة اعتمدوا أيضًا كلمة "أصول الدين"، ويقصد بها العقيدة.

ثم أيضًا سميت العقيدة بالفقه الأكبر:

وهذا الذي نقل عن الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه، وقيل أنه ألف كتابًا سماه: (الفقه الأكبر)، والبعض نسب إلى الشافعي ذلك، ولكنه لم يثبت أيضًا.

نقول لماذا سميت العقيدة بالفقه الأكبر؟

سموه الفقه الأكبر يقال تمييزًا عن الفروع الفقهية الأخرى، لأن لو قلت الفقه وسكتت، فأنت الفقه دخل فيه الطهارة، والصلاة، والصوم، والطلاق، وغير ذلك، فسموه الفقه الأكبر لأن صحة هذه الأمور كما قلت تتوقف قبولها على العقيدة، {مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ} [النحل:97].

إذًا معنى العقيدة الصحيحة شرط في قبول وصحة الأعمال، لذلك سمي بمعنى الفقه الأكبر.

ثم يتبقى معنا الاسم الذي نصل إليه وهو ما نحتاج إليه **الشريعة**،

سميت أيضًا العقيدة بمعنى الشريعة:

إذًا أطلق علماؤنا؛ علماء السلف- رضوان الله عليهم ورحمهم الله تعالى جميعًا- اسم الشريعة على العقيدة.

- **معنى الشريعة لغة:** والشريعة تأتي من الشرع، وهو فيه البيان، وفيه المورد، والطريق أيضًا، وهذا لغة؛
- **أما إصطلاحًا:** تطلق الشريعة على أمرين:
  - أمر عام: ويقصد بها الدين كله؛ فيدخل فيها المعاملات، العبادات، العقائد، وكل شيء، وهذا تدخل فيها عقيدة وأحكاما، وهذه هنا الشريعة، لقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ} [الشورى:13]، "شرع لكم من الدين" إذًا هنا الذي ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك، فهذا معنى عام للشريعة؛ يقصد به الدين كله.

- وقد تأتي الشريعة بمعنى خاص "مقيد": وهو يقصد بها الأحكام، {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة:48] أصبحت الشرائع تختلف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [الأنبياء إخوةٌ لعَلَّاتٍ: دِينُهم واحد، وأُمَّهاتُهم شَتَّى] ، فهنا بيّن بأن الشريعة هنا يقصد بها الأحكام. لذلك تجد أصل الدين واحد: الإسلام، والعقيدة لا تختلف من نبي لنبي، ولكن الشرائع قد تختلف، أي أن الصلاة تختلف طريقتها، الصوم، الحج، وغير ذلك من المعاملات. هذه المعنى الخاص للشريعة.

لكن هنا ما نتكلم عنه الآن الشريعة بالمعنى العام، وهي يقصد بها العقيدة ككل؛ دخل فيها الأحكام، والمعاملات، والعقائد، وغير ذلك.

هل صنفت أيضًا كتب في العقيدة باسم الشريعة؟ نعم لأنه حتى لا يأتي أحد ويقول هذه كلها مسميات ابتدعتموها عن العقيدة! نقول: ما ابتدعنا شيء، كل هذه من علماء السلف هم الذين قرروا هذه الأسماء والمسميات، بل ألفوا كتب في ذلك.

فالشريعة أيضًا ألف فيها كتب، منها:

- الكتاب الذي معنا الآن؛ الكتاب العظيم الشأن، الذي فيه نفع كبير، ألفه الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الشافعي وهذا سماه كتاب الشريعة؛
- وأيضًا ألف الإمام ابن بطة "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية"، هذا أيضًا ذكر فيه كلمة "الشريعة".

إذًا كلمة الشريعة أيضًا جاءت كمسمى من مسميات أو اسم من أسماء العقيدة.

كل هذا الأسماء التي ذكرناها ثابتة عند أهل السنة والجماعة، بخلاف **أهل البدعة** تجد عندما يتكلم في العقيدة لا يذكر هذه الأشياء التي قلناها، إما يأتي بمصنفات يسميها مثلًا (علم الكلام) يقول لك ندرس مادة في علم الكلام، كتب في علم الكلام! طبعًا هذه الطوائف المبتدعة، وحتى لا نسمي وننسى أحد، بداية من الأشاعرة إلى أن تصل إلى ما دونهم من بعد ذلك، يسمونها علم الكلام.

والبعض يسمونها مقررات أو (مادة الفلسفة) أيضًا، والفلسفة طبعًا كلها جاءت من اليونان ومن الهند، وغير ذلك.
والبعض يسميها (مادة السلوك) كما عند الصوفية.

والبعض يسمونها أيضًا يطلقون على العقيدة مثلًا (علم ما وراء الطبيعة) هؤلاء الذين يقولون ذلك تبع الميتافيزيقا ، يقول لك: علم ما وراء الطبيعة!

فكل هذه المسميات ابتدعها المبتدعة في طوائفهم؛ سواء الكلام، أو الفلسفة، أو ما وراء الطبيعة، أو مادة السلوك عند التصوف، وغير ذلك، كل هذه أسماء لا تجدها في كتب أهل السنة والجماعة.

أهمية علم العقيدة:

لماذا نقول بأهمية العقيدة، ومنزلة العقيدة؟ ولماذا لابد الحرص على تعلم وتعليم كتب العقيدة؛ خاصة عقيدة أهل السنة والجماعة؟ لأن علم العقيدة له منزلة عظيمة جدًا.

1. علم العقيدة هو من أشرف العلوم على الاطلاق، وشرف العلم كما قلنا من شرف الموضوع، وشرف الموضوع هو علم العقيدة؛ هو معرفة الله عز وجل؛ معرفة ربوبيته، وعبوديته، وكيف تعبد الله عز وجل، كيف تعتقد في ربوبية الله عز وجل، كيف تدعو الله عز وجل باسمائه وصفاته.

فهو لا شك أنه يُفضَّل على كافة العلوم، حتى علوم الفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الأخرى المتفرعة. علم العقيدة هو أشرف العلوم على الإطلاق، وهو أصل الأصول كما يقال.

"من لم ينضبط في عقيدته ولم يتقنها لم ينفعه باقي العلوم" ماذا ينفعك إن كنت مُحدِّث العصر أو من فقهاء العصر وأنت مبتدع في العقيدة! أو انت لست على عقيدة أهل السنة والجماعة! ماذا سيفيدك ذلك عند ربك! لن يفيدك في شيء.

لذلك دائمًا تنظر؛ الإتقان كل الإتقان يأتي في العلماء الذين تجد عقيدتهم صافية نقية، فيها التزام بأهل السنة والجماعة، تجد التوفيق والسداد في غالب أقواله وفتاويه، وفي مصنفاته، أكثر بكثير من العلماء الذين لهم شأن في الفقه أو في الحديث ولكن تجد عنده بعض الدخن في العقيدة، أو حتى يعتقد بعقيدة مخالفة لأهل السنة والجماعة.

فنحن نتكلم على أن إتقان العقيدة وضبط العقيدة فارق كثير جدًا بين من لم يتقنه ومن لم يضبطه، وبين من ضبطه، وتجد ذلك واقع في علماء أهل السنة والجماعة وغيرهم، حتى من أعطاهم الله نبوغًا في الفقه، والحديث، لكن عنده اشكالات في العقيدة، ستجد لابد له هنات وزلات، وتجد عنده خفوت، لأنه لم تكن العقيدة صافية له.

فنقول أهمية العقيدة إلى الناس أهمية عظيمة جدًا كما قال شيخ الإسلام بن تيمية: "**حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب**"، لأن الطبيب أكثر ما سيحدث له إن لم يسعفه سيؤدي إلى موت البدن فقط، لكنه لو كان صاحب عقيدة صحيحة سيحيا في الآخرة حياة سعيدة، وأما من فاتته الرسالة أو لم يكن من أهل الرسالة فإن حتى وجد من يعالجه ويزيد له في عمره فماذا سيفعل بهذا العمر في الدنيا إن كان على عقيدة فاسدة وبعد موته إن كان لقي ربه بهذه العقيدة الفاسدة! فلن يستفيد في شيء.

إذًا الناس تحتاج إلى الرسالة، تحتاج إلى العقيدة، تحتاج إلى التعلم، لأن هذا أحوج ما يكون إليهم من حياة الأبدان.

2- من أهمية دراسة العقيدة بأن صحة الأعمال وقبولها عند رب البرية تتوقف على صحة العقيدة، فأنت حتى تُقبَل الأعمال وتكون صحيحة عند ربك لابد لك من عقيدة صحيحة، قال سبحانه وتعالى: {وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا} [الفرقان:23]، فلماذا جعله هباء منثورا؟ لأنهم ليسوا من أهل الإسلام، ما استفادوا من شيء، حتى لو كانوا من أبر الناس في الدنيا، ومن أكثر الناس في

الدنيا إنفاقًا وصدقة وعمل الخير، ولكنهم كما قال النبي عن (ابن جدعان): [إِنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ]، وكان يكرم الضيف ويفعل ما يفعل كما قالت (عائشة) رضي الله عنها وأرضاها، لكن كل هذا أصبح هباء منثورا.

فماذا يفيدك بأنك الآن متقن حتى في البيوع، أو متقن في معرفة العبادات؛ والطهارة، والصلاة، من طلبة العلم، أو متقن في أحكام الطلاق والحيض وغير ذلك، وأنت العقيدة عندك فاسدة أو باطلة أو مبتدعة! ماذا سيفيدك كل هذا الإتقان! لن يفيدك، لأن الأصل عندك فيه خرب.

3- النجاة؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال سبحانه وتعالى أيضًا النجاة في في الآخرة لا تكون إلا بالتوحيد، فقد بيّن الله عز وجل بأن التوحيد يمنع الخلود في النار، وأن غير الموحد إن مات على ذلك فهو خالد في النار –والعياذ بالله–. إذًا التوحيد والعقيدة الصحيحة تمنع المرء بالخلود في النار، وإن أتى بما أتى من الذنوب، ومن النقائص، أو من المخالفات، ولكنه أتى ببطاقة التوحيد، ففي مشيئة الله؛ إن شاء الله عز وجل عذبه، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة؛ مآلة إلى الجنة. وأما من مات على غير التوحيد– والعياذ بالله– أو بعقيدة باطلة فاسدة ؛ إن كانت طبعًا هذه العقيدة مخرجة من الملة، فهو خالد مخلد في النار، وإلا فهو على قدر ما عنده من مخالفات يتعرض لمشيئة الله عز وجل.

4- العقيدة الصحيحة الله عز وجل يرزق بها الناس العزة في الدنيا وفي الآخرة، فيقول سبحانه وتعالى: {وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [آل عمران:139]. إذًا مقام العزة في الدنيا الله عز وجل يعطيه لمن؟ لأهل الإيمان. فحتى وإن أصاب الناس ما أصابوا من ذلة ومهانة، ولكن مدار الأمر كله على الإيمان. فإن رجع الناس إلى دينهم، إلى إيمانهم، إلى عقيدتهم الصحيحة، فلابد أن تكون العزة.

لكن لا تعجب أنك ترى ذلة ومهانة للمسلمين الآن! انظر إلى بلاد المسلمين من ناحيه العقيدة، أنا لا أقول لك انظر من ناحية المال، والفقر والغنى، والأمور التي تأتي في رؤوسكم! لا، انظر، تفقد ديار المسلمين الآن، وانظر هل التوحيد فيها

خالص أم ستجد مخالفات قد تصل إلى الشرك إلا من ندر! ستجد في كل بلد من البلاد إلا من رحم الله عز وجل وجعلهم من أهل التوحيد ستجد عنده مخالفات في العقيدة، تجد الأضرحة موجودة، تجد القبور موجودة، تجد الموالد موجودة، تجد بعض الشركيات موجودة، تجد الطرق موجودة ويلتفوا الناس ويعملون، وبل تجد محاربة من يدعون إلى التوحيد، ومحاربة من يدعون إلى إخلاص العبادة لله عز وجل، محاربة من يدعون إلى التوسل بالله عز وجل فقط، أو التوسل بالأعمال الصالحة، أو غير ذلك من الأمور، وليس التوسل بالمقبور ولا بالميت ولا غير ذلك!

إذًا لا تعجب بأنك ترى الذلة والمهانة في بلاد ديار المسلمين، لأن الله عز وجل قال: {وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [آل عمران:139]، إذًا ما هو المفهوم؟ لو لم تكن مؤمن فالمهانة والذلة ستأتيك، فلا تعجب من ذلك.

ولذلك الناس تستغرب على البلايا التي تنزل، وعلى التجرؤ على المسلمين وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك، هذا من ضعفنا نحن، من ذلتنا، من مهانتنا، من عدم دعوتنا للعقيدة الصحيحة ليس إلا! فنحن الذين فتحنا هذا الباب، ونحن نجني هذه الثمار.

5- أهم شيء كما قلنا أول دعوة للرسل هي دعوة العقيدة، الله عز وجل لما أرسل الرسل قال: {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ} [الأعراف:59] ، فأول ما جاء الرسل جاؤوا لدعوة العقيدة. إذًا العقيدة هي أول شيء جاء به الرسل؛ دعوا الناس إلى توحيد الله عز وجل.

كذلك هي أول واجب على المكلف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ] . إذًا أول واجب هو الشهادة بأن لا إله إلا الله؛ العقيدة الصحيحة، أيضًا آخر واجب على المكلف هو التوحيد أيضًا، كما أنه أول واجب عليه آخر واجب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من كان آخرُ كلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخل الجنَّةَ]. إذًا الأمر كله مداره على العقيدة الصحيحة أولًا ونهاية ووسطًا.

القرآن كله نزل في التوحيد؛ انظر إلى آيات القرآن، تدبرها في كل السور والآيات، تجد إما خبر عن الله عز وجل من اسمائه وصفاته أو ربوبيته أو ألوهيته، أو تجد آيات تتكلم عن افراده بالعبودية فقط، أو تجد آيات تتكلم عن ما في القرآن من إكرام من الله عز وجل لأهل التوحيد والذين حققوا التوحيد في الدنيا وفي الآخرة، أو تجد آيات يخبر بها الله عز وجل عن عقاب وشقاوة أهل الشرك وما سيكون مآلهم في الآخرة إن ماتوا على غير التوحيد، وأيضًا تجد آيات تتكلم عن الأحكام من الواجبات والمنهيات، وهذه مقتضيات التوحيد، لأن مقتضى التوحيد أنك تأتمر بما أمر الله عز وجل، وتنتهي بما نهاه الله عز وجل.

إذًا العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي لابد أن يبنى عليه المجتمعات، هذه هي الأصول التي تغيب عن كثير من الناس، فيتركون هذا الأمر ويذهبون إلى الفرعيات. الأصل في بناء المجتمع الإسلامي الصحيح هو صفاء ونقاء العقيدة، أنك تربي الناس على العقيدة الصحيحة، وأنك تنقيها من الشوائب، وتنقيها من الشركيات، تنقيها من الدخن، تنقيها من البدع لأن البدع أسقطت كثير من الدول الإسلامية– الإمارات الإسلامية؛ إمارة بني العباس، والأمويين، والعثمانيين مؤخرًا– أي آخر الخلافات– ودخول التتار، وكل ذلك كان في بلاد المسلمين، كل هذا كان بإنتشار البدعة على إختلاف الأزمنة والمسميات، حتى الخلافة العثمانية لما سقطت كانت أيضًا مشهور جدًا الصوفية التي فيها والبدع الموجودة، هذا لا يخفى على من يدرس يعلم بكيف كانت موجودة البدعة، وهذا ممكن يعجل لن أقول لك أنه سبب، لأن الخلافات الإسلامية التي كانت موجودة مكثت ستمائة سنة؛ لكن تجد مع انتشار البدع يخفت ضوء الأمة الإسلامية؛ العباسية في خلق القرآن، والأموية في القدر وفي الرفض أيضًا. ولا نأخذ الكلام على إطلاقه، قلت لما بتزداد البدع بيؤدي ذلك إلى زوال بعد ذلك، لن أقول لك أن هي البدعة التي أزالت الدول كلها، لكن لما اشتهرت البدع فيها أصبح ذلك ينخر في الأمة، هذه هي السنن، ما هو أنت عندما تنظر وتقول هي العقيدة أي التي أوقعت الأمم؟! نعم هو العقيدة الصحيحة هي التي يقام بها. فالصحابة رضوان الله عليهم، كيف انتشروا

في الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في البلاد وفتحوا البلاد؟ بالعقيدة الصحيحة، وساد لهم العالم بماذا؟ بالعقيدة الصحيحة، ثم ظل ذلك حتى القرون الخيرية، إلى أن انتشرت البدعة بعد ذلك، فأدى ذلك لسقوط دول وقيام دول أخرى. ولا أحصر سقوط الدول فقط بالبدعة، لكن البدعة من أساسيات سقوط الدول، هذه السنن تقول ذلك، "**ما أميتت سنة إلا وأحيت بدعة**" والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن البدع، وعن المبتدعين، فكل هذا لاشك ينخر في الأمة، هذا فضلًا عن الشركيات، نحن بنتكلم في البدع وأعظم منها الشركيات التي تكون موجودة، لذلك هذا يؤدي إلى ما يصل فيه المرء.

مزايا عقيدة أهل السنة والجماعة

الناظر هنا لعقيدة أهل السنة والجماعة، لماذا نحن دائمًا نتكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة؟ ما مميزات عقيدة أهل السنة والجماعة التي تلاحظها عن باقي العقائد الموجودة؟ أنا أتكلم عن مسألة الطرق، عن الكتب الموجودة والمؤلفات وغير ذلك، ما الأسس التي بنيت عليها عقيدة أهل السنة والجماعة؟

1- أولًا؛ هذا الدين قد حفظه سبحانه وتعالى من التحريف، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:9]، فالعقيدة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة، سالمة من التحريف، لن تجد في عقيدة أهل السنة والجماعة تحريفًا، أو تبديلًا، أو غير ذلك، لأن الله عز وجل قد حفظها بحفظه للقرآن، وأصل العقيدة هي في القرآن، فلما حُفظ القرآن حُفظت عقيدة أهل السنة والجماعة.

ولذلك أنت لما تنظر إلى كتب السلف في العقيدة، هل تجد فرق بين كتب المتقدمين- مع اختلافهم في أزمنتهم- عن المتأخرين؟ تجد المنهج واحد، أو الوعاء واحد، والمنهل واحد، لكن انظر إلى كتب الطوائف المخالفة، وإلى أهل السنة والجماعة.

خذ مثال مثلًا؛ (الأشاعرة): انظر إلى كتب الأشاعرة، المتقدمين من الأشاعرة تجد كتبهم تختلف عن المتوسطين، عن المتأخرين، فمن يتتبع المنهج الأشعري في التصنيف ستجد الذي كتب في المتقدمين كلامهم قد يأتي يخالف المتوسط من علمائهم، ولما أتى المتأخرين ضيعوا أكثر مما كتبوا المتقدمين وفرطوا حتى في المذهب عندهم أصلًا، هذا كله لماذا؟ لأن الأصل الذي يكتبون به أصل ليس ثابت، بخلاف كتب عقيدة السلف ما يرجع إلا للكتاب والسنة- كما سنبين- أصول عقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على الكتاب والسنة وفهم الصحابة أيضًا، لِما جاء في الكتاب والسنة يرجعون إليه. لكن انظر إلى الكتب المخالفة لأهل السنة والجماعة، أنت ممكن تفر كتاب ما تجد فيه إلا بعض الآيات والأحاديث، وممكن أحاديث أيضًا تكون غير صحيحة؛ ضعيفة، وكله كلام في كلام، نظر في نظر، في فكر، في كلام، تجد الكلام انتهى وأنت ما وقعت عينك على عشر أو عشرين آية أو حديث في الكتاب كله!

لكن انظر إلى كتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة، ما يتكلمون إلا بكتاب وسنة؛ إلا بآية وحديث، وهذا يبين لك الفارق بين عقيدة أهل السنة والجماعة. نحن نتكلم عن المطلق الآن، لا نتكلم في التفاصيل، لا نرد على المخالف، لكن نبين مزية عقيدة أهل السنة والجماعة.

2- ثانيًا؛ كتب عقيدة أهل السنة والجماعة واضحة سهلة، أنت الآن عندما تأتي لأي أحد من العوام وتكلمه في عقيدة أهل السنة والجماعة تجده يفهم، لكن اعطيه الكتاب واقرأ له الكتب المخالفة ويقول لك: "والواجب على المتكلم التدبر، ثم النظر، ثم العلم، ثم كذا، ثم كذا،..." تجد كأنه لوغاريتمات موجودة! أنت أصلًا لا تفهم ما يقولون إلا عندما يأتي واحد من عندهم يشرح لك هو ماذا يقصد بكتابه! لكن كتب أهل السنة والجماعة العقيدة فيها واضحة سهلة يفهمها الناس جميعًا، يفهمها العوام قبل أن يفهمها أصالة أهل العلم، وهذه من مميزات عقيدة أهل السنة والجماعة.

3- عقيدة السنة والجماعة سليمة من كل عيب أو نقص، لأنها من عند الله عز وجل، هي من عند الله وأُرسِل بها النبي صلى الله عليه وسلم. لكن خلافًا لأهل السنة والجماعة، تجد في الكتب عندهم نظر وتفكر واستدلالات وبراهين عندهم ليست منسوبة إلى الكتاب ولا السنة، بل هو تفكر عندهم.

4- عقيدة أهل السنة والجماعة موافقة لفطرة الإنسان، قال الله عز وجل: {فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ} [الروم:30]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أوْ يُمَجِّسانِهِ]. إذًا الأصل في العقيدة هي العقيدة الصافية، هي التي نزل بها الله عز وجل وأنزلها على الرسل، فهذه كلها تبين لك مزايا عقيدة أهل السنة والجماعة.

5- أيضًا ممكن نقول أن عقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على الأدلة وعلى البراهين، نعم فيها براهين وفيها أدلة نعم، فيها أمور غيبية لابد أن تُسلِّم بها، لكن فيها أدلة وبراهين، الله عز وجل أتى بأمثلة في القرآن وقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ} [النساء:82]،{أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس:68]،{أَفَلَا يَنظُرُونَ} [الغاشية:17]، فدعا أيضًا للنظر والتعقل والتدبر، وأتى بأمثلة فيها ما فيها من الأدلة، وفيها من البراهين مع التسليم، لابد طبعًا من وجود التسليم، وهذه من مميزات أيضًا عقيدة أهل السنة و والجماعة.

6- قلنا أهمها أن العقيدة مستقاة من مصادر الإسلام الأولى، وهذا أهم شيء في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن الرجوع فيها للكتاب وللسنة، فلا تجد أحد من علماء السلف صنف في العقيدة خرج عن هذا الأصل أبدًا، وهذا يبين لك كيف أن هذه العقيدة ثابتة على أصول ثابتة منذ أول ما بدأ التصنيف إلى يومنا هذا، فهذه أصول لمن أراد أن يصنف العقيدة لا تجده يتكلم في شيء في العقيدة إلا من مصادر الكتاب والسنة – الصحيحة طبعًا– التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتقدم بين الله عز وجل وبين النبي صلى الله عليه وسلم، لا يمكن أن يأتي بشيء ليس في الكتاب والسنة ويتكلم من عند نفسه في العقيدة!

ولذلك تجد أن من فوائد عقيدة أهل السنة والجماعة أنها تجعل المرء مُعظمًا للنصوص بخلاف غيرهم، أي أنت الآن الذي يدرس عقيدة أهل السنة والجماعة

تجده يقف عند النصوص مُعظمًا لها، لأن جُل كتب أهل السنة والجماعة كما قلت مليئة بالآيات والسنة، فلما تأتيك آية من الله عز وجل أو كتاب أو حديث لا يمكن أن تتركه وتفكر فيه من نفسك، لما يأتيك قوله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:22-23] هل يمكن أنك تقول بأن هذه النظرة ليست إلى الله عز وجل! أو أن المؤمنين لا يرون الله عز وجل! الآية تقول ذلك. فأنت من عقيدة أهل السنة والجماعة أنك تقف عند هذه النصوص، وتعظمها، وتعتقد بها، ولا تخالفها، لا تقول: "لا، وجوه يومئذ منتظرة"!! كما قال بعض المخالفين لأهل السنة والجماعة.

أو لما يقول الله عز وجل: {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء:164] فالتكليم هنا أن الله عز وجل كلم موسى كلامًا حقيقيًا أيضًا سمعه موسى عليه السلام. فهذه تعظيم لِما جاءت به النصوص.

لما يأتي قوله تعالى: { ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ } [طه:5] فأنت لابد تقر بالاستواء كما قال الله عز وجل فيه، فالاستواء هنا هو لابد أن تقول باستواء أهل السنة والجماعة، لا تقول استوى بمعنى "استولى" !! هذا كله إن دل على ماذا؟ على تعظيم أهل السنة والجماعة للنصوص التي جاءت في الكتاب وفي السنة.

أيضًا عقيدة أهل السنة والجماعة كما ذكره المؤلف هنا في كتابنا الذي سنتعرض إليه إن شاء الله بعد أن نقدم له ترجمته؛ في كتاب الشريعة للآجري، ذكر إجمالًا ثم فصَّل في حوالي ثلاثة وعشرين باب في هذا الكتاب العظيم، ذكر فيه تفاصيل كثيرة لأهل السنة والجماعة؛ تعرض لتوحيد الله عز وجل طبعًا في ربوبيته، في ألوهيته في باب، – وإن كان هذا ليس تفصيلًا للكتاب لكن نتكلم عن هذا الكتاب وغيره من الكتب التي تؤلف العقيدة– لابد لها أن تتعرض لمواضع عامة لابد ستجدها في غالب الكتب؛ يتكلمون عن الإيمان بربوبية الله، باسمائه، بصفاته، بألوهيته، ثم يتكلمون أيضًا عن الإيمان بباقي أركان الإيمان الستة؛ الملائكة والكتب والرسل والقدر خيره وشره أيضًا واليوم الآخر، ثم أيضًا يتكلمون عن عقيدة

أهل السنة والجماعة في الشفاعة؛ الإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنواع الشفاعات المختلفة، ثم أيضًا يتكلمون عن عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات كرامات أولياء الله الصالحين، والتفريق بين كرامات الأولياء والخوارق الشيطانية، هذه أيضًا من مباحث عقيدة أهل السنة والجماعة التي لابد أن يتعرض إليها. يوجد طبعًا بعض المصنفين يتعرضون لكل هذا، والبعض يكون كتبه متخصصة في بعض المباحث.

أيضًا يتكلمون عن توحيد الله عز وجل في أفعاله، وتوحيد العباد في أفعالهم لله عز وجل أيضًا، وأيضًا يتكلمون عن إثبات الرؤية مثلًا، هذه من المسائل التي تتعرض إليها كتب أهل السنة والجماعة؛ إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة.

7- والأهم من ذلك إثبات أن عقيدة أهل السنة والجماعة مُلزمة للجميع، وهذه مسألة حتى يرد بها على الصوفية، لأن بعض خواص الصوفية أو متعصبي الصوفية يقولون بأن الشريعة هذه للعوام وأنهم ليسوا ملزمون بالشريعة، ولهم أنهم يتصرفون كما يريدون كما يقال، أو ما بينهم وبين الله عز وجل صلة؛ العلم اللدني كما يقولون، فهم قالوا لا يلتزمون بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الخواص من الصوفية، وهذا يخالف عقيدة أهل السنة الجماعة، لذلك تجد بعضهم لا يصلي، لا يصوم، يجلس على السطح، لا يحضر الجماعات، يفطر في رمضان، بل يفعل الفواحش والمنكرات يقول إن هذه الشريعة للعوام ليست لهم! وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة.

لذلك تجد بعض المصنفات تتكلم في هذه المباحث أيضًا؛ على أن عقيدة أهل السنة والجماعة مُلزمة للجميع، ليس عندنا شريعة خاصة وشريعة عامة، شريعة للعوام وشريعة للخواص! لا، ما في هذا عندنا عند أهل السنة والجماعة، بل هي شريعة عامة، قال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ} [الحجر:99]، فالنبي صلى الله عليه وسلم عَبَد الله عز وجل

وصام وصلى وزكّى وحج وقاتل وجاهد واشترى وباع حتى جاءه الموت، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

8- أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، فلا أحد من البشر يعلم الغيب، فلا نبي، ولا ملك، ولا غير ذلك، ولا ولي يعلم الغيب، هذه كلها من الأمور التي اختص بها لنفسه أيضًا، وإلا من يدعي الغيب هذا من العرافين والكهنة والسحرة هؤلاء الذين يقولون ذلك يسترقون السمع، وأما عقيدة أهل السنة والجماعة لا أحد يعلم الغيب إلا الله عز وجل.

9- أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة التوسل المشروع، إثبات التوسل، والتوسل المشروع يكون بأسماء الله عز وجل، بأفعال المرء الصالحة، التوسل بدعاء الصالحين، هذا مشروع.

وأما التوسل الممنوع عند أهل السنة والجماعة التوسل بالأموات، بالمقبورين؛ سواء توسل بدعي أو شركي على اختلاف المسميات. هذه أيضًا من المسائل الهامة أو المباحث التي تكلم فيها من صنف في عقيدة أهل السنة والجماعة.

10- أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز القطع لمعين بجنة ولا نار إلا من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم لذلك؛ شهد لهم بالجنة أو من شهد لهم بالنار، لكن غير ما شهد له النبي صلى الله عليه وسلم أو جاءت الآيات تبين كما جاء مثلًا في أبي لهب وغيره، أو جاءت الأحاديث في العشر المبشرين بالجنة، وغير ذلك من أفراد الصحابة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، هذا الذي نشهد له، وأما غير ذلك **لا نشهد لمعين، أقول معين** لا بجنة ولا بنار، لكن نقول من مات على الكفر فهو في جهنم خالدًا مخلدًا فيها، ومن مات على التوحيد فهو في الجنة. أما الشهادة لمعين بذلك فليست هذه أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة. فمن مات على الكفر نقول له هو كافر، فهو في جهنم خالدًا، لكن لا تجزم أنه يوم القيامة في جهنم، لأنك قد لا تعلم قد يكون هو مخفي لإسلام مثلًا، لكن أنت لك الظاهر الذي مات عليه، لو مات كافرًا فلك أن تقول هو مات على الكفر فلا نعلم له إلا الكفر، فهو خالد مخلد في نار جهنم، لكن لا تجزم بدخوله

جهنم يوم القيامة لأن هذا ليست لك الآن خلاص، لكن هذه من أين؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل: [إِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ]، وهذه سنة على فكرة غائبة عن كثير من الإخوة والأخوات، هم عندما يمروا على مقابر المسلمين بيقولوا دعاء المسلمين، لكن عندما تمروا على مقابر الكفار بشروهم بالنار؛ هل أتاكم ما توعدون؟ جهنم وبئس المصير، وهذا ليس نص. والكافر هو في الحياة يمكن أن يسلم قبل أن يموت، أنت لا تعينه بالكفر مادام هو حي، لكن أنت تقول على النوع؛ أن الكفار مخلدون في نار جهنم، فلو مات على الكفر فهو في النار، لكن أنت تجزم أنه في النار! لا تقول أجزم، لكن تقول هو في النار على ظاهره لأن قد يكون أسلم وأنت لا تعلم، فهذه في علم الله عز وجل، لكن أنت لك الظاهر في ذلك، والمسألة بعض العلم يخالف فيها.

11-أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الكفر نوعان؛ الكفر منه ما يخرج من الملة ومنه ما لا يخرج من الملة، وهذه أيضًا لها ضوابط، لكن هذا التفصيل أيضًا عند أهل السنة والجماعة، ليس كل الكفر مخرج من الملة، وليس كل الكفر غير مخرج من الملة، هناك تفصيلات بيَّنها أهل العلم.

أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

نقول أخيرًا في هذه المقدمة أن أهل السنة والجماعة يستمدون أصولهم في عقيدتهم بمصادر؛

1- أول شيء تعظيم النصوص الشرعية؛ الكتاب والسنة، فقلنا هذا هو الأصل الأصيل في عقيدة أهل السنة والجماعة.

2- الاعتماد على الأحاديث الصحيحة، فتجد في العقيدة لابد لها من الأحاديث الصحيحة، لا يُقبل غير ذلك.

3- صحة فهم النصوص، وهذا أهم شيء، وصحة فهم النصوص تبين لنا بأنك لابد أن ترجع إلى فهم الصحابة رضوان الله عليهم، لأن هم الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، ونزل الوحي عليهم وسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم.

فلذلك أهل السنة والجماعة عندما يتكلمون في العقيدة لابد أولًا يثبتون من الكتاب، ومن السنة الصحيحة، وفهم النصوص فيه يرجعون إلى فهم الصحابة رضوان الله عليهم. ولما قلنا السنة الصحيحة، فأهل السنة والجماعة لا يفرقون بين الآحاد وبين المتواتر في ذلك، يعملون بالآحاد وبالمتواتر.

4- من أصولهم التسليم الكامل للنصوص، وهذه مسألة لماذا نركز عليها؟ لأن هذه مفارقات بيننا وبين الفرق المخالفة في العقيدة، فأهل السنة الجماعة تسليم كامل للنصوص؛ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا} [النساء:65]، ثلاثة أمور في هذه الآية، أخصها التسليم الكامل لما جاء في الكتاب وفي السنة، أو جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يعارض شيء من الكتاب والسنة.

5- لا يقدم فيه عقلًا على نقلًا أبدًا، وهذه من الطامات التي وقع فيها المخالف لأهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة يقدمون النصوص، ويقدسونها، ويعظمونها، بل يقدمونها على عقولهم، لأن العقول تَهِم، وقد تخطئ، ولكن النصوص طالما قد جاءت من الله عز وجل وثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هو الأصل الذي لابد أن يُقدم. أما القياس فهو القياس في أمثال العقيدة فتجده – إلا إن قلت بقياس الأولى في بعض الأمور في بعض الأسماء والصفات، أي عند إثبات بعض صفات الله عز وجل من القياس الأولى- لكن في أمور العقيدة فالعقيدة ثابتة، فيها ثوابت، ليس فيها اجتهاد، لذلك لا تجد اختلافات في أصول العقيدة بين أهل السنة والجماعة، وما نقل عن بعض الخلافات حتى بين الصحابة في بعض الأمور فهي فرعيات، كاختلاف الصحابة مثلًا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الاسراء والمعراج، أو غير ذلك، أو اختلاف الصحابة في سماع الموتى

للأحياء، أو اختلافهم مثلًا في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه التي وردت. هذه كلها مسائل فرعية، لكن أصول العقيدة وثوابتها لا تجد فيها خلاف بين الصحابة وبين من معهم، وأما الفرعيات فهذه التي قد تبين. أما غير ذلك من المصادر التي عند المخالفين لأهل السنة والجماعة كالذوق، والوجد، والإلهام، والكشف، وغير ذلك ويجعلون أحكامًا بذلك ، كل هذا ليس عند أهل السنة والجماعة، هذا عند المخالفين لهم من المبتدعة، فيقول لك: "كُشِف لي"! كيف يُكشف لك والقرآن نازل وثابت وقد اكتمل الدين من عند الله! كيف يُكشف لك في الأمور الغيبية والغيب ليس لك! بل هو لله عز وجل. فغلاة الصوفية وغير ذلك يتدينون بذلك؛ بالكشف والوجد والإلهام، ويقدمون ذلك على الكتاب وعلى السنة، بل يضربون بالكتاب والسنة ويقدمون ما يقولون أنهم يأتيهم من عند الله عز وجل! وهذا كله من الشيطانيات كما يقال.

6- أن أهل السنة والجماعة يقولون بأن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح، وهذه ألف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا عظيمًا ماتعًا ليرد على الذين أصلوا في أصولهم على أن العقل يقدم على النقل، فبيَّن لهم بأن العقل الصحيح موافق للنقل الصحيح، وهذه من أصول أهل السنة والجماعة أيضًا في ذلك، وقد جاء الشرع يبين أيضًا أن العقل له ما له من الاستدلالات، قال سبحانه وتعالى: {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة:44]، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ} [النساء:82]، {أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} [الأنعام:50]،{أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} [السجدة:4]، كل هذه أمور يرجع فيها للعقل، نعم والعقل له ما له لكنه لا يمكن أن يتقدم على النقل أبدًا، بل العقل الصحيح يوافق النقل الصحيح.

7- تجد أهل السنة والجماعة أيضًا يلتزمون بالألفاظ الشرعية ولا يحرفون الألفاظ الشرعية لألفاظ أخرى، أي لا يأتون بألفاظ بدعية كما تجدها عند بعض المخالفين لأهل السنة والجماعة، قال سبحانه وتعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:104]، فنهاهم الله عز

وجل. فأهل السنة والجماعة لا يستبدلون الألفاظ الشرعية بألفاظ أخرى، ولا يستحدثون ولا يبتدعون في الألفاظ الشرعية.

8- أهل السنة والجماعة يقرون بأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء فقط، وأما ما دون الأنبياء فليس لهم العصمة في شيء، نعم يقدرون أهل العلم، والأولياء، فالعلماء ورثة الأنبياء، وغير ذلك، ولكن العصمة لا تكون إلا للنبي صلى الله عليه وسلم.

9- وأيضًا من أصول أهل السنة والجماعة أن الأمة في مجموعها معصومة، كما جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ]، والإجماع هنا يرد إلى من؟ إلى زمن الصحابة رضوان الله عنهم، فلما يأتيك الأمر في العقيدة من زمن الصحابة إجماعًا فلا يأتي أحد بعد هذه القرون الخيرية ويتنطع ويتكلم ويغير! فنقول له أين بضاعتك هذه؟ اعرضها على قول الصحابة، هل وافقت قول الصحابة أم خالفت؟ هل قال أحد بالتفويض؟ هل قال أحد بالتأويل من الصحابة؟ هل قال أحد بالتعطيل؟ هل قال أحد بالتشبيه؟ هل قال أحد بالجبر؟ هل قال أحد بالقدر؟ بل الصحابة ذموا كل ذلك لما جاءهم على اختلاف العصور، فإذًا ما تقوله أنت الآن ليس من فهم الصحابة، ولم يقل به الصحابة، وقد أجمعت الأمة بعد زمان النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأمور في العقيدة ولم يخالفهم أحد، فدل ذلك على أنك تخالف إجماع الصحابة، وهذا قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ]، فما اجتمع عليه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في القرون الخيرية هذه ومن بعدهم هذا هو الحق الذي لابد ألا يخالفه أحد، هذا يريحك تمامًا، فكل شيء يريحك في مسألة العقيدة، فأنت لما يأتيك أحد من المخالفين اعرض كلامه على ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ما ثبت عن الصحابة الكرام، وجدته مخالفًا على اجماع الصحابة فرده وأنت لا تنظر إليه ولا تناقشه في شيء، قل له: اذهب لأن هذا القول لم يقل به أحد من قبلك.

العقيدة ليس فيها ابتداع، ليس فيها اجتهاد، ليس فيها أمور لم تكن موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم وجدت بعد ذلك! نتكلم في المعاملات، نتكلم

في بعض العقود، نتكلم في بعض الاجتهادات، أما العقيدة قلنا ثوابت قد وضعها الله عز وجل ليس فيها أمور اجتهادية حتى نتكلم فيها.

نحن ننهل ممن نقلوا لنا، ممن نهلوا من النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه طبعًا أصول أهل السنة والجماعة، إذا نظرت للمخالف من الفلاسفة، ومن العقلانيين، وغير ذلك، تجد عندهم أصول أخرى مخالفة تمامًا لما قلناه، تجد ما عنده إلا أنه يقول أولًا أن كلام الله عز وجل وكلام النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه أدلة لفظية لا تفيد اليقين، تفيد الظن! وطبعًا هذا إهدار لنصوص الكتاب والسنة. يقول لك أخبار النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة نفرق بين المتواتر وبين الآحاد، من كان آحادًا في العقيدة لا نعمل به ولا نقبله، إذا تعارض العقل مع النقل قدمنا العقل عندنا لأن هو اليقين عندنا وأما النقل فليس يقينًا!

كل هذه أصول هدامة، وانظر إليها تجدها مخالفة لأصول أهل السنة والجماعة، وحدث ولا حرج حتى لا ندخل في التفاصيل أكثر من ذلك.

وأريد أن أختم بهذه المسألة لأن هذه التي يدندن عليها كثيرًا، وأنهم الآن ينكرون على من يتكلم على العقيدة، أو يشرح العقيدة، أو يرجع لكتب السلف، لذلك أنت تجد الله عز وجل فضل هذه الأمة، وفضل من كان على هذا المذهب – أهل السنة والجماعة– بأنه تجدهم يسارعون في قراءة ودراسة وتعليم كتب السلف في العقيدة، أما انظر إلى المخالف، فلا تجده يشرح كتب في العقيدة، ولا ينظر إليها، ولا يمكن أن يقترب من هذه الكتب ويقرأ فيها شيء، أو يعلمها؛ لا كليات، ولا معاهد، ولا حتى دروس خاصة، يفرون من ذلك، وهم يريدون أن ينكروا على من يعلم، يقولوا لهم: "أنتم تفرقوا الأمة"! قال كيف نفرق الأمة؟ يقول: لأنك أنت الآن عندما ستشرح هذه العقيدة فتريد أن تقول للناس الآن أن هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، وما عدا ذلك ليسوا من أهل السنة والجماعة، فأنت تفرق الأمة، والواجب عليك أنك تجمع الناس معًا!

وهذا ضلال، هذا حق يراد به باطل، بل إن تعليم العقيدة الصحيحة من أسباب جمع الأمة، والله الذي لا إله إلا هو بأن تعليم دراسة العقيدة، والتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة هي من أسباب جمع الأمة، بل إن من أسباب الفرقة عدم تدريس العقيدة. لأنك لما لا تدرس العقيدة ستجمع الناس جميعًا، سيدخل معك أصحاب الإرجاء، وأصحاب القدر، والرفض، والمعطلة، والمؤولة، والمشبهة، وغير ذلك، بدون تسمية الطوائف باسمائها، فأنت ستجمع كل هؤلاء فيهم الحق والباطل أم لا؟ اختلط الحق بالباطل، فكيف تنتصر الأمة مع وجود هذا؟!

لكن أنت لما تدرس العقيدة الصحيحة فستجمع الأمة على الحق، إما من كان على الباطل فيسمع ويتعلم فيهتدي ويرجع، أو يبعد، فيظل الذين اجتمعوا اجتمعوا على الحق. لأن لا شك ولا ريب بأن هذه العقيدة هي عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم، وعقيدة الصحابة الكرام من بعده.

وهذا قد حدث معي شخصيًا، لما كنا نتكلم في حلقات الأشاعرة جائني من على النت بعض الناس إنكار شديد، وأنا من أهل السنة أم لست من أهل السنة؟ وفي الآخر أنت ماذا تريد؟ عندك اشكاليات فيما قلته ناقشني، حتى لو أنا أخطأت أرجع. ففي الآخر قال أنت لماذا تتكلم في الموضوع هذا أصلًا؟ لماذا تريد أن تفرق الناس؟ قلت له كيف أفرق الناس؟ أين تفرقة الناس؟ طبعًا كان كلامنا كله سلسلة عن الرد على الأشاعرة، وبيان منهج الأشاعرة، وعوار الأشاعرة. فقلت له: خلاص أنا فهمت كلامك الآن، جزاك الله خيرًا، وانتهى الحوار. لأن أنا جلست كذا مرة، وينتقد ينتقد بدون أي انتقاد علمي! فقط يريد كأنه يوقف الدروس بأي طريقة، طبعًا ليس بيده يوقفها، لكن كأنه يبين لك أنك لا تتكلم أفضل، في الآخر هو لا يريد، لماذا لا يريد؟ لأنهم يخافون من ذلك. هي النغمة الآن أنك أنت تفرق الناس، والمفروض تجمع الناس ونقبل بعضنا بعضًا وكله من أهل السنة والجماعة وفي خلاف! نقول: لا، لا والله، ليس هذا من أهل السنة والجماعة، بل نحن إذا فعلنا ذلك نكون قد أخطأنا، وقد ضللنا في ذلك، لأن الحق أنك تبين للناس المنهج الصحيح، وعقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا هو سبب تجميع الأمة.

لا يمكن أن تجتمع الأمة إلا على عقيدة صافية، لا يمكن أن تجتمع الأمة مع أصحاب العقيدة الباطلة، أو المبتدعة! لا يحصل اجتماع أبدًا، وهذا يخالف قول الله عز وجل: {وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ } [آل عمران:103]، كيف نعتصم بحبل الله جميعًا ومعنا من ليس معتصم بحبل الله جميعًا! {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ} [آل عمران:110] ، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً} [الأنبياء:92]، فالأمة الواحدة التي على عقيدة واحدة، ليست الأمة الواحدة التي فيها العقائد مختلفة، وليس فيها أهل البدعة مع أهل السنة والجماعة!

فدعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، دعوة الناس إلى التوحيد والإيمان بالله على الوجه الصحيح هذا هو الذي لابد أن يكون، ولابد أن يدين الله عز وجل به كل من يتطرق إلى التدريس، أو للتعليم أنه لا يقف على ذلك، بل لابد أن ينشر هذه الدعوة، وينشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

أما من أراد أن يجادل، فلا بأس، يجادل ويرد ونرد عليه بالحق، ونرد عليه باللين، ونرد عليه بالعلم، {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [العنكبوت:46]، فهذا الأصل. لكن إن تجاوز وتعدى فله رد آخر، وطريق آخر، وهذا الذي أدين الله عز وجل به، بأن لابد من نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، وكتب أهل السلف.

نبذة عن كتاب الشريعة

كتاب الشريعة للإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الشافعي، وهذا الإمام من أئمة أهل السنة والجماعة، وله قيمة هذا الكتاب الذي معنا؛ كتاب الشريعة، حقيقة له قيمة علمية كبيرة جدًا عند أهل السنة والجماعة، وعند أهل العلم، وتصدى له بعض أهل العلم بالتلخيص، الشيخ "ابن البناء الحنبلي" قد لخص هذا الكتاب، لأن الكتاب فيه ما فيه من الآثار الكثيرة، والحق يؤخذ عليه فقط أن هناك كثير من الآثار في الكتاب فيها من الضعف، لكنها إن كانت ضعفًا سندًا لكن المعنى فيها من آثار أخرى ومن أسانيد أخرى يستقيم فيها، ولكن فيها ما فيها، لذلك البعض تصدى كما قلت للتلخيص كما صنع ابن البناء في كتابه "المختار في أصول السنة" اختصر كتاب الشريعة للآجري الذي معنا.

وقلنا هذا الكتاب من الكتب الجامعة لاعتقاد أهل السنة والجماعة، أي أن هذا الكتاب جامع لاعتقاد أهل السنة والجماعة ككتاب "الإبانة على أصول السنة والديانة" لابن بطة، وكتاب "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي أيضًا، وكتاب "السنة" للخلال، وكتاب "السنة" لإبن أبي عاصم، هذه كتب عظيمة جدًا، كتب تجمع عقيدة أهل السنة والجماعة، لابد لطالب العلم أن يتعرض لها ويقرأ فيها.

قسم الكتاب إلى ثلاثة وعشرين جزء، وحقيقة كل جزء يصلح أن يكون كتابًا منفصلًا، وهنا سماه: (كتاب الشريعة)، وكما قلنا "الشريعة" من مسميات العقيدة، ويقصد به المنهاج، يقصد به الطريقة، يقصد به السنة، كما قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية:18]، "جعلناك على شريعة": أي على طريقة، على سنة، على منهاج، وهو المنهاج الصحيح، والسنة القويمة.

وكما قال علماؤنا أن (العقيدة دائمًا على نوعين: عقيدة نازلة، وعقيدة نابتة)، عقيدة نازلة وهي عقيدة أهل السنة والجماعة التي جاءت من عند الله عز وجل، نازلة بالكتاب والسنة، وعقيدة نابتة التي نبتت في أفكار الناس، وأفكار الذين يدعون العلم وغير ذلك. ولا شك بأن العقيدة النازلة هي العقيدة الحق، وأما العقيدة النابتة هذه هي عقيدة أهل الباطل.

والعقيدة واحدة للأنبياء جميعًا لا تختلف، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [الأنبياء إخوَةٌ لعَلَّاتٍ: دِينُهم واحد، وأُمَّهاتُهم شَتَّى] ، أي أن الدين الأصل هو دين الإسلام واحد، العقيدة واحدة، اختلفت المسميات، اختلفت الشرائع فقط في الأحكام العملية.

نبذة عن الإمام الآجري

وهذا الكتاب كتاب للشيخ الآجري –رحمه الله تعالى– قلنا بأنه ولد في آجر في مكان في بغداد، وهذا إمام محدث، ثقة، أيضًا فقيه، سمع كثير من الشيوخ أو من أهل العلم، فقد سمع من أبو شعيب الحراني، وسمع من أحمد بن يحيى الحلواني، وسمع أيضًا من الفضل بن محمد الجدي، وأحمد بن عمر أيضًا، كل هؤلاء سمع منهم، وقد سمع وروى عنه كثير أيضًا من علماء الشرق وعلماء الغرب.

جاء إلى مكة، أصله كان في بغداد ثم رحل إلى مكة، ولما دخل مكة أعجبته مكة فقال لو يجلس فيها بعض الوقت، فجاءه هاتف أو منادي قال: بل فيها تجلس ثلاثين سنة. فجلس في مكة ثلاثين سنة، ثم قُبض– رحمة الله عليه– ومات بمكة ودفن في مكة كما قيل أول محرم سنة 360 من الهجرة كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي.

هذه كانت مقدمة في العقيدة، إن شاء الله نبدأ في الأسبوع القادم في بداية الكتاب؛ من أول مقدمة الكتاب لأنه بدأ بالحمد ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ في أول باب بعد ذلك؛ مسألة يحمل فضل العلم وغير ذلك، نتعرض لها الأسبوع القادم ونسأل الله عز وجل أن ييسر لنا دراسة هذا الكتاب على الوجه الذي ينبغي، وأن يفتح علينا فيه، وأن يعلمنا فيه ما ينفعنا في الدنيا وفي الآخرة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع درس جديد في كتاب جديد؛ كتاب الشريعة للإمام الآجري –عليه رحمه الله تعالى– واليوم إن شاء الله نبدأ بأول مقدمة الكتاب التي ذكرها المؤلف، والباب الذي يليه.

انتهينا الأسبوع الماضي من مقدمة عامة في العقيدة، وأهمية العقيدة، وغير ذلك. اليوم إن شاء الله نشرع بحول الله وبقوته مستعينين بالله عز وجل على بداية شرح هذا الكتاب المبارك، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا شرحه ومدارسته، وأن يعلمنا

فيه ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل ذلك عقيدة لنا إلى أن نلقاه يوم القيامة.

نبدأ بالمقدمة؛ قال المصنف– رحمه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ، عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَنَا الْفَقِيهُ الْإِمام أَبُو الْحَسَنِ أحمد بْنُ مُقْبِلٍ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَسَدَّدَهُ قَالَ :أَنَا الْفَقِيهُ الْإِمام أَبُو الْحَسَنِ أحمد بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْبُرَيْهِيُّ رحمه الله قَالَ :أَخْبَرَنَا الْفَقِيهُ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنُ حِمْيَرِ بْنِ تُبَّعِ بْنِ فَضْلٍ قَالَ: أَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَسْعَدُ بْنُ خَيْرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُلَامِسٍ رحمه الله عَنْ أَبِيهِ خَيْرِ بْنِ يَحْيَى قَالَ :أَنَا أَبُو بَكْرٍ أحمد بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزَّارُ الْمَكِّيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الآجري رحمة الله عليه ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري رحمه اللَّهُ : أَحَقُّ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ الْكَلَامَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَوْلَانا الْكَرِيمِ، وَأَجَلُّ الْحَمْدِ مَا حَمِدَ بِهِ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ، فَأَنَا أحمدهُ بِهِ:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [سورة: الفاتحة]، وَ {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخرةِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرض، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}[:سبأ، :٢]، وَ {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الآنعام :١]، وَ { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء، :١١١]، أحمدهُ شُكْرًا لِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِهِ الدائمة،وَأَيَادِيهِ الْقَدِيمَةِ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلَاهُ الْكَرِيمَ يُحِبُّ الْحَمْدَ، فَلَهُ

الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ، سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَذْكُورِ نَعْتُهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، الْخَاتِمِ لِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، ذَلِكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، **رَزَقَنَا** اللَّهُ وَإِيَّاكُمُ التَّمَسُّكَ بِطَاعَتِهِ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ صِحَابَتُهُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ

بدأ المصنف – عليه رحمه الله تعالى – كتابه بالحمد لله لرب العالمين؛ فبدأ بالحمد اقتداء بكتاب الله عز وجل، فالله عز وجل قد بدأ كتابه في أول سورة الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، وأيضًا قد بدأ بعض السور كسورة الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر بدأها بالحمد لله رب العالمين وختم بعض السور كسورة الإسراء بالحمد لله رب العالمين. فهو اقتداء بكتاب الله عز وجل؛ بدأ بالحمد لله عز وجل.

ومن براعة الاستهلال أيضًا أنه قد بين بأن أفضل الحمد هو ما حمد الله عز وجل به نفسه؛ قال: "**أَحَقُّ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ الْكَلَامَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ، وَأَجَلُّ الْحَمْدِ مَا حَمِدَ بِهِ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ، فَأَنَا أَحْمَدُهُ بِهِ**" فكأنه يبين بأن أفضل الحمد هو ما حمد الله عز وجل به نفسه، فأتى بالآيات التي فيها الحمد لله عز وجل؛ من الحمد لله رب العالمين إلى آخر الآيات التي قرئت الآن. وقلنا أن هذه من براعة الاستهلال للمؤلف؛ أنه يبدأ بالحمد، وهذا فيه اعتراف من المؤلف بالفضل لله عز وجل، واعتراف بجميل الله عز وجل عليه، وأنه ينسب ذلك الكتاب، أو ينسب هذا التصنيف، أو ينسب هذا العمل إلى الله عز وجل.

لذلك قال أيضًا **أحمدهُ شُكْرًا** ؛ وكأنه أراد أن يجمع بين الحمد وبين الشكر، ولن نتوسع في الحمد والشكر لأنه كثيرًا ما تكلمنا عنه، وعندما يتم الشرح لكتب من المستوى المتوسط أو المتقدم فلا يُفصل كما يُفصل في كتب المبتدئين.

ذلك (الحمد) هو ذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم له، وهذا تعريف للحمد ويفارق فيه المدح كما قلنا، لأن (المدح) فيه ذكر أوصاف للمحمود لكن ليس فيه محبة وتعظيم، لكن الحمد فيه محبة وتعظيم، لذلك هو عبادة، ولذلك الحمد شرعًا لا يكون إلا لله عز وجل.

بخلاف الحمد في اللغة فيمكن أن تقول حمدت فلانًا لكرمه، لخلقه، لغير ذلك، لكن في الشرع الحمد عبادة، لذلك قال: الحمد لله.

وهذا حصر؛ "الحمد لله رب العالمين" فالحمد لا يكون إلا لله، لانه عبادة كباقي العبادات القلبية تصرف لله.

وإذا ذكر الحمد والشكر فبينهما عموم وخصوص كما بينا من قبل، ولكن كأن المؤلف يقول: **أحمدهُ شُكْرًا لِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِهِ الدائمة**، فهو يحمد الله عز وجل، ويشكر الله عز وجل، وهذا أيضًا من براعة الاستهلال.

والحمد لا شك أنه محبب إلى الله عز وجل، والشكر أيضًا محبب إلى الله عز وجل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى مِنَ العبدِ أن يأكُلَ الأَكْلَةَ فيحمَدَهُ عليها ويشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ علَيها]**، وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: **[ما أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللَّهِ]** ، ومن أجل ذلك مدح نفسه. إذًا الحمد محبوب إلى الله عز وجل، والله عز وجل يحب ذلك.

وكذلك الشكر فقد أثنى الله عز وجل على عباده؛ وخاصة الأنبياء منهم، على أنهم كانوا عبادًا يشكرون الله عز وجل، قال عن نوح عليه السلام: {إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء:3]، هذه منقبة؛ أنه كان يشكر الله عز وجل.

وأيضًا قال في حق ابراهيم: {شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ} [النحل:121]، وأيضًا كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها عندما سألت النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقوم الليل حتى تتورم أو تتفطر قدماه، فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم [لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللَّهِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا].

ولا شك بأن الشكر من أجل العبادات وأنه سبيل إلى زيادة النعائم، وهذا من فقه المؤلف بأنه مع الحمد قدم الشكر أيضًا، كأنه يطلب الزيادة في النعائم التي قد أنعم الله عز وجل عليه بالفعل، فأراد أن يبدأ الكتاب بالحمد والشكر ليوفقه الله عز وجل ويسدده ويزيد له من النعائم عليه. لذلك كما قال سبحانه وتعالى:{ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ} [إبراهيم:7]، أي أن الزيادة تأتي بعد الشكر. إذًا من أسباب زيادة النعائم أن المرء يشكر الله عز وجل، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا شاكرين له، حامدين له، فيثبت لنا النعائم التي قد منحنا إياها.

ثم ثنى بعد ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه أيضًا من براعة الاستهلال؛ أنه بعد أن يبدأ بالحمد يثني بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر تجده في كثير من العبادات؛ فتجد الأذان تشهد فيه الشهادة لله عز وجل وتشهد أيضًا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فحتى أنه قيل كما جاءت السنة بأنه ما ذُكر الله عز وجل إلا ذُكر معه النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعض أهل العلم عدوها من الواجبات في الدعاء؛ بمعنى أنك إذا دعوت الله عز عز وجل ولم تصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقبلها أيضًا لم تثني على الله عز وجل بما هو أهل له من اسمائه وصفاته، فقد يُرد هذا الدعاء، واستوحي ذلك من حديث النبي صلى الله عليه وسلم [رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي يدعو لم يحمَدِ اللَّه ولم يصلِّ على النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ عجِلَ هذا] أي أسرع في الدعاء بدون أن يتخذ الأسباب التي يستجاب له فيها في الدعاء.

ومعلوم الخلاف من أهل العلم على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ هل هي مرة واحدة في العمر أم على الديمومة؟

الحق نقول بأن الوجوب مرة واحدة في العمر، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أنه البخيل من ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه، فقال: [البخيلُ الذي من ذُكِرْتُ عندَه فلم يُصَلِّ عليَّ] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك من أمتك واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات]. ولما جاء الرجل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم: [قلتُ يا رسولَ اللهِ ! إني أُكثر الصلاةَ عليك، فكم أجعلُ لك من صلاتي ؟ فقال : ما شئتَ، قلت : الربعَ ؟ قال : ما شئتَ، فإن زدتَ فهو خيرٌ لك، قلتُ : النصفَ ؟ ! قال : ما شئتَ، فإن زدتَ فهو خيرٌ لك، قلت: فالثُّلُثَيْنِ ؟ قال: ما شئتَ، فإن زدتَ فهو خيرٌ لك، قلتُ : أجعلُ لك صلاتي كلَّها ؟ ! قال : إذًا تُكْفَى همَّك، ويُكَفَّرُ لك ذنبَك] . إذًا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب رفع الكروب وغفران الذنوب؛ أن يصلي المرء على النبي صلى الله عليه وسلم.

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي ثناء من الله عز وجل عليه في الملأ الأعلى، ومن الملائكة هي استغفار للنبي صلى الله عليه وسلم والدعاء له بالرحمة، وطبعًا هذا يخالف قول الجمهور بأن الصلاة معنى الرحمة، وأنا تجاوزت قلت لأننا كررناها من قبل، لكن جاءت الآيات: { أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ} [البقرة:157] ، فجاء العطف يقتضي المغايرة؛ الصلاة غير الرحمة. إذًا الصلاة لها معنى آخر، الله عز وجل يقول: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا} [الأحزاب:56]. فصلاة الله عز وجل قلت أنه ثناء عليه في الملأ الأعلى، والملائكة استغفار، والبشر دعاء.

فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أنه خاتم النبيين وقال: **وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ**؛ والآل هم على خلاف من أهل العلم كما قلنا؛ هل الآل كل ما جاء من بعد النبي صلى الله عليه وسلم سار على نهج النبي صلى الله عليه وسلم وسنته؟ أم

الآل هل المقصود به قرابة النبي صلى الله عليه وسلم؟ والأوسع فيه أن الآل كل ما جاء من بعد النبي صلى الله عليه وسلم وسار على نهجه يدخل في الآل.

وَعَلَى أَصحابه الْمُنْتَخَبِينَ؛ وانظر هنا المؤلف انتقى كلمات دقيقة جدًا، قال "أصحابه المنتخبين" وهذه فيها تزكية لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لا شك فيه لأن الله عز وجل قد رضي عنهم ورضوا عنهم، والله قد بيّن التزكية منه سبحانه وتعالى، فإذًا هو يبين لنا بأن أصحابه منتخبين؛ أي انتخبهم الله عز وجل، وقد أرادهم الله عز وجل لصحبة نبيه، فكأنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل. وهو هنا بيان بأن طريق الصحابة هو طريق السلف الصالح.

وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

ثم دعا دعاء؛ نسأل الله عز وجل أن يتقبله منا جميعًا: **رزقنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمُ التَّمَسُّكَ بِطَاعَتِهِ، وَبِطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ صِحَابَتُهُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.** وهذه فيها دلالة على أن خير القرون هي القرون الخيرية الثلاثة أنهم الأصحاب، ثم التابعين، ثم تابعي التابعين، ثم من سار على نهجم بعد ذلك. فلذلك هو صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الصحابة، ثم ذكر التابعون لهم بإحسان، وهذه دلالة على أن الأمر كله كان في القرون الخيرية منضبط؛ لا إشكال فيه، ولا خلاف فيه، ثم حدث ما حدث بعد ذلك من الأهواء، ومن البدع، إلى زمننا.

1- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: ثنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْحِمْصِيُّ قَالَ: ثنا مُعَانُ بْنُ رِفَاعَةَ السَّلَامِيُّ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"يتحمل

هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"

2- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ :ثنا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ بَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ مُعَانِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"

3- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ ::الْفَقِيهُ الْعَفِيفُ الزَّاهِدُ الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ: أُولَئِكَ أَتْبَاعُ الْأَنبياء فِي كُلِّ زَمَانٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَحْيَا بِهِمُ السُّنَنُ، وَتَمُوتُ بِهِمُ الْبِدَعُ، وَتَقْوَى بِهِمْ قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَتَنْقَمِعُ بِهِمْ نُفُوسُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

بدأ المصنف الآن بذكره بعد هذه المقدمة قال: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**، هذا الحديث هو ذكر له أكثر من رواية، ولكن الروايات التي ذكرت هي غالبها مرسلة، وفيها نظر، وفيها ضعف عند كثير من المحدثين، وإن كان بمجموع الطرق التي جاءت لهذا الحديث من طرق أخرى، أي من أسانيد أخرى ارتقت إلى الحسن لغيره، وهذا قد حسنه لغيره هذا الحديث بعض أهل العلم، والمعنى مقبول عند العلماء، وإن كان العلماء في هذا الحديث قد أخذوا مناحل شتى في فهم هذا الحديث، أو أكثر من فهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ**

عُدُولُهُ، ثم ذكر صفات لهؤلاء العدول؛ يفعلون بعض الأشياء؛ **يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ.**

فأولًا الحديث فيه مناقب- قبل أن ندخل في الخلاف الذي في فهم الحديث- فيه مناقب عظيمة جدًا، وفيه فوائد مهمة:

1- مكانة أهل العلم؛ هذا الحديث يبين مكانة أهل العلم، وفضلهم، وقدرهم، فكل من اشتهر عنه العلم والعمل به فهو دليل على عدالته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم- وسيأتي طبعًا الخلاف في فهم الحديث سأبينه بعد ذكر هذه الفوائد المستنبطة من هذا الحديث- لكن أهمها الآن مكانة أهل العلم وفضلهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ** ، فوصفهم بالعدول، وهذا لا شك أن فيه رفعة ومكانة لأهل العلم، ولكن هذه العدالة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لا تعني العصمة من الخطأ، كما أن ولاية الله عز وجل؛ الولي لله عز وجل لا يعني أيضًا العصمة من الخطأ. إذًا العدول هؤلاء الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم -أو العدالة- قد يقع منهم الخطأ في الاجتهاد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[إذا حكَم الحاكمُ فاجتَهَد ثمَّ أصاب فله أجرانِ وإذا حكَم فاجتَهَد ثمَّ أخطأ فله أجرٌ]**، فأثبت بأن الحاكم، أو العالم، أو المجتهد، الذي هو يحمل هذا العلم، الذي هو من العدالة بمكان، قد يخطئ، لكن العدالة المقصودة هنا هي الأمانة في حمل العلم، والأمانة في رعاية هذا العلم، والأمانة في حفظه، وفقهه، وتبليغه للناس دون الإخلال أو التضييع.

وهذه المسألة مهمة؛ الأمانة التي عندهم والعدالة أنهم ينقلون هذا العلم الذي فهموه جيل عن جيل، أو خلف عن سلف، ينقلوه إلى الأمة بدون تضييع أو إخلال، بدون تحريف، أو إبطال منه شيء. لذلك كانت هذه المنقبة لهم. هذا أولًا في هذا الحديث ظهرت المنقبة لأهل العلم.

2- فضل العلم الشرعي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن، قال: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ** ، فكأنه أشار إليه هذا العلم، ويقصد بهذا العلم: الكتاب والسنة، وهذا فيه بيان مكانة

العلم الشرعي، وهو أشرف العلوم على الاطلاق، وكلما تجد تزكية لأهل العلم، أو للعلم، فاعلم أنه يقصد به أهل العلم الشرعي والعلم الشرعي، وليست علوم الدنيا، قال الله عز وجل: {قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ} [الزمر:9]، والأحاديث والآيات الأخرى؛ {إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر:28]. هذه كلها يقصد بها العلماء العلم الشرعي، والعلم المقصود به هو العلم الشرعي. إذًا هذا فيه بيان على فضل العلم الشرعي، وأنه أفضل العلوم على الاطلاق.

وحتى العلم الشرعي يتفاوت، لكن نقول أن العقيدة أشرف العلوم؛ التوحيد أشرف العلوم، الشريعة أشرف العلوم، لأن شرف العلم من شرف الموضوع، والموضوع الذي نتكلم عنه في العقيدة هو توحيد الله عز وجل، أو ما إلى ذلك من بعض المباحث الفرعية، فكان أشرف حتى من الفقه، وأشرف من الحديث، لأن هو أصل الدين، ثم يأتي بعد ذلك باقي العلوم التي فيها ما فيها من الفضل.

3- من فوائد هذا الحديث **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**، أي أن حمل العلم هنا ما المقصود به؟ ليس حفظه فقط، الحمل المقصود في الحديث هو ليس حفظ العلم فقط، بل حفظ العلم، وفهمه، والعمل به، ونقله بعد ذلك للناس، هذا هو المقصود من الحمل، ليس أنك تحفظ فقط! لذلك نقول حفظ القرآن فقط نعم هو منقبة، لكن هل المنقبة في الحفظ فقط؟ أم في فهمه، وتدبره، والعمل به، ونقله إلى إلى الناس للعمل به؟

لذلك حمل هذا العلم يحتاج إلى مجاهدة نفس، يحتاج إلى مسابقة في الخيرات، ويحتاج إلى بعد عن المحرمات والمنكرات، أنت حتى تصل إلى هذه العدالة وتكون من أهل العلم لابد أن تجاهد نفسك في العلم الشرعي، ولابد أيضًا أن تبعد نفسك عن المحرمات والمنكرات، قد تأتي بمظلمة واحدة، أو منكر واحد، أو محرم واحد يذهب لك كثير من العلم بسببه، والله المستعان على ذلك.

لذلك كان يحرص أهل العلم ليس فقط على تلقي العلم والمجاهدة، بل يحرصون كل الحرص على عدم الوقوع في المنكرات والمعاصي، والا قد يذهب العلم عنهم بذلك.

4- من الفوائد والذي بينها النبي صلى الله عليه وسلم: عظم فضل ومكانة الذين يقومون بالرد على أصحاب الزيغ، والضلالة، والشبهات، وهذه درجة من درجات أهل العلم درجة عظيمة جدًا، لذلك كل من يتصدى في هذه الأمة؛ سواء على مستوى الأفراد علماء، أو من طلبة العلم، أو حتى الذي يتقن بابًا معينًا فيقوم ويرد، وما أكثر الآن من ينشرون الزيغ، والضلالة، والشبهات، فإن قام متقنًا لهذه الأمور، ورد على هؤلاء فهو يدخل في هذا الحديث، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، كأن النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن هؤلاء الذين يقومون بالرد على الشبهات، وعلى المبتدعة، وعلى أصحاب البدع والضلالة، لهم ما لهم من المكانة والقدر عند الله عز وجل، ولهم فضل عظيم، لأن مسألة رد البدعة أمر ليس بالهين، فانتشار البدع تؤدي إلى هدم السنة.

لذلك حتى الذين يرسلون بعض الرسائل الخاصة بالرد على المبتدعة، وحتى لو كانت نقلًا هقول، لكن رسالة منضبطة، ومتقنة، ومراجعة من أهل العلم يروجون لها ليردون على البدعة التي قد تنتشر بين عوام الناس، فهذا له فضل عظيم، لأنه هو يرد على البدعة بنشر السنة.

5- ما زلنا في فوائد هذا الحديث العظيم، نقول فيه أيضًا بيان من قول النبي صلى الله عليه وسلم: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ** أن العلم الشرعي لا يمكن للمرء أن يحصله إلا بالجلوس على أيدي الشيوخ والعلماء، ليس من الصحف والمجلات، ليس من المواقع والمقالات، بل ليس من قراءة الكتب منفردًا، كما قال الشيخ ابن باز – رحمة الله عليه– أو بعض أهل العلم ما أذكر، لكنه أذكر عن الشيخ قال بأن: **[من كان شيخه كتابه قل صوابه وكثر خطأه].**

إن هذا العلم لابد حتى يُحمل، يحمل من كل خلف عدوله، يحمل جيل عن جيل، عن علماء عن علماء، عن شيوخ عن شيوخ، ولكن لا مانع بانتشار الوسائل الموجودة الآن أن يستفاد طبعًا من التسجيلات، ويستفاد من الصوتيات، وغير ذلك، لكن لابد من العرض على الشيوخ، لابد أيضًا حتى وان كنت تستطيع أن تسمع وهذا خير وفضل لأن الآن تجد شروحات كثيرة موجودة لعلماء تستطيع أن تكون بين أيديك، لكن أيضًا لا يمكن أن تكتفي بهذا السماع! لابد من العرض والمناقشة مع الشيوخ، خاصة أيضًا المسألة في تلقي العلم مع الشيوخ ليس فقط في العلم الشرعي، بل كثير ما يتعلم المرء أخلاقيات وتربية من الشيوخ، وكم كنا نتعلم مِن مَن ندرس معهم، مِن سمت لهم، من عبادة لهم، من أخلاق لهم، من المعاملات تزكي جدًا القلب، وتزكي النفوس، فتساعدك وتصبرك على تلقي العلم. فالمسألة ليست في العلم فقط، بل أنت تتأدب معه.

الشافعي يقول كنت أمام مالك لا أستطيع أن أقلب الورق؛ أي بسرعة، حتى لا يظهر له صوتًا، أو يسمع مالك له صوت ، فكان يقلبه هكذا، فمالك كان شديد جدًا –رحم الله الجميع– ما كان يقبل الهفوة في المجلس.

حتى الشيخ ابن عثيمين – رحمة الله عليه– يقول كنت أجلس في مجلس الشيخ عبد الرحمن السعدي –وهو شيخه– الشيخ عبد الرحمن السعدي المعروف المفسر والفقيه، فقال كنا نجلس قريب من سطح مكان، فكان دائمًا في مكان تأتي يمامة كل يوم في آخر اليوم تأتي عند مكان العصافير الموجودة – أو بومة– ما أذكر قال يمامة أم بومة، تريد أن تأخذ العصافير تأكلها، ففي جلسه من المجالس نظرت يساري هكذا لأرى اليمامة، توقعت أنها تأتي فأتت، فنظرت إليها، فلمحني الشيخ السعدي، قال: **[صيد العلم أهم من صيد الطيور]** قال فانتبهت وجلست، انتبهت إلى ما يقوله.

فأقصد أن المسألة أنت عندما بتجلس، بتتعلم أمور أخرى غير العلم، لذلك علم الشريعة لا يؤخذ كما نقول دائمًا لا من الصحف، ولا المقالات، ولا قراءة مقال، ولا قراءة كتاب، لا، بل لابد من مجالسة أهل العلم، والاستفادة منهم.

سؤال من أحد الطلبة: ما المقصود بالغاليين، والمبطلين؟

- **رد فضيلة الشيخ:** أي التحريف، هذا رد على الشبهات الذي يغالي؛ سواء الغلو في الدين، **وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ** هم الذين يبطلوا بعض الأمور، كل هذا الرد على أصحاب الشبهات، والأهواء، والبدعة، رد هذا كله، **وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ** أيضًا الذين يتأولون بعض النصوص بجهل، المهم أن هو يصد ويرد على هؤلاء، هذا هو المقصود.

هذه كلها فوائد من فوائد الحديث، لكن المسألة الرئيسة في هذا الحديث أيضًا، معنى الحديث، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**، هل هذا الحديث من باب الإخبار أم من باب الإنشاء؟ لأن بعض أهل العلم عملوا بهذا الحديث على أنه من باب الإخبار؛ أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عن أن الذي يحمل هذا العلم من هذه الأمة هو عدل، هو من العدالة، وهذا الكلام قاله "ابن عبد البر" وبعض أهل العلم على أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم يحمل على الخبر، أي أن كل من حمل العلم في هذه الأمة يوصف بالعدالة، فلا يحتاج إلى تعديل، لأنه قد حمل هذا العلم، وقد عُلم عنه أنه قد حمل هذا العلم، فكأن النبي يخبر من باب الإخبار أن كل من حمل هذا العلم فهو لا يحتاج إلى تعديل، بل هو معدل، وقلت بأن ابن عبد البر قال هذا الكلام.

مع أنه بعضهم استشكل عليه على أنه بعد أن قال هذا الكلام في التمهيد كان يرد بعض الأحاديث على أن هناك بعض الرواة المجهولين- والجهالة ماذا تعني؟ تعني كأنه يجرح بالجهالة، مع أنهم رواة لكنهم مجهولين عنده، فكان لا يقبل حديثهم،

فقالوا كيف يقول بأن كل من حمل العلم عدول وأن هو قد يرد بعض الأحاديث بجهالة الرواة؟

فرد بعضهم قالوا: لا تعارض في كلام ابن عبد البر ومن سار على هذا النهج، لأن ابن عبد البر لم يقل بأن كل من حمل العلم هو عدل، هو يقصد أن يقول كأن على الغالب أن من يحمل هذا العلم من هذه الأمة هو من العدالة؛ أي لا يحتاج إلى تعديل، وهذا منهج، بعض أهل العلم فسروا الحديث على أنه يقصد به من كلام النبي صلى الله عليه وسلم الخبر.

وبعض المحققين من أهل العلم حملوا الحديث على أنه من باب الخبر الذي يراد به الإنشاء؛ أي ليس إخبارًا من النبي صلى الله عليه وسلم على أن كل من حمل العلم.. لأن ما هو الإشكال؟ أن هناك ناس حملوا العلم في هذه الأمة وليسوا من العدول، فهذا هو مظهر الإشكال فيها؛ أن بعض من حمل هذا العلم ومن الأمة ولكن ليسوا من العدول، فيهم ما فيهم من الزيغ، وفيهم ما فيهم من الضلالة وحملوا علم، فقالوا هذا خبر يراد به الإنشاء؛ أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يحث الأمة، يحث أهل الفضل، أهل الزهد، أهل الورع، أهل العبادة، أهل الاخلاق، وأهل الدين، على أنهم لا يكتفون بذلك، بل يتقدمون ليحملوا هذا العلم. فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يناشد أو يحث هؤلاء الذين عندهم ما عندهم من بعض الإيمان، والعبادة، والزهد، وغير ذلك، أن يتقدموا لحمل هذا العلم، فيكونوا هم العدول بحق، كما لو كانوا عدول في عبادتهم، في زهدهم، في ورعهم، في أخلاقهم، فيتقدمون أيضًا ليكونوا من أهل العلم، كأن هنا خبر يراد به الإنشاء من النبي صلى الله عليه وسلم.

والبعض قال حتى لو قلنا بأنه لا إشكال لو حملناه على الخبر فنقول أيضًا نفرق؛ لو قلنا على القول الأول أنه الخبر، نقول بأن هناك من أهل العلم من اشتُهروا بالعلم والعمل، فلا يحتاجون إلى تعديل، وهذا هو مقصد النبي صلى الله عليه وسلم، كالصحابة الكرام، والتابعين، وتابعي التابعين، الأئمة الاربعة، فهؤلاء اشتهر عنهم العلم، فلا يحتاج أحد أن يعدلهم؛ سفيان الثوري، وابن عيينة، واسحاق بن راهويه،

والأئمة الأربعة وغير ذلك أصبح لهم شهرة في الأمة في علمهم والعمل بهذا العلم فلا يحتاجون إلى تعديل، وهناك من بعض الذين حملوا العلم لكن لابد من تعديلهم أيضًا. وهذا تفريق قال به كثير من المحققين.

وهذا الحقيقة كلام أيضًا قاله (ابن القيم) له كلام أيضًا في "مفتاح دار السعادة" في هذه المسألة، يبين أن قول النبي صلى الله عليه وسلم بأن المقصود من حمل هذا العلم هو لا يشترط، وأيضًا قاله (النووي) في "التهذيب" أيضًا مقارب لهذا الكلام – بدون حمل الألفاظ بالدقة– لكن النووي أيضًا قال ذلك وقال الإمام ابن القيم على مضمون كلامهم بأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ليس معناه أن كل من حمل هذا العلم هو عدل، لكن من اشتهر بالعلم، والعمل به، واغنته الشهره عن التعديل، هؤلاء هم العدول.

ولكن هناك أيضًا من علموا يحتاجون إلى تعديل، وهم أقل درجة منهم، وهذا لا ينفي– **انتبهوا.. هذا لا ينفي أن هناك من حمل العلم في هذه الأمة وليس من العدول**، وهذا يوافق الكتاب ويوافق السنة من قول النبي صلى الله عليه وسلم أول الثلاثة الذين تسعر بهم النار، الثلاثة من؟ قال منهم رجل تعلم القرآن أو تعلم العلم وعلّمه، فيؤتى به يوم القيامة، فيسأله الله عز وجل يذكره بنعمته عليه– في معنى الحديث– فيعرفه نعمة الله عز وجل فيقول ماذا عملت بها؟ قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، فقال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت ليقال قارئ وقد قيل، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه –والعياذ بالله– حتى يلقى في النار.

وجاءت السنة أيضًا من رجل آخر، قال: [يجاءُ بالرجُلِ يَوْمَ القيامَةِ فيُلْقَى في النارِ ، فتَنْذَلِقُ أقتابُهُ ، فيدورُ بها في النارِ ، كما يدورُ الحمارُ برحاهُ ، فيُطِيفُ بِهِ أهلُ النارِ ، فيقولونَ : يا فلانُ ! ما أصابَكَ ؟ ألم تكنْ تأمرُنا بالمعروفِ وتنهانا عنِ المنكرِ ؟ فيقولُ : بلَى ، قَدْ كنتُ آمرُكُم بالمعروفِ ولَا آتِيهِ ، وأنهاكُم عَنِ المنكرِ وآتِيهِ] كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا يدل على أن هناك من حمل العلم نعم في الدنيا، ولكنه ليس من العدول وهذا قد يكون جمعًا بين الأقوال التي ذكرت لهذا الحديث.

وأيضًا ابن القيم قال كأن حديث النبي صلى الله عليه وسلم هذا **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ** مصداقًا أو تفسيرًا أو بيانًا لقول الله عز وجل: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ} [الأنعام:89]، فقال هنا هذه هي الوكالة التي جاءت في الآية، وهذا من غوص ابن القيم – رحمة الله عليه– قال هذه الوكالة التي جاءت في الآية، والتي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث؛ على أن الله عز وجل قد أعطى العلم لهؤلاء فلم يعملوا به، ولم يأخذونه، فقال سبحانه وتعالى: {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ} [الأنعام:89]، قال هذه الوكالة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم؛ **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه**.

ثم ذكر في آخر المقدمة قال: **الْفَقِيهُ الْعَفِيفُ الزَّاهِدُ الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ: أُولَئِكَ أَتْبَاعُ الْأَنبياء فِي كُلِّ زَمَانٍ**، أراد أن يبين بأن الفقه– وكأنه يريد الفقيه– فيبرز لنا، إما يريد الفقيه بمعناه الاصطلاحي والمسائل الفرعية، أو الفقيه على أنه يفقه في الدين ككل، لذلك يقال كما قلنا في بيان معنى العقيدة في الأسبوع الماضي أن منهم من قال الفقه الأكبر على أنه يعني هنا الفقيه، وإما يراد به المعنى العام وهو يعلم الدين كله، أو يراد به الاصطلاحي، لكنه قال: **الْفَقِيهُ الْعَفِيفُ الزَّاهِدُ الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ**، ضوابط؛ أن يكون عفيفًا، زاهدًا في الدنيا، متمسك بالسنة، وهذا أصل من الأصول، وأنك لن تجد فقيهًا بحق إلا أن يكون متمسك بالسنة، ويسير على طريقة الأنبياء، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعده.

قال: **أُولَئِكَ أَتْبَاعُ الْأَنبياء فِي كُلِّ زَمَانٍ**، وهذا كأنه يُستشف من ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس لما ضرب على صدره وقال له: [**اللهم فقهه في**

الدينِ ، وعلِّمْهُ التأْويلَ]، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد له الخير، فأكثر ما أراد له هو أنه يفقه في الدين. وهذا لا شك منقبة كانت لابن عباس رضي الله عنهما، ترجمان القرآن.

وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[فرُبَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفَقيهٍ ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ]** ، الشاهد من ذلك على أن الفقه مقدم، ومع تعليم الفقه وتعلمه، وهذا من سمات الذين يكونوا اتباعًا للرسل؛ أن يكون المرء فقيهًا، وعفيفًا، وزاهدًا، ومتمسكًا بالسنة.

1- بَابُ ذِكْرِ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ بَلِ الِاتِّبَاعُ وَتَرْكُ الِابْتِدَاعِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ اليهود وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا هَلَكُوا لَمَّا افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ، وَأَعْلَمَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى الْفُرْقَةِ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَالْمَيْلِ إِلَى الْبَاطِلِ الَّذِي نُهُوا عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا مَا لَمْ يَعْلَمْ غَيْرُهُمْ، فَحَمَلَهُمْ شِدَّةُ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ إِلَى أَنْ صَارُوا فِرَقًا فَهَلَكُوا فَحَذَّرَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ فَنَهْلِكَ كَمَا هَلَكُوا بَلْ أَمَرَنَا عَزَّ وَجَلَّ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفُرْقَةِ، وَكَذَلِكَ حَذَّرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفُرْقَةِ وَأَمَرَنَا بِالْجَمَاعَةِ، وَكَذَلِكَ حَذَّرَنَا أَئِمَّتُنَا مِمَّنْ سَلَفَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ يَأْمُرُونَ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ, وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفُرْقَةِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَاذْكُرْ لَنَا ذَلِكَ لِنَحْذَرَ مَا تَقُولُهُ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لَنَا إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، قِيلَ لَهُ: سَأَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ مَبْلَغَ عِلْمِيَ الَّذِي عَلَّمَنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، نَصِيحَةً لِإِخْوَانِي مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِمَا

قَصَدْتُ لَهُ ,وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنزل مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة: ٢١٣] . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣] . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩] . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩] . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [يونس: ٩٣] . قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم عسق : {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [الشورى: ١٤] . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَعْلَمَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ أَنَّهُمْ أُوتُوا عِلْمًا، فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَسَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَفَرَّقُوا فَهَلَكُوا

قال بَابُ ذِكْرِ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ بَلِ الِاتِّبَاعُ وَتَرْكُ الِابْتِدَاعِ

هذا باب عظيم بدأ به المصنف الكتاب بعد أن انتهى من المقدمة، هذا أول باب، يتكلم عن الأمر بلزوم الجماعة، ويبين النهي عن الفرقة، ويُلزم الأمة بالاتباع، وترك الإبتداع، مسائل عظيمة جدًا سيتعرض إليها.

الموضع الأول الذي قرآناه الآن يتكلم عن الأسباب التي أدت إلى الفرقة أولًا، وهذا من بديع المصنف، أولًا ذكر لنا الأدلة، وبيّن بأن الأمم السابقة قد وقعت في الافتراق؛ وقعت في الفرقة والاختلاف، ولكن هذه الفرقة التي حدثت في دينهم كانت لها أسباب.

وأسباب الفرقة حقيقة متعددة ومختلفة أيضًا، لكن المصنف أجمل لنا في سببين؛ وكأن السببين الذي ذكرهما المؤلف هم أهم الأسباب التي تؤدي إلى الفرقة، أو التي أدت بالفعل إلى الفرقة بين الأمم السابقة، والتي أدت أيضًا وتؤدي إلى الفرقة بين المسلمين بعضهم وبعض.

تكلم عن **الحسد والبغي**؛ وقال أن الحسد والبغي هما سببا وقوع الفرقة بين الأمم السابقة، وبين الأمة إن حدث بينهم الحسد والبغي سيؤدي ذلك أيضًا إلى وقوع الفرقة. فذكر في هذا الموضع الآيات، أبين أولًا الآيات التي تثبت فيها وقوع الفرقة وأسباب ذلك، منها من قوله تعالى لما قال في البغي، قال: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[البقرة: 213] ، هذا سبب، وهو البغي.

وأيضًا ذكر في الآيات السبب الآخر هو الحسد، وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أنفسهم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:109]، قال: "كفارًا حسدًا"، فذكر هنا الحسد، أنهم حسد بعضهم بعضًا، وحسدوا أيضًا المسلمين بعد ذلك، فأرادوا أن يردوهم عن دينهم.

فلذلك البغي والحسد هما أسباب الفرقة؛

البغي له صور متعددة جدًا في الكتاب وفي السنة تبين كيف أن الأمم السابقة قد بغت على بعضها البعض، بل أنهم قد بغوا على ربهم سبحانه وتعالى، وبغوا على رسولهم أيضًا، وقد بغوا أيضًا على أنفسهم بينهم وبين بعض، فأدى ذلك إلى وقوع الشتات والفرقة بينهم.

أولًا؛ ما معنى البغي؟

البغي في اللغة: يأتي بمعنى الطلب، بمعنى طلب الشيء، أنت لو تذهب للجزيرة، أي أهل نجد، أو الحجاز، أو الخليج، ممكن أحد في السوبر ماركت يقول لك: (أبغي خبز، أبغي بارد، أبغي مياه)، أنت تظن أن الكلمة هذه خاصة بهم عامية، لا، هي لغة عربية. نحن عندنا طبعًا (أنا عايز) هذه من العوام عندنا، (عايز) اللغه العامية، لكن (أبغي) هذه تأتي بمعنى الطلب؛ بغيت كذا أي أردت كذا، أو طلبت كذا.

لكن هذه طبعًا ليس المقصود عندنا في الموضع الذي نحن فيه، لكن هي أصل البغي في اللغة بمعنى الطلب.

ما معنى البغي في الاصطلاح؟ البغي هو الاستطالة وتجاوز الحد، وهو من الفساد؛ أي من جنس الفساد، لأن البغي فيه استطالة على الآخر، وفيه تجاوز الحد، قال سبحانه وتعالى: {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ

إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ } [الحجرات:9]، فبغت هنا أي استطالت، تجاوزت الحد، وتعدت، فقتلت، أو قاتلت، أو غير ذلك.

وهذا في المعنى العام أيضًا للبغي، وإن كان بعض أهل العلم يحصرون أو يقولون البغي أنواع، فكثير ما تجد البغي على البغاة، من هم البغاة؟ الذين يخرجون على ولاة الأمور؛ بيسمونهم بغاة، ولكن هذا أيضًا ليس مقصورًا، فالبغي بمعناه الأوسع هو تجاوز الحد والاستطالة؛ سواء كان في الخروج على أولياء الأمور فهذا بغي، سواء كان التعدي؛ سواء التعدي هذا والاستطالة كان على الله عز وجل –والعياذ بالله– أو كان على الرسل، أو كان على العباد.

فلذلك البغي كان مذمومًا، وكان سببًا في وقوع الأمة في الاختلاف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ**]،فهذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم على التفاخر وعلى البغي، "لا يبغى أحد على أحد". وقد جاء أيضًا في السنن بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول:[**سيصيب أمتي داء الأمم فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي**]، انظر.. والنبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ، إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ } [النجم:3-4]، قال سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما داء الأمم؟ قال الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي، وهذه إشارة على أن البغي مرتب على الحسد– وأنا سأبينها– كأنها إشارة من الحديث – أقول إشارة – وهذا مضمون لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا، وسيأتي لمقام الحسد، بأن الحسد موجود عند كل أحد، لكن الكريم هو الذي يخفيه، واللئيم هو الذي يبديه، كأنه جبلة، لكن الكريم يتمكن فيه من نفسه فلا يخرجه، واللئيم هو الذي يخرج هذا الحسد.

ولكن الحسد مقدمة للبغي، أي أن المرء يحسد ثم يأتي بعد الحسد أن يبغي بعد ذلك، وإن كان ممكن البغي يحدث بدون حسد، لكن نقول الأول بأن البغي هذا جاء الشرع

بالنهي عنه في أكثر من موضع، منه أيضًا ما جاء في النهي عن البغي والحسد من قول النبي صلى الله عليه وسلم، [قيل لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ أيُّ الناسِ أفضلُ قال كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ قالوا صدوقُ اللسانِ نعرفُه فما مخمومُ القلبِ قال هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ]، نسأل الله عز وجل أن ينجينا من هذه الآفات. وهذا كله دلالة على أن مفهوم المخالفة هو تصريحًا منطوقًا، لأنه قال "التقي النقي"، ثم بعد أن ذكر تقي نقي نفى عنه أن يكون فيه الغل، ولا الإثم، ولا الحسد، ولا التباغض.

وأنتم لا تعجبون من هذا الكلام، الأمة مصابة بذلك، بل لو نظرت حتى لمرتبة نقول الملتزمين – إن صح الكلام– فتجد بينهم الغل والحسد والحقد –والعياذ بالله من ذلك– وهذا أمر نراه واقعًا، لا نتكلم عن شيء هكذا، لا، واقعًا –والعياذ بالله– ولذلك لا تعجب من تفرق الأمة، النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك، تفرقوا سابقًا بسبب البغي والحسد، وسيتفرق كما سيأتي الآن الأدلة والآثار الأخرى، بأن سيحدث التفرق في الأمة، وسنبينها أيضًا هذه، لكن نحن نبين الأول الأسباب التي أدت إلى التفرق وهي البغي والحسد.

والبغي أشهر ما نُقل عنهم في الأمم السابقة البغي هم بنو إسرائيل، فبنو إسرائيل حدث عنهم بأنهم قد بغوا على الله عز وجل، قال الله عز وجل عنهم عندما قالت اليهود: {لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ } [آل عمران: 181]، تعالى الله عن ذلك، سبحانه وتعالى حاشاه. وقالوا عن الله عز وجل: {وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ } [المائدة: 64]، وهذا بغي مع ربهم سبحانه وتعالى. بل قالوا وأساؤوا ان الله عز وجل بعد أن خلق السماوات والأرض تعب، وفي روايات بكى، وفي روايات أرمد لما رأى من خلقه، حاشاه ذلك سبحانه وتعالى. وبعضهم قال أنه تعب أو لم يكن يعلم ما سيحدث من العباد، كل هذا بغي على الله عز وجل.

بل بغوا ليس في وصف الله بالنقائص بل أيضًا بغوا لأنهم لم يتبعوا أمر الله عز وجل، ولم ينتهوا عن نواهيه، وجادلوا مع أنبيائهم، قالوا لموسى عليه السلام: {وَإِذْ

قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً [البقرة:55]، لما قال لهم اذبحوا بقرة، أساءوا الأدب مع الله عز وجل، قالوا: {قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ} [البقرة:68]، ثم بعد ذلك {قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا} [البقرة:69]، ثم قالوا {قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا} [البقرة:70]، كل هذا إساءة أدب في عدم الإستجابة، والبغي مع ربهم على أوامر الله عز وجل. بل لما قال لهم الله عز وجل: {وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ} [البقرة:58]، ماذا فعلوا؟ دخلوا قعودًا على أستاههم! نعم دخلوا كذلك، وقالوا "حنطة" ولم يقولوا "حطة". انظر إلى البغي مع ربهم!

أيضًا ليس البغي فقط مع الله، بل كان أيضًا هناك البغي والتعدي والاستطالة على موسى عليه السلام، وعلى أنبياء كثيرة، بل مع موسى نبيهم، نبي الله عز وجل، من أولي العزم من الرسل، فقال الله عز وجل:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب:69]، اتهموا موسى بأنه آدر، فقالوا لذلك لا يستحم معنا، لأنهم كانوا يستحمون عراة؛ كان جائز في شريعتهم، وكان موسى عليه السلام يستحي من ذلك، ويأخذ بجانب، فاتهموه أنه آدر فالله عز وجل أراد أن يبين لهم، ففي يوم من الأيام وضع ثوبه على الحجر فأنطق الله الحجر وجعله يجري بثوب موسى، فموسى عليه السلام لما رأى الحجر يجري بثوبه خرج من الماء على هيئته، فقال أي حجر ثوبي، أي حجر ثوبي، فرأوا موسى على هيئته، فعلموا أنه ليس به شيء من النقائص، فقال الله عز وجل:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب:69]. هم هنا بغوا على موسى واتهموه أيضًا بهذه النقيصة.

بل هم قد تطاولوا على رسل الله عز وجل، قالوا على سليمان عليه السلام بأنه ساحر، وعندهم سليمان ملك، وليس برسول أصالة! واتهموا داوود عليه السلام بأنه قد أرسل أحد جنده إلى المعركة ليزني هو بامرأته! وحاشاه ذلك هو النبي من أنبياء

الله عز وجل. بل اتهموا لوط عليه السلام بأنه قد زنى بابنتيه أيضًا! وبل أكثر من ذلك ما فعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا ساحر، وقالوا كاهن، وسموا النبي صلى الله عليه وسلم؛ وضعوا السم له في الشاة، وألقوا عليه حجارة عندما جلس يستريح في أحد الأبنية عندهم، وكل هذا أرادوا أن يتعدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عجب. فهذا معلوم عن بنو إسرائيل، فكانوا أكثر الناس بغيًا في ذلك، البغي كثير.

هذا السبب الأول؛ وهو البغي، الذي حذر منه المؤلف، وحذرنا الله عز وجل منه، بأن البغي سيكون، بل حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا.

الحسد السبب الثاني في هلاك الأمم، كما قال الله عز وجل: { كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أنفسهم} [البقرة:109] ، والآيات التي ذكرها المؤلف في ذلك. فمن أسباب هلاك الأمم الحسد، والحسد حقيقة من أعضل الأمراض، إن أصاب المرء قلبه داء الحسد قلما ينجو منه أحد، لأنه يستقر في القلب، يحتاج إلى مجاهدة عظيمة جدًا، وحسن ظن بالله، وإيمان بالله قوي حتى يطرد ذلك. كما قلت أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول إن الحسد موجود عند كل أحد، لكن الفارق بأن الكريم يخفيه؛ يستطيع أن يتحكم فيه، ولكن اللئيم هو الذي لا يستطيع أن يتحكم فيه؛ يخرج عن قدرته ويظهره.

والحسد كأنه مقدمة للبغي؛ أي أن القلب يحترق أولًا ثم لما يحترق القلب هذا الحاسد يبغي بعد ذلك، يؤدي إلى البغي بعد ذلك.

والحسد أيضًا لو نظرت إلى الحسد تجد فيه اعتراض على حكمة الله عز وجل، مصيبة، لأن الحاسد بينظر على أن الله الذي أعطى هذه النعائم لغيره كأنه لا يستحقها هذا الشخص، ويريد أن يأخذها منه، حتى لو لم تأتيه هو! لكن المهم أن هذا لا يأتيه! فكأنه بيعترض على ماذا؟ على حكمة الله عز وجل، كأنه بقلبه لماذا الله أعطى هذا ولم يعطيني أنا؟ أو لماذا أعطاني وأعطاه؟ لأن بعض الحسد قد

يكون من غني وعنده أموال، لكن هو لا يريد لغيره أن يكون مثله، أو ينظر إلى رجل يمكن أقل منه، لكن ربنا رزق عليه بشيء، أو يكون عنده علم ومع ذلك لا يريد لغيره أن يكون عنده العلم، أو يكون متقن في شيء ولا يريد لغيره أيضًا أن يكون فيه هذا الإتقان!

هذا حسد في كل الأنواع ليس في أمور الدنيا، بل تجد التحاسد أيضًا في أمور الدين، بين الناس بعضهم بعضًا- إلى الله المشتكى، والله المستعان على ذلك.

والحسد هو الذي أخرج إبليس من الجنة، وجعله ملعون؛ أن الله لعنه لما قال الله عز وجل وأمره بالسجود، ماذا قال؟ {قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ} [الأعراف:12]، حسد آدم عليه السلام، لأن الله عز وجل خلقه بيديه، والله شرفه بسجود الملائكة له، وعلَّمه، فحسد إبليس آدم عليه السلام، فأوقعه فيما أوقعه فيه؛ بأنه رد أمر الله عز وجل، ولم يستجب له.

والحسد حذرنا منه النبي صلى الله عليه وسلم، والحسد والعين، لأن العين فرع عن الحسد، بل قال النبي صلى الله عليه وسلم بأن أكثر موتى هذه الأمة بعد أجل الله عز وجل هو الموت بالعين، قال: [أكثرُ من يموتُ مِن أمَّتي بَعدَ قَضاءِ اللهِ وقَدَرِه بالعَينِ]، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنَّ العينَ لتُدخلُ الرجلَ القبرَ وتُدخلُ الجملَ القِدرَ]، وهذا حق مشاهد؛ كم من أناس العين كانت سرًا في مقتلهم، وهذه وقائع الآن بتحدث، كثير من الناس تسمع قصص وقديمًا، بل وقعت في الُسنة، حديث عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف، [مرَّ عامرُ بنُ ربيعةَ بسَهلِ بنِ حنيفٍ وَهوَ يغتسلُ فقالَ لم أرَ كاليومِ ولا جِلدَ مُخبَّأةٍ]هو كان أبيض، وكان أشقر أو ذو حمرة، وكان جميلًا، فلما آه يستحم وهو بهذا الجمال قال هذا الكلام، [فما لبثَ أن لُبِطَ بِهِ] لط في الماء؛ أي وقع في الماء، فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم، قال تتهمون من؟ قال نتهم عامر، فأوتي بعامر بن ربيعة رضي الله عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [علامَ يقتلُ أحدُكم أخاهُ إذا رأى أحدُكم من أخيهِ ما يعجبُهُ فليدعُ لَهُ بالبرَكةِ].

ولذلك السنة أنك لما ترى شيئًا فيه نعمة، أو شيء على أحد أو تريد تمدحه، تبرك عليه حتى لا تسبق العين، وأنت ممكن ما تقصد، لكن قد تسبق العين، فيحدث أن الرجل هذا يعان، والمرأه تعان، وغير ذلك يحدث فيها العين.

ذلك نقول بأن العين حق، وهذه من أسباب الموت، وقد حذر الله عز وجل قال: {وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق:5]، وهذه آية عظيمة جدًا، فالأمم السابقة حسدوا بعضهم بعض، بل حسدوا أنبياء، بل اليهود جاءوا وحسدوا المسلمين، حسدوا العرب لأنهم كانوا يظنون أن النبي الذي سيظهر في آخر الزمان منهم؛ من بني إسرائيل، فلما ظهر من قريش، وكان عربيًا والنبي صلى الله عليه وسلم حسدوا العرب، وحسدوا قريش، وحسدوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخرج النبي الخاتم من العرب ولا يخرج من بني إسرائيل، بل أنهم لم يحسدوا فقط الأنبياء! لكن حسدوا ملوكهم في سورة البقرة: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟} [البقرة:246]، ثم لما أرسل إليهم طالوت رضي الله عنه ماذا قالوا؟ {إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ } [البقرة:247]، حسدوا طالوت مع أنهم هم الذين طلبوا من الله عز وجل أن يكون عندهم ملك يقاتلون تحته، لكنه لما أتاهم الله عز وجل الملك ليس من عندهم كما يريدون، حسدوه، قالوا: { أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ } [البقرة:247]، هذا حسد.

لذلك حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الحسد، وهذا تحذير صريح من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [دبَّ إليكُم داءُ الأمَمِ قبلَكم الحسَدُ والبغضاءُ]. وقد جاء أيضًا الحديث في صحيح مسلم الطويل، ولكن أنا أخذ منه جزء، قال: [لا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا]، وهذا يبين لك طبعًا هذا أسباب الفرقة التي حدثت في الأمم السابقة.

فكما قال المؤلف وختم به هذا الجزء من الكتاب قال: **فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَسَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَفَرَّقُوا فَهَلَكُوا**، سيدخل بعد ذلك – كما سيأتي– في المواضع، يبين لنا أسباب الفرقة، ثم سيبين لنا الأدلة على النهي عن الفرقة، لأنه هناك أسباب، ثم نهي عن الفرقة.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَعْلَمَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ أَنَّهُمْ أُوتُوا عِلْمًا، فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَحَسَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَفَرَّقُوا فَهَلَكُوا فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ الْمَوَاضِعُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي فِيهَا نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ حَتَّى نَحْذَرَ مَا حَذَّرَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ مِنَ الْفُرْقَةِ بَلْ نَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ؟ قِيلَ لَهُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٢] ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرُّومِ: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم عسق: {شَرَعَ لَكُمْ

مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى: ١٣] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَلْ يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ أَشْفَى مِنْ هَذَا عِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدَبَّرَ مَا بِهِ حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ مِنَ الْفُرْقَةِ؟

هذا موضع ثاني هنا في المواضع الذي يتكلم عنها المؤلف، بعد أن بيّن لنا أسباب الفرقة، الآن قال: فَأَيْنَ الْمَوَاضِعُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي فِيهَا نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ حَتَّى نَحْذَرَ مَا حَذَّرَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ مِنَ الْفُرْقَةِ بَلْ نَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ؟ إذًا هنا ساق لنا المؤلف – عليه رحمة الله تعالى– الآيات التي تنهى الأمة عن الوقوع في الفرقة، لنبين بأن الفرقة من أسباب العذاب، ونهى الله عز وجل الأمة عن الوقوع في الفرقة، قال سبحانه وتعالى: {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ} [آل عمران:105]، وقال سبحانه وتعالى {أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ } [الشورى:13]، فهنا جاء الشرع، وجاءت الآيات بالنهي عن الفرقة، بل جاءت السنة كما سيأتي أيضًا في باب آخر بعد أن ينتهي من باب ذكر الآيات، سيأتي بباب في ذكر الأحاديث عن النهي عن الفرقة، وقد حدث ذلك في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، عندما كان في غزوة فقام رجل من المهاجرين فكسع –كما يقال– رجل من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم، أو قيل له ذلك، فأتى إليهم فقال: [دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ]، فدل ذلك على أن هذه قد تؤدي إلى الفرقة بين المسلمين.

والفرقة مذمومة، ولكن ليس طبعًا على اطلاقها – كما سأبين الآن– فلذلك جاء الشرع، وجاءت الشريعة بالحث على الاجتماع، وعلى لزوم الجماعة، وعلى نبذ الفرقة.

لذلك أنت تجد الآن أول هام كان عند الكفار – في الأزمنة حتى الحديثة– أنه حتى يسيطر على المسلمين أن يفرق المسلمين، لو كان المسلمون في جماعة واحدة واجتمعوا على أمر وأحد فلن يستطيع أحد أن يقوم عليهم، ولا يتمكن منهم، لكن قبل أن تتمكن من المسلمين لابد – كما قال هؤلاء في كتبهم وخططهم– لابد أن تفرق بين المسلمين، فلابد أن تفرق أولًا بينهم ثم بعد ذلك تستطيع أن تسيطر عليهم، لكن إن رأيتهم اجتمعوا – وهذا قول الكفار – أنك لن تستطيع أن تتمكن من هؤلاء.

لكن المصنف– كما سنبين– يبين بأن الفرقة وقعت، وهذه سنتعرض إليها، لكن الذي يعنينا الآن هو الفرقة الذي نهانا الله عز وجل عنها، فهل الفرقة في المطلق منهية؟ أم هناك فرقة محمودة وفرقة مذمومة؟ سأقسم الآن ما نستطيع، لكن سيكون تقسيمًا لما سيكون الأسبوع القادم، لأن لابد أن نتكلم عن الفرقة، فجاءت الآيات هنا بفرقة مذمومة.

لكن لابد أن نبين أن الفرقة أنواع:

1- **الفرقة المحمودة**؛ والفرقة المحمودة التي تكون فرقة مأمور بها مع الكفار، هذا نوع من الفرقة المحمودة، ونوع آخر من الفرقة المحمودة وهو الفرقة المأمور بها أيضًا مع المبتدعة.

2- **الفرقة المذمومة**؛ التي جاء الشرع بذمها؛ وهي الفرقة التي تكون بين المسلمين؛ بين أهل السنة والجماعة، بين الذين يسيرون على طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا التقسيم أنا قسمته فقط الآن لأنه يحتاج إلى تفصيل، لكن هذا التقسيم سنبينه إن شاء الله الأسبوع القادم؛ سنتكلم عن الفرقة، وما هي الفرقة المحمودة بنوعيها؟ وما هي الفرقة المذمومة؟ ثم نتعرض أيضًا لمسألة أنه نهانا الله عز وجل عن الفرقة، لكن حدثت الفرقة، بل جاءت الآيات: {وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ} [البقرة:253]، ولكنهم اقتتلوا أيضًا، وسيأتي بالآيات تبين ذلك.

كيف سنجمع بين ذلك؛ الله ينهانا عن الفرقة قدرًا أو شرعًا، وقد وقعت قدرًا، فكيف نتعامل مع النهي عن الفرقة مع اخبارنا الله عز وجل بأن الفرقة ستقع أيضًا؟ هذه إن

شاء الله يكون مبحث آخر يختم به هذا الباب قبل أن يدخل إلى باب جديد بعد ذلك؛ وهو ذكر السنة، أو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الفرقة، ولزوم الجماعة.

ولكن قبل ذلك أيضًا عنده مسألة سيتعرض إليها؛ وهو مسألة الخلاف، ولعلنا أيضًا نبينها، لأنه ذكرها أيضًا في آخر الباب هذا على مسألة الإختلاف، وكيف يكون الإختلاف؟ ما هو الإختلاف المذموم؟ وما هو الإختلاف المقبول؟ أو نقول ليس محمودًا، والمقبول الذي ليس فيه إنكار، سواء كان الخلاف في العقيدة، أو سيكون خلاف في المسائل الفقهية أيضًا، لعلنا نتعرض إليه، لأنه قد ذكرها المؤلف، وكل كلمة حقيقة بيذكرها فيها ما فيها من المباحث الهامة التي هي من أصول أهل السنة والجماعة.

لذلك أنا أقول الكتاب عظيم النفع جدًا، وقد يؤخذ عليه فقط حقيقة أن كثير من الأحاديث والآثار فيه – وأقول كثير– فبعض أهل العلم قالوا وصلت إلى قليل من المنتصف، فيها ما فيها من الضعف، والإرسال، وغير ذلك، وهذا الذي فقط يؤخذ على الكتاب، لذلك بعض الأخوة لخص أو عمل تلخيص مختصر للكتاب على أنه اجتهد فحقق فأخرج بعض الآثار، لكن أنا أفضل أن نسير على النسخة الأصلية التي فيها الآثار التي فيها ضعف، نشير إليها، وهذا لا ينقص من الكتاب، وإن كان أهل العلم تتبعوا بعض الآثار كما قلنا، وبعضها عضدت من روايات أخرى، فصار العمل بها وإن كانت ضعيفة، سنبينها إن شاء الله.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمه الله تعالى- وما زلنا في الباب الأول؛ باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة بل الاتباع وترك الإبتداع. وكنا قد تكلمنا في الموضع الأول ما قاله المؤلف على أنه ذكر في هذا الموضع الأول في هذا الباب أن ذكر بأن سبب الفرقة في الأمم السابقة، والأمم حتى وأمة النبي صلى الله عليه وسلم، سيكون البغي والحسد، وقد فصلنا القول في ذلك. ثم نعيد القراءة مرة أخرى عن الموضع الثاني؛ وهو الأدلة التي ذكرها المؤلف من القرآن على أن الله عز وجل قد حذرنا من الفرقة،

أو من الإفتراق، وعلى أن نكون مثل الأمم السابقة في الإفتراق وعدم الجماعة، فذكر لنا الآيات، وإن شاء الله نقرأها حتى نتدبرها مره أخرى، ثم نبين الآن هذا الموضع العظيم والمهم جدًا وهي الفرقة، نعم، ذم الله عز وجل الفرقة، وذكر الآيات بنهي أهل الإيمان، وأهل الإسلام، أهل السنة والجماعة على الإفتراق.

لكن ليست الفرقة كلها مذمومة؛ ولكن هناك فرقة محمودة، وهناك فرقة مذمومة، سنبين إن شاء الله الفارق بين الفرقة المحمودة والفرقة المذمومة، ومع من تكون الفرقة محمودة، ومع من تكون الفرقة مذمومة، هذا سنبينه إن شاء الله في هذا الموضع والذي يليه أيضًا من مسألة الأمر الله الكوني والشرعي؛ في مسألة أنه ذم الفرقة ومع ذلك قد قدرها الله علينا، وأيضًا بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستحدث في الأمة وستكون موجودة أيضًا إلى قيام الساعة.

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ :فَأَيْنَ الْمَوَاضِعُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي فِيهَا نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ حَتَّى نَحْذَرَ مَا حَذَّرَنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ مِنَ الْفُرْقَةِ بَلْ نَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ؟ قِيلَ لَهُ :قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٢] ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي

سُورَةِ الرُّومِ :{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم عسق :{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ[}الشورى: ١٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَلْ يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ أَشْفَى مِنْ هَذَا عِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدَبَّرَ مَا بِهِ حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ مِنَ الْفُرْقَةِ؟

هذه الآيات التي قرئت علينا الآن كلها توضح وضوحًا جليًا أن الله عز وجل قد ذم الفرقة، ونهى عن الفرقة، ونهانا عن أن نكون مثل الذين من قبلنا؛ بعد ما جاءهم العلم فبغوا وحسدوا أنفسهم، ثم تفرقوا بعد ذلك وافترقوا.

ولكن هناك فرقة قلنا بأن الله عز وجل أمر بها، وهناك فرقة نهى عنها.

الفُرقة المحمودة:

- مفارقة مع أهل الكفر
- مفارقة مع أهل البدعة

النوع الأول: المفارقة مع أهل الكفر:

نبدأ بالفرقة التي قد أمر الله عز عز وجل بها، وهي فرقة مأمور بها مع أهل الكفر وهذا النوع الأول، وهذه فرقة محمودة يحبها الله عز وجل، بل أرادها الله عز وجل شرعًا، وأن الله عز وجل قد أوجبها على أهل الإيمان، وأن هذه الفرقة هي التي تبين

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ فأولياء الرحمن لابد لهم من استجابة لأمر الله عز وجل في المفارقة والمباينة مع أهل الكفر، فهذه من سمات أهل الإيمان؛ أن تكون الفرقة بينهم وبين أولياء الشيطان، وهذه جاءت في الكتاب في أكثر من موضع فيها مدح من الله عز وجل على لسان بعض الأنبياء الذين قالوا بذلك وقاموا بذلك؛ ابراهيم خليل الرحمن والذي قال فيه الله عز وجل: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا} [النساء:125]، انظر إلى قول الله عز وجل عندما حكى لنا في القرآن عن ابراهيم، عندما أراد أن يفارق أهل الكفر، وأهل الشرك، وأهل العصيان، قال:{ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا} [مريم:48]، "واعتزلكم" أي اعتزالًا كاملًا لقومه، لأنهم كانوا من عباد الأصنام وغير ذلك، وهذا استجابة لأمر الله عز وجل له؛ بأنه لابد لأهل التوحيد أن يفارقوا ويعتزلوا أهل الكفر.

منهم أيضًا شعيب عليه السلام عندما قال أيضًا: {رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ} [الأعراف:89]، "ربنا افتح بيننا وبين قومنا" أي باعد بيننا وبين قومنا، وهذه أيضًا مفاصلة، مباعدة، فرقة بين شعيب عليه السلام وبين قومه الذين كفروا بالله عز وجل ولم يستجيبوا لدعوته.

وأيضًا أصحاب الكهف كما جاء في سوره الكهف، قال الله عز وجل عنهم:{ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا} [الكهف:16]، فهنا قال ""وإذ اعتزلتموهم" أي هنا يبين أنه لابد من الاعتزال، وهم كانوا من أهل الإيمان، فاعتزلوا أهل الكفر وتركوهم.

وأصرح من ذلك وأقوى في الدلالة أيضًا قول ابراهيم عليه السلام لقومه، قال سبحانه وتعالى: {قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ

وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ} [الممتحنة:4]، ثلاث أمور في هذه الآية عظيمة جدًا؛ أولًا البراءة منهم، ثم التصريح بالكفر – كفرنا بكم، ثم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء– أيضًا لم يكتفوا بالبراءة ثم الكفر بما قالوه، بل أظهروا العداوة والبغضاء.

ولكن هناك قيد مهم جدًا حتى نكون منصفين في المسألة، {حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ} إذًا المسألة دائرة على كفر وإيمان، المفاصلة والبراءة والفرقة بيننا وبينهم بسبب كفرهم، إن آمنوا بالله ورجعوا ودخلوا إلى الإسلام كانوا أحب إلينا من أقاربنا غير المسلمين، لأنهم قد دخلوا معنا في أخوة الإسلام.

لذلك العداوة والبغضاء مع المفارقة هذه من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مع الكفار، ولكن المقصود منهم: حتى يدخلوا في دين الله عز وجل قال سبحانه وتعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ} [الممتحنة:1]، فنهانا الله عز وجل عن المودة، وقبلها قلنا عداوة وبغضاء، وهنا نهي عن المودة بيننا وبينهم، بل لابد من البغض لهم، والبغض هنا بسبب كفرهم، بسبب تجرؤهم على الله عز عز وجل، بسبب عدم استجابتهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو دعوة الرسل الذين جاوهم في أوقاتهم أو في أزمانهم.

ثم جاءت الآيات أيضًا تؤكد هذه المفارقة من قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [المائدة:51]، وهذه صريحة في ذلك.

ثم الله عز وجل علّق الإيمان على أشد من ذلك: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ } [المجادلة:22]، وهذه زيادة في بيان أن المفارقة واجبة حتى مع أقرب الناس إليك؛ حتى مع من كانوا من الآباء، أو الإخوان، أو العشيرة، لابد لك من

المفارقة، وليس لهم الود أو المحبة ما دام هم كفار بالله عز وجل، وهذه أعظم ما يكون من الدلالات بالتدرج حتى أوصلنا الله عز وجل إلى أنه لا قرابة بين المرء وبين الكافر أي لا ود، لا محبة- أقصد القرابة هنا أي لا قربى له-.

ولكن هذا لا يمنع من وجوب العدل والقسط، حتى لا يفهم أحد الكلام لما نقول أنه بغضاء وكراهية إذًا يستبيح لنا أن نفعل فيهم ما نشاء! هذا لم يقل به أيضًا الشرع، الله عز وجل أمرنا معهم بالعدل، أمرنا معهم بالقسط، أمرنا معهم بعدم الظلم، وعدم التعدي عليهم، من كان معاهدًا، كان ذميًا، كان مستأمنًا عندنا فلابد أن نوفي لهم حقوقهم، لا يجوز أن يفهم أحد من هذه الآيات أو هذه الأدلة على أن الإسلام أباح لك التعدي عليهم، وأباح لك البغي عليهم! بل هم لهم حقوق كما للمسلمين حقوق. قال النبي صلى الله عليه وسلم: [المسلمونَ تتكافأُ دماؤهُم ويسعى بذمَّتِهم أدناهُم ويردُّ عليهم أقصاهُم وهم يدٌ على من سواهم ولا يُقتَلُ مسلمٌ بكافرٍ ولا ذو عهدٍ في عهدِهِ] أنه إذا أمَّن مسلم واحد ذمي- أو كان مستأمن- أو معاهد، فيجب على باقي المسلمين أن يحفظوا هذا العهد له، وهذا يدل على أن هناك فارق بين المسألة التي نتكلم عنها، وبين التعدي والبغي والظلم، بل علينا أيضًا العدل معهم.

ثم ليست الفرقة أصلًا فرقة إيمانية وقلبية، بل الله عز وجل يبين لنا أن الفرقة أيضًا فرقة بدنية؛ أي أنت تفارق أهل الكفر ببدنك كما أُمرت أن تفارق أهل الكفر بقلبك ولا تكون لهم مودة ولا حب لهم ، بل بغض وكراهية، بل إن الله عز وجل قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا} [النساء:97]، فهنا انظر.. الله عز وجل أمر وذم الذين لم يتركوا ديار الكفر ليهاجروا إلى ديار الإسلام، وكانوا يجلسون ويكونون مجتمعون مع أهل الكفر ولا يفارقون أهل الكفر، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي نقوله فيه ما فيه مقال في السند:[أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أظهرِ المشركين ،

قالوا: يا رسولَ اللهِ ولم؟ قال: لا ترايا ناراهما]، وفي رواية أخرى: **[بَرِئَتِ الذِّمَّةُ من أقامَ مع المشركين في بلادِهم]**.

وهذه كلها تبين على أن الأصل عدم جواز الإقامة في ديار المشركين، وفي ديار أهل الكفر، هذا هو الأصل، وهذه كلها مفارقة كما قلنا، مفارقة بالبدن، ومفارقة أيضًا بالقلوب.

ونقول أن هذه مفارقة بدنية، مع أنها مفارقة أيضًا بالاعتقاد وبالقلب، وهذه كلها تدل على عموم المفارقة، عموم الإفتراق مع أهل الكفر. هذا ما جاء به الشرع.

ولكن قلنا بأنه لابد من مراعاة الضوابط الشرعية مع هذه المفارقة، لماذا نحن نشدد في هذه المسألة؟ لأن وقع التعدي في ذلك؛ وقع عدم الفقه في هذه المسألة، ظن الناس بأن الكرهة لأهل الكفر، والبغض لهم، وعدم المودة وعدم الاجتماع معهم، أن هذا مسوغ أنك تتعد عليهم! وحدثت ما حدث من الفتن، وحدث ما حدث من الطامات التي أدت إلى مفاسد عظيمة، مع أن هذا ترك لبعض الدين، وأخذ بعض الدين، والله عز وجل يقول: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة:85].

فالذي أمرك بالمفاصلة بينهم والمفارقة هو الذي أمرك سبحانه وتعالى أيضًا بالعدل معهم وبإيتائهم الحقوق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ]**. إذًا بين ذلك أن هناك ضوابط في هذه المسألة لابد أن تنظر إليها بعينين جميلتين؛ عين أهل السنة والجماعة، إذًا هذا هو النوع الأول من المفارقة؛ المفارقة مع أهل الكفر.

النوع الثاني: المفارقة مع أهل البدعة:

والنوع الثاني من المفارقة أو الفرقة أيضًا المأمور بها المحمودة وهي المفارقة مع أهل البدعة، أن تفارق أهل البدعة، والبدع أخطر ما يكون، لعل الكفر ظاهر،

فالمفارقة مع الكفار ظاهرة، أما المبتدعة هم يُلبِّسون على الناس، يرون بأنهم هم من أهل الإسلام، أو ينسبون نفسهم لأهل الإسلام، وهم يأتون ببدع ما أنزل الله عز وجل بها من سلطان، وذمها الله عز وجل لما قال في كتابه:{ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ } [الحديد:27]، فهذه هذه الرهبانية ما كتبها الله عز وجل، لذلك المبتدع أخطر ما يكون، لأنه نصب نفسه مُشرعًا مع الله عز وجل –والعياذ بالله– قال عز قال الله عز وجل:{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ} [الشورى:21]، والله عز وجل يقول: {أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ } [الأعراف:54] وقال سبحانه وتعالى: {أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ} [المائدة:50]. فمن كان من أهل البدع، أو كان مبتدعًا فهو يسن، يشرع مع الله عز وجل، وهذه مشاركة مع الله عز وجل في أمر من أمور الربوبية؛ وهو أن الحكم لا يكون إلا لله عز وجل. لذلك كان أهل البدع – أو المبتدعة– خطرهم أعظم ما يكون على المسلمين.

والبدعة أنواع، نحن لن نستفيض في هذه المسألة، لكن نتكلم على أن المفارقة معهم واجبة أيضًا، فيأتي أحد وينشئ عبادات في أزمنة لم تكن موجودة؛ يصلي في ليلة نصف من شعبان، أو هو يخترع صلاة بعدد ركعات معينة، أو يخترع أورادًا معينة، أو أذكارًا معينة لم يأذن بها الله عز وجل؛ لم ترد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كله منافي، وهذا كله قدح في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، بل قدح في بلاغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغ، لأن الله عز وجل قال:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ} [المائدة:67].

فأنت لما تأتي مبتدعًا الآن، وتأتي ببدع لم تكن موجودة من قبل، أو تسن أمورًا معينة، فكأنك اتهمت النبي صلى الله عليه وسلم– وهذه لم ترد في الشرع– بالتقصير في البلاغ، وأنه لم يبين، وهذا لو ادعيت بأنك أعلى من النبي صلى الله عليه وسلم هذا كفر، ولو اتهمت النبي صلى الله عليه وسلم بالنقص هذا أيضًا وقعت في الإثم العظيم، لأن قد بين النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع

بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ:[**أَلَا هل بلّغْتُ؟**] لما سأل الصحابة رضوان الله عليهم، ويخطب في خطبة الوداع، لما سألهم قال [**أَلَا هل بلّغْتُ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ**].

والله عز وجل قد أنزل:{ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة:3]، فالله عز وجل قد أرسل النبي، وهو الذي أمره بالبلاغ، وقد أدى النبي صلى الله عليه وسلم هذا البلاغ، قال سبحانه وتعالى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44]، فقد بيّن الله عز وجل ذلك.

والنبي صلى الله عليه وسلم قد بيّن لنا اتباع السنة وعدم اتباع البدع، في الحديث الصحيح قال:[**أوصيكم بتقوى اللهِ والسَّمعِ والطَّاعةِ وإنْ كان عبدًا، فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعَةٌ، وكلَّ بدعَةٍ ضلالةٌ**] وأقول الحديث عند النسائي في حكم الحسن وليس الصحيح، في هذه الرواية التي قلتها الآن. فهنا النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، والانتهاء عن البدع ومحدثات الأمور.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم بأن من يتبع البدع فليس مع النبي صلى الله عليه وسلم على حوضه يوم القيامة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَن وَرَدَ شَرِبَ، وَمَن شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ.**]...[**فأقولُ أُصَحابي أُصَحابي"، فيقال: إنَّكَ لا تَدْري ما أَحدَثوا بعدَكَ؟ فيقول: "سُحقًا سُحقًا لمَن بدَّل بَعْدي"**].

هؤلاء من؟ الذين ابتدعوا في دين الله عز وجل، فلا بد من المفارقة مع صاحب البدعة؛ إن وجدت صاحب بدعة لابد من المفارقة بينك وبينه.

لكن طبعًا هناك ضوابط حقيقة أيضًا لابد أن تبين، على أنك لابد أولًا تثبت أن ما كان عليه هو من البدعة -وهذا لا يكون إلا بالكتاب وبالسنة- ليست بالهوى، وليست بالوجد، أو الإلهام! لا، لابد أن تثبت أن ما عليه هذا هو من البدعة، فإن أثبت أنها من البدعة، لك المفارقة، لأن ممكن تكون المسألة ليست بدعة، تكون مسألة اجتهادية، والاختلاف فيها مسوغ، أي هو يجتهد في مسألة، وأنت تجتهد، وهو أخذ برأي، وأنت أخذت برأي، فحتى وإنك لم تأخذ بهذا الرأي فإنك ليس لك أنك تتهمه بالبدعة، وهذه موجودة، البعض يسارع في بعض الأمور، حتى بعض علمائنا الحقيقة الأفاضل، بعض العلماء وقعوا في اتهام بعض الأمور بأنها بدعة، وهي فيها خلاف، كمثلًا القبض والإرسال في الصلاة- فالقبض بعد الرفع من الركوع أو الإرسال- على خلاف، ومع ذلك بعض الفضلاء من أهل العلم قال بأن القبض بعد الرفع من الركوع بدعة- وهذا إن كان ليس بصائب- وهو جهبذ إمام حديث في هذه الأمة، ومع ذلك من إنصافه هو تكلم على النوع وليس على العين، قال هذا الفعل بدعة- وإن كان ليس بصحيح أنه بدعة لأن الخلاف فيها قوي، وتوجد أدلة- لكنه لم يُبَدِّع من فعل ذلك عينًا، بل صلى خلف إمام آخر، والشيخ الألباني -رحمة الله عليه- هو الذي يقول بذلك؛ يقول بأن القبض بعد الرفع من من الركوع بدعة، ومع ذلك لما كان في الحجاز وصلى خلف الإمام ابن باز، وأهل الحجاز يقبضون، وأهل مصر يرسلون، والشام يرسلون، فالشيخ الألباني كان يرى أن هذه بدعة أصالة- القبض بعد الرفع من الركوع بدعة- هو يرى ذلك. ومع ذلك صلى خلف الإمام ابن باز وقبض، فحتى الطلبة قالوا: شيخ أنت بدعت من يفعل ذلك.. هو عنده أصل آخر، وهو: **[إنما جُعِلَ الإمام ليُؤتَمَّ به]**، فلما صلى خلف إمام يقبض قدم الأصل هذا؛ أنه يتبعه، وقبض. وهذا دلالة أولًا على أنه لم ير بدعية هذا الإمام- وطبعًا الشيخ ابن باز كان بيصلي خلفه وقتها- ولكن يرى بدعية الفعل، لكن لو قال الإمام هذا مجتهد فلا يرى المبتدع، مع أننا لا نقول أصلًا بالبدعية لأن هذه المسألة فيها خلاف.

لكن البعض يتجرأ، كل ما يجد أحد يخالفة في مسألة فقهية يرميه بالبدعة، وهذا ليس أيضًا بصحيح، لكن نحن نقول المفارقة لها ضوابط، ولذلك أيضًا مفارقة أهل البدع كما قال علماؤنا لابد فيها من بيان المصلحة والمفسدة، أحيانًا أن تفارق بعض أهل البدع حتى تعزرهم، وتبين لهم، فيرجعون- لو وجدت المصلحة في ذلك- وأحيانًا لا تفارق أو تكون وسطًا، لو وجدت بأن المفارقة لهم قد تأتي إلى مفسدة أعظم من ذلك.

فالمسألة فيها ما فيها من النظر، لكن نقول بأن هذه مفارقة أيضًا محمودة؛ أنك تفارق أهل البدع، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ]، وهذا حديث عظيم جدًا؛ وإن دل ذلك دل على عظم ما عليه صاحب البدعة، وقلت أنا الآن هو يشارك الله عز وجل في التشريع، لأنه ينشئ أمورًا وعبادات لم يأذن بها الله عز وجل.

هذا كله في النوع الأول؛ الفرقة المحمودة مع الكفار، ومع المبتدعة، هذا كله في القسم الأول؛ سواء تعدوهم نوعين أو قسمًا واحدا، المهم هذه فرقة محمودة.

وهناك فارق بين بدعة ثبتت بالكتاب والسنة أنها بدعة، وبين مجتهد، فالمسألة خلافية؛ الخلاف فيها سائغ، لكن اقصد أقول أنها لا تسمى بدعة، لكن الثاني حديث النبي صلى الله عليه وسلم [إنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ] فمثلًا مسألة التأويل في الصفات هذه بدعة، سيأتي في باب الاختلاف، لكن هنا تقول بدعة الإرجاء، بدعة الجهمية، بدعة المعتزلة، بدعة الخوارج، الأشاعرة، هذه كلها مبتدعة، بدع في العقيدة، حتى البدع في العبادات، ليس فقط في العقيدة، [إنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ] حسب لو هو صاحب بدعة، لو هو مجتهد وأخطأ في المسألة- وهذا الذي قلته في الأول- ليس كل من فعلها يكون صاحب بدعة، لكن لو نافح عنها، ولو أصَّل لها، ولو دعا إليها، ولو استمر عليها، ولم يكن عنده مسوغ أو يخالف جماهير أهل العلم في ذلك، فنرده، ونقول له هذه بدعة لا تستمر عليها، فإن أصر هذا أمر آخر، لكن بعض العلماء قالوا بأن هو إن لم يكررها قالوا

فليس بصاحب بدعة، والبعض لم يقبل ذلك، قالوا حتى وان لم يكررها لكن هو مصر عليها، ومعتقد لها، وفعلها مرة فنقول أيضًا أن هذه بدعة. فيها تفصيل هذه المسألة.

- **سؤال من أحد الطلبة عن مسألة التأويل، هل يدخل أيضًا في هذا الحديث؟**

⇦ **رد فضيلة الشيخ:**

هل التأويل مقبول أم غير مقبول؟ فأنت لن تقول أن الذي يقول {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه:5] أنه (استولى) فتقول لي أنه مقبول! أو تقول أن الإرجاء الذي يقول بأن الإيمان هو التصديق القلبي فقط، فتقول لي أن عنده تأويل مقبول! فنحن بنتكلم عن ميزان أهل السنة والجماعة.

- **استدراك من الطالب:** حديث [إنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ] هل هذا معناه أنه يدخل النار ببدعته هذه؟ حتى لو هو أراد الحق لكن لم يصل له؟ مثلًا كثير من العلماء في موضوع الأشاعرة عمومًا، كان هذا هو العلم الذي يدرسونه في وقتهم ولم يعلموا..

⇦ **رد فضيلة الشيخ:**

لا تقل أنهم لم يعلموا، هذا خطأ! إذا كانوا قد جاؤوا بعد القرون الخيرية الثلاثة، ولم يكن فيها الاعتقادات هذه الباطلة كلها، فمن أين أتوا بهذا الكلام؟ أتوا به من الفلاسفة وأهل الكلام، فأدى بهم إلى ما أدى بهم، لكن لا تقل أنه لم يكن عندهم العلم مسطر في الكتب! فهذا الكلام لا يقبل، فالقرون الخيرية الثلاثة فيها العقيدة صافية نقية، فيها مسألة الأسماء والصفات، فيها مسألة الإيمان، الجبر، والقدر، كل هذا واضح فيه.

- **استدراك من الطالب:** لكن بعض كبار العلماء مثل الإمام النووي، ابن حجر...

⇦ **رد فضيلة الشيخ:** الإمام النووي والإمام ابن حجر عنده تأويلات مردودة عليه، لكن أنت رأيت الإمام النووي بيؤلف كتاب في العقيدة الاشعرية؟ أو بيدافع عن العقيدة الأشعرية بتأصيلاتها التي نتكلم عنها؟ لا، لكن هو عنده تأويلات خاطئة في هذه المسألة هنقول تغفر في بحر حسناته، لكن نحن لا نتكلم عن هؤلاء، ما أحد يجرؤ

أن يتكلم عن هؤلاء، نتكلم عن الذين أصلوا المذاهب هذه، وكتبوا فيها، ويُنَظِّروا لها، ويدعون إليها. كما أننا لن ندخل في التقييد هذا في الكلام، نحن سنأخذ الحديث، نحن بنتكلم عن عِظَم صاحب البدعة، لأن المسألة ليست في العقيدة أصلًا فقط.

الفُرقة المذمومة:

ندخل إلى الفُرقة المذمومة، والتي مقصد الكتاب معنا الآن، وهو الذي أشار إليها المؤلف، وذكرنا فيها الآيات التي جاءت؛ قوله تعالى:{ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ} [آل عمران:103]، وقال أولًا الاعتصام، ثم النهي عن الفرقة، وهذا ظاهر في التحريم، لأن الله عز وجل قال: {وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا} ثم قال:{ وَلَا تَفَرَّقُواْ} ، وأيضًا قال سبحانه وتعالى: {وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا } [آل عمران:103]، وهذا يبين بأن الفرقة مذمومة، الفرقة كلها مهلكة، هذه الفرقة المذمومة؛ الفرقة التي تكون بين أهل السنة والجماعة، تكون بين المسلمين بعضهم وبعض، قال سبحانه وتعالى:{ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران:103]، وهذا كان أين؟ في الجاهلية، فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ليجمعهم على الدين؛ على الإسلام، يجمعهم على رسالة واحدة، لذلك أوصى الله عز وجل بالاجتماع وعدم الفرقة، ونهى عن الفرقة وأمر بالاجتماع.

وأيضًا السنة جاءت بذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم:[إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ]، فانظر هذا النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا يبين على أن الله عز وجل أحب لنا الإجتماع وكره لنا الفرقة، وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا.

والاعتصام بحبل الله جميعا هو الاعتصام بالكتاب وبالسنة، وهو أيضًا سنة الخلفاء الراشدين التي جاءت في الحديث الذي تكلمنا عنه.

فنقول بأن هذه الفرقة قد بيّن الله عز وجل بأن مآلها إلى مهلكة، مآلها إلى عذاب شديد، إنها فرقة مذمومة، وقد بيّن الله عز وجل أن هناك من يسعى إلى التفريق بين المؤمنين، وقد جاءت الآيات، قال سبحانه وتعالى: {وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ أنهمۡ لَكَٰذِبُونَ} [التوبة:107]، فهنا الله عز وجل قد بيّن بأن هناك من الأمة من يسعى للتفريق بين الناس، وهذا حدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وما بالك بعد زمان النبي صلى الله عليه وسلم! أرادوا بهذا المسجد الضرار أن يفرقوا بين المسلمين ويكيدوا فيه لأهل الإسلام في هذا الزمن.

بل بين الله عز وجل بأنهم أيضًا قد يخرجوا معكم ليفتنوا في العضد، فيقول الله عز وجل:{ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ} [التوبة:47]. إذًا حذرنا الله عز وجل، وهذا كان حدث في زمن المسلمين. ماذا فعل في غزوة أحد عبد الله بن أبي سلول؟ خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجع بالثلث بعد ذلك، أو أكثر من الثلث، أراد التخذيل أصالة، وهذا موجود، أرادوا التفريق، والله عز وجل يذكر لنا هذه الآيات ليبين لنا بأن هناك من يسعى إلى الفرقة بين المسلمين، ليحذرنا.

بل إن الله عز وجل بيّن للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه سبحانه وتعالى أراد لنا الائتلاف، وأراد لنا الاجتماع، قال سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ} [الأنفال:63]، لذلك بين الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه أراد الألفة بين المسلمين، هذا المقصد الذي بيناه.

لكن جاء الشرع أيضًا بأن كل وسيلة جاءت للائتلاف بين المسلمين تجد الشرع جاء وأمر بها، أو حث عليها، من أدنى الوسائل لأعلى الوسائل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع شتى من الوسائل، أي كل ما كان فيه حث على الألفة، على المودة، على التآلف بين المسلمين، وفيه أيضًا ما كان فيه بغضاء أو كراهية بين المسلمين، الأولى جاء فيها حث الشرع على الفعل، والثانية جاء فيها الشرع على النهي عن ذلك، أو الذم عن ذلك، بداية مع الفرد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فلْيخبره أنه يحبُّه]، انظر... إذا أحببت أخ لك في الله عز وجل، فالنبي صلى الله وسلم يقول لك "أعلمه أنك تحبه" لماذا؟ لأن لما تعلمه بالحب هذا، سيكون هناك ود. فتخيل لو أن الأخوة جميعًا كل واحد أحب أخ فأعلمه بهذه المحبة وكان معه سيظهر ذلك ود وألفة بين الأخوة، وهذا ممدوح، وهذا فيه حث، ووسيلة إلى الإجتماع بين المسلمين.

أيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم:[مَن عادَ مريضًا، مشَى في خرافِ الجنَّةِ، فإذا جلسَ عندَهُ استنقعَ في الرَّحمةِ، فإذا خرجَ مِن عندِهِ وُكِّلَ بِهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ يستغفرونَ لَهُ ذلِكَ اليومَ]، وهذه كلها حث على ماذا؟ على عيادة المريض، وأنك لما تذهب إليه فأنت ستخفف عنه، تبشره إن شاء الله بالشفاء، أو حتى بتكفير الذنوب، وغير ذلك، برفعة الدرجات. فيحث النبي صلى الله عليه وسلم على أنك تذهب لمواساة الأخ المريض، ولها مالها من الأجور.

قال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: [أفشوا السلامَ وأطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصَلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ]، "أفشوا السلام" فإفشاء السلام فيه نشر الود، نشر المحبة، الدعاء؛ دعاء بالسلام أمر عظيم جدًا، الناس لا تتدبره، وأنت تلقي السلام على أخيك المسلم ويرد عليك السلام فإنه دعاء لك من الله عز وجل له بالسلام، وهذا أيضًا هو يرد عليك ذلك. فهذه كلها وسائل لنشر الألفة والمودة بين المسلمين.

قال سبحانه وتعالى:{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ} [المائدة:2]، فكل ما كان فيه تعاون على البر والتقوى كان سبيلًا ووسيلة إلى نشر المودة والألفة بين المسلمين.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا الشفاعة -كل هذه وسائل بينها- قال: [اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما شَاءَ.] ، فهنا رغب في الشفاعة، لأن رجل الآن عليه دين مثلًا، وأنت تعلم أنه معسر، وتعلم الدائن فتذهب إلى الدائن تقول له فلان أنا أعلم حاله أنه معسر، لو أمهلته قليلًا، أو كذا، أو كذا، شفاعة له، لعل الرجل يرق قلبه لكلامك فيتجاوز عنه إلى أن الله عز وجل ييسر له، كذلك بين الأخ والأخ، وبين الأخت والأخت، وغير ذلك بالديون وغير الديون، لعل فيها مصلحة عند هذا الرجل، فأنت تشفع له بأن يقضي له هذا الأخ مثلًا المصلحة له، يستطيع أن يقضيها له، فهنا النبي صلى الله عليه وسلم رغب في الشفاعة، قال:[اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا] .

والشفاعة لو نظرت إليها ليست الأجر فقط، نعم هي كلها عبادات أنت لك فيها أجر، لكن نحن ننظر لمسألة أخرى؛ بأن الشفاعة سيكون فيها ألفة بينك وبين الأخ الذي شفعت له والأخ الذي قَبِل شفاعتك، فأنت تجد رحمة، ومودة، وألفة بين هذا وبين هذا، فينتشر هذا بين المسلمين، فتجد تعظيمًا للألفة بين المؤمنين، فلا يدخل أحد ويفرق بينهم، فيكونوا كالبنيان المرصوص، قال النبي صلى الله عليه وسلم:[فَإِنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ. لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ] ، وهذا هو النهي فيها عن الغيبة، وعن النميمة، عن الوقيعة بين المسلمين بعضهم بعض، وأكثر ما يكون في زمننا هذا بين الأخ وأخيه، بين الأخت واختها، نقل الكلام وغير ذلك، فيؤدي ذلك إلى فساد ذات البين، ويؤدي أيضًا إلى البغضاء والكراهية. قال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا:[إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ]، ينهاك عن الظن بأخيك المسلم، ينهاك عن الظن بالأخت المسلمة، فيقع ذلك إلى انتشار البغضاء والكراهية. النبي صلى الله عليه وسلم قال:[لم أُومَرْ أنْ أشُقَّ قلوبَ النَّاسِ]،

هذه أمور لابد أيضًا أن ينتبه إليها؛ أن الإنسان لا يتجرأ، وليس كالآن، ننظر الآن عالم يقضي حياته كلها، أو شيخ داعية بالثلاثين وأربعين سنة في الدعوة، ويجتهد في مسألة فيخطئ مثلًا فيها، أو لا يصيب فيها، أو يرى قولًا لا يقابله الشيخ الآخر، لينزل عليه: هذا مبتدع، وضال، وهذا من الخوارج، وهذا من أصحاب الفتن لا تسمع له، ولا تقرأ له، ولا تجتمع معه! يا شيخ الله يهديك هداك الله، هذا لو كان حتى أصلًا أخطأ في المسألة فرده في مسألته، لا أن تقدح في نفسه، وفي ذاته! من منا لا يخطئ! من المعصوم غير النبي صلى الله عليه وسلم لما عصمه الله عز وجل، فكيف التجرؤ على الناس، وبالذات لو كانوا من أهل العلم، لحوم العلماء مسمومة، فتجدهم يوزعون هكذا التهم يمينًا ويسارًا على حسب هوى النفس، وليس بضوابط شرعية.

كذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ]، وقال صلى الله عليه وسلم: [ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنَافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْوانًا]، فكل هذه وسائل جاء بها الشرع على نشر الود والمحبة بين المسلمين، ونبذ البغضاء.

بل ارتقى أكثر من ذلك، انظر إلى المعاملات؛ تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه، لماذا نهى هذا النهي؟ ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه أيضًا؟ لأن فيه إيغار في الصدور، أنت تبيع الآن ويأتي أحد آخر يراك تبيع فيبيع على بيعك، ويعلي عليك، أو ينزل عن السعر، وغير ذلك، هذا انتشار بغضاء وكراهية بين المسلمين، تأتي لتخطب أمراة فيأتي أحد آخر مثلًا عنده زيادة في الخلق، أو زيادة في الدين، أو في المال، أو أي شيء، فيدخل عليك وأنت تخطب هذه فيها بغضاء وكراهية.

فانظر إلى كل هذه الآثار، أو الأحاديث، أو الآيات التي جاءت، تجد أن الأصل فيها كلها هو الحفاظ على الود والألفة والمحبة، واجتماع أهل الإسلام مع بعضهم بعض، وعدم الوقوع في الفرقة. إذًا هذه واضحة جدًا على أن الفرقة مذمومة.

وأنا أختم في هذه الموضع تحديدًا ما حدث في المدينة عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَن يَعْذِرُنِي مِن رَجُلٍ قدْ بَلَغَ أَذَاهُ في أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ علَى أَهْلِي إلَّا خَيْرًا، وَلقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا، وَما كانَ يَدْخُلُ علَى أَهْلِي إلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ الأنْصَارِيُّ، فَقالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ منه، يا رَسُولَ اللَّهِ، إنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وإنْ كانَ مِن إخْوَانِنَا الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ وَهو سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقالَ لِسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ علَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَهو ابنُ عَمِّ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، فَقالَ لِسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فإنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ فَثَارَ الحَيَّانِ الأوْسُ وَالْخَزْرَجُ حتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَائِمٌ علَى المِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ] حتى انتهت المسألة، نقول هنا قامت الفرقة أم لا؟ قامت الفرقة والتنازع في ذلك، وأخذتهم الحمية.

الأمر هذا الذي يجرنا إلى الموضع الذي سيتكلم عنه المؤلف الآن، على أنه نهانا الله عز وجل عن الفرقة، ومع ذلك قدر علينا الفرقة، بل بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرقة ستقع في الأمة- وهذا الموضع الثالث- **أن الفرقة منهي عنها شرعًا وواقعة قدرًا أو كونًا.**

ما الحكمة في ذلك؟ ما الحكمة أن الله عز وجل ينهى عنها شرعًا ومع ذلك تقع قدرًا وكونًا؟ هذه لها طبعًا حكم لابد أن نبينها، لكن نرجع للقراءة الآن في هذا الموضع الذي معنا الآن.

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

ثُمَّ اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْلَمَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ خَلْقِهِ لِيُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مَوْعِظَةً يَتَذَكَّرُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَحْذَرُونَ الْفُرْقَةَ، وَيَلْزَمُونَ الْجَمَاعَةَ وَيَدَعُونَ الْمِرَاءَ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ , وَيَتَّبِعُونَ وَلَا يَبْتَدِعُونَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ :أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟ قِيلَ لَهُ :قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودَ : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: ١١٨]، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّبِعَ مَا أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَتَّبِعَ أَهْوَاءَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَفَعَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَذَّرَ أُمَّتَهُ الِاخْتِلَافَ وَالْإِعْجَابَ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم الْجَاثِيَةِ : {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الجاثية: ١٦]، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: ٢٠]

وهذا الموضع الثاني الذي بيّن فيه الله عز وجل -كما ذكر المؤلف- أن إذا كان قد حذرنا من من الفرقة، فقال: قَدْ أَعْلَمَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ

الإختلاف بَيْنَ خَلْقِهِ لِيُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وقد ساق الآيات، ومنها قوله سبحانه وتعالى: :{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود: ١١٨] إلى آخر الآيات التي قد بيناها.

فجاءت الآيات تبين على أن الفرقة واقعة في الأمة.. مع نهي الله عز وجل عن ذلك؟ نعم، وهذه نقول نهى عنها شرعًا ووقعت قدرًا، وأوضح ما يكون في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً , وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً , وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قيل : من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي]، وفي رواية [هُمُ الجماعةُ]، يقصد الجماعة، وهنا دلالة واضحة وصريحة على أن الفرقة أيضًا ستقع كونًا، وأيضًا في الآيات وفي هذه الحديث بل من حديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال: [سألتُ ربي ثلاثًا ، فأعطاني اثنتينِ، ومنعني واحدةً ؛ سألتُ ربي أنْ لا يُهلِكَ أمتي بالسَنَةِ ، فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لَّا يُهلِكَ أمتي بالغرَقِ ، فأعطانِيها ، وسألْتُهُ أن لَّا يَجْعَلَ بأسَهم بينَهم ، فمنَعَنِيها]، إذًا فيه دلالة على أن استجاب الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في الأولى والثانية، ومنعه الثالثة، وهذه فيها ألا يجعل بأسهم بينهم، فهذه دلالة على وقوع الفرقة أصلًا أيضًا كونًا.

وفي رواية البخاري عن حديث جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما: [لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {قُلْ هو القَادِرُ علَى أنْ يَبْعَثَ عليكُم عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ} [الأنعام: 65]، قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، {أَوْ مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ} [الأنعام: 65] قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65] قالَ: هَاتَانِ أيْسَرُ]، وانظر.. استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم في الأولى والثانية، أوحي إليه بأن الله عز وجل سيستجيب له، لأن طبعًا الأولى ليست بالهينة { قُلْ هو القَادِرُ علَى أنْ يَبْعَثَ عليكُم عَذَابًا مِن فَوْقِكُمْ} [الأنعام:65]، عذاب من الله عز

وجل يهلك الأمة، {أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} [الأنعام: 65] فاستعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الأولى ومن الثانية، قال: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام:65] قال "هذا أيسر"، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم ما استعاذ منها لأنه علم في الأول بأنه طلب من الله عز وجل الثلاثة فأعطاه إثنين ولم يعطيه الثالثة، فكأن هذا دلالة على أن الفرقة بين المسلمين ستقع، وستكون كونًا واقعًا.

لو قلنا بأن الفرقة واقعة كما جاءت الآيات والأحاديث تبين ذلك، فما الحكمة من أن الله عز وجل نهى عن الفرقة شرعًا مع وقوعها كونًا؟

أهل العلم تدبروا هذه الأمور واجتهدوا في بيان الحكمة التي من أجلها ذم الله عز وجل أو نهى عن الفرقة، مع أنه قد قدرها أن تقع كونًا.

1-أولًا؛ كما هو دأب كثير من الأوامر والمنهيات أن يظهر فيها **العبودية لله عز وجل**، لأن المرء لن يكون عبدًا لله عز وجل بحق حتى يسلم إلى الله التسليم التام، ويخضع ويتذلل إلى الله عز وجل خضوعًا تامًا، وهذا الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فتجد أولياء الرحمن ما أتاهم من أمر من الله عز وجل أو نهي من الله عز وجل إلا خضعوا وسلموا وأطاعوا في ذلك الله عز وجل، قال الله عز وجل على لسان ابراهيم: {إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [البقرة:131]، فهذا هو الاستسلام الحق، ولا يكون إلا لأهل الإيمان، فلذلك كانت هذه المسألة فيها إظهار لعبودية أهل الإيمان لله عز وجل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللَّهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم نبيا] ، ولا يمكن أنك ستذوق طعم الإيمان إلا أن تأتي بهذه الثلاثة؛ أن ترضى بالله ربًا؛ ورضاك بالله ربًا هو الإمتثال لأومره والإنتهاء عن نواهيه، وبالإسلام دينًا وبمحمد النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا؛ باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا الأمر الأول.

2-الأمر الثاني في مسألة الحِكَم التي نظر اليها أهل العلم في هذه المسألة التي معنا الآن: **التمايز**؛ وهذه أهم مسألة- وأراها ذلك، التمايز، والتمايز بين أهل الحق وبين

أهل الباطل الكل يدَّعي أنه على الحق، والكل يدَّعي أنه منتسب لأهل السنة، بل الكل يتجرأ ويريد أن يكون هو أهل السنة والجماعة من بعض الطوائف وغير ذلك يسمون أنفسهم ذلك، ويقول أن الحق معي والباطل مع غيري، وأنا الذي على الصراط وغيري ليس معي!

ولكن هذا الأمر أرسله الله عز وجل وبينه ليمايز بين الصالح وبين الطالح، يمايز بين أهل الحق وأهل الباطل، قال سبحانه وتعالى:{ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ} [الأنفال:37]، وقال سبحانه وتعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [آل عمران:155]، فلما حدث في غزوة أحد لما خالف الرماة قول النبي صلى الله عليه وسلم، كان هذا تمايز، ليعلم من هم الذين يطيعون الله عز وجل ويطيعون النبي صلى الله عليه وسلم حق الطاعة، ومن الذين يختلفون عليه، فقال سبحانه وتعالى: {فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [العنكبوت:3]، كل هذا تمايز. قال الله عز وجل معاتبًا للنبي صلى الله عليه وسلم:{عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [التوبة:43]. فكل هذه الأمور والحِكَم تمايز.

ولذلك انا أقول لا يحزن الإنسان من شيء بما يحدث حوله، بل يعلم أن من إيمانه بقضاء الله عز وجل وقدره، وأن ما يكون فيه الأمة الآن وما يحدث لأفرادها أو ما يكون فيه علو للباطل على الحق، فهذا كله بقدر من الله عز وجل، وهذا كله ليتمايز، فما يكون علو للباطل إلا لترى الآن من الذي يتبع الباطل، ومن الذي وقف على الحق، فيغربل الله عز وجل الأمة؛ يمايز بين الناس، فلا تحزن أخي المسلم وأختي المسلمة على ما يرى الآن، كله فيه حكمة، لكن المهم تحزن عندما تجد نفسك ليس على الطريق المستقيم؛ على طريق الحق، وانتقلت إلى طريق الباطل، هذه هي المصيبة الكبرى؛ أنك لا تجد نفسك مع أهل الحق، تجد نفسك فتنت ومع أهل الباطل.

أما علو الباطل في زمن من الأزمان، وانخفاض الحق، فهذه {وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ} [آل عمران:140]، الله عز وجل بين ذلك، لكن الأصل فيها هو التمايز، فان فقهت هذه المسألة وإن علا الباطل ورُوِّج له، لكن أنت تقف على الحق، وتعلم أنك على الحق، لا تحزن، بل تسعد أشد السعادة أن الله عز وجل وفقك، وسددك على أنك ما زلت من أهل الحق، وإن كانوا على القلة حتى ، وأنك لم تفتن، والله هذه نعمة لا يتدبرها كثير من الناس، ينشغلون بأمور أخرى ولا يعلمون النعم التي أنعم الله عز وجل عليهم بأنهم على الحق، وأنهم مع أهل التوفيق والسداد.

هذا التمايز عظيم جدًا، وقع ما وقع من الناس عندما تحدث الفتن تجد أناس ظهروا، والله عز وجل لما يُظهر هذا الباطل نأتي إلى الحكمة الثالثة:

3- **لما يُرَوِّج لهذا، فيَظهر الباطل، يأتي الله يدفع الباطل بالحق، فينتصر الحق ولو بعد حين**، لكن لا يمكن للحق أن ينتصر حتى يعلو الباطل فيظهر ويعلو ويظهر للناس، فيأتي أهل الحق فيزيلون هذا الباطل، وقال الله عز وجل: {إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء:81]، فالباطل ينتفخ وينتفش ويعلو ويكبر، وهذه الحكمة عند الله عز وجل؛ حتى الله عز وجل يظهرهم ويجعلهم في جانب، ثم يأتي أهل الحق بعد ذلك فلا يكون عندهم إشكال لأنهم قد تمايز الصفان، فالآن يستطيعون أن يزيحوا الباطل، ويعلوا الحق بعد ذلك.

ولكن لابد طبعًا من أسباب يتخذها أهل الحق حتى يُمَكِّن الله عز وجل لهم، لكن أقول أن هذه حكم عظيمة جدًا في هذا الاختلاف الذي يحدث، لو تدبرها المرء ما انشغل إلا بأنه يثبت نفسه على الحق، وما انشغل إلا أن يكون مع أهل الحق، ولا ينشغل كثيرًا بأهل الباطل وما هم عليه، إلا أن كان دعوة لهم لعل الله عز وجل يرجعهم إلى الصواب، إلى الحق.

لكن هنا لما نقول الآن، هل معنى ذلك أننا نقف؟ الله قدر كونًا أن الفرقة ستحدث، فنقول خلاص قدر الله عز وجل كونًا بأن الفرقة ستكون، فنحن ليس لنا شيء نفعله؟!

نقول هنا لابد أن نبين أن:

أقدار الله عز وجل على نوعين:

قدر لا مَدفع له منك،

ولابد لك من التسليم له؛

قدر لابد أن تدفعه، وقد أمرك الله عز وجل أن تدفع ذلك، والفُرقة –هذا القدر–؛ وجب عليك أن تدفعه ولا تستسلم له.

لكن النوع الأول: المصائب التي تنزل عليك، كما تنزل عليك المصائب الآن، فأنت ليس لك إلا أن تسلم، وترضى، تصبر ثم ترضى، ولو شكرت فهذا علو، لكن الأصل وجب عليك الصبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما مر على المراة التي كانت على قبر ابنها، فرآها تبكي بكاء شديدًا، فأراد أن يخفف عنها، قالت: إليك عني، ولم تكن تعلم النبي صلى الله عليه وسلم، فتركها النبي صلى الله عليه وسلم وذهب، فلما علمت بأنه صلى الله عليه وسلم أرادت أن تدخل عليه تعتذر له، قالت ما علمت أنك رسول صلى الله عليه وسلم، فقال: [إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى]، فأراد أن يبين لها بأن الصبر واجب.

ثم العلماء تكلموا في هذه المسألة؛ مسألة أنك تصبر على أقدار الله، ثم الأعلى من ذلك أنك ترضى بذلك؛ ترضى وتسلم بما قدره الله عز وجل عليك، والبعض قال أعلى من ذلك أن تشكر الله عز وجل على ذلك، وتعد هذه من المنح وليست من المحن، وهذا كان دأب العلماء الصالحين والسلف أجمعين، أن ينظرون إلى أقدار الله التي لا يمكن دفعها كما في حديث عندما حاج موسى آدم عليه السلام في إخراجه من الجنة، قال آدم: [أَتلومني عَلَى أَمرٍ قدَّرَه اللَّهُ عليَّ]،لا حيله لآدم في ذلك،

قدر الله عز وجل عليه أن يخرجه من الجنة نتيجه المعصية التي قد فعلها من أكله من الشجرة. فهنا قدر لا مدفع لك فيه، لابد لك من التسليم فيه.

لكن القدر الذي لابد أن تدفعه هو القدر الذي قد بينه الله عز وجل نهانا عن الاختلاف فتأخذ بالوسائل التي قد تكلمنا عنها في بداية الحديث، وحتى تدفع هذا القدر الذي قد أمرك الله عز وجل به.

سندخل على مسألة أخرى؛ آخر موضع في هذا الباب الذي ذكر فيه الآيات، وهو مسألة الاختلاف، لأن هنا تعرض لمسألة الاختلاف، وأنواع الاختلاف، وهل الاختلاف كله مذموم؟ أم هناك اختلاف ممكن يكون مقبولًا؟

سأوجز في هذه المسألة حقيقة، لأنها قد أشار إليها المؤلف في آخر الجزء، ولكن سنحاول نجمل فيها الكلام لأن مباحثها أكثر في الأصول، وأحيانًا في العقيدة، وفي كتب السنة أيضًا، لكن سنعطيها بقدر ما نستطيع حتى نوفي الباب حقه.

قال المصنف رحمه الله:

4- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَرَاطِيسِيُّ قَالَ: ثنا أحمد بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ قَالَ: أنا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} [الأنعام: ١٥٩] وَقَوْلُهُ: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} [آل عمران: ١٠٥] وَقَوْلُهُ: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران: ٧] وَقَوْلُهُ: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} [النساء: ١٤٠] وَقَوْلُهُ: {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣] وَقَوْلُهُ: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} الشورى: ١٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَذَا مَا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَلْزَمُوا الْجَمَاعَةَ وَيَحْذَرُوا الْفُرْقَةَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَاذْكُرْ مِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ حَذَّرَ أُمَّتَهُ ذَلِكَ قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، وَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَهُ، وَتَحْذَرَ الْفُرْقَةَ وَتَلْزَمَ الْجَمَاعَةَ وَتَسْتَعِينَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ عَلَى ذَلِكَ

هذا آخر الكلام في هذا الباب الذي استدل به المؤلف من الآيات، وسيذكر لنا بابًا آخر بعد ذلك في نفس المعنى لكن استدلالًا بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن هنا ختم الباب بمسألة أخرى، بعد أن بين في بداية الباب النهي كيف كان اختلاف الأمم السابقة، ثم بين الآيات في ذم الفرقة بين المسلمين، ثم تكلم عن مسألة أن الفرقة واقعة، أيضًا تكلم عن الاختلاف. ذكر في آخر الكلام ونهاهم عن الاختلاف والفرقة.

وسنعرج قليلًا على الاختلاف ما استطعنا، وما المقصود بالاختلاف؟ وهل كل الاختلافات مذمومة؟ أم هناك خلاف مذموم وخلاف غير مذموم؟

نقول **الاختلاف في اللغة** بمعنى المضادان، و**الاختلاف في الاصطلاح** هو منازعة تجري بين متعارضين أو بين متخاصمين لإبطال باطل أو لإحقاق حق. وهذا يجعلنا نتكلم عن أن الاختلاف أنواع.

النوع الأول في الاختلاف: اختلاف التنوع؛

واختلاف التنوع هو الاختلاف الذي جاءت فيه أدلة من الشرع واضحة جلية، فكل قول له دليل واضح وجلي في ذلك، فهذا يسمى خلاف تنوع، وأن كل واحد من أصحاب الأقوال معه حق، والحق أن هذا لو ستنظر إليه هو ليس باختلاف، لأن كلهم على الحق في هذه المسألة.

فمثلًا لكي تظهر لكم... بعض العبادات جاءت فيها كيفيات مختلفة، وكلها جاءت بأدلة، فمن قال مثلًا أن الوتر ركعة واحدة، ومن يرى أن الوتر ثلاث ركعات، ومن يرى أن الوتر خمس ركعات، ومن يرى أن الوتر يصلى ركعة واحدة بتشهد واحد، وهناك من يرى ثلاث ركعات بتشهدين- أي إثنين وسلام ثم واحدة وسلام- وهناك من يرى بأن الوتر خمس ركعات بتشهد واحد، أو ثلاثة بتشهد واحد، وهذه مسائل تجدها موجودة في كتب الفقه، هذا خلاف تنوع لا إنكار، أي أن كلهم على الحق.

أو مثلًا دعاء الاستفتاح في الصلاة، فهذا له ذكر، قول النبي صلى الله عليه وسلم: [اللَّهمَّ باعِدْ بَيْني وبَيْن خَطاياي كما باعَدْتَ بَيْنَ المشرِقِ والمغرِبِ]، هذا ذكر. وقول النبي صلى الله عليه وسلم:[سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وتَعَالَى جَدُّكَ، ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ]، هذا أيضًا ذكر.

صلاة الخوف؛ لها كيفيات مختلفة. القراءات؛ وهذه حدثت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، مثلًا عندك (مالك يوم الدين) و (ملك يوم الدين)، مثلًا (اهدنا الصراط) و (اهدنا الزراط) بالزاي، هذه أيضًا قراءة. وكلنا يعلم قصة عمر بن الخطاب والصحابي الذي سمعه يقرأ فجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إقرأ، وإقرأ، فقال [كِلَا كُما مُحْسِنٌ]، أو "هذا أنزل عليّ، وهذا أنزل عليّ"، وإنما نزل القرآن على سبعة أحرف. أو حديث ابن مسعود الذي فيه [كِلَا كُما مُحْسِنٌ].

كل هذا خلاف تنوع، كل من قال بقول هو على الحق لأن معه دليل، وهذا الاختلاف ليس بمذمومًا، وليس فيه ذم. والذي جعلنا نقول ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لهما [كِلَا كُما مُحْسِنٌ]، ثم بعد أن قال "كلاكما محسن" قال:[ولَا تَخْتَلِفُوا، فإنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا]. إذًا هنا يوجد خلاف لا إنكار فيه لو تنوع، فبينه [كِلَا كُما مُحْسِنٌ]، لكن حتى لا يظنوا أن الخلاف لا إشكال فيه بيّن أيضًا أن هناك نوع خلاف، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [ولَا تَخْتَلِفُوا، فإنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا] مع أنه يقول [كِلَا كُما مُحْسِنٌ]، لكن هنا هذا يدل على أن الخلاف الثاني الذي معنا الآن هو خلاف التضاد.

النوع الثاني في الاختلاف: اختلاف التضاد؛

وهذا الخلاف أضيق من الخلاف الأول، وخلاف التضاد ممكن أن يحدث فيه التنازع، وتحدث فيه الفرقة، وخلاف التضاد حقيقة مراتب؛ مراتب بمعنى أن **هناك خلاف تضاد يحتمله الشرع**، ماذا يعني يحتمله الشرع؟ أي الذي قال بقول عنده أدلة، والثاني الذي يضاده عنده أدلة، لا يمكن أن يكون تنوع، لو تنوع قلنا سنقبل أي ذكر تقوله نقبله، أي صلاة تقولها، لكن هذا التضاد لا ليس كذلك، هذا فيه تضاد بمعنى أنت تقول قول، وصاحب القول الثاني يقول قول آخر مضاد لك، لكن هذا عنده أدلة، وهذا عنده أدلة، وهذه تجدها كثير في الفقه، خاصة في العقود والمعاملات أكثر وبعض العبادات أيضًا، يعني أنت تنظر بعض المعاملات تجد بعض الفقهاء يصححون عقدًا، والبعض يبطلون بعض العقود أو بعض الشروط، ويحدث خلاف في ذلك، تجد القول مضاد، هذا يقول بحلية، وهذا لا يقول بحلية، هذا عن اجتهاد وهذا عن اجتهاد، هو تضاد لكنه لا ينكر فيه الأول عن الآخر لأن أي منهما معه أدلة، لأن المسألة محلها اجتهاد ليس فيها النص، هو لم يخالف نصًا صريحًا، هو المسألة فيها اجتهاد، وهذه مرتبة من خلاف التضاد الذي يسمى خلاف سائغ مع أنه التضاد فيه، فهذا ليس فيه إنكارًا، ولكن هو طبعًا يقيد.

منه مثلًا في المعاملات الأحناف مثلًا يرون بأن عقود الاستصناع عقد مستقل، الجمهور يرون بأن عقد الاستصناع كأنه عقد سلم لكن ناقض الشروط، فيجعلون عقد الاستصناع كالسلم فيطبقون عليه شروط السلم، الأحناف لا يقولون ذلك، يقولون عقد مستقل فيسمحون بالتقسيط فيه، وبالتجزئة، وعدم دفع رأس المال مقدمًا كاملًا، وكل هذا خلاف مع أنه تضاد، لكنه هم معهم اجتهاد في المسألة، والجمهور معهم اجتهاد في المسألة، لكن هنا هذه مرتبة من مراتب خلاف التضاد الذي لا ينكر فيها. ولكن طبعًا هو الحق واحد، لكن أقصد لا ينكر على المخالف ما دام مجتهدًا في المسألة.

لكن **المرتبة الثانية التي نتكلم عنها اختلاف التضاد لكن لا تحتمله الشريعة،** الأول يحتمله الشريعة أي ممكن نحتمله نقول أنت أخذت بهذا القول، أو هذا القول يحتمل، لكن هناك خلاف تضاد لا تحتمله الشريعة وخاصة في مسائل العقيدة أو كان حتى في المعاملات ولكن يخالف نص، فلا نقبله، أي ممكن نقبل في الاجتهاد لكن لا تأتي مثلًا كما الأحناف فعلت في بيع المصرات، فهناك حديث بعدم جواز بيع المصرات، فالجمهور يقولون يقولون أنه حرام، وأنه خالف القياس، والأحناف لا يقولون بأنه حرام، فأنتم خالفتم نص حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فنقول أن هذا خلاف مطروح، فنقول لا هذا ليس خلافا فيه اجتهاد سائغ، أنت تخالف نص الآن، فلما تخالف نص نرد عليك هذا الخلاف، ونقول لا هذا الخلاف لا يُقبل. فالأحناف لا يعملون بالحديث، قالوا حديث آحاد، فخالفوا الحديث، فالأحناف تقول مخالف للقياس في عدم الرد، والنبي صلى الله عليه وسلم قال يرد صاع من تمر. فالأحناف قالوا بعدم رد صاع من تمر، رد القيمة، والنبي صلى الله عليه وسلم قال يرد صاع من تمر مقابل اللبن. فنقول هم صادموا نصًا، فنقول هذا ليس خلاف، هو تضاد ولكن ليس من المرتبة التي تستحسن في الشريعة، هذا لابد يرد عليه.

وأيضًا الاختلاف لابد من تحقيق المناط فيه، لأن الاختلاف قد يكون في مسائل عقائدية، وقد يكون في مسائل عملية. والمسائل الاعتقادية الأصل أن أهل السنة والجماعة والصحابة في زمن القرون الخيرية لم يكن هناك خلاف في أصول الاعتقاد، هناك خلاف في بعض المسائل.

كالخلاف مثلًا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه، ابن عباس يقول رآه، عائشة اشتدت وقالت من قال أن النبي رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فهذا خلاف من الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم.

وخلاف أيضًا في في أن الميت يعذب ببكاء أهله، كما قال ابن عمر، وردت أيضًا عليهم عائشة، وهذا أيضًا من الخلافية.

لكن هذه كانت في مسائل نقول فرعية، لكن أصول الاعتقاد لم يكن فيها خلاف، لذلك لما يأتي أحد ويخالف في مسائل الاعتقاد؛ سواء من أول القدرية بداية الذين يتكلموا في القدر، أو يتكلمون في الجبر بعد ذلك؛ كما "الأمر أُنُف"، أو الخوارج – لو قلنا بالترتيب الزمني– في التكفير بالمعصية، وغير ذلك أيضًا، أو يأتي بعد ذلك ما حدث في الأسماء والصفات؛ الجهمية، والمعتزلة، والماتريدية، والأشاعرة، والمشبهة، كل هذه اختلافات في أصول الاعتقاد، وهذه أيضًا من خلاف التضاد الذي لا يقبل في الشرع، ولا يمكن أن يمرر، وليس هذا من نوع الخلاف الذي ورد عن الصحابة الذي قلناه الآن. لا أحد يظن أن الخلاف الذي قلناه في المسائل التي قلناها يقول الصحابة اختلفوا! لم يختلفوا في الأصول كما قلنا، اختلفوا في بعض المسائل فقط، لكن لم يختلفوا في مسألة ما معنى الإيمان؟ ولم يختلفوا في مسألة القدر، ولم يختلفوا في مسألة اثبات الأسماء والصفات لله عز وجل، وغير ذلك من الأمور التي كانت مستقرة.

فهذا خلاف تضاد لا يقبله الشرع، بل مردود على من قال ذلك، بل لابد من المفارقة مع هؤلاء، وهذا اللي قلناه في الفرقة الأولى.. لماذا؟ لأنك الآن لا يأتي واحد يقول لك نعذر بعضنا فيما اختلف فيه، ويجمع بعضنا بعضًا فيما اتفقنا عليه! أو كما قالوا هذه الجملة الشهيرة ويقول لك: ضم هؤلاء كلهم ليكونوا من أهل السنة. بل هذا لا يمكن أن يحدث. ليست هذه الفرقة التي أمرنا الله عز وجل بالاجتماع بها، بل أمرنا بأن نفارق هؤلاء.

لابد لنا من الاجتماع فقط مع أهل السنة والجماعة، بل لابد أن تمايز مع هؤلاء، لأنك أنت لو أدخلت هؤلاء في بوتقة أهل السنة والجماعة مع هذه البدع التي عندهم فلن يحدث التمايز، بل يحدث التخليط، بل يؤدي إلى ضياع نفوس عامة المسلمين، يظنون أن هؤلاء على الحق مثلهم مثل غيرهم، وهذا هو أصل هلاك الأمم السابقة من المسلمين؛ الدول الإسلامية السابقة القديمة، كانت بانتشار البدع فيها وعدم ضبط الناحية العقائدية، فأنت الآن لا يمكن أن تأتي وتقول لا، أنا أجمع هؤلاء

وأقول بأن هؤلاء يسعنا فيهم الخلاف! هذا لا يمكن أن يكون من الخلاف الذي يسع بينك وبينهم.

لكن توجد مسائل أخرى نعم يسع فيها الخلاف، لما اختلفوا مثلًا في الآية من قوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ} [البقرة:115]، فبعض أهل العلم من أهل السنة بعضهم قالوا هذه آية صفات، وبعضهم قالوا هذه ليست آية صفات وغير ذلك، هذا خلاف يقبل، يمرر.

هذا الخلاف الذي تكلمنا عنه هذا خلاف ليس بسائغ، وهذا خلاف من خلاف التضاد الذي لابد فيه من المفارقة.

أنا أجمل المسألة؛ في مسألة الخلاف، ومنها طبعًا الأمثلة كثيرة، أنا جئت بأسماء فقط الفرق، فلا يأتي أحد يقول لك الخلاف مثلًا في اثبات {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه:5]، هذا خلاف يجمع! كيف يجمع وهو ينفي؟! أو يقول اليد القدرة والنعمة! كيف هذا وهو يخالف ظاهر القرآن، ويخالف فهم النبي صلى الله عليه وسلم، وفهم الصحابة! كيف تجمعه معك! أنت لو تركته سيؤول لك، أو يحرف لك كل باقي آيات الصفات. فهذا خلاف نقول.

لكن هناك خلاف في مسائل فرعية أخرى لا ينكر فيها، كمسألة افراد يوم السبت بالصوم، هذه مسألة اختلف فيها الفقهاء أصلًا، أي أن بعضهم قال بتحريم صوم يوم السبت للحديث، وكلها دائرة على الحديث: [**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض الله عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه**]، فالذي صحح الحديث من المعاصرين الشيخ الألباني- رحمة الله عليه- فيرى التحريم منفردًا أو غير منفرد، وبعض أهل العلم قالوا يجوز الصيام، بعضهم قال مقرونًا فقط، وبعضهم قال ويجوز أيضًا منفرد، وحدث الخلاف. فالمسألة قائمة على ماذا؟ على تصحيح وتضعيف الحديث وأدلة خرى، فهذا خلاف نعم هذا نقول لك هذا خلاف تضاد لكنه مقبول، لأنه يسوغ فيه الاجتهاد.

لكن ليس معناه حتى أبين المسألة– فقد بينا خلاف التضاد الذي لا يقبل؛ الذي إما يصادم نصًا سواء كان في العمليات؛ في الفرعيات، أو في العقائد، والخلاف طبعًا في أصول العقيدة أصلًا هذا مردود، هذا لا ينظر إليه، لكن حتى الخلاف الذي قلناه الذي ليس فيه إنكار وفيه اجتهاد، الذي فيه راجح ومرجوح، أقول الذي يسوغ فيه الاجتهاد، لكن ليس معناه أيضًا أنك تعمل بالإثنين! لأن أصبحنا الآن كل فترة بنبتلى بأناس يلبسوا على الناس، نعم أنت تقول الآن أن هناك خلاف، وهناك تضاد، لكن يسوغ الاجتهاد فيه، أي هناك راجح وهناك مرجوح، نعم، لكن ليس معناه أنك تقول للناس خذوا الأدلة، وخذوا الأقوال وأنتقوا ما شئتم! هذه زندقة...لماذا؟ لأنك أنت الآن مع أننا قلنا الخلاف تضاد وتسعه الأمة، لكن من باب أن هذا مجتهد، وهذا مجتهد، هذا رأى الدليل هنا، وهذا رأى الدليل هنا، فقال بهذا القول، لكنه يوجد راجح ومرجوح، ولكن ليس لك كعامي أنك تنتقي من الأقوال ما شئت! بل لابد تتبع، ولو علمت بأن هذا القول الذي تتبعه مع العالم أو مع إمام المذهب مخالف لقول النبي صلى الله عليه وسلم، أو للدليل وجب عليك الإنتقال من هذا المرجوح إلى الراجح.

ولكن الأعظم مصيبة منها الذين يقولون الآن بأن هذه الأدلة واختار! فنحن لو تركناهم يختاروا فسيذهبوا عند أهل المدينة كانوا بيسمعوا المعازف، يقول لك المدينة بيسمعوا المعازف، ويذهب عند أهل الكوفة كانوا يروا بحلية النبيذ؛ وهو التفاح الويسكي، فيذهب يشرب ويسكي، ثم عند مذهب كما قلت من قبل سفيان الثوري يرى بحليه النظر إلى عورة المرأة الكافرة، فيذهب يجلس في الملهى الليلي في أي شارع من الشوارع المشهورة يتفرج على النساء العاريات الكافرات بمذهب سفيان، ويشرب الويسكي بمذهب أهل الكوفة، ويسمع الغناء بمذهب أهل المدينة، وممكن أيضًا يأخذ ربا الفضل بمذهب أهل مكة! فيكون جمع كل الكبائر، ويقول لك أنا معي الآن أقوال! ما هو سفيان مذهب، وأهل المدينة عندهم عمل أهل المدينة، وعمل أهل الكوفة الإمام أبو حنيفة، ويكون بذلك تزندق!

فهذه المسألة نقول مهم جدًا أن نبينها لأنها يروج لها الآن، يخرج الفلان الفلاني ويعرض على الناس أقوال الفقهاء، ويقول له معك سبع أقوال اختار الذي تريده، استفت قلبك ومالكش دعوة بالعلماء والفقهاء! وهذا تضليل للناس وردهم عن الدين الحق. فيأتي لك من بواطن الكتب ويقول لك فلان بن فلان بن فلان قال كلمة في مسألة وأنه قول في الفقهاء، ويأتي به لك من آخر الكتاب في الحاشية ويقول لك أليس هذا عالم من العلماء؟

في النهاية نوجز المسألة في حكم الاختلاف أن قلنا أنه يوجد خلاف سائغ، وإن كان أيضًا يحتمل، خلاف التنوع انتهينا منه، وخلاف التضاد منه خلاف سائغ والذي في التضاد وهذا كثير موجود، والذي مداره على الاجتهاد نقول، وهناك خلاف مذموم، وهو الذي لا يمكن أن نختلف فيه وهو خلاف التنوع، أي أن الخلاف السائغ هو أن اختلف معك في الراجح والمرجوح، فأقول لك أنا أخالفك فهذا ليس مذمومًا، فلا تأتي وتقول أنت بتخالفني وهذا اختلاف ما بينا وبينكم والنبي صلى الله عليه وسلم والله عز وجل أمر بالفرقة! أقول لك لا، أنا أخالفك لأن هذا خلاف سائغ، أنا لا أقول بقولك لأن الدليل ليس معك، فهذا ليس فيه ذنب، هذا مقبول، بل هو لو كان تبين لك فيجب عليك أن تفعله.

لكن الخلاف المذموم الذي هو خلاف التنوع، أنا ما أخالفك في المسائل التي فيها خلاف تنوع، لن أقول لك لابد تقول الذكر الفلاني، ولابد توتر، لذلك البعض يدخل فمثلًا يبدع من يقنت في الصبح ويراه بدعة. طبعًا الإمام الشافعي كان يقنت واستدلوا بحديث أنس رضي الله عنه وأرضاه –حديث صحيح– قال قنت النبي صلى الله عليه وسلم شهرًا ومازال النبي يقنت حتى مات. فقال الشافعي بسنية القنوت في الفجر. فأنت بذلك تبدع الشافعي! ليس لأنه الشافعي، ولكن لأن معه دليل.

لذلك جاء رجل للإمام أحمد يقول له إمامنا يقنت في الصبح، فجاء يشتكي الإمام أحمد فقالوا ما رأيك أتصلي خلف الشافعي؟ قال ومن لا يصلي خلف الشافعي؟ قالوا

فإن الشافعي كان يقنت في الفجر، فسكت الرجل وانصرف. إذًا المسألة خلاص فيها دليل، فيها خلاف، حتى وان لم نقل به، لكن لا يمكن هنا أن يحدث الخلاف، فيه تجرؤ على المخالف لأن معه دليل.

أما الخلاف المذموم أن يكون هناك في خلاف التنوع، فلا أخالفك في ذلك، بل أقبلك. وأنا أقصد في الخلاف هو ما تخالفني في الأمور التي فيها الدليل يسعنا، تنوع، التنوع أن أقول أوتر بواحدة أوتر بثلاثة أوتر بخمس لا تنازعني، هذا خلاف، فإن أخالفك فيه فهذا مذموم.

ويظهر في التراويح، يأتي بعض الناس يذهبوا للإمام: لماذا أنت بتوتر بواحدة؟ هو معتقده ويريد أن يوتر بواحدة، لا اوتر بكذا.. يا حبيبي هذا خلاف تنوع، الخلاف فيه هنا مذموم، أي إن خالفت الإمام تكون مذمومًا، ليس لك أنك تخالفة في ذلك، هذا الذي أقصده في هذه المسألة.

الختام هنا بأن **هناك فارق بين الفرقة وبين الاختلاف، لذلك بينهما عموم وخصوص**، كل فرقة لابد لها من اختلاف، لكن ليس كل اختلاف لابد له من فرقة. كل فرقة لابد لها من اختلاف لأنه نابع من خلاف، الفرقة نفترق لابد فيه من الخلاف، لكن كل اختلاف لا يؤدي إلى فرقة. ممكن أنا أختلف معك ونظل نحن جماعة المسلمين؛ نختلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الإسراء والمعراج، نختلف في هل ثواب الميت يصل إليه؟ والمسألة متكررة جدًا.. نقرأ القرآن له؟ أم نتصدق عنه؟ فبعض أهل العلم يقولون بثواب القراءة، وبعض أهل العلم يقول ليس هناك ثواب للقراءة في ذلك، وممكن هنا نختلف في هذه المسألة نعم، لكن لا نفترق. لذلك هناك فارق بين الفرقة وبين الاختلاف؛ كل فرقة فيها اختلاف وليس كل اختلاف فيه فرقة.

هذا آخر الكلام في هذا الباب، نحن أطلنا فيه، نقف عنده وعند قول المصنف: باب ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الرابعة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَانتم مُّسْلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ان ٱللَّهَ كَان عَلَيْكُمْ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلا سَدِيدا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري –عليه رحمه الله تعالى– وقد انتهينا من الباب الأول؛ باب الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة بل الاتباع وترك الإبتداع، وندخل في باب ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة، أسال الله أن ييسر لنا.

2-بَابُ ذِكْرِ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَتَحْذِيرِهِ إِيَّاهم الْفُرْقَةَ

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

5- حَدَّثَنَا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ قَالَ: نا أبو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ , عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِن الشيطان مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ"

6- أَخْبَرَنَا أبو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ :حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ قَالَ: نا أبو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قَالَ :خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ قِيَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ :"مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِن الشيطان مَعَ الْوَاحِدِ, وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ"

7- وَأَخْبَرَنَا أبو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِي قَالَ :ثنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: نا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ :حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ أن زَيْدًا حَدَّثَهُ، أن أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ، أن الْحَارِثَ الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"إِن اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِنَّ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :وَأنا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِنَّ :الْجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أن يُرَاجِعَ"

هذا قول المؤلف –عليه رحمة الله تعالى– باب "ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة" كأنه يريد أن يقول أنا سأسرد عليك الآن الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيه أمته بلزوم الجماعة، ويحذر فيها من الفرقة والافتراق، وهذا مصداقًا لقوله تعالى:{ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ} [آل عمران:103]، كما بينا في الآيات السابقة، والسنة هي الاجتماع والجماعة، والبدعة هي الافتراق، فما وجدت جماعة على الحق اجتمعوا أو أفرادًا كانوا فاعلم أنهم على السنة، وأما الافتراق والتنازع فهذا معيار من معايير البدعة.

ذكر لنا المؤلف أحاديث؛ الحديث الأول الذي قرآناه الآن: **مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ** ، فهذا حديث عظيم يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من وسائل دخول المرء الجنة، بل أعظم الوسائل هذه وأهمها كما ستأتي الأحاديث الأخرى لتبين عظم الالتزام بالجماعة ولزوم الجماعة، أن من أسباب دخول الجنة أن المرء يلتزم بالجماعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ.**

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن من أسباب دخول المرء الجنة أنه يلزم الجماعة، وهنا لماذا أتى بها المؤلف هنا معنا في هذا الأمر؟ ليبين أن كل منا يريد أن يدخل الجنة، ومن أسباب دخول المرء للجنة ومن أعظم هذه الوسائل أن تلتزم الجماعة، بل بين النبي صلى الله عليه وسلم بأن الفرقة كما جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك– وسيأتي معنا– وغيره معاوية بن أبي سفيان أيضًا: [**ستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قيل : من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: همُ الجماعةُ**]، وانتبهوا في رواية أخرى قال: [**مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابي**]، وهذه الرواية سنحتاجها عندما نتكلم عن أقوال أهل العلم في من هم الجماعة. لكن المقصود هنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا في هذا الحديث أن وسيلة دخول الجنة هو الاجتماع؛ والاجتماع على كتاب الله عز وجل وعلى سنة

النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا المقصود من الجماعة كما سيأتي معنا في تفسير معنى الجماعة، بأن من أراد ذلك فليلتزم الجماعة، والمقصود هنا جماعة الكتاب والسنة، وسأؤخر أنا الكلام على أقوال الجماعة بعد أن ننتهي من شرح الأحاديث، ثم نتكلم عن من هم الجماعة؟ ومن المقصود بالجماعة؟ وأقوال أهل العلم في معنى الجماعة.

لكن هو قال: **مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ** وهذه دلالة على أن الشرع أيضًا جاء في أكثر من موضع يبين بأن الإنفراد مذموم في الشرع، حتى السفر؛ النبي صلى الله عليه وسلم بين أن المسافر لا يسافر وحده بل يسافر مع رفقة له، بل ألا يقيم ولا ينام وحده في بيت بل ينام مثلًا مع رفقة له. هذه كلها دلالة على أن الشيطان- كما سيأتي في أحاديث أخرى- الشيطان يكون ذئب الإنسان، كما أن الذئب للغنم، فهو أيضًا الشيطان هنا ذئب للإنسان، وهو دلالة على أن الإنفراد حتى مذموم في الشرع؛ أن الإنسان لا يكون منفردًا.

ثم أيضًا جاء في الحديث الثاني -أي الرواية الثانية - الذي قال: **عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ قِيَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: "مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ** إلى آخر الحديث، هذا أيضًا فيه دلالة على أن الصحابة كانوا يرون أهمية الالتزام بالجماعة. ولذلك لما يقوم عمر بن الخطاب يخطب في الناس ويخطب فيهم وينقل لهم كما خطب فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان في الشام، فواضح أن هذه لما ذهب إلى الشام، لأن عمر كان في المدينة، وأمير المؤمنين كان في المدينة، لكن لما ذهب إلى الشام فخطب فيهم هذا ليبين لهم عظم مسألة الالتزام بالجماعة، وهذه دلالة على أن أمير المؤمنين يخطب يبين لهم الأمور الهامة، فدل ذلك على أن هذه المسألة من الأهمية بمكان.

ثم الحديث الثالث الذي ذكره المؤلف عن أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ وهنا هو اختصر الحديث، والحديث أطول من ذلك، والحديث في مسند الإمام أحمد، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم [أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِنَّ ، فكاد أن يبطئ] من الذي كاد أن يبطئ؟ يحيى بن زكريا. فجاءه عيسى عليه السلام فقال له: [فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أُبَلِّغَهُنَّ فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي] أي أن الله أمره فلم يرد من يحيى عليه السلام أن هو الذي يسبقه في ذلك، [قَالَ فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إذا كان في ذكر الله]. هذه الخمس الذي أمر الله عز وجل به يحيى أن يأمر بهم بنو إسرائيل وأن يعملوا بهن، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِنَّ، وهذا الذي نريده الشاهد معنا، قال: الْجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَن

يُرَاجِعَ، وفي رواية [إلا أن يرجع]ومن دعا بدعوى الجاهليةِ ، فهو من جَثَى جهنمَ] والعياذ بالله، وفي رواية أيضًا:[قالوا : يا رسولَ اللهِ وإن صام وصلى؟ قال : وإن صامَ وصلى وزعمَ أنه مسلمٌ ، فادعوا المسلمينَ بما سماهُم المسلمونَ المؤمنونَ عبادَ اللهِ].

هذا الحديث في مسائل عظيمة جدًا- سنترك طبعًا الخمس الذي أُمر بها يحيى لأن هذا الذي أُمر به النبي صلى الله عليه وسلم وجاء به أيضًا ونأخذ الخمسة الشاهد معنا في هذا الحديث- بأن النبي صلى الله عليه وسلم أول شيء أمر به – طبعًا هو قال "الله أمره"، ثم هو يأمر الأمة بذلك، وكان أمر الله لنبيه وأمر للأمة أيضًا فيه دلالة على ذلك.

فقال أول شيء في الأمر **الْجَمَاعَةُ**، ولأن الجماعة أولًا هي التي تأتي بالاخريات التاليات؛ أنك تلتزم الجماعة، وهنا قلنا الالتزام بالجماعة؛ بأوامر الله عز وجل؛ بكتاب الله عز وجل وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم الجماعة تأتي معها **السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ** وفيه السمع والطاعة لأوامر الله عز وجل ونواهيه، والسمع والطاعة لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه أيضًا، ويدخل فيها طبعًا السمع والطاعة لأولياء الأمور في الطاعة وليس في المعصية. ثم الثالثة قال **وَالْهِجْرَةُ**.

طبعًا نقول السمع والطاعة الآيات كثيرة على ذلك، قال الله عز وجل: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟} [الحشر:7]، ونحن نتكلم عن السمع والطاعة الأصل فيها الكتاب والسنة، أو السمع والطاعة لله وللنبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم نبيا] وكيف ترضى بالله ربًا؟ إلا أن تتبع أوامر الله سمعًا وطاعة، وكيف ترضى بالنبي صلى الله عليه وسلم رسولًا؟ باتباع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه، هذا معنى "ذاق طعم الإيمان". فهذا هو السمع

والطاعة الذي يقصده النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو الإنصياع التام، الاتباع الكامل لما جاء عن الله عز وجل أو جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه من أهم الأمور الثانية كما جاء في الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: [كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى]. إذًا السمع والطاعة قلنا بالكلية لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء عن الله عز وجل.

والثالثة أمر بالهجرة بعد أن أمر بالجماعة وهي الأولى؛ لأنك طول ما أنت في جماعة المسلمين أي الذي على الكتاب والسنة سيؤدي ذلك وجوبًا لابد أن تسمع وتطيع، ثم بعد ذلك تأتي الهجرة.

والهجرة عند بعض أهل العلم طبعًا الهجرة كانت مقيدة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت الهجرة من مكة إلى المدينة؛ من ديار الكفر إلى ديار الإسلام إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة؛ مَنَّ الله عز وجل عليه وفتح مكة، فقال:[لا هجرةَ بعدَ الفتحِ إنَّما هوَ الجِهادُ والنِّيَّةُ]، فهنا المقصود بـ "لا هجرة بعد الفتح" ظن البعض أن المقصود أن الهجرة انتهت، وهذا ليس بصحيح، المقصود أننا نحمل الحديث على أن الهجرة التي كانت متعارف عليها ومعلومة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة من مكة أصبحت الآن ليست بهجرة، لأن مكة فتحت، أصبحت دار الإسلام، فلا هجرة من مكة الآن، قال: :[إنَّما هوَ الجِهادُ والنِّيَّةُ]، والآيات تبين أن حكم الهجرة ثابت إلى الآن، حتى وان فتحت مكة، لكن المرء عليه أن يهاجر بدينه من ديار الكفر إلى دار الإسلام، وأن يلتزم بذلك في أي زمن من الأزمان، لأن الآيات التي جاءت منها قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا} [النساء:97]، فهنا أنكر الله عز وجل على من لم يهاجروا من ديار الكفر إلى دار الإسلام، والآية محكمة؛ الهجرة

مستمرة، الحكم يدور مع علته، فما دام المر في ديار كفر لا يستطيع أن يقيم فيه دينه فلابد له أن ينتقل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:[أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يقيمُ بين أظهرِ المشركين، قالوا : يا رسولَ اللهِ ولم ؟ قال : لا ترايا ناراهما]، وإن كان بعض الفقهاء يرون بأن إن استطاع المرء أن يقيم دينه في البلاد فيظل، ولكن هذا مخالف للصحيح، بعض الفقهاء، حتى من الأصحاب حتى في المذهب عندنا، الموارديي له كلام في ذلك، لكن نقول بأن الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام واجبة ما دام استطاع ذلك، أي أنه لابد أن يهاجر، النبي صلى الله عليه وسلم بيّن ذلك من السنة، والآيات بينت ذلك.

ثم الرابعة وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فهو قال الجماعة، السمع والطاعة، الهجرة، ثم قال الجهاد في سبيل الله. والجهاد هو ذروة سنام الأمة، كما قال النبي صل عليه وسلم: [وعمودُه الصلاةُ وذروةُ سَنامِه الجهادُ في سبيلِ اللهِ]. وقال صلى الله عليه وسلم: [مَن ماتَ ولم يغزُ ولم يحدِّث نَفسَهُ بالغَزوِ ماتَ علَى شُعبةٍ من نفاقٍ].

فنقول بأن الجهاد في سبيل الله عز وجل من أعظم العبادات، ونعم عندما ينصرف الجهاد لابد في الجهاد المقاتلة أو السيف، ولكن الجهاد أيضًا أنواع؛ فيه جهاد أيضًا بالكلمة، لذلك الجهاد وسيلة، الجهاد شُرِّع في الدين وسيلة لإعلاء كلمة الله عز وجل، إن استطعت أن تعلي كلمة الله عز وجل وتدخل الناس في دين الله بالكلمة فلا شك أن هذا أفضل، أي ليس الجهاد بالسيف هو المقصود، ليس إنهار الدم وقتل الناس هو المقصود، لا، هذا ليس مقصودًا، لكن هو وسيلة إلى إعلاء كلمة الله، وإلى ادخال الإسلام لغير المسلمين إن هم لم يقبلوا الإسلام ولم يقبلوا دفع الجزية ولم يكونوا من أهل الكتاب فليس لهم إلا الإسلام أو القتال، لكن لو استطعت أن تُدخِل الإسلام بالكلمة فهذا لا شك أنه عظيم، وتوفر المقاتلة والدماء، سواء من المسلمين وغير ذلك.

وبلاد اندونيسيا انظر دخل فيها الإسلام بماذا؟ عن طريق تجار المسلمين، ما دخل بقتال أصالة، وهم أكبر دولة إسلامية الآن؛ فوق 200 مليون، أنا أعرف 200 من حوالي عشر سنين، لا أعرف الآن كم تعدادهم، لكن هم أكبر دولة إسلامية من ناحية المسلمين، ما دخل الإسلام فيهم بالسيف، لكن دخل فيهم بأخلاق التجار والدعوة وغير ذلك.

إذًا المسألة المقصود منها الإعلاء، فالبعض يظن أن الجهاد مقصد، هو عبادة نعم، لكنه وسيلة، وليس مقصودة بل إن من عظم عدل المسلمين لما حدث واقعة سمرقند تقريبًا في عهد عمر بن عبد العزيز أو من لما دخل القائد سمرقند بدون أن يمهل أهل سمرقند، المفروض أنه يعلمهم؛ إما أنهم يسلموا أو يدفعوا جزية، فدخل وأخذ البلد، فاشتكوا إلى عمر بن عبد العزيز، الأحبار خرجوا والرهبان ذهبوا فقال عمر العزيز يرجع القائد ووكل من يقضي فيها، فأمر القائد أن يرجع على حدود سمرقند ثم يُعلمهم ثم يدخل بعد ذلك بعد أن يأبوا بالمدة، فلما رأوا ذلك حدث دخل كثير منهم الإسلام. فانظر فعل للمسلمين وعمل قد يدخل الناس في دين الله عز وجل، وهذا قول الله عز وجل:{ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} [النحل:125].

ولكن هذه المسألة ليست على اطلاقها، أحيانًا القتال هو الذي ينفع، وأحيانًا الكلمة هي التي تنفع، لكن نحن نقول أن هذا كله هو من الدعوة إلى الله عز وجل.

ولكن من جنح إلى الجهاد، فالجهاد له ضوابط شرعية، جاء الشرع يبين ذلك- لو كان طبعًا جهاد الطلب- لابد به من إمام، ولا بد له من راية والراية صحيحة وغير ذلك، ولا بد لها من شروط، ليس كل أحد يطلع يقول أنا أريد أن أجاهد فيجمع الناس ويروح جاهد! نحن نتكلم عن جهاد الطلب ليس جهاد الدفع، لأن جهاد الدفع ليس فيه الشروط هذه، لكن نتكلم عن جهاد الطلب، لأن حدث تجاوز من بعض الناس أنهم يظنون بأن المسألة هو الآن أنت ترى بأن المسألة أنت تريد وعندك حمية أو عندك

شيء فتفعل، وهذا كلام مخالف، حتى هذه العبادة كما أن الصلاة لها شروط وأركان وموانع، كذلك الجهاد وغير ذلك.

فهنا ذكر الحديث هذه الأربع ثم الخامسة قال: **فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أن يُرَاجِعَ** . هنا مفارقة الجماعة جاءت **خَلَعَ رِبْقَةَ** الإسلام ، هل فيها تفصيل؟

وهل هنا مفارقة الجماعة هذه على اطلاقها، أم لابد من تفصيل؟

حقيقة لابد من تفصيل، هل كل مفارقة يظن منها الكفر؟ لابد نفصل في ذلك، أن نقول **المفارقة أنواع:**

- مفارقة بالكلية
- مفارقة في أصل من الأصول
- مفارقة في فرع من الفروع

النوع الأول: مفارقة بالكلية، وهذا الذي يرتد عن الإسلام -والعياذ بالله- يخرج من دين الله عز وجل، هذه مفارقة بالكلية وهذا يدخل في قوله النبي صلى الله عليه وسلم الآن **فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام** أي ذهب عنه الإسلام، كانت مفارقته للجماعة بأنه ارتد عن دين الله عز وجل فخلع ربقة الإسلام بالكلية، فهذا استحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم هنا، قال **فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ رَأْسِهِ**، استحق الخلود في جهنم لأنه مرتد، والردة كفر، بل ردة المرتد منافق، لأنه دخل ثم خرج بعد ذلك فأصبح من المنافقين، والمنافقين في الدرك الاسفل من النار كما قال الله عز وجل: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ} [النساء:145]، والنبي صلى الله عليه وسلم جعل له حُكمًا، قال: [**مَن بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوهُ**]، فأصبح للمرتد حكم وهو القتل مع أنه في الأصل لم يُكرَه على الإسلام، قال الله عز وجل: {لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ}

[البقرة:256]، أي هو لو كان من أهل الكتاب كان سيظل على دينه لا إكراه في ذلك، ما دام منضبط بضوابط أهل الإسلام في جلوسه معهم مثلًا، لكن لما دخل الإسلام وخرج منه بعد ذلك وفارق الجماعة فأصبح من أهل الردة هنا حكم جديد له؛ وهو القتل، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:[مَن بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوهُ] على العموم تشمل الرجال وتشمل النساء، خلافًا لبعض الأحناف وغير ذلك الذين نهوا عن قتل النساء، والصحيح هو أن النساء أيضًا المرتدات تُقتل كالرجال، لا فرق في ذلك بين الرجل وبين المرأة، وأما النهي عن قتل النساء جاء في الحروب إن لم تكن تحارب وليس لها مشورة، أو رأي، ولا تعاون المقاتلين، فهي لا تُقتل، وهذا حمل الصحيح على الأدلة. إذًا هذا النوع الأول الذي فارق الجماعة بالكلية؛ أي ارتد عن الإسلام.

المفارقة الثانية: أن يفارق في أصل من الأصول؛ ماذا يعني أصل من الأصول؟ أي يأتي ببدعة، لكن البدعة قد تكون بدعة مكفرة أو بدعة مفسقة، أي يقول الآن أنا ليس عندي غير القرآن، القرآن فقط ألتزم به، أما السنة لا، أنا لست مأمورًا بالالتزام بها، فنقول هذه **بدعة مكفرة**، لأن أصل من أصول أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة، من أنكر السنة ولا يعمل بالسنة هذه بدعة مكفرة، فهنا فارق في أصل من الأصول.

ولكن قد تكون **البدعة مفسقة**، وهذا الذي ينزل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم [وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً] منهم الفرق التي عندهم بدع لكن مفسقة وليست مكفرة، وهذا النوع الثاني من المفارقة.

المفارقة الثالثة: أن تكون المفارقة بين الجماعة في فرع من الفروع؛ مثل مسألة من المسائل اجتهد فخالف أهل السنة والجماعة، أو من الخلاف الذي قلنا محتمل؛ الذي يسع فيه الخلاف، فهذه مفارقة، لم يقل في مسألة معينة برأي جماعة المسلمين فيها وأهل العلم في ذلك، فهنا إن كان مجتهدًا فأخطأ فله أجر الاجتهاد ولا يلام، وإن لم يكن مجتهدًا وأخطأ فهو في معصية، لكنه لم يخرج من ربقة الإسلام، أو

لم يخرج من الإسلام إلى الكفر، فهو ما زال في دائرة الإسلام، وما زال حتى في أهل السنة والجماعة ولكنه أخطأ، أو أتى بمعصية، أو غير ذلك.

فهم بذلك ثلاثة مفارقات؛ أن يفارق الجماعة بالردة، فهذه مفارقة عن الإسلام تمامًا؛ أصبح غير مسلم، والمفارقة الثانية أن يفارق في أصل من أصول أهل السنة والجماعة كما مثلنا الآن، ولابد ننظر الآن أحيانًا تكون البدعة مكفرة والبدعة مفسقة، إذا كانت البدعة مكفرة فخرج بالكلية، وإن كانت البدعة مفسقة كأن يقول ببعض الأمور التي تقولها بعض الطوائف المبتدعة، فالخوارج على الخلاف مثلًا؛ الذين يقولون أنهم ليسوا كفارًا – وهذا هو الراجح – لقول علي بن أبي طالب أنهم ليسوا كفار وعاملهم معاملة أهل الإسلام أيضًا، في الغنائم وفي القتل وغير ذلك، فنقول معهم بدعة مفسقة مثلًا لكن هم من أهل الإسلام، وكذلك من معه بدعة مفسقة. والثالثة من خالف في فرع من فروع الجماعة؛ الفروع المحتملة، فإن كان مخطئًا بدون اجتهاد فهو في معصية ولكنه أيضًا من أهل الإسلام. هنا قد بيّنا مسألة الخروج.

أسباب وجوب الالتزام بالجماعة؟

تكلمنا عن شرح الأحاديث، لابد نتكلم عن الجماعة، ما هي الجماعة؟ ولماذا أولًا قبل أن نقول ما معنى الجماعة، نقول لماذا الله عز وجل شدد –كما أتى المصنف في الآيات الأولى وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الآن –على الالتزام بالجماعة، وأنه أصبح الآن اتفاق عند أهل العلم أو إجماع على وجوب عدم مفارقة الجماعة، ولابد من الالتزام بالجماعة؟

أولًا: لأن الله رضيه لنا وأحبه لنا؛

الله عز وجل رضي لنا ذلك أولًا، رضي لنا الاجتماع وكره لنا الافتراق، كما جاء في الصحيحين من حديث النبي صلى الله عليه وسلم حديث أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**إن اللهَ يرضَى لكم ثلاثًا ويسخطُ لكم ثلاثًا يرضَى لكم أن تعبدوه**

ولا تُشرِكوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تفرَّقوا وأن تناصحوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم]، فقلنا هنا رضي الله عز وجل لنا ذلك. إذًا الله عز وجل رضي لنا الاجتماع وكره لنا الافتراق.

وهنا الإمام النووي –رحمة الله عليه– له كلام جميل جدًا في هذا الحديث في شرحه، يقول: [[الاعتصام بحبل الله هو التمسُّك بعهده؛ وهو اتباعُ كتابِه العزيز وحدوده والتأدُّب بأدبه، والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب، وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورِهم، ويوصلون به المتفرق]]، كأنه يريد أن يقول الحبل عند العرب لما تحصل الشدائد يمسكون الحبل، ويوصلون بعضهم بعضًا، حتى المتفرق عنهم يتصل بهم. هذه لغة.

فقال وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (ولا تفرقوا) بعد أن قال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) قال: [[أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض وهي إحدى قواعد الإسلام]] . انتبه لقول الإمام النووي لما ذكر في شرح هذا الحديث، بيّن أولًا {وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا } اثبات {وَلَا تَفَرَّقُواْ } نفي، أو نهي عن الفرقة واثبات الاعتصام، وهذه دلالة على التأكيد، لذلك قال: [[وهذا أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم بعضا]] فأصبح لك قاعدة من قواعد الإسلام.

إذًا لما ترى الآن المسألة، هي أن الله عز وجل رضي لنا ذلك، فأصبحت عبادة، وأنت ملزم شرعًا بكل ما رضي الله عز وجل به وأحبه. أنك أيضًا إن كنت مدعي نفسك من أولياء الرحمن أنك ترضى بما رضيه الله عز وجل لك، وأنك لابد أن تحبه أيضًا، لأن هذه عبادة أصالة، لما يقول الله عز وجل:{ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا } [آل عمران:103]، هذا أمر، وهذا الله يرضاه لنا، فأصبح أنت الآن مأمور بحب ذلك، لأن الله يرضى ذلك.

إذًا الأمر بالجماعة أولًا لأن الله رضيه لنا وأحبه لنا؛ ولابد أن قلبك يحب هذا فلابد أن تحب الالتزام بالجماعة، وتكره مفارقة الجماعة، والمسألة هذه قلبية، أي القلب فيها أولًا اعتقادا ... ماذا يعني؟ أقصد أنت لابد تعتقد بقلبك حب ذلك، حتى وإن فارقت، لأن هناك فارق بأنك تعتقد وترضى بذلك وقد تعصي وتفعل وتخالف لكن اعتقادك ثابت، بخلاف الذي لا يعتقد ذلك ويفعل، أو حتى لا يفعل. وتجدها في أزمنتنا موجود الآن تقول تدعو النساء للاحتشام، أي تلبس الملابس المستترة الشرعية، فأنت تدعو الناس إلى ذلك، فهناك ممكن يأتيك واحد من الناس هو معتقد بأن الاحتشام هذا والحجاب هو الله عز وجل يحبه وهو الصحيح ومعتقد لكنه قد لا يستطيع أن يفعله مع أهل بيته، لكن هو يقول لك هذا الحق، هذا الصحيح، هو قلبه رضي بذلك وأحبه لأن الله ألزمه وإن خالف فعله، وأنه في معصية، لكن قد يأتيك آخر يقول لك "انت تريد أن تضيق علينا ليه؟ ما الدنيا جميلة وسيب الناس تلبس اللي هي عايزاه وهي تخلع وخلي الدنيا كده جميلة وبتاع، انت بتشدد علينا ليه"، ويمكن لا يفعله أهل بيته لكن هو بقلبه لا يريد ما أراده الله عز وجل، كأنه {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور:19]، فانظر... لذلك المسألة القلبية مهمة أولًا ؛ أنك تعتقد وتحب ما أحبه الله وترضاه حتى وإن جرحت وان لم تفعل لأن الإنسان ممكن يعصي، بخلاف الذي لا يعتقد ذلك ويحب أن تشيع غير ذلك أيضًا، هذا على خطر عظيم. إذًا أولًا الله عز وجل رضي لنا الجماعة.

ثانيًا: الله أمر بها، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بها، جاءت الآيات بالأمر بلزوم الجماعة وجاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، قال الله عز وجل:{ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟} [الحشر:7]، فكل أمر جاءك في الكتاب أو في السنة عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم لابد لك من الالتزام به. إذًا هذه مسألة أخرى، أو تخريج آخر لماذا التشديد في مسألة الجماعة

ولزوم الجماعة؟ لأن جاء الأمر من الله عز وجل بذلك، وجاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولا يجوز المخالفة.

ثالثًا: وهو في بيان الحكمة والغاية من ذلك، أنك لابد أن تعتقد اعتقادًا وثيقًا أن لن تقوم للأمة قائمة ولن يرجع للإسلام- هو الإسلام في عز دائمًا- لكن نحن المسلمين الذين ليس في عز، أما الإسلام عزيز، لكن **لن يعلو أهل الإسلام مرة أخرى إلا بالاجتماع** ، وهذا أمر لابد يكون يقينًا عند كل أحد، لأن هذا الذي أمر الله عز وجل به، فالاجتماع هو الذي سيكون سببًا من أسباب علو أهل الإسلام على أهل الكفر. وأنت إذا نظرت لأهل الكفر تجد أهم شيء عندهم أن يفرقوا المسلمين، انظر إلى الخطط والأمور القديمة منذ قديم الأزل أهم شيء عنده أنه يفرق، لو فرق المسلمين استطاع أن يأكلهم، لكن إذا اجتمع أهل الإسلام فلن يستطيع أحد أن يتعدى عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم:[**يُوشِكُ الأممُ أن تداعَى عليكم كما تداعَى الأكَلةُ إلى قصعتِها . فقال قائلٌ : ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ ؟ قال : بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ**]

وقال الله عز وجل: {وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ} [الأنفال:46]، إذًا بين أن المنازعة علامة على الفشل، ومفهوم المخالفة أن الاجتماع فيه النجاح والتمكين.

إذًا أنت لابد أن تعلم بأن اجتماع الأمة واجتماعك مع الجماعة هذا من أسباب التمكين، وإلا فالتنازع فيه الفشل، وهذا الواقع. والاجتماع عندنا عند أهل الإسلام يفارق الاجتماع عند أهل الكفر، أي إذا اجتمع أهل الإسلام فبيجتمع باطنًا وظاهرًا، هذا الأصل، قال النبي صلى الله عليه وسلم في تصوير صفوف الجماعة: [**اسْتَوُوا ولا تَختَلِفُوا ؛ فتَختلِفَ قلوبُكمْ**]، فالأصل بأن الظاهر عندنا مرتبط بالباطن، فإن اجتمع أهل الإسلام سيكون اجتماعًا ظاهرًا وباطنًا، وهذه قوة له، بخلاف أهل الكفر فقد يجتمع أهل الكفر جميعًا لكن باطنهم فيه اختلاف، كما قال سبحانه وتعالى:

{بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ } [الحشر:14]، أنت تراهم معًا، لكن هم بينهم وبين بعض يحاربون بعض.

انظر الآن،، الكفر ملة واحدة وإن اختلفت الشرائع عندهم، لكن هم يظهرون لك بأنهم اجتمعوا، لكن بينهم هذه الدولة تحارب الدولة هذه، والدولة هذه بتحارب هذه اقتصاديًا، وتحارب هذه سياسيًا، وتحارب هذه ممكن عسكريًا، وإن كان الآن هم لا يحاربون، لكن ما المقصود؟ هم ظاهرهم جميعًا أمامك لكن قلوبهم شتى، وهذا من فضل الله علينا. لذلك اجتماع المسلمين سيكون اجتماعًا باطنًا وظاهرًا، فيكون لك فيه العلو بعد ذلك.

وكما قلنا بأن الله يحب ذلك ويلزمنا، فلابد أن نكون قد علمنا بأن التنازع سيؤدي إلى الفرقة، وقد تكلمنا عنها من قبل، بل كما ذكر بعض الاثار قال: [[إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية]] ، فلذلك الفرقة والاختلاف تكون سببًا لاستحواذ الشيطان على الإنسان، وهذا حتى لو قلنا في الحياة، لذلك جاء النهي عن السفر منفردًا، وغير ذلك.

بل إن الاختلاف سيؤدي إلى الفتنة – والعياذ بالله– وممكن الوقوع في الشرك، قال الله عز وجل:{ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63]، قال الإمام أحمد فيها [[أخشى أن يرد ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيزيغ قلبه فيهلك فتصيبه الفتنة]] يرد فقط السنة، أو يرد أمر جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قال بعدها الإمام أحمد: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } [النساء:65]، أصبح ربط بدلالة هذه المسألة.

ما المقصود بالجماعة؟

هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [عليكم بالجماعةِ]، من هم الجماعة؟ ما المقصود بالجماعة الذي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي ذكرها لنا المؤلف الآن وستأتي في الأحاديث الأخرى أيضًا؟ قال: لَيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ.

هنا تعددت أقوال أهل العلم في من هم الجماعة، سأعطيكم الأقوال أولًا إجمالًا ثم أُفصِّل بعد ذلك.

ذكر أهل العلم خمس أقوال، وممكن تصل إلى سبعة أقوال، هو خمسة أقوال ذكرهم الشاطبي في الاعتصام، لكن بعض أهل العلم زادوا قولًا، والسابع هو محصلة الأقوال الستة عمومًا، لكن أنا سأسردهم أولًا إجمالًا.

1- هي السواد أعظم من أهل الإسلام؛
2- أن الجماعة هي أئمة العلماء المجتهدين؛
3- أن المقصود بالجماعة الصحابة على الخصوص؛
4- أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر، فهذه جماعة المسلمين أو هذه الجماعة المقصودة؛
5- الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير (هذا قول اختاره الإمام الطبري)؛
6- سنضيف إلى ذلك أن الجماعة بعضهم قال تطلق على أهل الحل والعقد؛
7- قالوا تطلق الجماعة على الفريق من الناس الذي يجتمع على شيء.

هذا ملخص الأقوال، نرجع للتفصيل.

1 القول الأول: أن الجماعة هي السواد الأعظم من أهل الإسلام:

فهؤلاء السواد الأعظم هم الناجون من الفرق التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، واجتماعهم يكون اجتماعًا على الحق، ويكون اجتماعًا على أمور دينهم، فمن خالف هؤلاء – السواد الأعظم – فكأنه خالف الجماعة التي ذكر عنها النبي صلى الله عليه وسلم، فمات ميتة الجاهلية؛ سواء خالفهم في الشريعة، أو خالفهم في الإمام، أو

خالفهم في السلطان، فهذا يكون مخالفًا للحق. إذًا هنا المقصود بالجماعة السواد الأعظم لأهل الإسلام.

دخل في هذا القول من في هذه الجماعة؟ مجتهدوا الأمة، علماء الأمة، أهل الشريعة الذين يعملون بها، ودخل من كان في حكمهم، فهذا عموم، فدخل فيه مجتهدوا الأمة، علماء الأمة، أهل الشريعة فيها العلماء والعاملون أيضًا بالشرع، والتابعون لهم الذين يتبعوا علماء الأمة، والمقتدون بهم، كل هؤلاء.

خرج عن هؤلاء من؟ الذين شذوا عن هذه الجماعة؛ سواء كانت ببدعة- أنواع البدعة الموجودة- فلم يدخلوا فيهم، والذين قالوا بهذا الكلام استوحوه من حديث حذيفة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يسأله عن الخير والشر، فقال ((الزم جماعة المسلمين))، فقال: ((لم يكن هناك وقتها إمام ولا جماعة))، فبينوا على أنهم يقصدون هنا أن الجماعة السواد الأعظم، فكأن أصحاب هذا القول أخذوه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، على أنه كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وعن الشر، فأولًا أوصاه بأن يكون مع جماعة المسلمين، ثم قال: ((فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟)) فدل على أن المقصود هنا بالجماعة هو السواد الأعظم، وهذا مسمى عام.

2 القول الثاني: قالوا جماعة المسلمين هم أئمة العلماء المجتهدين:

إذًا الجماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية. إذًا انتبهوا.. لأن الثمرة أو النتيجة على المعنى. فلماذا قالوا؟ لأن الله عز وجل جعل العلماء حجة على العالمين؛ أهل العلم هم الحجة وهم ورثة الأنبياء، واستدلوا على ذلك أولًا أن الجماعة أئمة العلماء الذين على السنة، بمعنى؛ حديث مالك ومعاوية بن أبي سفيان وأنس، الحديث واحد لكن هذه الروايات الثلاثة: [ستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةٍ كلُّها في النارِ إلا واحدةً]. قال: [من كانَ على مثلِ ما أنا عليه اليومُ وأصحابي] ، فقالوا أهل العلم العلماء هم الذين يتبعون السنة، فلذلك قالوا أن الجماعة يقصد بها أهل العلم، أو العلماء المجتهدين، وفي نقولات عن

كثير من أهل العلم كالبخاري- رحمه الله تعالى- لما سئل عن الجماعة، قال: [[الجماعة أهل العلم]] وهذا موجود في الجامع الصحيح له- كتاب الاعتصام. وأيضًا لما أتى بباب قوله تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة:143]، قال [[وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم]]. كذلك ابن حجر- رحمه الله تعالى- في شرحه لقول البخاري، قال أيضًا: [[فاعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم الشرعي]]، الذين هم الجماعة. إذًا هنا هذا قول عند بعض أهل العلم، بأن المقصود بالجماعة أئمة العلماء المجتهدين.

3 القول الثالث: أن الجماعة هم الصحابة:

هذا القول منسوب لعمر بن عبد العزيز الخليفة رضي الله عنه، وكأن هو يقول هذا أيضًا استنباطًا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في: [**ستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ شعبة**] الرواية التي قلناها في أول الدرس، لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: [**قالوا: يا رسولَ اللهِ مَن الفرقةُ الناجيةُ ؟ قال : من كانَ على مثلِ ما أنا عليه اليومُ وأصحابي**] ففسر الجماعة "بما عليه أنا وأصحابي"، وهذا الذي قاله عمر بن عبد العزيز – كما قلت- على أن المقصود هنا بالجماعة هم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى خاص للجماعة حقيقة.

4 القول الرابع: أن الجماعة هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر:

إذا أهل الإسلام أجمعوا على الأمر فأصبح إجماعًا، الإجماع الذي هو المصدر الثالث لو قلنا من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة، فوجب على غيرهم – قالوا من أهل الملل- اتباعهم، فالملل لابد تتبع دين النبي صلى الله عليه وسلم؛ دين الإسلام، ويقصد بالملل الفرق والطوائف الأخرى أن تجتمع. إذًا هنا أولًا المقصود به الإجماع؛ جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا، أي أهل الإسلام إذا ثبت إجماعهم على أمر فمن خالف هذا الإجماع فقد خالف الجماعة، وليس المقصود هنا أهل العلم فقط، أنهم يجمعوا أولًا، أهل العلم يجمعوا على ذلك، لم نقيد في الإجماع قلنا أن يتبع قول الأئمة المجتهدين، فقول الأئمة المجتهدين أن الجماعة هم الأئمة، لكن هنا الجماعة

المقصودة أي الإجماع على مسائل معينة، أي أنت لو خالفت الإجماع فأنت خالفت الجماعة، الثانية أن علماء الأئمة المجتهدين قد يتفقوا ولا يجمعوا، فهناك فرق بين الاتفاق والإجماع، القول الثاني الجماعة هو أن تتبع العلماء؛ الأئمة من أهل السنة، فإن حتى اختلفوا اختلاف التنوع، أو راجح ومرجوح طالما أنت بتتبع علماء فأنت مع الجماعة، لأن هم العلماء هم الجماعة، لكن هنا بيتكلم عن مسألة ثانية، أن الجماعة هو ما أُجمع عليه من أهل العلم؛ أي المسائل التي قد أُجمع عليها هذه تعد هي الجماعة، فأنت لو خالفت تكون خالفت الإجماع، لكن في القول الثاني ليس فيه إجماع، قلنا تتبع أئمة العلم. هنا قالوا الجماعة هم أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر، قال تعالى:{ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ} [آل عمران:103]، ما الذي يقصده هنا؟ لو جماعة المسلمين اجتمعوا على أمر في مصالح خاصة أو مصالح عامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: [الجماعةُ رَحمةٌ والفُرقةُ عذابٌ]، فلو اجتمع المسلمون على أمر ما، أصبح هذا أنك لا تفرقهم لأن المخالفة هنا للجماعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم [الجماعةُ رَحمةٌ والفُرقةُ عذابٌ]، هنا يقصد بالجماعة جماعة المسلمين، اجتمعوا على أمر ما.

تعقيب من أحد الطلبة: مثلًا اضرب مثال حي من الموجود أن مثلًا المسلمين نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم في الأيام الماضية اجتمعوا على أنهم يقاطعوا بضائع الدولة الفلانية..

رد فضيلة الشيخ: لما يحدث الإجماع هذا، إذًا لابد تلتزم به، نعم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم، وما هو أصلها؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تجتَمِعُ أُمَّتي على ضَلالةٍ]، وعندما نتكلم في الأمة فلن يكون العوام، المقلدة، سيكون أيضًا أهل العلم مع أهل الحكمة وأهل كذا يدخل فيها، لكن هنا لو حدث الإجماع منهم على أمر إذًا لا تخالف هذا الإجماع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا تجتَمِعُ أُمَّتي على ضَلالةٍ]، في معنى الحديث، ثم قال: ((وإياك والفرقة فإن الفرقة هي الضلالة)) هذا أبو مسعود الأنصاري قال بعد ذلك. طبعًا بعضهم حتى تكلم أن من فرق الإجماع فيه

قد يكفر، ولكن الصحيح أن لابد ينظر أي إجماع، لأن الإجماع فيه من مخالفته كفر، وهناك إجماع مخالفته ليس بكفر، لو كان إجماع قطعي، أو إجماع مظنون، لو إجماع قطعي فستكون مخالفته كفر، والإجماع المظنون مخالفته ليست بكفر، وهذه لا أريد أن أدخل في تفصيل أكثر من ذلك، أنا بفرد في الأقوال.

5 **القول الخامس -وهذا قول خاص كما ذكره الإمام الطبري- أن جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير:**

فأصبح هذه هي المقصود بها الجماعة، وهذا القول الخامس، وهذا مهم لأننا سنحتاج نتكلم بعد ذلك، فهذا القول الوحيد من الخمسة الذي فيه إشارة على الإجتماع البدني؛ سأبين لكم لكن ضعوها هكذا الآن- هذا الإجتماع فيه بدنيًا لأن هو الاجتماع على أمير، أو ملك، أو سلطان، أو من اختاره أهل الإسلام، فأصبح الاجتماع هنا هذه جماعتهم، فهذه جماعة توحي بجماعة الأبدان، لكن الأربع أقوال السابقة- وما سيأتي- الجماعة فيها هنا كما الاعتقاد، وجماعة التحليل والتحريم، اعتقاد الجماعة هو ما اعتقده أهل السنة، فلابد أنك لا تخالفهم، وما حلله وحرمه ما جاء في شرعه في التحريم والتحريم هذا هو المقصود، وهذه تبين لك أن هنا الجماعة المقصود بها الاعتقاد والحلال والحرام، بخلاف الجماعة المقصود بها اجتماع الأبدان.

6 **القول السادس: الجماعة تطلق على أهل الحل والعقد:**

بعضهم قالوا بأن الجماعة يقصد بها أهل الحل والعقد، قالوا العلماء، الأمراء، الولاة، القضاة، الأعيان هؤلاء أهل الحل والعقد، الذين هم عادة كانوا يجتمعوا لاختيار أو لمبايعة إمام للمسلمين، هم أهل الحل والعقد، وعلماء الشرع وغير ذلك، وهذا له أصل، ابن حجر نقل كلامًا عن ابن بطال- رحمة الله على الجميع – قال:[[والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر]] ثم قال [[وأهل الحل والعقد كما أسلف يشمل أهل العلم من باب الأولى]].

7 **القول السابع: هو إن اجتمع الناس على شيء:**

المقصود به ليس الجماعة الكبرى، المقصود به الجماعة الصغرى، أي اجتمعوا الناس على مثلًا قال بركاتكم في الاجتماع في الطعام، فاجتمع الناس في الطعام، فلا تخالف، هنا مقصود به أن هذه من الجماعة أيضًا، الجماعة مثلًا على الاجتماع على الطعام، الاجتماع على رفقة في السفر مثلًا، وغير ذلك، اجتماع على تعاون أمر شيء، جماعة المسجد؛ الصلاة هذه جماعة أيضًا، كل هذا القول يقصد به الجماعة، فإن اجتمع بعض الناس على شيء فلا يأتي أحد ويفرق هذه الجماعة، أو يخالف هذه الجماعة.

الآن بينا الأقوال التي معكم الآن في مفهوم الجماعة.

في كل الأقوال التي قلناها قد تكون فيها خلاف تنوع، أي لا إشكال أنك تقول بأن الجماعة هي السواد الأعظم، أو تقول مثلًا بأن الجماعة هي أهل الحل والعقد، أو الجماعة أئمة العلماء والمجتهدين، ممكن يعد ذلك من خلاف التنوع، لأن بعضها يدخل في بعض، فهذه الأقوال كلها تتعرض في معنى الجماعة لأنك لابد تلتزم بما على الجماعة من اعتقاد صحيح، وتلتزم بما على الجماعة من التحليل والتحريم والطاعة، وإن خالفت في الاعتقاد، أو خالفت في التحليل والتحريم والطاعة، فقد خالفت الجماعة، **كل الأقوال يدخل فيها هذا إلا قول الطبري فقط لأن يريد به اجتماع الأبدان؛** أي على أمير، وهذا الكلام سنقبله، لكنه مقيد، لأن الشافعي له كلام جميل جدًا في الأحاديث التي قلناها الآن على مسألة الجماعة، حديث عمر تحديدًا الذي ذكره هنا لما خطب في الشام وذكر ذلك، قال ((أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة))، ترى الشافعي يوثق السؤال ويجيب، فيقول: [[قلت لا معنى له إلا واحد، قال فكيف لا يحتمل إلا قولًا واحدًا؟ قلت إذا كانت الجماعة متفرقة في البلدان...]]- أنا أنقل لكم معنى قول الشافعي حتى لا نلتزم بالنص- يريد أن يقول [[إن كانت الجماعة متفرقة في البلدان، فكيف يتسنى لنا لزوم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجماعة؟]] يريد أن يستدل بماذا؟ بأنك قد تكون في بلد معك الكافر، ومعك المسلم، ومعك المبتدع، فهو يريد أن يقول ما هو معنى قول النبي صلى الله

عليه وسلم لزوم الجماعة؟ فأراد أن يقول هو معنى واحد فقط، قال لأن لو كان المقصود الأبدان فالجماعات متفرقة في البلدان، ويشمل في البلد الواحد أيضًا غير ذلك، فكيف يكون الأمر بلزوم الجماعة؟ لا يتأتى لك ذلك.

إذًا المقصود بلزوم الجماعة ليست الأبدان، المقصود بلزوم الجماعة هنا أنك تلزم ما تقول به جماعة المسلمين، أي ما تعتقده –هذا قول الشافعي– ما تعتقده جماعة المسلمين من حيث الاعتقاد، أو ما تحلله وتحرمه، وتكون طاعة لله عز وجل، إذًا هذا معنى الأمر بلزوم الجماعة، كأنه يريد أن يقول أن المسألة ليست الأبدان، المسألة هي في اتباع الاعتقاد، واتباع الأحكام والمعاملات، هذا هو المقصود بالجماعة التي جاءت في الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينفي قول الطبري حتى، لأنه الطبري ليس كلامه فيه خطأ، هو يريد أن يقول إذا اجتمع الناس على إمام، وعلى ولي أمر، فلا يحل أحد الخروج على ذلك، وهذا يجمع بين الأقوال، أي أن الأصل في لزوم الجماعة أنك تلتزم بمعتقد جماعة المسلمين، معتقد أهل السنة والجماعة، تلتزم بالحلال والحرام والمعاملات والأحكام، وإن كان عندك أيضًا ولي أمر وأمير للمؤمنين وجوبًا عليك أن تلتزم بما أنت فيه أيضًا بجماعة هذه الأبدان. وهذا أقول لا إشكال أيضًا في الجمع.

لكن ما المقصود هنا بالتوجيه الأول؟ حتى لا يأتي أحد ويُدخل عليك من غير أهل السنة والجماعة، فلما نقول أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم هو الأصل فيه الالتزام باعتقاد أهل السنة والجماعة، وبما حللوه وبما حرموه، وبما أطاعوا به إلى الله عز وجل، فلا يأتي أحد ويدخل عليك يقول لك إن أهل السنة والجماعة ثلاث فرق؛ أشاعرة وماتريدية وأهل الأثر! والبعض وقع في ذلك من المحسوبين على السلف.

فهذا ليس اعتقاد، فأنت لما بتقول الآن أنا ملزم على الأقوال التي قلناها كلها؛ بلزوم جماعة المسلمين.. ما هي الجماعة؟ الجماعة هي الاعتقاد، والجماعة هي التحليل والتحريم، والجماعة هي الأحكام والمعاملات، وكل ذلك، هذا هو المقصود. وهذا جمعًا بين الأقوال المقصودة التي قلتها، ومهم جدًا أن يكون هذا مقصود.. لماذا؟

حتى لا يتأتي لك إلا معتقد أهل السنة والجماعة، وما يقول به أهل السنة والجماعة، من تحرير وتحريم. فهو نظر النظرة هذه بأن المقصود الأسمى من اللزوم هو اللزوم هذا، وهذا صحيح طبعًا لا إشكال فيه، لكن لا يمنع أيضًا أنه داخل في لزوم الجماعة، لأن السمع والطاعة عام، والالتزام بالجماعة عام، فدخل فيه أيضًا إذا كنت في مكان وفيه جماعة المسلمين وعلى إمام فلابد أنك تلتزم به، فهذا ليس تضادًا، لكن هو المهم في الأصل أن المقصود بجماعة المسلمين من هم؟ حتى لا تُدخل في غير معتقد أهل السنة والجماعة ويكونوا من أهل السنة والجماعة، ولا تُدخل في من لا يعمل بأصول أهل السنة في الجماعة حتى في التحليل وفي التحريم وفي غير ذلك وفي طاعة الله عز وجل، وتُدخله مع ذلك، فيأتي من ينكر السنة ومن يعتقد في أمر مخالف هذا لا يدخل فيه جماعة المسلمين. وهذا المقصود من كلام الشافعي وهذا الكلام الذي عليه أيضًا أهل العلم في هذه المسألة.

لابد أن تضبط الأقوال كلها مع بعض والأدلة، وذلك حتى لا يُدخل أحد ويقول لك نحن مسلمين، نعم، لكن الصحيح أن هناك بدع كفرية، وهناك بدع مفسقة لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال [**ستفترقُ هذه الأمةُ**]، فهي فرقة واحدة [**مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابي**]،هذه هي الجماعة التي هي ملتزمة بالكتاب والسنة، فمن خالف الكتاب والسنة خرج عن الجماعة ولا نقول أنه كفر، لكن خرج عن الجماعة المقصودة، وهذا هو المعنى المقصود من الأحاديث، لأن البعض يذهب مرة واحدة على الجماعة فقط بقول الطبري، وهذا أنقص من المعنى العام.

الأحاديث التي ذكرناها فيها بعض الفوائد نختم بها:

1- الأصل أن الاجتماع والجماعة وسيلة إلى الجنة، وأن الافتراق والتنازع وسيلة إلى النار- والعياذ بالله- وهذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: **مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ.**

2-أن الإنفراد من الشيطان، والاجتماع مجلب للملائكة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **فَإِنَ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ** ، فكلما زاد الاجتماع بَعُد الشيطان واقتربت الملائكة لك.

3-عموم السمع والطاعة؛ أولًا بكتاب الله عز وجل، وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا السمع والطاعة يدخل فيها السمع والطاعة لولاة الأمور، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة. وطبعًا هذه فيها إشارة سنبينها الآن لكن بالتفصيل سيأتي الأسبوع القادم في الأحاديث الأخرى، أن حدث فيها جفو وغلو، الغلو من الخوارج الذين أتوا بالتكفير والتفسيق لولاة الأمور، بل ولعامة المسلمين الذين اتبعوهم، وهذا غلو، والجفو أيضًا جاء من المرجئة الذين يقولون طبعًا أن إيمان آحاد الناس كإيمان جبريل فرأوا ما رأوا من الظلم ومن الفسق، ومع ذلك يرونهم من أصلح الناس واتقاهم، فهنا الغلو، وهنا جفو، والأمة أمة وسط، ليست فيها هذا الغلو ولا هذا الجفو. وهذه طبعًا إشارة فقط نبين على أن السمع والطاعة داخل فيه كل هذا، ولكن هو مطلق في حق الله عز وجل وفي حق النبي صلى الله عليه وسلم، ومقيد مع أولياء الأمور، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **[لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعروفِ]** ، والآية واضحة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} [النساء:59]، فأصبحت الطاعة لهم مقيدة، فـ ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)) مطلقة ((وأولي الأمر منكم)) لم يأت لهم طاعة مستقلة، فقال((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)) العطف هو ((أولو الأمر)) جاء معطوف على طاعة الله وطاعة الرسول، لم يأت له طاعة مستقلة لأن هو ليس معصوم؛ فيخطئ ويصيب.

ونقف عند هذا القدر، سنتكلم بعد ذلك عن المفارقة، وطبعًا سنتعرض لابد لما حدث في الأمة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ من الرجل الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم سلم ينكر ثم طبعًا الخروج على عثمان بن عفان، هذا أول خروج حدث، ولا نتكلم في السيرة في هذه المسألة لكن سنبين إن شاء الله بقدر ما نستطيع.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتم مُّسْلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلا سَدِيدا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما ما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من دروس كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمة الله تعالى- وما زلنا في باب لزوم الجماعة والنهي عن الافتراق والتعصب وغير ذلك، وما زلنا مع ذكر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، إن شاء الله نكمل قراءة الأحاديث ونعلق عليها آخر الباب.

قال المصنف – رحمه الله تعالى-:

8- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: نا أَيُّوبُ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ الْقَيْسِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ , فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»

9- وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ :نا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ، حَدَّثَهُمْ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ« :مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَخَالَفَ الطَّاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنِ اعْتَرَضَ أُمَّتِي بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَحْتَشِمُ مِنْ مُؤْمِنِهَا , وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ وَيَدْعُو لِلْعَصَبِيَّةِ أَوْ قَالَ لعصبية مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »لَفْظُ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى

10-أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ :ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»

11- وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ :نا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: نا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣] فَخَطَّ خَطًّا فَقَالَ« :هَذَا الصِّرَاطُ »ثُمَّ خَطَّ حَوْلَهُ خِطَطًا، فَقَالَ :«وَهَذِهِ السُّبُلُ، فَمَا مِنْهَا سَبِيلٌ

إِلَّا وَعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»

12- وَأَخْبَرَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ :نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أنا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا وَقَالَ بِأُصْبُعِهِ عَلَى الْأَرْضِ خِطَّةً قَالَ :«هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ » ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ وَيَسَارِهِ، وَقَالَ :«هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ »ثُمَّ تَلَا :{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[الأنعام: ١٥٣] الْخُطُوطُ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ

13- وَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ الْقَاضِي قَالَ :ثنا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْأَشَجُّ قَالَ :حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ :كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ:« هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ »، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]

14- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بن الْأَصْبَغِ، وَأَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ قَالَا :نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ أَبُو صَالِحٍ قَالَ: نا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ بَيْنَهُمَا , وَأَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ :يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعَوَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ

الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ :وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ :حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ"

15- وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ :ثنا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنصارِيِّ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، بَيْنَهُمَا أبواب مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ :يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّقُوا , وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ إنسان فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ لَهُ :وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ :الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ :حُدُودُ اللَّهِ , وَالْأَبْوَابُ : مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ :كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ :وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ"

16- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ :أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ :قَالَ عَبْدُ اللَّهِ " :إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ يَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ يُنَادُونَ :يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلُمَّ هَذَا الصِّرَاطَ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ"

17- أَخْبَرَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ :نا جَدِّي قَالَ: نا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ

ثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَمَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ»

18- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ :نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ عِيسَى الْحَنَّاطِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ :كَانَ يُقَالُ:« مَنْ أَرَادَ بُحْبُحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ»

19- وَأَخْبَرَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ نا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ :أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ قَالَ :قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: " تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تُحَرِّفُوا الصِّرَاطَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي عَلَيْهَا أَصْحَابُهُ، فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْعَلُوا الَّذِي فَعَلُوهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ قَالَ :فَحَدَّثْتُ بِهِ الْحَسَنَ فَقَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ، وَحَدَّثْتُ بِهِ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ، فَقَالَتْ :يَا بُنَيَّ أَحَدَّثْتَ بِهَذَا مُحَمَّدًا؟ قُلْتُ :لَا، قَالَتْ :فَحَدِّثْهُ إِذَنْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: عَلَامَةُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا: سُلُوكُ هَذَا الطَّرِيقِ , كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَنُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِلَى آخِرِ مَا كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِثْلَ الْأَوْزَاعِيِّ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ طَرِيقَتِهِمْ، وَمُجَانَبَةُ كُلِّ مَذْهَبٍ يَذُمُّهُ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ، وَسَنُبَيِّنُ مَا يَرْضَوْنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

الآن نرجع للأحاديث التي قرئت الآن فيها ما فيها، قلنا الأحاديث التي ذكرها الإمام الآجري عليه –رحمة الله تعالى– مازال في هذا الباب العظيم، الحديث الأول قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ على ذلك , فَهي مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**" . "**وَمَنِ اعْتَرَضَ أُمَّتِي بظلم بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَحْتَشِمُ**" **وقال لا يتحاشى مِنْ مُؤْمِنِهَا , وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي . وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَعصبُ لِلْعَصَبِيَّةِ وينصر لِلْعَصَبِيَّةِ وَيَدْعُو لِلْعَصَبِيَّةِ فمِيتَةً جَاهِلِيَّةً**". فيه مسائل هذا الحديث عظيم، قول النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكرنا في الأحاديث السابقة الأوامر بالالتزام بالجماعة، ومن هي الجماعة على اختلاف العلماء بمعنى الجماعة،، هنا يقول النبي صلى الله عليه وسلم **مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ على ذلك؛ فَهي مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**، وقلنا في مسألة مفارقة الجماعة من قبل هل مفارقة بالكلية فيكون ردة، أو مفارقة في أصل من الأصول التي قد تؤدي أيضًا إلى الكفر؟ أو في مفارقة بعض المسائل أو بعض الفروع؟ وعلى هذا يختلف الحكم في المسألة؟ لكن هنا النبي صلى الله عليه وسلم قال **مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ** بعض أهل العلم قالوا من خرج من الطاعة يقصد هنا –طبعًا الأصل طاعة الله عز وجل، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم– لكن أيضًا قالوا هنا خرج من الطاعة أي طاعة ولي الأمر، وقال من خرج من الطاعة وفارق الجماعة أي جماعة المسلمين، – على التعريفات التي بيناها– أو من قال خرج عن الطاعة عن ولي الأمر فقال في الجماعة هنا أي جماعة المسلمين على إمامه، أو إذا أجمعت الأمة على إمامه، وبعضهم من حمل الكلام على أنه خرج عن الطاعة؛ طاعة ولي الأمر، أو فارق الجماعة– جماعة المسلمين– الذين اجتمعوا على إمام واحد، فيها **بعضهم استنبط من ذلك:**

أولًا: وجوب تنصيب إمام للمسلمين؛

ثانيًا: تحريم مخالفة إجماع المسلمين، لأنه لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ**؟ كأن اجتمعت الأمة على إمام فمن فارق فكأنه خالف الإجماع، فهم أخذوا مسألة أخرى أصولية بـ (تحريم مخالفة الإجماع) وطبعًا هي لها آية أخرى في مسألة الإجماع أصوليًا ليس مبحثنا الآن، لكن نقول من هذا الحديث {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [النساء:115]، فهذا معناه أن عدم اتباع سبيل المؤمنين مخالفة الإجماع أيضًا، و فهنا فيه تحريم مخالفة إجماع المسلمين، وكأن الإجماع واجب الاتباع، فإن حدث الإجماع، وجب.

بل بعض أهل العلم قالوا من خالف الإجماع فقد كفر، وهذا فيه نظر، لابد من التفصيل إن كان الإجماع قطعيًا أو الإجماع ظنيًا. فلو كان الإجماع مقطوعًا به أو قطعيًا فمخالفة الإجماع وإنكاره قد يكون كفرًا، وأما إن كان الإجماع مظنونًا فإنكاره أو خلافه فهي معصية من المعاصي أو فسق من الفسوق، ولكنه دون الكفر. قال هنا النبي صلى الله عليه وسلم **فَمَاتَ على ذلك, فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ** ، كأنه يشبه النبي صلى الله عليه وسلم بميتته كميتة أهل الجاهلية الذين كانوا لا يبايعون إمامًا ولا يدخلون تحت طاعة، لكن ليس المقصود منها بأنه مات كافرًا، كأنه تشبيه بحالة أهل الجاهلية، أي كأنه مات على حالهم، ليس المقصود منها مات على حكمهم، لكنه مرتكب لكبيرة من الكبائر، وقد يجره بعد ذلك إلى الخروج من الإسلام.

ثم قال **وَمَنِ اعْتَرَضَ أُمَّتِي بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَحْتَشِمُ** ، وفي رواية **لا يتحاشى** كأن النبي صلى الله عليه وسلم الآن يريد أن يبين لنا صفات الذين يخالفون جماعة المسلمين، أو يخرجون على جماعة المسلمين، أو يخرجون عن طاعة الله عز وجل، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وطاعة ولي أمر المسلمين.

صفات الذين يخرجون على جماعة المسلمين:

1-من صفاتهم أنهم يعترضون عوام الناس من الأمة؛ سواء الأبرار منهم أو الفجار، فهذه كأنها علامات يبينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم تبين لنا مفارقة أهل السنة والجماعة عن أهل البدع، أو مفارقة من فارق الجماعة، وانساق وراء هذه الصفات، لذلك قال: [وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا]، طبعًا البر هو التقي النقي الورع، والفاجر المسيء العاصي الفاسق، وفيه طبعًا دلالة ورد عظيم أيضًا على أصحاب الخوارج الذين يكفرون بالكبيرة أو بالمعصية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هنا أدخل الفاجر مع البر، على أن من صفات الذين يخرجون في الأمة من صفاتهم أنهم يقتلون أهل المعاصي، يقتلون أهل البر، ويقتلون أهل المعصية، وفيها دلالة على أن حتى الفجار والأبرار يدخلون في الأمة ولا يُكَفَّرون بذلك. ومن اعترض البر أو الفاجر فقد فارق الجماعة.

وهنا توجد بعض الروايات لابد أن يضم بعضها إلى بعض، بمعنى؛ النبي صلى الله عليه وسلم هنا يبين في الحديث مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وكذلك من صفاتهم أنهم يعترضون عوام الأمة من البر والفاجر فيقتلونهم، ويسفكون الدماء في ذلك.

2-وقال أيضًا لا يوفون بعهدهم، فكأن هذا الذي لا يوفي بالعهد من صفات المنافقين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ايه [أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا] ومنها أنه لا يفي بالعهد. فيذكر لنا صفة أيضًا أخرى لهؤلاء الذين يخرجون أنهم لا يوفون بالعهد، وكأنها فيها إلماح على أنهم من المنافقين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، أو عندهم صفة من صفات النفاق.

3- يقاتلون تحت راية عمية أو للعصبية؛ عصبية القومية، عصبية الجماعة، عصبية الحزب، عصبية القبيلة، لينتصر للعصبية ويدعو للعصبية أيضًا، فقتل في سبيل ذلك، فهو قتل قتلة جاهلية أو ميتة جاهلية.

كل هذه صفات يبينها النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الذين يخرجون عن طاعة الله عز وجل، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وطاعة أولياء الأمور المقيدة – كما قلنا من قبل– أو يخرجون على جماعة المسلمين، فيسفكون الدماء ويقتلون البر والفاجر منهم، ولا يفرقون بين أحد منهم، وهذا كان له أصل كما حدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء ذو الخويصرة وقال للنبي صلى الله عليه وسلم[**يا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قالَ: وَيْلَكَ وَمَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: دَعْنِي، يا رَسولَ اللهِ، فأقْتُلَ هذا المُنَافِقَ، فَقالَ: معاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إنَّ هذا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ منه كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**] قال: أظنه قال الراوي [**لَئِنْ أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قتْلَ ثمود**].

فكانت هذه بداية الاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم، والخروج على حكمه صلى الله عليه وسلم، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم صفات هؤلاء، أن لهم من الدين، من العبادات، ومن الورع، ومن أمور كثيرة، ومع ذلك يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

ثم ظهروا بعد ذلك في خلافة (عثمان) رضي الله عنه وأرضاه، هم الذين خرجوا على عثمان أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وقتلوه زورًا وبهتانًا وكذبًا وقد حلبوا دمًا بعد ذلك ولم يحلبوا خيرًا كما جاءت السنة بذلك.

ثم كانوا مع (علي) يصلون معه في الكوفة، بل يتربصون به وهو يخرج من المسجد فينظرون إليه ويقولون (إن الحكم إلا لله) فينظر إليهم علي بن أبي طالب، وانظر إلى كيفيه تعامل سيدنا علي حتى مع هؤلاء، مع أن نقول ما فيهم من البدع، وما فيهم من سفك دماء المسلمين، وغير ذلك، وهذا ما لا يرضاه مسلم، لكن قالوا له كلمة حق أريد بها باطل، طبعًا هم يلمحون عليه بما حدث في التحكيم، فقالوا (إن الحكم إلا لله) ولا أريد أن أستفيض في المسألة السيرية فيها كثيرًا لأن غالبًا الكل يعلمها عنده، ومع ذلك علي بن ابي طالب قال لنا ثلاث ما دمتم تصلون معنا، وتقاتلون معنا، فلكم

أيضًا الغنيمة ولا تخرجون، فكان سيدنا علي يتعامل معهم على ذلك، أو يقرهم عليه حتى خرجوا عليه بعد ذلك، فقاتلهم.

ثم حدث ما حدث بعد ذلك من قتلهم للحسين إلى أن دب هذا الأمر في الأمة إلى زمننا هذا، وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي معنا [**وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا**] ،فخرجوا بعد ذلك إلى زمننا هذا قلنا يقتلون البر والفاجر كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين لنا في السنة بعض الأحاديث التي تبين كيفية التعامل مع المنكر الذي قد يظهر من أولياء الأمور وغير ذلك، وقد جاء في الصحيحين من حديث عباده بن الصامت قال: [**دَعَانَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَكانَ فِيما أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا علَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ**] ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في زيادة أخرى: [**وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطِعْ**]، وفي رواية أخرى قال أيضًا:[**بَايَعَنَا علَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ، قالَ: إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ**] .

إذًا بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الأول والرواية الثانية كيف التعامل مع هذه الأمور، وكيف تكون السمع والطاعة لأولياء الأمور، وأن الاستثناء في مسألة منازعة الأمر كما سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم أولًا قال [**لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ**] وهذا هو الأصل، ثم بين لنا الاستثناء عن هذا الأصل [**إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ**].

إذًا المسألة ليست مطلقة، نعم لأن قلنا الطاعة المطلقة تكون لله ولرسوله، لأن الله عز وجل لا يأمر إلا بالخير، إلا بالشرع الذي يريده للناس، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ} [النجم:3-4]، وأما غير ذلك فيصيبوا ويخطئوا، فلذلك لم تكن الطاعة مطلقة ولكنها مقيدة في المعروف،

وأيضًا المنازعة مقيدة فلا تكون إلا عند الإتيان بالكفر البواح. ومع ذلك أيضًا بعد هذا الاستثناء من الإتيان بالكفر البواح من يرجع لكتب أهل العلم فيما تكلموا في ذلك **قالوا حتى المنازعة في ذلك لابد لها من قيدين**؛ القيد الأول وهو القدرة والاستطاعة حتى بعد أن ترى الكفر البواح، فإن كنت في ذلة، أو ضعف، أو عدم قدرة أو استطاعة فليس لك أن تفعل ذلك، لأن هنا يأتي القيد الثاني: وألا تكون المفسدة أعظم من المصلحة، فالمفسدة ستكون بكثرة الدماء وكثرة القتل، فهنا لابد لك حتى بعد رؤية البرهان أنك تقف عند ما وقف عليه العلماء.

وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم في السنة في أمور كثيرة، قد يرى الأمور التي إن فعلها وفيها مصلحة تأتي بمفسدة أعظم فيتوقف عن فعل المصلحة حتى لا يجلب المفسدة، كما قال لعائشة[**لولا أنَّ قومَكِ حديثُ عهدٍ بكُفرٍ لَهدَمْتُ الكعبةَ ثمَّ أعَدْتُها على أساسِ إبراهيمَ**]، هذا أصل مهم جدًا يعلمه الفقهاء، الحكماء، أهل العلم الثوابت الراسخين في العلم على أن قد يكون الحق معك ولكنك ليس عندك القدرة على هذا الحق أن تأخذه، وأيضًا لو كان عندك بعض هذه القدرة لابد أن تنظر في المصلحة والمفسدة.

إذًا نخلص من ذلك على أن هذه المسألة كما جاءت فيها الأحاديث التي قد بيناها، وجاءت أحاديث أخرى تبين حتى وصلنا للنهاية في الحكم بالقيود، لكن قبل هذا وإن كان لم يصل إلى الكفر البواح، ما التعامل قبل ذلك، وحتى بعد ذلك؟

جاء أيضًا من حديث عوف بن مالك الأشجعي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:[**خِيارُ أئمَّتِكُمُ الَّذينَ تحبُّونَهُم ويحبُّونَكُم وتُصلُّونَ علَيهِم ويصلُّونَ علَيكُم وشرارُ أئمَّتِكُمُ الَّذينَ تبغَضونَهُم ويبغَضونَكُم وتَلعنونَهُم ويَلعنونَكُم قُلنا : يا رسولَ اللَّهِ أفلا نُنابِذُهُم ؟ قالَ : لا ما أقاموا فيكُمُ الصَّلاةَ ألا مَن ولِيَ علَيهِ والٍ فرآهُ يأتي شَيئًا مِن معصيةِ اللَّهِ فليَكرَهْ ما يأتي مِن معصيةِ اللَّهِ ولا ينزِعَنَّ يدًا مِن طاعةٍ**]، هذا الحديث عظيم جدًا فيه مسائل، قلنا المسائل العلمية لابد من النظر فيها بالتجرد باتباع ما جاءت الأدلة، ليس بهوى النفس، ولا العصبية التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في

الحديث الأول –سأرجع إليه– لما بين المقاتلة تحت راية عصبية أو التعصب سيموت ميتة جاهلية.

فالأمر ليس تعصبًا ولا هوى نفس، فوضع لنا النبي صلى الله عليه وسلم ضابطًا مهمًا جدًا؛ بيّن أنه سيكون في الأزمنة ذلك؛ أمراء يحبونهم ويحبونكم تصلون عليهم ويصلون عليكم، وأمراء تلعنونهم ويلعنونكم يبغضونكم وتبغضونهم، فسُئل النبي صلى الله عليه وسلم على المنابذة، قال: لا، ثم وضع قيدًا أيضًا: **[لا ما أقاموا فيكُمُ الصَّلاةَ]**.

إذًا الحديث الأول: **[إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا]**، والحديث الثاني **[لا ما أقاموا فيكُمُ الصَّلاةَ]**، فكان قيدًا أيضًا في مسألة المنابذة، على أنه ما أقيمت الصلاة، وفي رواية: **[ما صلوا لكم الخمسَ]**.

لكن هنا النبي صلى الله عليه وسلم بين كيف التعامل، قال: **[ألا مَن ولِيَ عليهِ والٍ فرآهُ يأتي شَيئًا مِن معصيةِ اللَّهِ فليَكرَهْ ما يَأتي مِن معصيةِ اللَّهِ]**، إذًا أولًا فليكره، ثم ثنى: **[ولا ينزِعَنَّ يدًا مِن طاعةٍ]**. يا ليت كل الأطراف تفهم هذه الكلمات التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم، الكل أخذ بجزء وترك جزء! فتجد الجهال الذين لا يعلمون شيئًا أو يريدون أيضًا اتباع الهوى والعصبية لم يقرأوا قول النبي صلى الله عليه وسلم **[فرآهُ يأتي شَيئًا مِن معصيةِ اللَّهِ فليَكرَهْ]** فحتى لا يسمحون للناس أن تكره المعصية وتكره الظلم، وإلا من لم يكره الظلم ولا المعصية ينبت النفاق في قلبه – والعياذ بالله – فكيف توافق الناس على معصية الله عز وجل ولو كان حتى الأمير!

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ما قال له سمعا وطاعة اطلاقًا، بل يكره. فتجد هؤلاء حتى ينكرون على من يكره الظلم، ومن غبائهم أنهم يقومون فيدافعون عن الظلم كأنهم يظنون بأنهم يدافعون عن السمع والطاعة لولي الأمر، وهذا من قلة فقهم في الدين! النبي صلى الله عليه وسلم قال **[فليَكرَهْ]** بل وجب عليك أن تكره الظلم، وتكره

المعصية، وليس هذا معناه أنك تخالف السمع والطاعة، أو أنك قد نازعت الأمر أهله.

ومع ذلك أيضًا تجد الطرف الثاني يظن بأن من كره ولم ينزع اليد من طاعة فكأنه راضي بما يفعله، فتجد الطرف الثاني يظن بأن من يقال له لا تنزع اليد من طاعة [إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا] و [لا ما أقاموا فيكُمُ الصَّلاةَ]، ولا يمنعك ذلك من كره ما هو فيه ظلم. فأيضًا هو من الجهل والغباء في التعلم، فيظن بأن من قال هذا الكلام كأنه يرضى بالظلم! فمن قال لك ذلك؟! النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالإثنين؛ قال [فليَكْرَهْ ما يَأْتِي مِن معصيةِ اللَّهِ ولا ينزِعَنَّ يدًا مِن طاعةٍ]، أدب عظيم من النبي صلى الله عليه وسلم، ونصيحة نبوية.

أولًا رأيت الصلاة تقام فاعلم أن هذه الدار دار إسلامية، قيد لك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، ثم أيضًا رأيت فيه ظلمًا أو معصية أو شيء تكره ذلك ولا يمكن أنك ترضى بذلك، أو تروج لهذا، أو تدافع عن هذا، فهذا يورث النفاق كما قلنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم [لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعروفِ]، ثم قال: [ولا ينزِعَنَّ يدًا مِن طاعةٍ].

وهذا الذي فعله الصحابة رضوان الله عليهم، وماذا فعل الحجاج بأنس رضي الله عنه؟ ضُرب أنس رضي الله عنه على قفاه، وأبو هريرة أُهين في زمن الحجاج، وابن الزبير عُلق على أسوار الكعبة، واختلف العلماء في كفر وفسق الحجاج، ولكن ترى ابن مسعود وابن عمر يصلون خلف الحجاج، بل إن الحجاج كان سببًا في قتل ابن عمر على الراجح، ولكن كان ابن عمر وابن مسعود يصلون خلفه، مع أن عليه من الله ما يستحق مما فعله بالصحابة، وبغير ذلك، وبقتله بعد ذلك لسعيد بن جبير، ومع ذلك الصحابة صلوا خلفه، ولم ينزعوا يدًا من طاعة.

ثم في بعد ذلك جاء الإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه أيضًا، معروف الإمام أحمد وفتنته مع ثلاثة من أولياء الأمور ومن الخلفاء؛ المأمون وغيره وغيره، ولما جيء إليه ليخرج عليهم قال: لا، رفض أن يخرج عليهم.

ثم جاء حديث أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها وهذا أيضًا أقول لأن المسألة لابد لها من ضبط ميزان، وهو ميزان الشرع، قال الرسول صلى الله عليه وسلم:[**إِنَّه يُسْتَعْمَلُ عليكُم أُمَراءُ، فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فمَن كَرِهَ فقَدْ بَرِئَ، ومَن أنْكَرَ فقَدْ سَلِمَ، ولَكِنْ مَن رَضِيَ وتابَعَ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ألا نُقاتِلُهُمْ؟ قالَ: لا، ما صَلَّوْا.**]، فانظر ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؛ [**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون**] تأمرون بالمعروف فيها وتنهون عن المنكر، أو تعرفون فيه معروفًا وفيه منكرا.

فذكر ثلاثة: [**فمَن كَرِهَ**] وهذا الأصل، وأنا أتعجب من الذين ينكرون على من يكره، طبعًا أنا أقول أن هذه المسألة أيضًا فيها أصول عند أهل السنة والجماعة؛ في كيفية الإنكار والنصيحة إلى ولاة الأمور وغير ذلك، إن أتى وقت سنبينها وإلا ستكون لها أمرًا آخر، لكن هنا فمن كره فقد برئ، وهذه دلالة على نقاء القلب.

وقلتها مرارًا كيف يكون لقلب مؤمن صادقًا أن يرضى بظلم؟! لذلك قال: [**فمَن كَرِهَ فقَدْ بَرِئَ**]، وهذا أمر قلبي، [**ومَن أنْكَرَ**] إن استطاع أن ينكر [**فقَدْ سَلِمَ**]، وهذه درجة أعلى. ثم حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الثالثة: [**ولَكِنْ مَن رَضِيَ وتابَعَ**] ورضي هذا رضا بالقلب، وهذه مصيبة كبرى؛ أن يرضى بقلبه فيقول يستحقون، يعملون لكذا ولكذا، ويرضى عن ذلك، أما الأكبر وأن يتابع، وهذه أم المصائب.

ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئل قالوا [**ألا نُقاتِلُهُمْ؟ قالَ: لا، ما صَلَّوْا**].

وطبعًا الإنكار هنا لو قلنا سنبين أن الإنكار كما قلت –والمقام لا أريد افصل أكثر من ذلك– لكن الإنكار له ضوابط عند أهل السنة والجماعة، والمسألة خلافية، الإنكار باللسان هل جائز أم لا؟ أم يعد خروجًا؟ وأما الإنكار بالفعل فهذا الأصل فيه أن يكون نصيحة واسرارًا لهم. فالإنكار العلني على خلاف بين أهل العلم؛ بعض يستدل ببعض الآثار التي وردت بين الصحابة في الإنكار على بعضهم بعضًا علنًا على أولياء الأمور.

والحقيقة أنه استقر الأمر بعد ذلك على أن الإنكار يكون من أولياء الأمور في السر، ويكون من أهل العلم، وأهل الحل والعقد، أو أهل الحكمة، وغير ذلك. وهذا يمكن يكون مشاهد لأنك إذا أنكرت علنًا ستأتي بمفسدة أعظم، بل قد يعاند، بل قد لا ينصلح حاله، لأنه يرى بأنه يُفضح على العوام، والعوام أغرار عندما تبين لهم هذا الأمر علنًا هم أيضًا لا يستطيعون أن ينضبطون بضوابط الشرع، هذه مسألة يحتاج فيها إلى ضبط شرعي والرجوع فيها لأقوال أهل العلم، ليست المسألة التي يكون فيها هوى النفس فيما يفعل.

وأيضًا لما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة النزع، قال: **[ولا ينزِعَنَّ يدًا مِن طاعةٍ]**.

كل هذه الأمور نبينها في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول على مسألة الخروج عن الطاعة، والخروج عن جماعة المسلمين، لذلك أيضًا في إحدى الروايات لما سُئل قال: (أدي ما عليك وسل الله ما لك).

وقلنا هذا كله يُجمع، فلا أحد يأخذ جزء من الكلام ويترك جزء من الكلام، كل هذه تكلمنا عنها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتبين المسألة كيف تكون؟ وكيف تنتهي؟ وما القيود والضوابط في ذلك؟ وهذا كلام علماء السلف إن رجعتم للقرون الخيرية ستجدون ذلك.

الإمام أحمد قال: [[ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق]]. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث قال: **[ولا يفي لذي عهدها فليس مني]**. وهنا يبين أن من الصفات أنهم لا يوفون بالعهد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: : **[أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَن كَانَتْ فيه خَلَّةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَلَّةٌ مِن نِفَاقٍ حتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ]**.

والنبي صلى الله عليه وسلم بين لنا وضرب لنا أعظم أنواع الوفاء بالعهد حتى مع الكفار، كما حدث مع حذيفة رضي الله عنه وأرضاه عندما أُعطي الأمان من قِبَل قريش على أن لا يقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاءت الغزوة وأراد أن يخرج حذيفة ويخرج أيضًا أبو حذيفة معه جاؤوا للنبي صلى الله عليه وسلم، فرفض قال:[نُوفِي لهمُ بعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ باللَّهَ عليهم] .

وانظر إلى عظم المسلم عند ربه، فأنه جعل العهد الذي يعطيه آحاد المسلمين إذا أعطى أحدًا لأحد من الكفار، على باقي المسلمين أن يلتزموا به ولا ينقضوه، قال النبي صلى الله عليه وسلم:[المسلِمونَ تتَكافأُ دماؤُهُم. ويَسعى بذمَّتِهم أدناهم، ويردُّ عليهم أقصاهم، وَهم يدٌ على من سِواهم] ومناسبة ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما يقول هنا (ولا يفي بعهده) يريد أن يبين لنا بان الأصل أن المسلم قد عاهد ولي الأمر، أو وفى له عهدًا، فخروجًا عن الجماعة وعن الطاعة فهذا عدم الوفاء بالعهد، وهذه من أعظم خصال النفاق.

النبي صلى الله عليه وسلم كان لما يرسل سرية أو جيش كان يوصيها بعدم الغدر قال :[اغزُوا بِسمِ اللهِ وفي سبيلِ اللهِ فقاتِلوا مَن كفَر باللهِ لا تغُلُّوا ولا تغدِروا] عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال: لو علمت أن أحد أشار إلى كافر في علامة من علامات الإيمان فنزل الكافر على أمانه فقتله لأفعلن ولأنكلن به. طبعًا هذا من باب التعزير ولن يقتله، لأن المسلم لا يُقتَل بالكافر، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إذًا قال: [ولا يفي لذي عهدها فليس مني] أو (ليس من أمتي) هنا طبعًا نقصد به ليست البراءة من الإسلام، بل هو خصلة من خصال النفاق، أو نقول ذنب من الذنوب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا] وإلى آخر ذلك، البراءة هنا من العمل.

ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال: **وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَعصبُ لِلْعَصَبِيَّةِ وينصر لِلْعَصَبِيَّةِ وَيَدْعُو لِلْعَصَبِيَّةِ فَمِيتَتَهُ جَاهِلِيَّةً** وهذه طبعًا دلالة واضحة على أن من يقاتل لابد أن ينتقي الراية التي يقاتل تحتها، وعلى المعنى الذي يقاتل له؛ هل هو يقاتل عصبية؟ لجماعة؟ لحزب؟ لقوم؟ لمجموعة؟ أم يقاتل لله عز وجل؟ وضوح الراية أمر عظيم، فالقومية والعصبية هذه مهلكة، فيكون المرء قد قُتل قتلة جاهلية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك قال في الحديث الآخر: **[مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللهِ]**، وفيه دلالة على نبذ التعصب، لأنه قال: **وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَعصبُ لِلْعَصَبِيَّةِ** ، نتكلم عن التعصب، وينبذ النبي صلى الله عليه وسلم التعصب، وما أكثر التعصب الموجود، بل إن التعصب أخرج المرء من الذي معه الحق إلى الباطل، كثير من الذين كانوا معهم حقوق، من التعصب وعدم التجرد واتباع الشرع خرجوا من الحق الذي كان معهم، وأصبح هم أهل الظلم، وليسوا أهل الحق.

وأكثر ما يكون التعصب في التحزب، ومع كثرة الأحزاب والجماعات وغير ذلك زاد التعصب، هذا يتعصب لجماعة، وهذا يتعصب لحزب، أو يتعصب لمجموعة؛ سواء كانت جماعة دينية، جماعة سياسية، جماعة دعوية، حتى بين الدعوة بعضها وبعض، الجماعات حدث ما فيها من التعصب والعصبية مقيتة، مميتة، سبب من أسباب فرقة المسلمين. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن التعصب، وأعظم ما يكون أنت تقاتل تحت راية عصبية، فتقدم نفسك، وفي الآخر تكون الميتة ميتة جاهلية – والعياذ بالله –.

ومنها التعصب التقليد، والتقليد من القلادة، وضع القلادة في العنق، فكأنه يُجَر، وكذلك التقليد الرجل يجر. والتقليد في الاصطلاح: رجوع المقلد إلى قول المرء بدون معرفة الدليل أو الحجة، وهذا لا إنكار فيه إن كان من العوام فينتقي مفتيًا أو عالمًا فيتبعه، لكن التقليد مذموم في الشرع طبعًا، لكن هو أصل التقليد أنك تتبع قول المرء بلا معرفة الدليل أو الحجة. وهذا للأسف نراه كثيرًا، هذا يفسق هذا وهذا يتبعه، هذا

يكفر هذا وهذا يتبعه، هذا يفجر هذا وهذا يتبعه، – من الفجور– وهذا يبدع هذا وهذا يتبعه! تجد أكثر ما يقولون بالكفر والتفسيق والتبديع في هذه الأزمنة لا يفقهون شيئًا في هذا، ولكن يتبعون قول من قال. فالمقلد لا ينشر قوله، فأنت إن كنت تتبع شيخًا أو إمامًا وتثق فيه فالقول لك فقط، ليس لتنشره! المقلد لا ينشر، والمقلد لا يدافع، والمقلد لا هو ليس له. العالم أو طالب العلم هو الذي يتقدم في ذلك، أما أنت مقلد لا تعلم شيء غير أنك تريد أن تسمع كلام شيخ ما، وتظن أن هو يقول الحق فهذا لك، لكن كيف تدافع وأنت لست أهل لذلك!

وهذه الإشكالية.. كثير مما يدافعون عن أقوال هم مقلدة ولا يفقهون غير أنهم ارتضوا هذا القول، فيدافع عنه فقط ولا يفهم الأقوال الأخرى، ولا يعلم الخلاف في المسألة، ولا يعلم أن الخلاف قد يكون تنوع، أم الخلاف تضاد، وهل يمكن أن يقبل؟ وهذا اجتهاد وقد ينقل هذا الاجتهاد أم لا يقبل؟ فلا تنكر عليه وغير ذلك.

إذا كان العلماء اختلفوا في حكم الحجاج هل هو كافر أم فاسق، مع أنهم يتقربون إلى الله ببغضه، وقبلوا خلاف بينهم مع ما فعله الحجاج. فالتعصب والتقليد هذا من من الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا حقيقة هو ما أودى ببعض نقول الأفراد أو الجماعات إلى أن وقعوا في ما وقعوا فيه، وهذا على الاطلاق، أنا أتكلم التعصب والتقليد أدى إلى ذلك.

والتقليد مذموم في الشرع، لأن الله عز وجل قد بين أن الكفار أصالة هم قلدوا آبائهم في ذلك، قال الله عز وجل: {بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ} [الزخرف:22]، وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ } [لقمان:21]. إذًا هذه سنة كونية كانت عند الكفار والمشركين؛ أنهم يتبعون ما وجدوا عليه الآباء.

وقد حدث هذا التعصب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لما في إحدى الغزوات قام رجل من المهاجرين فكسع رجل من الأنصار، فقام الأنصاري فأراد ان يكسعه، فقال ياللمهاجرين والثاني قال إلى ياللأنصار، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بينهم فأتى إليهم وقال: [دَعُوها فإنَّها مُنتنةٌ] . وأيضًا لما قلنا من قبل لما قام النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حادثة الإفك، وقال:[مَن يَعْذِرُنِي مِن رَجُلٍ قدْ بَلَغَ أذَاهُ في أهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ علَى أهْلِي إلَّا خَيْرًا، وَلقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا، وَما كانَ يَدْخُلُ علَى أهْلِي إلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ الأنْصَارِيُّ، فَقالَ: أنَا أعْذِرُكَ منه، يا رَسُولَ اللَّهِ، إنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وإنْ كانَ مِن إخْوَانِنَا الخَزْرَجِ أمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أمْرَكَ، قالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ وَهو سَيِّدُ الخَزْرَجِ،] وانظر إلى الراوي ماذا يقول: [وَكانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ ، فَقالَ لِسَعْدِ بنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ علَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَهو ابنُ عَمِّ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، فَقالَ لِسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فإنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ فَثَارَ الحَيَّانِ الأوْسُ وَالخَزْرَجُ] والنبي صلى الله عليه وسلم ويقف وسطهما أو على المنبر فنزل فخلص بينهما حتى سكتوا وسكت أو كما جاء في معنى الحديث. إذًا حدث التعصب؟ نعم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم سارع إلى بيان أنها منتنه، وأنها من دعاوى الجاهلية.

وهذا الذي حري بالمسلمين الآن أن ينبذوا التعصب بينهم، وهذا قلنا أن الاختلاف والتعصب يؤدي إلى الفرقة، وإلى الفشل، لكنه موجود، وقد حدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل حدث بين أفراد الصحابة لما أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه عيّر بلال بأمه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ].

إذًا العصبية تؤدي إلى الهلاك، تؤدي إلى الظلمات، تؤدي إلى التردد، والمرء إن قتل تحت ذلك، أو دخل في هذا الأمر بهذه العصبية وكانت نهايته، فليست نهايته إلا ميتة جاهلية – والعياذ بالله .

والحق التعصب كان بعد ذلك حتى بين الفقهاء،، انظر إلى المذاهب الفقهية في بعض العصور، كان كل مذهب يريد أن يتعصب أصحابه لمذهبه، فيبرزون قوة مثلًا أبي حنيفة ويقولون فيه أحاديث ضعيفة، ويأتي الشافعية فيقولون في الإمام الشافعي والإمام ابو حنيفة يريدون أن يرفعون الإمام الشافعي فيقولون فيه أحاديثا أيضًا ويضعفون فيما جاء أبو حنيفة وهكذا، وجاء أيضًا الحنابلة وقالوا، وجاء المالكية؛ أو

قبل ذلك نقول لأن الأحناف المالكية ثم الشافعية ثم الحنابلة بعد ذلك، فتجد أن حتى بعض الأصحاب حدث ما حدث من التعصب المذموم في المذاهب الفقهية الذي أدى أيضًا إلى وضع بعض الأحاديث إما تنتقص من إمام المذهب الآخر، أو ترفع إمام هذا المذهب. والأمثلة حقيقة كثيرة والمقام لا يستفيض لذلك.

بل إن أصحاب المذهب الواحد أحيانًا يحدث تعصب للمذهب وينكرون على أئمة المذهب إذا تركوا المذهب وخرجوا عن قول المذهب، وفعل ذلك البعض حتى عندنا في المذهب الشافعي ترى الرملي والشربيني مثلًا -إمامان من أئمة المذهب- يتعقبان النووي في بعض المسائل التي خرج فيها عن المذهب، ويقولون المذهب يُقدَم، مع إن النووي ما خرج إلا بدليل فترك قول المذهب واتبع الدليل في ذلك. وهذا حدث حتى مع الرافعي والنووي – وهم شارحوا المذهب- أعظم الأئمة في المذهب الرافعي والنووي لكن خرجوا عن المذهب بالدليل، فما تعصبوا للمذهب، لكن هناك بعض ترى يتعصبون على النووي لماذا خرج.

منها مسألة مثلًا قضاء الحاجة في الموارد الثلاثة وهي في المياه وغير ذلك، فالمذهب يقول على الكراهة، والنووي يخالف ويقول على التحريم لما فيه من أذى وضرر بالناس، فيتعقبونه على أنه المذهب يقدم مع أن النووي ما خالف إلا بالدليل.

وكذلك ابن عبد البر -وهو مالكي- يأتي للمالكية وينكر على بعض الأصحاب أنهم يخالفون خيار المجلس، يقول المالكية لا يقولون بخيار المجلس في البيع مع أنه ثابت حديث في الصحيحين، فيقول عمل أهل المدينة، وكيف وهو عمل أهل المدينة لا يعملون به وهو ثابت في الصحيحين؟! وكيف لا تأخذون به وأهل المدينة يعملون به، وهذا من أصولكم؟ فتجد هنا لا يقف عند أصول المالكية، ويخرج ويعمل بما جاء في السنة، وغير ذلك.

حتى القرافي أيضًا من المالكية لما تكلم في مسألة ولوغ الكلب، ومعروف قول المالكية في ولوغ الكلب؛ أي في مسألة نجاسة الكلب، لا يرون نجاسة الكلب، فالقرافي وهو من المالكية، والحديث في الصحيحين [طهورُ إناءِ أحدكُم إذا ولغَ فيهِ

الكلبُ أن يغسلهُ سبعَ مراتٍ أولاهنّ بالترابِ] فيقول هنا المالكية يقولون يكفي الغسل ثلاثة، فقال القرافي [[والعجب كل العجب من أصحابنا أي المالكية- صح حديث ولا يقولون به!]] انظر يتعجب مع أنه مالكي على أن الحديث صح ومع ذلك المالكية لا يقولون به، يقولون بالغسل ثلاثة.

وهكذا الأمثلة كثيرة من المذاهب الأخرى، وهذا يبين لك بأن العلماء بحق أهل الثقة وأهل العلم – ولا ننتقص من غيرهم- لكن نقول الذين هم فازوا باتباع الدليل وخرجوا عن التعصب للمذهب، هؤلاء الذين على ذكرهم وجعل لهم القبول مع أنهم يحسبون على المذاهب، لكن انظر لما وجدوا الدليل يخالف المذهب خرجوا، وهذا كله من التعصب المذموم، أقول التعصب على العموم مذموم فقهيًا كان، في مسائل العقيدة، أو في أمور أخرى.

ثم ذكر المؤلف حديث الصراط في أكثر من رواية منها قول حديث النواس بن سمعان الأنصاري: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ بَيْنَهُمَا , وَأَبْوَبٌ مُفَتَّحَةٌ** ، تمثل معي أي تدبر هذا المثل، النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم، **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ بَيْنَهُمَا , وَأَبْوَبٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الْأَبواب سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ :يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُّوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ إنسان فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكِ الْأَبواب قَالَ :وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ**، ثم فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المثل البديع العظيم في هذا الحديث، **فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، والسوران :حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبواب الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ .**

وهذا حقيقة مثال رائع بديع من النبي صلى الله عليه وسلم، يبين لك أن الطريق إلى الجنة طريقًا واحدًا مستقيمًا، وأن الحق واحد لا يتعدد، طريق واحد مستقيم يوصل إلى الجنة، وعلى جانبي الطريق ستجد حدود الله عز وجل إن تجاوزت ودخلت وقعت في محارم الله عز وجل، فكل سور له أبواب، وعلى الأبواب ستور، وانتبه.. من دقة وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال على الأبواب "ستور مرخاة"، ليس "أبواب مغلقة"، لا، ستور مرخاة، أي فيها دلالة على إمكانية فتحها والوقوع في المحرمات، لذلك قال ستور مرخاة، أي يمكن الستر يُرفع ويقع المرء – والعياذ بالله – أنه يتجاوز الحد فيقع في المحرم.

لكن الله عز وجل وضع على أول الصراط من يدعو الناس إلى دخول الصراط، أي لا يتفرجوا، لا يدخلون في الفرج، وكلما هممت بأمر قد تتعدى فيه وتدخل إلى الحدود وتتعدى إلى المحارم يأتي الواعظ الذي في نفس كل مسلم يدعوه: **وَيْحَكَ** (**أو ويلك**) **لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ** .

والصراط والداعي على أول الطريق، قال **كِتَابُ اللَّهِ** عز وجل، ولا شك بأن كتاب الله خير واعظ، وهو الذي يُنار به الطريق، قال تعالى:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء:82]، وقال تعالى:{ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت:44]، وقال تعالى: {قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ } [الزمر:28]، فالواعظ هنا هو كتاب الله عز وجل، وهو النور، قال سبحانه وتعالى: { قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ } [المائدة:15] .

إذًا الكتاب عظيم جدًا، فيه الهداية، وفيه النور، وفيه الطريق إلى الجنة، يسترشد به المرء ليصل به إلى جنة الله عز وجل، وهو الفرقان بين الحق وبين الباطل، وكل شيء تجده في الكتاب، لأن الله عز وجل بيّن أن هذا هو طريق الإسلام، وأن الداعي عليه هو كتاب الله عز وجل النور الهادي، فوجب أن يكون كل شيء في الكتاب؛

صغير وكبير، لذلك قال سبحانه وتعالى:{ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ} [الشورى:10]، وقال سبحانه وتعالى: {فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ } [النساء:59]، ما قال ردوه إلى فلان، وفلان، وفلان! لا، إلى الله والرسول.

ثم بيّن أن علامات النفاق عدم الرد إلى الله عز وجل وإلى النبي صلى الله عليه وسلم، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا} [النساء:61]. وهذه قاعدة، أصل تعلم بها المؤمن الحق من المنافق، قل له: تعالى يحكم بيننا كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال لك: سمعًا وطاعة فهو من أهل الإيمان، وأما إن قال لك هذه مسألة قد لا تجدها في الكتاب، لا تجدها في السنة، هذه مسألة يرجع فيها للعرف، يرجع فيها للدساتير، يرجع فيها لفلان وفلان، اعلم أنه هذا من أهل النفاق، ما دام صرح بذلك وقال بذلك، بل قد يتعدى إلى النفاق الأكبر، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:[**تركتُ فيكم شيئَين، لن تضِلوا بعدهما : كتابَ اللهِ ، و سُنَّتي**] فكيف بمن يترك الكتاب والسنة ويريد أن يتحاكم لغير ذلك!

ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن **وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ :وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**، كلما يهم المرء بمعصية تجد الله عز وجل يجعل هذا الواعظ يذكرك لا تفعل، اتق الله، ستقع إن دخلت ولجت، وهذه من نعمة الله عز وجل أنه لا يترك المرء هكذا، وهذه لا تكون أيضًا إلا لأهل الإسلام والإيمان، لابد أن الله عز وجل يذكرك بشيء حتى عند فعل المعصية، وإلا من ختم على القلب –والعياذ بالله– وكان هناك ران فهذه المصيبة الكبرى بأن المرء لا يشعر بشيء، والا فالله عز وجل جعل هذا الداعية حتى يكون واعظًا على قلب كل امرئ مسلم.

وقيل أن الواعظ هذا هو الملك يذكرك، وهذه دلالة على أن الملك له ما له من التعامل الحسن مع المسلم، بخلاف الشيطان، كأن الملك هذا هو الذي يذكرك وأما الشيطان فيدعوك إلى الدخول إلى هذه الأبواب التي في كل سور. قال النبي صلى

الله عليه وسلم:[إن للشَّيطانِ للمَّةً بابنِ آدمَ ، وللملك لَمَّةٌ ، فأمَّا لَمَّةُ الشَّيطانِ فإيعادٌ بالشَّرِّ وتَكْذيبٌ بالحقِّ ، وأمَّا لَمَّةُ الملَكِ فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ]، فكأن الملك هنا يقول لك اتق الله، ويحك لا تفعل، والشيطان هناك يدعوك إلى الدخول في هذه الستور المرخاة ورفعها.

وفيه بيان الفرق بين الملك وبين الشيطان، الملك يريد الخير للإنسان، وأما الشيطان فلا يريد إلا الشر له، كبرًا واستكبارًا وعنادًا لما حدث لإبليس مع آدم عليه السلام، لما أمر بالسجود له. وأمور الملك مع بني آدم كثيرة جاءت فيها الآثار، بعضها أحاديث، على أن الملك يكون لمته لمة خير وإيعاز بالخير لبني آدم، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث في الصحيحن عن ابن عباس قال: [إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له سَيِّئَةً واحِدَةً] وهذه الكتابة كلها تكون من الملك، وأما الشيطان فلا يريد إلا الشر لبني آدم، النبي صلى الله عليه وسلم قد بين في هذا الحديث أن هناك داعيًا في قلب كل مؤمن يدعوه إلى عدم معصية الله عز وجل، وهناك وازع شيطان يدعو إلى محارم الله عز وجل، والله عز وجل يقول:{ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ } [النحل:36]– والعياذ بالله – نسأل الله عز وجل أن نكون ممن هدى الله عز وجل جميعًا.

ثم ختم الشيخ هذه الروايات كلها في هذا الحديث العظيم وقلنا الروايات الأخرى ثم ختم الشيخ نقل كلامًا تمهيدًا للباب الذي سيأتي بعد ذلك؛ في حديث افتراق الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة، فقال: نقل عن محمد بن الحسين: عَلَامَةُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا: سُلُوكُ هَذَا الطَّرِيقِ , كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَنُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ

الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ إِلَى آخِرِ مَا كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِثْلَ الْأَوْزَاعِيِّ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ طَرِيقَتِهِمْ، وَمُجَانَبَةُ كُلِّ مَذْهَبٍ لا يذهب هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ، وَسَنُبَيِّنُ مَا يدينون به إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

بيّن أن الأصل الاستمساك بالكتاب والسنة، وكل ما جاء من بعد ذلك ساروا على هذا النهج من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، وأئمة المذاهب، وإن لم يذكر إلا بعض العلماء، لم يذكر كل العلماء حقيقة، لكن ذكر أئمة أهل العلم، وأئمة المذاهب في ذلك، وهذا ليس تزكية من الشيخ – رحمة الله عليه– لأن له أن يستأنس بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: [أنتم شهداءُ اللهِ في الأرضِ] وهذا الذي استدل به أيضًا شيخ الإسلام بن تيمية على أن الأئمة الأربعة في الجنة، يرى ذلك ويقول أن هذا لا يخالف أهل السنة والجماعة في مسألة التزكية والشهادة، قال قول النبي صلى الله عليه وسلم: [أنتم شهداءُ اللهِ في الأرضِ] لما جاءت الجنازة فقال: [وَجَبَتْ وَجَبَتْ] فجاءت جنازة أخرى فقال [وَجَبَتْ وَجَبَتْ] فقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: فدى لك أبي وأمي [مَرُّوا بجَنَازَةٍ، فأُثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بأُخْرَى فأُثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: ما وجَبَتْ؟ قَالَ: هذا أُثْنَيْتُمْ عليه خَيْرًا، فَوَجَبَتْ له الجَنَّةُ، وهذا أُثْنَيْتُمْ عليه شَرًّا، فَوَجَبَتْ له النَّارُ، أنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأرْضِ، أنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأرْضِ، أنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأرْضِ]، هذا الحديث استدل به شيخ الإسلام بن تيمية وبعض أهل العلم يقولون بأن من انتشر فضله، وانتشر تزكيته بين الناس، وانتشر شهادة الناس له، فهذا يدخل في هذا الحديث، لذلك البعض يقولون بأن الأئمة الأربعة لهم ما لهم من الفضل، ومن إيصال علمهم إلى زمننا هذا يجعلونهم بإذن الله من أهل الجنة.

الفوائد المستنبطة من الأحاديث:

من الفوائد المستنبطة من الأحاديث التي قد تكلمنا عنها – وإن كنا قد بينا أغلبها– لكننا نقول:

1- من علامات الفجور عند المبتدعة أنهم لا يفرقون حتى في سفك الدماء وفي التعدي بين البر وبين الفاجر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يحتشم من مؤمنه وفاجره، فيفتكون بالبر وبالفاجر، وهذا فجور، وعدم استحياء، فلا يستحون من أهل الإيمان– حتى لو قلنا أهل الفُجر، وأنهم ليس لهم ذلك– لكن ولا يستحيون من أهل الإيمان فينزلون عليهم ويفتكون بهم، وهذا بينها النبي صلى الله عليه وسلم، علامة ظاهرة، فإن رأيت ذلك علمت قول النبي صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء.

2- في حديث **وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ** أن الأصل لابد فيه أن الراية تكون راية من الكتاب والسنة، فان خالفت الراية الكتاب والسنة؛ أيًا كان حامل هذه الراية، وقدره، واسمه، وفضله، إن خالف الكتاب والسنة فرايته ليست براية أهل سنة.

3- أن المرء لابد أن يتقي الوقوع في المحرمات، ولا يحوم حول الحمى، فمن حام حول الحمى سقط ووقع، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصراط أنه أمر بأنه يسير في الطريق مستقيمًا، ولا ينظر إلى الأبواب وإلى الستور المرخاة على السور، وإلا سيقع فيما يقع فيه. لذلك التوسع في المباحات عند أهل العلم يوقع في المكروهات، والتوسع في المكروهات عند أهل العلم يوقع أو يكون سبيلًا –لا أقول جزمًا– في الوقوع في المحرمات.

لذلك ((**قاعدة سد الذرائع**)) من أعظم القواعد عند المالكية، والحنابلة، وإن كان الشافعية لا يصرحون بها، لكن يعملون بها، وهي من أصول أهل الدين مسألة سد الذرائع، وكما يقولون الوقاية خير من العلاج، والشرع جاء بذلك، حتى في أعظم الكبائر؛ منع اللمس المحرم، والنظرة المحرمة، والخلوة المحرمة، كل هذا قد يؤدي إلى الزنا المحرم – والعياذ بالله – . وعلى ذلك يقاس كثير من الأمور.

هذه آخر الكلمات في هذا الباب، ونكون قد انتهينا من هذا الباب ولله الحمد، نسأل الله عز وجل أن نكون وفقنا إلى ما نستطيع أن نقدمه به من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتعليق، والباب الذي يليه أيضًا من الأبواب المهمة سيتكلم فيه المؤلف عن افتراق الأمة، وأحاديث الافتراق، وغير ذلك تتمة لما قد بدأه في الباب الأول، نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بذلك، وأن يكون ذلك خالصًا لوجه سبحانه وتعالى.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السادسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتم مُّسْلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلا سَدِيدا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع درس جديد من كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمة الله تعالى-. واليوم ندخل في باب جديد كما قال المؤلف وهو: "بَابُ ذِكْرِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ فِي دِينِهِمْ وَعَلَى كَمْ تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟" أيضًا من الأبواب الهامة جدًا التي حدث فيها أيضًا بعض الكلام من بعض المتأخرين أو المعاصرين في الأحاديث التي سنقرأها، وفي مسألة ثبوت بعض الروايات، وفي المتن أيضًا فقد تكلم بعضهم في نكارة المتن، وكل هذا سنحاول أن نبينه إسنادا ومتنًا، لأن هذا

حديث من الأحاديث الهامة التي جاءت لها روايات عديدة في السنة، فنقرأ أولًا الروايات، ثم نبدأ إن شاء الله بالتعليق عليها.

قال المصنف – رحمه الله تعالى–:

3- بَابُ ذِكْرِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ فِي دِينِهِمْ وَعَلَى كَمْ تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ :أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ أُمَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:« أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً »، وَأَخْبَرَنَا عَنْ أُمَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، إِحْدَى وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» :وَتَعْلُو أُمتي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا تَزِيدُ عَلَيْهِمْ فِرْقَةً وَاحِدَةً، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ «ثُمَّ إِنَّهُ سُئِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« مَنِ النَّاجِيَةُ؟» فَقَالَ فِي حَدِيثٍ:« مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » وَفِي حَدِيثٍ قَالَ:« السَّوَادُ الْأَعْظَمُ »وَفِي حَدِيثٍ قَالَ :«وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ » قُلْتُ أَنَا: وَمَعَانِيهَا وَاحِدَةٌ إِنْ شَاءَاللَّهُ تَعَالَى

20 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ :حَدَّثَنَا الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاضِحٍ قَالَ: سَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ يَقُولُ: " أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ , وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ«: إِنَّهَا النَّاجِيَةُ»

21 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«تَفَرَّقَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَلَى إِحْدَى، أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أمتي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»

22- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ :حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاخْتَلَفَ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً , وَتَفْتَرِقُ أمتي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»

23- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " :«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أمتي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ :تَفَرَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَسَتَفْتَرِقُ أمتي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، تَزِيدُ عَلَيْهِمْ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، فَقَالُوا :مَنْ هَذِهِ الْمِلَّةُ الْوَاحِدَةُ؟ قَالَ :«مَا أَنَا عَلَيْهَا وَأَصْحَابِي»

24- حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ :نا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ ,عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أمتي مِثْلُ مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا بِمِثْلٍ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ أمتي

سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً »قِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :«مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»

25- حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: نا أَبُو مَعْشَرٍ وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ بَكَّارٍ قَالَ :حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ , عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : وَحَدَّثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأُمَمِ فَقَالَ :« تَفَرَّقَتْ أُمَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً، سَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، إِحْدَى وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«وَتَعْلُو أمتي عَلَى الْفِرْقَتَيْنِ جَمِيعًا بِمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ »، قَالُوا :مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:« الْجَمَاعَةُ » قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ زَيْدٍ: فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا فِيهِ قُرْآنًا {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: ١٥٩] ثُمَّ ذَكَرَ أُمَّةَ عِيسَى فَقَرَأَ {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } [المائدة: ٦٦] قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ أُمتنَا فَقَرَأَ { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: ١٨١]

26- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ :حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ يَعْنِي ابْنَ سَوَّارٍ قَالَ :أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَا ابْنَ سَلَّامٍ، عَلَى كَمْ تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ؟ »قَالَ: عَلَى وَاحِدَةٍ وَسَبْعِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ يَشْهَدُ عَلَى بَعْضٍ بِالضَّلَالَةِ، قَالُوا :أَفَلَا تُخْبِرُنَا لَوْ قَدْ خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا فَتَفَرَّقَ أُمَّتُكَ، عَلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُهُمْ؟ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«بَلَى، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا عَلَى مَا قُلْتَ وَسَتَفْتَرِقُ أمتي عَلَى مَا افْتَرَقَتْ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَسَتَزِيدُ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ لَمْ تَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ »وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

27- وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ الْبَزُورِيُّ قَالَ :سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ سُحَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أمتي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ»

28- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ ابْنَةِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهَا سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَلَنْ تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَفْتَرِقَ أمتي عَلَى مِثْلِهَا أَوْ قَالَ :عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ , وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ"

29- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ :نا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَبُو نَشِيطٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِئٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَا :حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ قَالَ :

حَدَّثَنِي أزهر بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوْزَنِيُّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَامَ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ بِالنَّاسِ بِمَكَّةَ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَذِرَ هَذِهِ الْفِرَقَ، وَجَانَبَ الْبِدَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الْأَثَرَ فَطَلَبَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاسْتَعَانَ بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ

30- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: "إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ

قال المؤلف – عليه رحمة الله تعالى– **بَابُ ذِكْرِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ فِي دِينِهِمْ وَعَلَى كَمْ تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟** وقرأ علينا الآن روايات عدة بهذا الحديث حديث ستفترق الأمة، أولًا اثبات افتراق أمة اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتراق أمة النصارى على إثنين وسبعين، وافتراق أمة النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاث وسبعين، فلما سُئل على أن كلهم في النار إلا واحدة، قالوا من هم؟ قال **مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**، وفي روايات **السَّوَادُ الْأَعْظَمُ**.

هذا الباب كأنه أتى به المؤلف – وهذا من حسن التصنيف– بعد أن ذكر مسألة الافتراق والاختلاف، وذم الافتراق والاختلاف في الأمة في الأبواب السابقة، أتم الكلام بهذا الباب؛ وهو باب يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمة ستختلف على ثلاث وسبعين فرقة وكلهم في النار إلا واحدة؛ وهي الفرقة الناجية، أو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فهذا فيه إثبات على وقوع الاختلاف في الأمة، لقوله تعالى:{ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود:118]، فيبين أن المسألة مستقرة، كما بينا من قبل كونًا سيقع الاختلاف وإن كان شرعًا قد نبه الله عز وجل وذم هذا الاختلاف. لكن أتى المؤلف بهذا الباب ليبين قول النبي صلى الله عليه وسلم في وقوع الاختلاف، وعدد الفرق، ويذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن اليهود قد افترقت على عدد، والنصارى افترقت على عدد، وأن الأمة ستفترق على عدد أزيد من أعداد الأمم السابقة.

وهذا الحديث وقع فيه بعض الإشكاليات عند بعض المعاصرين؛ أي أن بعض المعاصرين تكلموا في هذا الحديث بالروايات التي قد قرأناها، أولًا تكلموا فيه سندًا ومتنًا؛ أي البعض تكلم فيه من باب السند وأراد أن يضعف الروايات، والبعض تكلم في المتن من باب نكارة في المتن كما سنبين. وهذا الذي يجعلنا نفصل في الحديث اليوم عن الحديث سندًا في بعض الإشكاليات التي تطرقوا إليها نبينها، ثم سنبين الشبهات التي تكلموا عنها في المتن، على أنهم أرادوا أن يقولوا أن الحديث فيه أولًا عدم ثبوت في السند؛ فيه ضعف في روايات عدة، ثم إن سَلَم سندًا فلن يسلم متنًا، لأن هناك نكارة في بعض الألفاظ، خاصة قول النبي صلى الله عليه وسلم **كُلُّهم فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**. فألقوا بعض الشبهات سنبينها إن شاء الله.

لكن المعنى الاجمالي للأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الحيدة عن طريق النبوة، أو الحيدة عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، وأن من حاد عن هذا الطريق سيقع في الفرق التي نبأنا بها النبي صلى الله عليه وسلم انها ستكون في الأمة، وأن هذه الفرق ستكون في النار إلا فرقة واحدة؛ وهي الفرقة الناجية وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فهذا المعنى كأنه حث من النبي صلى الله عليه وسلم وتحذير على أن من يخالف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيقع في هذه الفرق التي هي فرق نارية كما جاء في معنى الحديث.

لو بدأنا أولًا بالإسناد – فسنبين فقط حتى لا أطيل عليكم إسنادًا لأن هي لها دراسة في الإسناد – طبعًا هو أولًا غالب العلماء أو الجمهور من المحدثين على اختلاف درجات اثبات الحديث أثبتوا الحديث على أنه في درجة الحُسن، والبعض علا قليلًا، والبعض نزل، لكن نقول الجمهور على التحسين، الذي نقل من العلماء الأجلاء في مسألة الحديث هو نقل فقط على (ابن حزم) نقلوا عليه خطأ كما سأبين أنه قال أن الحديث موضوع، وهذا لم يوجد في كتاب لابن حزم أنه قال أنه موضوع، أي أن البعض نقل، وهذا (الشوكاني) الذي نقل ذلك في تفسيره، لأن الشوكاني من الذين أيضًا تكلموا في ثبوت الحديث، ونقل على أن ابن حزم يقول بالوضع. والحق أن ابن حزم ما قال بالوضع، لما رجع العلماء لكتابه "الملل والنحل" فما وجدوا كلامًا له في أنه "موضوع"، لكن وجدوا كلامًا أنه "لا يصح"، لكن ليس موضوعًا.

فتكلم ابن حزم وانفرد في هذا الكلام حقيقة على أن الحديث لا يصح، كما أنه انفرد أيضًا في تضعيف الحديث المعلق بالبخاري حديث المعازف "يستحلون الحر والحرير" وتكلم فيه كلامًا شديدًا، ومعلوم عند العلماء أن ابن حزم إذا انفرد في مسألة التضعيف فهذا الكلام فيه نظر ولا يعول عليه كثيرًا، مع دقة ابن حزم طبعًا وقدره عند أهل العلم، لكن هو ابن حزم الذي ورد عنه أنه تكلم في الحديث.

والشوكاني طبعًا تكلم عنه في تفسيره ونقل ذلك أيضًا عن (ابن الوزير اليمني) وابن الوزير اليمني هو الثالث الذي تكلم في الحديث، لكن سنبين ابن الوزير لم يتكلم في الحديث سندًا، لكن تكلم في الحديث متنًا على أنه يرى أنه يوجد في نكارة في المتن، وأما سندًا لم يتكلم فيه لأنه ذكره في بعض كتبه واستشهد به سندًا.

إذًا جمهور المحدثين على أنهم يثبتون الحديث، لكن الذين تكلموا في سند الحديث تكلموا في إحدى الروايات التي ثبتت من التي قرأناها اليوم، رواية **مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو** بن علقمة بن وقاص الليثي، **عَنْ أَبِي سَلَمَةَ** بن عبد الرحمن بن عوف من الفقهاء السبع، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ، هذا السند، (رواية رقم 21). أنا أريد "محمد بن عمرو" الكلام عليه، لأن محمد بن عمرو هم الذين تكلموا فيه على أنه صدوق، أو أنه انفرد، لأن

غالب الروايات ترجع لمحمد بن عمرو بن علقمة، ومحمد بن عمرو أهل العلم قالوا؛ أبو حاتم مثلًا قال: "يكتب حديثًا"، والنسائي قال: "لا بأس به"، والنسائي معروف عنه أنه من المتشددين في الجرح والتعديل. فإذا قال النسائي "لا بأس به" فهذا تعض على هذا الراوي، أي هذا النسائي معلوم عنه أنه من المتشددين في مسألة الجرح والتعديل فقالوا إذا قال النسائي "لا بأس به" فعضوا عليه بالنواجذ. وكذلك البخاري، وهذا الذي ألمح إليه بعض الذين يضعفون في محمد بن عمرو قالوا البخاري لم يُخَرِّج له في صحيحه في الأصول، وكذلك مسلم لم يُخَرِّج له في الأصول، لكن البخاري خرج له مقرونًا، ومسلم خَرَّج له متابعًا (في المتابعات)، نعم لم يخرجوا في الأصول لكن خَرَّج له البخاري مقرونًا في الصحيح وخرج مسلم له في المتابعات.

وطبعًا أنا سأقلل في المسائل الحديثية لأن طبعًا نحن ما تدارسناه معًا، لكن لو عندكم تغذية من قبل.

المهم الشاهد بأنه وحتى إن لم يُخَرِّج له البخاري في الأصول ولا مسلم، لكن خَرَّج له هنا في المتابعات وهناك مقرونًا، فهذا يدل على أن الراوي لا ينزل عن درجة الحُسن. ومقرون أي لم يفرده بسند لكن مقرونًا مع غيره، وأما مسلم لم يضعه في الأصول. ترى مسلم عنده الحديث بأصله ثم يذكر متابعات للحديث، هو ذكره مسلم في المتابعات لكن لم يخرج له في الأصول، ومع ذلك هذا إن دل دل أيضًا على أنه لا ينزل عن درجه الحسن، وهؤلاء الجهابذة رووا له أيضًا، لم يهملوه. فهذا محمد بن عمرو الذي تكلموا فيه.

أما طبعًا أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف هذا من الفقهاء السبعة، أي من الثقات الأثبات، وإن كان طبعًا بعضهم اختلفوا في أبو سلمة وسالم، بعضهم يجعلونه من الفقهاء، وبعضهم يجعلون سالم مكانه، المهم أن هو ثقة متقن في الحديث لا كلام فيه.

وأبو هريرة صحابي جليل، والصحابة كلهم عدول.

إذًا هذا السند برواياته المختلفة الذين تكلموا في محمد بن عمرو يدل على أن محمد بن عمرو لا ينزل عن درجه الحُسن.

وقلنا أن ابن حجر قال عن الحديث حديث حسن، والحاكم قال أيضًا حديث صحيح على شرط مسلم. المهم أنا أريد الكلام كله على محمد بن عمرو أنه لا ينزل على درجه الحسن، لذلك فسيصح الحديث.

هناك أيضًا زيادة التي جاءت في نفس السند حديث معاوية رضي الله عنه، وهذه الزيادة مهمة؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم [**إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على إثنين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**] وهذه الزيادة مهمة، لأن هذه الزيادة تكلموا [**كلها في النار**] هذه من النكارة تكلموا عنها في المتن- كما سنبين الآن-.

وفي رواية غير رواية معاوية التي قرأناها الآن قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**مَا عَلَيْهِ أَنَا وَأَصْحَابِي**] رواية عبد الله بن عمرو. والكلام الثاني في الحديث على رواية أزهر بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (رواية رقم 29) هذه الثانية التي تكلموا عنها حَدَّثَنِي أزهر بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوْزَنِيُّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ . (أزهر) تكلم فيه العلماء لأنه كان ناصبي، كما ذكر الذهبي ذلك في "الكاشف" لذلك تكلموا فيه على أنه ناصبي، لكن أزهر بن عبد الله هو صدوق لكنه ناصبي، فالكلام فيه في المذهب، ولما يكون الكلام في المذهب إذًا ينظر إلى الروايات؛ إن كانت الروايات التي يتكلم فيها ناصرة لمذهبه هنا التي فيها الإشكال، لكن إن لم تكن ناصرة لمذهبه قال علماء الحديث ما دام هو صدوق أو لم ينزل إلى الضعف فيأخذون بالروايات. وحتى ابن حجر قال بعد أن تتبع تخريج هذا الحديث في كتابه قال إسناده حسن من أجل أزهر؛ أي هو جعلوه حسن لأن أزهر ناصبي، لكن قبلوا السند، وقبلوا الرواية عن أزهر.

وأبي عامر عبد الله بن لحي هذا ثقة؛ تعلموا أبي عامر عبد الله بن لحي هذا من المخضرمين..هل تعلموا لماذا هو من المخضرمين؟ المخضرم هو من عاش في الجاهلية وعاش في الإسلام لكنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم؛ لم ير النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو المقصود، لم يحظى بالرؤية، فهو ثقة ثبت.

إذًا الكلام كله في أزهر، وأما معاوية فصحابي؛ كاتب الوحي رضي الله عنه.
إذًا الحديث كما قاله ابن حجر أيضًا الحديث حسن، وأيضًا حسنوا هذه الرواية لأن هذه رواية معاوية مهمة لأن الكلام فيها على **كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً** الذي تكلم فيها ابن الوزير وغيره من المعاصرين الذين أرادوا أن يثبتوا نكارة الحديث وسنبينها إن شاء الله.

لكن هذا الحديث أيضًا حسنه ابن حجر، وحسنه أبو داوود، وله طرق كثيرة رواها الترمذي أيضًا وأبو داوود وابن ماجه وكلها أحاديث كما قلنا حسان.

هذا طبعًا مجمل الكلام، أريد أن أبين أن الحديث سندًا هو حسن الحديث ولا ينزل عن ذلك، وتكلم فيه علماء الحديث وأثبتوه، وأما كما قلت الذي تتكلم عنه الشوكاني، ونقل كلامًا عن ابن حزم مردود- لما قال بأن ابن حزم قال موضوع- وهذا الكلام لا يصح، وإن حتى ثبت أن ابن حزم قال موضوع فيرده النقد العلمي الذي عند أهل الحديث بثبوت الحديث حتى من باب الحسن – لو قلنا-، لكن بالتتبع لكلام ابن حزم فلم نجد له كلامًا على أنه موضوع، لكن هو قال بأنه حسن، قال بأنه لم يصح، والكوثري هو الذي نقل كلام ابن حزم وطعن في هذه الروايات أيضًا من جهة الإسناد، ونقل ذلك عن ابن الوزير اليمني كما قلت. وابن الوزير اليمني قلنا بأن كلامه لم يطعن في السند لأنه ذكر الحديث في بعض كتبه، لكنه تكلم في المتن. هذا الكلام عن مسألة السند.

<u>ندخل في مسألة المتن</u>؛ وما الإشكاليات التي قد عنَّت عند بعض المعاصرين فتكلموا في المتن، فأرادوا أن يهدموا الحديث أو لا يثبتونه.

فأول شيء هم تكلموا في لفظة كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، هم طبعًا تعلقوا بكلام ابن حزم، وتعلقوا أيضًا بكلام ابن الوزير، لأن ابن الوزير أيضًا لما تكلم تكلم في كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً .

الشبهات التي ألقوها:

الشبهة الأولى:

قال الإشكال من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن المتن فيه نكارة، قلنا ما هي النكارة؟ قالوا: الآن كيف تكون هذه الأمة هي الأمة الخيرية كما أثبت الله عز وجل قال:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [آل عمران:110]، ويكون فيها الافتراق أكثر من أمة اليهود والنصارى؟ فكيف تجتمع الخيرية مع الافتراق؟ فقال هذه فيها تعارض وأن أصول الشريعة تقول بأن قول الله عز وجل: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } فالافتراق نقص، فكيف تكون الخيرية في الأمة عن الأمم السابقة والافتراق فيها موجود، أولًا. ثانيًا: الافتراق فيها أكثر من الأمم السابقة فكيف؟ فلذلك قال هذا تعارض أو نكارة في المتن تجعل أننا لا نثبت الحديث.

فكانت هذه أولًا الشبهة الأولى؛ ما هي الشبهة الأولى؟ الافتراق نقص لا كمال، والله قد أثبت الخيرية للأمة فكيف نجمع بين خيرية الأمة من قوله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وبين الحديث الذي فيه الافتراق؟ وعندنا أن من أصول نقد متون السنة، عندما تريد أن تنقد متن من متون السنة، من أصول النقد أن يكون الحديث مخالف أو مضاد لآيات الكتاب. وهذا الأساس مهم جدًا، عندما تريد أن تنقد حديثًا وتقول عن النكارة فيها شيء لابد أنك تقول هذا لأنك يظهر لك أن هناك تضاد بين الحديث وبين الآيات، وطبعًا هنا سترجح الآيات، لذلك تقول أنا أنقد هذا الحديث.

وهذا قد حدث في زمان الصحابة رضوان الله عليهم، أي هذا التاصيل في نقد المتون، أنه قد حدث مع عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما ذكر لها ابن عباس أن

تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال استدل برواية النبي صلى الله عليه وسلم[إِنِّي أَرَاهُ] أو [أَنَّى أَرَاهُ] أيضًا، فلما سمعت عائشة ذلك قالت إنه ليقشعر رأسي – أو بدني– ممن يقول ذلك، ثم استدلت بقوله تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام:103].

نحن لا نتكلم عن اجتهاد عائشة في المسألة، لكن نتكلم عن التأصيل، هي لما قالت الحديث لما قال ابن عباس [نورٌ إني أراهُ] أو [أنَّى أراهُ] ردت عليه بالآية، على أن الآية تنقد هذا الحديث، وهذا من نقد متون السنة؛ أنك تأتي بآيات تخالفه.

وأيضًا لما ذُكِر لها بأن عمر رضي الله عنه وابن عمر يرون بأن الميت يُعَذَّب ببكاء أهله عليه، قالت [إِنَّكَ لَتُخْبِرُنِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبٍ وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ] ، طبعًا هذا من إنزال الناس منازلهم، وانظر تأدب الصحابة مع بعضهم مع أن عائشة أم المؤمنين، لكن أيضًا تعرف قدر عمر وابن عمر، قالت [وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ] ، ثم قالت ما حَدَّث صلى الله عليه وسلم أحدًا أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد، ثم تلت قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الأنعام:164].

فالشاهد هم قالوا إذًا عندنا أصول؛ لما نجد نكارة في متن، أو يظهر لنا ذلك، فلنا أننا ننقد هذا المتن ونتكلم.

فهم دخلوا من هذا الباب حقيقة؛ وهو أن الله عز وجل قال: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} والنبي صلى الله عليه وسلم يقول [وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة] فيقولون أين الخيرية الذي تتكلم عنها؟ فهذا يخالف ظاهر القرآن. هذه الشبهة الأولى عندهم. سنرد بعد ذلك، لكن نثبت الشبهة.

الشبهة الثانية:

أيضًا استدلوا بمسألة الخيرية {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [آل عمران:110]، وأيضًا من قوله تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة:143]، الوسطية، وقول

النبي صلى الله عليه وسلم: [نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، ونَحْنُ أَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمُ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا، وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ]

– كل هذه مناقب لهذه الأمة–.

فقالوا إن كنا نحن هؤلاء الذين لنا الفضل كيف يثبت لنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن اليهود افترقت على إحدى وسبعين، والنصارى إثنين وسبعين، ونحن سنفترق على ثلاث وسبعين؟ فقالوا هذا زيادة في الافتراق، والزيادة في الافتراق أيضًا فيه منقصة، فكيف والنبي صلى الله عليه وسلم يقول نحن الأولون يوم القيامة والآخرون في البعث وغير ذلك، فقالوا هذه الزيادة في الفرقة تضاد الآيات التي قد جاءت وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه الشبهة قريبة من الشبهة الأولى، فالأول أنهم بيثبتوا أن الافتراق ضد الخيرية، ثم أيضًا زيادة الافتراق في العدد تزيد، كيف تزيد عن باقي الأمم التي نحن المفروض أننا في خيرية عنها؟

الشبهة الثالثة:

وهي أقواهم في هذه المسألة، قالوا النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الثلاث وسبعين قال اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فقالوا هذا يناقض ما جاء في الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [يقولُ اللهُ تعالَى: يا آدمُ! فيَقولُ: لبَّيْكَ وسعدَيْكَ والخيرُ في يدَيْكَ، فيقولُ: أخْرِجْ بعْثَ النارِ، قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كلِّ ألْفٍ تِسعَمائةٍ وتِسعةً وتِسعينَ، فعِندَها يَشيبُ الصغيرُ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وتَرَى النَّاسَ سُكارَى، وما هُمْ بِسُكارَى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ قالُوا: يا رسولَ اللهِ! وأيُّنا ذلِكَ الواحدُ؟ قال: أبْشِرُوا، فإنَّ مِنكمْ رجُلًا، ومِن يأجُوجَ ومأجُوجَ ألْفٌ، والَّذِي نفسِي بيَدِهِ، أرْجُو أنْ تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجَنَّةِ، فكبروا، ثم قال أرجُو أنْ تَكونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ فكبروا، ثم قال أرْجُو أنْ تكونُوا نِصفَ أهلِ الجَنَّةِ – أو شطر أهل الجنة–قال وما أنتمْ في النَّاسِ إلَّا كالشَّعْرَةِ السَّوداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبْيَضَ، أو كشَعْرَةٍ بَيضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أسْوَدَ].

قالوا هذا الحديث ونحن أكثر أهل الجنة- شطر أهل الجنة- فكيف يكون هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم: اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ فيدل على أن أكثر أهل النار سيكون من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، فاليهود إحدى وسبعين إلا واحدة، والنصارى إثنين وسبعين إلا واحدة، ونحن ثلاث وسبعين؛ إثنين وسبعين وواحدة، فقال هنا يدل على أنه يخالف الأصول التي تقول بأننا أكثر أهل الجنة وليسوا أكثر أهل النار.

فاجتمعت عندهم هذه الشبهات في الحديث، فتكلموا على أن هذا الحديث فيه نكارة في المتن.

الرد على هذه الشبهات:

الرد على الشبهة الأولى: قولكم بأن الحديث خالف أصول الكتاب أو ما جاءت الآيات، هذه المقدمة لا نقبلها، لأنه لا خلاف عندنا بين متن الحديث وبين القرآن، فالقرآن لا يخالف متن الحديث الذي جاء.

والتوجيه للشبهة الأولى وهو أنهم يرون بأن خيرية الأمة تناقض هذا الحديث نقول لا خلاف، فالخيرية التي تكلم عنها النبي صلى الله عليه وسلم لابد ننظر أولًا في توقيت نزول الخيرية، فهي نزلت أولًا على الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وخوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة، والصحابة كلهم عدول، كلهم خيار. إذًا هنا نقول أن قول الله عز وجل: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} نقول هي نزلت أولًا على الصحابة لأنهم كلهم كانوا خيارًا ثم هي باقية أيضًا إلى يوم الدين، نقول ذلك، {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:29]، وقوله تعالى:{ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا } [الفتح:29]. وأيضًا قال الله عز وجل:{ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ} [الفتح:18].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [النجومُ أمنةٌ للسماءِ ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتَى السماءَ

ما توعَدُ ، وأنا أمنَةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدونَ ، وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتي ، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ]. وهو الذي قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تسُبُّوا أصحابي فلو أنَّ أحَدَكم أنفَق مِثْلَ أُحُدٍ ذهَبًا ما بلَغ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصيفَه]. وبيّن أن[خيرُ القرونِ قرْني, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ الَّذين يلونَهم]. وقال سبحانه وتعالى في مدح الذين جاءوا متأخرين في ذكرهم عن المتقدمين:{ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ} [الحشر:10].

إذًا الخيرية موجودة في أول نزول الآيات، وأقوى وجود للخيرية كان في زمن الصحابة، ثم سيحدث انخفاض في هذه الخيرية وافتراق إلى آخر الزمان لقول النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وهُمْ كَذلكَ].

إذًا نحن نقول الخيرية ستبقى إلى أن يخرج المسيح الدجال وينزل عيسى عليه السلام وتحدث آخر علامات الساعة، لكن نقول أن الخيرية تقل، وتقل بدخول الاختلاف عليها والافتراق، وهذا مصداقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم:[لا يأتي عليكم زمانٌ إلَّا والذي بعدَهُ أشرُّ منه حتى تلقَوا ربَّكم].

إذًا نحن لا تضاد عندنا بين آيات الخيرية الموجودة وبين اثبات الاختلاف في الأمة، لكن نقول أقوى زمان للخيرية كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، ثم سيأتي بعد ذلك اختلافات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فتقل هذه الخيرية لكنها باقية، بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم [لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي] وأيضًا لاختلاف الأزمنة، فيؤدي إلى كل زمان أشر من الذي قبله، فلا يظهر تعارض في ذلك، هذا أولًا.

الرد على الشبهة الثانية: قالوا بأن الافتراق نقيصة وزيادة الافتراق في الأمة ثلاث وسبعين عن اليهود إحدى وسبعين وعن النصارى زيادة في النقيصة، نقول لابد أولًا أن نفرق بين الافتراق في أمة اليهود والنصارى، وبين الافتراق في أمة النبي صلى

الله عليه وسلم؛ بمعنى؛ الافتراق الذي حدث في أمة اليهود والنصارى افتراق يستلزم خلودهم في النار فكان افتراقهم بأنهم ردوا ما جاء في التوراة والإنجيل وغير ذلك فكان الافتراق نتيجته الخلود في النار، **انتبهوا لهذه المسألة مهمة**.

أما افتراق أمة النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وسبعين لا يستلزم الخلود في النار – وسنبين هذه لأن هذه ستجرنا إلى الثالثة– بل هم من أهل الإسلام، وهم ما خرجوا عن دائرة الإسلام، وسنبين أقوال الأئمة في مسألة الثلاث وسبعين فرقة هذه. لذلك العلماء لما سُئلوا عن الثلاث وسبعين فرقة هم يجعلونهم من دائرة الإسلام، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال **وَسَتَفْتَرِقُ أمتي** فيقصد أن الافتراق هنا في هذا الحديث مقصود به فرق لم تخرج عن دائرة الإسلام.

لذلك لما سُئل الثوري وابن المبارك – عليهما رحمة الله تعالى– عن الجمهية هل يدخلون في الحديث؟ قالوا أنهم ليسوا من هذه الفرق إنهم كفار، فليسوا من أهل الإسلام، والحديث يختص بأهل الإسلام، والفرق التي ستفترق هم لم يُنزع عنهم الإسلام كما سنبين. فالثوري لما سئل وابن المبارك وفي كلام الإمام أحمد أيضًا عن الجمهية في الفرق فقال هم ليسوا من أهل الإسلام، فلم يدخلونهم في الفرق الإثنين وسبعين. دل ذلك على أنهم يرون، وظاهر الحديث يقول ذلك، (ستفترق أمتي) فيقصد هنا النبي صلى الله عليه وسلم أمتي أي أمة الإسلام. أما الذين خرجوا من الإسلام فليسوا في الحديث.

وهذا يبين أن الافتراق الذي سنبينه في الشبهة الثالثة افتراق اليهود غير افتراق أهل الإسلام، لأن النبي قال **افترقتِ اليهودُ.. افترقتِ النصارَى**، ثم قال **سَتَفْتَرِقُ أمتي** فهذا توجيه على مسألة أن زيادة العدد عندنا تخالف العدد الذي افترق عليه اليهود، لأن أصل الافتراق عندهم افتراق كفري سيخلدون به في النار، أما عندنا الافتراق ليس افتراقًا يستلزم الخلود في النار، بل هو في المشيئة كما سنبين، وهذا الرد على الشبهة الثانية.

الرد على الشبهة الثالثة: وهي أقوى الشبه الذي يتكلموا فيها عن أن الأحاديث تبين أن أمة النبي صلى الله عليه وسلم هي أكثر الأمم في الجنة عددًا، والحديث هذا يُظهر كأننا أكثر الأمم في النار، إثنين وسبعين، بخلاف اليهود إحدى وسبعين، طبعًا هذه مع التنزل نحن قلنا لأن الحديث قال **كُلُّهَا فِي النَّارِ**، طبعًا سنبين أن النار هنا ليست نار الكفار، لكن هو يتكلم عن العدد، أن هذا يخالف حديث النبي صلى الله عليه وسلم أننا **[شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ]** كيف والعدد الزيادة في هذا الحديث أن إثنين وسبعين فرقة ستكون في النار وفرقة واحدة هي التي تكون في الجنة؟

فهنا نرد أولًا رد مجمل ورد تفصيلي؛

الرد المجمل من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواية معاوية **[كلهم في النار إلا واحدة]** فهنا النبي صلى الله عليه وسلم هل قال أنهم يخلدون في النار؟ لم يقل. إذًا كلهم في النار هذه في المشيئة؛ سيدخلون النار إن أراد الله عز وجل يدخلهم أو يعفو عنهم، وإن دخلوا النار فلن يخلدوا في النار، إذًا مآلهم إلى الجنة. إذًا سيحسبون بعد ذلك من أعداد أهل الجنة. هذا الرد الأول الإجمالي؛ بأن كلهم في النار إلا واحدة فدخولهم في النار ليس خلودًا في النار كما قلنا، وبينا أنهم من أمة الإسلام.

ثم إذا كان دخولهم في النار واستقرارهم في الجنة فهذا لن يؤثر أو لم يعارض حديث النبي صلى الله عليه وسلم على أن أكثر أهل الجنة من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ما دام مآلهم إلى الجنة.

لكن الرد التفصيلي الذي اجتهد فيه بعض العلماء في البيان في قول النبي صلى الله عليه وسلم **[ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلهم في النار إلا واحدة، وهي الجماعة]** هم قالوا الآن ما المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين، من هم المُخبَر عنهم؟ هل النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم عن الافتراق عن عوام المسلمين، أم عن خواص المسلمين؟ والافتراق أصالة

سيأتي بدخول البدعة. إذًا تتكلم الآن أنت عن الافتراق سيكون بسبب البدعة، فالبدعة تؤدي إلى الافتراق، البدعة تفرق والسنة تجمع.

فيريد أن نقول الآن أن الافتراق سيكون على أصناف؛ أنت عندك مبتدع خالص أي مبتدع ويدعو إلى بدعته، ومبتدع مخلط عنده بدعة وعنده بعض السنة، وعندك سني خالص، وسني مخلط عنده بعض البدع وعنده بعض السنة.

كلام النبي صلى الله عليه وسلم هنا **سَتَفْتَرِقُ أمتي** قالوا الكلام هنا ليس أن الافتراق بين عوام المسلمين، لا، هذا الافتراق يتكلم الآن عن طوائف مبتدعة، المبتدع سيكون مِن مَن؟ من خواص المسلمين؛ أي الكلام هنا عن الخواص في هذا الحديث وليسوا عن عامة المسلمين، أي الذي سيفترق هم الذين سيتعرضون إلى البدعة والسنة والخلاف بين المبتدعة وبين السنة، وليس المقصود هنا بأمتي أي عامة أمة المسلمين. إذًا الكلام هنا سيكون عن مَن؟ عن الخاصة، وهو الذي قال عنهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه: **[النَاسُ ثلاثةٌ: عالمٌ رَبَّانِيٌّ، ومتعلِّمٌ على سبيلِ النجاةِ،...]** وهؤلاء الخاصة الذين نتكلم عنهم، الذي يخصهم الحديث، والثالثة **[وهَمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلونَ مع كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ، ولم يَلْجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ]** وهؤلاء هم عامة المسلمين.

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم لما بيتكلم هذا الحديث لا يخص عوام المسلمين، هذا الحديث ليس على العموم، بل هو من العام الذي يراد به الخاص، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم **سَتَفْتَرِقُ أمتي** يقصد به الافتراق الذي سيكون بين خاصة الناس الذين إما سيبتدعون في دين الله عز وجل ويسير معهم من المبتدع ما يسير، أو يدعون إلى بدعتهم، وبين أهل السنة الذين يتمسكون بالسنة ولا يكونون على البدعة.

هذا رد تفصيلي على الذين قالوا بأن الحديث يخالف أننا نكون أكثر أهل الجنة، فنقول لهم هذا الحديث المقصود به أن الذين يدخلون في هذا الافتراق هم الخاصة، لا ليست أمة محمد الخاصة، "أمتي" هو المقصود به هنا عام ويراد به الخصوص،

أي ليست أمة النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية التي تدخل في الحديث، ليسوا عوام المسلمين، لأن العوام أصلًا هم لا يعلمون لا بدعة ولا سنة، هم يسيرون خلف العلماء، فالافتراق سيكون بين الخاصة، ولأن أصل الافتراق كما قلنا في البدعة، والبدعة إما ستكون مكفرة أو تكون مفسقة، طبعًا نحن لا نتكلم في البدعة المكفرة لأن كلامنا هنا في الحديث عن البدعة المفسقة، لأن لو تكلمنا عن المكفرة خرجوا أصلًا من الحديث، نتكلم عن المفسقة وقول النبي صلى الله عليه وسلم كُلُّهَم فِي النَّارِ.

وهل كلهم في النار جاءت في غير البدع؟ نعم، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم [اجتَنِبوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ] وذكر فيها الشرك، وذكر فيها قتل النفس، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وغير ذلك، وسموها موبقات أي مهلكات، فكذلك أيضًا هنا أن البدع المفسقة هذه ستكون سببًا لتكون في النار.

إذًا لا يمنع متن الحديث كُلُّهَم فِي النَّارِ أن المقصود هنا الكل من هؤلاء الخاصة الذين افترقوا على ثلاث وسبعين فرقة؛ إثنين وسبعين من الفرق المبتدعة الذين بدعتهم دون الكفر- بدعة مفسقة- هم الذين سيدخلون النار، فهذا أقل بكثير من عوام المسلمين.

هنا إذًا يرد على الذين قالوا بأن هناك نكارة في المتن، بأن هذا معناه بأنك ستُدخل إثنين وسبعين من الفرق المسلمين في النار ويتبقى فرقة واحدة، فيكونوا من أقل أهل الجنة، فنقول الكلام ليس على عوام المسلمين، الكلام على خاصة المسلمين وليس العوام، وهذا الافتراق سيكون بين الخاصة، وهم الذين جاؤوا عند الحوض عند النبي صلى الله عليه وسلم فأرادوا أن يأتي لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له الملائكة [إِنَّكَ لا تَدْرِي ما أَحدَثوا بعدَكَ؟ قال: "سُحقًا سُحقًا لمَن بدَّل بَعْدي].

فأنت لابد تؤصل الكلام؛ فالافتراق معناه البدعة، فلابد تقول الآن أن الذي سيدخل في الافتراق هو المبتدع، أو تابع المبتدع، فإذًا الكلام هنا عن بوتقة، عن دائرة خاصة ليست دائرة المسلمين، فعوام المسلمين الآن لا يعلمون عن البدعة شيئًا، ولا يعلمون عن اتباع البدعة، فهنا لما يقول الافتراق؛ فالافتراق بيكون بين مَن؟ انظر إلى

الفرق التي لها فِكر، فرق أصَّلت أصولًا خالفت فيه الكتاب والسنة، هل عوام المسلمين لهم علاقه بالفرق هذه؟! لن تجد، إلا إذا انتمى إليها، لذلك أنا قلت الخاصة على أربع: إما مبتدع خالص- وهذا قد يكون في الكفر- وإما سني خالص، وأما مخلط مبتدع، ومخلط سني. فهؤلاء الذين يدخلون في هذا الحديث. فما المقصود بالافتراق؟ هيكون الافتراق بين بدعة وسنة.

ما الذي جعل العلماء يقولون أن المسألة على الخاصة ليس على العامة؟ لأنه نظر أن الخلاف بيكون بين الخاصة، النزاع بين مَن؟ بين المبتدع وبين السني. العوام خارج هذا النزاع أصلًا، فأرادوا أن يقولوا بأن الدائرة التي يتكلم عنها النبي صلى الله عليه وسلم هي الخاصة، وكل هذا ليردوا على مسألة كثرة العدد، فالذي أراد أن يتكلم في متن الحديث – في نكارته- أراد أن يقول بأن هذا العدد سيؤدي أنك تدخل المسلمين أهل الإسلام النار إلا واحدة، وهذا يناقض أنهم نصف أهل الجنة، فقلنا لهم الحديث ليس في عوام المسلمين، الحديث يتكلم فقط عن الخواص؛ الذين هم من البدعة بمكان، ويخالفون أهل السنة، هو قال الذين فيهم إثنين وسبعين فرقة وفيهم ثلاث وسبعين إلا فرقة واحدة هي التي في الجنة، وأما العوام فيدخلون الجنة بشهادة لا إله إلا الله.

بينا هذه الشبه، قول النبي صلى الله عليه وسلم **كُلُّهَم فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً** قلنا الآن الحديث فيه أن هذه الفرق على الصحيح من أهل العلم- أنا أقول على الصحيح لأن البعض أدخل بعض الفرق الكافرة في الثلاث وسبعين، وهذا الكلام فيه نظر- لأن الصحيح أنك تقول بأن كلهم في النار المقصود به هنا في النار تحت مشيئة الله عز وجل، ليس خلودًا في النار ولكنهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله عز وجل أدخلهم وإن شاء لا يدخلهم، لكن لا تدخل معهم الطوائف التي هي كافرة؛ ليست من أهل الإسلام، خاصة غلاة الجمهية ستخرجهم من هذه المسألة، غلاة القدرية أيضًا، وطبعًا وحدة الوجود وغير ذلك، والحلولية والإتحادية ليسوا في هذه المسألة.

لكن ما نريد أن نقوله الآن بأن هذه الفرق هي من فرق أهل الإسلام، كلها في النار تدخل في المشيئة.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم **مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي** إذًا هنا بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، هذه فيه دلالة بأنك لابد لك أنك تتبع أولًا الكتاب والسنة، هذا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأيضًا تُدخل معه فهم الصحابة، لكن هذه مسألة مهمة لأن بشرط أنك تأخذ فهم الصحابة الموافق للكتاب والسنة، هم نعم بشر وليسوا بمعصومين، ولكن هم الذين نزل عليهم الوحي، هم الذين استمعوا للنبي صلى الله عليه وسلم، وفهموا القرآن، فهموا السنة، فهم الذين وُفقوا وسُددوا من قِبَل الله عز وجل، هم الذين رضي الله عز وجل عنهم، فأنت تضم فهم الصحابة إلى الكتاب والسنة. وهذا الذي فعله المتقدمون

ثم الإشكال هنا بأنك تأتي إلى ما فعله بعض المتأخرين، والذين جعلوا بعض الأئمة ونصبوهم أن يأخذوا منهم الكلام والاجتهاد ويكون هو متبع لهم، وهذه من الطوائف التي دخلت في الإثنين وسبعين، والذي أدى إلى ظهور بعض الطوائف المبتدعة؛ سواء الأربعة التي سنتكلم عنها الآن ونُقِل فيها عن يوسف بن أسباط وغير ذلك.

لكن السبب الذي أدخل البدعة قال أهل العلم إما فساد في النية، أو فساد في العلم، وبعضهم قال إما بسبب الجهل والظلم {وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب:72]، فقالوا الظلم وفيه التعدي، والتعدي يكون بهوى النفس لأنك تُحَكِّم هوى النفس في الأمور ولا تُحَكِّم ما جاء في الكتاب والسنة. وأيضًا الجهل – وهو عدم العلم وعدم التدقيق– فيؤدي أنك أيضًا لا تأخذ بما جاء بالكتاب والسنة، وتأخذ بما جاء فيما تبين لك.

فلذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض أهل العلم أن ما أدى إلى دخول هذه الفرق المبتدعة إلا ما كان بسبب الظلم والجهل، وبعضهم قال فساد النية أو فساد العلم. وفساد النية أي أنه لم تكن النية في الاجتهاد لله عز وجل، بل كان لنصرة؛ إما نصرة مذهب له، أو نصرة قوم، أو نصرة إمام له، فأدى ذلك للابتداع، وهذه طبعًا معلومة سواء الفرق التي سنتكلم عنها؛ سواء كانوا الخوارج، أو الروافض، أو القدرية، أو غير ذلك.

أو فساد في العلم وهو أن العلم لم يكن لله عز وجل، ومع أنهم قد يكون عندهم علم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج لما دخل الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم وقال: [اعدِل يا محمَّدُ] ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال [يحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، وقراءتَه مع قراءتِهم، يقرءونَ القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهم] . فأثبت أن لهم عبادات، وأن لهم علم ولكنه علم فاسد، فأدى ذلك إلى أن وقعوا فيما وقعوا فيه.

ثم ذكر بعد ذلك في بعض الروايات لما سُئل يوسف بن أسباط عن أصول البدع فقال: أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ , وَالْمُرْجِئَةُ ، ثم ذكر التشعب. وهذه مسألة تجعلنا نتكلم عن اجتهاد العلماء في تعيين الفرق الإثنين وسبعين، لأن بعض أهل العلم اجتهدوا في التعيين. طبعًا هنا هو ذكر على أن أصول البدع أربع؛ الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة.

تكلم عن الرَّوَافِضُ وهم الذين قالوا بوجوب أن تكون الخلافة لـ (علي) وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على ذلك، ورفضوا خلافة الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنه وأرضاهم، ومنهم من جعلوا أن الصحابة كفروا بعد ذلك إلا ستة منهم، إلى آخر ما سيأتي إن شاء الله بعد ذلك في التفصيل عنهم.

لكن هؤلاء الذين رفضوا كما قلنا وقالوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على (علي) وأنهم أنكروا ذلك الصحابة، وطبعًا تشعبوا أيضًا.

وَالْخَوَارِجُ وهم أول طائفة ظهرت، ونبأنا بها النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في حديث ذو الخويصرة، وهم الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه وأرضاه، ثم خرجوا على (علي) وقد قاتلهم (علي) رضي الله عنه وأرضاه، كما سيأتي الباب بعد القادم كامل في مسألة الخوارج وذم الخوارج، وأنهم من صفاتهم أنهم يُكَفِّرون أولياء الأمور، ويُكَفِّرون عامة الناس، ويستبيحون قتالهم، وهم أول سيف نزل على المسلمين سيف الخوارج. ولكن الروافض كما قالوا في الخوارج يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان. فكان أول سيف نزل على المسلمين سيف الخوارج.

ثم ظهرت الروافض؛ والروافض من أخبث الفرق لأنهم يرون بأن كل ديار غير ديارهم ديار كفر، حتى ديار المسلمين التي هي ليست بديارهم ديار كفر، ومن أصولهم أنهم يتعاونون مع أهل الكفر على من ينتسبون للإسلام عندهم هم لا يرونهم مسلمين، هم يرون أن هذه الديار ديار كفر، لذلك هم أشد وطأة على المسلمين يمكن أكثر من الخوارج.

الخوارج نعم هم أول سيف نزل على المسلمين، لكن الروافض هم أخبث ما يكون لأنهم يتعاملون مع الكفار على المسلمين، وهذا إلى زماننا هذا. والروافض يشتهرون بالكذب، فالخارجي لا يكذب لأنه يرى بأن الكذب كبيرة فيكفر بها، فتجد الخارجي لا يكذب، المفترض أن من أصوله عدم الكذب لان هم يكفرون بالكبائر، أما الرافضي فمشهور عنهم الكذب، أي هم من أصولهم الكذب.

ثم ذكر **الْقَدَرِيَّةُ** وهم ظهروا أيضًا في الكوفة في زمان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما في الحديث المعروف الذي ذكر فيه حديث جبريل الإيمان، فظهروا في الكوفة، وكانوا يقولون بالقدر، وأن العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم، وهؤلاء غلاتهم هم كفار لأنهم ينكرون علم الله عز وجل بما يفعله الخلق، وينكرون أيضًا الكتابة، لكن

غير غلاة القدرية ليسوا بكفار لذلك هو ذكرهم هنا، لان طبعًا نحن سنبين بأن أهل العلم حتى اختلفوا والصحيح أن الخوارج ليسوا بالكفار، الروافض ليسوا بالكفار– على العموم أنا أتكلم الآن ولا نفصل في المسألة، لكن لأن هو ذكر قال: **أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ, وَالْمُرْجِئَةُ** . وطبعًا البدعة هنا يقصد على العموم لكن هو لو تكلمنا عن الحديث فنقول بأن الصحيح الخوارج ليسوا بكفار، والروافض – ليس غلاة الروافض– لأن علماء الروافض يعلمون؛ الذين يكذبون القرآن ويقولون أن القرآن ليس بالكامل، ويسبون عائشة، هذا كفر آخر، لكن نتكلم عن عوام الروافض كما قال. والقدرية بيناها، وغلاة القدرية ينفون العلم والكتابة هذا كفر، لكن من ليسوا بغلاة القدرية أثبتوا العلم والكتابة وقالوا بالخلق والمشيئة للعباد.

وَالْمُرْجِئَةُ الذين هم تكلموا في الإيمان، وجعلوا الايمان فقط القلب، وهم أقل الفرق بدعة، هو كلامهم كله في أن الايمان يكون بالقلب فقط.

هذا التعيين المنقول عن يوسف بن أسباط أو عن بعض أهل العلم هذا ليس على التحديد، لأن فيه نظر كما قال العلماء، مسألة تعيين هذه الفرق لم يرد فيها نص ولم يرد فيها دليل، وهي مسألة اجتهادية من العلماء، لذلك تجد بعض الكتب على أنهم يعددون هذه الفرق، وما ذُكر هنا على أنهم يروا بأن هذه الأربعة من أجناس الفرق، لأن البعض ذكر عليهم أربعة أيضًا، أي بعضهم جعلهم ستة، وبعضهم جعلهم ثمانية، فأضافوا هنا على القدرية الجبرية.. نحن نتكلم أصلًا أن اجتهاد العلماء في بيان هذه الفرق اجتهاد منهم ولكن الحق أن ليس هناك دليل، أي أن الذي ورد إلينا نثبته؛ ورد إلينا الخوارج جاء فيها نص من النبي صلى الله عليه وسلم لذلك أنت تثبته، لكن ممكن تقول أن أجناس الفرق...ما المقصود بأجناس؟ أي أجناس المعتقد لأنك أنت الآن لما ستقول بالأجناس فأنت الآن لن تستطيع أن تصل للإثنين والسبعين؛ الأجناس الذي هو قالها الآن؛ الروافض، الخوارج، المرجئة، القدرية، الجبرية مثلًا، لو قلت بعض الفرق الباطنية الموجودة وغير ذلك على سبيل الأجناس، أي الأجناس المعتقد.

لكن لو تكلمت على تصنيف البدع؛ أنواع البدع، فهم يزيدون ممكن تكون مائة أو مئتي فرقة، فالبعض الآن يجعل التقسيم على الجنس، ولو قلت على الجنس فأنت لن تصل إلى الإثنين والسبعين، فبعضهم قالوا ستة فرق، وكل فرقة على إثني عشرة، كما قالت الروافض إثني عشرة، والخوارج إثني عشرة، والقدرية إثني عشرة، فجعلهم إثنين وسبعين، وهذا أيضًا اجتهاد أقول، هذا ليس عليه دليل.

والراجح ان أهل العلم حتى شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر هذا الكلام، وأيضًا الطرطوشي – رحمه الله تعالى– أيضًا من الأئمة ذكر على أن هذا التعيين لهذه الفرق إما أنك تقول بالجنس فقط وتصل إلى إثنين وسبعين، وإما أنك ستقول بأنواع البدع وهي أيضًا ستكون مئات وأكثر من مئات أو مئتي وأكثر من ذلك.

والصحيح هنا أنك تذكر ما ذُكِر، فهل الآن من المصلحة أنك تتكلم وتعدد الفرق وتقول هذه فرقة مبتدعة وهذه فرقة نارية؟ أهل العلم اختلفوا في هذه المسألة، لكن أنا ألخص أقول بعضهم قال أن الأصل أنك تقف على ما جاء في الكتاب، تذكر ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا، وتقف على الستر؛ أي أن الأصل الستر للمسلمين وهذا أصل عام عندنا في الشرع، بأنك تستر على المسلمين، لكن طبعًا قالوا الستر هذا ليس على اطلاقه نقول، أي إن وجدنا بأن هذه الفرق تدعو إلى البدعة وأن هذه الفرق يكون لها أتباع يدافعون عنها وينشرون فهنا لك أنك تقف وتقول بأن هذه فرقة كذا وكذا وكذا، ولكن إن لم يكن لها ذكر فالأولى أنك لا تتكلم فيها، ولا تذكر عنها شيء، ما دامت هي الآن ليست لها كلام أو انتشار أو غير ذلك.

وحقيقة هذا الكلام أنا أراه أفضل، فلا ينشغل المرء بتعديد الفرق الإثنين وسبعين، ويسأل هل هذه الفرقة نارية أم فرقة غير نارية؟! هذه تدخل أم لا تدخل؟ أنت لست ملزم بذلك، لكن أنت ملزم أن تبين العوار، تبين البدعة الموجودة، تبين المخالفة للسنة وتتكلم عنها، خاصة للفرق التي قد تظهر وتروج عن ذلك، ولكن لا داعي للانشغال بتعيين هذه الفرق والتأليف فيها وبيان غير ذلك، لا حاجة لذلك.

لذلك **أبو حامد الغزالي**- رحمة الله عليه- تكلم في مسألة حقيقة أجد كلامه دقيق سانقله لكم، قال في بعض الكتب: [أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق أظهروا الحق في معرض التحدي والاذلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها حتى انتهى التعصب بطائفة إلى ان اعتقدوا أن الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد والتعصب صد للأهواء لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقرًا في قلب مجنون فضلًا عن قلب عاقل] .

وحقيقة أن الكلام الذي قاله الإمام أبو حامد الغزالي صحيح، هو يريد أن ينبه الآن بعض أهل العلم وهو قال "من جهال أهل الحق" لما يأتي فأنت الآن تريد أن تبين عوار فتتكلم بطريقة أو تتكلم بأمور معينة فتجعل العامي يلتفت أكثر إلى هؤلاء، ويعتقد باعتقادهم، ولذلك نحن عندما بنتكلم في الرد على الفرق هذه دراسة علمية، أي نتكلم عن الأشاعرة، ونرد على الأشاعرة، ونرد على الجبرية، ونرد على القدرية، ونرد على كذا، ونشد على ونقول أن هذه فرق نارية!

هذا ما بين طلبة العلم، لكن أنت لن تسير في المسجد، تسير وسط الناس وتكلمه عن الأشاعرة وتكلمه عن الجبرية وتكلمه عن كذا! هذا جاهل، هو عامي، هو لا يحتاج أنك تبصره بهذا، لكن أنت ممكن تكلمه عن أهل السنة فقط، تكلمه عن عقيدة أهل السنة وتبينها له فقط، ولا تحتاج أنك تبين له، لأنه ممكن عندما يراك هكذا وتتعصب بهذه الطريقة وتتكلم هذه الطريقة كما قال يثبت على قوله، هو جاهل أصلًا وعامي، لكن أنت بهذه الطريقة ثبتت عنده الباطل!

لذلك انظر إلى كلامه حتى لو جاء العلماء المتلطفين -والمسألة ظاهرة الفساد- لا يستطع لأنك أنت جعلت هذا العامي يتعصب لهذا الباطل وأنت لا تدري.

أنت لست مطالب حتى أهل العلم يقول لا تأت لأحد وتسأله أين الله؟ قالوا هذا السؤال حتى أنك تسأله إن لم يكن لواحد قريب عهد بالإسلام فتعلمه، أو هو دخل فتبين، أو واحد تريد أن تعلمه كما قال العتق لو كان هو عبد أو جارية فتريد أن تعتقه لأنه رقبة مؤمنة، كما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قال للجارية[**أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قالت : أَنْتَ رسولُ اللَّهِ ، قَالَ : أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**]

لكن أنك تأتي للناس وتختبرهم! هذا ليس مطلوب منك خاصة في المسائل التي قد تجد منه أنه يتعصب لشيء لا يعلمه، اتركه على إجماله وتوحيده، ولا تفتح مسائل، وأنا أقول لك هذا كلام صحيح.

هناك فارق، لابد تفرق بين المدارسات العلمية والنقاشات ومن يتكلم تكلم معه، ومع العوام وأنت تتكلم معه، وإلا سيؤدي ذلك أنهم يتعصبون من غير شيء.

أنا بتكلم في أنك الآن الفرق المبتدعة أنت لست مأمور بأنك تروج لهذه الأفكار لهم وترد عليهم على الملأ. إن أتاك من يستفسر فترد له، هذه هي المسألة المقصودة.

نختم بكلام الإمام الآجري قال: **رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَذِرَ هَذِهِ الْفِرَقَ، وَجَانَبَ الْبِدَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الْأَثَرَ فَطَلَبَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاسْتَعَانَ بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ**، هذا لمن؟ إذا كان الحديث في الخاصة، الحديث في الافتراق في الخاصة، فالذي سيقوم بذلك لا شك طبعًا لأهل العلم، وهذه ثناء على أن الإنسان لابد أن يسير على طريق الأثر، وأن من سار على طريق الأثر لن يحيد عنه، وسيكون من الفرقة الناجية، فهذا هو التوجيه. والحديث في الخاص.

نحن نتكلم الآن هل في العوام مطلوب ذلك؟ لا ليس مطلوبًا ذلك، هذا الذي يقوله، قال: **إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ.**

سؤال من أحد الطلبة خاص بالفرق وما هو الأقرب للصحة من حيث العدد؟

- **رد فضيلة الشيخ:** توجد فرق متفق عليها، وهي الأجناس التي قال عليها وهم الأربعة وأضيف عليهم بعضهم جعلهم ستة، أدخلوا المعتزلة والجبرية أصبحوا ستة، وبعضهم أدخل النجارية، والسنية وهذا الذي جعلهم ثمانية، وكل هذا اجتهاد في المسألة. ثم من تحت الروافض أصبح عندهم إثني عشر فرقة، وأخذ من الخوارج فرق، كل هذا هو اجتهاد من العلماء أن يذكروهم لأن الفرق وُجِدَت، لكن لو للأنواع فقد يزيد، لكن للأجناس لن تصل للإثنين وسبعين.

هو الشاهد في الحديث كله أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يثبت بأنه سيحدث الافتراق، وأن الافتراق هذا الكلام في الإثنين وسبعين من الفرق التي هي أصلها من دائرة الإسلام ولم تخرج عن دائرة الإسلام، وأن دخولهم إلى النار في مشيئة الله عز وجل، وأن التعامل معهم سيكون على أنهم من دائرة الإسلام، وهذا شيء مهم جدًا.

ولذلك أنا أقول أن ممن وقع فيه في زمننا هذا، وهذا من هوى النفس وفساد النية وفساد العلم أيضًا، أنك تنصب إمام لك أو شيخ فتجعل قوله هو الحق، فمن قال بقول إمامك أو شيخك فهو معك على الحق، ومن لم يقل بقول هذا الإمام أو هذا الشيخ- إن كان إمامًا أنا أقول شيخ- فأصبح مبتدع وضال، وممكن أيضًا تفسقه وتخرجه من أهل السنة! وهذا من أفسد ما يكون، وهذا من البدع التي ظهرت في عشرات السنوات السابقة وإلى الآن هي موجودة.

مِن أين هذا؟! إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول [مَا عَلَيْهِ أَنَا وَأَصْحَابِي] كيف أنت تجعل الناس تعادي وتوالي على قولك؟ وإن لم أقل أنا بقولك أصبحت أنا معادي لك! ما هو من أنت حتى تكون المعاداة والموالاة والسنية والبدعة قائمة على موافقتك أو مخالفتك؟! وهذه من البدع التي خرجت وموجودة، لكن لن نجتهد ونقول هل هي فرقة نارية أم فرقة ليست نارية!

وكذلك من جعلوا جماعات وبيعات على بنود، وعلى أشخاص، وسمع وطاعة، فإن خالفته فقد خالفت الحق! ويرى أن هو الوحيد الذي على الحق وأن الباقي ليسوا على الحق!

هذه كلها تدخل في الافتراق المذموم الذي تكلم عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو موجود الآن، صحيح هو ليس موجود في صوره الجمهية والقدرية والمعتزلة وغير ذلك، ولابد فيه أيضًا من البيان قد يقول الشيخ بقول يوافق بعض الفرق لكن ليس معناه أنك تدخله في الفرق! فهو ممكن يقول بقول يوافق قول المرجئة في الإيمان، أو بقول يوافق الجبرية، هل هذا معناه أنه دخل في هذه الفرقة! هذه أيضًا من الأمور التي ظهرت الآن، أو يقول بقول يوافق الخوارج مثلًا في بعض أقوالها، هل معناه أن هو أصبح خارجي أو من الخوارج!

وهذا الذي نتكلم عنه الآن؛ ما أدى إلى ذلك الآن أيضًا إلا فساد النية أو وفساد العلم، إلا الظلم والجهل، لأنه ما يؤدي إلى أن يقول ذلك إلا لو النية فيها شيء، أو العلم فاسد عنده، فهذه أيضًا من الأمور التي لابد أن الناس لا تنغمس فيها، بل الأفضل الآن أن يكون الكلام كله عن بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ويُترَك الأمر هذا للمناظرات والمنازعات هذه لمن يحتاج إليها، ولمن يتصدى لها. لكن لو انشغل الناس بتعليم العوام أصلًا العقيدة الصحيحة لكان أفضل بكثير.

ولذلك أنا بعجب هناك ناس في المعاهد وناس في المراكز على طول بيقوموا بتدريس الفرق، بعد أول سنة تجده بيدرس فرق! أنتم لماذا بتدرسوا الفرق؟ هم أصلًا الطلبة والطالبات عرفوا أعداد أهل السنة والجماعة؟! ولا أول سنة ولا ثاني سنة.

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول إن آخر مرتبة أنك تناظر الفرق المخالفة – المناظرة– والناس سريعًا جدًا الآن تريد أن تدخل في المناظرة! والنت كله شغال مناظرات والواحد أصلًا بيستحي من نفسه أنه يدخل في مناظرات لأنه يرى بأن هذه مرتبة عظيمه جدًا أنك لابد تتمكن أولًا تمكن قوي من عقيدتك ومن عقيدة المخالف، حتى

تستطيع أنك تناظر. لكن يطلع الواحد الآن قرأ له ثلاث أربع كتب وبقاله سنة أو سنتين مثلًا في الدراسة أو ثلاث سنين، أو في الجامعة لم يتخرج أصلًا من الجامعة وتجده يناظر أشعري، يناظر قدري، يناظر معتزلة!

ارجعوا لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية يقول متى تناظر، فقد ذم المناظرة بهذه الطريقة، لأنك أصلًا ممكن تفسد. لكن إن كان صغيرًا وأتقن وشهد له العلماء فيناظر، لكن المسارعة في هذه المسألة بتأتي بمفاسد وجدال كثير، وفي الآخر لن تجده حقًا موجودًا.

رد فضيلة الشيخ على سؤال من إحدى الطالبات:

الموافقة والمعاداة عندما تكون على قول أحد الشيوخ هذا ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الكلام ليس من سلف الأمة؛ بأن يكون السنية والخروج من السنية إن وافق كلام الشيخ أو خالفه، وليس أيضًا من هدي الصحابة رضوان الله عليهم، ولا العلماء المتقدمين، بأن من اجتهد في مسألة وأخطأ فيها وخالف أن يُخرَج من بوتقة أهل السنة والجماعة! فكل هذه القواعد التي وضعت أنا لا أعلم لها أصلًا حقيقة عند علماء السلف.

لكن علماء السلف كانوا يردون أخطاء العلماء بأدب، ويحفظون لهم حقوقهم، ويحفظون لهم اجتهاداتهم الأخرى حتى لو كانت المخالفة في بعض مسائل العقيدة. كنا نتكلم عن راوي ناصبي، ومع ذلك قبلوا روايته في حديث النبي صلى الله عليه وسلم هنا وردوا بدعته عليه في النواصب، وغير ذلك، بعض الرواة يكون خارجي يأخذون بروايته لأن الخوارج لا يكذبون، ويردون عليه، ولا يتجملون له، لكن أقول بأن هذه الطريقة –التي بيناها من قبل حتى لا استفيض أكثر من ذلك– هذه ليست بطريقة صائبة، وليست عن أهل السنة والجماعة حقًا، وهذا ادعاء باطل أن يكون هذا من ادعاء السلفيين.

المسألة يُبَيَّن فيها نعم الخطأ، أو يُبَيَّن فيها البدعة، لكن هذا كله يُرجع للكتاب والسنة، ولا يُرجع لأحد الاشخاص. وليس كالآن، هو الآن معه فيكون من أهل السنة فلما يختلف معه شاهدناه بأعيننا يجعلونهم من المبتدعة الضالة، أو الخارجي، والفسق، وغير ذلك!

فلا يهم الآن أن يكون فرقة أو غير فرقة، هذه لا تهم، لا ينشغل المرء هل هي فرقة أم ليست فرقة! المهم أنه يعرف بأن هذا ليس على الحق ويتركه.

رد فضيلة الشيخ على سؤال آخر:

أنا قلت نعم الدراسة تدرج، الذي يبدأ في الدراسة لابد يتدرج كما تدرج السلف بالذات في العقيدة، أي يدرس كتب السلف ومستوياتها كما قال علماؤنا وتعلمنا ذلك، ثم بعد أن ينتهي يدخل في الفرق أو يدخل في المخالفين ويتعلم ذلك، لكن أن ينشغل بالمخالف قبل أن يعلم عقيدة أهل السنة والجماعة هذا التدرج ليس بصحيح، وهذا ليس من عندنا، هذا الذي قال به علماؤنا؛ أن الاول يتدرج ويضبط، ثم بعد ذلك تكون آخر الهرم أنه يدخل في الفرق الأخرى وفهم ما هم عليه بعد أن يتقن عقيدة أهل السنة والجماعة أولًا، لكن بالكلية لا يترك لأن طبعًا في طائفة لابد أن تكون على علم بالطوائف الأخرى بمعتقداتها بمفهومها حتى تذب وتصد عن انتشار هذه المعتقدات الفاسدة بين عوام المسلمين، لكن لا ينقلب الهرم، لابد الهرم أن يبدأ بالترتيب الصحيح، هذا الذي أقصده.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السابعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام ما زلنا في شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم ندخل في باب جديد؛ **بَابُ ذِكْرِ خَوْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَتَحْذِيرِهِ إِيَّاهُمْ سُنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأمم** . وهذا الباب قبل أن ندخل فيه حقيقة من بديع تنسيق المصنف لو تتبعتم معنا الأبواب التي كنا نتكلم عنها سابقًا؛ بعد أن بين لنا وأثبت لنا افتراق الأمة، وتكلم عن أن الافتراق أمر كوني لابد سيقع كأنه يريد أن يبين لنا: انتظروا.. سأبين لكم لماذا افترقت الأمم ولماذا تفترق الأمة إلى هذه الفرق الإثنين وسبعين التي تكلمنا عنها؛ أو الثلاث وسبعين ومنهم

واحدة في الجنة والباقي في النار، فأراد أن يلحق هذا الباب ليبين لنا سببًا من أكبر أسباب افتراق الأمة؛ وهو تتبع الأمم السابقة التي جاء النهي عن تتبعهم، فأتى بهذا الباب.

وقلنا أن هذا التنسيق في التصنيف من بديع عمل المؤلف يشكر عليه – رحمه الله تعالى – فهو يريد أن يقول لنا بأن كما سنقرأ الروايات في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا فشبرا، ذراعا فذراعا، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم**]. فهو أتى بذلك ليبين لنا لماذا سيحدث الافتراق الكوني الذي أخبرنا به عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من أسبابه، هذا الذي سيحدث وهو اتباع سنن الذين من قبلكم.

وهذا قد جاء الكتاب به، قال سبحانه وتعالى بعد أن أهلك قوم لوط بما فعلوا وأنزل عليهم الحجارة من السماء قال بعد ذلك في الآيات:{ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود:83]. فكأن الله عز وجل يخبرنا على أنه من اتبع مثل ما يتبع فعل قوم لوط سيأتيهم مثل ما أتى قوم لوط، فقال { وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ} أي أنها ليس ببعيد عن من يتبع مثل ما يعمل به قوم لوط.

وكذلك كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن من اتبع اليهود والنصارى والأمم الكافرة السابقة فيما نهينا عنه فليس ببعيد أن يحدث هذا الاختلاف وهذه التفرقة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم. فهذه مناسبة الباب سندخل إن شاء الله في قراءة الأحاديث، ونسأل الله عز وجل أن يعيننا على البيان فيها والتعليق.

4-بَابُ ذِكْرِ خَوْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَتَحْذِيرِهِ إِيَّاهُمْ سُنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ

قال المصنف– رحمه الله تعالى–:

31 حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«لَيَأْخُذَنَّ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْأمم وَالْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا فَعَلَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ« :وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟»

32 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي زِيَادُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :«لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ , وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»

33 وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ :حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ :كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ , فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : جَاءَكُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَعَاهَدُ دِينَكُمْ «لَتَسْلُكُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَلَتَأْخُذُنَّ بِمِثْلِ أَخْذِهِمْ، إِنْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَإِنْ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَإِنْ بَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ فِيهِ»

34 أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَهْرٌ يَعْنِي ابْنَ حَوْشَبٍ قَالَ :حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ أَنَّ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ حَدَّثَهُ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :«لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سُنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قَبْلِهِمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»

35 حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الآنَمَاطِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي الْعِشْرِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: ثنا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ " : لَتَتَّبِعُنَّ أَثَرَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، لَا تُخْطِئُونَ طَرِيقَتَهُمْ وَلَا تُخْطِئَنَّكُمْ، وَلَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً فَعُرْوَةً، وَيَكُونُ أَوَّلَ نَقْضِهَا الْخُشُوعُ حَتَّى لَا يُرَى خَاشِعًا، وَحَتَّى يَقُولَ أقوام :ذَهَبَ النِّفَاقُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَمَا بَالُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؟ لَقَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا حَتَّى مَا يُصَلُّونَ بَيْنَهُمْ أُولَئِكَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ، وَهُمْ أَسْبَابُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ :مَنْ تَصَفَّحَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ عَالِمٍ عَاقِلٍ، عَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَهُمُ الْعَامَّ مِنْهُمْ يُجْرِي أُمُورَهُمْ عَلَى سُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى سُنَنِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَعَلَى سُنَنِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَذَلِكَ مِثْلُ السَّلْطَنَةِ وَأَحْكَامِهِمْ وَأَحْكَامِ الْعُمَّالِ وَالْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمْرِ الْمَصَائِبِ وَالْأَفْرَاحِ وَالْمَسَاكِنِ وَاللِّبَاسِ وَالْحِلْيَةِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْوَلَائِمِ، وَالْمَرَاكِبِ وَالْخَدَمِ وَالْمَجَالِسِ وَالْمُجَالَسَةِ، وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَالْمَكَاسِبِ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَأَشْبَاهٌ لِمَا ذَكَرْتُ يَطُولُ شَرْحُهَا تَجْرِي بَيْنَهُمْ عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ، وَإِنَّمَا تَجْرِي بَيْنَهُمْ عَلَى سُنَنِ مَنْ قَبْلَنَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، مَا أَقَلَّ مَنْ يَتَخَلَّصُ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي قَدْ عَمَّ النَّاسَ، وَلَنْ يُمَيِّزَ هَذَا إِلَّا عَاقِلٌ عَالِمٌ قَدْ أَدَّبَهُ الْعِلْمُ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ولما كان أمر الله قدرًا مقدورًا، وأنه لا تبديل لكلمات الله عز وجل، ولا ما جاء في الوحي من النبي صلى الله عليه وسلم أنه

ستفترق الأمة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذر أمته من هذا الافتراق، ذكر لنا المصنف كما قلنا في المقدمة أسباب هذا الافتراق، وهو التشبه بالأمم الكافرة، وترك هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن الفرق الضالة التي ذُكرت عند أهل العلم والتي خالفت طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وطريق الصحابة هي امتداد للأمم السابقة، امتداد للأمم الكافرة، امتداد للأمم الهالكة أو نقول امتداد للأمم الضالة، حتى باختلاف لو قلنا بأن بعض الفرق جنحت إلى الكفر وبعضها إلى الفسق أو إلى البدعة، المهم أنها خرجت عن طريق أهل السنة والجماعة.

فلو نظرت كما نظر أهل العلم إلى هذه الفرق تجد أنها امتداد لهذه الأمم السابقة؛ امتداد للأمم الهالكة، قال سبحانه وتعالى:{ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ } [التوبة:69]، هذا وجه الشاهد الذي أردته {وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ} .

فذكر العلماء في {وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ} أي أنهم ساروا على نهج الأمم السابقة التي بين الله عز وجل لنا أنهم قد هلكوا وأهلكهم الله عز وجل بما بعدوا عن طريق الحق.

وقد بين الله عز وجل على أن هذا الاختلاف سيظل، لقوله تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ [هود:118-119] إلى آخر الآيات. فهدى الله عز وجل أهل السنة إلى بياض الوجوه يوم القيامة:{ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [آل عمران:106-

107]. قال ابن عباس رضي الله عنهما {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوه} أهل السنة والجماعة، {وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} أهل البدعة والفُرقة.

وقال سبحانه وتعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} [الآنعام:159]، هذه الآية عظيمة لأن الله عز وجل قد برأ النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الاختلاف، قال {لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ } لكنه أثبت بأن الاختلاف واقع، وأن التفرقة واقعة في الأمة، وهذه التفرقة فيها اتباع لسنن الأمم الضالة كما جاء في الروايات التي قرأناها [**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا فشبرا، ذراعا فذراعا، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، من اليهود والنصارى؟، قال: فمن**]، وفي رواية: [**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَها، شِبْرًا بشِبْرٍ وذِراعًا بذِراعٍ، فقِيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، كَفارِسَ والرُّومِ؟ فقالَ: ومَنِ النَّاسُ إلَّا أُولَئِكَ**]. وقال أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم في رواية:[**ليأتينَّ على أمَّتي ما أتى على بني إسرائيل حَذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ**].

لو نظرت إلى الأمم أو الفرق التي ضلت ستجد كل فرقة لها أصل من أصول الأمم الكافرة، انظر إلى أصول الشيعة الرافضة تجدهم امتداد للفرس المجوس في أقوالهم، انظر إلى أصول القدرية – الذين هم النفاة – أيضًا ستجد لهم امتداد لمقالات المجوس وبعض الصائبة. وبعض فرق النصارى ستجد عندهم أيضًا أصول لهم في ذلك. كذلك أصول الجهمية تجد أصول الجهمية أصلها عند الفلاسفة وعند غيرهم من المذاهب الفلاسفية؛ مع اختلاف المذاهب الفلسفية في اليونان وغير ذلك. انظر إلى المرجئة تجد المرجئة أيضًا امتداد لبعض المقالات التي نقلت من النصارى أو الصائبة أو بعض الديانات اليهودية. وانظر إلى الصوفية ستجد في كلام الصوفية رجوعًا إلى بعض كلام الديانات الهندية فيها. وأيضًا انظر إلى الفرق الباطنية كلها باختلافها ستجد امتداد لكلام الزنادقة والملاحدة وبعض الفلاسفة أيضًا.

كل ذلك كان سابقًا في الأمم السابقة وكل هذه الفرق تأثرت؛ إما هي امتداد مباشر لهذه الديانات، أو أخذت منها البعض في أصولها ووضعوا عليها بعض الباطل أيضًا

وأكملوا بعد ذلك. وهذا استقراء، فأهل العلم لما حدث لهم استقراء لهذه الفرق وجدوا أن هذه الفرق لابد لها من أصول تطابق ما حدث في الأمم السابقة.

أما أهل السنة والجماعة التي تكلم عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: [**لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم إلى قيام الساعة**] هذه الطائفة التي بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لابد ستكون إلى قيام الساعة؛ وهي الطائفة المنصورة، هذه الطائفة المنهج فيها قويم، المنهج فيها صحيح ليس فيه عوج، وإن حدث في بعض أفرادها مخالفات، لكن الفارق بين منهج أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة ومنهج من خالفوا من المبتدعة أن أصول أهل السنة والجماعة قائمة على الحق، وأما أصول هذه الفرق قائمة على الباطل، فأصولهم على الباطل وأفرادهم أيضًا على الباطل، وإن كان بعض علمائهم أتوا ببعض الحق لكنه اختلط مع الباطل، لكن في الأصل المنهج على الباطل، وبعضهم يأتي ببعض الحق.

لكن أهل السنة والجماعة الأصل في المنهج أنه على الصواب، على الحق، وإن أتى بعض أفراد هذا المذهب بأخطاء، سواء بهوى نفس، بجهل، باجتهاد، بخطأ، بعصبية، لكن هذا مردود ولا يقبله علماء أهل السنة والجماعة فيردونهم على من اجتهد فأخطأ، أو من كان له هوى نفس، أو كان له عصبية، وغير ذلك، لا يقبل ذلك، لكنه لا يقدح في المنهج، ولا يقدح في أصول أهل السنة والجماعة. لكن بخلاف المبتدعة فإن الأصل أصلًا باطل، وحتى لو أتى بعضهم ببعض الحق فهذا هذا لا يساوي شيئًا مع الباطل الذي هو من أساس مذهبهم.

هنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الروايات، هو في رواية واحدة فقط سنبين أن فيها ضعف؛ وهي رواية **ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ** إلى الراوي الأعلى **حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ** ، فيها مجيء جبريل، لأن حديث جبريل قد روي من روايات عديدة جدًا وليس فيه هذه الزيادات، فهذا الحديث حقيقة ضعيف لم يثبت، وباقي الروايات طبعًا تخريجها عندكم تقريبًا كلها ثابتة في هذا

الباب. لكن هذه الناحية السندية أو الحديثية الإثبات أردنا أن ننوه عنها قبل أن ندخل في المتون.

هنا أحاديث الباب كلها تدور حول أن النبي صلى الله عليه وسلم ينهانا عن اتباع سنن اليهود والنصارى، فارس والروم، وغير ذلك، فقد يسأل سائل وهذا مهم، تلبس على كثير من العوام تقول: **لماذا تنكرون علينا أن نتبع هؤلاء؟ أليس هم على الحق** أي عندهم ما عندهم، رزقهم الله العلم، المال، التقدم التكنولوجي مثلًا، القوة العسكرية، الأراضي، كل شيء، لهم العلو الآن، هذا لا ينكره. فتجد العامي لما تقول له الآن أنت منهي عن اتباع هؤلاء، منهي عن التشبه بهم، يقول لك ولماذا تنهاني عن أمر هم في خير، هم في نعائم، هم في علو، لماذا لا نتشبه بهم وهم في علو؟

فلا بد هنا أن تنظر كيف سترد عليهم. نعم قد تقول له النبي صلى الله عليه وسلم نهانا بين لنا بأن باتباعنا لسنن الذين من قبلنا- اليهود والنصارى- سيؤدي ذلك لافتراق، لكن لابد أن تبين له أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهانا عن اتباع السنن الذين من قبلنا لأن هؤلاء القوم قد بين الله عز وجل لنا بأنه إما غضب عليهم، أو أنهم من أهل الضلالة، أو أن هذه الأمم بين الله عز وجل لنا أنهم لا يريدون لأهل الإسلام إلا الحسد والبغضاء والكراهية. فهذه أسباب لابد أن نبينها، قد يكون تعليلًا أو حكمة؛

لماذا النبي صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن اتباع هذه الأقوام السابقة؟

أولًا: لأنها أمة مغضوب عليها، وهذا قد ثبت بالكتاب وبالسنة أن اليهود من الذين غضب الله عز وجل عليهم، قال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة:{ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ، صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ} [الفاتحة:6-7]، فهنا جاء في التفسير {ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ} هم اليهود، و {ٱلضَّآلِّينَ} هم النصارى، وهذا التفسير قد جاء في أكثر من حديث.

ونستأنس بما جاء من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عندما جاء المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يُعلَم أنه قد أسلم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا عدي بن حاتم جاء بغير أمان ولا كتاب، أي لا يوجد أمان ولا كتاب، فقال عدي بن حاتم: فأخذ بيدي النبي صلى الله عليه وسلم، وسار معي فجاءته إمرأة مع بنتها أرادت حاجة من النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لهم حاجتهم، ثم أخذني إلى قرب دار من دياري – في معنى الحديث– فأمر بوسادة فجلس عليها فنظر إلى عدي بن حاتم فقال: ما يضرك أن تقول لا إله إلا الله؟ هل تعلم من إله سوى الله؟ فقال عدي لا، سكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم تكلم ساعة قال: ما يضرك أن تقول أن الله أكبر وهل تعلم شيء أكبر من الله؟ قال لا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضُلَّال، فقال عدي بن حاتم: فإني جئت مسلمًا، فقال فرأيت وجه النبي صلى الله عليه وسلم قد تهلل. لم يكن يعلم أنه قد جاء مسلمًا. لكن الشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين له بأن اليهود مغضوب عليهم، وأن النصارى هم الضلال.

وقد جاءت الآيات تبين أن الله قد غضب على اليهود، قال سبحانه وتعالى:{ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ} [المائدة:60]، وقال تعالى: {لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [المائدة:78]، هذا لعن، وقبلها مسخ قردة وخنازير وهذا كله في من؟ في بني إسرائيل، في اليهود. وقال سبحانه وتعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ } [المجادلة:14]، وهذا طبعًا الكلام يدخل المنافقين فيه مع اليهود لكن فيه غضب الله عز وجل. وقال تعالى:{ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ} [آل عمران:112]. آيات صريحة من الله عز وجل تبين بأنه قد غضب على هذه الأمم. وقال للنبي صلى الله عليه وسلم:

{وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ } [البقرة:120]. فهؤلاء أمة مغضوب عليها، والثانية أمة ضلال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن النصارى. فلما كانت هذه الأمة مغضوب عليها والثانية ضلال فكيف لنا أن نتبع هؤلاء؟

وسبب أن الله عز وجل بين بأن اليهود غضب الله عز وجل عليهم لأنهم كتموا الحق؛ علموا الحق فكتموه، بخلاف النصارى، النصارى كان عندهم بعض الجهل والبدع التي وقعوا فيها في الضلالة، لكن اليهود قد علموا الحق وهذا أسوأ ما يكون، أنك تعلم الحق ثم تكتمه.

قال سبحانه وتعالى:{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ} [فصلت:17]، أي علموا بالحق لكنهم أرادوا أن يكونوا على طريق الضلال وليس على طريق الحق، لذلك قال سبحانه وتعالى:{ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ } [الصف:5]، أي أزاغهم، علموا الحق من الباطل لكن أرادوا الزيغ، فعاقبهم الله عز وجل بذلك. وقال سبحانه وتعالى تصريحًا عنهم:{ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [البقرة:146]. فبين بأن من أسباب غضب الله عز وجل عليهم أنهم قد هداهم وأرسل إليهم الرسل لكنهم كتموا هذا الحق وعلموه، وقد كتموا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أن النبي رسول وأنه نبي لكن من الحقد والحسد وأنهم كانوا ينتظرون أن يكون هذا الرسول من عندهم فكتموا هذا الحق، بل كتموا التوراة التي أنزلت فيهم، كما جاء في حديث عبد الله بن سلام لما زني يهوديان فجيء بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليفصل يحكم بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تجدون في التوراة؟ قالوا نجد التحميم والركوب بالخلف وغير ذلك، قال فأتوا بالتوراة، وكان عبد الله بن سلام قد أسلم ويجلس خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فأوتي بالتوراة، فلما جاء عند الآية وضع يده عليها، فقال عبد الله بن سلام وكان حبر من أحبارهم ويعلم التوراة قال ارفع يدك يا عدو الله، فرفع يده، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم أن الآية مكتوب فيها الرجم عندهم، فحكم النبي صلى الله عليه وسلم؛

سواء على الخلاف حكم بالتوراة أو حكم بالقرآن لما جاؤوه. فالشاهد بأنهم كانوا يعلمون الحكم ويكتمون ذلك، هذا من أسباب غضب الله عز وجل عليهم.

وأما النصارى فهم ضلال؛ تعبدوا الله على غير بصيرة، قال الله عز وجل: {وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد:27]. ويذكر في الأثر أن عمر رضي الله عنه وأرضاه مر على راهب من النصارى، فبكى عمر، فقيل له أنه نصراني لماذا تبكي؟ لما رآه بكى، قال قد علمت ولكني رحمته، فقد قال الله عز عز وجل:{ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ، تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية:3-4]، فهو عامل ناصب في العبادة الباطلة التي هو يقوم فيها في الدير أو في مكانه، قال: فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار، فبكى عليه قدرًا ليس شرعًا، بكى عليه بأنه مع هذه العاملة الناصبة كما قال عز وجل وهو في النار، اجتهد وهو من أهل العبادة عندهم لكن عبادته لن تنفعه يوما من الدهر ما دام قد مات على ذلك.

وهذا يبين لك بأن النوايا الحسنة لا تُصلِح العمل الفاسد؛ لا تكفي النية الصالحة في إصلاح العمل ما دام العمل فاسدًا، فلو انتويت به نية أي نية هذا لن يُصلح لك هذا العمل، قال تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} . إذًا أول وجه هنا لماذا قلنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بأن من أسباب الفرقة واتباع هؤلاء لأن هؤلاء قد غضب الله عز وجل عليهم، وأنهم أيضًا من الضلال، فلا يصح لنا أن نتبعهم.

السبب الثاني أن هؤلاء القوم قد امتلئوا حقدًا وحسدًا وبُغضًا على أهل الإسلام؛ فأنت كيف تتبع قوم قد بغضوا عليك، وقد حسدوك، وقد كرهوك، ولا يريدون لك علوًا في الأرض؟ {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر:14]، والله عز وجل هو الذي خلقهم وعلمهم وأخبر ما بقلوبهم، فنبأنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، قال سبحانه

وتعالى:{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ } [البقرة:109].

وقال سبحانه وتعالى:{ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا } [المائدة:83]، بعضهم لما نزل عليهم ذلك آمنوا وكانوا من أهل الإسلام، وليس كما يأخذ بعضهم الآية فيظنون بأن هؤلاء أقرب إلينا من غيرهم! الكل في الكفر واحد، لكن بين الله عز وجل أنهم يحسدون أهل الإسلام.

أيضًا من قوله تعالى:{ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ } [آل عمران:119]، وإن كانت في المنافقين وفي الكفار، تشمل التفسير في ذلك أيضًا. فهذا دل على أن قلوبهم امتلأت غيظًا وحقدًا وحسدًا على أهل الإسلام. إذًا هذا الوجه الثاني.

كل هذا نقول لأن أشكل على بعض الناس، فتنوا بما حدث من مدنية لهؤلاء، فلما تأتي تخبرهم لماذا تؤمر بمجانبتهم، فلابد أن تؤصل لهم هذا، أنهم في الأصل ضلال والأصل مغضوب عليهم عند الله، هم أيضًا لا يحبون لنا الخير، ولا يريدون لنا العلو في الدنيا ولا في الآخرة بالطبع.

والناظر إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم نقول له الآن انظر إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتعامله مع اليهود والنصارى، بل ليس اليهود والنصارى فقط، حتى مع أهل الجاهلية بعد أن انتصر الإسلام في زمانه، ما من موطن فيه عبادة من العبادات أو أمر من الأمور إلا النبي صلى الله عليه وسلم كان يخالف فيه أهل الجاهلية أو اليهود والنصارى فيه، والأمثلة كثيرة سنعدد بعضها الآن ولن نستطيع أن نحصر ليبين لك بأن النبي صلى الله عليه وسلم فعلًا وقولًا كان يخالف هؤلاء، فكانت المسألة ليست استحبابًا، بل هو بعضها قد يكون وجوبًا، وبعضها قد يكون استحبابًا، وبعضها قد يكون مباحًا، لكن على حسب المخالفة كيف تكون.

لكن نقول **لماذا النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بعدم المشابهة؟** لأن المشابهة في الظاهر- وهذا الذي نريد أن نؤصله أيضًا- بأن النهي عن المشابهة أصلًا في الظاهر ليست في الباطن- لأن البعض يظن أنا مثلًا أحتفل معهم ولكن لا أحتفل بمعتقد اعتقادهم في أعيادهم، أو أشتري بعض الأشياء التي يشتروها في أعيادهم وأنصبها عندي في البيت وهذا ليس اعتقادًا مني بذلك!

نقول جاء النهي عن المشابهة أولًا ظاهرًا حتى وإن لم تكن تعتقد، لأن الحديث على ظاهره؛ على عدم مشابهة أهل الكفر، وعدم اتباع السنة التي جاءوا بها. فأما لو كان باطنًا فهذه أعظم، ولكن هناك حكمة حتى في النهي عن الظاهر لأن هناك ارتباط بين الظاهر وبين الباطن، لأنك إن تشابهت معه في الظاهر هذا لابد أنه سيؤدي إلى تشابه في الباطن، سيتغير القلب بهذه المشابهة في الظاهر، لذلك جاء النهي عن المشابهة في الظاهر، وطبعًا الباطن من باب أولى؛ الاعتقادات لابد أن تكون مخالِفة، لكن حتى الظاهر لأن هناك ارتباط وثيق، قال النبي صلى الله عليه وسلم في تسوية الصفوف: **[اسْتَوُوا ولا تَخْتَلِفُوا ؛ فتَخْتلِفَ قلوبُكُمْ]**، انظر الاستواء في الصف، سواء كان أمر وجوب أو أمر استحباب لكن يبين أن هناك علاقة بين استواء الظاهر والقلوب لما يحدث عدم الاستواء في الصف، وهذا حقيقة ستجد أن لن يكون الناس على قلب واحد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصف الناس في المعركة صفًا والحديث مشهور في القصة التي ضرب فيها أحد الصحابة في بطنه إلى آخر ما هو معلوم غالبًا لكم في السير.

لكن نقول بأن هناك ارتباط وثيق بين الظاهر وبين الباطن، فالاختلاف في الظاهر سيؤدي إلى الاختلاف في الباطن. فهنا لما نقول لك لا تلبس ثيابًا هي ثياب لأهل الكفر يتعبدون بها الله فهذا ظاهرًا، لا تنصب شيئًا من معتقداتهم في الظاهر فلأن هذا سيؤدي إلى الاختلاف في الباطن لك ولو بعد حين.

أيضًا لأن مشابهة أهل الظاهر في ظاهرهم قد تؤدي بك إلى وقوع العذاب عليك معهم إن نزل عذاب الله عز وجل؛ سواء عذاب حسي كما كان يحدث في الأمم

السابقة، أو يبتلي الله عز وجل الأمة بأمراض، بأوبئة، بفقر، بغير ذلك، فأنت إن كنت معهم في الظاهر فستأخذ حكمهم، قال سبحانه وتعالى:{ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ} [الأنفال:25]، إذًا ليست الذين ظلموا خاصة الذين تأتيهم الفتنة، بل أيضًا حتى وإن لم تكن أنت من الذين ظلموا لكنك ستؤخذ مع هؤلاء، وكما جاء في الحديث الذي فيه كلام قال: [أوحى الله إلى ملَك من الملائكة أنِ اقلبْ مدينة كذا وكذا على أهلها، قال: فقال: يا ربِّ، إن فيها عبدًا لم يعصك طرفة عين، قال: اقلبها عليه وعليهم؛ فإنَّ وجهه لم يتمعَّرَّ فيَّ ساعة قط]، أي يرى المنكر وحتى وجهه لم يتمعر في هذا المنكر، فأُخذ معهم.

وأيضًا الحديث الصحيح – وهذا مفترض قد يقدم في الاستدلال– في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: [يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ، يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ. قالَتْ عائشة رضي الله عنها وأرضاها: يا رَسولَ اللَّهِ، كيفَ يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ وفيهم أسْواقُهُمْ ومَن ليسَ منهمْ؟] أي السوقة العوام، و"من ليس منهم" أي ليسوا من الجيش لكن هم يمشون هكذا معهم موجودين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم [يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ علَى نِيَّاتِهِمْ]. فأنت لا تأمن في وجودك ظاهرًا مع هؤلاء أن يقع عليك.

والتطبيقات العملية في فعل النبي صلى الله عليه وسلم قولًا وعملًا في مخالفة اليهود والنصارى وغيره من الأمم الكافرة كثيرة، قال سبحانه وتعالى:{ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ} [الجاثية:18]، فنهى الله عز وجل على أنك تتبع أهواء الذين لا يعلمون، وأن تتبع فقط الشريعة التي أنزلها الله عز وجل.

وأيضًا قال تعالى:{ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ} [الحديد:16]. انظر الآيات يحذرنا الله عز وجل أن تكون

القلوب كقلوب الذين أوتوا الكتاب من قبل – نعوذ بالله من ذلك– نزل عليهم الكتاب فلم تخشع قلوبهم ولم يعملوا بهذه الآيات.

وقال سبحانه وتعالى:{ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ} [البقرة:120]، فلن يرضوا عنك إلا أن تكون معهم.

وجاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:[فَوَاللَّهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى عليْكُم، ولَكِنْ أَخْشَى عليْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ] .

والناظر هم ما يريدون شيئًا إلا الدنيا، هم يتنافسون في الدنيا فمن يتبعهم ستجد كل همه الدنيا، يتنافس على الدنيا وما فيها من أموال وأملاك ورزق ومتع، ولا ينظر إلى آخرته، لأن هؤلاء لا يهمهم الآخرة، هم ينظرون إلى الدنيا فقط، والدنيا لا تساوي شيئًا عند الله عز وجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لو كانت الدُّنيا تعدِلُ عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقَى كافرًا منها شربةَ ماءٍ]، ما تساوي شيء الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: [ما لي وللدُّنيا؟! إنَّما مَثَلي ومَثَلُ الدُّنيا كمَثَلِ راكبٍ قال في ظِلِّ شَجرةٍ في يومٍ صائفٍ، ثُمَّ راح وتَرَكَها].

وكما قال ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه في وصيته لاحد الناس، قال:[كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو كعابرِ سبيلٍ] وقال: [إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ]. وهذا كله لا تجده عند هؤلاء، بل تجد عندهم الحرص على الدنيا وعدم الموت، قال سبحانه وتعالى:{ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۘ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرۗ} [البقرة:96]، هم لا يريدون إلا الدنيا؛ أي يتمسكون بالدنيا، لأنهم يعلمون مآلهم بعد ذلك.

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا من فتنة النساء، وأراد أن يبين أن أول فتنة حدث في بني إسرائيل كانت في النساء، فحتى لا نتأسى بما حدث لبني إسرائيل،

قال:[إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ] وهذا ذكر خاص بعد عام يفيد التأكيد لأن النساء من الدنيا لكن ذكر النساء بعد الدنيا للتأكيد على خصوصية هذه الفتنة، ثم قال:[فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيل كَانَتْ فِي النِّسَاءِ] . فانظر.. المعنى يريد أن يبين لك لأن بني إسرائيل فتنتهم كانت في النساء فأراد أن ينهانا النبي صلى الله عليه وسلم وأن يحذرنا من النساء أيضًا، لماذا هذا كله؟ حتى لا تقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل.

بل انظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء في حديث لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والواشرة والمستوشرة، والنامصة والمتنمصة، والمتفلجات للحسن. كثير من الناس يعلمون هذا الحديث لكن لا يعلمون أن له سبب قد بينه النبي صلى الله عليه وسلم، خرج ذات يوم فأخرج قصة من شعر من كمه صلى الله عليه وسلم فقال: [إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ] ورفع القصة، ثم تلى الحديث:[لَعَنَ اللَّهُ الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ].

فكأن اللعن، بعض الناس يقولوا أين الحكمة في ذلك، التزين وغير التزين؟ فكأنه من الحكم في هذا اللعن الذي قد يخفى على كثير من الناس ويتكلمون في الحديث أن فيه مشابهة لنساء بني إسرائيل كما جاء في رواية الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخرج الشعر من كمه وقال[إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ] على أنهم يأخذوا الشعر ويوصلوه بشعورهم. وهذا يبين لك ان المسألة ليست في النجاسة، الفقهاء عندما يتكلمون في هذه المسألة – الفقهاء أقول– ينظرون إلى اللعن على أنه وصل الشعر، والشعر بان من الميت، فيتكلمون عن مسألة النجاسات بأن الشعر نجس فلا يكون وصله، فيأخذون مأخذ فقهيًا، ولذلك البعض يسير حول هذا المأخذ، فلما ينفي النجاسة يقول يمكن العمل، وهذا نظر ضيق، لو رجعت للحديث تجد المسألة ليست في النجاسة، كالوشم أيضًا البعض ينظر بأن الوشم العلة فيه بأنه الدم ويحبس وفيه نجاسة فيظل الوشم محرم بسبب نجاسة الدم، وهذا كلام أيضًا عند الفقهاء.

لكن ليست هذه العلة الوحيدة في التحريم، لو نظرت، هنا مأخذ عقائدي آخر، وهذا لابد أن ينظر إليه الفقيه الذي عنده عقيدة أو عنده نظر شامل أن المسألة ليست فقهيًا فقط، لذلك هنا النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن النهي مسألة ليست لها علاقة الآن بمسألة نجاسة الشعر وغير ذلك، بل باتباع نساء بني إسرائيل فبين ذلك. وليس من باب تغيير الخلق لأن يوجد تغيير خلق مسموح به؛ تزين للزوج ووضع المساحيق وغير ذلك، هذا جائز، فليس كل التغيير منهي عنه. فلو قلت تغيير خلق وسكت فكأن أي تغيير خلق ممنوع، فهو هنا هيقول لك هترجع للحديث، ما الذي جعلك تقول بالتحريم؟ ليس لأنه تغيير خلق فقط، لا لأن النص جاء فيه أولًا، ثم ممكن تقول من الحكمة، أصل لو قلت تغيير خلق فعندك أمور أخرى جاز فيها وهي فيها نوع من التغيير، لذلك أقول هو ليس خطأ لكن الأصل تنصب بالحديث، فتقول هذا الحديث جاء نصًا فيها، وفيه معنى التغيير، ولكن هو أيضًا ليس على كل اطلاق التغيير. فهنا انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن وصل الشعر، وهو أمر قد تراه بسيطًا، ماذا في وصل الشعر مثلًا ؟ ماذا في المتفلجات للحسن، أو غير ذلك؟ لكن هنا لأن فيها مشابهة كما قلنا.

أيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**خَالِفُوا المُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوارِبَ، وأَرخوا اللِّحَى**] وهذا فيه بيان المخالفة، "خالفوا المشركين"، أو قال[**أن أهل الشرك يعفون شواربهم، ويحفون لحاهم، فخالفوهم؛ فأعفوا اللحى، وأحفوا الشوارب**] فكأن هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالمخالفة، ويبين الحكمة أيضًا لماذا توفر اللحى وتحف الشارب؟ لتخالف أيضًا سنن الذين من قبلكم.

كل هذه الأمور قد يظن البعض بأنها أمور هينة مع أنها قد ذكرت في الشرع باختلاف درجاتها هنا، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له بأن اليهود تتسرول ولا تأتزر فقال[**تَسَرولوا وائتَزِروا**]، فإن اليهود تتسروا ولا تأتزر، أي أراد أن يخالف اليهود، فاليهود كانوا يلبسون السروال ولا يلبسون الإزار مثلًا، فقال البسوا السروال والإزار حتى تخالفوا اليهود. انظر دقة المخالفة معهم.

بل قال: [صَلُّوا فِي نِعَالِكم؛ فإنَّهم لا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهم]، فكان من السنة المهجورة أحيانًا لو اضطريت أن تصلي في الشارع أو تصلي في مكان ممكن لا تخلع النعل ما دام طاهرًا وتصلي، والنبي صلى الله عليه وسلم هنا يبين لنا صلوا في نعلكم يقول فإن اليهود لا تصلي في نعالهم.

فهنا يبين لك، وقد تقول هذه العبادات ظاهرة، ما تأثيرها فيما يحدث في المخالفة؟ نقول لا، ارتباط هنا، القلوب تتغير عندما توافقهم وتشابههم، سيحدث هذا انجذاب لك، وود لهم، والقلوب تتغير، فتقع فيما وقعوا فيه.

والدلالة على ذلك أيضًا من آيات كثيرة في الارتباط، من قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [البقرة:183]، أولًا انظر إلى الصيام، تجد أن هناك مفارقة أيضًا بيننا وبينهم بأننا جعلت لنا وجبة السحور ولم تكن لهم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم السنة أن يعجل المرء بالافطار ويؤخر في السحور، فقال وجبة السحور، [فَصْلَ ما بين صيامِنا وصيامِ أهلِ الكتابِ أكْلَةُ السَّحَرِ]، فهنا انظر طعام، لكن أراد الله عز وجل أن يبين لنا وأيضًا النبي صلى الله عليه وسلم المخالفة، فبين لنا حتى في عبادة من العبادات والعبادة هنا ماذا قال الله عز وجل في الآية؟ { كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} فالصيام عبادة ظاهرة، والتقوى في القلب، وهذا إن دل دل على ماذا؟ ارتباط بين العبادة الظاهرة وبين القلب، لأن الله عز وجل بدأ الآية {كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} كيف التقوى تأتي؟ التقوى طبعًا بأمور كثيرة، وهذه دلالة على ارتباط الظاهر.

وأيضًا منها صيام عاشوراء، النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة وصام ثم سُئل قال هذا يوم نجى الله فيه موسى واليهود تصومه، قال: [نحنُ أحقُّ بموسى منْهم] وأراد أن يخالفهم لأنهم كانوا يصومون العاشر فقط، فقال: لئن استقبلت من أمري لاصومن التاسع والعاشر، حتى المخالفة في أمر؛ أولًا نحن أحق بموسى منهم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا صلى الله عليه وسلم، وقال بالمخالفة أيضًا في ذلك.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخالف كفار قريش بعد ما فتح مكة وحج بحجة الوداع فعل مناسك عكس ما كانت تفعله قريش، كان قريش يخرجون إلى عرفة في العاشر ويخرجون في التاسع إلى المزدلفة ويجعلون باقي العرب في عرفة يوم التاسع وهم يكونون في العاشر كأنهم أصحاب رفعة، فكانوا يخرجون عرفة في العاشر ويكونون في المزدلفة في التاسع، فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وجعل التاسع لعرفة والليل للمزدلفة. وكانوا في المزدلفة ينفرون بعد شروق الشمس فكان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي حتى تسفر وينصرف سريعًا بعد أن يدعو قبل الشروق، أراد أيضًا يخالفهم. حتى قالو ما ترك شيئًا كنا نفعله في الجاهلية إلا خالفنا فيه، واليهود أيضًا قالوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أيضًا في التذكية؛ في الذبح، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[ما أنهرَ الدمَ وذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه فكُلْ ليس السنُّ والظفرُ وسأُحدِّثُك . أما السنُّ فعظمٌ** وكان هذا للجن **وأما الظفرُ فمُدَى الحبشةِ]** مُدى الحبشة أي آلة لأهل الحبشة الكفار يستخدمونها في الذبح، فنهانا عنه النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا أن نستخدمه.

فأقول لكم أشياء، لماذا بنستفيض؟ لأن نحن في مأسآة هنا في زمننا هذا في هذه المسألة، الناس فتنوا بهؤلاء، وأنت ترى السنة نقول طافحة بالآثار والأحاديث التي تبين أهمية الفصل بيننا وبينهم، وبين عدم مشابهتهم وعدم اتباعهم.

وسأنوه على كلام المؤلف في آخر الفصل، كلام عجيب أن يقوله المؤلف وقد توفي رحمه الله في 360 هـ، وقال كلام كأنه يقول ما يحدث فينا في آخر الباب، حتى أيضًا وأنا أستفيض كل هذه المسائل تبين لمن تريد أن تناظره وتتكلم معه وتؤصل أن في أمور شتى جاء النهي، حتى الحيض واليهود كانت إذا حاضت المرأة يخرجونها من البيت يتركونها في مكان منفصل ولا يقتربون منها، والنصارى على النقيض كانت إذا حاضت المرأة يباشرونها ويجامعونها مع الأذى التي فيه، فجاء الإسلام وقد وضع لنا الضابط:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى} [البقرة:222].

قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها كنت إذا حضت، النبي صلى الله عليه وسلم [كانَ يَأْمُرُنِي، فأتَّزِرُ، فيُبَاشِرُنِي] فالحائض لا فرق بين كونها حائض وغير حائض، فتؤاكل وتُشارب وتجلس وكل شيء، بل أيضًا يقترب منها الزوج بغير أن يطأ، وهذا كله ردًا على اليهود وعلى النصارى مخالفة لما وقعوا فيه من الغلو والتنطع.

والتنطع هذا من أهم الأمور التي وقع فيها الأمم السابقة، لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم قال: [هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ] فنهى عن التنطع، ونهى عن الرهبانية والابتداع في دين الله عز وجل الذي وقع فيه ما وقع فيه النصارى.

ثم أيضًا جاءت المفارقة بالجسد، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يُقيمُ بينَ أظْهُرِ المشركينَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ولم؟ قال: لا تَرَاءَى نَارَاهُمَا] فأيضًا حتى المفارقة الجسدية أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم.

وبين بأن من أسباب هلاك الأمم عدم تحكيم الشرع على الناس جميعًا، لأن ممن أهلك الأمم السابقة كما جاء في اليهود كانوا إذا سرق فيهم القوي تركوه، أو الغني تركوه، أو الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوا يده أو أقاموا عليه الحد، قال:[إنما هلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهمُ الشريفُ تركوه، وإذا سرق فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ] ، فبين لنا أن هذا من أسباب هلاك الأمم السابقة بأنهم لم يكن يحكمون الشرع عليهم جميعًا، بل على طائفة ويتركون طائفة، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين لنا أن هذا من أسباب الهلاك. فأنك إذا اتبعتهم في القوانين التي يفعلونها فينفذونها على بعضهم ولا ينفذونها على بعضهم فهذا من أسباب الهلاك، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم تصريحًا قال:[وأيمُ اللهِ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقطعتُ يدَها] وهذا حسمًا للمادة، بنت النبي صلى الله عليه وسلم إن فعلت ذلك لن يمنعه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع يدها- وحاشاها أن تفعل ذلك وهي الشريفة بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

فنقول هذه كلها بيان لعظم هذه المسألة التي لابد أن يؤكَّد عليها، لأن الناس فتنوا -كما قلت- بذلك، وانصاعوا وراء هؤلاء، وظنوا أن في اتباعهم فيهم الفوز! نقول لا حرج من أخذ علوم منهم في الدنيا والاستفادة ببعض المنافع التي عندهم، ولكن لابد يستيقن المرء بأن اتباع سنن هؤلاء لابد أن سيؤدي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إلى المهلكة، إلى الفرقة، وإلى التنازع.

ختامًا في هذا الباب المؤلف - رحمة الله عليه- قال كلامًا عجيبًا يقوله في هذا الزمان الذي كان فيه، قال: **مَنْ تَصَفَّحَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ عَالِمٍ عَاقِلٍ، عَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَهُمُ الْعَامَّ مِنْهُمْ يُجْرِي أُمُورَهُمْ عَلَى سُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ** هو متوفي سنة 360هـ وولد 300 هـ أي بعد القرون الخيرية الثلاثة وهو في بداية القرن الرابع وتتكلم ويقول هذا الكلام أن العوام سننهم على سنن أهل الكتاب، ثم ذكر: **كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى سُنَنِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَعَلَى سُنَنِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَذَلِكَ مِثْلُ السَّلْطَنَةِ وَأَحْكَامِهِمْ** وأنت لو ناظر الآن يتكلم عن الحكم في زمانه، كانوا يحكمون مثل ما يحكم فارس والروم والأنظمة التي أخذوها منهم فحكموا بها، فلا عجب.

أنا لماذا أقول هذا الكلام؟ الناس تظن بأننا في زمان لم يأت قبله زمان، نعم هو كلما يأتي زمان هو أشر من الزمان الذي قبله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، لكن انظر هذا هـ 360 ويتكلم عن **السَّلْطَنَةِ وَأَحْكَامِهِمْ وَأَحْكَامِ الْعُمَّالِ وَالْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمْرِ الْمَصَائِبِ وَالْأَفْرَاحِ وَالْمَسَاكِنِ** المساكن انظر ما يفعل في المساكن! **وَاللِّبَاسِ وَالْحِلْيَةِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْوَلَائِمِ، وَالْمَرَاكِبِ وَالْخَدَمِ وَالْمَجَالِسِ وَالْمُجَالَسَةِ، وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ** حتى البيع والشراء لم يكن هناك بنوك أيامهم لكن أيضًا كان هناك تأسي، **وَالْمَكَاسِبِ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَأَشْبَاهٌ لِمَا ذَكَرْتُ يَطُولُ شَرْحُهَا تَجْرِي بَيْنَهُمْ عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ وَالْكِتَابِ، وَإِنَّمَا تَجْرِي بَيْنَهُمْ عَلَى**

سُنَنِ مَنْ قَبْلَنَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، مَا أَقَلَّ مَنْ يَتَخَلَّصُ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي قَدْ عَمَّ النَّاسَ، وَلَنْ يُمَيِّزَ هَذَا إِلَّا عَاقِلٌ عَالِمٌ قَدْ أَدَّبَهُ الْعِلْمُ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

الله المستعان، إلى الله المشتكى، ما في تعليق على هذا الكلام غير أنه نحن امتداد لما سبق، ولكن هذا لا يمنع بأن لابد أن يُعلَّم الناس كما قال هنا وَلَنْ يُمَيِّزَ هَذَا إِلَّا عَاقِلٌ عَالِمٌ ، ولهذا لابد من تأصيل ذلك وعدم السكوت عنه وتعليمه الناس.

5-بَابُ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ , وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ :لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ , وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا يَهْوَوْنَ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَحَذَّرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الْأَنْجَاسُ الْأَرْجَاسُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْخَوَارِجِ يَتَوَارَثُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَيَخْرُجُونَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَالْأُمَرَاءِ وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَوَّلُ قَرْنٍ طَلَعَ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :هُوَ رَجُلٌ طَعَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ، فَقَالَ :اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَمَا أَرَاكَ تَعْدِلُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«وَيْلَكَ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟» فَأَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَتْلِهِ وَأَخْبَرَ: «أَنَّ هَذَا وَأَصْحَابًا لَهُ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ» وَأَمَرَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ بِقِتَالِهِمْ، وَبَيَّنَ فَضْلَ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّى، وَاجْتَمَعُوا وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدِ اجْتَهَدَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَنْ لَا يُقْتَلَ عُثْمَانُ، فَمَا أَطَاقُوا عَلَى ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَرْضَوْا لِحُكْمِهِ، وَأَظْهَرُوا قَوْلَهُمْ وَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةُ حَقٍّ أَرَادُوا بِهَا الْبَاطِلَ، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَتْلِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضْلِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، وَقَاتَلَ مَعَهُ الصَّحَابَةُ فَصَارَ سَيْفُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخَوَارِجِ سَيْفَ حَقٍّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ

هذا باب جديد وسيطول بنا المقام فيه لأن فيه أكثر من تفاصيل، وهو **بَابُ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ , وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ**. وهو كأن المصنف يقول لك سأذكر لك الأحاديث الصحيحة التي تبين لك من هم الخوارج؟ وطبعًا هو واضح في ذم الخوارج يبين أنهم طائفة مبتدعة. وقلنا بأن أهل العلم بعضهم اختلفوا، وإن كان ممكن تقول الاتفاق بعد ذلك على عدم تكفيرهم وإن ورد عن القليل منهم بتكفير الخوارج والكثير وقد حدث الاتفاق بعد ذلك على عدم تكفيرهم وتفسيقهم. لكن لا شك بأنهم قد ذُموا ومن أول الطوائف المبتدعة التي خرجت في الأمة، وهي كما قال المؤلف هنا لأنه أراد أن يبين لنا بداية ظهور الخوارج.

بداية ظهور الخوارج:

القول الأول:

بدأ من أول ذو الخويصرة الذي خرج على النبي صلى الله عليه وسلم، وستأتي الأحاديث في الأبواب التي تليها بعد ذلك – عبد الله ذو الخويصرة التميمي الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ذهبية من اليمن فقسمها بين أربعة من أهل نجد، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: [يا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ ، قَالَ: وَيْلَكَ وَمَن يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟] وفي رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: [دعني أضرب عنق هذا المنافق] وفي رواية أخرى جاءت – أنه قد تكون على أن خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي قال ذلك أيضًا، ولا يمنع أن يكون قالها عمر ثم قالها خالد أيضًا بعد ذلك، أنه لما قال عمر رضي الله عنه وأرضاه له قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم [دعني أضرب عنق هذا المنافق] فَقَالَ: [مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي]، أما في الرواية التي فيها خالد بن الوليد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي ، قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِن مُصَلٍّ يقولُ بِلِسَانِهِ ما ليسَ في قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عن قُلُوبِ النَّاسِ].

الشاهد أولًا أن هذا أول من رد الشرع، ورد على النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحكم، وهو تقسيم الذهبية وغير ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك قال [إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا] أو [إنَّ هذا له أصحابٍ] فتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بأن لهذا أصحاب بعد ذلك سيخرجون، وأعطانا مواصفات سيأتي الكلام عنها تفصيلًا.

وتدرج المؤلف في ذكر ذو الخويصرة لأن هذا قول لبعض أهل العلم على أن هذا أول خروج، عندما يتكلمون عن الأقوال عن ظهور الخوارج فيقولون القول الأول الذي خرج به ذو الخويصرة.

القول الثاني:

ثم تدرج إلى ما حدث مع عثمان رضي الله عنه وأرضاه. وأن عثمان أيضًا قد تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وأنه سيخرج عليه من يقتله، قال **[يا عثمانُ إنَّهُ لعلَّ اللَّهَ يقمِّصُكَ قميصًا ، فإن أرادوكَ على خَلعِهِ فلا تخلعهُ لَهُم]** . فهؤلاء الطائفة التي جاءت من أكثر من مكان، واجتمعوا وحاصروا بيت عثمان رضي الله عنه وأرضاه، وأرادوا أن يخلعوه أو يقتلوه، وجاء الصحابة حاولوا؛ صغارهم وكبارهم، فأرسل سيدنا (علي) الحسن والحسين، وجاء شباب الصحابة، ومع ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه أرجعهم، لأنه لم يرد قتالًا وسفكًا للدماء، ومع ذلك امتثل بقول النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقبل الخلع؛ أي يخلع هذا القميص، أي ينزلونه عن الإمارة، فقتلوه. وهذا كان القول الثاني لبعض أهل العلم بأن منشأ الخوارج من الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

ولا شك في أنهم أهل ظلم وبغي، وقد ارتكبوا خطأ كبيرًا في هذا الفعل، حتى أنه قال حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: (لو كانت العرب أصابت خيرًا في قتل عثمان لتحلبن بعده لبنا، وإن أخطأت في قتل عثمان لتحلبن بعده دما). وقد حدث بعد مقتل عثمان ما توقف الدم بعد ذلك. فهذا كان قول ثان عند الذين يقولون أن هذه بداية أو نشاة الخوارج، على أنهم جعلوا بأن ذو الخويصرة اعترض فقط، فنحن سنتكلم عن منشأ الفرقة كفرقة، سنتكلم عنها أن لها أصول وغير ذلك، فقالوا هذا أصحاب قول ثاني.

القول الثالث:

قالوا بأن الخوارج ظهرت في قتال (علي) رضي الله عنه لهم، أو في التحكيم الذي حدث بين علي ومعاوية رضي الله عنهم لما حدث القتال بين علي ومعاوية، وهم الذين كان قرب النصر لعلي رضي الله عنه وأرضاه، فألزموا سيدنا علي على الوقوف بالقتال وعدم إنهاء القتال لمصلحته وأرادوا أن يلزموه بالتحكيم، وهم الذين ألزموه بالتحكيم الذين بعد ذلك ذموا ذلك واعترضوا عليه- كما سيأتي إن شاء الله في

المناظرة بين ابن عباس وبينهم- فألزموه بالتحكيم ووقفت الحرب، وحتى قالوا لو لم تقبل لنقتلك.

ثم بعد ذلك كونوا طائفة، وكانوا في الأول يكونون مع المسلمين، أو كانوا مع سيدنا علي في الكوفة يصلون معه ثم لما يخرج من المسجد يقولون له: (إن الحكم إلا لله) يلمزون عليه، فيقول علي بن أبي طالب كلمة حق أراد بهم باطل، لكم معنا ثلاث تصلون معنا صلاتنا، تقاتلون معنا في قتالنا، ولا تخرجون علينا ولا تقاتلوننا، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، حتى انضموا جميعًا أو اجتمعوا في حروراء ولذلك يسموا (الحرورية) ؛ مكان يسمى حروراء، فاجتمعوا بغية قتال سيدنا علي، فعلم سيدنا علي ذلك، فقام أولًا أرسل إليهم ابن عباس ثم ارجع بثلثهم، ثم قاتل المتبقي.

فقالوا هذه بداية ظهور فرقة الخوارج، لأن هؤلاء كان لهم اعتقاد؛ اعتقادهم أنهم كفَّروا عثمان أولًا، ثم كفَّروا علي رضي الله عنه وأرضاه، وكفَّروا معاوية، وكفَّروا عمرو بن العاص، رضي الله عن الجميع، كل هؤلاء كفروهم، طبعًا تأولًا وجهلًا كما سنبين، لكن كفروهم ثم استحلوا قتلهم، واستحلوا دماء المسلمين الذين معهم أيضًا، وخرجوا على سيدنا علي.

فهذا القول الثالث في بداية ظهور فرقة الخوارج، وقالوا أن هذا لعله أعدل الأقوال على أنه ذو الخويصرة لم يكن هناك فكر، هو مجرد اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى الذين قتلوا عثمان هم خرجوا عليه بغية أنهم رأوا أن هناك أفعال خطأ فعلها، وإن كانوا هم ليسوا على الحق، لكن لم يكن هناك اعتقاد عندهم في الاعتقادات التي ظهرت بعد ذلك في فرقة الخوارج، إلى أن اكتمل الأمر في الخوارج الذين ظهروا جليًا في خلافة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، فهذا القول لعله الأصوب. وإن كان يقال أيضًا أن هذا خروج وهذا خروج.

لكن الفرقة قال علماؤنا هم طائفة لهم قوة، ولهم منعة، ولهم شوكة، ولهم فكر واعتقادات وإن كانت ضالة كلها، أعظمها أو أوضحها فيما اجتمع فيهم أنهم كانوا يخرجون على ولاة الأمور فيستبيحون الدماء. وأيضًا من معتقداتهم - كما سيأتي-

أنهم يكفرون الناس بالكبائر؛ أصحاب الكبائر عندهم يكفرونهم، وأيضًا أنهم يرون بأن من دخل النار لا يخرج منها، إلى آخر ما سنبينه.

لكن هو كما قال ابن حجر أيضًا: الخوارج جمع خارجة، أي طائفة، قوم مبتدعون، سموا بذلك بخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين.

ولهم أسماء متعددة، إن أردتم أن نبين اسمائهم فقط حتى ما نطيل أكثر من ذلك لأن طبعًا لهم صفات ولهم اعتقادات.

أسماء الخوارج:

1 **الخَوارِجُ**: هم يسمون الخوارج، وهذا الاسم الدارج لهم أو الاسم المنتشر، وهم "الخوارج" بالنسبة لهم لا ينكرونه، فهو ليس ذمًا بل مدحًا عندهم، لأن هم يرون أنهم خوارج تأولًا بقوله تعالى: {وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ } [النساء:100]، فقالوا نحن خوارج خرجنا لله، فهذا في مسماهم عندهم.

لكن أهل العلم لما سموهم الخوارج سموهم من باب الذم وليس من باب المدح، ليس من هذه الآية، لأنهم خرجوا على أولياء الأمور، وخرجوا على عوام المسلمين بعد أن كفروهم أولًا واستباحوا دمائهم وأموالهم، فكان هذا الاسم الخوارج لهم. وفي روايات أن الخوارج [كِلابُ أَهْلِ النَّارِ] فيها كلام عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن نقول هذا الاسم الأول.

2 **الشَّكَّاكِيَّةُ**: لأنهم قالوا لعلي رضي الله عنه وأرضاه بعد أن كتب في الصلح طلبوا منه في صلحه مع معاوية أن يحذف كلمة أمير المؤمنين، فاخذوه عليه قالوا: (قد شككت في أمرك وحكمت عدوك فيك) لأن أنت نزلت على قولهم، فسموهم الشكاكية أنهم يروا بأن سيدنا علي شكك في أمره ونزل حكم العدو فيه أنك وليًا للمؤمنين أو أميرًا للمؤمنين، فسموا بذلك الشكاكية.

3 **الحَرورِيَّةُ**: وأيضًا سموا بالحرورية، هذه من ألقابهم، حروراء الأرض، لأن هم اجتمعوا في حروراء لمقاتله علي رضي الله عنه وأرضاه، لذلك في حديث عائشة رضي الله عنها لمعاذة لما قالت لها علام نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة؟ قالت: **[أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟]** قالت لا إنما أسأل لأتعلم، فبينت لها إننا كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة، لأن هم الخوارج يرون ذلك؛ يرون بقضاء الصلاة مع قضاء الصوم للحائض، فلذلك سموا بالحرورية.

4 **الشُّراةُ**: وسموا بالشراة من الشراء، أي أنهم هم الذين اشتروا أنفسهم ويرون أنهم خرجوا ليشتروا أنفسهم، فسموا نفسهم الشراة، أي اشترينا أنفسنا من الله ويبتغون وجه الله عز وجل.

5 **المُحَكِّمَةُ**: من ألقابهم المحكمة لأنهم أنكروا التحكيم الذي حدث بين معاوية رضي الله عنه وأرضاه وبين علي رضي الله عن الجميع، فقالوا (إن الحكم إلا لله) وهذا القول لا يظن أحد بأن لما يقول (إن الحكم إلا لله) فهو خارجي! لا، هذا قول صحيح كما قال سيدنا علي كلمة حق أريد بها باطل، طبعًا الحكم لا يكون إلا لله ولكن من سينفذ هذا الحكم؟ هل سينزل ملك من السماء ليحكم بين الناس؟ أم لابد من محكم يحكم؟ لذلك هم يسمون المحكمة ولإنكارهم التحكيم، ويستدلون بقوله تعالى:{ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:50]، وقوله تعالى: {إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ} [الأنعام:57]، وقوله تعالى: { أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} [الأعراف:54]. فقلنا هذه الكلمة حق لكنها مقصدهم فيه باطل كما سنبين في كل هذا في ما يأتي وقت المناظرة بين ابن عباس وبينهم في الشبهات التي أخذوها على (علي).

6 **المارِقَةُ**: الأسماء السابقة كل هذه هم يقرون بها قلت، لكن المارقة لا يقرون بها أو لا يحبونها طبعًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[يمرقونَ من الدينِ كما يمرقُ السهمُ من الرميةِ]** فسموهم أهل العلم المارقة. لذلك هم لا يثبتون المارقة لكن الأسماء الأخرى لا ينكرونها لأنها عندهم من بابهم حق في ذلك.

ختامًا.. الإشكال في الخوارج علميًا أنك لا تجد لهم مصنفات، أي أنت تجد للقدرية، تجد للمعتزلة، تجد للأشاعرة، تجد للجبرية، أو للجهمية، حتى شيخ الإسلام ابن تيمية قال الإشكال أن كل هؤلاء الطوائف لهم علماء، أو كان لهم معتقدات دونت فوصل لنا كتبًا، الخوارج لا تجد، تكاد لا تجد لهم كتابًا يؤصل لهم اعتقادهم. هم طبعًا طائفة يسموها طائفة ثائرة، ماذا يعني؟ أي على طول في حروب وفي قتال، فليس لهم استقرار، قالوا لم يكن لهم وقت للتصنيف، ولا للتنظير، ولا للكتاب.

وبعضهم قال بأنهم كانوا يغلقون على أنفسهم فلا يُظهرون عقائدهم، فلم تكن تدون، لذلك كل ما سيقال عن الخوارج كفرقة ظهرت بعد ذلك هو من باب نقل العلماء لما رأوه وما علموه عنهم، ولكن ليست من مصادر أو كتب خاصة بهم كما عند الفرق الأخرى.

ولهذا تجد المسألة اجتهادية وتجميعية، لكن هناك أصول عامة طبعًا سنبينها، قد بينها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث، والآثار التي تبين صفات الخوارج، وهذه سنتعرض إليها إن شاء الله بإذن الله تعالى في الأسابيع القادمة، لأن سيطول معنا الباب بأكثر من موضع.

والخوارج ليس فقط في أنه يخرج، ما هو إذا لم يخرج لكن عنده فكر، الخوارج أي عنده اعتقاد الخوارج- الذي سنبينه الآن- فالخروج من اعتقادهم، لذلك إذا اعتقد فكرهم فكان من الخوارج، لكن ليس كل من يصيب جزء من اعتقادهم يسمى خارجي، وهذا تحقيق في المسألة. والإباضية معروف أنها إحدى فرق الخوارج حتى وإن كان لهم بلد. هم يريدون بأن يكون لهم دولة، لكن هم من اعتقادهم عندهم شدة في تنصيب الإمام، وفي الابقاء على الإمام، فيرون من شروط الإمامة أن يكون تقي وورع، ولا يكون حد من قبل، فإذا وقع في معصية، أو في شيء، أو في ظلم، يخلعونه ويستبيحونه. فالمسألة عندهم ليست فقط أن هم يخرجون فقط، لا، فهم سينصبوا إمام في الآخر.

لأن طبعًا هناك خلاف، بعضهم قال الإباضية عندهم من أقوالهم أنه ليس في حاجة إلى إمام لأن المفروض الحكم هو حكم الله عز وجل، فان اصطلح الناس على تحكيم الله عز وجل في الأمور فلا حاجة لإمام، هذا أحد أقوالهم. وعندهم قول طبعًا ثاني في الخوارج أن لابد من إمام، ولهم شروط قاسية، لكن الإباضية من أقوالهم أيضًا أنه ممكن لا يحتاج إلى إمام اذا اصطلح الناس على التحكيم. فهي المسألة ليست في الخروج فقط، هي المسألة أيضًا في التنصيب ومتابعة ذلك، واعتقاداتهم الأخرى في أهل الكبائر التخليد في النار، فعندهم قدرية في باب القدر أيضًا، وفي باب الأسماء عندهم تعطيل، هذا سنتعرض إليه إن شاء الله، لكن طبعًا هي أبرز سماتهم مسألة استباحة الدماء، وتكفير سواء أولياء الأمور أو تكفير المسلمين واستباحة الدماء، حتى عندهم كلام في أطفال المسلمين، وهذا سيأتي طبعًا إن شاء الله.

المحاضرة الثامنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من كتاب الشريعة للآجري -عليه رحمة الله تعالى- وما زلنا في الباب الذي بدأناه الأسبوع الماضي؛ **بَابُ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ , وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ.**

قدمنا مقدمة ذكرنا فيها تعريف لهذه الفرقة، وذكرنا بعض الألقاب التي سميت بها هذه فرقة – الخوارج- ثم ذكرنا أقوال أهل العلم في منشأهم أو بدايتهم على الأقوال الثلاثة؛ هل ذو الخويصرة، أم الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه وأرضاه، أم الذين

خرجوا على (علي) رضي الله عنه وأرضاه وقاتلهم بعد ذلك. و قرأنا بداية فقط المقدمة أو بعض المقدمة ثم وقفنا عند بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ.

نبدأ إن شاء الله نكمل القراءة، ونتكلم عن هذه الفرقة وما يختص بها بإذن الله بعد ذلك.

6-بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

36- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ زُغْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ خَيْبَرَ، وَفِي ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا فَيُعْطِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»

37 - وَحَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْعَدَنِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ بِالْجِعْرَانَةِ , غَنَائِمَ حُنَيْنٍ , وَالتِّبْرُ فِي حِجْرِ بِلَالٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ قَالَ: «وَيْلَكَ،

فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ »فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ : «لَا، دَعْهُ فَإِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ لَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرآن لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»

38- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُقْرِئِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ بِالْجِعْرَانَةِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ :اعْدِلْ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ فَقَالَ :«وَيْحَكَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ » فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ :«دَعْهُ فَإِنَّ هَذَا أَصْحَابٌ لَهُ أَوْ فِي أَصْحَابٍ لَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرآن لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»

39 - حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالضَّحَّاكِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قَسْمًا إِذْ قَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« وَيْحَكَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ:« لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى رَصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، يَخْرُجُونَ عَلَى

حِينٍ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَدْعَجُ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ، تَدَرْدَرُ » قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ :لَسَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَتَلَهُمْ وَالْتَمَسَ فِي الْقَتْلَى، فَأُتِيَ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

40- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ :حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :«سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، ثُمَّ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرآن لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ :«التَّحْلِيقُ»

41 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ " :لِلشَّهِيدِ نُورَانِ، وَلِمَنْ قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ عَشَرَةُ أَنْوَارٍ لَهُ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ : بَابٌ مِنْهَا لِلْحَرُورِيَّةِ،وَلَقَدْ خَرَجُوا عَلَى دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ فِي زَمَانِهِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:هَذِهِ صِفَةُ الْحَرُورِيَّةِ،وَهُمُ الشُّرَاةُ الْخَوَارِجُ،الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } [آل عمران: ٧] الْآيَةَ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ

42 -حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ: {هُوَ الَّذِي أَنزل عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} الْآيَةَ، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ تَعَالَى، فَاحْذَرُوهُمْ»

43 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنزل عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} [آل عمران: ٧] إِلَى قَوْلِهِ: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ تَعَالَى، فَاحْذَرُوهُمْ»

44- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] قَالَ": أَمَّا الْمُتَشَابِهَاتُ: فَهُنَّ آيٌ فِي الْقُرْآنِ يَتَشَابَهْنَ عَلَى النَّاسِ إِذَا قَرَءُوهُنَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُضِلُّ مَنْ ضَلَّ مِمَّنِ ادَّعَى هَذِهِ الْكَلِمَةَ, كُلُّ فِرْقَةٍ يَقْرَءُونَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ أَصَابُوا بِهَا الْهُدَى وَمِمَّا تَتَّبِعُ الْحَرُورِيَّةُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزل اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤] وَيَقْرَءُونَ مَعَهَا: {ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: ١] فَإِذَا رَأَوُا الْإِمَامَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ الْحَقِّ قَالُوا: قَدْ كَفَرَ, وَمَنْ كَفَرَ عَدَلَ بِرَبِّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ مُشْرِكُونَ، فَيَخْرُجُونَ فَيَفْعَلُونَ مَا رَأَيْتَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ"

45- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُقْرِئِ قَالَ: ثنا سُفْيَانُ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذُكِرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ الْخَوَارِجُ وَمَا يُصِيبُهُمْ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؟ قَالَ" :يُؤْمِنُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيَضِلُّونَ عَنْ مُتَشَابِهِهِ وَقَرَأَ { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران: ٧]

46- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُقْرِئِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَذُكِرَ لَهُ الْخَوَارِجُ وَاجْتِهَادُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، قَالَ: «لَيْسَ هُمْ بِأَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ»

47- وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي زُمَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْمَلِيحِ الرَّقِّيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي نَشِيطٍ، عَنِ الْحَسَنِ: وَذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ: «حَيَارَى سَكَارَى، لَيْسَ بِيَهُودٍ وَلَا نَصَارَى، وَلَا مَجُوسٍ فَيُعْذَرُونَ»

48- وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، خَرَجَ خَارِجِيٌّ بِالْخُرَيْبَةِ , فَقَالَ " :الْمِسْكِينُ رَأَى مُنْكَرًا فَأَنْكَرَهُ، فَوَقَعَ فِيمَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ :فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَى اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْتَرَّ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا بِطُولِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا بِدَوَامِ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ

مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قُلْتُهُ أَخْبَارٌ لَا يَدْفَعُهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ لَعَلَّهُ لَا يَخْتَلِفُ فِي الْعِلْمِ بِهَا جَمِيعُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ

تعقيب من فضيلة الشيخ على سؤال من أحد الطلبة: لماذا يعدد المؤلف الروايات للحديث الواحد وكان من ممكن أن يكتفي برواية؟

كتب الحديث لما يعدد الروايات فهذا زيادة خير، نعم كتاب عقيدة لكن هو مبني على الآثار، كتاب عقيدة مبني على السنن، مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة، هذه الكتب التي تكون مبنية على الأحاديث، فالمصنف أصلًا ألف الكتاب بالأحاديث والتعليق فقط، فيذكر عدة روايات، هذا من باب تأكيد الأحاديث، فأنت بتجد في السنن؛ البخاري ومسلم أيضًا وفي الصحيح، يذكر الحديث وله أكثر من رواية، مسلم له متابعات للحديث الواحد، فهذا كثرة الرواة، فكتاب الحديث مقسمه لأبواب، فلما بيأتي في الإيمان بالله، أو يأتي في التوحيد، ويأتي في الآداب، ويأتي في الفقه، يكرر، هذه دأب المصنفين من أهل الحديث؛ أنه يذكر الروايات المتعددة التي عنده التي رواها هو أو هو يعلمها، فيؤكد ويزيد ثراء في الكتاب.

لأن لو أنت لاحظت كل رواية فيها بعض زيادات في الكلمات تفيد المعنى، هذا من ثراء المؤلف أنه يأتيك بأكثر من رواية للحديث، وكل رواية هي زيادة، فتجد أن في كلمة ممكن تفرق، مثلًا كرواية **ذُو الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ**، هذه ذكر هنا الإسم، الروايات الأولى لم يذكر الإسم، وهناك روايات لما قال عمر رضي الله عنه **دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ**، النبي صلى الله عليه وسلم قال: **دَعْهُ فَإِنَّ لِهَذَا أَصْحَابٌ**، وفي رواية أخرى قال: **دَعْهُ فلا يَقولُوا أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي**، ثم قال **فإِنَّ لَهُ أَصْحَاب**. هذه الكلمة مهمة جدًا "**أَصْحَابِي**"، لما نأتي عند حكم الخوارج على القول الذي قال بالتكفير، والذين قالوا بالتوقف، – الإمام أحمد له رواية– والذين قالوا بعدم التكفير

لهم، من أدلة القول الثالث أن النبي قال من **أَصْحَابِي**، فانظر.. هذه زيادة في رواية من الروايات، قال من **أَصْحَابِي**، فقالوا إذا كان سماه من أصحابه فهذا من أدلة القول الذين قالوا عدم التكفير مع أدلة أخرى.

فأقصد أن أقول لك أن كثرة هذه الروايات لابد تنظر إليها لأن الزيادات هذه تفيد جدًا. وطبعًا لما يأتي بالحديث بأكثر رواية ومن أكثر من راوي يبين لك أن هذا المعنى متأكد والروايات كثيرة فيها.

نبدأ.. الحمد لله والصلاه والسلام على رسول الله، بعد ما قرأنا، المؤلف هنا جزاه الله خيرًا ذكر لنا في هذا الباب روايات في معتقد الخوارج، هذه الطائفة، ووَصْف لهذه الفرقة، حتى نعلم ما هو اعتقاد هذه الفرقة التي هي أول الفرق الضالة التي ظهرت في الإسلام في زمان النبي صلى الله عليه وسلم. فذكر أولًا حديث ذو الخويصرة بأكثر من رواية، الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له **اعْدِلْ**، وذكر لنا بعض الصفات التي تخصهم.

ملخص لمعتقد الخوارج:

إن شاء الله بعد أن نبين الآن ملخص لمعتقد الخوارج، وقلت إشكالية في الخوارج أن ليس لهم تصانيف وكتب كما في الفرق الأخرى، فلذلك اجتهد العلماء في معرفة معتقدات الخوارج من خلال ما حدث منهم في التاريخ الإسلامي، لكن لهم لا شك معتقدات ظاهرة متكررة لا يختلف عليها أهل العلم، وفي بعضها ليس فيها استفاضة فلم يركز عليها أهل العلم كثيرًا.

لكن سنبين الآن مبدئيًا اعتقاد الخوارج من وقت ظهورهم لو قلنا بداية من زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد قتلهم لعثمان رضي الله عنه، إلى ظهورهم كشوكة ومنعة وفرقة في زمان (علي) رضي الله عنه وقتالهم له.

فأولًا من اعتقادهم أنهم قاموا بتكفير عثمان رضي الله عنه؛

فهم كفروا عثمان، مع أن عثمان هذا ذو النورين، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه [مَا ضَرَّ عثمانَ ما عمِل بعدَ اليَومِ]، فقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، فهو من العشره المبشرين، وأيضًا بشره بمعجزة مع بلوى تصيبه في حديث البئر لما دخل عليه فقال: [بشِّرهُ بالجنَّةِ على بلوَى تصيبُهُ] وقد حدثت بأنهم دخلوا عليه فحاصروه ثم قتلوه، أرادوا أن ينزلوه عن إمامة المسلمين فرفض كما أمره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقتلوه تأولًا كما قلنا بأمور قالوها عليه. وقد قال حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: (لو كانت العرب أصابت خيرًا في مقتل عثمان لتحلبن بعده لبنا، وإن كانت العرب أخطأت في مقتل عثمان لتحلبن بعده دما)، وقد حلبوا دمًا وليس لبنًا لا شك في ذلك، فهم اعتقادهم بتكفير عثمان.

ثم أيضًا قاموا بعد ذلك بتكفير علي رضي الله عنه وأرضاه؛

وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وأبو الحسن والحسين ريحانتا النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:[اللهمَّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه] ، وهو من هو علي بن أبي طالب في مناقبه؛ أحد العشر المبشرين بالجنة، وأمير المؤمنين الخليفة الراشد الرابع، وغير ذلك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر: [لَأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَه، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ]. فكفروا علي رضي الله عنه وأرضاه.

ثم كفروا أيضًا معه معاوية رضي الله عنه وأرضاه؛ وكاتب الوحي خال المسلمين، وكفروا أيضًا عمرو بن العاص رضي الله عنه. فهذه من اعتقاداتهم الأولى بأنهم قد اعتقدوا بتكفير هؤلاء.

ثم أيضًا اعتقدوا بإنكار التحكيم؛

وكانوا كلما يرون علي بن أبي طالب في الكوفة يخرج من صلاة الفجر فيقرأون عليه قول الله تعالى:{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزل ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة:44]، ولذلك يقول لهم كلمة حق أريد بها باطل، لأنهم يقولون بأنه قد حكَّم الرجال، ومن حكَّم الرجال فلم يُحَكِّم الله عز وجل، فعندهم من معتقداتهم إنكار التحكيم للرجال، حتى أنهم لما رفعوا المصاحف أمام علي بن أبي طالب، فأخذ علي بن أبي طالب المصحف منهم وضربه، قال: "انطق.. انطق" فقالوا: "يا أبا الحسن ما هو إلا ورق وحبر"، قال: "كيف يحكم إن كان ورقًا وحبر؟" فلا بد لهم من حكم يحجهم، فأنتم رفعتم المصاحف على الأسنة فهو يريد أن يقول لهم "احكم" فقالوا له: كيف يحكم وهو ورق وحبر؟ قال: إذًا لابد أن يحكم الرجل، الذي يحكم الرجال – مُحكِّمين- . فهم من معتقداتهم إنكار مسألة التحكيم التي حدثت بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان.

أيضًا من اعتقادهم أنهم يُكَفِّرون أصحاب المعاصي، يُكَفِّرون أصحاب الكبائر؛

والخوارج من أهم معتقداتهم تكفير أصحاب الكبائر أو أصحاب المعاصي، يخرجونهم من الملة، ولهم شبهات –ولا أقول أدلة– هي شبهات عندهم يستدلون بها.

يقولون قال تعالى:{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا } [النساء:93]، فقالوا هذا إذًا ما دام خالدًا في جهنم فيكفر، فهو كافر بذلك.

ويستدلون أيضًا بقول النبي صلى الله عليه وسلم:[لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ]، فيقولون نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عن الزاني، إذًا فليس عندنا – كما سيأتي معنا– بعد الإيمان إلا الكفر، فإن لم يكن مؤمنًا فيكون كافرًا.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: [اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ : الطعنُ في الأنسابِ، والنِّياحةُ على الميِّتِ] فقالوا إذًا قال النبي صلى الله عليه وسلم في من يفعل ذلك أن هذا كفر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: [واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ قالوا وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ قال جارٌ لا يؤمنُ جارُهُ بوائقَهُ] فقالوا هنا نفى عنه الإيمان، وليس بعد الإيمان إلا الكفر.

فقالوا إذًا هذه أدلة على كفر العاصي عندهم. هي طبعًا ليست أدلة، هي شبهات لكن الحق نقول بأن الخوارج في هذه المسألة أيضًا ينقسمون، لأنه قلنا الخوارج فرق كثيرة، تشعبوا إلى فرق كثيرة، وهذا من فضل الله – كما سنبين– لأنهم لما كانوا أهل بدع وضلال التفرقة هذه في مصلحة أهل المسلمين. لذلك هم اختلفوا بينهم، وإن كان جمهورهم يقولون بتكفير أصحاب المعاصي، ويقولون بأنهم كفار ملة؛ أي يخرجون من الملة بفعل هذه الكبائر وهذه المعاصي.

- **شبهات أخرى ألقوها في ذلك:**

ويستدلون أيضًا بآيات أخرى، منها قوله تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ } [التغابن:2]، وقالوا أيضًا: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزل ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [المائدة:44]، وقالوا:{ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ} [سبأ:17] .

فقالوا في الآية الأولى: أن الله عز وجل قسم الناس إلى مؤمن وكافر، فإذا نُفي عنه الإيمان فهو كافر، وإذا فعل المعصية فبالاتفاق هو ليس بمؤمن عندنا، إذًا لابد أن يكون قد كفر.

ثم قالوا في الثانية: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزل ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [المائدة:44]، قالوا حين يفعل الفاسق المعصية– والفاسق هذه عندنا هم لا يقولون

الفاسق– حينما يفعل المرء المعصية فلا شك بأنه لم يُحَكِّم الله، لأنه لو حَكَّم الله لقد فعل الأوامر واجتنب النواهي، لكنه لما فعل هذه المعصية فهو لم يُحَكِّم الله، والله يقول: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزل ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة:44] . انظر كيف وصلوا لهذه المصيبة – كما يقال–.

قالوا والثالثة: {ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ} [سبأ:17] ، قالوا أن صاحب الكبيرة لابد أن يجازى على المذهب عندهم، وقد أخبر الله عز وجل أن من يجازيهم هم الكفار، فقالوا إذًا لما الله عز وجل قال:{ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ} وهو لابد أن يجازى على ذلك، فكان هذا دلالة على أنه من أهل الكفر.

- **الرد على هذه الشبهات:**

طبعًا الرد على الأولى؛ {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ } [التغابن:2]، هذا ليس تقسيمًا، هذا التقسيم الثنائي ليس على سبيل الحصر، لأن جاءت الآيات والأحاديث أخرى تبين بأن هناك الكافر، وهناك المتقي، وهناك الفاسق أو العاصي، فهناك قسم ثالث هم العصاة، وهنا لم يُذكَروا في هذه الآية، لكن ذُكروا في آيات أخرى في الكتاب أو في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. فليس هذه الآية دلالة على التقسيم الحصري، أي لا يستدل بها على أن فقط التقسيم حصريًا، بل جاءت الآيات الأخرى تبين أن هناك من كان تقيًا، أو كافرًا، أو فاسقًا.

أما الآية الثانية:{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزل ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة:44] على أن من فعل المعصية في هذا الوقت لم يُحكِّم بما أنزل الله عز وجل، قلنا أن هذه الآية في من استحل ذلك فهو لم يحكم، لكن من علم بأن الخمر مثلاً حرام، والزنا حرام، والربا حرام، لكنه ضعف وأخذ وفعل هذه، فهذا ليس استحلالًا، وهذا لا يدخل في الآية، وهذا ليس المقصود، جمعًا بين الأدلة طبعًا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء في حديث أبي ذر وهذا رد على الحديث الذي ذكرته [لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ] وقالوا نفى الإيمان، ذكر في حديث أبي ذر بأن جبريل

أتاه وقال له فمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال له: [وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أنْفِ أبِي ذَرٍّ] . وأبلغ أن جبريل جاءه وبشره بذلك. فدل ذلك على أن ما دام معه الإسلام، الشهادتين، فهو مانع من الخروج من الإسلام ما دام لم يأت بناقض من نواقض الإسلام. وأما إن فعل ما فعل من الكبائر فهذه ما دام معه شهادتين فهو مازال على الإسلام.

فهذا جمعًا يرد على الحديث الذي استدلوا به [لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ] ليس المقصود هنا أصل الإيمان في الحديث، ولكن المقصود كمال الإيمان. إذًا نفى عنه كمال الإيمان حين الزنا – والعياذ بالله –.

لذلك قال:[إذا زنا الرجلُ خرج منه الإيمانُ ، فكان عليه كالظُّلَّةِ ، فإذا أقلعَ رجع إليه الإيمانُ] فإن الإيمان كالظلة، إن فعل ذلك ارتفع، وإن استغفر وتاب رجع الإيمان ونزل في الظلة مرة أخرى. فهنا يبين أن المقصود بـ (وهو مؤمن) هنا ليس نفي أصل الإيمان، بل نفي كمال الإيمان.

وهذه بعض الأدلة – أنا أقول– في هذه المسألة، وإلا جمهور الخوارج يرون بتكفير أصحاب المعاصي، وإلا بعض الطوائف عندهم ومنها الإباضية وبعض النجدات – وهم طائفة من الخوارج– يرون بأن أصحاب المعاصي ليس كفار ملة، بل كفار نعمة. فهناك فرق؛ كفار ملة يخرج من الإسلام، ولكن كفر النعمة وهذا الحديث الذي قرأناه الآن في مسألة الجار والنياحة على الميت وغير ذلك يرون أن صاحب المعصية ليس كفر ملة، بل كفر نعمة، لكن يرون إن مات عليها فهو مخلد. لذلك هم يرون في الدنيا أنه بين منزلتين كالمعتزلة، لكن يرون إن مات على المعصية فهو أيضًا مخلد في الآخرة، لكن بعضهم لا يرونه أنه كافر في الدنيا، يقولون بأنه بين منزلتين، ويرون أن هذا من كفران النعمة.

لكن المشكلة عندهم أيضًا أن النفاق عندهم ليس نفاقًا في الاعتقاد، النفاق في الأفعال فقط، وهذا مخالف، لأن أصل النفاق هو في الاعتقاد، أي أن هؤلاء الفرقة الذين

يرون بأن أفعال أصحاب المعاصي كفران نعمة ليس كفران ملة يرون بأن النفاق عندهم في الأفعال، أي أن من يعصي هو المنافق، ولا يرون النفاق في الاعتقادات! وهذا خطأ، لأن أصل النفاق هو في الاعتقاد؛ أن هو بيعتقد بقلبه الكفر ويظهر الإسلام.

لكن عمومًا وهذه الطائفة ليست كثيرة، هي ممكن الإباضية مشهورة الآن، موجودة إلى الآن، لكن بعضهم يرى بأن – كما قلت– كفر نعمة وليس كفر ملة، لكن يروا مآلهم بعد ذلك أيضًا إلى النار – والعياذ بالله –. هذا في مسألة الكبائر التي بيناها.

من المعتقدات أيضًا التي عندهم – وهذه من أهم معتقداتهم– أنهم لابد لهم في تغيير المنكر بخلع الأئمة وقتل الولاة؛

لذلك عندهم في مسألة تعيين الوالي تشديد عظيم جدًا، أي أن حكم الإمامة عند الخوارج حكم قوي ومشدد، **وإن كانوا هم على قسمين أيضًا**؛

جمهور الخوارج: غالب الفرق يرون بوجوب تنصيب الإمام، لابد أن يكون هناك إمامًا، هذا جمهور الخوارج؛

وبعض الفرق: لا يرون وجوب تنصيب الإمام، قالوا إن تم الحكم بما أنزل الله، وطُبِّق هذا الحكم يفرق وجود إمام وعدم وجود إمام، لأن المبتغى عندهم هو تحكيم ما أنزل الله، فإذا تم التحكيم فوُجِد الإمام أو لم يوجد الإمام لا يوجبون ذلك. لكن ليس هذا الأصل الذي عليه غالب الخوارج.

لذلك الفريق الأول– وهم عامة الخوارج– يرون وجوب تنصيب الإمام، لكن– ومع وجوب ذلك– عندهم شروط في هذه المسألة، أي يرون بأن الإمام لابد أن يكون شديد التمسك بالعقيدة، ويكون مخلصًا في العبادة؛ أي قوام لليل صائم بالنهار وغير ذلك، يكون أيضًا قويًا في نفسه؛ أي شديدًا وقويًا، يكون ذا شجاعة وكرم، لا يكون في إيمانه نقص، ولا يقوم بالطبع بفعل المعاصي وإلا سيكفر عندهم أصالة، لا يكون قد

حُد في كبيرة من قبل، ويرون أن لابد أن يتم انتخابه من الجميع ليس من البعض دون البعض؛ أي لابد يوافق عليه الجميع.

لكن عندهم إشكالات أيضًا؛ لا عبرة عندهم لا بالنسب ولا بالجنس، فمعنى ذلك بيسقطون شرطًا مهمًا عند الأئمة وهو أن يكون قرشيًا – طبعًا هذه الإمامة العظمى- أن يكون قرشيًا، هم لا يرون ذلك مع أنه توجد أحاديث صحيحة في أن لابد أن يكون الإمام الأعظم قرشيًا، لكن هم لم يشترطون ذلك.

أيضًا عندهم محاسبة شديدة جدًا للإمام- وهذه من معتقداتهم كما نقول- إن وجدوا الإمام ضَعُف في إيمانه، أو قل في عبادته، أو ارتكب معصية فظلم أو فسق يخرجون عليه ويقتلونه ويستبيحون دمه، فيرون أن تغيير المنكر مع الأئمة أنهم لا يصبرون عليهم؛ أي يقتلونهم حتى وإن أتى بمعصية ليس بالكفر، لأن هو بيكُفِّر بالمعصية أصلًا ما عنده إشكال في ذلك، فبالتالي يخرج عليه ويقتله ويستبيح الدماء.

أيضًا بعضهم – وهذا الاعتقاد وإن كان ليس فيه تأكيدًا كبيرًا عند كل العلماء- يقولون بخلق القرآن؛

هم من اعتقادهم خلق القرآن، وإن كانت هذه تحتاج لتتبع وبحث شديد هي والتي ستليها- من أنهم يرون مذهب المعطلة أيضًا في الأسماء والصفات- لكنهم في مسألة خلق القرآن يرون بأن القرآن مخلوق، وهذا طبعًا كلام باطل، قد قال سبحانه وتعالى:{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة:6]، فالله عز وجل أضاف الكلام إليه، وقلنا الإضافة إلى الله على نوعين؛ إضافة تشريف، وإضافة صفة للموصوف، وهنا المقصود أنه صفة لله –الكلام–، كما قال سبحانه وتعالى:{ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:143]، فهنا صفة الكلام ثابتة، هم لا يرون ذلك.

أيضًا من اعتقادهم في القدر هم قدرية؛ بمعنى هم يرون بأن العباد تخلق أفعالها بأنفسهم، والله عز وجل يقول: { وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ} [الصافات:96] و {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ} [الزمر:62]، و [إنَّ اللهَ خلق كلَّ صانعٍ وصنعتَه]، فـ (كل شيء) تفيد أن الله خلق أفعال العباد مع العباد. هذه أيضًا من اعتقاداتهم.

وأيضًا يقولون بالتعطيل؛ وإن كانت هذه المسألة أيضًا من المسائل التي لم تثبت ثبوتًا يقينيًا عنهم لكن ورد عند بعض أهل العلم الذين تتبعوا بعض كُتَّابهم بأنهم عندهم تعطيل لأسماء الله عز وجل ولصفاته.

أيضًا عندهم معتقد في باطل في الوعيد – وعيدية- ؛ بمعنى يرون أن كل عاص مخلد في جهنم، ويستدلون من قوله تعالى: { وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا } [النساء:93] ، وأيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [مَن تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا] كيف الرد عليهم؟ الصحابي الذي قتل نفسه وجاء في المنام لصاحبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم ما بيده فأصلحها" فهذه يستدلون بها على أن من قتل نفسه أيضًا ليس خالدًا. وعموميات أيضًا؛ [من قال لا إلهَ إلَّا اللهُ نفعته يومًا من دهرِه] . فأصبح معه الأصل وهو (لا إله إلا الله) فلا يدخل بذلك.

وطبعًا "خالدًا" الخلود هذه بطول المكث، الإشكال كله لما يأتي (أبدًا) لأن خالدًا تأتي مع المسلمين؛ أهل الفسق، أهل الكبائر أما أبدًا هي التي فيها الإشكال "الأبدية".

هذا ملخص لمعتقدات الخوارج لابد أن يعلمها المرء حتى يكون على بصيرة مما يسمع من اعتقادات البعض، وطبعًا سنتعرض لبعض المسائل الأخرى عندما نسير قليلًا.

علامات الخوارج:

لابد هنا أن نذكر بعض العلامات، فالخوارج لهم علامات تميزهم كما جاء في بعض النصوص التي قرأناها.

وطبعًا قلنا من معتقداتهم أولًا هو الخروج؛ أنهم يستحلون دماء المسلمين ثم يستحلون أيضًا دماء الولاة ويخرجون عليهم ويقتلونهم، هذا مبدئيًا، لكن هم لهم علامات، ذكر المؤلف من ضمن العلامات:

1 الجهل المركب:

من أهم العلامات، وحقيقة هي ليست الخوارج فقط، ستجد كثير من الفرق، لكن الخوارج تميزوا بذلك، لأنهم فهموا النصوص خطأ ولا يظنون أنهم عندهم جهل، بل يظنون أنهم عندهم علم، فهم يرون بأنهم على الحق، لذلك تجد بأسهم شديد، فهم يرون أنهم على الحق فيفعلون ذلك عن اعتقاد وعقيدة، والإشكال أن هذا أسوأ ما يكون؛ مسألة الجهل المركب، وهذه من أهم مميزات أو من علامات هذه الفئة، والله عز وجل يقول:{ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا، ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف:103-104].

وهذه مشكلة، لأن أصناف الناس أربعة عندك كما قال أهل العلم؛ عالم يعلم أنه عالم قال فذلك فأسالوه، وعالم لا يعلم أنه عالم قال فذلك فذكروه- أي ذكروه أنه عالم واستفيدوا منه- وجاهل يعلم أنه جاهل قال هذا فعلموه -هذا لا إشكال فيه- وجاهل لا يعلم أنه جاهل قال هذا فهو سفيه فاتركوه. وهذه الإشكالية لأنهم من الجهل والجهل المركب ولا يعلمون أنهم جهال.

كما قال ابن حجر له كلام جميل، قال رحمه الله تعالى: [[إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة!" فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجُهَّال، الذي لم

تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة]] .

فكان هذا رأي أهل العلم كما قال المؤلف ونقل لنا ابن حجر أنهم لما وقعوا في هذا الجهل استباحوا الدماء وقتلوا، وكانوا أشداء على المسلمين وتركوا أهل الكفر أو أهل الشرك وكما سيأتي معنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيهم ذلك في رواية أخرى (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) .

ولذلك نقول من علاماتهم الجهل المركب، ولذلك انظر إلى ابن ملجم لما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه قام أحد الشعراء يشعر فيه؛ يكتب فيه شعرًا على أنه سيدخل الجنة، وهذا غباء وجهل مركب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أن قاتل علي رضي الله عنه وأرضاه كالرجل الذي نحر الناقة في ثمود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم له: **[إنك ستضرب ضربة ها هنا وضربة ها هنا وأشار إلى صدغيه فيسيل دمها]** يكلم النبي صلى الله عليه وسلم علي، يبين له كيف سيُقتل علي رضي الله عنه وأرضاه **[فيسيل دمها حتى تختضب لحيتك ، ويكون صاحبها أشقاها ، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود]**. فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن من سيقتل علي رضي الله عنه وأرضاه هو من أشقى الناس، وهذا يأتي يكتب شعرًا في ابن ملجم على أنه قتل علي تقربًا إلى الله عز وجل! أي جهل وأي غباء هم يعتقدونه في ذلك!

وهم أيضًا فعلوا في عثمان رضي الله عنه ذلك، فهم أول ما قتلوا قتلوا عثمان ودخلوا عليه واستباحوا دمه وقتلوه، بل فعلوا أكثر من ذلك مع عمران بن حصين رضي الله عنه لما مر عليهم مع زوجته فخالفهم فقتلوه وقتلوا زوجته، وقبل أن يقتلوها بقروا بطنها وأخرجوا الجنين منه. وأيضًا عبد الله بن خباب لما خالفهم قتلوه أيضًا. وانظر ماذا فعلوا في الحسين أيضًا قتلوه وهو ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم هو والحسن، كل ذلك من الجهل المركب، {أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان:43].

وهم بعد أن قتلوا عمران مروا على بستان فوجدوا ثمرة تقع، فاشتبكوا على أن ياكلوا منها أو لا يأكلوها لأنهم لا يعلموا لمن، وهم قاتلين الصحابي وباقرين بطن إمرأته! لذلك لما جاء الرجل يسأل ابن عمر عن دم البعوض فقال: من أين أنت؟ قال من العراق، قال: انظروا إلى هذا من أهل العراق يقتلون ابن بنت النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال عنهم ريحانتي من الدنيا ويسألون عن دم البعوض! كأنه تورعًا وهم لم يتورعوا عن قتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه وعن الحسن ريحانتي من الدنيا.

وهنا مسألة مهمة جدًا؛ أن هذا الجهل لا يغرنك ما هم عليه من عبادة، وهذا الذي ذكره المؤلف في القراءة الآن، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين لنا ذلك: إنكم تحقرون الصلاة إلى الصلاة والقرآن إلى القرآن والعبادة إلى العبادة، وهذا العجيب، عندهم عبادة شديدة ومع ذلك العبادة لم تؤثر في القلوب، لأن الأصل العبادة تؤثر في القلب، فأين قلوبهم هذه التي يعبدون الله بها؟ والله عز وجل يقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [البقرة:183]، فجعل العبادة تؤثر في القلب، ومع ذلك هؤلاء يأتون بالعبادة الظاهرة والقلب لم يتاثر! لو تاثرت قلوبهم بهذه العبادة ما فعلوا ما فعلوه.

2 بأسهم شديد على أهل الإسلام وأهون ما يكون على أهل الكفر:

وهذا مصداقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: [يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ].

وقال فيهم ابن عمر: هم شرار الخلق عند الله، يأتون على الآيات التي نزلت في الكفار فيجعلونها على أهل الإسلام. وانظر من الجهل أيضًا يأتون بالآيات التي نزلت على الكفار فيجعلونها في أهل الإسلام.

وقال ابن تيمية رحمة الله عليه: وظهرت الخوارج بمفارقة أهل الجماعة واستحلال دمائهم وأموالهم، فعن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنهم لم يوافقهم على رأيهم.

وقال ابن كثير عنهم: فجعلوا يقتلون النساء والولدان ويبقرون بطون الحبالى ويفعلون أفعالًا لم يفعلها غيرهم. هذا موقفهم من عامة المسلمين، وأما موقفهم من الولاة فقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين، يوضح ذلك مواقفهم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره، وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل طالبوه بوقف القتال بعدما شارف جيشه على الإنتصار على أهل الشام، بل أنهم ربما هددوه بالقتل إذ لم يوقف القتال فبعث إلى قائده فأمر بوقف القتال.

وهذا كلام أهل العلم المعتبرين؛ ابن تيمية، وابن كثير فيما فعلوه هؤلاء في شدتهم على أهل الإسلام وتركهم لأهل الاوثان وأهل الشرك.

3 **أنهم مستمرون إلى خروج الدجال:**

كما ظهروا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا، ستظل هذه البدعة مستمرة إلى خروج الدجال، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: كلما خرجوا قُطعوا حتى يخرج آخرهم مع الدجال.

انظر.. أول بدعة في الأمة كانت هي بدعة الخوارج، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: كلما خرجوا قُطعوا حتى يخرج آخرهم مع الدجال، فهذه نبوءة النبي صلى عليه وسلم أن هذا الفكر وهذه الطائفة ستظل مستمرة إلى خروج الدجال، مع علو في بعض الأزمنة وانخفاض في بعض الأزمنة، وتمكن في بعض الأزمنة كانت لهم دول بهذا الفكر موجودة أصالة، والبعض ينحسر، لكنهم لا ينقضي هذا الفكر حتى يخرج الدجال.

4 **من علاماتهم – وأهم علامة لهم – ردهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم:**

وهذه حقيقة هي ليست مختصة بالخوارج، أي كل من كان من المبتدعة– طائفة من الطوائف– ستجده يتكلم في السنة، حتى من الطوائف الأخرى اللي نتكلم عنها ونشرحها، يرد السنة، إما سيردها على أنه يضعف الأسانيد الصحيحة حتى يوافق

هواه، أو يرد ذلك بأنه يدعي تاويلًا في المتون وليس لهذا التأويل سبق له عند النبي صلى الله عليه وسلم أو عند الصحابة أو التابعين أو التابعين لهم بإحسان.

والذي يبين لك هذا الأصل ما فعله ذو الخويصرة، لأن هو لما خرج.. ردَّ من؟ فهو ردَّ النبي صلى الله عليه وسلم، فهو ردَّ حكم النبي صلى الله عليه وسلم، لما يقول له اعْدِلْ، هو من؟ هو النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالكتاب وبالسنة، بالوحيين. فهم من سماتهم أول واحد فعل ذلك ذو الخويصرة لما ردَّ حكم النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك هم يردون سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ينافي الإيمان، قد قال سبحانه وتعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء:65]، ثلاثة أمور نبينها دائمًا في هذه الآية العظيمة: أن الإيمان مرتبط بالتحكيم، ثم أيضًا عدم الحرج في القلب، والتسليم التام لحكم النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به. وهؤلاء لم يفعلوا ذلك، بل ردوا كما فعل هذا الرجل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك ردوا أيضًا كثيرًا من الأحكام، والله عز وجل يقول: :{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ } [الأحزاب:36] . فنقول هذه من علاماتهم أيضًا رد السنة كما حدث من هذا الرجل الذي قال اعدِل يا محمَّدُ.

5 من علاماتهم كثرة انشقاقهم واختلافاتهم:

والمتتبع لدراسه الخوارج سيجد عندهم فرق كثيرة، وهذه من رحمة الله بنا، وهذا مصداق أيضًا لقول ابن تيمية لما قال: [[السنة تُجَمِّع والبدعة تُفَرِّق]] فتجد السنة طائفة والبدعة طوائف، فلأن هم من أهل البدع اختلفوا أيضًا فرق كثيرة بينهم، وهذه الفرق- وإن كان هم لهم أصول متقاربة- لكن هذا الاختلاف يقلل من الشوكة، فيكون فيه رحمة لأهل السنة على أنهم لا يجتمعون عليهم كلهم بسبب هذا الإختلاف. وأما الفرقة الناجية فهي فرقة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي.

6 التحليق:

من العلامات التحليق؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: [سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ]، والتحليق هو الحلق بالموس، حلقه كله، هذا هو المقصود هنا، بعض أهل العلم كرهوا التحليق بدون سبب، إلا لو أحد يعمل حجامة مثلًا، أو شعره فيه شيء فيحلق، أو كان يُسئَل لماذا تحلق، لأن كان لهم سمة وهي التحليق، فلذلك البعض فقهيًا يرون بكراهة التحليق بدون سبب حتى لا يكون تشبهًا بالخوارج في ذلك.

سؤال من أحد الطلبة عن كيفية رد الطوائف للسنة؟

- **رد فضيلة الشيخ:**

مثلًا حديث أبي ذر، ما هو الآن يخالف الحديث، ورد السنة على نوعين؛ إما أنك تُضَعِّف السند وهو قد ثبت صحته فأنت الهوى يجعلك تقول الحديث ضعيف، أو لا تستطيع أن تضعفه فتتأول المعنى. فأنت لو جمعت الآيات والأحاديث في مسألة تكفير أصحاب المعاصي لا يمكن أن تقول بتكفيرهم، وهو الآن لما يأتيه حديث أبي ذر واضح وصريح في عدم تكفيره، وهو يرده ولا يقول به، فهذا رد للسنة.

وأيضًا أحاديث الإمامة من قريش، هم لا يرون بإشتراط الإمام أن يكون من قريش مع أنهم عندهم وجوب تنصيب إمام، لكن ليس من شروط الإمام عندهم أن يكون قريشيًا، والأحاديث صحيحة في الإمام القرشي. فهذا هذا رد للسنة.

وهذه قلت ليست مسألة تخص الخوارج فقط، هي كل الفرق المبتدعة تجده ما خالف الاعتقاد عنده وما خالف الهوى يرده، وطبعًا هو لا يستطيع أن يرد الآيات المحكمات في القرآن، لكن يأتي على السنة، وما أعظم ما جاء على السنة في هذه الأزمنة أيضًا ويردون كثير من أحاديث السنة الصحيحة، وليس الخوارج فقط، لكن أقول من سيماهم ذلك كما بيّنا.

سؤال آخر عن الشيعة والخوارج:

- **رد فضيلة الشيخ:**

الخوارج عندهم اشتراك مع الشيعة ببعض الشيء؛ أن الشيعة بيكفروا أيضًا الصحابة، فهذا ليس معناه أن هو خارجي، لا، فهو لو كان شيعيًا رافضيًا هو بيشترك معه في استباحة دماء المسلمين، فالرافضة أشد استباحة لدماء أهل السنة من الخوارج، هو حقيقة الخوارج هم الذين بدأوا السيف على أهل السنة، بدأوا بقتالهم، لكن من أشد قتالًا لهم واستباحة؟ هم الروافض، لأن الروافض أصالة عندهم يرون أن الديار التي فيها فقط مذهبهم هي ديار الإسلام، والديار الأخرى دار كفر وارتدوا ، غير المرتدين الأصليين، فذلك تجد أيضًا كالخوارج يدعون أهل الاوثان وأهل الشرك يتحالفون معهم ويكونون معهم، ويقتلون في أهل الإسلام.

وقال المصنف في آخر ما قرأناه على أن إن وجدت فكرًا من أفكار الخوارج لكن لا يشترط أن يكون هو خارجي كفرقة الخوارج. لذلك يوجد بعض الناس الآن يرون بمسألة الخروج خروج عمومًا ولا ينضبطون بضوابط الشرع في الخروج، فيقال لهم: هذا اعتقاد الخوارج، وإن كان لا يرى بكل اعتقاد الخوارج في تكفير أهل المعاصي وفي رد السنة وفي كذا وكذا، فلا يشترط أن تقول له أنت خارجي! لكن هو يقول بقول الخوارج في هذه المسألة؛ مسألة الولاية مثلًا.

كما من يقول في الإيمان بقول المرجئة، فأنت تقول له في الإيمان أنت مرجئ، لكن هو ليس من المرجئة كطائفة، وهكذا.

من يقول مثلًا في الأسماء والصفات كما يقال عن النووي وابن حجر لكن لا تستطيع أن تقول له أنك أشعري بأصول الأشاعرة! لأن هو ليس عنده أصول الأشاعرة.

فلابد أن نفرق بين ذلك أيضًا، لأن البعض خَلَّط. لماذا نحن بنقول المعتقدات الآن والأوصاف؟ لتعلم أن هذه طائفة لها معتقدات، قد تجد أحد يوافقهم في بعض

المعتقدات، فهنا لابد أنك تنضبط أيضًا معه وتتكلم عن ما يقوله هو، وليس معناه أنك تلقي عليه أنه من الخوارج هكذا!

أيضًا من الصفات التي وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بها قال:[**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ حُدَثاءُ الأَسْنانِ ، سُفَهاءُ الأَحْلامِ ، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، فأَيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ قَتْلَهُمْ أجْرٌ لِمَن قَتَلَهُمْ يَومَ القِيامَةِ**]. وهنا المسألة أن كثير من الصحابة والتابعين بعد ذلك كانوا يرون لهؤلاء عبادة قوية يسمع لهم دوي كدوي النحل.

بل انظر.. لو تذكر حديث عبد الله بن مسعود مع أبو موسى الأشعري لما أتى به إلى المسجد، لما كانوا حِلَقًا، ونهاهم، قالوا يا أبو عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال وكم من مريد الخير لم يبلغه؟ قال صاحب مع أبو موسى الأشعري: فوجدناهم أكثر ما يطاعنونا في يوم النهروان- هؤلاء الذين كانوا يتحلقون في المسجد ويعبدون الله ويشتدون-. فانظر النبي صلى الله عليه وسلم يبين لك.

لذلك قال الشيخ الاجري: **فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَى اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْتَرَّ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا بِطُولِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا بِدَوَامِ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قُلْتُهُ أَخْبَارٌ**..إلى آخره. يريد ان يقول لك ما تنخدع، إنما العلم: (الكتاب والسنة) قال الله، قال الرسول، حتى لو له قدر، وله ما له من حسن البيان والعلم والقرآن والصلاة، لكن إن وجدته يفعل ما يخالف الكتاب والسنة فلا تغتر بعبادته، ولا بعلمه، ولا بشخصه.

وهذه هي الإشكالية، لأن المسألة ليست تقديس للناس، قد يكون من أهل الخير، لكن اجتهد فأخطأ، لذلك حتى لا يشكل علينا أحد. فقد حدث ذلك من أخيار الناس.. من؟ الحسين بن علي رضي الله عنه وأرضاه، وزين العابدين من بعده، ومن بعدهم من التابعين سعيد بن جبير والذين معه في الحجاج، لكن قبلهم الحسين، فخرجوا أم لم يخرجوا؟ خرجوا، لكن اجتهادًا. لذلك بعض أهل العلم قالوا: لا، هم خرجوا وكانوا على الحق – أنهم يريدوا الحق.

لكن بالنظر لكثير من أهل العلم ومن الصحابة لم يرضوا بخروج الحسين، حتى أن انس تكلم معه رضي الله عنه وأرضاه، وابن عمر تكلم معه رضي الله عنه، وابن عباس تكلم مع الحسين ألا يخرج، فكان اجتهادًا. لكن الأخيار فعلوا ذلك، وهذا اجتهاد وأخطأوا في الاجتهاد فقط. لكن هم لهم المكانة والقدر، وتتكلم عن من؟

ومِن بعدهم من بعض التابعين كما حدث في الحجاج، حدث ذلك باجتهاد منهم، وخرجوا أيضًا على الحجاج وبطل الخروج، وقُتل فيها سعيد بن جبير. لكن انظر.. من يتكلم عن سيد جبير الآن؟ هل يُذكر له هذا أم يذكر... نعم يذكر له أنه اجتهاد وأخطاؤا فيه، لكن قدر سعيد بن الجبير معلوم عند أهل العلم، والكل يقال بأنه قتل ظلمًا. لذلك نقول لا تغتر ولو أخطأ، ترد الخطا وتحفظ القدر. والإجماع حدث بعد ذلك على عدم الخروج على الظالم الفاسق.

فقلنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم بين بأن هؤلاء لهم ما لهم من العبادة، بل أن عمر بن الخطاب في مسألة الاجتهاد لما مر على الراهب النصراني فبكى فقالوا أنه نصراني، قال أعلم فقرأ قوله تعالى:{ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ، تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية:3-4]، فرحمه في نصبه واجتهاده وهو من أهل النار، ما نفعته العبادة في ذلك لأنه لم يقل لا إله إلا الله يومًا من الدهر.

فالإشكال أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: [حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ] بين ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه كما جاء في الروايات التي هنا بأنهم يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابه، وقال:{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ }

[آل عمران:7]، إذًا الإشكال عندهم أنهم ضلوا فيما ظنوا أنه متشابه وهو ليس متشابه، فتأولوه، فوقعوا فيما وقعوا فيه.

وهذه مناسبة الأحاديث التي قرأناها وذكر فيها مسألة الآيات التي فيها: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ} هذه كلها كما قال عنهم ابن عباس قال: القرآن حمَّالُ. كانوا يأخذون الآية ويضعونها في غير موضعها. والذي قال فيهم ابن عمر: أخذوا الآيات التي نزلت في الكفار وأنزلوها على أهل الإسلام، وهذا كله في التجاوز في اعتقادهم.

فنقول استباحوا قتال المسلمين، وقتلوا الرجال والنساء أيضًا، وهذا لا شك من أمور الطائفة الباغية الذين وقعوا فيها، لأن الأصل أن دماء أهل الإسلام معصومة، ولا بد حتى يخرج المرء من الإسلام إلى الكفر لابد له من أدلة كشمس النهار واضحة بيضاء نقية حتى تحكم على المرء بالخروج من الإسلام ويكون من أهل الكفر.

حكم الخوارج:

هنا توجد بعض المسائل فيما قرأناه الآن، توجهنا لمسألة حكم الخوارج عند الناس، أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قال: **قِتَالهمُ** .. و **قَتلَهُمُ** ، أي أباح القتال والقتل. وطبعًا نحن نعلم بأن القتال هذا مذكور بين المسلمين حتى؛ {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ } [الحجرات:9]. فالقتال هذا للرد، حتى يرجعون إلى الحق. لكن النبي صلى الله عليه وسلم في الروايات التي قُرئت أيضًا قال: [**لئنْ أدركتُهم قتلتُهم قتلَ عادٍ**].

فتكلم عن القتال وعن القتل، وهذه من الأحاديث أو الروايات التي يستدل بها أصحاب القول الأول في تكفير الخوارج، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالقتال، فالقتال وارد بين المؤمنين وأنك تقاتل فئة باغية حتى ترده، لكن القتل أي ستُعيِّن قتله،

بمعنى أنك ستقتل أسيرهم إن أردت، أو تقتل أعيانهم – أفرادهم– تقتلهم حتى ولو لم يكونوا طائفة ممتنعة ولهم شوكة.

وهذا إشكال يظهر في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "القتل"، لأن هو نعم في الأول فرَّق وقال قِتَالهمُ، لكن هو رجع بعد ذلك قال في القتل قال: [إِنَّ مِن ضِئْضِئِ هذا قَوْمًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ] .وقال أيضًا في رواية: [هم شِرَارُ الخلْقِ والخلِيقَةِ ، طُوبَى لِمَنْ قتَلَهم وقتَلوهُ ، يَدْعُونَ إلى كتابِ اللهِ وليسوا منه في شيءٍ ، مَنْ قاتَلَهم كان أَوْلَى باللهِ منهم] . فذكر في رواية "قتلهم"، وذكر في رواية "قاتلهم".

والرواية الأخرى اللي قلناها: [سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمانِ، أَحْداثُ الأَسْنانِ، سُفَهاءُ الأَحْلامِ، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فأَيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَن قَتَلَهُمْ يَومَ القِيامَةِ] . وفي رواية طبعًا فيها كلام أنهم [كلابُ أهلِ النَّارِ] والاسناد فيه انقطاع ولكن يستأنس به.

الشاهد في ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم أباح قتالهم وقتلهم، وهذه قلت من الإشكاليات التي ستأتي معنا، من استدلادات من قال بتكفيرهم، لأن القتال فقط كان يمكن أن يكون مع طائفة من المؤمنين ومن أهل الإسلام، لكن قتلهم فهذه فيها إشكال عند البعض، ولابد لها من تفسير، لأن يوجد خلاف بين أهل العلم؛ هل آحادهم يُقتلون أم لا يقتلون؟ على قول النبي صلى الله عليه وسلم هنا ممكن بعضهم يقول أن آحادهم يقتلون. والبعض قال لا يقتل آحادهم إلا إذا استشرى أمره وكان من أهل الفكر أو المكيدة أو أهل الفعل فهو الذي يُقتل حتى لو وُجد منفرد.

لكن هو الإشكالية هل معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال "يقتلون" هل أباح تكفيرهم أم لا؟

أقوال أهل العلم في مسألة الخوارج هي على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال به بعض أهل العلم وهو تكفير الخوارج؛

والأدلة على ذلك قالوا ما أباح النبي صلى الله عليه وسلم قتالهم وقتلهم إلا لأنهم كفار قريش، وأنهم ليسوا من الفرق التي تدخل في الإثنين وسبعين؛ الذي هو حديث الثلاث وسبعين فرقة، وأنهم بالطبع ليسوا الفرقة الناجية فهم خارج دائرة الإسلام.

والذين قالوا هذا القول بعض أهل العلم من الخلف، وسنبين، ووافقهم في ذلك أبو أمامة رضي الله عنه، لأن هو الوحيد من الصحابة الذي قال بتكفير الخوارج فيما نُقل. وظهر ذلك لما دخل أبو أمامة الباهلي دمشق فرأى رؤوس حرورية قد نُصبت؛ أي رؤوس قتلت ونصبت، فقال: (كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار، شر قتلى تحت ظل السماء ، خير قتلى من قتلوه). فهم بعض أهل العلم أن هذا تكفير من أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه للخوارج. هذا فقط الذي ورد من الصحابة، وظني أيضًا لكن هم قالوا بهذا القول.

أدلة القول الأول الذين قالوا بالتكفير:

الدليل الأول؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: [هم شِرَارُ الخلْقِ والخلِيقَةِ ، طُوبَى لِمَنْ قتَلَهم و طُوبَى لمن قتَلوهُ ، يَدْعُونَ إلى كتابِ اللهِ وليسوا منه في شيءٍ ، مَنْ قاتَلَهم كان أَوْلَى باللهِ منهم].

الدليل الثاني؛ [إنهم كِلابُ أهلِ النارِ]

الدليل الثالث؛ عندكم في الصحيحين: [سَيَخْرُجُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمانِ، أَحْداثُ الأسْنانِ، سُفَهاءُ الأحْلامِ، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فأيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ في قَتْلِهِمْ أجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يومَ القِيامَةِ] ، هنا الشاهد: (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

وارجعوا للرواية التي قرأناها هنا رقم (39) هي مهمة جدًا في تقوية قول هؤلاء: كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى رَصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ. طبعًا هذه من أقوى الروايات اللي يستدل بها هؤلاء على أنهم يرون بأن الرامي السهم خرج ولم يتبق منه شيء مطلقًا، فكأنهم خرجوا بالكلية من الإسلام. وهذه الرواية طبعًا هي فيها رد لأنه توجد رواية أخرى قال: فبقيت القذة فعادت. فهذه التي يستدل بها أصحاب القول الثالث على أنه لم يخرج بالكلية.

الدليل الرابع؛ استدلوا بفعل علي بن أبي طالب في قتالهم، قالوا قد قاتلهم علي بن أبي طالب فاستدلوا به. وهذا طبعًا من أضعفهم لكن يستأنسون به.

الدليل الخامس؛ استدلوا بكلام أبي أمامة الباهلي الذي قلناه حتى لا نعيده مرة أخرى.

الدليل السادس: استدلوا من النظر؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**مَن قال لأخيه يا كافرُ فقد باء بها أحدُهما**]، وهم يكفرون الناس؛ يكفرون الولاة ويكفرون عوام المسلمين، ويستحلون الدماء، فقد باء بها أحدهما، فهم من أهل الكفر.

الدليل السابع؛ استدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **[تخرج طائفة في أمتي]** ولم يقل (من أمتي) فقالوا إذًا لم يحسبهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأمة، فهم من أهل الكفر، إذًا هم خرجوا من الإسلام.

القول الثاني: قول التوقف؛

وهو رواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: يُتوقَف فيهم لا يُدرَى أهم كفار أم لا؟ نقول فيهم ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هم شرار الخلق طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه" فنقف عند هذا، وهذا كله أحاديث من باب الزجر من النبي صلى

الله عليه وسلم والردع، حتى لا نقع في فكر هؤلاء، ولا نكون معهم. لذلك قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فيُقتَلون نعم لكننا نفعل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وسلم ولا يتعرض أهم كفار أم غير كفار.

وهذا قول الحقيقة أضعف الأقوال لأنه ليس فيه بيان لفقه الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا يوجد ثمرة! أين الثمرة من الأحاديث التي جاءت عن هؤلاء في وصفهم بالذم كل هذا! لذلك هذا أضعف الأقوال –والله أعلم– وأنا قلت هو رواية عن الإمام أحمد.

القول الثالث: عدم تكفير الخوارج؛

وهو قول عامة العلماء من السلف ومن الخلف، بل بعضهم ادعى نقل الاجماع عن الصحابة في ذلك؛ بعدم تكفير الخوارج.

الدليل الأول؛ المسألة لمن قالوا بذلك حقيقة هم نظروا لرأس الأمر في ذلك، سيدنا علي. قالوا لتعامل سيدنا (علي) معهم. فنظرة أهل العلم أولًا نظروا في تعامل سيدنا علي.

لماذا جعلوا تعامل سيدنا علي أصل عندهم؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين بأن الذي سيقاتلهم هو أولى الطائفتين بالحق، والذي قاتلهم هو علي رضي الله عنه وأرضاه، لأنه قال: **[إن فرقة تخرج عند اختلاف الناس تقتلهم أقرب الطائفتين بالحق ، علامتهم رجل فيهم يده كثدي المرأة]**. فهنا من الذي قتلهم؟ سيدنا علي، ووجدوا في قتلاهم هذا الرجل. إذًا النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق الذين قاتلوهم، فكان الحق مع علي رضي عنه وأرضاه في قتالهم وفي اجتهاده فيما فعله فيهم. لذلك قالوا إذًا ما فعله سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه معهم هو أصل عندنا، أي أصل في النظر في حال هؤلاء.

لذلك لما سُئل عنهم علي رضي الله عنه وأرضاه قالوا: أكفار هم؟ قال: هم من الكفر فروا، قالوا أمنافقون هم؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله

كثيرًا؛ لأن عندهم صلاة وصيام، وعندهم تلاوة قرآن وغير ذلك- قالوا إخواننا بغوا علينا. فكانت هذه صريحة من سيدنا علي رضى علينا وأرضاه، وهذا في محفل من؟ كثير من الصحابة في زمن علي رضي الله وأرضاه، وسمعوا هذا الكلام من سيدنا علي لما قالوا أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، أي طلع من الكفر ليس بكافر، فقيل أمنافقون هم؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا، قيل من هم؟ قال قوم أصابتهم فتنة، فعموا وصموا.

فهنا قلنا هذا الكلام في حضرة الصحابة، فكأنه إجماع من الصحابة ولم ينكروا على (علي) رضي الله عنه وأرضاه في ما قاله وفيما تعامل معهم؛ بأنهم من الكفر فروا وهم ليسوا من أهل النفاق، ولكنهم فتنوا فعموا وصموا.

طبعًا أنا لن استفيض كثيرًا لأن في تفاصيل أكثر من ذلك في الأدلة لكن سنبين.

الدليل الثاني؛ أيضًا من الأدلة عند أصحاب هذا القول أن هؤلاء قالوا (لا إله إلا الله) وهو يقولون: [مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ؛ نَفَعتْه يومًا من دهرِه، يُصيبُه قبلَ ذلكَ ما أصابَه]، فقالوا إذًا معهم الشهادتين فهم من أهل الإسلام وإن فعلوا ما فعلوا من الكبائر والقتل وغير ذلك.

الدليل الثالث؛ ويستدلون أيضًا أن ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه كان يصلي خلف نجدة؛ والتي سموها بعد ذلك "طائفة النجدات" ، ونجدة الخارجي هذا كان إمامًا يصلي وكان ابن عمر يصلي خلفه، وابن عمر معلوم عنه أثري لا يمكن أن يصلي خلف كافر، فصلاة ابن عمر خلفه، ونجدة هذا هو الذي أسس فرقة النجدات – فرقة من فرق الخوارج بعد ذلك أيضًا- دل ذلك على أنهم ليسوا من الكفار.

هذا القول وإن كان هو الراجح الصحيح، لكن لابد أن يُرَد على أدلة القول الأول.

الرد على أدلة القول الأول:

قالوا آخر الأدلة: : **[تخرج طائفة في أمتي]** قالوا هناك روايات أخرى قال: (تخرج طائفة من أمتي) وأحيانًا ممكن تأتي (في) بمعنى (من)، وذلك إن قلنا بأنها الرواية الوحيدة، لكن توجد رواية أخرى بأن (يخرج طائفة من أمتي) فكان دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها من الأمة.

سأختم بإشكالية حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، وهذه كنا قد بيناها في الأول، لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: **دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ** – ذو الخويصرة– لأن هنا سنستدل أيضًا على حديث النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى الروايات: **مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي** ، فسماه صاحبًا حتى على الضلال الذي هو فيه وعلى البدعة سماه صاحبًا.

وكلمة الصحابي هذه أصلًا في تعريفه عند أهل العلم: "من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات على ذلك ولو تخلله ردة"، والنبي قد وصفه أنه صحابي، فيستدل به عند أصحاب القول الثالث الذين قالوا بعدم التكفير بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفره.

المسألة الأهم مسألة القتل، قلنا القتل والقتال. طبعًا تعامل سيدنا علي معهم لما قاتلهم ترك أسيرهم يرجع ولم ينزل على جريحهم؛ أي لم يزف جريحهم أي يقتله، ولم يسب نسائهم، ولم يأخذ أموالهم، فدل ذلك أن سيدنا علي لم يتعامل معهم تعامل الكفار– قتال الكفار– بل قتال الفئة الباغية من المسلمين، فدل على أن قتالهم وقتلهم الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم ليس لأنهم كفار، بل هذا من باب المصالح والمفاسد.

لذلك لو رأى ولي الأمر إن استشرى الفساد والقتال منهم وغير ذلك، ورأى أن يقتل أعيانهم فله أن يفعل ذلك. إذًا هنا مسألة تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل والقتال من باب المصالح والمفاسد، ليس من باب أنهم من أهل الكفر.

طبعًا يقوي ذلك كما قلنا إجماع الصحابة في زمن سيدنا علي –أقول– أو في وقت علي لم ينكر عليه أحد في ما قاله.

تبقى مسألة مهمة حقيقة إنصافًا علميًا، وسأتكلم عنها مع أنها قد تكون دقيقة، لكن سننهي بها الحوار، لأن عمر رضي عنه وأرضاه لما قال هذا الرجل اعْدِلْ، قال يا رسول صلى الله عليه وسلم دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، هذا تعيين من عمر أم لا للرجل؟ عينه بالنفاق، وأراد أن يضرب العنق.

وهذه طبعًا من الأحاديث التي حقيقة اشتبهت على كثير من الناس، وطبعًا يتلقفها بعض صغار أهل العلم، والذين يسارعون بقرب فكر التكفير والخوارج في تسهيل التكفير، فيقولون سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لما الرجل قال هذه الكلمة كفره، أو قال كلمة فكفر، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لعمر: لا يا عمر هو ليس بمنافق. وإن كان طبعًا رد النبي صلى الله عليه فيه احتمال، هو ظاهر عند من يقول بأن عمر قد عين الكفر على الرجل، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ما قال لعمر أخطأت يا عمر كيف تكفره، من قال لك ذلك. يستدلون بذلك.

لكن جواب النبي صلى الله عليه وسلم محتمل؛ أولًا النبي صلى الله عليه وسلم قال له: حتى لا يقول بأن محمد يقتل أصحابه. فهنرجع لـ (أصحابه)، فلو كان هو كافرًا ما قال النبي صلى الله عليه وسلم "أصحابه". إذًا رد النبي صلى الله عليه وسلم فيه نوع من الإنكار، وإن كان ليس ظاهرًا على عمر، إنكار على القول الذي قاله عمر. لأن النبي صلى الله عليه وسلم أولًا لم يبح قتله، أي لم يوافقه على أنه يقتله. ثانيًا لما تكلم قال: حتى لا يقول بأن محمد يقتل أصحابه. فلذلك قالوا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لعمر إذًا هذه يحتمل أنه لم يوافقه على هذا التعيين.

نحن مبحثنا في التسرع في التعيين بالقول، وهذه من ضمن الأدلة اللي يستدل بها من يرون بأن من يقول لك قد قال كلمة قد كفر! ومحتملة، أو هذا فعل فلان، أو علان، أو كذا عمل كذا. المسألة لابد لها من تدقيق، ويستدلون بهذا الحديث.

فنقول نعم فيه ما فيه من الظهور على أن عمر رضي عنه وأرضاه لأن أيضًا خالد بن الوليد في رواية أخرى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إئذن لي أضرب عنق هذا الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "لعله يصلي"، قال خالد بن الوليد: "وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟!" قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أمرت أن اشق عن قلوب الناس" . فأيضًا لم يسمح له بذلك.

أنا أريد أن أقول هذا الكلام أنه ممكن أن يستدل به على كفره، لكن الرد على مسألة الكفر بيناها في مسألة الخوارج الآن، لكن هو يراد أن يستدل به على أن المرء يجوز أن يبادر بتكفير المُعَيَّن كما فعل عمر، ونقول أن هذه مسألة عمر له ما له من القدر، وليس قدر فقط في الإسلام، بل من العلم ومن إسقاط المسألة، لأن مسألة تكفير المعين تحتاج لإقامة حجة وانتفاء موانع. فهذا كله في هذا الموقف إما أنك تقول بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قد أدار هذا الأمر وفعله، فعنده العلم، إذًا أنت لابد هنا تصل إلى قدر من العلم ولا يُترَك الأمر لاي أحد يسمع كلمة من فلان فيقال قدقد كفر بهذه الكلمة. هذه مسألة تحتاج لدقة.

النبي صلى الله عليه وسلم لما حتى قال عمر ذلك لم يوافقه على القتل، وبين له بالقول بأنه من الأصحاب، فأشكل علينا حتى أن المسألة ليست ظاهرة.
فالمطلوب الآن أن هذه الأمور يُرَد فيها إلى أهل العلم، ولا يتسرع الناس عند سماع كلمات، وهذه أكثر ما تكون الآن في زمننا، قال فلان كلمة فقد كفر! فعل فعلًا فقد كفر! والى فلان فقد كفر! المسألة ليست بالهينة، لأنها تحتاج إلى تدقيق، وهذه لا يقوم بها إلا أهل العلم، ولا حتى صغار طلبة العلم ولا كبار طلبة العلم، بل عالم راسخ هو الذي يُسقِط حكم المعين.

ولا نتكلم عن معلوم من الدين بالضرورة، الذي هو سب الله، وسب النبي صلى الله عليه وسلم، وسب الدين، لا، لا نتكلم عن هذا، نحن نتكلم عن أقوال وأفعال يقوم بها المرء وهو مسلم في الأصل فيريد أن يعين عليه الكفر، هذه ليست لآحاد الناس، ولا لآحاد حتى طلبة العلم، ولا لآحاد أهل العلم، بل لابد أن يُرجَع فيه لأهل العلم الذين قد رسخوا في العلم فيستطيعون أن يطبقوا هذه المسألة.

هذا نختم به هذا الكلام وما زلنا مع الخوارج، وسنحتاج إلى أن نتكلم عن المناظرة التي حدثت بين ابن عباس رضي الله عنهما وبين الخوارج، والشبهات التي ألقوها حتى يكفرون (علي) ويخرجون عليه، وغير ذلك من الأمور ما زلنا فيها. نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا ذلك، وهذا إن شاء الله نكمله الأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة التاسعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري –عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في فصل **ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ , وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ**. وكنا قد بينا الأسبوع الماضي الكلام عن فرقة الخوارج، وعن المنشأ، وبينا المعتقدات التي عند الفرقة، والصفات التي تعرف بها الطائفة، وبينا أيضًا بأنها أول فرقة من الفرق المبتدعة التي ظهرت في الإسلام وظهرت – على أحد الأقوال– بأنها ظهرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن فرقة وقتها، لكن ذو الخويصرة الذي جاء، ثم اشتدوا بعد ذلك لما قتلوا عثمان، ثم أصبح

لهم شوكة ومنعة وطائفة ولهم معتقدات مع علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه وقد قاتلهم في ذلك، وهو كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في السنن على أنه أولى الطائفتين بالحق التي تقاتل الخوارج، وبين لهم علامة من العلامات وهو الرجل الذي إحدى يديه كثدي المرأة، وقد حدث ذلك مع علي بن أبي طالب لما قاتلهم وجده في وسط القتلى، فدل ذلك أيضًا على أن علي بن أبي طالب كان على الحق، وكان إحدى الطائفتان التي معها الحق. كل هذا قد بيناه، وهذا الأسبوع أيضًا نختم الكلام عن الخوارج فيما نبين وسيأتي المؤلف يبين لنا بَابُ ذِكْرِ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْخَوَارِجِ مِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِهِمْ كما بيّنا.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج كما جاء في الحديث قال: :[**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ حُدَثاءُ الأَسْنانِ ، سُفَهاءُ الأَحْلامِ ، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ ، فأَيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ ، فإنَّ قَتْلَهُمْ أجْرٌ لِمَن قَتَلَهُمْ يومَ القِيامَةِ**].

والحق لما حدث ريبة عند بعض الناس في قتالهم وتوقفوا لما رآوا لهم من عبادات ومن صلاة وصيام وغير ذلك، لذلك تجد محمد بن الحسين الإمام الآجري قال: فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَى اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْتَرَّ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا بِطُولِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا بِدَوَامِ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قُلْتُهُ أَخْبَارٌ لَا يَدْفَعُهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ لَعَلَّهُ لَا يَخْتَلِفُ فِي الْعِلْمِ بِهَا جَمِيعُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

فبين بأن المرء لا يغتر بمن كانوا على خير في ظاهرهم في العبادة، ولكن الاعتقاد فيه إعوجاج، أو فيه ابتداع، فقال عنهم ابن عباس رضي الله عنهما: "يؤمنون

بمحكمه ويضلون عند متشابه، وقال:{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ } [آل عمران:7]". لذلك هم ضلوا من هذا الباب بنقص من العلم وجهل وأيضًا تصميم على الهوى الذي عندهم وجدال بغير حق، ولذلك ما تجد النبي صلى الله عليه وسلم أباح قتال أو قتل – لأنه جمع بين القتال والقتل كما بيّنا– إلا ما حدث مع هؤلاء، وهذا أمر قد بيناه في الكلام عن اختلاف العلماء في أقوالهم في تكفير الخوارج أو غير تكفيرهم.

وبين النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم [يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ]، ومع ذلك قلنا الراجح في ذلك هو عدم تكفيرهم لأننا نتأسى بالتعامل معهم بما تعامل معهم علي بن أبي طالب رضي الله عن وأرضاه، وهذا أمر مهم جدًا يبين لنا كيف التعامل معهم حتى في ردهم عن هذا الفكر إن واجهتهم أو إن تكلمت معهم لابد أن يكون لك أصل في الرجوع، وهنا لأنهم ظهروا في خلافة علي بن أبي طالب، وسيدنا علي هو الذي تعامل معهم وقد وصفهم الله وصف الله عز وجل أن الذين يقاتلونهم إحدى الطائفتين على الحق، فكان (علي) على الحق. فهنا لابد أن يكون أصلًا عند الرجوع في التعامل مع هؤلاء؛ أن ننظر إلى ما فعله علي بن أبي طالب، وأيضًا من الخلفاء الأربعة الذين أُمرنا باتباع سنتهم أيضًا. فلذلك الصحيح أنك ترجع لسيرة علي بن أبي طالب في التعامل معهم، وتستنبط منهم الأحكام التي لابد أن تقوم بها مع هؤلاء.

نقرأ باقي الآثار التي معنا حتى نذكر بعض المسائل في التعامل معهم وخاصة مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما معهم.

قال المصنف –رحمه الله تعالى–:

حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ

زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ ذُو نِكَايَةٍ لِلْعَدُوِّ وَاجْتِهَادٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« مَا أَعْرِفُ هَذَا » فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَعْتُهُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«مَا أَعْرِفُهُ »، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ الرَّجُلُ، فَقَالُوا :هَذَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ :«مَا كُنْتُ أَعْرِفُ هَذَا، هَذَا أَوَّلُ قَرْنٍ رَأَيْتُهُ فِي أُمَّتِي، إِنَّ بِهِ لَسَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ »قَالَ: فَلَمَّا دَنَا الرَّجُلُ، سَلَّمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ السَّلَامَ قَالَ :فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ حِينَ طَلَعْتَ عَلَيْنَا، أَنْ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنْكَ؟ قَالَ :اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ :فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ:« قُمْ فَاقْتُلْهُ »فَدَخَلَ أبو بكر الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ قَائِمًا يُصَلِّي، فَقَالَ أبو بكر فِي نَفْسِهِ :إِنَّ لِلصَّلَاةِ لَحُرْمَةً وَحَقًّا وَلَوِ اسْتَأْمَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ :فَجَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ :«أَقَتَلْتَهُ؟ »قَالَ: لَا، رَأَيْتُهُ قَائِمًا يُصَلِّي، وَرَأَيْتُ لِلصَّلَاةِ حَقًّا وَحُرْمَةً، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقْتُلَهُ، قَتَلْتُهُ قَالَ «لَسْتَ بِصَاحِبِهِ »ثُمَّ قَالَ :«اذْهَبْ يَا عُمَرُ فَاقْتُلْهُ »قَالَ: فَدَخَلَ عُمَرُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ قَالَ :فَانْتَظَرَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ :فِي نَفْسِهِ: إِنَّ لِلسُّجُودِ لَحَقًّا، وَلَوْ أَنِّي اسْتَأْمَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِ اسْتَأْمَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي قَالَ: فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ :«أَقَتَلْتَهُ؟ »قَالَ: لَا، رَأَيْتُهُ سَاجِدًا، وَرَأَيْتُ لِلسُّجُودِ حَقًّا، وَإِنْ شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْتُلَهُ قَتَلْتُهُ قَالَ :«لَسْتَ بِصَاحِبِهِ »قُمْ يَا عَلِيُّ فَاقْتُلْهُ، أَنْتَ صَاحِبُهُ إِنْ وَجَدْتَهُ " قَالَ: فَدَخَلَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يَجِدْهُ قَالَ :فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«لَوْ قُتِلَ الْيَوْمَ مَا اخْتَلَفَ رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَّالُ »وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ

50 حَدَّثَنَا أبو بكر قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ :حَدَّثَنَا فَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ قَالَ :حَدَّثَنِي هُودُ بْنُ عَطَاءٍ الْحَنَفِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :كَانَ فِينَا شَابٌّ ذُو عِبَادَةٍ وَزُهْدٍ، فَوَصَفْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمَّيْنَاهُ بِاسْمِهِ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ، فَقُلْنَا :يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ ذَا، فَقَالَ :«إِنِّي لَأَرَى عَلَى وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ» فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ، فَرَدُّوا السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَعَلْتَ فِي نَفْسِكَ أَنْ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْكَ؟ "قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ وَلَّى، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ؟ »فَقَالَ أبو بكر: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّي فَقَالَ أبو بكر :وَجَدْتُهُ يُصَلِّي، وَقَدْ نَهَيْتَنَا عَنْ ضَرْبِ الْمُصَلِّينَ، فَقَالَ " مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ؟ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ سَاجِدًا، فَقَالَ :أَقْتُلُ رَجُلًا يُصَلِّي وَقَدْ نَهَانَا عَنْ ضَرْبِ الْمُصَلِّينَ " فَجَاءَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ :«مَهْ يَا عُمَرُ »قَالَ وَجَدْتُهُ سَاجِدًا، وَقَدْ نَهَيْتَنَا عَنْ ضَرْبِ الْمُصَلِّينَ، ثُمَّ قَالَ :«مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ؟ »فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: أَنَا، فَقَالَ :«أَنْتَ تَقْتُلُهُ إِنْ وَجَدْتَهُ»، فَذَهَبَ عَلِيٌّ فَجَاءَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« مَهْ يَا عَلِيُّ »قَالَ: وَجَدْتُهُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَ :«أَمَا إِنَّكَ لَوْ قَتَلْتَهُ لَكَانَ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، وَمَا اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتِي اثْنَانِ»

نضرب صفحًا عن الحديث هذا فيه ضعف، الروايتين فيهم ضعف، ندخل على بَابُ ذِكْرِ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْخَوَارِجِ مِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِهِمْ.

7-بَابُ ذِكْرِ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْخَوَارِجِ مِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِهِمْ

51 -حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي بُكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ، لَمَّا خَرَجُوا وَهُمْ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَجَلْ، كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَ أُنَاسًا، إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ، يَقُولُونَ الْحَقَّ لَا يُجَاوِزُ هَذَا مِنْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ , هُمْ أَبْغَضُ خَلْقِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، فِيهِمْ أَسْوَدُ إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ، أَوْ حَلَمَةُ ثَدْيٍ فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْظُرُوا، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً , ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ، فَأَتَوْا بِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ: أَنَا حَضَرْتُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ

52 -وَحَدَّثَنَا أبو بكر بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، عَنْ بُكَيْرٍ يَعْنِي ابْنَ الْأَشَجِّ , عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُمْ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَ نَاسًا إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ هُمْ أَبْغَضُ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ تَعَالَى، مِنْهُمْ أَسْوَدُ، إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ، أَوْ حَلَمَةُ شَاةٍ قَالَ: فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْظُرُوا

فَنَظَرُوا، فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ :ارْجِعُوا، فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :وَأَنَا حَاضِرٌ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ , وَقَوْلُ عَلِيٍّ فِيهِمْ

53- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاجِيَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: ثنا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، وَهِشَامٌ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُبَيْدَةَ يَعْنِي السَّلْمَانِيَّ قَالَ :شَهِدْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّهَرَ، فَلَمَّا قُتِلَتِ الْخَوَارِجُ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :إِنَّ فِيهِمْ رَجُلًا مُخْدَجَ الْيَدِ أَوْ مُودَنَ الْيَدِ، قَالَ :فَنَظَرُوا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ :انْظُرُوا وَقَلِّبُوا الْقَتْلَى، فَاسْتَخْرَجُوا رَجُلًا آدَمَ مُثَدَّنًا يَدُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا ثَدْيُ الْمَرْأَةِ، فَلَمَّا رَآهُ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَكَرَ اللَّهَ الَّذِي وَلَّاهُ قَتْلَهُمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَهُ بِقِتَالِهِمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ :لَوْلَا أَنْ تَبْطِرُوا لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا سَبَقَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَرَامَةِ لِمَنْ قَاتَلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَالَ عُبَيْدَةُ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشَيْءٌ بَلَغَكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْهُ؟ قَالَ :بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْهُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ

54 -وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْكُوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ النَّحْوِيِّ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِيهِمْ رَجُلٌ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مُثْدَوْنُ الْيَدِ، أَوْ مُخْدَجُ الْيَدِ، وَلَوْلَا أَنْ تَبْطِرُوا لَأَنْبَأْتُكُمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ

يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُبَيْدَةُ :فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ :نَعَمْ، سَمِعْتُهُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، سَمِعْتُهُ إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، سَمِعْتُهُ إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ سَمِعْتُهُ

55- وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا لُوَيْنٌ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكٍ الْعَامِرِيِّ، عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ :لَمَّا كَانَ يَوْمُ قَتْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَوَارِجَ نَظَرْتُ إِلَى وُجُوهِهِمْ وَإِلَى شَمَائِلِهِمْ، فَشَكَكْتُ فِي قِتَالِهِمْ، فَتَنَحَّيْتُ عَنِ الْعَسْكَرِ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي، وَرَكَزْتُ رُمْحِي، وَوَضَعْتُ دِرْعِي تَحْتِي، وَعَلَّقْتُ بُرْنُسِي مُسْتَتِرًا بِهِ مِنَ الشَّمْسِ، وَأَنَا مُعْتَزِلٌ مِنَ الْعَسْكَرِ نَاحِيَةً، إِذْ طَلَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :مَا لِي وَلَهُ؟ أَنَا أَفِرُّ مِنْهُ، وَهُوَ يَجِيءُ إِلَيَّ، فَقَالَ لِي :يَا جُنْدُبُ، مَا لَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ تَنَحَّيْتَ عَنِ الْعَسْكَرِ؟ فَقُلْتُ :يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَصَابَنِي وَعَكٌ، فَشَقَّ عَلَيَّ الْغُبَارُ، فَلَمْ أَسْتَطِعِ الْوُقُوفَ قَالَ :فَقَالَ: أَمَا بَلَغَكَ مَا لِلْعَبْدِ فِي غُبَارِ الْعَسْكَرِ مِنَ الْأَجْرِ؟ ثُمَّ ثَنَّى رَحْلَهُ، فَنَزَلَ، فَأَخَذْتُ بِرَأْسِ دَابَّتِهِ، وَقَعَدَ فَقَعَدْتُ، فَأَخَذْتُ الْبُرْنُسَ بِيَدِي فَسَتَرْتُهُ مِنَ الشَّمْسِ، فَقَالَ :فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ إِذْ جَاءَ فَارِسٌ يَرْكُضُ، فَقَالَ :يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَطَعُوا الْجِسْرَ ذَاهِبِينَ، قَالَ :فَالْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ :إِنَّ مَصَارِعَهُمْ دُونَ النَّهَرِ، قَالَ :وَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَخْبَرَهُ عِنْدَهُ وَاقِفٌ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ :يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَاللَّهِ عَبَرُوا، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ :وَيْحَكَ، إِنَّ مَصَارِعَهُمْ دُونَ النَّهَرِ، قَالَ : فَجَاءَ فَارِسٌ آخَرُ يَرْكُضُ، فَقَالَ :يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِي بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَجَعُوا، ثُمَّ جَاءَ النَّاسُ، فَقَالُوا :قَدْ رَجَعُوا، حَتَّى إِنَّهُمْ

لَيَتَسَاقَطُونَ فِي الْمَاءِ زِحَامًا عَلَى الْعُبُورِ قَالَ :ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا جَاءَ، فَقَالَ :يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ صَفُّوا الصُّفُوفَ، وَرَمُوا فِينَا، وَقَدْ جَرَحُوا فُلَانًا، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :هَذَا حِينَ طَابَ الْقِتَالُ قَالَ: فَوَثَبَ فَقَعَدَ عَلَى بَغْلَتِهِ، فَقُمْتُ إِلَى سِلَاحِي فَلَبِسْتُهُ، ثُمَّ شَدَدْتُهُ عَلَيَّ، ثُمَّ قَعَدْتُ عَلَى فَرَسِي، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَلَا وَاللَّهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَرِيكٍ، مَا صَلَّيْتُ الْعَصْرَ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لُوَيْنٌ :أَوْ قَالَ: الظُّهْرَ حَتَّى قَتَلْتُ بِيَدِي سَبْعِينَ

56- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ قَالَ :سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، عَنْ أَصْحَابِ النَّهَرِ،؟ فَقَالَ :حَدَّثَنِي مَسْرُوقٌ، قَالَ سَأَلَتْنِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ:« هَلْ أَبْصَرْتَ أَنْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَذْكُرُونَ ذَا الثُّدَيَّةِ؟ »قَالَ: قُلْتُ لَمْ أَرَهُ، وَلَكِنْ قَدْ شَهِدَ عِنْدِي مَنْ قَدْ رَآهُ، قَالَتْ« فَإِذَا قَدِمْتَ الْأَرْضَ فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِشَهَادَةِ نَفَرٍ قَدْ رَأَوْهُ أَمْنَاءَ »فَجِئْتُ وَالنَّاسُ أَشْيَاعٌ قَالَ: فَكَلَّمْتُ مِنْ كُلِّ سَبْعَ عَشْرَةَ مِمَّنْ قَدْ رَآهُ قَالَ: فَقُلْتُ: كُلُّ هَؤُلَاءِ عَدْلٌ رِضًى، فَقَالَتْ :«قَاتَلَ اللَّهُ فُلَانًا، فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَصَابَهُ بِمِصْرَ » قَالَ إِسْمَاعِيلُ :قَالَ يَزِيدُ: وَحَدَّثَنِي مَنْ، سَمِعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :«إِنَّهُمْ شِرَارُ أُمَّتِي يَقْتُلُهُمْ خِيَارُ أُمَّتِي » قَالَتْ: وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَضِيَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَنَفَعَنَا بِحُبِّهِمَا، وَحُبِّ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

حسب هذه الآثار والأحاديث التي قرئت اليوم تبين تحقيق نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم التي حدثت مع سيدنا علي كما قلنا في قتاله للخوارج، ولابد أن نبين ما حدث بين سيدنا علي وبين الخوارج الذي استدعى بعد ذلك أن يقاتلهم، وهذه منقبة لسيدنا علي أنه قد قاتلهم كما أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الطائفة التي ستقاتلهم وتقتل منهم.

ولكن الحق لابد أن ننظر للمسألة نظرة أخرى؛ بأن هناك فكر موجود وهو فكر فيه ما فيه من الضلال، وأن هذا الفكر لابد أن يُعالج، وكيف أن نعالج هذا الفكر هذا أمر مهم. وحدث كما قلنا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده، وتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم قال أنه سيظل هذا الفكر موجود إلى خروج الدجال.

لكن الذي يعنينا الآن أن نتكلم عن مسألة كيف تعامل سيدنا علي، حتى نستوحي من ذلك كيف يتعامل أهل العلم مع هذا الفكر في كل زمان، وهذا الذي نحتاج أن نبينه، لأن هذا الفكر إن لم يُتعامل معه بتعامل رشيد سيؤدي إلى مفاسد وطامات أكبر ومصائب أكبر.

فسيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه لم يبدأهم أولًا بالقتال، بل حتى عندما اجتمعوا ورفعوا المصاحف أخذ مصحف ومسكه وأراد أن يضرب دفتيه وقال: "انطق احكم بيننا". وكأنه يريد أن يبين لهم أمرًا؛ بأنكم تدعون أن الحكم لابد أن يكون لله، ورفعوا المصاحف لذلك، وهو كما قال: "كلمة حق أريد بها باطل". فلما مسك المصحف يضرب بدفتيه قال تكلم فقالوا: "يا أبا الحسن ما هو إلا ورق ومداد"، قال: "إذا كان إلا ورق ومداد فلابد أن يكون الحكم للرجال فمن الذي سيحكم غير ذلك ".

فهنا سيدنا علي أولًا لم يبدأهم بقتال، بل أراد أن يرد على هذا الفكر بأن يرفع عنهم الجهل الذي هم فيه، المتشابه الذي وقعوا فيه، فجاء ابن عباس وقال لسيدنا علي: "أبرد بالظهر حتى آتيهم وأتكلم معهم" فقال: إني أخشى عليك" قال لا اتركني سأذهب لأتكلم معهم. لأنهم قد تجمهروا أو جلسوا في مكان حوالي ستة آلاف منهم.

فلبس ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه حلة يمنية وجديدة وذات هيئة ومظهر، ثم ذهب إليهم، فعندما دخل عليهم، وهذا طبعًا هو يقصد أمرًا ما بلبس هذه الحلة اليمنية التي لبسها وفيها من الأناقة وفيها من المظهر الجميل. فذهب لهم إلى مكان وهو "حروراء"، فأتى القوم وهم قائمون، فسلم عليهم فقالوا: **مرحبًا بك يا أبا عَبَّاسٍ، فما هذه الحُلَّةُ؟** وهنا ابن عباس آتاه الله عز وجل فقهًا وعلمًا وغير ذلك، هو يريد أن يبين لهم أصلًا مغذى لبس هذه الحلة؛ أن الزهد ليس فيما أنتم تقولوه، الزهد لا ينافي أنك تلبس لباسًا جميلًا وثيابًا حسنة، الزهد ليس كما تدعون بأنكم تترفعون عن الدنيا، فلذلك الغني قد يكون زاهدًا كالفقير، لأن **الزهد له تعريفات عند أهل العلم**، وهو: "ترك ما لا ينفع في الآخرة" ففي أعمال ممكن تتركها لا تنفعك في الآخرة، هذا هو معنى الزهد على التحقيق، كما أن **الورع**: "ترك ما يضر في الآخرة" فأنت في الورع تترك ما قد يضرك في الآخرة فلا تفعله تورعًا، هذا فيه ضرر، لكن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة؛ أعمال مباحات كثيرة قد لا تفيدك في الآخرة بشيء، فأنت تتركها وتتشغل بما ينفعك.

فأراد أن يبين لهم، لذلك قال لهم: **لقد رأيتُ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أحسَنَ ما يكونُ من الحُلَلِ**، كأنهم ينكرون عليه أنت تأتي في حلة يمنية ونحن في القتال! فأراد أن يقول لهم رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل، ونَزَلَت. ثم تلا عليهم قول الله عز وجل: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } [الأعراف: 32]. يريد أن يبين لهم أن هذه زينة الله عز وجل وطيبات، لماذا تحرمونها؟ ليس هذا زهدًا، هذا تنطع أنكم تقولون ذلك.

قالوا: فما جاء بك؟ أي ما الذي جاء بك. قال: **أتيتُكم من عِندِ صحابةِ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، من عند المهاجِرين والأنصارِ لأُبَلِّغَكم ما يقولون** وفي بعضهم: **جئت من عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره لأبلغكم ما يقولون وتخبروني بما تقولون عنهم.** وهو طبعًا هنا يلقمهم، هم كانوا ليس فيهم صحابة ، وهو يريد أن يقول

لهم أنا جئتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم؛ من المهاجرين، من عند الأنصار الذين فقهوا كلام الله عز وجل، وفقهوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا معه، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره، أفاضل الناس، فجئتكم لتقولوا لي ما عندكم وأقول لكم ما عندهم. ويريد أن يقول لهم ذلك. وقال لهم: فعليهم نَزَلَ القرآنُ وهم أعلَمُ بالوحي منكم، وفيهم أُنزِلَ، وليس فيكم منهم أَحَدٌ أي لا يوجد أحد منكم من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فهنا الفارق يبين لهم ذلك.

فقال بعضهم لابن عباس: لا تخاصِموا قُرَيش، لأن كان معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: 58] أي عندهم الحجة والبلاغة. فقالوا "لا تخاصموا قريش" وابن عباس من قريش، أي من عندهم، فأرادوا ألا يخاصموا قريش.

قال ابن عباس – بينظر عليهم انظر الصياغة في الحوار–: أتيتُ قومًا لم أجد قَومًا أشَدَّ اجتهادًا في العبادة منهم، مُسْهَمَةٌ وُجوهُهم من السَّهرِ، كأنَّ أيديَهم ورُكَبَهم ثَفِنٌ ليهم قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ. قال بعضهم: لنُكَلِّمَنَّه ولنَنظُرَنَّ ما يقولُ. وأيضًا بعد أن بين فضل ما عند الصحابة أراد أن يثني عليهم؛ أي أهل عبادة وأهل سهر وتعب، فيريد أن يثني عليهم.

فقال لهم: ما عندكم؟ أي هاتوا ما عندهم، قال: أخبروني ماذا نَقَمتُم على ابنِ عَمِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وصِهْرِه والمهاجرين والأنصارِ؟ قالوا: ثلاثًا إذًا عندهم ثلاث شبهات سيلقونها على ابن عباس. قال: ما هُنَّ؟ قالوا: أمَّا إحداهُنَّ فإنَّه حَكَّم الرِّجالَ في أمرِ اللهِ، قال اللهُ عزَّ وجَلَّ {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام:57]، وما للرِّجالِ وما للحُكمِ؟ فقلتُ: هذه واحِدةٌ. قالوا: وأمَّا الأُخرى فإنَّه قاتَلَ ولم يَسْبِ ولم يَغنَمْ، فلئِنْ كان الذين قاتَلَ كُفَّارًا لقد حَلَّ سَبْيُهم وغَنيمتُهم، وإن كانوا مُؤمِنين ما حَلَّ قِتالُهم يتكلم عن من؟

يتكلم عن الجمل وصفين، سيتضح من الرد الآن، أنه قاتل وما سبى، وما أخذ الأموال. فهو يريدون أن يُشكلوا عليه. قُلتُ: هذه ثنتانِ فما الثَّالثةُ؟ قالوا: إنَّه محا اسمَه من أميرِ المُؤمِنينَ فهو أميرُ الكافِرينَ. قلتُ: أعندَكم سوى هذا؟ قالوا: حَسبُنا هذا. لما جاء يكتب الإتفاق مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فكتب أولًا أمير المؤمنين، فأراد إلا ينزل، قال لا لم نبايعك لست أميرًا للمؤمنين، لم يبايعه وقتها، فشطب أمير المؤمنين، فهم يريدون أن يقولوا: إما مؤمن وإما كافر؛ إن كان ليس أميرًا للمؤمنين فهو أميرًا للكافرين. إذًا هذه الشبهة الأولى؛ أنه حكَّم الرجال فيما حدث بينه وبين معاوية، والحكم لله، والشبهة الثانية لما قاتل السيدة عائشة رضي عنها وأرضاها لما كانت مع معاوية في الجمل وصفين ولم يغنم من الغنائم شيء ولم يسب النساء، والثالثة لما قالوا له شطب قول أمير المؤمنين. كل هذه شبه كانت عندهم.

فقال لهم ابن عباس أعندَكم سوى هذا؟ قالوا: حَسبُنا هذا. فقُلتُ لهم: أرأيتُم إن قرأتُ عليكم من كتابِ اللهِ ومن سُنَّةِ نبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما يَرُدُّ به قولَكم أترْضَون؟ قالوا: نعم، فقُلتُ لهم: أمَّا قولُكم: حَكَّم الرِّجالَ في أمرِ اللهِ، فأنا أقرأُ عليكم ما قد رُدَّ حُكمُه إلى الرِّجالِ في ثَمَنِ رُبُعِ دِرهَمٍ في أرنَبٍ ونحوِها من الصَّيدِ، فقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} إلى قَولِه :{يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة:95] فنَشَدْتُكم باللهِ أحُكمُ الرِّجالِ في أرنبٍ ونحوِها من الصَّيدِ أفضَلُ أم حُكمُهم في دمائِهم وإصلاحِ ذاتِ بَينِهم، وأن تَعلَموا أنَّ اللهَ لو شاء لحَكَم ولم يُصَيِّرْ ذلك إلى الرِّجالِ، وفي المرأةِ وزوجِها قال اللهُ عزَّ وجلَّ {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} [النساء: 35] فجَعَل اللهُ حُكمَ الرِّجالِ سُنَّةً ماضيةً، أخرَجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. أظن الكلام واضح حتى ما نشرح فيه أكثر من ذلك.

قال: وأمَّا قولُكم: قاتَلَ فلم يَسْبِ ولم يَغنَمْ، أتَسبُون أمَّكم عائشة، ثُمَّ تستَحِلُّون منها ما يُستَحَلُّ من غيرِها، فلئِن فعَلْتُم لقد كفَرْتُم وهي أمُّكم، ولئِن قُلتُم ليسَت بأُمِّنا لقد كفَرْتُم؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ:{ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}

[الأحزاب: 6] فأنتم تدورون بَينَ ضلالتَينِ أيُّهما صِرتُم إليها صِرتُم إلى ضلالةٍ، فنظَرَ بعضُهم إلى بعضٍ، قلتُ: أخرَجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. وهذه طبعًا واضحة في الخروج لكن أيضًا الله عز وجل قال:{ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى } [الحجرات:9]، وهذا قتال البغاة، وليس معنى القتال أنك تسبي، وهذا أيضًا بينه الله عز وجل في الآيات؛ {مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} فكيف ستسبي المؤمنين وكيف تقتل الجرحى وتسبي مؤمنة وتكون جاريه عندك؟ كيف يكون هذا؟! فلا يستدعي القتال السبي ولا أخذ الأموال ولا النزول على الجريح. المهم أن هذه الثانية.

قال: وأمَّا قولُكم: محا نفسَه من أميرِ المُؤمِنينَ، فأنا آتيكم بمن تَرْضَون، أُرَيكُم قد سَمِعتُم أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ الحُدَيبيَةِ كاتَبَ المُشرِكين سُهَيلَ بنَ عَمرٍو وأبا سُفيانَ بنَ حَربٍ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأميرِ المُؤمِنين :اكتُبْ يا عليُّ، هذا ما اصطَلَح عليه محمَّدٌ رَسولُ اللهِ. فقال المُشرِكون: لا واللهِ، ما نعلَمُ أنَّك رسولُ اللهِ، لو نعلَمُ أنَّك رسولُ اللهِ ما قاتَلْناك. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :اللَّهُمَّ إنَّك تعلَمُ أنِّي رَسولُك، اكتُبْ يا عليُّ، هذا ما اصطلح عليه محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ. وهذه طبعًا قصة؛ أن (علي) رفض ثم قال له أرني إياها، فمحوها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وكان لا يقرأ ولا يكتب. فقال ابن عباس: فواللهِ لرَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خيرٌ من عليٍّ، وما أخرجه من النُّبُوَّةِ حينَ محا نفسَه. لما محا النبي صلى الله عليه وسلم أن هو ليس بنبي الله، هل حد أخرجه من النبوة؟ قال عبد الله بن عباس: فرجع من القومِ ألفانِ، وقُتِل سائِرُهم على ضلالةٍ .

فهذه نحن لماذا بننقل هذه المناظرة؟ لنبين أن هذا الأصل الذي لابد أن يتم، أيضًا ابن عباس لما ذهب يحاجهم لابد فيها من فوائد سنبينها نهاية الباب، بأنهم بدأهم بالكلام.. أين الشبه؟ ورد على الشبه. وهذا الذي لابد أن يكون مع أي طائفة حتى لو مبتدعة خاصة هؤلاء، لابد أن ترد عليهم بالشبه التي عندهم، تناقشهم، تبين لهم

الحق، لا أنك تبدأ بقتال أو تبدأ باستحلال للدماء لهم، ولا بالأموال، ولا غير ذلك! هذا هو ما فعل سيدنا علي رضي الله عنه بإرساله ابن عباس في ذلك. وهذا الذي لابد أن يُتأسى به.

لذلك نقول أولًا لابد أن نسير على نهج القرآن والسنة، لأن الأصل بأن الله عز وجل لما أرسل الأنبياء أرسلهم رحمة للناس، بشيرًا ونذيرا، يبشر أولًا ثم ينذر بعد ذلك، فهذا الذي لابد أن يكون موجود في التعامل مع هذه الطوائف عمومًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنَّما يرحمُ اللهُ من عبادِهِ الرُّحماءَ]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانَه ، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه].فالأصل في ذلك أنك تلقي عليهم الحجة وتتكلم معهم، وقال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم:{ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ} [آل عمران:159]، إذًا هذا الأصل، وأيضًا قال تعالى: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ} [النحل:125] ، فلابد من الدرجات في هذه المسألة.

ومنها أيضًا أنك لابد الذي يرسَل ويناقِش من أهل العلم المتقنين، انظر من الذي ذهب إليهم؟ ابن عباس ترجمان القرآن، كان فقيهًا في وقتها وأرسله علي بن أبي طالب ليتكلم معهم ويناظرهم. فأنت أيضًا لابد أن الذي يتكلم معهم ويناظرهم يكون من أهل العلم الذي يعلم كيف يناقش، وإلا ستحدث المفسدة أكثر من ذلك.

ولا بد كما قلنا أن نستخدم الطريقة النبوية؛ الترغيب والترهيب في ذلك، قد يستجيب لك بالترغيب وقد لا يستجيب لك إلا بالترهيب، لكن هذه الدرجات مهمة جدًا أن يقوم بها من يناظر أو يتعامل مع هذه الفرقة ومع غيرها من الفرق.

الأحاديث التي قرأناها يظهر لنا فيها فوائد:

1- الاهتمام بالعبادات الظاهرة هو شيء مطلوب، لكنه ليس هو أصل النجاة؛

ليس أصل النجاة الاعتبار بالعبادات الظاهرة أو الاهتمام بالعبادات الظاهرة فقط، لابد مع الظاهر أن يكون هناك باطنًا، وإلا فانظر إلى هؤلاء.. كانوا من أهل العبادة

الظاهرة؛ قراءة قرآن، وسهر في الليل وقيام، وغير ذلك، وقال النبي عنهم: [يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، وأعمالَكُمْ مع أعمالِهِمْ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تراقيهم].

إذًا العبادة الظاهرة لا تغتر بها، نعم نقول هذا ليس لنا إلا الظاهر، لكن من أراد أن يصل إلى النجاة فلابد أن يوافق الباطن الظاهر. وهذه ظاهرة معنا الآن، فلا تغتر بمن كان عنده، بل ليس في الخوارج فقط، فأصحاب البدع يظهرون بأنهم يفعلون بدع؛ يخصصون أيام للصلاة وللقيام، أيام للأذكار، طريقة وكيفية معينة، فظاهره أنه عابد لله عز وجل، لكنه مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم. والمنافقين كذلك؛ ظاهرهم يصلون مع الناس لكن باطنهم في ما فيه من الكبر.

إذًا لابد مع الاهتمام بالعبادات الظاهرة أن يهتم المرء بالقلب والعبادات القلبية واتباع السنة كما جاءت، وليس كما يهوى النفس، وهذا أمر عزيز الآن، المسائل التي نحن فيها الآن البعض يقبل ما يأتي به على هوى نفسه، والبعض يرده للهوى، تقول له الآن أنت تناقش، ناقشني بمسائل، باستدلالات، بأدلة، ما تجد عنده! إذًا لماذا ترد الكلام وأنت ليس عندك أدلة؟! إذًا هوى نفس. أنا لما أقول لك مسألة ونأتي بأدلة ونتكلم فيها ثم تناقش فنقول لك الآن أدلتك على خلاف ما عندي، فلماذا اعتقدت وأنت ليس عندك أدلة؟! إذًا أنت تعتقد بهوى، وهذا ما يصح في الشرع. والمصيبة أن تكون من طلبة وطالبات العلم، وهذا يكون المصيبة فيها أعظم.

2-المبتدع مع حُسن عبادته لا تشفع له العبادة؛

أي لم تشفع لهؤلاء عبادتهم لأنهم أهل بدعة، وكذلك المبتدع في أمور أخرى، النبي صلى الله عليه وسلم على الحوض يأتي أناس فيصدون عنه، يحجبون عنه، فتقول له الملائكة: [لا تدري ما أحدثوا بعدك].فيقول: [سُحقًا سُحقًا]، يتركهم لأنهم أصحاب بدعة. إذًا المبتدع مع حسن العبادة لكن لن تنفعه هذه العبادة لأنه خالف فيها هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

3-الرجوع لابد أن يكون لأهل العلم؛

لابد في المسائل هذه أن تكون لأهل العلم وأهل العلم الثقات المعتبرين، ليست المسألة لأنصاف أهل العلم خاصة في هذه المسائل، وليست المسألة أنك تقرأ كلامًا فتعتقده بدون أن تعرضه -إن كنت لا تدرس- على أهل العلم وتسألهم. قد تقرأ أدلة وهناك أدلة تخالف، أو تقرأ أدلة وتجد أن الأدلة ضعيفة في هذه المسألة. لذلك لابد أنك ترجع في هذه المسائل في اعتقاداتك إلى أهل العلم المعتبرين، وتسأل وتتعلم أولًا قبل أن تعتقد، وإلا المسألة ليست حمية ولا عاطفة، وإلا ما أوصل هؤلاء إلى ما حدث منهم إلا إتباع الهوى الجهل منهم - كما بينا في الدروس السابقة- وعدم اتباعهم للعلم.

ابن عباس رضي الله عنه لما ذهب إليهم وتكلم معهم رجع الثلث، وفي رواية الثلثين، لكن الذي أذكره الآن أن ألفين رجعوا وتبقى أربعة آلاف، كانوا ستة آلاف تقريبًا. فهنا لابد من الرجوع لأهل العلم تسأل عن ذلك.

4-فيه منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه؛

وهذا الذي سيأتي في الباب الذي نختم به الكلام، لأنه هو الذي قاتل هؤلاء، وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من قاتل هؤلاء؛ سواء قتلهم أو قتلوه، فلو قتلهم فله الأجر في ذلك لأنه رد شوكة المبتدعة، ولو قتلوه فهو من أفضل الشهداء عند الله عز وجل.

وقد أحسن المؤلف - جزاه الله خيرًا- في آخر الكتاب لما ذكر حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها **إِنَّهُمْ شِرَارُ أُمَّتِي يَقْتُلُهُمْ خِيَارُ أُمَّتِي** ، ثم بينت على أن بعض من كان يتكلم فيما بين عائشة رضي الله عنها وأرضاها وعلي رضي الله عنه، خاصة من أول موقعه الجمل، ثم أرادت أن تقول: **وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ** - أنا أعتقد أن يقصد هنا يوجد تصحيح أنها تقصد بينها وبين علي- **إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا** لأنها لما سئلت عن علي بن أبي طالب أثنت عليه كثيرًا، وأرادت أن تبين ما كان بينها وبينه إلا ما كان بين المرأة وأحمائها، لأنه لما حدث حادثة الإفك وجاء

النبي صلى الله عليه وسلم لعلي يستشيره، فالنبي صلى الله عليه وسلم رأى أنه منشغل والأمر عظيم، نبوة، فأشار عليه أن النساء كثر، فقط، ما قال إلا ذلك "النساء كثر"، لأنه أشفق على النبي صلى الله عليه وسلم أنه يهتم بهذا الأمر والأمة تحتاج إليه، وكأن هذا فيه كما قالت عائشة **وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَائِهَا** لكنها أثنت على أن من قتلهم هو **خِيَارُ أُمَّتِي**، ونسبت ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

لذلك الإمام الآجري ترضى عن علي أبي طالب وترضي عن عائشة أم المؤمنين وقال أن هذا حب الصحابة يبين لك بأن حب الصحابة دين نتدين به إلى الله عز وجل، ونتقرب به إلى الله عز وجل، بل من السنة أن نحب الصحابة. وكان من بديع التصنيف أنه ذكر ذلك في آخر الكلام.

8-بَابُ ذِكْرِ ثَوَابِ مَنْ قَاتَلَ الْخَوَارِجَ فَقَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ

57- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ أَبُو عِمْرَانَ قَالَ :حَدَّثَنَا أبو بكر بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أبو بكر بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنْ قَتَلَهُمْ أُجِرَ عِنْدَ اللَّهِ»

58 -أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَنَدِيُّ، بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ اللَّحْجِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قُرَّةَ مُوسَى بْنُ طَارِقٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَزْهَرَ بْنَ صَالِحٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو غَالِبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خَرَجَتْ خَارِجَةٌ بِالشَّامِ فَقُتِلُوا، وَأُلْقُوا فِي جُبٍّ، أَوْ بِئْرٍ قَالَ : فَأَقْبَلَ أَبُو أمامة وَأَنَا مَعَهُ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ :سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا فَعَلَ الشَّيْطَانُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ؟ كِلَابُ النَّارِ، كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثًا، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مَنْ قَتَلُوهُ قَالَ :قُلْتُ يَا أَبَا أمامة، أَشَيْءٌ تَقُولُهُ بِرَأْيِكَ، أَمْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ :إِنِّي إِذَنْ لَجَرِيءٌ، إِنِّي إِذَنْ لَجَرِيءٌ، ثَلَاثًا، بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَا مَرَّتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، حَتَّى عَدَّ عَشْرًا، سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ يَقُولُ : «سَيَأْتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، أَوْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَعُودُونَ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ أَوْ قَتَلَهُمْ»

59 -وَحَدَّثَنَا أبو بكر بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ :حَدَّثَنَا عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنَا عِصْمَةُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ , عَنْ أَبِي غَالِبٍ قَالَ :كُنْتُ بِالشَّامِ، وَبِهَا صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ أَبُو أمامة، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا قَالَ : فَجِيءَ بِرُءُوسِ الْحَرُورِيَّةِ، فَأَلْقَيْتُ بِالدَّرَجِ، فَجَاءَ أَبُو أمامة فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ الرُّءُوسِ قَالَ :فَقُلْتُ: لَأَتَّبِعَنَّهُ حَتَّى أَسْمَعَ مَا يَقُولُ، قَالَ :فَتَبِعْتُهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ:« سُبْحَانَ اللَّهِ مَا صَنَعَ إِبْلِيسُ بِأَهْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ »قَالَ ثُمَّ قَالَ :«كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، كِلَابُ النَّارِ، كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثًا »، ثُمَّ قَالَ :«شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ »قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧]

60- وَحَدَّثَنَا أبو بكر بْنُ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحُدَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو غَالِبٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءُوا بِسَبْعِينَ رَأْسًا مِنْ رُءُوسِ الْخَوَارِجِ، فَنُصِبَتْ عَلَى دَرَجِ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ أَبُو أمامة فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ " :كِلَابُ جَهَنَّمَ، شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، وَمَنْ قُتِلُوا خَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، وَبَكَى فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ :يَا أَبَا غَالِبٍ، إِنَّكَ بِبَلَدٍ هَؤُلَاءِ بِهِ كَثِيرٌ قَالَ :قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَعَاذَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ :تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ :نَعَمْ قَالَ :{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] إِلَى قَوْلِهِ{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران: ٧] قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا أمامة: إِنِّي رَأَيْتُ تَغَرْغَرَتْ لَهُمْ عَيْنَاكَ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ قَالَ :فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا أمامة، أَمِنْ رَأْيِكَ تَقُولُهُ، أَمْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ :إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ، سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثٍ وَلَا أَرْبَعٍ وَلَا خَمْسٍ وَلَا سِتٍّ وَلَا سَبْعٍ

61 -حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْبَلْخِيُّ قَالَ :حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى :عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :«الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ »قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَدْ ذَكَرْتُ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْخَوَارِجِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ لِمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنْ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ، وَلَمْ يَرَ رَأْيَهُمْ، وَصَبَرَ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، وَحَيْفِ الْأُمَرَاءِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى كَشْفَ الظُّلْمِ عَنْهُ، وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَا لِلْوُلَاةِ

بِالصَّلَاحِ، وَحَجَّ مَعَهُمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ كُلَّ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ وَصَلَّى مَعَهُمُ الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَيْنِ, فَإِنْ أَمَرُوهُ بِطَاعَةٍ فَأَمْكَنَهُ أَطَاعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْهُ اعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ أَمَرُوهُ بِمَعْصِيَةٍ لَمْ يُطِعْهُمْ، وَإِذَا دَارَتِ الْفِتَنُ بَيْنَهُمْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَكَفَّ لِسَانَهُ وَيَدَهُ، وَلَمْ يَهْوَ مَا هُمْ فِيهِ، وَلَمْ يُعِنْ عَلَى فِتْنَةٍ، فَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ كَانَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

هذه الأحاديث الذي ختم بها الشيخ الباب بيّن فيها فضل من قاتلهم وقتلهم، وغالب الأحاديث قائمة على أبي أمامة، وقد بيّنابأن أبا أمامة كان له قول في الخوارج، قلنا نُقل عنه أنه كان يرى كفر الخوارج، وهذا أصحاب القول الأول، وإن كان هو فقط ما نُقل عنه ذلك من الصحابة، وبينا أن هذا خلافًا لجميع الصحابة، وقد يكون النقل ليس بصحيح، لكن هذا الذي نُقل بأن أبا أمامة يرى ذلك، وكل الروايات التي ذكرت هنا بيّن فيها المصنف فضل أو ثواب من قاتل الخوارج فقتلهم أو قتلوه.

ثم ذكر هنا أيضًا بأن ما دعاهم إلى ذلك الوقوع في المشتبهات الذين لا يعلمونه كما فصلنا من قبل.

وختم الإمام الآجري الباب بكلام بديع تأصيل لما سيأتي في الباب الذي معنا الذي سيأتيه الآن، لكنه يبين تأصيل أهل السنة والجماعة في التعامل مع الأئمة، لأن الباب الذي سنبدأه إن شاء الله هو باب كما سيأتي من التبويب: بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا, وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ. وهنا الإمام الآجري- انظر إلى الكلمات التي قالها لخص فيها- قال: قَدْ ذَكَرْتُ مِنَ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْخَوَارِجِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ لِمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنْ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ، وَلَمْ يَرَ رَأْيَهُمْ .

وهذا يفسر أن لماذا بعض أهل العلم لمن يقول بقول الخوارج ينسبونه للخوارج وإن لم يكن يقول بكل معتقدات الخوارج. وطبعًا هو أعظم شيء عند الخوارج مع الكبائر لكن أصلًا يوجد بعض الخوارج كالنجدات مثلًا لا يرون بكفر فاعل الكبيرة- بعض الخوارج أقول بعض – لكن طبعًا فيما اشتهر عنهم الخروج على ولاة الأمور وتكفير طبعًا ولي الأمر وتكفير عموم المسلمين، واستحلال الدماء والأموال في ذلك. لذلك قال: **وَلَمْ يَرَ رَأْيَهُمْ** أي من يرى برأيهم في ذلك فهذا مذموم حتى وإن لم يعتقد كل اعتقادهم، لكن ممكن تقول رأى برأي الخوارج كما بينا من قبل في مسألة أنه ممكن يرى ذلك.

قال: **وَصَبَرَ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، وَحَيْفِ الْأُمَرَاءِ** ، انظر هو يبين المسألة الأخرى؛ بأنه لابد من الصبر على جور الأئمة **وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ** كل هذا من اعتقادات الخوارج قد بينها، **وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى كَشْفَ الظُّلْمِ عَنْهُ، وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَعَا لِلْوُلَاةِ بِالصَّلَاحِ** وهذا أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة أن يدعو للوالي بالصلاح، وهذا سيأتي، هذه سنة، ونحن هنا نبين السنن التي جاءت عند أهل السنن الجماعة في هذا الباب كما قال المؤلف الآن، أي هذا ليس من كيسنا ولا من عند أنفسنا، هذا من الإمام الآجري الذي ولد 300هـ ومات 360هـ أي بعد القرون الثلاثة الخيرية، في القرن الرابع، وهو الذي ينقل هذا الكلام، قريب عهد بالقرون الخيرية وينقل لنا ما قد تعلمه من العلماء في القرون الخيرية، وسينقل أيضًا أمور أخرى ستأتي معنا عن الأئمة في هذه الازمنة والتي قبلها.

فقال أيضًا: **وَدَعَا لِلْوُلَاةِ بِالصَّلَاحِ، وَحَجَّ مَعَهُمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ كُلَّ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ وَصَلَّى مَعَهُمُ الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَيْنِ , فَإِنْ أَمَرُوهُ بِطَاعَةٍ فَأَمْكَنَهُ أَطَاعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْهُ اعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ أَمَرُوهُ بِمَعْصِيَةٍ لَمْ يُطِعْهُمْ، وَإِذَا دَارَتِ الْفِتَنُ بَيْنَهُمْ لَزِمَ**

بَيْتِهِ حتى لا يتعرض إن كان لا يستطيع فيلزم بيته كما فعل بعض الصحابة أيضًا عند الفتن التي قد تحدث بين المسلمين. فهذه تتمة لهذا الباب.

سؤال من أحد الطلبة عن أبي أمامة:

- **رد فضيلة الشيخ:** لما قال إني رأيت تغرغرت لهم عيناك، قال أبو أمامة: "رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام". لذلك عمر رضي الله عنه وأرضاه لما مر على الراهب ورآه بلبسه وعليه شحوب في الوجه بكى، فقال يا أمير المؤمنين إنه نصراني أو راهب، قال نعم تذكرت قول الله عز وجل:{ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ، تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية:3-4]، فرحمته في فعله مع أنه من أهل النار. فهذا لا إشكال، عمر رضي الله عنه رق لهذا الرجل ورآه كافرًا. نحن لا نقوي قول ذلك نحن قلنا الراجح بأن الخوارج ليسوا بكفار، وبعضهم أيضًا قال أن هذا الكلام عن أبي أمامة قد لا يثبت ثبوتًا قويًا، وهذا محله تتبع في الأسانيد ليس هنا.

9-بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا , وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ

62-أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ، صَاحِبُ الطَّعَامِ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَالَ: وَأَتَاهُ رَهْطٌ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا بُيُوتَهُمْ وَيُغْلِقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهُمْ، ثُمَّ قَالَ " :وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا مِنْ قِبَلِ سُلْطَانِهِمْ صَبَرُوا مَا لَبِثُوا أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَفْزَعُونَ إِلَى السَّيْفِ فَيُوكَلُوا إِلَيْهِ، وَوَاللَّهِ مَا جَاءُوا بِيَوْمِ خَيْرٍ قَطُّ، ثُمَّ تَلَا :{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا

يَعْرِشُونَ}

63- أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: نا الْحَسَنُ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»

64- وَحَدَّثَنَا أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ ضَبَّةَ بْنِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»

65 -حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»

66 -وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ قَالَ« :بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»

67- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، يَعْنِي الثَّقَفِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَكْرَهِ وَالْمَنْشَطِ» فَذَكَرَ مِثْلَهُ

68- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا فَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ لُقْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «اسْمَعُوا لَهُمْ وَأَطِيعُوا فِي عُسْرِكُمْ وَيُسْرِكُمْ وَمَنْشَطِكُمْ وَمَكْرَهِكُمْ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكُمْ، وَلَا تُنَازِعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَانَ لَكُمْ»

69- وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ، فَسَأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَمَنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ الثَّانِيَةَ أَوِ الثَّالِثَةَ، فَجَبَذَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»

70- حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: "لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي، فَأَطِعِ الْإِمَامَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى أَمْرٍ مَنْقَصَةٍ فِي دُنْيَاكَ فَقُلْ: سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي"

71- بُنُ مُحَمَّدٍ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " :لَا أَدْرِي لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَأَطِعِ الْإِمَامَ، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى أَمْرٍ يَنْقُصُكَ فِي دُنْيَاكَ فَقُلْ :سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي " قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِيشِ الَّذِي يَحْتَمِلُ عِنْدَكَ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا قَالَهُ؟ قِيلَ لَهُ :يَحْتَمِلُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ نَقُولَ: مَنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ مِنْ عَرَبِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ أَسْوَدَ أَوْ أَبْيَضَ أَوْ عَجَمِيٍّ فَأَطِعْهُ فِيمَا لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ مَعْصِيَةٌ، وَإِنْ حَرَمَكَ حَقًّا لَكَ، أَوْ ضَرَبَكَ ظُلْمًا لَكَ، أَوِ انْتَهَكَ عِرْضَكَ، أَوْ أَخَذَ مَالَكَ، فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَخْرُجَ عَلَيْهِ بِسَيْفِكَ حَتَّى تُقَاتِلَهُ، وَلَا تَخْرُجْ مَعَ خَارِجِيٍّ يُقَاتِلُهُ، وَلَا تُحَرِّضْ غَيْرَكَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَيْهِ، وَلَكِنِ اصْبِرْ عَلَيْهِ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَدْعُوَكَ إِلَى مَنْقَصَةٍ فِي دِينِكَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْجِهَةِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَأْمُرَكَ بِقَتْلِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ، أَوْ بِقَطْعِ عُضْوِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، أَوْ بِضَرْبِ مَنْ لَا يَحِلُّ ضَرْبُهُ، أَوْ بِأَخْذِ مَالِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ، أَوْ بِظُلْمِ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ وَلَا لَكَ ظُلْمُهُ، فَلَا يَسَعُكَ أَنْ تُطِيعَهُ، فَإِنْ قَالَ لَكَ :لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا آمُرُكَ بِهِ وَإِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ ضَرَبْتُكَ، فَقُلْ :دَمِي دُونَ دِينِي؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ «وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»

72- حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْبَرْدَعِيُّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ :حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ الرَّمْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ جَابِرٍ، قَالَ :حَدَّثَنِي رُزَيْقٌ مَوْلَى بَنِي فَزَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ قَرَظَةَ

الْأَشْجَعِيَّ، يَقُولُ :سَمِعْتُ عَمِّي عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ » قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ :لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيُنْكِرْ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ " قُلْتُ لِرُزَيْقٍ :اللَّهَ، يَا أَبَا الْمِقْدَامِ لَسَمِعْتَ مُسْلِمَ بْنَ قَرَظَةَ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَمِّي عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : مَا أُخْبِرْتُ بِهِ عَنْهُ؟ قَالَ ابْنُ جَابِرٍ :فَجَثَا رُزَيْقٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَحَلَفَ عَلَى مَا سَأَلْتُهُ أَنْ يَحْلِفَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ جَابِرٍ : وَلَمْ أَسْتَحْلِفْهُ اتِّهَامًا لَهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْلَفْتُهُ اسْتِثْبَاتًا

هذا الباب باب مهم جدًا الحق المؤلف وهذا من بديع تصنيفه أنه ذكره بعد الإنتهاء من باب الخوارج، لأنه هذا تنسيق بديع منه بعد أن ذكر الخوارج ومعتقدات الخوارج، فأراد أن يبين أن الخوارج من صفاتهم الخروج على أولياء الأمور فيكفرون ولاة الأمور أولًا ثم يكفرون المسلمين –عوام المسلمين– ويخرجون عليهم، فأراد أن يلحق هذا الباب بعده ليذكر ويبين أصول أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة. لذلك بوب تبويبًا فقال فيه: **بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا , وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ.** فكأنه لخص لنا اعتقاده– الإمام الجري يعتقد– وهذا نقلًا عن أئمة أهل السنة والجماعة، وأنه لما تكلم أتى بالاثار والأحاديث، وهذه قلنا من مميزات هذا الكتاب؛ أنه ما يتكلم إلا بالسنن والآثار، لا يتكلم باعتقاد في نفسه فقط. فلذلك قدم هذه الأحاديث التي قرأناها والآثار التي تدل على أن **بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ** – هذا أصل من أصول أهل

السنة والجماعة، وَإِنْ جَارُوا أيضًا كما بينا من الأحاديث- وسنبين الآن في التفصيل- وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ ، هذا أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة. ثم قيد: مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ .

فهذا استنباطًا من الإمام في هذا التبويب على الأحاديث التي قرأناها الآن وسنبينها إن شاء الله في الشرح، لأنه بين من قبل- وقد فصلنا في هذه المسألة – قلنا بأن أهل العلم قالوا – وهذا أقول يعد إجماعًا- على أن هذا التقسيم إما إمام عادل، أو ظالم فاسق، أو إمام كافر، جاء بالاتفاق على أن الإمام العادل لا يُخرج عليه، وبالإتفاق أيضًا على أن الإمام الكافر يجوز الخروج عليه بضوابط وشروط وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم أولًا [إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا]، فلابد فيه الكفر بواح لكم [عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ] فلابد أن يكون كفرًا بواحًا ولكم برهان.

لأن أهل العلم بينوا بأن كل شيء فيه: (تحقيق شروط وانتفاء موانع)، فقالوا إن تحققت هذه الشروط فالخروج لابد حتى يصح أن يكون بانتفاء الموانع، فقالوا أن تكون هناك القدرة وأن يكون هناك تحقيق المصلحة التي يرجى منها هذا الخروج، وإلا إن لم يكن هناك القدرة ولا تحقيق المصلحة مع جواز الخروج لكن هنا مانع من تحقق الشروط فلا يتم الخروج.

ثم أيضًا نقل أهل العلم الإجماع على عدم الخروج من المتقدمين على الحاكم الظالم والفاسق، وانظر إلى النسخة التي معكم في الصفحة التي فيها الأحاديث من أول (65) قال في التزييل: " قال الحافظ ابن حجر: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وإن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها" .

وقال في شرح مسلم: "وأما الخروج عليهم –أي ولاة الأمور–وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع

أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق" إلى أن قال: "قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه" هذا نقل ابن حجر وعندكم في الكتاب ليس من عندي. ترجعوا في الفتح المجلد الثالث عشر صفحة (122) وفي شرح مسلم المجلد الثاني عشر صفحة (229) هذا الكلام الذي نقله ابن حجر في الحاكم الظالم والفاسق وإجماع أهل العلم على عدم الخروج عليه وعدم عزله، وهذا سنبينه بالأحاديث التي قد ذكرها المؤلف.

لكن نقول أولًا بداية لابد أن نعلم أن تنصيب الولاة والحكام أمر مهم جدًا في الشريعة، وأن وجود إمام للمسلمين – لا أتكلم عن الخلافة الكبرى حتى على مستوى الأقطار والدول وغير ذلك– فوجود الأئمة والحكام هذا أمر عظيم جدًا، بل يعد عند أهل السنة والجماعة أنه أمر واجب بإجماع أهل السنة؛ أن ينصب إمامًا، ويكون هناك إمامًا للمسلمين أو حاكمًا، وهذا الذي فعله الصحابة الكرام رضي الله عنهم مع أول خليفة عقدت له البيعة وهو أبو بكر.

انظر إلى ما حدث في عقد بيعة أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، النبي صلى الله عليه وسلم قد مات– بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم–، ودخل أبو بكر فقبله ثم خرج، ولما حدث ما حدث من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وأسكته ثم قال أبو بكر جملته الشهيرة: (من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمد صلى الله عليه وسلم فإن محمدًا قد مات). ثم تركوا النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته لم يغسل ولم يكفن ولم يدفن ولم يصلى عليه، وذهب مع عمر وأبو عبيدة بن الجراح إلى سقيفة بني ساعدة ليلتقي مع الأنصار.. وما الهدف؟ لتنصيب خليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يدفن النبي صلى الله عليه وسلم، نبي الأمة في حجرته ولم يفعل معه شيء قبل أن ينصب الأول الخليفة.

وذهب في القصة المعروفة بأن عمر أراد أن يتكلم فأسكته أبو بكر قال: "زورت كلامًا في نفسي خشيت أن أبو بكر يتكلمه" وكان في نية عمر أن يبايع أبو بكر

وقتها، فلما قام أبو بكر فقال: "الأئمة منا والوزراء منكم" فقال حباب بن المنذر: "إمام منا وإمام منكم"، فقال أبو بكر: "الأئمة من قريش" وذكره بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الأئمة من قريش" ، "الأئمة منا والوزراء منكم"، فقال: "قوموا فبايعوا أحد إثنين عمر أو أبو عبيدة"، فقام عمر قال: "لا نبايع إلا أبو بكر، هذا الذي ارتضاه له النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته، فأفرد يدك فأبايعك"، فبايع عمر وأبو عبيدة أبو بكر، ثم تتابع الأنصار فبايعوا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه. فرجع بعد ذلك وأقاموا ما أقاموه من غسل وتكفين النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه.

فانظر إلى أهم شيء فُعِل؛ كان ممكن أن يقولوا ندفن النبي، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسرعة في دفن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن نظروا إلى المصلحة العليا في الأمة؛ وهو وجود إمام، لأن النبي قد مات، أدى ما عليه وقد توفاه الله عز وجل، لكن لابد للأمة من حاكم، من أحد يقوم على رعايتها، يقوم على شؤون دينها، ينصلح حال الناس، لذلك قاموا ففعلوا ذلك.

وطبعًا لا نتكلم عن إمارة أبو بكر لأننا نحتاج هنا فقط البيان على أهمية وجود إمامًا في الأمة، وأهمية وجود حاكم للامة، وهذا التنصيب هو سنة الصحابة الكرام بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

لذلك يقول بعض الحكماء: (إمام عادل خير من مطر وابل وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم)، أي وجود سلطان حتى لو فيه ما فيه من الظلم والجور لكن عدم وجود السلطان والأمة لا يكون لها أحد يحكمها ويتحكم في الرعاء منهم والعوام وغير ذلك مفسده عظيمة جدًا.

وحتى الإمام أحمد لما سألوه عن تنصيب الولاة قال: "أويستقيم أمر الناس إلا بأمير!" أي يبين أن تنصيب الولاة أمر واجب عند أهل السنة والجماعة، وطبعًا لا شك بأن الإمام العادل له ما له من المناقب عند الله عز وجل، يكفيه حديث سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لاظل إلا ظله، قال: "إمام عادل"، لأن صلاح الإمام بصلاح الأمة، بل الإمام العادل كل ما يفعله الأمة من شعوبه في ميزان هذا الإمام العادل، حتى لو

لم يكن عادلًا بالقدر الكبير، ولو كان فيه من الظلم، أو من الجور، أو الفسق فله هيبة، عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه يقول: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" . لذلك تجد الناس ممكن تخاف من الحاكم، من السلطان، فينزعون ذلك ويستجيبون لأومر لو قلت له الشرع جاء به والكتاب والسنة قد لا تجده يستجيب، وهذا كلام متين من عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

إذًا نقول هنا توجد حكمة عظيمة جدًا؛ سواء حكمة إلهية أو تشريع أو بيان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم بوجوب تنصيب الإمام والخليفة، لأنه لا يستقيم أمر الدين ولا أمر الدنيا للناس إلا بوجود الإمام، لأن من واجبات الإمام هو إقامة دين الناس، ومن واجبات الإمام هو رعاية مصالح الناس الدنيوية والإجتماعية وغير ذلك من رعاية أخلاق الناس أيضًا، فهذه من الواجبات على الإمام. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم قال: [كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ].

إذًا لابد للأمة من إمام يكون موجود، من حاكم يدير شؤون الناس، وهذا الأمر ليس مسألة رفاهية! بل هو من الوجوب بمكان.

حقوق الوالي:

أهل العلم لما تكلموا عن وجوب وجود الوالي قالوا إن الوالي إذا وُجد فله حقوق، وقد بينوا في حقوق الوالي وهو هذا الباب الذي أراد أن يبينه لنا الإمام الآجري –عليه رحمة الله تعالى– فذكر لنا بأن هناك حقوقًا للوالي؛

أول هذه الحقوق السمع والطاعة؛

قال الله عز وجل: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} [النساء:59]، فهنا عطف طاعة ولاة الأمور على الرسول صلى الله عليه وسلم، هنا اشتراك في الحكم، لكن ليس مطلقًا كما هو معلوم لديكم، أي وجوب الطاعة لهم، نعم، لابد من الطاعة لهم، ولكن لأن الله عز وجل لم يفردهم بطاعة مستقلة فجعل طاعتهم من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومن طاعة الله عز وجل. إذًا هو أمر

شرعي؛ السمع والطاعة لأولياء الأمور هو أمر من الله عز وجل أن يطيعوا ولاة الأمور.

والأحاديث التي قرأناها اليوم فيها ما فيها، منها الحديث في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: [دَعَانَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَكانَ فِيما أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا علَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قالَ: إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ]، هنا إذًا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم؛ أخذ عليهم السمع والطاعة، وقلنا السمع والطاعة هنا مقيدة، ولكن هذا حق.

كما جاء أيضًا في حديث العرباض بن سارية الذي كان في أول الأبواب قال: [أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ وإن كان عبدًا حبشيًّا فإنَّهُ مَنْ يعشْ مِنكمْ فسيَرَى اختلافًا كثيرًا فعليكُمْ بسنَّتِي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ مِنْ بَعْدي وعضُّوا عليها بالنواجذِ وإيَّاكُمْ ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٍ]، هذا فيه أيضًا بيان على أن لابد من السمع والطاعة.

وأيضًا ما جاء عن ابن عمر: [على المرء السمع والطاعة فيما أحَبَّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصيةٍ، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة]، وهذا يدل لك على أن المسألة مقيدة، أنت تسير مع الشرع حيث دار، أن السمع والطاعة لولاة الأمور مقيدة حتى فيما تحب وتكره، وإن كرهت فعليك السمع والطاعة، وإن أحببت فعليك السمع والطاعة لكن مقيدة بأنك لا تسمع ولا تطيع فيما كان فيه معصية، وبين كما سيأتي هنا أن السمع والطاعة [عبدًا حبشيًّا] حتى يبين لك بأن إن لم يتوفر في الإمام شروط الإمامة لكنه صار إمامًا فعليك أن تسمع وتطيع، لأنه قال "عبدًا حبشيًا" وليس من شروط الإمامة أن يكون عبدًا حبشيًا، لكن هو يريد أن يقول لك [وإن كان عبدًا حبشيًّا] أي لم تتوفر فيه شروط الإمامة فإنك عليك فيه بالسمع والطاعة.

لكن قلنا الطاعة ليست مطلقة، الطاعة لابد فيها من التقييد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةٍ، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروفِ] ، وقال أبو هريرة مرفوعًا:

[السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة] .

وهنا ذكر الشيخ الأثر عن عمر بن الخطاب، وإن كان في ثبوته كلام لكن بعض الروايات يبدو أن فيها حسن أو شيء لأنه قال عمر بن الخطاب:[يا أبا أمية ! لعلّك أن تُخلّفَ بعدي فأطِعِ الإمامَ وإن كان عبدًا حبشيًّا إن ضربَك فاصبرْ، وإن أمرك بأمرٍ فاصبرْ، وإنْ حرمَك فاصبرْ، وإن ظلمَك فاصبرْ، وإن أمرك بأمرٍ يُنقِصُ دينَك فقلْ : لا سمعَ ولا طاعةَ دمي دونَ ديني. فلا تفارقِ الجماعةَ] انظر إلى كلام عمر بن الخطاب كله يبين له مسألة السمع والطاعة فيما يحب ويكره إلا إن جاء الأمر في الدين فلا تسمع ولا تطيع فيما كان فيه منقصة في الدين أو معصية في الدين.

نقول الآن.. إن أمرك بمعصية ماذا تفعل؟ فلا سمع ولا طاعة، لكن هذا ليس معناه أن تخرج، في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَن رَأَى من أميرِهِ شيئًا فكرهُهُ فلْيَصْبِرْ ،فليس لأحدٌ أن يُفارِقُ الجَماعةَ شِبْرًا فيَموتُ ، إلَّا ماتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً] وقال في رواية أخرى: [من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية] انظر الرواية الأولى قال فيها "خرج من الجماعة" والرواية الثانية "السلطان" فجعل السلطان مقابل الجماعة، انتبهوا الرواية الأولى لما قال: [فليس لأحدٌ أن يُفارِقُ الجَماعةَ فيَموتُ ، إلَّا ماتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً] وفي رواية ثانية قال: [ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية] وطبعًا هنا [شيئًا] نكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فأي مظلمة كانت أو أي معصية، ولن أعيد كل مره الشروط التي بيناها في مسألة الثلاث أنواع للولاة، حتى ما أحد يقول: "أي معصية يعني أي شيء ؟" فمفهوم ما المقصود هنا وفي أي إطار نتكلم فيه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [فليصبر عليه] وهذا أمر، وأتونا بصارف عن هذا الأمر إلا أنك لابد فيه من الصبر على السلطان.

ثم بين؛ حتى وإن كان هناك معصية؟ نعم، حديث آخر لأم سلمة قال النبي صلى الله عليه وسلم:[إنكم سيكون عليكم أُمَراءُ تعرِفونَ وتُنكِرونَ، فمَن أنكَر فقد برِئَ، ومَن كرِه فقد سلِم، ولكن مَن رضِي وتابَع قالوا: أفلا نُقاتِلُهم؟ قال: لا، ما صلَّوا لا، ما صلَّوا] . أولًا هذا الحديث عظيم جدًا. لماذا؟ لأنه أثبت فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيحدث هذا الإنكار من الولاة، والجور والظلم والفسق سيحدث، لكن ما التعامل معه؟ هل أنك ترضى بذلك؟ لا والله ما أمرك النبي صلى الله عليه وسلم بالرضا، بل هو أثنى على من كره أولًا ، قال: [فقد سلِم] أي الكره القلبي على ما تراه من ظلم وجور هذا أنت مأمور به، وهذا يرد على الذين يدندنون ليلًا نهارًا على الظلم والفسق وكأنهم يدافعون عن باطل، وأين قلوبكم في الإنكار؟! أقل شيء أنك تكره، لأنك لما ترى المعاصي لابد تكرهها.

إذًا الجهال أيضًا الذين يأخذون الحديث على إطلاقه بأنه لابد أن تدافع عن كل شيء؛ معصية وطاعة، هذا جهل! لكن النبي صلى الله عليه وسلم فصّل لك، قال: [ومَن كرِه فقد سلِم] إذًا ليس عليك شيء أنك تكره، فلما تقول أنا أكره كذا وكذا وكذا لأن فيه معصية، وأن فيه أفعال ظلم فقد سلمت، [فمَن أنكَر فقد برِئَ] وسنبين كيف يكون الإنكار والنصيحة في أولياء الأمور أيضًا ستأتي معنا، لكن من أنكر فقد برئ، قد أعذر إلى الله عز وجل، فعل ما عليه، ولكن من رضي وتابع وهذه هي المصيبة أنك ترضى بالظلم والفسق أو تتابع فتتعاون مع هذا الظلم والفسق، أو تكون سببًا في انتشاره، هذا من أعظم المنكرات، لكن وضع لنا ضابطًا النبي صلى الله عليه وسلم، كل هذا الذي تراه الآن، ماذا عليك أن تفعله؟ عليك أيضًا الصبر لأنه قال: [أفلا نُقاتِلُهم؟] قال النبي صلى الله عليه وسلم –هذا الكلام صريح واضح ليس من عندنا كلام النبي صلى الله عليه وسلم– [قالوا: أفلا نُقاتِلُهم؟ قال: لا، ما صلَّوا لا، ما صلَّوا].

إذًا الآن المسألة فيها قيود، وفي روايات أخرى:[إلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا] إذًا هي المسألة لابد أن تُرَد إلى السنن والآثار التي جاءت، ليست المسألة هوى نفس وعاطفة تحرك المرء! هذا دين، كما أنك تصلي وتصوم وتحج وتزكي بشرع، فأيضًا هذا الباب

لابد فيه أن تنضبط بالشرع، لابد وأن تنحي العواطف جانبًا، وأن تعلم أن هذا الذي قد شرعه الله عز وجل.

سؤال من أحد الطلبة: (ما صلوا) هل المقصود بها الصلاة فقط أم الشريعة كلها؟

- رد فضيلة الشيخ:

قال [ما صلَّو] والصلاة عماد الدين، تجمع بين [إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا] وبين [ما صلَّو] وهنا قال الشيخ في التبويب: **مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ** أصلًا، فإقامة الدين بالكلية لن تجدها. ما ضابط إقامة الدين؟ لابد يكون هناك ضابط، فهو أتى بالأدنى، فإقامة الدين هذا أمر كبير، لابد أن يحدث مخالفات لابد، ما في أحد يستطيع أن يقيمه، فكيف ستجعلها على الأعلى! لابد أن يكون عندك قيود، أدنى بعد ذلك يخرج منه، لذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم [إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا] إذًا قيد الآن، متى تكون المنازعة؟ بالكفر البواح، ثم قال لك [عليكم فيه مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ] . إذًا لابد ترى كفرًا بواحًا. بعض أهل العلم قالوا في الكفر البواح أي كفر متفق عليه، أي إن حدث كفرًا وفيه خلاف فليس الكفر البواح الذي اشترطته النبي صلى الله عليه وسلم، قال: [كُفْرًا بَوَاحًا عليكم فيه مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ] وهذا تقييد، وهذا إن دل يدل على أن المسألة فيها مصلحة عليا بينها أهل العلم نظروا لذلك. فلماذا الشيخ بيقول هذا الكلام الذي سنأتي إليه الآن؟ لأنه نظر للمصالح في المسألة أصالة، وتدقيق كلام النبي صلى الله عليه وسلم، كل كلمة فيها معنى.

لذلك قلنا المسألة عظيمة لابد يرجع فيها للسنة ولكلام العلماء، وليس الإنسان يصدر نفسه بعاطفة حتى يتكلم في هذه المسألة حتى وإن كره، النبي صلى الله عليه وسلم أثبت الكره فيما يحدث وأثنى على من كره المعاصي والظلم، لأن البعض يقول لك هذا إرجاء وهذا كذا وهذا كذا! خذ الأحاديث والآثار التي معنا وردوا عليها! ما نريد غير ذلك أصلًا، نحن ما نتكلم من كيسنا الآن، نحن نبين الأمر.

نرجع لحديث ابن مسعود قال: [إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي

لَكُمُ] وفي رواية: [دُّوا إليهم حقَّهم، وسلوا اللهَ حقَّكُمُ]. عقب النووي على هذا الكلام – رحمه الله تعالى– قال: "ولو كان الأمير ظلومًا غشومًا فعلى المرء السمع والطاعة والصبر ويدعو الله أن يبعد عنه هذه الفتنة وهذا الشر" .

وفي رواية أخرى أيضًا في الصحيح عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا: [تسمعُ وتُطيعُ الأميرَ، وإن ضرب ظهرَك، وأخذ مالَك، فاسمع وأطِعْ] وإن كان فيه كلام لكنه ورد مرفوعًا.

كل هذه الذي ذكرناها تبين لك كيف تتعامل مع ولي الأمر وإن ظلم وإن فسق وإن جار، لكن دعونا نعرف:

كيف يُعرف ولي الأمر؟ كيف تعتبره ولي أمر؟

أهل العلم تكلموا في هذه المسألة أيضًا، قد يكون تتبعوا ما حدث في التاريخ الإسلامي بداية من خلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فذكروا لنا أنواع من الولاة، أي من طرق تولي الولاة؛

1 أن يتولى بالنص؛ أي يتولى بكتاب وسنة، وبعضهم جعل تولي أبو بكر– بعضهم أقول– جعلها تولي بالنص، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ادعوا لي أبو بكر" في مرض الموت "وأتوني بكتاب" وقال وإن لم يكتب قال [وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ]، وقال: [مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ].

قد يكون إجماع من عند أهل العلم المفسرين أو قلنا اتفاقًا بأنه ظهر ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه ينص على خلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

والمرأة التي جاءته فقالت: ماذا أفعل إن جئتك العام القادم ولم أجدك، قال اذهبي إلى أبو بكر. فكأن هذا بعضهم قال أن هذا تنصيصًا على تولى أبو بكر.

وإن كان الراجح حقيقة أن خلافة أبو بكر لم تكن تنصيصًا، كانت بالحل والعقد، لكن نقول استئناس لأنه أبو بكر وُلِّيَ في سقيفة بني ساعدة وكان في اجتماع الأنصار مع الثلاثة من المهاجرين؛ كبار المهاجرين أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فهذا حل وعقد.

لكن ممكن نقول التنصيص جاء من أبو بكر مع عمر رضي الله عنه وأرضاه، وهذا نص، أبو بكر لما جاء على فراش الموت كتب كتابًا لعمر وعهد إليه، وهذا كان نصًا. إذًا اذا مسألة التنصيص حدثت لو قلناها صراحة مع عمر رضي الله عنه وأرضاه أو استئناسًا بما حدث مع أبو بكر. هذا الأمر الأول أن يُنَص على الولي.

2 **أن يحدث تنصيب الإمام باتفاق أهل الحل والعقد**؛ يتفقون على تنصيب الإمام، وهذا لو قلنا حدث عامة مع أبو بكر، أي كان أهل الحل والعقد **عامة** – قلت عامة– لأن ممكن يُحمَل ما فعله عمر رضي الله عنه وأرضاه مع ذكره للستة قبل موته أن أحد منهم يخلفه، فهذا فيه أهل حل وعقد خاصة، لأنه خصص الست من العشر المبشرين، وعهد إلى واحد منهما أن يتم إختياره.

لكن ممكن نقول أهل الحل والعقد عامة كان في اختيار أبو بكر، وأيضًا في اختيار عثمان، لأن لما تبقى الأمر بين عثمان وبين علي عهدوا إلى عبد الرحمن بن عوف أن يفصل، فقال عبد الرحمن بن عوف "مررت على دار دار في المدينة فما رأيت أحد يقدم على عثمان أحد". فكان هذا أيضًا لأن كان أهل الحل والعقد وقتهم هم المهاجرين والأنصار الذين في المدينة، فهذا أيضًا يدل على أن تولية عثمان كانت بأهل الحل والعقد، وإن كانت نقول خاصة بمعنى أو اقل لأنها حُصرت بينه وبين علي بن أبي طالب. أما سيدنا أبو بكر كان تولى في عموم وجود المهاجرين والأنصار.

سؤال من أحد الطلبة على النص:

– **رد فضيلة الشيخ:** النص على نوعين؛ نص بكتاب وسنة وممكن يحمل أبو بكر على ذلك لأن الكتاب والسنة ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وفي نص آخر وهو

الثالث الذي أتكلم عنه أن يعهد الإمام لمن خلفه ينص هنا، لأن الأول نص بالكتاب والسنة رجحنا أن أبو بكر قد يكون ذلك، وإن قلنا أن فيه كلام من أهل الحل والعقد.

3 **أن يصرح الخليفة**؛ كما فعل أبو بكر مع عمر، صرح له بأن يتولى بعده، وكتب كتابًا بذلك. كل هذا حدث في تاريخ الإسلام.

نقطة تطرق إليها الطلبة مع فضيلة الشيخ عن يزيد بن معاوية؛

- **رد فضيلة الشيخ:** معاوية مَلِك راشد، أي هو يعتبر ملك راشد لأنه عهد لابنه يزيد، فهو بداية المُلك- وإن كان مُلك راشد أقول- معاوية كاتب الوحي وتنازل الحسن له في عام الجماعة، وسمي الجماعة لأن اجتمع الصحابة وقتها أو أثنوا على تنازل الحسن رضي الله عنه وأرضاه إلى معاوية، لكن الحديث يبين أن الخلافة ثلاثين سنة، وقد خُتمت بالحسن، ثم يأتي مُلك بعد ذلك كان أول ملك راشد هو معاوية رضي الله عنه وأرضاه، وقلت راشد لننضبط بالضوابط لأنه صحابي جليل، ثم عهد هو ليزيد، حدث -كما سنبين الآن- بأن يزيد أخذها بالسيف، وهذا ما حدث من الحجاج مع ابن الزبير لما ادعى ابن الزبير الإمامة في مكة وفي الحجاز، وابن يزيد كان أرادها بعهد معاوية، وحدث ما حدث من قتل الحجاج لابن الزبير، ثم استتب الأمر ليزيد، فأصبح بالغلبة الملك ليزيد، يزيد أولًا وعبد الملك بعد ذلك أصالة، وبعد ذلك أول من فعلها تصريحًا ما يلقب بالسفاح، والذي كان أول الدولة العباسية وأزال ملك الأمويين وبدأ ملك الدولة العباسية، لذلك يلقب بالسفاح.

4 **أن يعلو بالسيف ويأخذ الحكم**؛وهذا أيضًا له نفس حكم السمع والطاعة الذي نتكلم عنه مع الثلاثة أنواع الأُوَل، وهذا هو الرابع، فاذا كان مسلمًا وعلا بالسيف وصار أميرًا للمؤمنين لابد له من السمع والطاعة أيضًا، وأضح من فعل ذلك هو السفاح، انتزع الملك من بني أمية وجعله في بني العباس.

وأريد نقلًا عن الحافظ ابن كثير في البداية قال:

"ولما خرج أهل المدينة عن طاعته"– أي يزيد– "وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة لم يذكروا عنه – وهم أشد الناس عداوة له – إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات، بل قد كان فاسقًا، والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج، كما وقع زمن الحرة، وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد" . كانوا قد عاهدوا يزيد، وطبعًا ابن عمر تأخر في بيعة يزيد حتى قُتل بن الزبير فلما رأى الأمر استتب ليزيد بايع يزيد على كره، وورد ذلك على كراهة لأنه يرى أن يزيد لا يستحق، وكان هناك أولى من الصحابة من ابن الزبير كان يستحق لكن لما استتب الأمر وقُتل ابن الزبير وأصبح العلو ليزيد بايعه بعد ذلك.

فقال: " وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد، ولم يبايع أحدا بعد بيعته ليزيد. كما قال الإمام أحمد: لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال: أما بعد، فإنا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله يقول: «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان، وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الإشراك بالله، أن يبايع رجل رجلا على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الفيصل بيني وبينه». وقد رواه مسلم والترمذي من حديث صخر بن جويرية. قلت: هو في كتاب الفتن من صحيح البخاري بالقصة نفسها. قال الحافظ ابن حجر– رحمه الله تعالي – في الفتح "وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا يخلع بالفسق".

وهذا طبعًا الكلام عام، كل من نُصب إمامًا وكان حاكمًا، فمن خرج عليه وخلعه فانظر ابن عمر وجد أن هناك خرجوا على يزيد، ظل على بيعته ليزيد، ولم يسارعوا إلى مباركة الظالم والفاسق لأنه قد خلع! ابن عمر ماذا فعل؟ مع أنه استتب الأمر

بعد ذلك لغير يزيد بعد موت يزيد، لكن ابن عمر ظل على بيعته للإمام الذي قد بايع،ه وأمر أهل بيته ألا ينقضوا هذه البيعة، وقال أن هذا غدر.

فهذا دين بأنه إذا انعقدت البيعة للإمام لا يجوز الخروج عليه، ولا يجوز أحد أن يخرج عن هذه البيعة لبيعة آخر، لكن إن حدث وطبعًا هذا يحمل كلام ابن عمر على أنه أراد أن يوجههم لأن هذا في بداية الأمر لما حدث، لكن إن استتب لغيره فأصبح إمامًا أيضًا متغلب كما فعل يزيد أيضًا وبايعه ابن عمر بعد ذلك لما قتل ابن الزبير. لكن نقول بأن هذا كان أيضًا أمر رابع في تولية الإمام إذا كان متغلبًا.

بل روى البيهقي في مناقب الشافعي قال: "سمعت الشافعي يقول: كان من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويجمع الناس عليه – فهو خليفة".

وقد حكى الإجماع عن ذلك الحافظ بن حجر – رحمه الله تعالى– في الفتح فقال: "وأجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وإن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء" .

نقف عند هذا الجزء لأنه في أمور أخرى نستكملها في الأسبوع القادم بينا كيفية تولي الإمام، وقفنا عند هذا بينا الأنواع الأربعة التي قد يتولى بها الإمام، وبينا أن في جميع هذه الأنواع الأربعة لابد فيها من حدوث السمع والطاعة للحاكم، أو ولي الأمر، أو الخليفة، وأن هذا هو الذي نقل في السنن وفي الأحاديث عن الصحابة الكرام وغير ذلك.

سنقف عند هذا القدر نكمله إن شاء الله الأسبوع القادم بينا السمع والطاعة، هذا كان حق لولاة الأمور، ثم هناك النصيحة كيف تكون لولاة الأمور، وأيضًا مسائل أخرى نختم بها هذا الكلام، والحقوق التي على ولاة الأمور تجاه الناس أيضًا، هذه نرجئها أيضًا للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة العاشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام اليوم مع شرح درس جديد من كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمة الله تعالى- وما زلنا في الباب التاسع **بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا , وَتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ.**

كنا بدأنا هذا الباب الأسبوع الماضي، وقرأنا الآثار والأحاديث التي سردها أو وضعها المصنف في كتابه، وتكلمنا عن هذا الباب بداية من إثبات هذه الأحاديث بأن الأصل عند أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولي أمر المسلمين، وأيضًا تحريم

الخروج عليهم إلا بالشروط والضوابط التي قد بينها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي سردها المؤلف، والتي هو متفق عند أهل العلم فيها.

أنا سألخص ما قلناه الأسبوع الماضي حتى لمن أراد أن يكمل لأن طبعًا انقسم الباب الأسبوع الماضي وسنكمل هذا الأسبوع، ومن أراد التفاصيل يرجع لسماع المحاضرة السابقة طبعًا لمن جاء في الدرس هذا أولًا.

وتكلمنا بعد ذلك وقلنا بأهمية تنصيب ولي أمر، وأن يكون هناك إمامًا للمسلمين، وحتى تكلمنا عن كيف يُعرَف ولي الأمر، وقلنا باستعراض العلماء لما حدث من تنصيب الولاة من بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، بداية من أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، وقلنا أن هذا فيها نص، والبعض قالوا نص من السنة من النبي صلى الله عليه وسلم.

وبينا النوع الثاني؛ وهو إتفاق أهل الحل والعقد، كما حدث في اختيار عثمان بين المفاضلة بين عثمان وعلي كما قال عبد الرحمن بن عوف.

وأيضًا بالتصريح أو بالعهد كما حدث من أبو بكر رضي عنه وأرضاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه عَهِد إليه بالولاية أو بالخلافة.

والأمر الرابع وهو العلو بالسيف أو بالغلبة، وبأن يعلو أحد بالسيف أو بالغلبة فيصير له الملك في هذه المكانة وفي هذا البلد، فإن دانت له الأرض – كما قال العلماء– أو دان له الأمر وعلا بذلك وأصبح أميرًا، أو حاكمًا، أو ملكًا صارت له ولاية السمع والطاعة. والبعض قال بأن هذا ما حدث مع معاوية، وإن كان هذا ليس بصواب، لأن ما حدث مع معاوية رضي الله عنه وأرضاه كان تنازلًا من الحسن، وسُمي عام الجماعة، لأن الجماعة –جماعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن وجدوا في هذا الوقت المسلمين– وافقوا على هذا التنازل، فكان حتى فيه خيرًا كثيرًا. وبعضهم قال بأن يزيد مع ما حدث بينه وبين ابن الزبير أيضًا كانت غلبة، وأيضًا عبد الملك بن مروان قالوا كانت فيها غلبة – كما سنبين– لأن فيها مبايعة ظهرت لابن عمر،

وأيضًا أشهرها ما حدث من السفاح؛ وهو أول أمير عباسي أخذ الملك من الدولة الأموية وانتقل بعد ذلك أو انتزع فيها بالسيف.

وقد بينا بأن المستقر عند أهل السنة والجماعة بأن إن غلب الإمام أو من غلب على دار من ديار المسلمين ودانت له فأصبح له حق في السمع والطاعة، وأيضًا هذا نقل تصريحًا عن الإمام أحمد – رحمة الله تعالى– فيما نقله عنه عبدوس بن مالك العطار وقال نقلًا عن الإمام أحمد: "ومن غلب عليهم – يقصد الولاة– بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا برًا كان أو فاجرًا" . واحتج الإمام أحمد في هذا الكلام بما فعله ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه لأنه نقل عن ابن عمر أنه قال: "وأصلي وراء من غلب".

وأيضًا نقل الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام قال: "باب: كيف يبايع الإمام الناس" ثم ذكر عن عبد الله بن دينار قال: "شهدت ابن عمر حين اجتمع الناس على عبدالملك، قال: كتب: إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله وما استطعت، وإن بنيَّ قد أقرُّوا بمثل ذلك. ثم قال: "وهذا الذي فعله ابن عمر من مبايعة المتغلب الذي هو عليه الأئمة". هذا الكلام نقل في الصحيح في كتاب الأحكام عن البخاري، قال:" بل انعقد عليه الإجماع من الفقهاء حتى الشاطبي في الإعتصام قال يحيى بن يحيى قيل له البيعة مكروهة؟ قال: لا. قيل له: فإن كانوا أئمة جور؟ قال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان بالسيف، وبالسيف أخذ عبد الملك أخبرني بذلك مالك عنه، أنه كتب إليه وأقر له بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الكلام نقله الشاطبي حتى أنه قال: وقد قال ابن الخياط أن بيعة عبد الله لزيد كانت كرها، وأين يزيد من ابن عمر؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لأمر الله، والفرار من التعرض لفتنة فيها من ذهاب الأموال والأنفس ما لا يفي بخلع يزيد، لو تحقق أن الأمر يعود في نصابه، فكيف لا يُعلَم ذلك؟" قال: "وهذا أصل عظيم فافهموه والتمزوه". وهذا كلام كان للشاطبي في الاعتصام.

المهم هذا كله كان ملخص لما قلناه من قبل، قلنا هذه حقوق كانت لولي الأمر أولًا كانت السمع والطاعة، **الأمر الثاني: النصيحة**، وهذا الذي نكمل فيه الكلام في هذا الباب، فقط أربط لكم ما قيل الأسبوع الماضي عما نكمل به هذا الأسبوع.

الأمر الثاني من حقوق الولاة: النصيحة لولاة الأمور؛

وهذا حق لولاة الأمور؛ أن يُنصَح لهم، لأن النصيحة كما جاءت الأدلة عامة ليست لولاة الأمور فقط، وجاءت السنة أنك تنصح. قال الله عز وجل أولًا: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ } [المائدة:2]، فالتعاون على البر والتقوى هذا منه أنك تنصح لأولياء الأمور.

أيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم:[**الدينَ النصيحةُ. قالوا: لمَن يا رسولَ اللهِ؟ قال: للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم**]، إذًا هنا النصيحة أيضًا لأئمة المسلمين ولعامة المسلمين. وأيضًا جاء من حديث جرير بن عبد الله قال: [**بايعتُ النبيَ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ على السَّمعِ والطَّاعةِ والنُّصحِ لكلِّ مسلمٍ**]، فهنا جاء ذلك دلالة على النصيحة من السنة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال النبي صلى الله عليه وسلم:[**إنَّ اللَّهَ يَرضَى لكم ثلاثًا، ويَسخَطُ لكم ثلاثًا: يَرضَى لكم أنْ تَعبُدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا، وأنْ تَعتَصِموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تَفَرَّقوا، وأنْ تَناصَحوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم، ويَسخَطُ لكم: قيلَ وقالَ، وإضاعةَ المالِ، وكَثْرةَ السؤالِ**] وهذا ما حدث في زمن حتى الخلفاء الراشدين، كان أبو بكر قام وخطب على أنه طلب النصيحة إن إعوج، وعمر كان يُنصح، وعثمان كان يُنصح، وعلي بن أبي طالب كان يُنصح، فكان هذه سنة على النصح لولاة الأمور، كما أن هي للنصح لله ولرسوله ولعوام المسلمين.

آداب النصيحة لولاة الأمور:

لكن أيضًا نريد أن نبين آداب النصيحة لولاة الأمور، لأن أهل العلم تكلموا في ذلك بل ورد من الصحابة ما يؤسس لنا كيفية النصيحة لأولياء الأمور. فجاء عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: [ثلاثٌ لا يُغلُّ عليهِنَّ قَلبُ امرئٍ مُسلِمٍ إخلاصُ العملِ للَّهِ والنُّصحُ لأئمَّةِ المُسلِمينَ ولزومُ جماعتِهم] ولا يغل هنا أي لا يُغَش فيها المرء لقلبه، لابد له من آداب في المناصحة، قال: [ثلاثٌ لا يُغلُّ عليهِنَّ قَلبُ امرئٍ مُسلِمٍ إخلاصُ العملِ للَّهِ..] أي لا يشوبه شيء مفترض، [والنُّصحُ لأئمَّةِ المُسلِمينَ] لابد أيضًا يكون له آداب، وأيضًا [لزومُ جماعتِهم] كما بينا في الأبواب الأولى في مسألة لزوم الجماعة.

والأصول في ذلك في النصح لولاة الأمور لابد فيها أن تستن بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء عن الله عز وجل.

1-**والأصل في ذلك أولًا هو الرفق واللين**، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:[إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شَيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شَيءٍ إلَّا شانَهُ]. وقال الله عز وجل لموسى وهارون وهم يذهبون لمن؟ لأطغى أهل الأرض وأكفر أهل الأرض في زمانه؛ فرعون، قال لهم الله عز وجل ماذا؟ {ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ} [طه:43-44]، فأنت لن تجد أعتقد أكثر من فرعون، فهم عندما يريدون أن يقولوا أن فلان أصل هذا فرعون هذه الأمة كأبو جهل مثلًا لما قال عنه فرعون هذه الأمة وغير ذلك، ومع ذلك الله عز وجل بدأ له أولًا بالقول باللين أيضًا.

2-**الأمر الثاني بأن الأصل في النصيحة لولاة الأمور أن تكون سرًا ليست جهرًا**؛ أن تكون في السر وليست في الجهر بل بعض أهل العلم قالوا- وأنا أقول (بعض) لأن المسألة فيها خلاف، وسأحاول أبين الخلاف الذي ظهر عن ورود بعض الآثار وعن أنهم كانوا يقومون بالنصح لأولياء الأمور على المنابر، ولكن نبين أولًا من أين قلنا بأن الأصل في النصيحة لولاة الأمور السر، وكيف نوجه ما ورد من آثار ظهر فيها أن بعض الصحابة أنكروا على بعض الولاة في بعض الأزمنة.

نقول بأن أصرح ما يقال ما قيل لأسامة بن زيد في وقت فتنة عثمان رضي الله عنه وأرضاه قال: "ألا تقوم له فتنصحه" ذهبوا لأسامة بن زيد لينصح عثمان رضي الله

عنه وأرضاه. فماذا قال لهم؟ [فقال: أترون أني لا أكلمه، الا اسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون ان أفتتح أمراً، لا أحِبّ ان أكون أوّل من فتحه] إلى آخر ما قال. هو يبين لهم ماذا؟ هو لا يشترط أن يقول أن يكلمه أمامهم بل هو كلمه بينه وبينه، وهذا الذي يريد أن يبينه لهم؛ أنكم هل تظنون بأني أكلمه أمامكم؟ إذًا هذا الأصل في المسألة؛ بأنه ينصح سرًا.

بل كما جاء في حديث عياض بن غنم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:[مَن أرادَ أنْ ينصَحَ لذي سُلْطانٍ بأَمْرٍ فلا يُبْدِ له علانِيةً، ولكنْ ليأخُذْ بيَدِه؛ فيخلُوَ به، فإنْ قبِلَ منه فذاكَ، وإلَّا كانَ قد أدَّى الذي عليه] هذه أيضًا سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين لك ذلك.

لكن وردت آثار في ذلك هنا اختلف أهل العلم في التوجيه، البعض قال نفرق بين النصيحة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعنى لو تذكروا حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال:[من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيدِه فإن لم يستطعْ فبلسانِه . فإن لم يستطعْ فبقلبِه]، فقالوا الآثار التي وردت في إنكار الصحابة أو غيرهم على أولياء الأمور أو على الأئمة كانت لمنكر قد حدث أمامهم، كما حدث مثلًا من مروان، فهو أول من خطب العيد قبل الصلاة، فلما قام يخطب قام رجل فقال له "الصلاة الصلاة"، قال: "قد ذهب ما كان"، وفي رواية أبي سعيد الخدري هو الذي جذب يده عند الصعود إلى المنبر ليخطب فقال له: "الصلاة أولًا" فقال: "قد ذهب ما كان يا أبا سعيد". فأبو سعيد حتى لما رى الرجل هذا قال: "أما هذا فقد أدى ما عليه" أنكر المنكر. فالبعض وجه قال ما نُقل من ذلك كان المنكر شاهدًا موجودًا فأراد من أنكر لأنه طبق عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأنكر، وهذا يكون إن كان المنكر يحدث أمامك. وأما إن كانت المسألة نصيحة عن ما يحدث في ولايات الأئمة؛ أي في ولايتهم، في حكمهم، وفي دواوينهم، وفي غير ذلك، فهذا يكون فيه النصيحة على السر. وهذا توجيه حسن، قلت توجيه حسن على أنه فرَّق بين الأمر بالمعروف وبين النصيحة. وهذا حق؛ فهناك فارق بين الأمر بالمعروف وفارق بين النصيحة.

والبعض يقول بأن ما كان يحدث في بعض القرون الخيرية وهو لو تتبعت فعلًا الآثار التي جاءت تجد أن كل ما كان على الملأ كان فيه منكرًا على الملأ، فلذلك كان ينكر.

والبعض قال أن ما كان يحدث بين الصحابة بعضهم وبعض فهذا في زمان خاص بهم، لأنهم لهم أقدارهم مع بعضهم البعض، فكانوا يحملون لبعضهم. وأما بعد ذلك؛ في الأزمنة التي تلت بعد ذلك، فهنا لابد من حفظ قدر الإمام والرجوع إلى ما جاءت به السنة، وما جاء به عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء به عن أسامة بن زيد أن تكون النصيحة في السر، وكأنهم جعلوا هذه المسألة خاصة بما حدث بين الصحابة بعضهم والبعض، أو بمن له كان قدر وشأن فيقوم فله عند الإمام قدرًا فيمكن أن يبين ذلك، وهذا توجيه.

وأقول المسألة فيها ما فيها من الخلاف، وإن كنت أرى بأن توجيه الذين فرقوا بين الأمر بالمعروف وبين النصيحة توجيه حسن، لأن الآثار التي جاءت كان فيها المنكر ظاهرًا فأراد أن ينكر، بخلاف النصيحة الأصل فيها أن تكون وما كان في الولايات وما يحدث في الحكومات هذا الذي الأصل فيه أن يرجع فيه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، هذه من الآداب في مسألة النصيحة.

3-**من الأصول عند أهل السنة والجماعة في النصيحة الدعاء لولاة الأمور**؛ هذا أمر كان عند السلف مستقر أو جاء في أكثر من إمام من أئمة السلف قد بين ذلك، ونحن ننقل كلامًا من السلف، لا ننقل من كلام حتى من غير السلف، والأصل في ذلك قول الله عز وجل:{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ} [المائدة:2]، فمن المعاونة بأنك تدعو لمن من تظن أن صلاحه يكون فيه صلاح الأمة، وأن هذا لا شك لأن كما جاء عن الإمام أحمد قال: "لو كانت دعوة مستجابة لخبأتها لولي الأمر لأن بصلاحه ينصلح الناس" لأن نحن سنبين توجد واجبات على ولي الأمر لابد أن يقوم بها، إن قام بها تجد انصلاح حال الناس؛ دين الناس ودنيا الناس.

لكن أيضًا الفضيل بن عياض قال: "لو علمت أن دعوتي في يومي كذا تكون مستجابة لتركتها ولولي الأمر فبصلاحه تتصلح الأمة". إذًا المسألة هي ليست عائدة على الشخص، نظر الفقهاء والعلماء على نظر المصلحة الأعظم، إذا انصلح حال ولي الأمر حتمًا سينصلح حال الرعية. فلذلك هم يرون هذا الباب الذي يُدعى له.

أنا أتمنى أن كل واحد يستحضر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بهِ]، لأن هذه مسائل الشرع فيها يحكمنا جميعًا، وأما إن صدرنا الهوى والعاطفة سندخل في هذا الحديث [لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بهِ]. فنحن لا نستطيع أن نتجاوز الأمور التي ثبتت في الكتاب والسنة، ونقبل إن كان هناك خلافًا فنبين الخلافات من أهل العلم، وهذه مسألة اجتهادية، فما كان اجتهادًا فهو اجتهادًا. وقلنا من قبل إن كانت المسائل التي فيها اجتهاد فلابد بأن كل طرف يقبل قول المخالف إن كان له أدلة وله حظ من النظر، والإنكار هذا يكون في مسائل معينة ليست في كل خلاف يكون فيه إنكارًا.

لكن لابد أيضًا أن نستحضر هذا الحديث لأن إن تمكن الهوى من القلوب فستعمى عن النظر إلى ما جاء به الشرع، وندخل في إشكالية الاعتقاد ثم الاستدلال، والأصل بأن أهل العلم علومنا جميعًا والسلف أنهم كانوا يستدلون أولًا ثم يعتقدون بعد ذلك.

فقلنا نعم ورد عن أئمة السلف بأنهم كانوا يرون الدعاء لأولياء الأمور أن فيه مصلحة كما قلنا للأمة جميعًا وأيضًا هم لهم أدلة؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم لما جاؤوه بأن دوس لم تسلم، فقال جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو على دوس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [اللَّهمَّ اهدِ دَوْسًا وائتِ بهم]، وهذا ما حدث بأنهم دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهداية وأن يأتوا له مسلمين بعد ذلك.

بل إن الإمام أحمد لما سجن وجاءه الناس أرادوا أن يخرجوا على ولي الأمر في وقتها، فقال لهم: "لو أن لي دعوة مستجابة لدعوت له بها" مع أن الإمام أحمد أكثر من أوذي في هذه المسألة، ومع ذلك من فقهه- وهذا هو الهوى الذي لا يتملكه- لا يهمه أنه أوذي كشخص لكن هو يعلم إن إنصلح حال هذا رجل فماذا سيحدث للأمة.

وسبحان الله ألم ينصلح حال الولي بعد ذلك؟ الذي جاء أنا ما أذكر اسمه الآن والذي هو الرابع، فهو أوذي من الثلاثة الأول ثم جاء الرابع، ما الذي حدث؟ جعل الله عز وجل له هداية فأخرج الإمام أحمد وعظم قدره وانتشرت السنة وحدث ذلك.

فهنا النظر كان للأئمة في هذه المسألة هو أن صلاح الإمام بصلاح الناس. لذلك كانوا يرون بأن الدعاء لهم هذا سنة عن السلف رضوان الله عز وجل عليهم.

قلنا أيضًا هذا كله كان في النصيحة، وبينا آداب النصيحة وغير ذلك.

4-**عدم الخروج على ولاة الأمور إلا بالضوابط الشرعية**؛ أمر سنعيده لأنه من حقوق الولاة، وكنا تكلمنا عنه من قبل؛ مسألة الخروج، وهي أن من الحقوق أيضًا عدم الخروج على ولاة الأمور إلا بالضوابط الشرعية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم. فالأصل عند أهل السنة والجماعة عدم الخروج، بل لو كان منه جور أو ظلم أو حتى منكرات، فالأصل عند أهل السنة والجماعة كما بينا هو الصبر على ذلك كما جاء في حديث عبادة: **[بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ]** . إذًا هنا الأصل عدم المنازعة لأن هو جاء تصريحًا إلا ننازعهم، وجاء الرد صريحًا أيضًا من النبي صلى الله عليه وسلم: **[إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ]** .

فبعض أهل العلم تكلموا في المنازعة، ما المنازعة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها؟

فالاتفاق على المنازعة بالسيف، هذه اتفاق عليها، بل بعضهم قال ما كان من قبل السيف أي ما كان المنازعة مثلًا في القول أو بعضهم قال كما نقول بالغيبة، بالنميمة، بالمداراة، بالتنقيص منهم، وغير ذلك، بعضهم أدخل هذه أيضًا في المنازعة، وإن كانت نهايتها تكون بالقتال وبالسيف، لأن هذا أيضًا يعد من المنازعة التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا كله لابد تأخذوه في إطار؛ قلنا النصيحة واجبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وهذا فارق عن ما نقوله في الغيبة وفي النميمة وفي المنازعة وفي التنقيص وغير ذلك، هذا فارق وهذا فارق، لأن كل واحد له آدابه وله شروطه حتى لا يختلط عليكم وتظنون بأن المسألة واحدة، لكن البعض قال أن هذا جزء من المنازعة، وهذا يدخل في المنازعة.

ثم بيّن: [إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ] إذًا هناك استثناء في المسألة، وقد بينا الاستثناء واضح وهو أن يكون هناك كفرًا، وأن يكون هناك برهانًا. ولكن أيضًا أهل العلم لنضبط المسائل شرعيًا –حتى ما يدور في رؤوسكم أمرًا– نتكلم بأن أهل السنة والجماعة قالوا أيضًا هذه شروط تبين استثناء، وأيضًا قالوا لابد من انتفاء موانع. لماذا قالوا هذا الكلام؟ قالوا لأنه جاء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من استحق القتل ولم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا تحققت الشروط وأنه يُقتل ولم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء من تحققت فيه الشروط وقتله النبي صلى الله عليه وسلم كأبي حقيق اليهودي وغير ذلك، وأرسل إليه بعض الناس وقتلوه، وهناك من تحققت فيه شروط كذو الخويصرة لما قال عمر " دعني أضرب عنق هذا المنافق" أو أقتله، قال: "لا حتى لا يقول الناس أن محمدًا يقتل أصحابه".

إذًا أنا بينت؛ أن أحيانًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم جاء من تحققت فيه الشروط وانتفت فيه الموانع، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وكان فيه مصلحة للمسلمين، لما أرسل كما قلت هذا اليهودي وغيره قتلوه، وأحيانًا تتحقق الشروط ولا تنتفي الموانع فلم ينفذ النبي صلى الله عليه وسلم القتل كما في ذي الخويصرة.

هذا الذي جعل أهل السنة والجماعة أن يقولوا الشروط بينها النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج، لكن مع الشروط لابد من انتفاء الموانع أيضًا، لأننا وجدنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحققت شروط بالقتل ولم يقتل؛

فقالوا أولًا الشروط: ألا يصلوا، وترى كفرًا بواحًا ولا يقيموا الصلوات هذه شروط؛

موانع: من ذلك قالوا الممانعة في ذلك، هو أنك تصل إلى المصلحة التي تريدها، إن كان هذا يوصل بك إلى المصلحة التي تريدها فأنت حققت الشروط وانتفت الموانع، ولكن إن لم تكن تستطيع أن تصل إلى هذه المصلحة وسيكون هناك سفك دماء ويكون هناك مفاسد أعلى من ذلك بل قد لا تجد من توليه أفضل ممن كان موجودًا مثلًا – أنا أقول هذا كلام العلماء في ذلك– فهذا قالوا إذًا هناك موانع موجودة الآن عن تطبيق هذه المسألة. ولكن المسألة وضحت لنا بشروطها وموانعها وبأمورها.

هنا الحديث كنا نريد أن نقرأه مره أخرى، لكن أنا سأمر عليه، حديث (72) حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ » قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ :لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيُنْكِرْ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ " قُلْتُ لِرُزَيْقٍ : اللَّهَ، يَا أَبَا الْمِقْدَامِ لَسَمِعْتَ مُسْلِمَ بْنَ قَرَظَةَ، يَقُولُ :سَمِعْتُ عَمِّي عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ :مَا أُخْبِرْتُ بِهِ عَنْهُ؟ قَالَ ابْنُ جَابِرٍ :فَجَثَا رُزَيْقٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَحَلَفَ عَلَى مَا سَأَلْتُهُ أَنْ يَحْلِفَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ جَابِرٍ :وَلَمْ أَسْتَحْلِفْهُ اتِّهَامًا لَهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْلَفْتُهُ اسْتِثْبَاتًا .

هذا الحديث فيه بعض العبارات تحتاج أن نعرج عليها، قال: خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ طبعًا هنا يتكلم عن الأئمة؛ الإمام العادل وهو يبين النبي صلى الله عليه وسلم بأن تجد الرعية تحبه وهو يحب الرعية، يرجو لهم الخير، وهم يحبونهم، قال: وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ الصلاة هنا بمعنى الدعاء؛ تدعون لهم وهم يدعون لكم.

وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ الجملة الأولى والثانية هذه إخبارًا أم إنشاء؟ لماذا قلنا إخبارًا، لأنه لو قلت إنشاء كأنك تريد أن تقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك أن تلعنهم، وهذا خطأ بل السنة جاءت بخلاف ذلك؛ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [لا تَسُبُّوا أُمَراءَكم ولا تَغُشُّوهم واصبِروا فإنَّ الأمرَ قريبٌ] بيان وإقرار من النبي صلى الله عليه وسلم. كل ما قرأناه الآن مسطر في كتب السلف من باب كيف التعامل مع جور وظلم الأئمة، لأن الإمام العادل ليس فيه هذا الكلام، هو كل الكلام ده مع من؟ الإمام الجائر والظالم، فيبين النبي صلى الله عليه وسلم كيف التعامل فيه، فحتى السب، فنهى عن السب والغش، ثم بين أن واصبِروا فإنَّ الأمرَ قريبٌ . وأيضًا الأصل أن المؤمن ليس بالطعان ولا باللعان.

ويقصد بالأمر القريب، وأنا قلتها في سياق الحديث وقد يغيب عن بعض الناس؛ ما حدث للإمام أحمد في فتنته وفي النجاة بعد ذلك أمر تعلم كيف الله عز وجل يرفع إن أراد عن الأمة وكيف يبتلي الأمة، هم أربعة ولاة أتوا خلف بعضهم بعضًا؛ ثلاثة يقتلون ويسجنون ويعذبون، وجاء الرابع جعل الله عز وجل له الهداية فانفرجت الأمة بذلك.

الحقوق التي على ولاة الأمور:

كما بينا بأن لهم حقوق، لابد أن عليهم واجبات أو حقوق عليهم تجاه الرعية.

1 إصلاح دين الناس ودنيا الناس؛

أول واجب يجب على ولي الأمر فيه سيسأله الله عز وجل عنه إصلاح دين الناس ودنيا الناس، والدين يقدم طبعًا، الناس كلها تنظر فقط من ولي الأمر يريدون المرتبات العالية، والأسعار الرخيصة، والدنيا هادية، والتمتع بنعائم الدنيا! هذا عند

الكفار موجود، الكفار وصلوا لذلك، لكن هم كفار في النهاية، عندهم نعائم، وعندهم الدنيا موجودة، وعندهم الأموال والأعمال وكل شيء، لكن ماذا بعد! هذه ليست الوظيفة الأساسية لولي الأمر، الوظيفة الأساسية لولي الأمر هو إصلاح الدين وإصلاح الدنيا، يتعهد دنيا الناس لكن لابد له من إصلاح دين الناس.

وإصلاح دين الناس أولًا بأن يكون السماح لهم أولًا بالعبادات أصالة؛ من صلاة، وحج، وصوم، وغير ذلك- العبادات الذاتية- وأيضًا إقامة حياة الناس على دين الله عز وجل، على شرع الله عز وجل، هذا هو الأصل الأصيل الذي سيُسئَل عنه ولي الأمر، والذي يجب عليه أن يفعله مع العباد.

2 العدل بين الناس؛

الأمر الثاني العدل، من واجباته ومن حقوق الناس عليه أن يعدل بين الناس، ويحقق العدل بينهم، الله عز وجل قال:{ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} [ص:26]، الله عز وجل يخاطب نبي الله داوود؛ يأمره بالحكم والعدل بين الناس. يقول النبي صلى الله عليه وسلم:[فإنَّما أهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أنَّهُمْ كانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، ثم قال: والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَها].

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث السبعة الذين يظلهم الله عز عز وجل يوم لا ظل إلا ظله، قال:[إِمَامٌ عَادِلٌ]، فكان الوصف أنه ليس إمام فقط، إمام عادل. فمن واجبات الإمام أن يعدل بين الناس. قال الحكماء "إمام عادل خير من مطر وابل". وقال ابن تيمية- رحمة الله عليه- "إقامة حد واحد في الأرض خير من مطر أربعين سنة". الذين يتشدقون بالحدود ويقولون وحشية وعذاب وكيف نطبق! وبعضهم يقول أنت لماذا تقطع يد السارق، ما تأخذه تضعه في مصحة نفسية وتعالجه مثلًا! فلو طُبِّق حدًا واحدًا ما أحد قدم يده ليأخذ ما ليس له.

3 رد المظالم؛

كما قلنا بالعدل لابد هنا على الإمام أن يرد المظالم، وهذه حقيقة تحتاج لسلطة، أن الإمام يكون له سلطة وهي الأصل أن الإمام معه السلطة، فلابد أن يرد المظالم التي تكون بين العباد؛ هذا يغصب أرض هذا، هذا يأخذ مال هذا، هذا يتعدى على أملاك هذا، فهنا لابد أولًا طبعًا أن السلطان لا يتعدى على أموال الناس، هذا أولًا. ثانيًا أنه أيضًا يرد المظالم التي قد تكون بين الناس، هذه من واجباته ومن حقوق الناس عليه، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:[إِيَّاكم والظُّلمَ فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ].

وأول المظالم- وإن كان لابد أن أبينها أولًا- هو نشر التوحيد وإبطال الشرك. وكثير من الناس عندما يتكلمون لا ينتبهون لهذه المسألة، مع أن أصل الأصول لولي الأمر في إقامة الدين هو نشر التوحيد بين الناس، وإبطال كل ما كان فيه شرك، وإقامة السنة ورد البدعة، هذه أصول واجبات على ولي الأمر أن يقوم بها، وهذا من صلاح الدين، وأعظم صلاح للدين سيكون بالتوحيد ونبذ الشرك والقضاء على كل ما كان فيه الشرك.

أما في الأموال فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما نصح به معاذ رضي الله عنه وأرضاه لما أرسله إلى اليمن واليًا وقاضيًا ومعلمًا قال:[فإيَّاكَ وكرائِمَ أموالِهم] حتى في الزكاة وهو يأخذ الزكاة يوصيه؛ ما تأخذ من الأعلى، تأخذ من الأوسط [فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بينَهُ وبينَ اللَّهِ حِجَابٌ] من الذي يوصي من؟ النبي صلى الله عليه وسلم هنا شخصيته كشخصية القائد الأمير وهو النبي نعم، لكن كما قالوا شخصيات للنبي صلى الله عليه وسلم كما يكون قاضيًا، يكون مفتيًا، يكون معلمًا، يكون شفيعًا، هنا هو أمير الأمة، ويرسل قائد له يكون أميرًا على مكان، فيوصيه بذلك على أنه لا يتعدى على أموال الرعية، ويتقي الله عز وجل فيهم، وهذا هو الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم تصريحًا [اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بينَهُ وبينَ اللَّهِ حِجَابٌ] . فمن مهامه أنه يقيم العدل وأنه يرد المظالم، فلا تؤكل أموال الناس بالباطل، لا يتعدى على حقوق الناس، ويؤخذ أموالهم

ولا يتعدى طبعًا من باب أولى على دمائهم وعلى أعراضهم، ولا يُترَك للرعية أن يأكلون أموال بعضهم بعضًا، لا، لابد من الردع، والقضاة يفصلون في ذلك، وتكون هناك قوة تمنع ذلك.

4 الرحمة والرفق بهم؛

من أهم المعاملة بين الإمام وبين الرعية الرحمة والرفق بهم، هذه لابد أن يكون هناك رحمة ورفق بين الإمام وبين الرعية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [اللَّهمَّ مَن وَلِيَ مِن أمْرِ أُمَّتي شَيئًا فرَفَقَ بهم، فارْفُقْ به، ومَن شَقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه] . وقال الله عز وجل لنبيه:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ} [آل عمران: 159].

فانظر.. النبي صلى الله عليه وسلم يبين بأن الأصل في تعامل الإمام مع الرعية أن يرحم ويرفق بهم، ييسر عليهم، ينظر إلى حالهم، يأتي لهم بكل خير ممكن، وإذا كان الأمر فيه شدة انظر إلى عمر بن الخطاب في عام الرمادة رفض أن يأكل إلا كما يأكل الناس، وكان يؤتى له أحيانًا بطعام فما كان يأكله، قال كيف يأكل وباقي المسلمين لا يأكلون! فكان يعيش كما يعيشون، ضيق عليهم.. يضيق على نفسه، هذه هي الرحمة والرأفة واللين الذي لابد أن تكون بين الإمام وبين الرعية.

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال:[إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتَلتُم فأَحسِنوا القِتْلةَ، وإذا ذبَحتُم فأَحسِنوا الذِّبْحَ]، فهذا الإحسان مع البهائم، فلابد أن يكون من باب أولى الإحسان مع الرعية.

ختامًا في هذا الباب أقول- وقد نكون أطلنا فيه لكنه يحتاج إلى ذلك والله اعلم- أنقل لكم كلامًا من كتب السلف، أنت ما تنظر في أي كتاب من كتب السلف إلا تجد فصل يتكلمون فيه عن الصبر على جور الأئمة، هذا ليس أمرًا مستحدثًا، لكن الذين لا يقرأون هم الذين يظنون أن هذا بدعة من القول.

لذلك أنا قلت في بداية الحديث – بداية كلامنا اليوم– لابد أن نستحضر دائمًا حديث النبي صلى الله عليه وسلم:[لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بهِ]، فهنا الصبر على جور الأئمة هذه من أصول أهل السنة والجماعة، والحق أنك أنت إذا لم تصبر فأنت المصيبة أكبر، إذا لم تصبر على الجور والظلم وتقيم فيه ما جاء فيما أمرتك به السنة فأنت ستحمل نفسك ما لا تطيق وما لا تستطيع، وستحمل الآخرين أيضًا ما لا يستطيعون وما لا يطيقون.

لذلك السلف نظروا لذلك، لأنهم علموا بأن هذا الأمر هو الذي فيه الصلاح. وأنا سأنقل كلام للحجاج، وطبعًا هذا ليس اعتذارًا لأحد حتى ما يظن، نحن نبين كيف كان السلف يتعاملون مع المسألة، حتى قبل الحجاج نقول شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "وأما من وقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو أشر منه وتزيل العدوان بما هو أعدى منه فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم فيصبر عليه كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة". هو يريد أن يقول أن أكثر الناس –هو يبين حتى في زمانه، وشيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن من القاعدين، حتى لا أحد يتكلم، معلوم من هو شيخ الإسلام ابن تيمية، بل هو في الفتن كان رأسًا في فتنة التتار وكيف فعل مع التتار، ما جلس وقال إرادة كونية وإرادة شرعية لا نقوم ليس عندنا أسباب النصر! ما قبل ذلك، قام وقاتل أمام التتار وكان سببًا في إنقاذ المسلمين في ذلك الوقت، فهو من الأئمة العاملون الذين يعلمون متى يكون الجهاد ومتى لا يكون الجهاد، فليس بكلام من الأئمة الذين هم لم يُعلَم عنهم أصلًا الجهاد.

هو يقول بأن المسألة ليس كل ظلم وكل جور بل كان حتى سائغًا وغير سائغ فلابد أن تعلم بأن أكثر الناس النفوس تريد إزالة الشر لكن بشر منه، فهو يريد أن يقول لك لابد أن تنضبط في ذلك.

أنت لما بتأمر بالمعروف وبتنهي عن المنكر، ففي أحد بيفعل المنكر فتنهاه عن المنكر وبتصبر عليه، لأنك أنت تريد أن تزيل المنكر ولكن هو نفسه أنت بتصبر عليه لعله يتوب أو يرجع. لذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكَر نفسه (الفعل) لكن لا تنهى المنكِر؛ الذي فعل المنكر نفسه، أنت تنهاه عن أن يفعل، لكن ليس لك أنك تتعدى عليه. فذلك أنت بترى المنكر فبتصبر عليه وتنهاه، فهم يتركون فاعل المنكر إلا لو كان يوجد حد من الحدود سيقام، لكن أنت ليس لك تمنع المنكر نفسه أن يكون، لأن البعض يريد أن يمنع المنكر فيموِّت فاعل المنكر، يقطع له يد، يقطع له وجه يفعل له أي شئ! لا، أنت عليك أنك تمنع وقوع المنكر، وأما المنكِر نفسه هذا فأنت ليس لك فيه إلا إن كانت المسألة لها حد من الحدود أو أمور فلك سلطان على أنك تفعل ذلك.

فهو يريد أن يقول لك كما أنك تصبر في الأمر بالمعروف الذي أنت تأمره؛ كم مرة بتأمر ابنك أن يصلي ويتقاعس في الصلاة، ولا يفعل ذلك، ولا يذكر، ولا ذلك؟ كثير، ومع ذلك بتصبر عليه. وكذلك الصبر عندما ترى المنكرات موجودة فتنهى عن المنكر وبتصبر فيقول لك هذا أيضًا من المنكر، لا شك أن هذا منكر؛ الجور والظلم وفعل هؤلاء من المنكر، لا أحد يتكلم في ذلك.

لذلك نحن نقول لابد أن نفرق، لذلك الأدلة التي جاءت قال: **فَلْيُنْكِرْ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ** ، انظر.. قول النبي صلى الله عليه وسلم: **فَلْيُنْكِرْ**، وليس كما يقولون ما لك أنك تفعل شيئًا! لا، أنكر، النبي أمرك بأنك تنكر هذه المعصية لكن بضوابط الإنكار الشرعي، لكن أيضًا لا تنزع يد من طاعة. فلا نأخذ النص الأول ونترك النصف الثاني، ولا نلغي الإثنين ونأتي من عندنا بنص آخر! هذا ما يصح.

ختامًا في هذه المسألة– وطبعًا أنا أنقل الكلام، والنقل ليس بالضرورة أنه يكون موافق في كل الكلام على اطلاقه– قال الحسن رضي الله عنه:

" اعلم- عافاك الله- أن جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى، ونقم الله لا تلاقى بالسيوف، وإنما تتقى وتستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع عن الذنوب، إن نقم الله متى لقيت بالسيف كانت هي أقطع. ولقد حدثني مالك بن دينار أن الحجاج كان يقول: اعلموا أنكم كلما أحدثتم ذنبًا أحدث الله في سلطانكم عقوبة. ولقد حدثت أن قائلا قال للحجاج: إنك تفعل بأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيت وكيت! فقال: أجل، إنما أنا نقمة على أهل العراق لِما أحدثوا في دينهم ما أحدثوا، وتركوا من شرائع نبيهم ما تركوا. وقيل: سمع الحسن رجلا يدعو على الحجاج، فقال: لا تفعل رحمك الله، إنكم من أنفسكم أُتيتم، إنما نخاف إن عُزِل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير" .

الكلام طبعًا نحن ننقله تدعيمًا لأن التفصيل بيناه من قبل في هذه المسألة، لأنه الدعاء له موطن، وغير الدعاء له موطن، ولكن المسألة بالشروط والموانع. هذا كان آخر الكلام في هذا الباب.

ندخل في الباب الذي يليه، وهو أيضًا باب من الأهمية بمكان، نحن هنقرأ منه ما نستطيع.

10- بَابُ فَضْلِ الْقُعُودِ فِي الْفِتْنَةِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا وَتَخَوُّفِ الْعُقَلَاءِ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَنْ تَهْوَى مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلُزُومِ الْبُيُوتِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى

قال المصنف:

73 حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْ لَهُ، وَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»

74 -حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: أنا خَالِدٌ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، مَنِ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ»

75 -حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ قَالَ: ثنا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ رَجُلٍ كَانَ مَعَ الْخَوَارِجِ ثُمَّ فَارَقَهُمْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ وَحَدَّثَنِي جَدِّي، وَأَبُو خَيْثَمَةَ قَالَا: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ مَعَ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ فَارَقَهُمْ قَالَ: دَخَلُوا قَرْيَةً فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ ذُعْرًا، يَجُرُّ رِدَاءَهُ، فَقَالُوا لَمْ تُرَعْ؟ لَمْ تُرَعْ؟ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رُعْتُمُونِي قَالُوا: أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ حَدِيثًا يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُحَدِّثُنَاهُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي قَالَ: فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ " قَالَ أَيُّوبُ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ، قَالُوا: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ أَبِيكَ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ نَعَمْ، فَقَدَّمُوهُ عَلَى ضَفَّةِ النَّهَرِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَسَالَ دَمُهُ كَأَنَّهُ شِرَاكٌ مَا امْذَقَرَّ يَعْنِي مَا اخْتَلَطَ بِالْمَاءِ الدَّمُ وَبَقَرُوا أُمَّ وَلَدِهِ عَمَّا فِي بَطْنِهَا "

76- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: أنا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»

77 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ مَسْعُودٍ النَّجْرَانِيَّ، حَدَّثَهُ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْأَنْصَارِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ بَكْمَاءُ صَمَّاءُ عَمْيَاءُ، الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ أَبَى فَلْيَمْدُدْ عُنُقَهُ»

قلنا هذا باب جديد من بديع المؤلف بعد أن انتهى من الكلام عن الخوارج، ثم تكلم عن السمع والطاعة لولاة الأمور، وبين بأن نتج عن عدم السمع والطاعة هو الخروج، ذيل ذلك بمسألة كيف لو حدث الخروج وحدثت الفتنة، أو لم يحدث حتى الخروج وحدثت الفتنة كما حدثت في بعض أزمنة المسلمين، أو جاءت الفتنة، فكيف يتعامل المرء مع الفتنة إن حدث ذلك؟ وكأنه يبين لنا ويقرر لنا كما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الفتنة لابد ستحدث، لأن الأدلة بينت على أن الأمة ستتعرض، بل تعرضت إلى فتن متتابعة - كما سنبين- سواء من زمان النبي صلى الله عليه وسلم أو من بعد موته، أو من بعد ذلك، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث

أنواع الفتن- قرأنا بعضها الآن سنبينها- التي قد تتعرض لها الأمة، فهو يريد أن يبين لنا ما هو التعامل عند الفتن، كيف يتعامل المرء عند حدوث الفتن، فبوب هذا الباب وذكر لنا هذه الأحاديث.

الفتنة أصلها من الإختبار والإبتلاء، أصل مادة الفتنة هي ابتلاء واختبار، وهي متنوعة، أي قد تأتي للمرء فتن في الدين، وهذه أشدها، وقد تأتي فتنة للمرء في أهله، في ماله، في ولده، في أمر من أمور الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [اتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ]،وقد تكون الفتنة في أمور عدة.

لكنها الفتنة تصيب أيضًا الكفار وتصيب المؤمنين، لكن هي في الكفار عذاب ونقمة وشدة عليهم، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، أما الفتنة على المؤمنين فهي إبتلاء وامتحان واختبار؛ لأنها تكفير للسيئات أو رفعة في الدرجات، فهذا حال المؤمن مع الفتنة غير حال الكافر مع الفتنة.

أيضًا الفتنة إذا جاءت تعم ولا تخص، قال الله عز وجل:{ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ } [الأنفال:25]، لا، إن جاءت الفتنة ستأتي عامة على الناس، قال الله عز وجل:{ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ } [الأنبياء:35]، فهنا على الجمع.

كما جاءت السنة، وهذه من نبوءات النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمة ستتعرض إلى الفتن؛ في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما [أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَشْرَفَ علَى أُطُمٍ مِن آطَامِ المَدِينَةِ] أي مثل تل أو شيء وغير ذلك، [قالَ: هلْ تَرَوْنَ ما أَرَى؟ إنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ، كَمَوَاقِعِ القَطْرِ] وهو يتكلم عن خيرية الزمان ومع ذلك كأنه ينبئ، وهذه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ونبوءاته بأنه يرى مواقع الفتن في البيوت، هو طبعًا هو لا ينبئ عن ما سيكون مع أنه يتكلم في زمان هو فيه معهم، لأن في الأحاديث الأخرى النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أنا أمنةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدونَ ، وأصحابي أمنةٌ لأمَّتي ، فإذا ذهبَ

أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ] فهنا يبين لهم مواقع الفتن كمواقع القطر، في أنها ستحدث، وهذه دلالة على أن الفتن ستحدث لا محالة.

بل أيضًا جاء في الحديث في الصحيحين عن زينب بنت جحش لما النبي صلى الله عليه وسلم كان نائمًا ثم انتفض وقال:[وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه] وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فقالت له أمنا زينب رضي الله عنها:[أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ، إذَا كَثُرَ الخَبَثُ]. إذًا الفتنة ستقع.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث –سنبينه الآن حديث عمرو بن العاص وإن كان في خلاف في ثبوته– لكن الشيخ الألباني – رحمة الله عليه– قد صححه وبعض أهل العلم، ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم أنواع من الفتن، ومنها ما ذُكر هنا حتى ممكن نستدل، فالحديث نفسه فيه كلام في ثبوته، لكن في أنواع الفتن ذكر لنا فتنة الأحلاس –قرأناها الآن– وفتنة الدهيماء أيضًا هذه سنبينها، هذه كلها بينها النبي صلى الله عليه وسلم، وقبلها قال في حديث: يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، وهذه الدلالة على أن الفتنة التي تأتي تغير قلوب الناس في يوم وليلة، وقد حدث.. رأينا بأن الناس من تعرض لفتنة قد تجده صباحًا غير مساء، ومساء غير صباحًا.

فالأدلة حقيقة على الفتن كثيرة، سنذكر منها ما جاء في هذا الكتاب ومن غيره أيضًا، منها حديث المقداد بن أسود رضي الله عنه قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: [إنَّ السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، ولَمَن ابتُلِيَ فصَبَر].

أيضًا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أُمَّتي هذه أُمَّةٌ مَرحومةٌ ليس عليها عذابٌ في الآخِرةِ إنَّما عذابُها في الدُّنيا الفِتَنُ والزَّلازِلُ والقَتلُ]. وهذا يبين لك بأن النبي صلى الله عليه وسلم بين بأن هناك فتن في الدنيا، الفتن والزلازل والقتل هذا سيصيب الأمة في الدنيا، والله عز وجل سيرحمها في الآخرة فهذا كان تكفيرًا للذنوب.

أيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم:[إِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَتْ عَافِيَتُها في أولِها وإِنَّ آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلاَءٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها ثُمَّ تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضًا فيقولُ المؤمنُ هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ فيقولُ المؤمنُ هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ فمن].

ثم جاء حديث عمرو بن العاص نبينه أفضل لأنه فيه أنواع الفتن التي تنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم، ي قال عمرو بن العاص رضي الله عنه:[كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ] هذه أول فتنة؛ فتنة الأحلاس، وسميت بذلك لشدة ملازمتها للناس كالحلس، والحلس هو الغطاء أو الشغار أو الثوب الذي يكون ملازم لبدن المرء، فسميت الأحلاس لأنها ملازمة للمرء،[فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ قَالَ هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ] "هرب" أي كرار يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة، و"حَرَب" نهب مال الإنسان وأهله وتركه لا شيء له. كأن المراد من هذه الفتنة ستفقد المال والذرية والنساء، الكل يفر عن بعضه ثم يحدث "الحرب" هذا النهب الذي يكون. هذه تسمى فتنة الأحلاس.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم:[ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ] والمراد بالسراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلى السراء لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة النعم. هذه طبعًا مر بها أقوام، الله عز وجل ينعم على أقوام بنعائم، فبدلًا من أن يشكروا الله عز وجل يكثرون من المعاصي بهذه النعائم، فهذه تسمى فتنة السراء، لأنها تأتي في السراء ليس في الضراء، فهو ينعم الله عز وجل على الناس بنعائم وأموال ثم بدلًا من أن يستعملوها في مرضاة الله عز وجل يستعملوها في معاصي الله عز وجل – والعياذ بالله– فتكون هذه فتنة السراء بسبب كثرة النعم. وبعضهم قال سميت السراء لأنها تسر العدو، قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم:[دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِيَ الْمُتَّقُونَ] "دخنها" أي ظهورها، تظهر قال "من تحت قدمي رجل من أهل بيتي" هنا أهل بيتي بعضهم قال أنه يدعي من أهل البيت ولكنه ليس

على هدي أهل البيت. وبعضهم قال أن هو من أهل بيتي أي يدعي بأنه على سنتي، من هدي، وهو ليس من هدي، على التفسير عند البعض.

ثم قال:[ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ] والضلع معوج، وورك البعير ثقيل جدًا، "فيصطلح الناس على رجل" فيها تشبيه، الرجل الذي يصطلحون عليه كأنك تضع ورك ثقيل على ضلع سينكسر، مثال على أن هذ لن يستقيم هذا الصلح، صلح ضعيف ليس بصلح قوي، أي تستقر للناس ولاية فيها صلح لكن هذا الصلح لا ينهض على أن تقوى إليه، فيه وهن وفيه ضعف.

ثم قال:[ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ] إذًا بعد الأحلاس والسراء فتنة الدهيماء، قال سميت فتنة الدهيماء وهنا ممكن ترجع للحديث (77) لما قال: سَتَكُونُ فِتْنَةٌ بَكْمَاءُ صَمَّاءُ عَمْيَاءُ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ ، وقبلها في (76) قال: أَحْلَاسَ. وهذا الحديث حديث عمرو بن عاص "الدهيماء" شدة الحلوك وشدة السواد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:[لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ] كلما ظن الناس أنها انقشعت استمرت- أسأل الله أن يعيذنا من ذلك.

ثم قال:[يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ فَإِذَا كَانَ ذَا كُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ] لأن هذه آخر فتنة من الفتن التي فيها ما فيها من الشدة على أهل الإسلام.

هذه الفتن قلنا لها حقيقة لها صور كثيرة؛ أي حدثت الفتن على صور كثيرة بعضها كان قليلًا مثل ما حدث في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع أهل المدينة صوتًا عظيمًا جدًا، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ فرس أبو طلحة ورجع قبل أن يقوم الناس قال لا عليكم وجدناه بحرا؛ على الفرس، هذا كان لا يمشي أصلًا والنبي ركبه فقال "وجدناه بحرا"، فذهب وكانت فيها ذعر كبير لأهل المدينة في زمانهم.

أيضًا فتنة من أشهر الفتن؛ فتنة حادثة الإفك، لأن حادثة الإفك حدث فيها ما حدث من وقوع بعض الصحابة الكرام في هذا الأمر، والنبي صلى الله عليه وسلم نفسه

جلس شهرًا لا ينزل عليه الوحي فيه، فكان أمرًا شديدًا، وكان لا يعلم النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يفعل فيه حتى نزلت براءة السيدة عائشة من فوق سبع سماوات، فكانت فتنة وقع فيها ما وقع من الصحابة؛ وقع فيها حسان بن ثابت، وقع فيها مسطح أيضًا وحمنة بنت جحش أخت زينب، فقلت هذه فتنة لا شك بأنها فتنة حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا بعد ذلك فتنة موت النبي صلى الله عليه وسلم، لأن لما حدث عمر بن الخطاب ما تحمل وبعض الناس ما استطاعوا، فلا شك أن موت النبي صلى الله عليه وسلم فتنة عظيمة، الناس فيه ما فيه من ما حدث، الدليل أن العرب ارتد منهم من ارتد بعد ذلك، فكانت فتنة عظيمة وقف فيها أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه وقام فثبت الناس وألقى عليهم قول: "من كان يعبد محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت"، وتلى عليهم قول:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ} [آل عمران:144]،

فقال عمر كأني لم أسمع هذه الآيات من قبل، فجثى على ركبتيه، فكانت فتنة شديدة جدًا، لكن تصدى لها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

أيضًا فتنة الردة، وهذه الفتنة كانت عظيمة لما ارتد من ارتد من العرب بعد ذلك حتى لم تكن تقام الصلوات إلا في المسجد الحرام والمسجد النبوي وفي البحرين، قالوا ذلك، وارتدت العرب. من وقف لذلك؟ وقف أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه وناقشه الصحابة، وناقشه عمر في هذا القتال، وهذه من المناصحة التي كنا نتكلم عنها أو المناقشة أيضًا، ناقشوه في ذلك، ومع ذلك رأى أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه أن يسير الجيوش لإخماد هذه الفتنة، وقد حدث ما حدث.

ثم أيضًا حدثت فتنة قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، أيضًا قُتل على يد أبو لؤلؤة المجوسي وكان هذا أمرًا شديدًا على المسلمين، كما سأل عمر عن حذيفة قال في مجلس قال أيكم من يحفظ أحاديث الفتن عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال حذيفة أنا، فقال أنك لعليها لجرئ، أي ما الذي جرأك؟ قال اذكر، فقال

فتنة الرجل في ماله وولده، فقال ما عن هذا أسأل، قال أسأل عن الفتنة الجراء، قال ما لك وما لها يا أمير المؤمنين؟ قال بينك وبينها باب، فقال يغلق أم يكسر؟ قال يكسر، قال إذًا لا يغلق أبدًا، فسأل الرجل حذيفة أكان يعلم عمر من هو الباب؟ قال نعم إني لأحدثه حديثًا يعلم معناه، والباب كان عمر، فلما قُتل عمر كُسر الباب، ومن بعد كسر الباب لم يغلق، لأن حدث بعدها التجرء على عثمان رضي عنه وأرضاه وقتل عثمان، وهي فتنة أخرى بعد ذلك وهو مقتل عثمان ذو النورين.

ثم بعد ذلكك فتنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه مع ما حدث مع معاوية ثم فتنته مع الخوارج بعد ذلك.

فهذه كلها فتن حدثت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، ثم من زمان الصحابة بعد ذلك، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الفتن -كما قلنا- ستقع، قال:[**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعةِ سِنِينَ خَدَّاعةً، يُكَذَّبُ فيها الصَّادِقُ، ويُصَدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُخانُ فيها الأمينُ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائِنُ، ويَتَكَلَّمُ فيها الرُّوَيبِضةُ. قيلَ: وما الرُّوَيبِضةُ؟ قال: الفُوَيسِقُ يَتَكَلَّمُ في أمرِ العامَّةِ**] وهذه فتن نحن نعيشها الآن، نحن تكلمنا عن الفتن التي ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ستحدث، ، وفتن حدثت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة، هذه من الفتن التي نبأنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نعيشها الآن، الروبيضة هؤلاء موجودون بيننا الآن الذين يتكلمون ويخرجون على الناس، ويخالفون إجماعات واتفاقات الأمة، ويتكلمون في مسائل ويأتون بأقوال شاذة في ذلك ويلبسون على الناس، هذه من الفتن التي نحن نعيش فيها في هذه الأمة.

ثم أيضًا من الفتن قول النبي صلى الله عليه وسلم في معلقات البخاري:[**ليكونَنَّ من أمتي أقوامٌ يستحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ**]، هذه أيضًا من الفتن التي نعيشها الآن، الحر (الزنا) يقول لك حرية شخصية مادام هو موافق وهي موافقة ليس لك أنك تمنع – والعياذ بالله نبرأ إلى الله من ذلك- هذا استحلال، يغيرونها بغير اسمها، تجد القائمة مشروبات روحية، هي المشروبات الروحية خمور لكن يسمونها

بغير اسمها بدل ما يقول خمور، الخمور صعبة نوعًا ما، نجعلها مشروبات روحية، حتى أيضًا انظر اللفظ كأن الروح ستسمو، تروِّح عن الروح، وهي ستأتي بالروح إلى أسفل سافلين! الربا ما يسمى ربا، الآن مسمى عوائد، استثمار، ودائع، ادخار، تكاليف،... أي شيء، لا يمكن أن تقول لفظ "الربا"! لا يوجد، أنت ارجع لأي أحد الآن قل أين الربا؟ لن تجد، لا يقول لك شيء فيه ربا، حتى القرض والذي هو أصل الربا– الذي هو الزيادة– يقول لك لا، هذا استثمار، أنت لماذا بتسميه ربا؟ هو الآن المال هذا أنت ستأخذه مني الآن وتعطيه لي بعد خمس ثلاث أربع سنوات، هذا ظلم، أنت هكذا بتظلمني لو أنت ستعطيني المال مثل ما هو. فانقلبت المسألة! بأن هو يرى بأنك أنت أصبحت ظالم الذي بتأخذ منه القرض – لو كان قرض حسن– أنت الآن ظلمتني أخذت مني مائة ألف وسترجعهم بعد سنة مائة ألف فهذا ظلم ، إذًا أنا من حقي أني آخذ الزيادة. استحلال وتغيير بغير الإسم! وهذا ليس بربا قاموس الربا انتهى، في الاقتصاد عندهم ما في هذا الكلام. وخد عندك..

الرشوة الآن بيسمونها محسوبية، إكرامية، الشاي! غيروا الاسم مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ والمُرتَشِيَ] لكن لا توجد رشوة الآن، لا، هذه تيسير مصالح! ورجل يستحل لنفسه ذلك أن يأخذ هذا المال. هذه كلها من الفتن المعاصرة التي حدثت في زماننا، ونقول هي موجودة الآن.

نقف عند هذا القدر لأن الصور في المسألة كثيرة أيضًا، لعل بعض الصور التي نبه عنها النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النساء وقلة الرجال، قال:[لا تَقومُ السَّاعةُ حتى يُرفَعَ العِلمُ، ويَظهَرَ الجهلُ، ويَقِلَّ الرِّجالُ، وتَكثُرَ النِّساءُ، حتى يَكونَ قَيِّمَ خمسينَ امرأةً رجُلٌ واحدٌ] طبعًا رفع العلم موجود، [إنَّ اللَّهَ لا يَنْتَزِعُ العِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العُلَمَاءَ] وهذا نعم انظر الآن فالعالم الذي يموت لا يأتي مثله، والعلماء في ندره وفي قلة، فنزع العلم وانتشار الجهل هذا موجود، وكثرة النساء حقًا نعم مع كثرة الرجال، حتى في مصر عندنا الآن الإحصائيات تقول ذلك، فهذه أيضًا من الفتن التي نبأ عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

وأخيرًا أنا أختم بهذه لأن جاءت مناسبة الآن لما يُروَّج له أن يُفعَل في ما تسمى ليلة رأس السنة عند الكفار، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم:[إِنَّ بين يَدَيْ السَّاعَةِ الهَرْجَ] وهذه نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الهرج سيكون بين يدي الساعة.

والهرج عند تعريفات بعض أهل العلم بمعنى "القتل"، وأيضًا الهرج يأتي بمعنى "الفتن" لأن هذا هو المقصود هنا، لأن في حديث آخر: [الْعِبادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ] والمقصود هنا بالهرج وتفسير ابن مسعود- وأنا أقول هو تفسير ابن مسعود- أن "الهرج يقصدون الفتنة وانشغال الناس في زمن الفتن وتضاربهم واختلافهم على بعضهم البعض" . فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول أن في هذا الزمن – وهو زمن الهرج- العبادة فيها والثبات عليها ثواب عظيم، لماذا؟ لأن الناس في زمن الفتن لا يقفون على حال، يختلفون، يتضاربون، فهنا يقول[بين يَدَيْ السَّاعَةِ الهَرْجَ] . فأولًا الهرج جاء بمعنى القتل، والهرج جاء بمعنى الفتن، فلذلك جاء الحديث الآخر: [الْعِبادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ] طبعًا الهرج وهو القتل هذه من علامات الفتن.

والبعض قال- وللأسف هذا استنباط خاطئ ومع أنهم بعضهم من طلبة العلم الذين يقولون هذا الكلام –على أنهم يقولون بأن هذه الليلة يفضل فيها العبادة على أنها من الهرج؛ ليلة الحادي والثلاثين! وهذا كلام ما يصح، هذا استنباط ضعيف جدًا، لأن الحديث ليس في تخصيص ليالي، الحديث بيتكلم عن الهرج "الفتن"- في زمان الفتن- وزمان الفتن هذا لا يخص بليلة، ولا يخص بشهر، فعندما يأتي زمان الفتن الذي يختلف فيه الناس، هو أصلًا أحد الروايات كما قال ابن مسعود أن الهرج بمعنى القتل، والهرج أيضًا بمعنى زمن الفتنة، فزمن الفتنة الآن هو فقط في يوم الحادي والثلاثين! ما علاقة أن تكثر المعصية في هذا اليوم حتى تسميه هذا فتنة! هذا خطأ في الاستدلال. فتقول بأننا نطيع الله في هذه الليلة ونعبد الله ونقوم الليل لأن هذه عبادة في الهرج! من أين هذا الاستنباط بأن القيام في هذه الليلة له فضل؟! ومن قال لك أن هذا يسمى هرج! هل كثرة المعاصي في اليوم هل هذا يوجد اختلاف فيه! هل عند المسلمين في اختلاف! نحن نتكلم عن المسلمين الآن، هل هذا في هذه الليلة

تعتبر فتنة من زمن الفتنة؟ أم الفتنة هو الزمن الذي يحدث فيه اختلاف، قتل بين الناس أو اختلاف أو فيه تعارض في مسائل معينة. لكن أنت تأتي العام كله ثم تأتي في الليلة هذه وتقول أن الليلة هذه من الهرج! من أين هذا الاستنباط! من أين هذا القول! من عند أحد من السلف أنه كان يخص الليالي التي بيحتفلوا بها المشركين أو الكفار أو النصارى، فيدعو الناس إلى طاعة الله فيها! أنت دخلت في إشكالية، بدعة ثانية، لأنك جعلت أن هذه الليلة الطاعة فيها مميزة، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك، قال [الْعِبادَةُ فِي الهَرْجِ] أي في زمان الفتن. فأنت حث الناس على العبادة في كل الوقت، لو نحن في زمن فتنة الآن إذًا لا تأتي وتقول لهم في الليلة هذه قوموا صلوا، قل لهم صلوا نحن في زمن الفتنة والعبادة في هذا الزمن أفضل شئ، ولا يشترط أنك تقول له الليلة التي بيتم فيها المعاصي تقول له قم فصلي وقم الليل، وتدعو الناس إلى ذلك!

فهو بعضهم يقول هذا عموم، "عبادة في الهرج" عام، نقول له يا أخي هذا عام مخصوص، ليس عام على اطلاقه، مخصوص بماذا؟ بفهم الصحابة للهرج، ولن نقول القتل فقط لأن بعض الألفاظ هو القتل، لا، سنقول القتل نعم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [بين يَدَيْ السَّاعَةِ الهَرْجَ] القتل، لا، نقول الهرج أيضًا هو الفتنة، والفتنة هو اختلاف الناس – كما قال ابن مسعود– وتضارب الناس. إذًا هذا الزمن عندما نصل إليه هو الذي العبادة فيه أفضليه، لكن ليس في 24 ساعة في كل سنة تدعو الناس أنهم يقومون هذه الليلة! أنت جرتهم بذلك لبدعة أصلًا.

هذه ارجئت في ختام الكلام عن الفتن في الهرج، وننبه إليها لعل ندرك بعض الأخوة الذين يرون أن من الإستحباب والفضل أن يقومون في هذه الليلة، أقول هذا ليس له في أصل. إن شاء الله الأسبوع القادم نتكلم عن كيف الخروج، والعصمة من الفتن، وهذه إن شاء الله نرجئها للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الحادية عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع لقاء جديد من شرح كتاب الشريعة للإمام الأجري – عليه رحمه الله تعالى– ما زلنا في **بَاب فَضْلِ الْقُعُودِ فِي الْفِتْنَةِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا وَتَخَوُّفِ الْعُقَلَاءِ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَنْ تَهْوَى مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلُزُومِ الْبُيُوتِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى.**

كنا قد بدأنا في هذا الباب الأسبوع الماضي، وتكلمنا عن الفتن، وتكلمنا عن أنواع الفتن التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث التي رويت عنه،

وأيضًا بعض الفتن التي تنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم ووقعت في بعض الأزمنة التي نحن فيها، كلها أنواع سواء كانت فتن من الفتن الكبيرة التي من علامات الساعة، أو من الفتن التي تنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها ستحدث في بعض الأزمنة دون البعض. كل هذه قد بيناها.

واليوم إن شاء الله نكمل الباب، ونبين كيف الخروج والعصمة من الفتن، لأن الأحاديث التي معنا في الباب فيها إشارات وفيها أمور قد بينت كيف ينجو المرء من هذه الفتن إذا وافق وجوده فيها أو كان في الزمان التي فيها هذه الفتن، فكيف يخرج من الفتنة، أو كيف يعصم نفسه من الوقوع في الفتنة. هذه إن شاء الله نبينها اليوم وندخل بعد ذلك إن تيسر إن شاء الله على الباب الذي يليه.

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

78-وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ :حَدَّثَنَا أُسَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: أَخْبَرَنَا قَيْسٌ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ وَعَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَتَقَارَبُ الْفِتَنُ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ كَرِهَهَا، وَلَمْ يَأْخُذِ الْمَالَ، فَإِنْ أَخَذَ الْمَالَ فَهُوَ شَرِيكُهُمْ فِي الدِّمَاءِ وَغَيْرِهَا»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: قَدْ ذَكَرْتُ هَذَا الْبَابَ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ ذَكَرْتُ هَاهُنَا طَرَفًا مِنْهَا؛ لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَحْتَاطُ لِدِينِهِ، فَإِنَّ الْفِتَنَ عَلَى وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ مَضَى مِنْهَا فِتَنٌ عَظِيمَةٌ، نَجَا مِنْهَا أَقْوَامٌ، وَهَلَكَ فِيهَا أَقْوَامٌ بِاتِّبَاعِهِمُ الْهَوَى، وَإِيثَارِهِمْ لِلدُّنْيَا، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّعَاءِ، وَالْتَجَأَ إِلَى مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، وَخَافَ عَلَى دِينِهِ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ، وَعَرَفَ

زَمَانَهُ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْوَاضِحَةَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، وَلَمْ يَتَلَوَّنْ فِي دِينِهِ، وَعَبَدَ رَبَّهُ تَعَالَى، فَتَرَكَ الْخَوْضَ فِي الْفِتْنَةِ، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ يَفْتَضِحُ عِنْدَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُحَذِّرٌ أُمَّتَهُ الْفِتَنَ؟ قَالَ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا»

79- حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّقْرِ السُّكَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: ثنا الْوَلِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي السَّائِبِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ»

80 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ الْمُجَدَّرِ قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ الذيلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ الرَّجُلُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»

81- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ قَالَ: أنا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنِ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَاهِبٌ: يَا سَعِيدُ فِي الْفِتْنَةِ يَتَبَيَّنُ لَكَ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى، وَمَنْ يَعْبُدُ الطَّاغُوتَ

82- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَالْهِجْرَةِ إِلَيَّ»

هذه الأحاديث التي قُرِئت علينا الآن يبين فيها النبي صلى الله عليه وسلم أولًا فيها إثبات وقوع الفتن، ويبين حال الناس في الفتن؛ كيف ينجو المرء من هذه الفتن، وكيف يعصم نفسه أصالة من الوقوع فيها، وإذا قدر الله عز وجل عليه أن يوجد في زمان الفتن فما الذي يفعله.

عدة أحاديث وردت بين فيها النبي صلى الله عليه وسلم كيفية الخروج من الفتن، ولا شك أن أول هذه الأسباب التي يخرج بها المرء من الفتن هو لزوم كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي أمور الفتن نجاة المرء لا تكون إلا بالإلتزام بكتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولنا في حذيفة رضي الله عنه وأرضاه قدوة في هذه المسألة، كما جاء في الحديث المشهور عنه قال: [كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إِمَامٌ؟ قالَ: فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ]، وفي رواية: [إن كَانَ للهِ خليفةٌ في الأرضِ، فَضَرَبَ ظَهرَكَ وأَخَذَ مالَكَ فأَطِعْه، وإلَّا فمُتْ وأنتَ عاضٌّ بجِذْلِ شجرةٍ. قلتُ: ثُمَّ

مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يخرُجُ الدَّجَّالُ معه نَهَرٌ ونارٌ، فمن وقَعَ في نارِه وَجَبَ أجرُه، وحُطَّ وِزْرُه، ومَن وقَعَ في نَهَرِه وَجَبَ وِزْرُه، وحُطَّ أجرُه. قَالَ: قُلتُ: ثم ماذا؟ قال: ثم هي قيامُ الساعةِ].

فالشاهد من هذا الحديث أن حذيفة رضي الله عنه وأرضاه كان حريصًا على معرفة ما قد يأتيه من فتن، ويسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماذا يفعل، وهذا الذي نريده من الحديث.

وطبعًا الحديث فيه ما فيه من الفوائد في مسألة حدوث الفتن، لكن الشاهد بالإتيان بهذا الحديث أن حذيفة رضي الله عنه وأرضاه كان يحرص على أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا سيفعل في الفتن، فكان يريد التعلم، يريد القدوة من النبي صلى الله عليه وسلم، فيسأله عن العلم والمعرفة، وهذا الذي على المرء أن يتحلى به في هذا الزمن، بأنه حتى يستطيع أن يلازم الكتاب والسنة عليه أن يتعلم، عليه أن يكون من أهل العلم وأهل المعرفة.

وانظر إلى الحديث الذي قرئ في (79) حديث أبي أمامة قال: **سَتَكُونُ فِتَنٌ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ**. وهذه القيد مهم جدًا، الحديث طبعًا هو أصلًا عند ابن ماجه في السنن، فهنا هذا قيد مهم جدًا يبين لك بأن العلم يمنع المرء من الوقوع في الفتنة، وهذا كان حرص حذيفة أن يتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يفعل إن أدرك ذلك.

الوسيلة الثانية التي تنجي المرء في زمن الفتن هو العبادة والأعمال الصالحة؛ أن يكثر المرء من العبادة ومن الأعمال الصالحة في أوقات الفتن، لأن الناس ينشغلون في أوقات الفتن بالاختلافات وبالنزاعات ولا ينشغلون بالعمل الصالح، لأن كل واحد منهم يريد أن يدافع عن إما فكرة، أو اعتقاد، أو غير ذلك، فتجده لا يسارع أو لا يكون له من الأعمال الصالحة ومن العبادات كما جاء من حديث أبي

ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الفتن قال: [إنَّ من ورائِكم أيامَ الصبرِ، الصبرُ فيهن مِثْلُ قَبْضٍ على الجَمْرِ، لِلْعامِلِ فيهن ...] انظر.. هنا الشاهد: العامل في أوقات هذه الفتن [لِلْعامِلِ فيهن مِثْلُ أَجْرِ خمسينَ رجلًا يعملونَ مِثْلَ عملِكم] أي مثل عمل من؟ الصحابة، حتى أن الصحابة ظنوا بأن النبي وهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:[أَجْرُ خمسينَ رجلًا منهم ؟] أي الذي يعمل عمل صالح في زمن الفتنة النبي صلى الله عليه وسلم قال له أجر خمسين منكم، فقالوا [منهم ؟] أي الذي بيعمل هذا العمل هيأخد أجر خمسين منهم، من زمانهم، قال: [أَجْرُ خمسينَ رجُلًا مِنْكُمْ] وانظر.. من الصحابة، وهذا إن دل دل على أن العمل الصالح والعبادة في أوقات الفتن لها من الأجور العظيمة جدًا، حتى أن العمل يصير إلى أجر خمسين عمل من الصحابة، وما أدراك ما أعمال الصحابة فيها ما فيها من الإخلاص والمتابعة وغير ذلك.

ومنها أيضًا الحديث الذي جاء في الباب الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَالْهِجْرَةِ إِلَيَّ ، هذا أيضًا يوافق ما قلناه، وهذه وسيلة من وسائل العصمة من الوقوع في الذلل في الفتن؛ بأنك تلجأ إلى العبادة والأعمال الصالحة.

وقد بينا إشارة الأسبوع الماضي عن هذا، جاء معنا تصريحًا هنا على أن المقصود العبادة في الهرج أي العبادة عند الفتن وكثرة الاختلاف وكثرة الآراء والأهواء، وقالوا فضل العبادة في ذلك أن الناس يغفلون عنها، وينشغلون عنها، ولا يتفرغ لهذه العبادة إلا بعض الأفراد فقط.

والهرج في روايات أخرى جاء بمعنى القتل، والقتل فيه الفتنة لكن هناك معنى دقيق أخص الذي هو القتل ومعنى أوسع بأن في زمن القتل هذا هو زمن الفتنة، فهو لماذا بيحدث القتال؟ لأنه هناك فتن موجودة، فهذا معنى أعم، وهذا موجود عند الشُرَّاح، فلا تقيد فقط وتقول بأن الهرج هو القتل فقط، فالقتل هو من نتائج الفتنة، لكن نقول أن الفتنة موجودة. فنقول هنا العبادة في الهرج هنا أي في زمن الفتن التي تنشغل فيها الناس بالأقوال والمنازعات وغير ذلك، ولا ينشغلون بالعبادة، فكان

هذا الأجر كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم هنا أيضًا في حديث معقل بن يسار الذي ذكر في الباب أيضًا.

وأيضًا جاء من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وأرضاه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معه فشبك النبي صلى الله عليه وسلم أصابعه فقال: [يَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرٍو كيفَ بكَ إذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ] أي صارت أمورهم متداخلة، [قال: قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، كيف ذلك؟ قال: إذا مرِجَتْ عهودُهم وأماناتُهم، وكانوا هكذا] أي تداخلت [وشبَّكَ بين أصابعِهِ] وبين لهم بأنه قد تداخلت العهود والأمانات[وشبَّكَ يُونسُ بين أصابعِهِ] وهو راوي الحديث، [قال: قُلتُ: ما أصنَعُ عندَ ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قال: اتَّقِ اللهَ عزَّ وجلَّ، وخُذْ ما تَعرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعليك بخاصَّتِكَ، وإيَّاكَ وعَوامَّهم].

أولًا أوصاه بتقوى الله، وتقوى الله لابد حتى تأتي أن المرء ينشغل بما أمره الله عز وجل، ويبتعد عن ما نهاه عنه،[وخُذْ ما تَعرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعليك بخاصَّتِكَ، وإيَّاكَ وعَوامَّهم] وهذه طبعًا فيها العزلة وغير ذلك من هذه الأمور، فهذه أيضًا من الأسباب؛ أن يتجنب فيها المرء، أن يكثر من العبادات؛ يلزم العبادات، يلزم الطاعات، يلزم العمل الصالح، لا يشغل نفسه بما يدور حوله من الخلافات بين الناس في هذه الأزمنة.

وأيضًا منها ما بين فيها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث (78) عندكم الذي قال فيه: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا وقبلها حديث (77) الذي قال فيه: سَتَكُونُ فِتْنَةٌ بَكْمَاءُ صَمَّاءُ عَمْيَاءُ، الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ أَبَى فَلْيَمُدَّ عُنُقَهُ فهذه أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم يبين بأن تجنب الفتن هذه هو الأصل في زمنها، فَرَّق بين القاعد غير الماشي غير المضطجع غير المنعزل، وهذه تبين لك أنك تتجنب ذلك.

وأيضًا من حديث حذيفة الذي قلناه النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "من بعد الخير شر"، وقال "أئمة مضلون"، فقالوا إذًا هنا اتباع الأئمة المضلين هذا من الوسائل التي توقع المرء في الفتن، لذلك من النجاة في الفتن تجنب الأئمة الذين يضلون الناس، أي مما ينجي المرء في الفتن أن يتجنب الأئمة المضلين الملبسين على الناس، وما أكثر ما هم فيه في زماننا هذا، ويكثرون أكثر في أوقات الفتن. إذًا مما ينجي المرء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة أنه يبعد عن هؤلاء، فلا بد له من الحذر كل الحذر من هؤلاء الأئمة، وألا يتبع إلا قول الأئمة المتقنين علمًا أصحاب الدين والثقة وأصحاب التقى والورع، فهؤلاء الذين يجب على المرء أن يتبعهم حتى ينجوا.

وسيأتي حديث لا أريد أن أكرره؛ في الباب الذي سيأتي معنا القادم عن معاذ، الحديث هو قول لمعاذ يبين فيه اتباع الأئمة المضلين وغير ذلك، لكننا نبين أن من أسباب تجنب الفتن الحذر من الأئمة المضلين الملبسين على الناس.

بعض الصور في كيفية الخروج من الفتن:

نبين صور حدثت في كيف كان الخروج من الفتن بين الصحابة الكرام عندما حدثت، وبعد ذلك في أزمنة أخرى في التاريخ الإسلامي، فيها الرجوع للأسباب التي قد بيناها.

منها عصمة الأمة في زمن أبو بكر، في فتنة الردة لأن حدث ما فيها، ارتد كثير العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت فتنة لا شك في ذلك، وحدثت المناظرة بين أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه وبين عمر والصحابة، وأبو بكر هنا تمسك – لأن هذه فتنة– تمسك بالكتاب والسنة، قال:[**وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ**] وذكر الآيات في ذلك، فحتى عمر الذي كان يخالفه كيف تقاتل من قال لا إله إلا الله وبين له، فهنا تمسُك أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه بالكتاب وبالسنة، جعل الأمة تُعصَم من مسألة الوقوع في فتنة الردة، وانشرح صدر عمر والصحابة ووافقوا أبو بكر، وهذه كانت فيها بيان على لزوم المرء بالكتاب

والسنة، ولا يفارق الكتاب والسنة مع العلم طبعًا، لأن أبو بكر علم ما جهلوه هم في هذا الوقت، دل ذلك على أن كانت العصمة بالكتاب والسنة وبعلم الإمام في هذا الوقت، أو العالم الذي ينجي الأمة من ذلك.

أيضًا ما حدث في فتنة الخوارج في زمن علي، من الذي نجى ثلث الخوارج من المهلكة؟ ابن عباس رضي الله عنهما لما ذهب يناظرهم ناظرهم بالعلم، ما ناظرهم إلا بالعلم، وبين لهم الحجج والشبهات التي عندهم وأبطلها، فرجع الثلث معه، فكان أيضًا هنا يبين لك بأن الارتكاز والرجوع لأهل العلم في الفتن هو الأصل الأصيل، لكن أنت لما تحيد أهل العلم في زمن الفتن والرويبضة يتكلم، أو عوام الناس، أو عوام طلبة العلم، أو أنصاف طلاب العلم، ولا تسمع لأهل العلم وتُجنبهم حتى لو كنت اختلفت معهم في بعض المسائل لكنك تعلم أن هؤلاء هم أهل العلم، فلابد أنك تركن وترجع إليهم، وتسألهم.

تجنيب هؤلاء ينذر بخراب شديد ويعني فتن عظيمة جدًا لأنك ستلجا لمن؟ من الذي سينير لك الطريق إلا أهل العلم الذين أعطاهم الله عز وجل العلم ليبينوا للناس في زمن الفتن؟ فهذا هو الإشكال. ولذلك أنت تعلم عندما يبدأ الناس في ترك أقوال أهل العلم، وهم ينتشرون يبحثون ويتكلمون ويأتون بأشياء من بطون الكتب، وهو لم يتأصل علميًا، اعلم أن الأمة في خراب، وأنها لن ينعدل لحالها. لكن متى التف الناس حول أهل العلم، وسمعوا ما يقولون لهم، وانضبطوا بضوابط العلم، تعلم أن الأمة إن شاء الله تكون في مخرج من هذه الفتن.

أيضًا ما حدث في زمان شيخ الإسلام ابن تيمية ، في التتار، فتنة كانت عظيمة جدًا، والتتار كانوا استباحوا الدماء والأموال وأراضي المسلمين، من الذي قام وانبرى لهذه الفتنة؟ شيخ الإسلام ابن تيمية قام وتصدى لذلك وهو الذي جاهد بعلمه وبسلاحه، والتم حوله أهل الإسلام، فالتموا حول عالم مجاهد، وعالم رباني، فكان لهم النصر، وكان له الأثر البالغ في وقف هذه الفتنة العظيمة جدًا في زمنه.

وقبلها الإمام أحمد رحمه الله تعالى ورضي الله عنهم جميعًا- ويجوز الترضية عنهم أحيانًا- بأن من الذي صد فتنة خلق القرآن؟ هو الإمام أحمد بوقوفه بعلمه، وبتقواه، وشدته في ذلك، فالله عز وجل عصم الأمة في هذا الوقت بفعل الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن.

فانظر.. من هؤلاء؟ هم أهل العلم، الذين الله عز وجل جعلهم أسباب لأنهم ينيروا للناس الطريق، ويحفظوا الناس من الوقوع في الفتن، فالرجوع إلى أهل العلم في ذلك، وهذه صور معاصرة تبين لك كيف كانت النجاة من ذلك.

وفيها أيضًا قصة نختم بها قبل أن نبين مسألة اختلف فيها أهل العلم؛ في مسألة موقف المرء في الفتن، ماذا يفعل تحديدًا، لأن في خلاف بين أهل العلم هل يقف مع أهل الحق أم يدخل بيته ولا يفعل شيء، قبل أن نبين، أيضًا نبين لك كيف أن الصحابة الكرام- وهذه توطئة للمسألة التي سنتكلم عنها- ما حدث بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فجاء رجل كان حج البيت ورأى ابن عمر - رجل في الصحيح من أهل مصر لأن في بعض من أهل مصر خرجوا في هذه الفتنة؛ في فتنة قتل عثمان- فحج البيت ورأى ابن عمر، فقال هل من قريش؟ قال هذا الرجل من قريش، وكان عبد الله بن عمر، قال من الشيخ؟ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال يا ابن عمر إني سائلك عن ثلاثة أشياء فأجبني، قال سل، قال هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال نعم، قال تعلم أن عثمان لم يكن يوم بدر؟ قال نعم، قال هل تعلم أن عثمان تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال نعم، فقال رجل: الله أكبر، هو ظن بأنه إقرار من ابن عمر على ذلك، فقال الله أكبر، وهو كان من الخوارج، فقال تعال أبين لك، قال فأما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عز وجل قد عفى عنه وعفى عن المؤمنين جميعًا يوم أحد وغفر لكثير من الصحابة فرارهم يوم أحد، الله عز وجل قال ذلك، {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ } [آل عمران:155]، هذه الأولى.

ثم قال فأما يوم بدر فقال كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدر، وهذا نص من النبي صلى الله عليه وسلم بالرضا عن فعل ذلك، إن لك أجر رجل ممن شهد بدر، وسهمه أيضًا، قال ذلك.

وأما بيعة الرضوان فقال لو كان هناك أحد أعز عند النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان ما أرسله إلى بطن مكة في هذا الوقت، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أرسل عثمان إلى بطن مكة ليعقد صلحًا أو يتكلم، فهو لما تأخر أشيع أنه قُتِل، فحدث ما حدث في بيعة الرضوان أن النبي طلب البيعة ليقاتلوا، فلما حدثت البيعة وكان هو أرسله، أعز ما كان عنده يرسله إليهم، ثم لما حدثت بيعة الرضوان رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده اليمنى يده الشريفة وأخذ يده اليمنى وأخذ بيده الأخرى وقال هذه يد عثمان، فضرب بها على يده قال هذه لعثمان، أي كأن عثمان بايع في بيعة الرضوان، فقال له ابن عمر اذهب بها الآن ومن معك.

من الذي رد ذلك؟ ابن عمر، عِلْم يكون عند الصحابة فيقف لهؤلاء فيردون على هذه الشبهه التي تكون عندهم، لأن الخوارج كانوا يطيرون بما فعلوه بعثمان ويقولون بأنهم فعلوا ما كان فيه خيرًا.

وأنا أردد دائمًا ما قال حذيفة: (لو كانت العرب أصابت بمقتل عثمان لحلبت بعده لبنا، ولو كانت العرب أخطأت بقتل عثمان لحلبت بعده دما) وقد ما حدث ما حدث.

موقف المسلم عند الفتن:

تبقى لنا مسألة في هذا الباب نبينها؛ وهو خلاف العلماء في موقف المسلم عند الفتن، ما أقصد في موقفه ماذا يفعل، بيّنا، النبي صلى الله عليه وسلم قال له، لكن الخلاف كله هل يقف بجانب الحق ويدافع؟ أم ينحاز ولا يقف بجانب الحق ويدخل بيته أو لا يفعل شيء؟ هذا هو الخلاف الذي نقول. الخلاف مقسم أولًا في

المسألة هذه؛ هل وجوب النصرة وأن يقف بجانب الحق؟ أم لا يجب عليه والأولى له أن يدخل بيته ويترك سلاحه ولا يفعل شيء ويظل؟

ثم الذين قالوا بالقول الثاني حدث بينهم اختلاف في الرأي؛ بمعنى هل إن جلس في بيته ودخل عليه من أراد ان يقتله، هل يدافع عن نفسه وعن ماله وعرضه ويقاتل؟ أم يترك نفسه ولا يقاتل ويُقتَل ويكون هو عبد الله المقتول وليس عبد الله القاتل؟ إذًا هذا خلاف ثاني فرعي عن الخلاف الأصلي. المسألة الأصلية هو مسألة موقف المسلم عند الفتن.

الجمهور؛ على أن الوقوف في جانب الحق واجب، ولعموم الأدلة على وجوب نصرة المظلوم والأخذ على أيدي الظالم، وأيضًا أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

منها قول الله عز وجل: { فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ } [الحجرات:9]، فقال "فقاتلوا"، إذًا أنت تقاتل التي قد بغت حتى تنصر الحق. وأيضًا من قوله تعالى: {وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } [الشورى:40]، قالوا أيضًا هذه تدل على ذلك. وأيضًا {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة:194]. طبعًا هذه الآيات سنأخذها في الذين قالوا في مسألة الدخول على المرء في بيته أيضًا على الخلاف.

فقالوا هنا إذًا هذه الآيات تدل على مشروعية المقاتلة والوقوف وجوبًا بجانب الحق. وهذا قول الجمهور وهذا الذي قاله النووي، وعامة علماء المسلمين أن وجوب نصرة الحق. واستدلوا بالآيات التي قلتها {فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ } والنووي نصر هذا الرأي حتى قال "هذا هو الصحيح".

فالمقابل له أنك لا تقاتل، تجلس في بيتك، ثم الذين قالوا بالجلوس في البيت حدث خلاف آخر كما قلت مسألة أخرى بأن لو جلست في البيت واعتزلت الفتنة ولا

تفعل، هل لو جاءك من يقاتلك دخل إلى بيتك الآن يقاتلك، هل تقاتله وتدافع أم لا تدافع؟ على قولين:

قول قالوا لا تدافع، وهذا الذي ذهب إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من الصحابة، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، قالوا يجب الكف عن المقاتلة، بترك المقاتلة، ولو أراد قتله لم يدفعه. هو ابن عمر قال أصلًا بالكف عن المقاتلة هو ومحمد بن مسلمة في الأصل؛ في العزلة، وهذا الذي فعله ابن عمر، لكن أنا سأبين قول ابن عمر لأن ابن عمر له قول ثم له تزييل بقول آخر غيره فيما حدث بين علي ومعاوية بعد ذلك، لكن هو كان يرى ترك المقاتلة والجلوس في البيت، وترك أيضًا المقاتلة لمن دخل عليك البيت أيضًا ولا يدافع عن نفسه وماله ويكون عبد الله المقتول ولا يكون عبد الله القاتل.

وقول أنه إذا دخلوا عليه البيت يقاتل ويدفع عن نفسه ولا يسمح لأحد أن يعتدي عليه. بذلك قد بينا التفصيل؛ القول الأول والثاني.

البعض نظروا؛ العلماء المتأخرين أي المتقدمين وليس من الصحابة قالوا نفرق؛ لو كان القتال إحدى الطائفتين معها إمام فهنا الإنحياز يكون مع طائفة الإمام، وهنا الذي يُحمَل عليه قول الجمهور في وجوب النصرة، ولو لم يكن للطائفتين إمام ولا إمام لهما وأصبح لا يوجد معرفة للحق فيؤخذ بقول عبد الله بن عمر الذي نُقل عنه وغيره بأن يجلس في البيت ولا يشترك في القتال، أي جعلوا بأن الخلاف بعضهم فرق لو كان الحق ظاهر وهناك إمام يكون معه، وإذا كان الحق غير ظاهر ولا إمام ولا يستطيع ان يفرق فلا يدخل في القتال ويجلس في بيته، ثم الخلاف بعد ذلك يدافع أم لا يدافع بيناه لو دخلوا عليه بيته يقاتلونه وغير ذلك.

لكن ابن عمر ورد عنه لأنه ابن عمر لما طُلِب في الخروج مع علي رضي الله عنه وأرضاه في القتال في ما حدث مع معاوية جلس في بيته، لكن بعد ذلك قال "يا ليتني خرجت مع علي فإن الحق كان مع علي"، هذه وردت عن ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه بأنه في بادئ الأمر هو لم يخرج، وهذه إشكالية البعض

ذلك قال لأنه كانوا يعلمون بأن الحق مع علي لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أصلًا؛ بيّن بأن الحق سيكون مع علي رضي الله عنه. ولذلك ابن عمر بعد أن جلس قال "يا ليتني خرجت مع علي فإن الحق كان مع علي". عموما هذه تفصيلة المسألة.

لكن هو كان يعلم أن الحق مع علي لأن كان هناك نبوءات من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، لكن هو اعتزل حتى لا يحدث قتال بين المسلمين. أنا فقط أطلت بالاستشهاد لأنهم كانوا يقولون أن ابن عمر يرى الجلوس، لكن هو ابن عمر بعد ذلك ورد عنه أنه قال "يا ليتني خرجت مع علي فإن الحق كان مع علي".

أيضًا آية المائدة، ابني ادم، الذي تركه يقتله وهذه أيضًا من استدلالات العلماء على أنهم يستدلون أيضًا بها{لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ} [المائدة:28]، هذه أيضًا يستدلون بها على أنه له أن يترك ذلك ولا يقتله ويُقتَل هو، فعندك آية ابني ادم، وعندك حديث النبي صلى الله عليه وسلم [كُنْ عبدَ اللهِ المقتولَ ولا تكنْ عبد اللهِ القاتلَ] أيضًا.

وهذا فهم لبعض الصحابة نقلنا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وابن عمر ومحمد بن مسلمة كانوا يرون الكف عن المقاتلة، بل بعضهم قال أنه يجب عليه ترك البيت أيضًا، أي ترك الدار أي البلد وينتقل إلى بلد أخرى حتى لا يكون في البلد التي فيها الاقتتال.

لكن طبعًا أنا بينت أن جمهور الصحابة يرون وجوب نصرة الحق وقتال الباغين، والنووي نقل أن هذا مذهب عامة المسلمين أصالة، وقلت ابن عمر رجع بعد ذلك أو قال "يا ليتني كنت مع علي"، وأيضًا يستدلون بوجوب الأمر المعروف والنهي عن المنكر.

خلاصة المسألة مذهب أبي بكرة يرى بعدم المقاتلة، ومذهب عمران بن حصين وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو يرى أن يدفع عن نفسه لو دخلوا، ومذهب ابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعد بن أبي وقاص يرى بعدم القتال أصلًا، أي لا يشترك في القتال ويجلس في بيته أو يتحول، ثم الخلاف بعد ذلك أيضًا قلت في الجلوس في البيت؛ لو دخل عليه البيت يقاتل أم لا يقاتل؟ مذهب أبي بكرة لا يقاتل، عبد الله بن عمرو بن العاص وعمران بن حصين يقاتل ويدافع عن نفسه، فأثبتنا الخلاف في المسألة والأحاديث تبين ذلك.

رد فضيلة الشيخ على سؤال من إحدى الطالبات: لا تستدلي بفعل عثمان رضي الله عنه، مذهب عثمان، فعله ائتمارًا بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال – كما سيأتي في الباب الذي معنا الآن في التمسك بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان: **[يا عثمانُ إن اللهَ مُقَمِّصُكَ قميصًا، فإن أرادك المنافقونَ على خَلْعِهِ فلا تَخْلَعْهُ]**، فكان أمرًا من النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك هو امتثل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا لو لم يكن ممتثلًا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم كان ممكن يرى بأن السياسة الشرعية تقول غير ذلك، لكن النبي صلى الله عليه وسلم بينه، ففعل عثمان لا يستدل به على ذلك، وهو كان أمير المؤمنين أصلًا، وهم كانوا خارجين عليه هذه مسألة أخرى.

والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك، هو قال له "ستُقتَل" وهذه من المعجزات، حتى في رواية يقول أنه جاءه وقال "ستفطر عندنا غدًا". وهو قد نبهه على بلوة تصيبه ويُقتل، فعثمان علم أنه سيُقتل لكنه لم يرد أن يقتل مع فتنة، فطلب عدم القتال لذلك، لكنه كان يعلم بأنها فيها حياته.

ندخل في الباب الذي يليه؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

11- بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

84- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ مُوسَى قَالَ: أنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «نَحْمَدُ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ» ثُمَّ يَقُولُ «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»

85- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: نا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»

86- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، وَحُجْرٍ الْكَلَاعِيِّ قَالَا: دَخَلْنَا عَلَى الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} [التوبة: ٩٢] الْآيَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّا جِئْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ، وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ عِرْبَاضٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي سَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»

87 وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ إِلَى آخِرِهِ

88 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى قَالَ: نا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ عِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ السُّلَمِيَّ يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ, لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا، وَلَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ

يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»

90 وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ: أنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: " هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّمَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةً "

91 وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ، يَقُولُ: أَدْرَكْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَفَاتَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَأَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: " اللَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ قِسْطٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولَ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا لِلنَّاسِ لَا

يَتَّبِعُونِي، وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ، فَإِنَّ مَا ابْتَدَعَ ضَلَالَةٌ، اتَّقُوا زَيْغَةَ الْعَالِمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِيِّ الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَيُلْقِي الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ قَالَ: قُلْنَا: وَمَا يُدْرِينَا رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُلْقِي كَلِمَةَ الْحَقِّ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِيِّ الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ؟ قَالَ: اجْتَنِبُوا مِنْ كَلِمَةِ الْحَكِيمِ كُلَّ مُتَشَابِهٍ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْتَ: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وتلقى الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا "

تعقيب على حديث (91) لاختلاف الروايات بين النسخ:

قال وَلَا يُثْنِيَنَّكَ لأن هو أصلًا الحديث أنه حكيم وهو قد يخطئ، فلما قال وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ أي هو يراجع نفسه، وتلقَ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ أي أنت تلقى الحق عنده لو سمعته مره أخرى فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا . هو معاذ رضي الله عنه وأرضاه بيقول له: اجْتَنِبُوا مِنْ كَلِمَةِ الْحَكِيمِ كُلَّ مُتَشَابِهٍ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْتَ: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ لماذا؟ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وتلقَى الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ أي أنت إذا سمعته مره ثانية تلقى الحق عنده لأن هو هيراجع نفسه، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا. هي في سنن أبي داوود فهي ممكن تُرجَع لصحيح سنن أبي داوود للشيخ الألباني وتحتاج أن تراجع في سنن أبي داوود نفسها.

92-أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، بِطَرَسُوسَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الزَّائِغُونَ فِي الدِّينِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ

تَعَالَى، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا, وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»

93- حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلُّوَيْهِ الْقَطَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِشَبِيهِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى»

تابع التعقيب على الرواية في الحديث (91):

هو ممكن أيضًا عندي تكون (وتُلقِي الحق إذا سَمَّعْتُهُ) ، (وتَلقَى الحق) أي أنت سَمَّعْتُهُ الحق، وممكن أيضًا تكون (لعله أن يُراجِع) أو (يُراجَع)، (وتُلقِى الحق إذا سَمَّعْتُهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا) أي أنك تراجعه فلعله أن يُراجَع، (وتُلقِي الحق) أو (وتَلقَى الحق إذا سَمَّعْتُهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا) لأنه قال إن على الحق نورا، فلما هنُسَمِّعُه كلمة الحق هيقول بها لأن على الحق نورا، هي أوجه حقيقة.

قلنا هذا الباب الذي ذكره المؤلف وهذا من بديع تصنيف المؤلف كأنه يقول بعد أن بين لك باب حدوث الفتن، فهو يريد أن يبين لك أيضًا كيف الخروج من الفتن؟ فأتى بهذا الباب بعد باب ذكر الفتن، وهو بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

فهذا من بديع تصنيف المؤلف، ومن فقهه أنه يسير بترتيب، فبعد أن تقول له أنا علمت الفتن، وتحذرني من الفتن، وهناك ذم من الفتن، فكيف النجاة من الفتن؟

فأتى بهذا الباب وفيه الأحاديث التي قرأناها الآن – سنبينها إن شاء الله– على البيان على أن التمسك بالكتاب والسنة، وسنة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبلها طبعًا سنة الخلفاء الراشدين، وترك البدع هو من أهم الأسباب أن المرء ينجو فيها من الوقوع في الفتن.

الباب سنتكلم عنه لكن ليس اليوم، في مسألة رئيسة وهي مسألة البدعة، وتعريف البدعة، وأقسام البدعة، هذه سنفردها إن شاء الله الأسبوع القادم، اليوم سنتكلم بما نستطيع من الوقت لكن سنتعرض لأهم مسألة في الباب وهي مسألة البدعة والخلاف الذي ورد عند بعض أهل العلم بتقسيم البدعة لبدعة مذمومة وبدعة محمودة، والقول الثاني بأن البدعة كلها مذمومة، وأدلة القول الأول والقول الثاني والرد عليهم وغير ذلك، هذه إن شاء الله ستكون مبحث مهم لهذا الباب.

لكن الذي معنا الآن وهو الأصل الاصيل في أنك لابد أن تتبع الكتاب والسنة، وأن المرء إذا زاغ عن اتباع الكتاب والسنة فإنه ينذر ذلك بمهلكة ووقوع في فتنته هو، هو نفسه يفتن، لأن المرء مأمور من الكتاب وبالسنة بآيات وأحاديث كثيرة على التمسك بكتاب الله عز وجل، والتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى من الكتاب أولًا: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا} [الأحزاب:36]، فبينت الآية بأن الله عز وجل أناط الإيمان قال {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} إلا أنهم لابد لهم أن يتمسكوا، إذًا أناط الإيمان بالتمسك بما جاء من أحكام الكتاب وأحكام سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يعارض ما جاء في الكتاب، ولا أحكام الكتاب، ولا أوامر الكتاب ولا النواهي، وإلا لم يكن عنده الإيمان {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ} ليس لك الاختيار في ذلك، بل عليك الإنقياد والمتابعة والتسليم لما جاء من عند الله عز وجل.

وأيضًا بين الله عز وجل من قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ} [النساء:60]، إذًا هنا يبين فيه الله عز وجل بأن هذا زعم أنهم كيف تزعم بأنك آمنت وأنك لا تريد أن تتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل تريد أن تتحاكم إلى الطاغوت، تتحاكم إلى دساتير كفرية، تتحاكم إلى قوانين وضعية، تتحاكم إلى غير ذلك، هذا يناقض أنك زعمت بالإيمان.

وأيضًا من قوله تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء:65]. ومنها أيضًا قول الله عز وجل:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ} [محمد:33]،انظر... هذه الآية عظيمة جدًا في ماذا؟ "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" ثم بعد الأمر جاء النهي "ولا تبطلوا أعمالكم" فكأنك بعدم طاعة الله وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم بَطُل عملك بذلك. فدل ذلك على أن أولًا أمر بطاعة الله وطاعة الرسول، وفيها مفهوم مخالفة أيضًا؛ بأنه تبطُل الأعمال بعدم طاعة الله عز وجل وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في السنة:[مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ] أي هو باطل، إذًا هذه مخالفة لأمر الله عز وجل ومخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم بين الله عز وجل أيضًا أن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم من طاعة الله، قال تعالى:{ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ } [النساء:80]، وأيضًا قال تعالى: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ} [النور:54].

هذه كلها تمسك بالكتاب وبالسنة حتى لا يأتي أحد يقول كما جاء القرآنيون هذا يقولون ما جاءنا في الكتاب نقول به، في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ] ويأتي بما جاء من الكتاب ويرد السنة! فالكتاب والسنة صنوان لا ينفصلان، لابد من الإيمان بالكتاب وبالسنة؛ طاعة الله وطاعة النبي صلى الله

عليه وسلم، وقد بين الله عز وجل جليًا من قوله تعالى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ } [آل عمران:31]، إذًا علامة محبة الله عز وجل هو اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها قوله تعالى أيضًا:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب:21]، إذًا من أراد الآخرة فلابد له من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا} ، إذًا فمن لم يكن يرجو الله واليوم الآخر ليس له طاعة عند الله ولا عند النبي صلى الله عليه وسلم. فهذه من الآيات جليات واضحات محكمات في التمسك بكتاب الله عز وجل.

وأما من السنة: الأحاديث التي وردت في السنة فهي أيضًا كثيرة، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:[**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى**]، وهذه تصريحًا من النبي صلى الله عليه وسلم بأن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيه دخول الجنة، ورَدَّ سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم طاعته فليس له طريق إلى الجنة.

وأيضًا في الصحيحين عن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:[**دَعُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، إنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عن شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ**]، فهنا أيضًا حديث صريح في أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بأن ما نهى عنه فلابد أن ينتهى عنه المرء، وما أمر به فالأمر معلق على الاستطاعة أيضًا، وبين إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم على أنبيائهم، وهذا الحديث أيضًا من أعظم الأدلة على وجوب اتباع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم والإنتهاء عن ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم أيضًا في الصحيحن عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: [صَنَعَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذلكَ نَاسًا مِن أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ] كأنهم كرهوا هذا الترخص من النبي صلى الله عليه وسلم [فَبَلَغَهُ ذلكَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقالَ: ما بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عنْه، فَوَاللَّهِ لأَنَا أَعْلَمُهُمْ باللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً]، وهذا تنطع حقيقة وتجده موجود في زماننا، الله عز وجل رخص لنا الرخصة في السفر؛ رخص لنا مثلًا القصر ورخص لنا مثلًا الفطر في الصيام فتجد بعض الناس يترخصون في السفر أي يقصرون في طريق السفر ويجمعون، تجد البعض ينكر عليه، تجد في صدره شيء ينكر كأنه ماذا تفعل! ما تصلي أربعة! أو أفطر في السفر وأخذ بالرخصة الآن ترخص، فهذه رخصة أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم، فأنت لماذا تنكر! أنت ترى بأن تأخذ بقول العزيمة افعل، لكن أنا رأيت بعض الناس كأنه ينصحه يقول له: أنا أراك بتقصر، وأراك بتجمع! ما تصلي أربعة احنا رايحين وجايين ولا يوجد عندنا مشكلة! هذه حتى ليست فيها نصيحة، هذه ليست فيها أنك تنصح لأنه ليس منكر، أنت تريد أن تقول بالمعروف، قد تكون أنت بتقول بقول لكن ظاهره بأنه يرى بأنه ينتقص مِن فِعل هذا ، وهذا الذي قصدت عليه، ممكن يقول له: لم تكن عندك حاجة ففي قول هكذا وهذا الأفضل.

حتى أنا أذكر لا أحب أذكر ناس لكن زمان في بداية الالتزام فكنت ذهبت لأحد الإخوة الذين هم أقدم مني، هم من العُبَّاد، ليسوا من طلبة العلم، فكنت مسافر وقتها فقلت له أنا فقط أسأل عن السفر القصر وكذا وأتأكد من بعض الأحكام، كنت حديث عهد بالالتزام، وأصلًا بالعلم، فنظر إليّ وسكت، وقال لي: ولماذا تقصر؟ لا تقصر، صلي مثل الناس صلاتك أفضل، وذلك أحسن لك. وأنا الإشكال عندي أن أنا أريد العلم، كنت أريد أتعلم كيف، فأنت اترك لي أنا آخذ بالقصر أو لا آخذ به، لكن لو عندك علم علمني، الإشكال أن هو تبنى مذهب فكأنه يقول إنكارًا أنك الأحسن تصلي. وهذا كان إشكال حقيقة، هم من لم يكونوا

من أهل العلم، هم من أهل العبادة. لذلك هذا فارق بين من آتاه الله عز وجل طريق العلم وحتى من اقتصر على العبادة فتجد هو يفعل ذلك ويحاول أن يجعل أن هذا هو القول الذي يقول به.

المهم نقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على هؤلاء بأنه قد ترخص وهم لم يريدوا أن يترخصوا، فقام فخطب فيهم، وبين لهم بأن الهدي كله هو اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ سواء كانت في الرخصة، أو في العزيمة، أو غير ذلك.

ومنها أيضًا حديث الثلاثة رهط [جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلَيْهِمْ، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي] فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فيهم أيضًا، وبين أن هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فبين أن هذه كلها من سنن النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه كلها أدلة من الكتاب ومن السنة تبين لك وجوب التمسك بالكتاب وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولو نظرنا إلى فعل الصحابة ستجد كثير من سير الصحابة بوجوب التمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ونذكر فقط بعض المواقف؛

لو بدأنا بأبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه لما طلبوا منه أن يعزل أسامة بعد أن تقلد الخلافة أسامة بن زيد وكان أميرًا وكان أصغر القوم، فكلموا أبو بكر

أن يعزل أسامة عن قيادة الجيش ويولي من كبار الصحابة، فقال والله لا أعزل رجلًا قد عينه النبي صلى الله عليه وسلم – في معنى الحديث– قد أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أسامة أحق بالإمارة. فهنا انظر كيف أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه تمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبفعل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، ورفض أن يعزل أسامة من الإمارة، بل استأذنه فقط في عمر بن الخطاب وغيره– ما أذكر من– أن يكون معهم. فهذه دلالة على التمسك.

هم يريدون أن يقولوا أن الحال الذي أمَّر النبي صلى الله عليه وسلم الجيش تغير بموت النبي صلى الله عليه وسلم، ليس شكًا في فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لا، يقولون النبي كان موجود، لكن كان في حال تغير الحال بموت النبي صلى الله عليه وسلم والعرب انقلبت، وكان هناك ردة، فأرادوا أن يستبدلوه بقائد أعلى وفكر غير أنهم أيضًا أرادوا أنه لا يذهب، لكن ليس هذا طبعًا طعنًا في فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الحال تغير فأرادوا أن يثنوه، فأبو بكر تمسك قال لا لن أغيره وسيظل هو القائد كما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم.

منها أيضًا فعل أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه في جمع القرآن، لما أشاروا عليه بجمع القرآن، فقال كيف أفعل شيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ هذا في أول الأمر، وإن كان سنبين أن هذا الذي فعله له أصل لأن النبي صلى الله عليه وسلم أباح الكتابة في القرآن، الأول منع كتابة السنة حتى لا يختلط بالقرآن ثم أمر بعد ذلك بجواز كتابة القرآن، فكان هناك أصل أن القرآن يُكتَب، فما دام القرآن يُكتَب لا حرج أنه يُجمع، فهو مكتوب كل ما في الأمر أنه سيوضع بين دفتين.

لكن أنا أقصد أن قول أبو بكر أولًا هو قال كيف أفعل شيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، ولما رجع وبُيِّن له فأقر ذلك وكان فعلًا حسنًا في أول الأمر، ثم جاء عثمان وجمع الناس على مصحف واحد. لكن الشاهد هنا بأنهم كانوا يتمسكون بما ورد عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأبو بكر أيضًا لا يُنسَى موقفه مع عمر في صلح الحديبية، لما جاء عمر يشتكي أولًا للنبي صلى الله عليه وسلم قال[فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا] و [أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟] إلى آخر الحديث، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال له[إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا] ثم جاء لأبو بكر- وهذا هو الشاهد في الحديث- أنه جاء عمر لأبي بكر قال له نفس ما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال أبو بكر له نفس ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال له أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم[الزَمْ غَرْزَه] وأنه لن يضيعه الله. هنا هذه شدة حرص الصحابة، ومنها طبعًا أبو بكر الذي نتكلم عنه الآن، على ملازمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم لا يغيروا من ذلك شيء.

بل أن لما جاءت المواريث، في مسألة المواريث في إحدى المسائل وكانت هناك جدة جاءت تطلب الإرث من أبو بكر قال "لا أعلم لك شيئًا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم"، انتظري حتى أسأل، ثم جاءه من الصحابة من قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ورَّث الجدة السدس، ففعل ذلك، لكن أول ما جاءته قال لا أعلم لك شيئًا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فانتظري حتى أفصل لك. فهذا إن دل يدل على أن الصحابة الكرام كان عندهم الحرص الشديد على أنهم لا يفعلون شيئًا بغير كتاب أو سنة.

حتى عثمان قدَّم روحه ودمه فداء لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لما أخبره قال: [يا عثمانُ إن اللهَ مُقَمِّصُكَ قميصًا، فإن أرادك المنافقونَ على خَلْعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم، ولا كَرامةَ] أي لا كرامة لهم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم له مرتين أو ثلاثة قال ذلك. فانظر هنا عثمان رضي الله عنه وأرضاه علم ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره وكانت فتنة أن يأتون إليه، أي سيقتلونه، وحدث ما حدث من فتنة بعد ذلك، ومع ذلك التزم بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، قال: [فلا تَخْلَعْهُ] لأنه بين له أن هذا هو الشرع الذي ألزمه به، فتمسك بذلك وهو يُقتل.

وقد يقول هذه فتنة أحقن الدماء ولا يقتلون وغير ذلك، لكنه قُتِل شهيدًا رضي الله عنه تمسكًا بما قاله له النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا لما جاءت فاطمة تطلب الإرث من أبي بكر رضي الله عنه فقال لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:[**إنَّا معشرَ الأنبياءِ لا نُورَّثُ، ما تركنا صدقةً**]، فلم يورثها شيء لأنه سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرق قلبه ببنت النبي صلى الله عليه وسلم وكيف لا أورث وغير ذلك، طبق ما علمه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا مسائل فرعية لو تكلمنا عنها أكثر من ذلك؛ لما جاءوا لابن عمر وابن عباس لما قالوا لابن عمر يسألون عن المتعة في الحج، فقال "تمتعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم" أي لما كانوا يحجون النسك – والنسك قران وتمتع وإفراد – فسألوه عن المتعة، والمتعة المقصود بها المتعة في الحج، فقال: "تمتعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم"، فقال له: "لكن أباك وأبو بكر كانوا ينهون عن المتعة" قال: ما أُمرنا أن نتعبد بقول أبي، ولكن أُمرنا أن نتعبد بقول النبي صلى الله عليه وسلم" تمتعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج. ولما قيل ذلك لابن عباس قال: **[يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟]** انظر.. ابن عمر يتكلم عن أبيه وأنه يرد ما يقولون عنه، وطبعًا عمر ما منع التمتع ردًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا أحد يظن، لكن اجتهادًا منه أنه كان يرى بألا يكون البيت مهجورًا فيرى بأن الناس تأتي بحج إفراد ثم تأتي بزيارة أخرى للعمرة حتى يكثر زوار الحج، فكان يمنع لذلك، لكن لا يمنع لأن النسك ليس مشروعًا وهذا لابد طبعًا أن يُفهَم. لكن نبين بأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحرصون.

بل إن ابن مسعود حتى في المسائل التي يتعلمون علمًا شرعيًا لما حدث في مسألة في المواريث أيضًا فسُئِل أبو موسى الاشعري عنها فأفتى فيها، كانت المسألة تقريبًا مات عن بنت وابنه إبن وأخت، فورَّث أبو موسى البنت والأخت مناصفة،

فجاؤوا لابن مسعود فسألوه بعد أن سألوا أبو موسى الأشعري فقالوا له تقول بذلك؟ قال لو قلت بذلك لكنت ضللت وما أنا من المهتدين، البنت لها النصف وإبنه الإبن تكملة الثلثين والباقي للأخت. فهو يبين بأنه تعلم علمًا من النبي صلى الله عليه وسلم فلا يستطيع أن يقول غيره، وقال لو قلت بذلك لقد ضللت وما أنا من المهتدين، فرجع أبو موسى قال فكيف تسألون وفيكم هذا الحبر؟ أي ابن مسعود كان أعلم أصلًا. لكن الشاهد بأنهم كانوا يحرصون على التمسك بما تعلموه من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا قلنا في زمن الصحابة.

وأيضًا حتى موقف عمر، لو رجعنا لعمر، عمر رضي الله عنه وأرضاه كان شديد الغيرة على نسائه، وكانت إمرأته تحب أن تخرج للمسجد، وهو لا يستطيع أن يمنعها لقول النبي صلى الله عليه وسلم:[لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ] فجاء ابن عمر لها قال لها تخرجين للصلاة وتعلمين أن عمر لا يحب ذلك، قالت ولماذا لا يمنعني؟ قال لها تعلمين أنه لن يستطيع أن يمنعك. فكان عمر عندما تأتي لتخرج يقف أمامها يعترضها في البيت أو عند الباب فتقول له تمنعني؟ فيسكت عمر ما يستطيع، لأن هو لا يستطيع أن يمنعها، انظر... لا يستطيع، عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم[لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ] فتقول له تمنعي؟ وهو عمر، والناس كانت تفر من عمر. تذكرون عمر لما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته وكان النساء مع النبي صلى الله عليه وسلم يسألن، فلما سمعوا صوت عمر ابتدروا خلف الحجاب، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل عمر قال: يا عدوات أنفسكم ماذا فعلتن؟ هو بيقول لهم تخافون مني ولا تخافون من النبي صلى الله عليه وسلم! أنتم كأنكم عظمتموني أو خفتوا مني أكثر، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم. فكان عمر له هيبة وله شدة، ومع ذلك كان يقف أمام إمرأته ولا يستطيع، وقَّاف في الشرع، ما يستطيع أن يفعل شيء، فتقول له: تمنعني؟ فهو لا يستطيع أن يجيبها، ثم تذهب إلى الصلاة.

المهم نقول هذه كلها أمثلة من الصحابة وإلا لو فتحنا في هذه المسألة سندخل أيضًا في أمثلة للتابعين وغير ذلك، وكانوا يتأسون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا فعل عمر في تقبيل الحجر الأسود لما قال له: [وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ].

سنقف عند تعريف البدعة والسنة، والخلاف بين العلماء هذا نرجئه للأسبوع القادم، لكن قبل أن نختم هناك بعض اللفتات في حديث (86) أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي سَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي .. انتبهوا هنا للسياق وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ , وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ هو هنا بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي قال وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا ، بالإفراد، هذه فائدة بلاغية...ماذا يعني الإفراد؟ هو هنا لم يقلها بالتثنية، لم يقل "عضوا عليهما"، لا، قال "عضوا عليها"، فأهل العلم قالوا هذه لفتة لأنه يدل على أن الإثنين واحد..ماذا يعني؟ أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين بأن سنة الخلفاء من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن فِهم الخلفاء لما يريده النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه لفته عظيمة جدًا في الحديث، وهذه لها أصل بأن الله عز وجل قال أيضًا في قوله تعالى:{ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:120]، ما قال "مللهم"، قال "ملتهم" فجعل أيضًا الملة إفرادًا، فهذا دل على أن الكفر ملة واحدة. فهنا أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم قال عَضُّوا عَلَيْهَا ، وهذا يبين لك اتباع سنة الخلفاء الراشدين من اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا فيها **عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**، قالوا "النواجذ" هنا الأضراس وهي طبعًا أشد أنواع الأسنان التي هي الأضراس، وخصها بالذكر فقط لم يقل "عضوا عليها" وانتهى، لا،"عضوا عليها بالنواجذ" وهذه تدل على أنها أعظم في القوة- الأضراس- فهو أنك تتمسك بها تمسكًا شديدًا.

هنا أيضًا فائدة قبلها؛ **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ** أيضًا يوجد كلام طيب للإمام الشاطبي، فقال: [قَرَن النبي صلى الله عليه وسلم سنة الخلفاء الراشدين إلى سنته، وإن من اتباع سنته اتباع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك ليس منها في شيء] وهذه تفيدك إن شاء الله عندما نتكلم عن البدعة، والبعض الذي أشكل في بعض أفعال الصحابة؛ كجمع القرآن وقت عثمان، اتخاذ التراويح وقت عمر، الأذان الثاني مثلًا، كل هذه، على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن سنة الخلفاء من سنته، فدل ذلك كما قال بأنه ما كان غير سنة الخلفاء ليس مثل سنة الخلفاء الراشدين، وأن ما فعلوه الخلفاء الراشدون ليس خلافًا للسنة، لماذا قالوا؟ لأنهم فيما سنوا إما متبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم- أي اتبعوا نفس السنة كما فعل عمر في التراويح اتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أو متبعون لما فهموا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم كفعل عثمان في الأذان الأول في يوم الجمعة، هو فهم أيضًا من الأذان الأول في الفجر الكاذب والصادق كلوا واشربوا لا يغرنكم أذان بلال، وكلوا واشربوا حتى أذان ابن أم مكتوم، فهنا فهم عثمان بأن الإعلان؛ أي حتى الناس تنتبه، ففهم فإما أن تكون سنة هؤلاء اتبعوا لسنة موجودة كما فعلها عمر أنه أقام التراويح مره أخرى اتباع لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، أو لما فهمه من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يبين لك أن الخلفاء الراشدون لهم سنة وهي سنة تابعة وكأنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من الفوائد من هذا الحديث.

سنقف عند ذلك، لكن نتذكر الأسبوع القادم الكلام سيكون تفصيلًا عن البدعة، وتقسيمات البدعة عند أهل العلم، والتعريف، والخلافات في الأقوال، نفصل ذلك ما استطعنا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثانية عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمة الله تعالى- وما زلنا في الباب الحادي عشر **بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةِ أصحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.**

وكنا قد قرأنا الأحاديث الأسبوع الماضي وتكلمنا عن بعض المباحث فيها، وقلنا بأن إن شاء الله سنكلم اليوم عن البدع والبدعة، ولأن هذا أصل الباب في مسألة ترك البدع. طبعًا تكلمنا في الأول عن التمسك بالكتاب والسنة، ووجوب ذلك، وكيف كان الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين من بعدهم، والأئمة المهديين يتمسكون بالكتاب والسنة.

والجزء الثاني الذي نتكلم عنه اليوم هو مسألة ترك البدع، فلابد لنا أن نؤصل أولًا معنى البدعة، ونبين الخلاف الذي ظهر عند بعض أهل العلم؛ هل البدع تنقسم إلى مذمومة ومحمودة أم البدع كلها مذمومة؟ وهذا على قولين عند أهل العلم، وأدلة كل قول في هذه المسألة، ثم نختم الكلام ببعض الفوائد من الأحاديث وغير ذلك.

فنبدأ إن شاء الله أولًا بالكلام عن البدعة، ولا شك بأن البدع من أعظم المنكرات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي قرأناها على أن **وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ** . فالبدع فيها ما فيها من المنكرات، قال ابن حزم في "المُحلى": "ما رأيت سُنَّةً مُضَاعَة، إلا وبجانبها بِدْعَةٌ مُذَاعَةٌ" وهذا يبين لك بأن مصداقًا لقول بعض أهل العلم "ما اميتت سنة إلا وأحيت بدعة"، كما أنه ما أحيت سنة إلا اميتت بدعة في مقابلها.

تعريف البدعة:

البدعة لها تعريف عند أهل اللغة:

وهي الاختراع أو الشيء المستحدث، فالبدعة كل مخترع أو شيء مستحدث في اللغة يكون بمعنى البدعة، لقوله تعالى:{ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ } [البقرة:117]، أي خلقها على غير مثال سابق، شيء مستحدث جديد.

وأيضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الله عز وجل في القرآن:{ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ } [الأحقاف:9]، أي أن الذي جئت به لم ائت به أولًا، سبقني غيري من الرسل الذين جاؤوا بمثل ما جئت به. هذا تعريف البدعة في اللغة.

أما البدعة اصطلاحًا:

وهذه اختلفت فيها التعريفات على حسب كل فريق، قلنا بأن عندنا فريقان من العلماء؛ الفريق الأول وسَّع مدلول البدعة فرأى بأن البدعة قد تكون محمودة أو مذمومة، وفريق ضيَّق وقال بأن البدع لا تكون إلا مذمومة، فبناء على القول حدث الفرق في التعريف.

فالفريق الأول الذي وسَّع مدلول البدعة قال أن البدعة: "كل ما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان مذمومًا أو محمودًا"ا؛

أما الفريق الثاني الذي قيَّد أو ضيَّق مدلول البدعة وجعلها مذمومة فعنده معنى البدعة: "كل شيء حادث مذموم لم يرد به الشرع ولم يندرج تحت أصل يُعمَل به في الشرع". فتجد هؤلاء جعلوا كل البدع مذمومة، فلما أرادوا أن يعرفوه- وطبعًا سيأتي تعريفات أخرى لكن هذا المعنى عندهم- الحادث المذموم الذي لم يرد به الشرع أو لم يندرج تحت أصل يعمل به مما يدخل في العبادة أو حتى قُصِد به التعبد إن كان من العادات، أي هو عادة وقُصِد به التعبد. هذا ليس تعريفًا أنا مازلت بشرح، أنا سأتيكم بالتعريف لكن أنا ببين مفهوم هذا الفريق يرى لأن البدعة التي عنده المذمومة فجعل التعريف عنده أو معناه بأنه الحادث المذموم الذي لم يرد به الشرع أو لم يندرج تحت أصل من الشرع يعمل به ومما يدخل في العبادة، أو يقصد به التعبد إن كان من جانب العادات.

إذًا ترى الآن الإتجاه الأول توسع في التعريف لتشمل البدعة المذمومة والبدعة المحمودة، والثاني ضيق في التعريف لأنه يرى بأن البدعة مذمومة، وليست هناك بدعة ممدوحة.

الفريق الأول: القائلون بالتقسيم؛ الذين قالوا هو كل ما أحدث في الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان محمودًا أو مذمومًا، إذًا البدعة عندهم تنقسم لمحمودة ومذمومة، بل منهم – وهذا سيأتي معنا– العز بن عبد السلام جعل البدعة تجري عليها الأحكام الخمسة، أي منها بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مكروهة، وبدعة مندوبة، وبدعة مباحة.

من أصحاب هذا القول الذين قالوا بالتقسيم؟

الذي ذهب إلى تقسيم البدعة إلى محمودة و مذمومة– نُقِل ذلك عن الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى– وقال: البدعة بدعتان؛ بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهي بدعة محمودة، وما خالف السنة فهو مذمومة. واحتج الإمام الشافعي بقول عمر رضي الله عنه وأرضاه في صلاة التراويح لما قال "نعمت البدعة هي".

ونقل أيضًا البيهقي عن الإمام الشافعي قال: "المحدثات من الأمور ضربان؛ ما أُحدِث مما يخالف كتاب وسنة وأثر وإجماع فهذه البدعة الضلالة، والثانية ما أُحدِث من الخير لا خلاف لكتاب أو سنة أو أثر أو إجماع فهذه بدعة غير مذمومة. هذا الإمام الشافعي ونقل البيهقي هذا الكلام أيضًا عن الإمام الشافعي.

منهم أيضًا من الذين قالوا ابن الجوزي وذكر ذلك في "تلبيس إبليس" في معنى الكلام قال: "البدعة عبارة عن فعل لم يكن، فابتدع، والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة". لذلك نحن سنأخذ من كلامه أنه يظهر لنا أنه لا ينفي التقسيم لأنه قال "الأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة" لأنها تفيد إما زيادة عن الشرع، أو انقاص من الشرع، وطبعًا هذا كله سبب كما سيأتي معنا لماذا ذم البدعة؟ لأنها كأنها بتزيد في الشرع، أو بتتهم الشرع بالنقصان وهي تكمله.

وقال: "قد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها لا زيادة ولا نقصان، ومع ذلك كان جمهور السلف يكرهونها" يقولون جمهور السلف يكرهونها حتى لا

يخالفوا الاتباع. وطبعًا على قول من يقول "يكرهونهم" لا "يحرمونهم"، أي يكرهونهم لأنها هي محدثات لا تصادم الشريعة ولا تخالف، لكن كانوا يكرهونها للاتباع، أي لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة، فكان السلف يكرهونها، لا يفعلونها، فيظهر من قوله بأن هناك تقسيم للبدع بين محمودة ومذمومة، ومع الاتفاق طبعًا بأن ما يصادم أو يزيد أو ينقص في الشرع هذا هو الذي كانت بدعة ضلالة عندهم.

زاد على ذلك العز بن عبد السلام، طبعًا وافق هذا القول، بل ارتقى العز بن عبد السلام أنه جعل البدعة يجري عليها الأحكام الخمسة؛ أي يقول هناك بدعة واجبة وهناك بدعة محرمة وهناك بدعة مندوبة وهناك بدعة مكروهة وهناك بدعة مباحة. وطبعًا ذكر ذلك في كتابه –الماتع حقيقة مع التحقيق فيه– "قواعد الأحكام في مصالح الأنام". وأيضًا عرف بأن البدعة: "فعل ما لم يُعهَد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم" على التعريف العام الواسع، لكن بعد ذلك بين هناك بدع من الوجوب وهناك بدعة محرمة وهناك بدعة مكروهة، إلى غير ذلك.

هؤلاء القائلون بجواز التقسيم.

الفريق الثاني: القائلون بذم البدعة مطلقًا؛ هم يقولون بأي شيء أُحدِث في الدين مما ليس له أصل في الشرع ولا يندرج تحت أصل فهو مذموم، وأن البدعة لا يوجد فيها تقسيمات، البدعة مذمومة؛ ما سمي بدعة فهذا مذموم.

من هؤلاء الإمام مالك – رحمة الله عليه ورضي الله عن الأئمة جميعًا– قال بأن "من ابتدع في الإسلام بدعة فقد خان رسول الله صلى الله عليه وسلم" لأنه اتهمه بالتقصير، والله عز وجل يقول: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة:3]"، ثم قال الإمام مالك جملته الشهيرة: "ما لم يكن يومئذ –في زمن النبي صلى الله عليه وسلم– دينا فلا يكون اليوم دينا". وهذه جملة شهيرة عن الإمام مالك تُحفظ حقيقة "**ما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم بدين**" فهذا الإمام مالك.

كذلك الإمام أحمد كان من الذين يقولون بذم البدعة مطلقًا وأن أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، فكان يرى بأن كل البدع ضلالة ليس هناك تقسيم بين البدع المحمودة والبدع المذمومة.

وأيضًا ابن تيمية- رحمة الله عليه- في مجموع الفتاوى أيضًا من أصحاب هذا القول، الذي قال بأن البدعة في الدين ما لم يشرعه الله ورسوله، أي ما لم يأمر به الله لا أمر وجوب ولا أمر استحباب، فكل ما لم يشرعه الله عز وجل ولا الرسول صلى الله عليه وسلم – سواء كان حتى وجوبًا أو استحبابًا- فهذا كله بدعة في الدين.

ذهب إلى ذلك -حتى لا نطيل في سرد الذي قاله العلماء- أيضًا الحافظ بن حجر وقال ذلك أيضًا، على أن استدل بالحديث[**وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**].

وأيضًا الإمام ابن رجب.

ثم سنختم بالأئمة الذين قالوا في هذا المذهب إمام عظيم جليل لأنه أبدع في تعريف البدعة وهو **الإمام الشاطبي** – رحمه الله تعالى- عرف تعريفًا للبدعة قد يكون أفضل تعريف وفيه تدقيق. وطبعًا هو أولًا من ناصري هذا القول؛ بأن البدعة مذمومة وليست هناك بدعة محمودة وبدعة مذمومة، ليس هناك تقسيم عنده، وهو له تعريف بأن جعل البدعة مقتصرة على الإحداث في الدين، وهناك تعريف آخر مشابه لتعريف الشاطبي ولكن ادخلوا العادات التي يراد بها العبادة في التعريف.

نأخذ تعريف الشاطبي الأول، قال: "**طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يُقصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى**". التعريف أنا سأشرحه، لكن هنا آخر جملة قال " يُقصَد بها التعبد"، هنا هذا التعريف لم يُدخِل العادات في تعريف البدعة، جعلها فقط في العبادات، وهذا صحيح لا خلاف.

لكن هناك من زاد جعل العادة التي يقصد بها العبادة ادخلها في التعريف، بمعنى قال "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يُقصَد بالسلوك عليها ما يُقصَد بالطريقة الشرعية"، انتبه..." يُقصَد بالسلوك عليها، ما يُقصَد بالطريقة الشرعية"، لم يقل "يقصد بالسلوك عليها التعبد" كالتعريف الأول، لا، هنا وسع، "ما يقصد بالطريقة الشرعية"، فكأنه ممكن أن تأتي بعادة تريد بها عبادة فأدخلها في التعريف.

ولكن الحق أن هذا التعريف فيه نظر، لأنه لم يبين لنا الذي أنا قلته، لم يظهر لنا في التعريف بأن المقصود منها العادة التي يراد بها العبادة، هو أدخل العادة في التعريف، وهذا فيه نظر، نحن من باب التحقيق فقط نقول بأن هذا التعريف أدخل العادات، والعادة لا تدخل في البدعة إلا إن كان يقصد بالعادة التعبد. لذلك التعريف هذا أوسع، كان لابد أن يقيد بأن المقصود فيه هنا العادة التي يراد بها العبادة.

نشرح التعريف؛ نقول:

طريقة في الدين مخترعة: (طريقة): أي سلوك معين، أو طريق، كيفية معينة، سلوك معين. (في الدين): لما قال "في الدين" أخرج الدنيا، أي اختراعات الدنيا ليست معنا، حتى ما يأتي بعض الجهال ويرى أنه سيستطيع أن يحاج الأخ الملتزم ولا شيء فيقول لك انتوا لماذا بتركبوا السيارة ؟ السيارة حرام لم تكن موجودة عند زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا تمسكوا الموبايلات؟ والنظارة،... ما هذه كلها اختراعات، وهذا جهل طبعًا لأنه لا يعلم بأن البدعة المقصود بها هنا هي في الدين ليست في أمور الدنيا، وإلا اختراعات الدنيا لا حرج فيها، هذه من المباحات التي ربنا أباحها لنا في الأرض. فقال "في الدين" حتى يُخرج أمور الدنيا.

قال أيضًا طريقة في الدين مخترعة؛ (مخترعة) أي ليس لها أصل في الشرع، **وهذا ضابط مهم** لأن البدعة إن كانت ليس لها أصل في الشرع لا تندرج تحت أصل، فهذا القيد يخرج ما لم يكن في الدين، لكن له أصل..ماذا يعني؟ الذي نحن فيه

الآن تصنيف الكتب وجمع الكتب – وأنا سأبين بعض الحالات التي هي كشبهات عند البعض– فمنها تصنيف العلوم الشرعية والكتب وغير ذلك، هي أصلًا لها أصل في الدين؟ نعم لها أصل في الشرع، وسنبينها في المسائل. لذلك نقول في التعريف هنا: طريقة في الدين مخترعة، لابد التقييد هنا بالدين، و"مخترعة" إذًا ليس لها أصل، لو كان لها أصل فلا تكون بدعة.

تضاهي به الشرعية؛ هو يريد كما قال ابن حزم أو بعض السلف أن البدعة تضاهي السنة، الذي يفعل البدعة يريد أن يضاهي به السنة، يضاهي أي تشابه الطريقة الشرعية، مع أنها غير ذلك – كما نأتي بالأمثلة– لكن هو معنى التعريف هنا يضاهي الطريقة الشرعية أي تشابه الطريقة الشرعية، بل هي لو دققت فيها تجد أن هي تضاد الطريقة الشرعية.

مثلًا كالذي نذر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نذر الصوم واقفًا وألا يستظل، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن الوقوف وعن الاستظلال وأتم الصوم، وضع حدودًا ليست في الشرع ألزم نفسه بها.

أو مثلًا كما الذين يقتصرون على ملبس واحد، نوع واحد من اللباس، أو مأكل؛ صنف واحد من الطعام ويمنعون أنفسهم عن غير ذلك، هذه حدود وضعها لنفسه لم يأت بها الشرع، بل تصادم الشرع، الله عز وجل قال: {كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ} [البقرة:172]، فأنت لماذا تحرم على نفسك أو تمنع نفسك!

أيضًا أنك تلتزم كيفية ليست موجودة في الشرع؛ كيفية في العبادة أو هيئة، مثلًا يجتمع ويدعون الله بصوت واحد، هذه كيفية أيضًا مضادة للشرع، هذه كيفية ليست موجودة في الشريعة.

أو أنه كما هو موجود من بدعة اتخاذ يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم، هذه كيفية أيضًا غير موجودة.

أو قد تكون تلتزم عبادة معينة في زمن معين لم يأت به الشرع؛ كالتزام مثلًا قيام الليل في النصف من شعبان، أو التزام صوم أول جمعة من رجب مثلًا.

إذًا البدعة بتضاهي الأمور المشروعة، ومن هنا جاء الذم، لأن هو كأنه يُشَرِّع مع الله عز وجل، هو يضاهي الأمور المشروعة وهي ليست من الأمور الشرعية.

قال **يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد**؛ وهذا الذي قصد به إخراج العادات، أي هو يريد بفعل هذا الشيء المستحدث أنه يريد عبادة، هو لو بيفعلها عادة فافعل الذي تريده،؛ اجمعوا الناس حتى يأكلون الطعام لا يوجد مشكلة، لكن تجمعهم على أنها عبادة في يوم معين أو احتفال بمولد أو احتفال بكذا! هذا الذي نقف. اجتماع الناس على خروج يخرج ويتزاورون هذه من العادات، لكن تجمعهم في ليلة معينة حتى يصلوا بصلاة معينة! هذا الذي نتكلم.

إذًا المقصد هنا المبالغة في التعبد، فلما قال "في التعبد" حتى يخرج مسألة العادات عن التعريف، ما يتعرض إليها الشاطبي في هذه المسألة.

نرجع للأقوال؛ بينا القول الأول والقول الثاني.

أدلة قول الذين قالوا بأن البدعة تنقسم إلى محمودة ومذمومة.. ما هي أدلتهم؟

أدلة القول الأول:

نبدأ بأدلة القول الأول سردًا ثم نحاول نبين وجه الدلالة عندهم.

1- أول دليل لهم هو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في صلاة التراويح لما قال "نعمت البدعة هي". ما هو وجه الاستدلال؟ الأدلة التي سنوردها عندنا أصل فيها، نعم نحن عندنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم [**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**]، و "كل" من ألفاظ العموم، وهؤلاء أهل السنة الذين بيقولون أنا ذكرت اسمائهم حتى لا تظن أننا نحن بنتكلم مع مبتدعة، هذا خلاف بين علماء أهل السنة- اضبطوا فقط المسألة- وهم كلهم اتفقوا على شيء في خلاف من ناحية سيكون لفظي، ومتى يكون الخلاف حقيقي سأبينه، لأن الخلاف قد يكون لفظي

بين أهل السنة، وحتى لا أحد يظن أني عندما أقول لفظي فلا يكون هناك فرق، لأن هم كلهم اتفقوا.. لو رأيت كلام الشافعي وغيره بأن يرى بأن المحمودة هي الموافقة للكتاب أو سنة أو إجماع أو أثر، والمذمومة هي التي تصادم وتخالف.

فهم اتفقوا على أن كل ما يخالف الكتاب والسنة والآثار والإجماع مذموم، لكن اختلفوا هل لو وُجِد ما يسمى بدعة لكن مستحدثة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وتوافق أصلًا في الكتاب والسنة والإجماع هل نسميها بدعة محمودة؟ عند هؤلاء يقولون هي بدعة محمودة ولا إشكال لأنها لم تخرج عن الشرع.

عند الثاني يقول لا نسميها بدعة وكل هذا الذي ستذكرونه هو موافق أصلًا للشرع، وهو من الشرع ولا نحتاج نسميه بدعة، فسيكون بين هؤلاء الخلاف لفظي.

لكن هو سيكون حقيقي مع الذين يأخذون قول الفريق الأول ويدعون أن هناك شيء اسمه بدعة محمودة، فينسبون إلى ما هم يبتدعونه أنه شيء جميل نصلي بالطريقة الفلانية أو ندعو بالطريقة الفلانية أو نفعل الكيفية الفلانية، ويحاولوا أن يأتوا بأصول في الشرع وهي ليست أصول- كما سأبين- يستدلون، فيجعلونها أنها بدعة حسنة أو بدعة محمودة، هنا يكون الخلاف حقيقي.

فهو كأن الذين منعوا أيضًا، الخلاف لن يكون بين أصحاب القولين حقيقي إلا لمن يأخذ هذا ويستعمله في بدعة حقيقية وينسب أن هناك بدعة محمودة، فيكون هنا الخلاف حقيقي.

لكن دعونا نقول أولًا حتى نوصل المسألة؛ الذين قالوا بالتقسيم قالوا نعم نحن نقول بحديث [كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ]، هذا عام وجاءت أدلة تخصص هذا العموم، أي كأنه أصبح يريد أن يقول بأن الحديث عام مخصوص؛ "كل بدعة ضلالة" هذه التي معنا في الباب عام مخصوص، أي عام يراد به خصوص البدعة المذمومة؛ كل بدعة مذمومة ضلالة.

لماذا قالوا ذلك؟ قالوا عندنا أدلة خصصت هذا العموم، أخرجت "كل بدعة" من العموم أن البدعة كلها مذمومة لأن هناك بدعة محمودة.

قلنا ما أدلتكم؟ قالوا قول عمر في جمع من الناس لما جمعهم- والحديث مشهور لكم حتى لا أطيل في ذكره- جمع الناس وقال "نعمت البدعة هي" فقالوا بذلك. وهذا الدليل الأول، قالوا قال عمر "نعمت البدعة" إذًا هناك بدعة محمودة وهذا خليفة راشد.

2- الدليل الثاني حديث مسلم عن جرير بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ] هذا الدليل الثاني، قالوا هذا الحديث [مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً] يخصص لنا عموم [كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ]. قالوا الحديث من منطوقه واضح، ما هو الواضح فيه؟ قالوا "من سن في الإسلام سنة حسنة" أي من اخترع، من ابتدع في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها، ولم يقل "من أثبت" أو "من عمل" بسنة في الإسلام. ما الذي يريد أن يقوله؟ السياق يقول "من سن في الإسلام سنة" أي اخترع، وليس "من عمل بسنة موجودة في الإسلام"، فهمتم الدلالة عندهم؟

فقالوا يؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لَيسَ مِن نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إلَّا كانَ علَى ابْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِنْها أَو مِن دَمِها لأنَّهُ أوَّلُ مَن سَنَّ القَتْلَ]، إذًا قالوا هذا الحديث يبين أن المرء قد يسن، والنبي صل عليه وسلم يبين "سن القتل" أي هو أول من قتل، أول من ابتدع هذه البدعة السيئة. وكذلك "من سن في الإسلام" فكان ابتدع سنة حسنة. إذًا هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة. لماذاهم قالوا ذلك؟ لأن عندنا حديث آخر قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم عند الترمذي حديث بلال بن الحارث، وهذا هو الدليل الثالث لهم:

3- قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال بن الحارث[قالَ لبلالِ بنِ الحارثِ اعلَم قالَ ما أعلمُ يا رسولَ اللَّهِ قالَ إنَّهُ مَن أحيا سُنَّةً من سنَّتي قد أُميتَت بَعدي فإنَّ لَهُ منَ الأجرِ مثلَ من عملَ بِها من غيرِ أن ينقصَ من أجورِهِم شيئًا ومن ابتدعَ بدعةَ ضلالةٍ لا يرضاها اللَّهَ ورسولَهُ كانَ عليهِ مثلُ آثامِ من عملَ بِها لا ينقصُ ذلِكَ من أوزارِ النَّاسِ شيئًا] . وجه الشاهد في الحديث: أولًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من "أحيا سنة من سنتي" انتبهوا... يوجد شاهدين؛ قالوا هنا "من أحيا سنة من سنتي" فرق هذا عن الحديث الأول، الحديث الأول "من سن في الإسلام" فنسب السنة لمن سيفعلها، وهنا "من أحيا سنة من سنتي"، إذًا هناك فارق أنك تحيي سنة موجودة هذا له أجر، وأنك تبتدع سنة في الإسلام حسنة لك أجر أيضًا، فهنا يريد أن يقول لما قال النبي في الأول "من سن في الإسلام" أي ابتدع، وأثنى عليه، وأيضًا "من أحيا سنة" كانت موجودة أثنى عليه، إذًا هناك فارق بين إحياء سنة وبين ابتداع سنة. إذًا اللفظ مراد في الأول ويؤكدون الأول.

ثم أيضًا في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم "ومن ابتدع بدعة ضلالة" قيَّد من ابتدع بدعة ضلالة، المفهوم: من ابتدع بدعة غير ضلالة ليس عليه شيء، فهذا الدليل الثالث على أن التقسيم موجود.

4- أيضًا استدلوا رابعًا على أنه ثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم استحسنوا بعض الأمور أو بعض الأشياء ولم يرد فيها نص معين في كتاب ولا سنة، وأجمعوا على ذلك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم [لا تجتمعُ أُمَّتي على ضلالةٍ] ما هي الأمور؟ قالوا فعل عثمان رضي الله عنه بجمع المصحف العثماني، وقالوا أيضًا رؤية وقضاء عمر رضي الله عنه بقتل الجماعة بالواحد؛ حديث [لو تمالأَ عليهِ أَهلُ صنعاءَ لقتلتُهُم به] قضى بأنه لو جماعة قتلوا رجل، نفر من أربعة أو خمسة أو سبعة قتلوا رجلًا، فذكر عمر فقال اقتلوهم جميعًا به، قتل الجماعة بالواحد، مسألة فقهية في كتاب الجنايات ستأتي، على أن قالوا أول من فعل ذلك عمر رضي الله عنه وأرضاه.

وأيضًا سيدنا علي قال بتضمين الصناع، وقالوا هذا أيضًا لم يكن فعله قبل علي رضي الله عنه أحد. فدل ذلك على أن الصحابة كانوا يستحسنون بعض الأمور وفعلوها، والتابعين، ولم يحدث خلاف بينهم.

5- ثم أخيرًا الخامس استدلوا بالأثر والصحيح أنه موقوف عن ابن مسعود وهو قال: [ما رآه المُسلمونَ حَسنًا؛ فهو عندَ اللهِ حَسنٌ].

فقالوا هذه أدلتنا أن البدعة تطلق على كل ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ سواء كان محمودًا أو مذمومًا، وأن كل ما ورد في البدع من ذم هو حديث [كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ] أو غير ذلك هو عام مخصوص، يقصد به البدعة المذمومة.

وأيضًا زاد عليهم كالعز بن عبد السلام أن البدعة تجري عليها الأحكام الخمسة، وهذا ملخص أصحاب القول الأول والأدلة التي لهم.

نأخذ أدلة القول الثاني، ثم إن شاء الله نرد على المخالف في أدلتهم.

أدلة القول الثاني:

نأخذ أدلة القائلين بذم البدعة مطلقًا، وطبعًا أدلة هذا القول مصب أولًا على أن البدعة في العموم مذمومة، وأن البدعة سيئة، وأنه ليس هناك بدعة محمودة ولا مذمومة.

1- قال الله عز وجل: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا} [المائدة:3] ، فقالوا يدل على أن الشريعة كاملة لا نقصان فيها، ولا تحتاج إلى زيادة ولا إلى نقصان، وأن المبتدع الذي يأتي بالبدعة هو إما سيزيد في الشريعة أو لو كان ينقص منها، وكل هذا مصادم لقول الله عز وجل بتمام الدين وتمام إكماله وأن الشريعة قد اكتملت.

ولأن – كما سنبين بعد ذلك في ذم البدع أو الأدلة –على أن المبتدع كأنه شرع في دين الله عز وجل، لأنه إما يزيد في الشرع أو ينقص من الشرع، وهذا كله كما قال الإمام مالك في بداية الكلام: ان من ابتدع في الإسلام بدعة فإنه قد خان الله

عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن ادعى بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ، والله عز وجل يقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ} [المائدة:67]، فقالوا فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا.

2- قالوا من الأدلة أيضًا قول الله عز وجل: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [الأنعام:153]، قالوا "الصراط المستقيم" سبيل الله، و"السبل" هي سبل المبتدعة التي تصد عن سبيل الله عز وجل، أي السبل هي سبل أهل الاختلاف الذين زاغوا عن الكتاب والسنة، وهم المبتدعة، هو طبعًا البعض يفسرها بالمعاصي، وقالوا لا لأن المعاصي ليس لها سبيل أصلًا، لا تُوَصِّل، لكن السبل هذه الذي يُلبَّس على الناس أنها تُوَصِّل وهي لا تُوَصِّل، فهذه هي سبل أهل البدعة، فلما نهى الله عز وجل عن اتباع هذه السبل أي نهى عن البدع وسبل أهل البدع.

3- وكما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: [خَطَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَطًّا بيَدِه، ثُمَّ قال: هذا سَبيلُ اللهِ مُستقيمًا، قال: ثُمَّ خَطَّ عن يَمينِه وشِمالِه، ثُمَّ قال: هذه السُّبلُ، ليس منها سَبيلٌ إلَّا عليه شَيطانٌ يَدعو إليه، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}] ، فقالوا هذه السبل تعبر عن المبتدعة، وعن طرق المبتدعة، وعن أقوال المبتدعة.

4- أيضًا من الأدلة قالوا قول الله عز وجل في آية سورة آل عمران: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ } [آل عمران:7]، فقالوا الزائغين عن الحق هم الذين يتبعون المتشابه، وفسر ابن مسعود هذه الآية على الخوارج لما تكلمنا عنها في أول الكتاب، وهو أيضًا ثبت عنه قال: "يتبعون متشابه ويضلون عن محكمه" وأن الخوارج هي أول

طائفة مبتدعة، فبين بأن أهل البدع هم الذين يعملون بالمتشابه ويتركون المحكم، فمن علامات البدع أن يتمسكون بالمتشابه ويتركون المحكم.

5- ثم الحديث الذي معنا في الباب حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه والذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا** إلى أن قال في آخر الحديث **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** قالوا هذه دلالة قاطعة ونص على أن كل البدع مذمومة وليس هناك استثناء، بل لا يوجد تخصيص لهذا الحديث بأن هناك بعض البدع مذمومة وبعض البدع محمودة... لماذا؟ قالوا لأن الحديث نص في العموم، قال "كل محدثة بدعة" و(كل) هذا من ألفاظ العموم، بل هو من أقوى ألفاظ العموم، ولا يوجد تخصيص لهذا الحديث، كما سيردون طبعًا على أصحاب القول الأول بعد ذلك.

وطبعًا تفسير "كل بدعة ضلالة" تكلم فيها الشراح والحفاظ كابن حجر وابن رجب، وقالوا أن هذه قاعدة من قواعد الشريعة، من أصول الشريعة بأن كل بدعة ضلالة، لذلك قال ابن حجر في ذلك قال "هذه الجملة منطوق ومفهوم"، أي قاعدة شرعية كلية بمنطوقها وبمفهومها، قال "كل بدعة ضلالة" كأنك تقول حكم كذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، فلا تكون من الشرع، لأن الشرع كله هدى وليس فيه ضلالات، فكأنه يقول هذا بمنطوقها ومفهومها، قاعدة أصلية تبين أن البدع كلها مذمومة.

نفس الكلام قاله أيضًا النووي – رحم الله الجميع– أن هذه قاعدة عظيمة في بيان أن كل البدع مذمومة.

6- حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها: **[مَن أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ما لَيسَ منه فَهو رَدٌّ]**، وفي رواية "هو باطل". وهنا طبعًا أنا أتيت بـ (أحدث) لأن هناك رواية أخرى (من عمل عملا) فنحن قلنا بـ (أحدث) حتى نبين البدعة الذي في ذلك.

فقالوا هنا دلالة واضحة- أنا طبعًا اتجوز في الأدلة في الشروحات التي تكلموا فيها العلماء لكن بأتيكم بالأدلة فقط- على أنه قال [**مَن أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ**]، يبين أنه بدعة، فقالوا إذًا البدع لا تكون إلا مذمومة وإن استحسنها حتى صاحبها، وأن البدعة لا تقبل التقسيم؛ ليس فيها محمود وليس فيها مذموم.

الرد على أصحاب القول الأول:

كان عليهم أن يردوا على أصحاب القول.

نأخذ الدليل الأول؛ قول عمر رضي الله عنه وأرضاه لما قال "نعمت البدعة"، طبعًا البعض يقول بأن قول عمر نعمت البدعة أراد به البدعة اللغوية؛ البدعة في اللغة، والحق هذا القول ضعيف مع أنه هو المنتشر هذا القول كثيرًا موجود، لأن عمر يتكلم في الشرع، لا يتكلم في اللغة، فما الذي سيجعله يقول نعمت البدعة يقصد بها البدعة التي في اللغة! يتكلم بمسألة شرعية.

نقول أولًا هل ما فعله عمر كان بدعة؟ أولًا قبل أن نرد، هو طبعًا هذا أحد الأقوال الذين قالوا بأن يحمل هنا على البدعة اللغوية، وقلت أن هذا مسطر لكنه ليس بالقول القوي. القول القوي سأقوله نهاية. لكن هو نقول الأول هل ما فعله عمر هو كان بدعة؟ لا، لأن ما فعله عمر كان له أصل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى التراويح وصلى بالناس يوما واثنين، وفي خلاف صلى الثالث أم لا لما خرج عليه، فهو لم يفعل شيئًا مستحدث، هو جمع الناس على صلاة كانت موجودة وفعلها النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن الإشكال لما قال "نعمت البدعة" هم يردون هو يقول بأنه قال اللفظ نعمت البدعة، إذًا يوجد ما يسمى البدعة. نقول عند العرب عند أهل البيان واللغة ما يسمى المشاكلة، والمشاكلة هذا أسلوب كأنه عمر يريد أن يقول لهم كأنكم تريدون أن تقولون لي أني قد ابتدعت، فانا أقول لكم نعمت البدعة ولكن صلوا. هل تفهمون ماذا يقول؟ كأنه يشكل على عمر فيقال له فعلت شيء لم يفعله النبي

كأنك ابتدعت، فيقول لهم أنتم تقولون ذلك نعمت البدعة هي ولكن صلوا وهذا يقولون أسلوب مشاكلة، فيه طلب علو الهمة، وفيه الرد على المخالف، وفيه نوع من الاستنصار عليه، فكأنه يقول لهم تقولون لعمر بأنه ابتدع! نعمت ما فعلت أو نعمت البدعة، وهي ليست ببدعة ولكن صلوا مع الناس. وهذا أوجه الأقوال حتى لا أزيد في أقوال كثيرة، وإن كان المشهور أكثر، لكن هذا منضبط عند أهل التحقيق لأن هذا على سبيل المشاكلة، يقول لهم ذلك قصدتم بها بدعة فنعم هي، وهذا موجود في لغة العرب خاصة بأنه لم يستحدث أصلًا، وهو كان موجودًا من قبل.

الدليل الثاني؛ [مَن سَنَّ في الإسْلَامِ] هذا جيد، هم صالوا وجالوا بهذا الحديث مع أن ليس لهم فيه دليل، لماذا ليس لهم دليل؟ أقول لهم ارجعوا إلى سياق الحديث وسبب النزول. سبب النزول أنه ناس دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وكانوا مقطعين الثياب، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لحالهم، فقام فجمع الناس فخطب، فقام رجل ذهب إلى بيته فأتى بكومة أو بشيء عنده من البيت تصدق به، فوضعها النبي صلى الله عليه وسلم، فقام الصحابة فتسابقوا – رضوان الله عليهم– على التصدق حتى ظهر أمام النبي صلى الله عليه وسلم كومتين، فسُر النبي صلى الله عليه وسلم فقال "من سن سنة" على أنه أول من جاء وتصدق هذا هو الذي دفع الناس أن يتصدقوا بعد ذلك، فكان له الأجر. فهو لم يحدث صدقة، هي الصدقة مشروعة والنبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبًا يسألهم أن يتصدقوا على هؤلاء الإخوة لهم وجاءوا بثياب مقطعة. فسياق الحديث يبين أن ليس المقصود أنه سن أي ابتدع في الإسلام! بل هو نفذ ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم لما قام خطيبًا، ولكنه أول من ابتدأ في وضع الصدقة، لكن هل هو تصدق بأمر جديد؟ لا. إذًا ليس السياق يبين "من سن في الإسلام" هنا المقصود بها من ابتدع، هو لم يبتدع، وهذا لابد يرجع لسياق الأحاديث حتى قبل الاستدال ليعلم بذلك، هذا رد على الحديث الثاني.

الحديث الثالث؛ حديث بلال بن الحارث، وهذا الحديث ضعيف، حتى أنا ائتيكم بالمسألة الحديثية التي فيها لأن هو الحديث هذا كأنهم طبعًا يستدلون فيه كما بينا في الجزء الأول والجزء الثاني، لكن الحديث حديث بلال بن الحارث لا يُحتج به قلنا لأنه ضعيف، فيه رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني وهذا قالوا احد المتروكين المجروحين، فلا يعتد بالحديث، قال عنه أحمد بن حنبل منكر الحديث ليس بشيء. وقال الآجري سئل عنه بأبي داوود فقال: "كان أحد الكذابين". ومثل ذلك قال الشافعي، وقال ابن حبان روى عن أبيه وعن جده نسخ موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا في الرواية عنه. المهم ابن عبد البر قال "مجمع على تضعيفه". فالحديث ليس فيه احتجاج... لماذا؟ لأن إذا وصل الدليل إلى الضعف سقط به الاحتجاج.

قال في الحديث "من ابتدع بدعة ضلالة" مفهومها أن هناك بدعة غير ضلالة. قلنا الحديث برمته ضعيف لأن فيه أحد الرواه المتروكين.

أنا سأؤجل الدليل الرابع اختم به – الذي هو استدلالهم باستحسان الصحابة– هذا نجعله في الشبهات، لكن أنا سأخذ الذي يليه وهو:

الدليل الخامس؛ استدلالهم بأثر ابن مسعود **[ما رآه المُسلمونَ حَسنًا؛ فهو عندَ اللهِ حَسنٌ]** . أولًا الرد حديثيًا والرد فقها أيضًا.

حديثيًا؛ الحديث هذا أثر موقوف على ابن مسعود أولًا، وليس مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكن صحيح أن هو موقوف على ابن مسعود وهنقول أولًا لو قلنا حديثا تعارض أثر عن صحابي مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، من سنقدم؟ سنقدم حديث النبي صلى الله عليه وسلم **[كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ]** والآيات الأخرى. فالأثر أولًا موقوف على ابن مسعود ليس مرفوعًا للنبي صلى الله عليه وسلم. هذا حديثيًا لو تعارض.

ثانيًا فقهيًا؛ قالوا [ما رآه المُسلمونَ حَسنًا؛ فهو عندَ اللهِ حَسنٌ] طبعًا هذا مشهور لأن هذه القاعدة عند بعض الفقهاء قاعدة أيضًا موجودة. نقول: من المقصود بقول ابن مسعود "من راه المسلمون"؟ هل عموم المسلمين؟ طبعًا هذا الأثر يأخذه من حقًا يريدون البدعة يدخلونها، لا أقول بأصحاب القول الأول السلف، لا، الذين يبتدعون ويقولون هناك بدعة حسنة فيقولون "ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ". هذا الأثر عن ابن مسعود؛ هل المقصود عموم المسلمين؟ لا يمكن أن يكون المقصود عموم المسلمين، وإلا لو كل واحد من المسلمين رأى شيئًا حسنًا فهو عند الله حسن هيناقض قول النبي صلى الله عليه وسلم [لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمّتي ظاهرينَ على الحقِّ]

إذًا هي طائفة على الحق والباقي على الباطل، وإلا كل واحد من عموم المسلمين يشتهي أمرًا ويريده حسنًا فهو عند الله حسن، هذا يصادم الشرع ويصادم الأحاديث الأخرى.

إذًا المقصود هنا "ما رآه المسلمون حسنا" الصحيح هنا نقول أن هناك خصوص، "ما رآه المسلمون" إما نقول إجماع الصحابة- يقصد الكلام في زمن ابن مسعود- "ما رآه المسلمون" أي الصحابة إذا أجمعوا على شيء فكان هذا حجة، والإجماع عندنا حجة. إذًا مقصود الحديث إما نقول بإجماع الصحابة إذا أجمعوا على ذلك أي ليس المقصود في المسلمين – لام الاستغراق- كل المسلمين، هذا عام مخصوص، إما تقول إجماع الصحابة أو إجماع أهل العلم الموثوق فيهم على أنهم أجمعوا على مسألة معينة، ولابد حتى الإجماع هذا سيكون تحت أصل شرعي، فهنا هذا الذي نراه حسنا، وأين في البدعة المذمومة أو البدعة المحمودة لهذا الإجماع؟ لن تجده. إذًا أثر ابن مسعود لا يستدل به في أن كل من استحسن شيئًا، وهذا الإشكال في الذين بيأخذوا هذا الأثر أنه يعد حسنًا عند الله.

نقول أولًا فقهيًا أن المقصود هنا بأن ليس كل المسلمين، بل لابد أن يقصد به إجماعات؛ إما الصحابة أو إجماع أهل العلم، وليس عموم المسلمين، وإلا سيؤدي ذلك بأن كل من استحسن شيء أصبح هو مصيب عند الله عز وجل! وهذا

يناقض الأحاديث الأخرى التي بيناها. إذًا ليس في الحديث أصلًا دليلًا، نحن نقول لو كان المقصود به الإجماع، فالإجماع عندنا معتد به ولن يجمع الصحابة ولا أهل العلم إلا على أصول شرعية عندهم، فهذا لا يكون دليلًا على تقسيم البدعة إلى محمودة أو مذمومة.

تبقى لنا بعض الأعمال التي قال بها أصحاب القول الأول، وهذه بتشكل على بعض الناس كثيرًا، هناك بعض الأعمال استحسنها الصحابة ففعلوها، يظنون أن هذه من باب البدعة المحمودة، ويستدل بها المبتدعة بحق على أنهم يريدون أن يبتدعوا هم أيضًا، ويستدلون بأن الصحابة فعلوا أشياء لم تكن على زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن الناظر إلى هذه الأمور – كما سأبين بعضها الآن– إما أنها تقع تحت أصل شرعي موجود أصالة، وهذا هو أصل شرعي واضح في هذه المسألة، أو تكون تحت قاعدة كلية عند أهل السنة والجماعة (باب المصالح المرسلة)، والمصالح المرسلة لها أصل وهي أيضًا من الشرع، لأنه ما كان من المصالح المرسلة أو ما كان تحت أصل شرعي فستجد لن يخرج عن هذه الأمور التي ذكرت عند هؤلاء، إلا أنها لها أصل في الشرع كما سنبين، أو أنها من باب المصالح المرسلة.

والمصالح المرسلة عند كثير من أهل العلم بأنها يعتد فيها أي أنها تكون من الأمور التي كانت في مصلحة المسلمين فيعمل بها ويلتزم بها أهل الإسلام.

من هذه المسائل؛ قالوا:

أولًا: تجميع عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن، جمع أبو بكر القرآن ثم جمع عثمان وتوحيد المصحف نقول هذا له أصل من الشرع. أبو بكر لما قال كيف أفعل شيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ لكن لما ذكر وقيل ورجع في ذلك تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا تَكْتُبوا عنِّي غيرَ القرآنِ فمَن كتبَ عنِّي

غيرَ القرآنِ فليَمحُهُ] – والحديث صححه الشيخ الألباني وغيره من أهل العلم– وهذا كان في بادئ الأمر لما أراد إلا يختلط القرآن بالسنة، فقال "فلا تكتبوا عني غير القرآن". إذًا أمر بكتابة القرآن أم لا؟ فقالوا إذًا أمر بكتابة القرآن، وإن كان أمر بكتابة القرآن فلا فرق بين كتابته مفرقًا أو جمعه، لأن هو تدوين.

وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم:[لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ] فقالوا فكيف لا يبلغ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً] فهذا التبليغ لازمه التجميع والضم والكتابة حتى يبلغ.

وأيضًا لما جاء أبو شامة للنبي صلى الله عليه وسلم يسأله في أسئلة فقال [اكتبُوا لأبِي شامة]، قال [اكتبوا له خطابًا بكل ما سأل عنه يرجع به إلى قومه] على أنه من النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا لما قال أبو هريرة لما سُئل عن عبد الله بن عمرو قال أن هو وأبو هريرة كانوا من الذين يتسابقون في كتابة حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقال "ولكن عبد الله كان يكتب وأنا لا أكتب".

فكل هذا دل على أن كتابة القرآن أولًا بينها النبي صلى الله عليه وسلم، بل بعد ذلك كتابة السنة أيضًا أباحها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لما اطمئن بعدم الاختلاط بين الوحي وبين السنة.

فنقول إذًا سواء كتابة القرآن أو تدوين الكتب فكل هذا ينزل تحت الأصول التي تكلمنا عنها[بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً] ، [لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ] ، [اكتبُوا لأبِي شامة] وقال أبو هريرة بأن عبد الله بن عمرو كان يكتب، وأيضًا[لا تَكْتُبوا عنِّي غيرَ القرآنِ] فدل على أن الأمر مندرج تحت أصل شرعي. فلما جاء أبو بكر رضي الله عنه وفعله، ثم جاء عثمان، فهذا لم يكن أمرًا مبتدعًا.

المسألة الثانية التي تكلموا عنها كانت في قتل عمر الجماعة في واحد؛ قالوا هذه أصلًا أيضًا لها أصل شرعي، قال الله عز وجل:{ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى

ٱلْأَلْبَٰبِ} [البقرة:179]، فالقصاص شُرع للاقتصاص من القاتل ولم يفرق القصاص بين الواحد والإثنين أو العشرة، كل المسألة بأن لم تحدث الحادثة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبو بكر، لكن هل الذي فعله عمر ليس له أصل في الشرع؟ له أصل في الشرع. وهل آيات القصاص تحدد بأن القاتل لابد أن يكون واحدًا؟ لا. إذًا من قتل حتى لو كانوا ثلاثة قتلوا وباشروا القتل فهذا له أصل في الشرع بآيات؛ بأن القصاص لابد أن يُطبق حفظًا للدماء، هنقول هذا أصل.

الأصل الثاني بأن على ولي الأمر أن يحفظ دماء المسلمين الذين قُتلوا، فعليه أن يطبق ذلك. ففعل عمر ليس فيه ابتداع في شيء، بل هو اندرج تحت أصل عام وهو أمر الله عز وجل لولي الأمر أن يطبق الحد في القاتل، وأن يقتص منه.

ثانيًا ممكن تستدل بأن عمر رضي الله عنه وأرضاه خليفة راشد، وقال **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ** ، إذًا جاء الأمر بالإتباع، **[اقتدوا باللّذينَ من بعْدِي أبي بكرٍ وعمرَ]**، وهذا تخصيص أصلًا ثاني لأبو بكر ولعمر رضي الله عنهما.

المسألة الثالثة تضمين الصناع لو قلنا بها وفعلها سيدنا علي أيضًا سواء دخل في خلافة الراشدة الرابع وأيضًا لأن هنا الحاجة والمصلحة. وتضمين الصناع أي مثلًاأنت الآن ذهبت تفصل الثوب عند الخياط واتلف لك الثوب، يحدث مع النساء كثيرًا وقليلًا مع الرجال، أو يصنع لك غرفة نوم أو يصنع لك انتريه، فأحضرت له أنت القماش للكسوة، فهو الآن أخذ القماش وبيعمل لك كسوة، بيعمل لك التنجيد وأتلف لك القماش.

فهذا الذي جاء به بأنه قالوا قد خربت الذمم ولو لم يُضمِّن الصناع وليعلموا أنهم إذا تهاونوا وفرطوا في العمل سيضمنون، فيكون سبيل له أنه يفعل ما يريد ويتلف للناس أموالهم. فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر للمصلحة العامة للمسلمين فجاء بالتضمين، وله أصول في الشرع، بأن من أتلف شيء في قواعد

عليه إصلاحه ويضمن إذا كان هو متعدي فله أصول في الشرع، وهذه كلها لا تكون من باب البدع التي ابتدعها الصحابة رضوان الله عليهم.

وهو يده يد أمانة لا يضمن، لكن إذا فرط يضمن، فهو لما يعلم بأنه إن فرط سيضمن ويضمنه فقالوا هذا حفظًا لمصالح المسلمين عن مصلحة الشخص كما النبي صلى الله عليه وسلم قال: نهى أن [لا يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ]، وأيضًا [عن تلقِّي الجلبِ]، كل هذا لحفظ مصلحة التجار عن مصلحة الفرد؛ التاجر الواحد.

تلخص من ذلك على أن البدعة المنصوص على ضلالتها في الشرع عند هؤلاء عند أصحاب القول – طبعًا نحن رددنا على أصحاب القول الأول، والراجح طبعًا من كلامي واضح أصحاب القول الثاني؛ على أن البدعة كلها ضلالة، وليس هناك تقسيم، وأنا أقول أن هذه المسألة حتى وإن قلنا بأن قد يكون الخلاف يظهر بأنه لفظيًا بين أصحاب القول الأول والثاني لأن أصحاب القول الأول لم يرتضوا أو لم يقبلوا بأن يكون هناك ما يخالف الشرع ويقولون عليه بدعة محمودة، هم قالوا المذمومة ما خالفت الكتاب والسنة والأثر والإجماع، فهم يتفقوا مع أصحاب القول الثاني.

لذلك نقول قد يكون الخلاف لفظيًا، لكن الإشكال في من أثبت أن هناك بدعة محمودة فأخذ بهذا الاثبات، وقال من استحسن شيء أو من فعل شيئا فهنا لا إشكال أن بعدما تقول أن هناك بدعة محمودة إذًا لابد هو سيأتي بأي عمل ويحاول ينسبه لأصل في الشرع، ويقول لك العلماء قالوا بجواز أن يكون هناك بدعة حسنة، وإلا ما هي البدعة الحسنة؟ ما هو لابد يكون هناك بدعة حسنة. فنقول لو رجعنا حتى لتعريف القول الأول بأن البدعة الحسنة عندهم ما وافق الكتاب والسنة والإجماع والأثر، والبدعة الضلالة ما خالف ذلك أو صادم ذلك، فهنا المطية هي في الإشكال بأنك إذا قلت بالتقسيم – وهذا الذي حدث عند كثير من المبتدعة– أخذوا هذا التقسيم وأرادوا أن يلحقوا بالبدعة الحسنة ما ليس منها.

تلخص عند هؤلاء أن البدعة المنصوص على ضلالتها في الشرع لن تخرج غالبًا- وهذا اجتهادًا استقراء - عن هذه الضوابط:

1- أنها كل من عارض السنة (وأقصد بالسنة كتاب أو سنة طبعًا) من أقوال وأفعال أو عقائد؛

2- كل أمر يتقرب به إلى الله عز وجل قد نهى عنه الشرع؛

3- كل أمر لا دليل عليه من الشرع ويُلحق بالعبادات أو العقائد.

النوع الأول؛ كل ما عارض السنة من الأقوال والأفعال والاعتقادات بدعة؛ مثل من يعارض على العقائد؛ بدعة في العقيدة، الطوائف التي ابتدعت في الأسماء والصفات وفي القدر وفي الإيمان، وكل هذا يخالف الكتاب والسنة من أقوال أو أفعال أو عقائد، فهذا مخالفة.

أو كل أمر يتقرب به إلى الله وقد نهى عنه الله عز وجل؛ مثل النبي نهى عن الصلاة عند الغروب وعند شروق الشمس وعند الزوال، فواحد يأتي ويتقصد هذا الوقت ويصلي فيه ويتقرب إلى الله! هذا أمر نهى عنه الشرع، فنقول هذا التقرب بدعة.. لماذا؟ لأنه نهى عنه الشرع وأنت تفعله.

كل أمر لا دليل عليه من الشرع - طبعًا نحن نتكلم في العبادات أو في العقائد- تصلي مثلًا صلاة ليس لها دليل؛ على من يقول صلاة الرغائب وغير ذلك بعضهم. كل عبادة لم تأت كيفيتها إلا في حديث موضوع أو ضعيف- أي كيفية العبادة - يفعل العبادة بكيفية لم يأت بها إلا حديث مثلًا موضوع أو حديث ضعيف، فيأخذه ويريد أن يفعله. طبعًا الضعيف ممكن يدخل في المسألة إن كان انجبر للحسن أو غير ذلك، لكن لو ثبت الضعف أو الوضع فكل عبادة تثبت بذلك هذه من البدعة أيضًا، لأنه لم يصح بها دليل صحيح عند أهل العلم حتى تكون العبادة تفعل، مثل صيام أول جمعة من رجب وغير ذلك، وبعض الأحاديث التي فيها العبادات التي فيها أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

4- كل عبادة أطلقها الشرع ولم يقيدها بمكان أو زمان أو هيئة أو عدد، أي الشارع أطلق العبادة وأنت تقيدها بزمان تقول أصلي ليلة النصف من شعبان، أين التقييد؟ أصلي في المسجد الفلاني، تقييد مكان وهذا تقييد زمان، شد الرحال لغير المساجد الثلاثة فهذه من أين! البعض يسافر يشد الرحال تقصدًا لمسجد لصلاة تراويح – أقول تقصدًا للمسجد– غير أن يقول يذهب يحضر دروس العلم أو يصلي ويستفيد من أمور هذا أمر آخر، لكن يسافر لتقصد مسجد معين، هذا لا يشد الرحال إلى هذه المساجد.

فنقول كل عبادة أطلقها الشارع ولم تقيد لا بزمان ولا مكان ولا هيئة أيضًا، كالهيئات التي تفعل في بعض مجالس في الذكر وغير ذلك لم يأت ذلك أيضًا، أو العدد أيضًا بأنه يشترط عدد معين من الذكر في وقت معين، وهذا لم يرد به، أطلقه الشرع، إلا ما جاء الدليل على مثلًا أن بعض الأذكار مقيدة بالأعداد، لكن ما كان مطلقًا وأنت تقيد زمان أو مكان أو هيئة أو عدد، هذا سيدخل في البدعة.

5- ما نص– وهذه طبعًا حقيقة من المتأخرين– ما نص على استحبابه بعض العلماء خاصة من المتأخرين من بعض المذاهب ولا دليل عليه، بعض المتأخرين من الأصحاب في بعض المذاهب تجده ينصون على استحباب أمور وليست عليها دليل، البعض من أهل العلم أدخلها في المسألة هذه.

وهذه ضوابط لعلنا نكون قد بيناها.

تساؤل من أحد الطلبة عن الفرق بين شد الرحال لمسجد معين لصلاة التراويح، وبين شد الرحال والسفر لحضور مجلس علم؛ على أساس أن كلها عبادة؛

- **رد فضيلة الشيخ:**

الفارق أن شد الرحال للمساجد منهي عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجِدٍ]، لكن أنا أذهب لرحلة العلم هذه كلها موجودة عند السلف، وفي الصحابة وكانوا يذهبون، قال ابن مسعود: لو أعلم أن على

الأرض أحد أعلم مني بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لسافرت إليه، أو لذهبت إليه. فكانوا يذهبون بالأميال ويسافرون ليأخذوا حديث فقط. فالذهاب لطلب العلم والأخذ من شيخ أو حضور دروس هذا مسنون. لكن الذهاب لشد الرحال للمسجد هذا الذي فيه النهي، لذلك فرقت. فهناك فارق بين أن أذهب للمسجد أشد الرحال للمكان، هذا الذي منهي عنه. لكن لو أشد الرحال لأسمع مثلًا أو أجد الخشوع أو أجد كذا ما أستطيع أن أنكر، لأن هذا يلحق بالذهاب لسماع القرآن وطلب العلم وغير ذلك. لكن ممكن يقول لك بعضهم أنا لا أعتكف كل سنة في رمضان إلا عند مسجد الشيخ الفلاني، المسجد هذا بالنسبة لي... أنا لا أدخل في النوايا لكن أقول إن كنت تذهب للمسجد وتسافر من المحافظات فهذا لا يصح، النية لابد تتغير، لكن إن كنت تسافر لأن وقت الاعتكاف فيه دروس وفيه صحبة وأنه فيه سماع علم، وفيه شد همة وغير ذلك، هذا أمر آخر.

لماذا البدعة مذمومة:

قبل أن نختم لابد أن نبين لماذا البدعة مذمومة؟ عرجنا عليها لكن سألخص الأسباب التي بينها أهل العلم على أن البدعة مذمومة؛

1- أولًا نقول البدعة مذمومة لأن من قال بالبدعة وفعل البدعة قد ادعى نقصان الدين، والله عز وجل يقول: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا} [المائدة:3].

2- الأمر الثاني قدح في تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم- وأنا أوجز قد بينت لكن لابد نوجز هذه الأمور لنبين لماذا البدعة مذمومة وأهل العلم حرصوا على أن يبينوا ذلك- أنه قدح في تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل يقول: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة:67]. والنبي صلى الله عليه وسلم وقف في خطبة الوداع لما قال

للصحابة: [أَلَا هل بلّغْتُ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ]، فقال هم يقولون نعم، فهنا إذًا البدعة فيها قدح.

3- كذلك – وهذه من أعظم الأمور في ذم البدعة – بأن من ابتدع نصب نفسه مُشرعًا مع الله عز وجل، وأنه جعل نفسه مشرعًا مع الله عز وجل، لقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} [الشورى:21]، فالمبتدع بيشرع في الدين، فنصب نفسه مشرعًا مع الله عز وجل، {أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ} [الأنعام:62]، والله عز وجل{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ } [الأعراف:54]، والحكم لا يكون إلا لله عز وجل، لذلك ذم الله عز وجل الذين ابتدعوا، قال:{ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ} [الحديد:27] فهم الذين ابتدعوا هذه رهبانية والله عز وجل ما كتبها عليهم.

4- الأمر الرابع بأن البدعة لا شك بأنها تلامس الهوى، ولا يفعلها المرء إلا عن هوى، وقد نهى الله عز وجل نبيًا من أنبيائه وهو داوود عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: {يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ } [ص:26] ، وطبعًا الحديث الذي فيه خلاف بين أهل العلم في ثبوته – وان كان المعنى صحيحًا– قال النبي صلى الله عليه وسلم:[لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ به]. فنقول بأن البدعة تبين الهوى عند المرء، لأنه هوى شيئًا واستحسنه ففعله وخالف به الشرع، لذلك البدعة مذمومة من هذا الباب.

وقد بينا طبعًا الأدلة على ذم البدعة التي قد تكلمنا عنها من قبل.

العاقبة الوخيمة للمبتدع:

وختامًا العاقبة الوخيمة للمبتدع، وهناك حديث صاعقة دائمًا يقشعر البدن عندما يسمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ] انظر.. التوبة لم تحجب عن الكافر، قال الله عز وجل: {لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ

قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ } [المائدة:73]، وقبلها {لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ } [المائدة:73]، ماذا قال الله عز وجل؟ {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [المائدة:74] أي لو تابوا غفر الله عز وجل لهم، مع أنهم قالوا بالكفر. لكن هنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [**إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ**] أي لن يُوفق إلى التوبة – إلا أن يشاء الله–، لكن هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم يدل لك على عاقبة وخيمة للمبتدع، بأن الله عز وجل يحجب عنه التوبة.

ومنها أيضًا الحديث الذي قلناه: [**يُنصَبُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ يُقالُ : هذه غَدْرَةُ فُلانٍ**]، وهذا عموم. ولكن لماذا بستدل به في البدع؟ نقول لأنه بابتداعه قد غدر في عهده مع الله عز وجل ومع النبي صلى الله عليه وسلم، أي دخل في العموم، ليس الحديث فقط في الخروج وغير ذلك، لا، بأن كل غادر يوم القيامة وهذا قد غدر بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وغدر بعهده مع الله عز وجل.

بل أن النبي صلى الله عليه وسلم بين بأنه على الحوض سيذهب إلى أناس يظنهم من أصحابه فيبعد عنهم يقول: [**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَن وَرَدَ شَرِبَ، وَمَن شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ.**] فتقول الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم [**إِنَّكَ لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بعدَكَ؟ فيقول: سُحْقًا سُحْقًا**] . فانظر إلى البدعة تحجبهم عن ورود الحوض مع النبي صلى الله عليه وسلم. طبعًا هذه في البدعة المفسقة، وإلا كان المفترض أن أتكلم أيضًا تقسيم للبدعة المكفرة والبدعة المفسقة.

كان عندنا أسباب ظهور البدع، وعندنا تقسيم البدع، ثم هناك تعليقات على بعض الأحاديث هذه سنرجئها إن شاء الله للأسبوع القادم، وحتى لعلنا نكون قد تكلمنا في الباب بما يستحق، لأن الباب ليس الهين؛ باب البدع هذا وفيه ما فيه من الأمور.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في الباب الحادي عشر؛ **بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجِدَالِ فِيمَا يُخَالِفُ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.**

كنا الأسبوع الماضي تكلمنا بالتفصيل عن قولين للعلماء؛ من قال بتقسيم البدعة إلى مذمومة ومحمودة والقول الثاني – الذي قد رجحناه وهو الراجح الصحيح– بعدم تقسيم البدعة، وأن البدعة كلها ضلالة. وكنا قد نسبنا في كلامنا وفي عرضنا لأقوال أصحاب القول الأول أن الإمام الشافعي – رحمة الله عليه– على أنه ممن قالوا بتقسيم البدعة إلى بدعة مذمومة وبدعة محمودة، وبين أن البدعة المذمومة ما خالفت كتاب أو سنة او إجماع أو قياس، أو لا أصل لها في كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس. وذكر أن هذه هي البدعة المذمومة، وأن البدعة المحمودة نقيض ذلك. واستدل بعد ذلك بقول عمر رضي الله عنه "نعمت البدعة". وكنا قد بينا أن بعض أهل العلم أرادوا أن يوجهوا قول عمر رضي الله عنه "نعمت البدعة" على أن هذا من باب البدعة اللغوية، ويظهر من أحد الوجوه كما سنبين كلام الشافعي من ذلك.

ولكن قلنا بأن هذا الكلام فيه نظر، وأن الأرجح من ذلك أن نقول بأن الكلام هنا عن البدعة الشرعية، فكيف ينسحب على المعنى في اللغة؟ ولأن ما فعله عمر لم يكن لغة، ما فعله عمر رضي الله عنه كان في الشرع؛ وهو جمع الناس على صلاة التراويح على إمام واحد.

فالتوجيه أن نقول أن البدعة اللغوية فيها ما فيها من النظر، والأرجح بذلك أن نقول – كما بيناه من قبل– بأن المراد بقول عمر "نعمت البدعة" أراد بها المشاكلة، والمشاكلة أي كأنها من باب استنهاض الهمم والاستفزاز، ولها أصل في الشرع كما قال سبحانه وتعالى:{ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ } [الشورى:40]، فهنا بالتأكيد ليس جزاء السيئة سيئة، فهل الجزاء يكون سيئة؟ لا، يكون سيئة من عند الله عز وجل.

وأيضًا من قوله تعالى:{ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ } [النحل:126]، فهذا ليس عقابًا، هذا هو حق لك، وهذا من باب المشاكلة في مسألة عمر رضي الله عنه وأرضاه كأنه من باب استنهاض الهمم والاستفزاز للمبتدعة، أو من أراد

أن يقول بأنكم قد أتيتم بعمل هو بدعة، فكأن عمر رضي الله عنه يقول إن كنتم تقولون أنها بدعة أو سميتموها بدعة فلتكن بدعة، المهم أنكم تجتمعوا عليها فإنها هي الأصل سنة وليست بدعة، أو يقول فنعم البدعة إن فعلتم حتى ذلك. وهذا كما قلت له نظائر في الشرع، هذا التوجيه الصحيح.

لكن حقًا لابد أن نبين أن قول الإمام الشافعي له توجيه، أي يمكن أن نوجه قول الإمام الشافعي الذي نقلناه الأسبوع الماضي في مسألة تقسيم البدعة أنه يمكن أن يوجه بما لا يخالف أصحاب القول الثاني، هذا في قول الشافعي تحديدًا، وإلا قول العز بن عبد السلام هذا الذي ما أعلم له توجيهًا لذلك وهو ليس بصواب؛ تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام أنه منها بدعة واجبة وبدعة مستحبة ومكروهة،.. لكن الشافعي ممكن أن يوجه كلامه بعدة توجيهات.

لأن طبعًا الذين يقولون بالبدعة المحمودة أو الذين يتحججون يقولون إمام عظيم من أئمة الفقه وهو الإمام الشافعي وعالم في اللغة، وعالم في الأصول، وغير ذلك قال بتقسيم البدعة فلماذا تنكرون علينا ذلك! ويأخذون هذا القول يطيرون به ويبتدعون ما أرادوا من أعمال، ويقولون لنا أصل بعالم نتبع قوله في ذلك.

فنقول اليوم إن شاء الله سنبين توجيه لقول الشافعي حتى نكون على الأقل بعد أن عرفنا القول نبين بأنه له توجيه، وهذا من الإنصاف في العلم؛ إذا أردت أن تقول قولًا توجهه توجيهًا إن استطعت أن توجه، خاصة أنه من عالم كالشافعي فنقول:

الوجه الأول: أن الشافعي في قوله فرق بين المذمومة والمحمودة على ماذا؟ أنه قال أن البدعة المذمومة هو ما خالفت السنة، إذًا المُحدَث المذموم هو ما خالف الكتاب أو السنة – هو قال ذلك– ما أُحدث يخالف الكتاب أو السنة أو الأثر أو الإجماع. فبالنظر إلى كلام الشافعي أن هذا كله منطبق على سائر البدع. كل البدع التي نراها ليست هناك بدعة إلا هي مخالفة للكتاب أو السنة أو الإجماع أو الآثار، لأن لو ثبتت أن هذه البدعة لها أصل في الشرع فلا تكون بدعة؛ أي إن

ثبت أن هذه البدعة لها أصل في الكتاب أو في السنة فأصبحت عملًا مشروعًا ولا إنكار فيها.

لكن الناظر على أن البدعة الموجودة كلها مخالفة للكتاب والسنة والآثار. فالذي يحسن البدع ليس له وجه في كلام الشافعي، لأن الشافعي لما قسم ماذا قال؟ "البدعة المذمومة ليس لها أصل"، فأنت الآن يا صاحب البدعة كيف تحتج بكلام الشافعي! ما هو أنت أعرض هذا الفعل، لو وجدته يخالف الكتاب والسنة أو لا أصل له في الكتاب أو السنة أو الآثار أو الإجماع والقياس فاذًا هذا هو نفس كلام الشافعي، فليس لك أن تحتج بكلام الشافعي في ذلك. فنحن بنقول الآن الشافعي قال التقسيم، فكيف صاحب البدعة يأتي ويستدل بكلام الشافعي؟ قلنا له كل البدع التي أتيتم بها ليس لها أصل في الكتاب أو السنة أو الآثار، إذًا نزلت تحت أي تقسيم من كلام الشافعي؟ تحت المذمومة، إذًا ليس لك أن تستدل بكلام الشافعي أنت أصلًا لأن في أفعالك وقعت عند الشافعي أيضًا في البدعة المذمومة، فبأي شيء ستستدل للشافعي! هذا وجه.

الوجه الثاني: أن نقول أن كلام الشافعي مجمل أو يحتاج إلى بيان؛ أي هو قال كلام يحتمل، فنحتاج إلى أن نبينها، وقلنا بأن أحد بيانه – الذي لم نرتضيه لكن نحن بنوجه كلام الشافعي– أن البدعة التي يقصدها هنا بالتقسيم البدعة في اللغة، لأنه لما استدل استدل بحديث عمر "نعمت البدعة"، وأنا قلت هذا أحد التوجيهات لكلام الإمام الشافعي، وإن كنت لا أقول لكن بعض أهل العلم يقولون بالتوجيه هذا؛ بأن المقصود بالبدعة بـ "نعمت البدعة" في اللغة، فيمكن أن يُحمل كلام الشافعي هنا على أن التقسيم هنا خاص في المحمود بما كان في اللغة، وهذا وجه يردون به على الإمام الشافعي في الكلام الذي قاله.

الوجه الثالث: الذي يقولون به أن مراد الإمام الشافعي – رحمة الله عليه– في مسألة البدعة المحمودة – لأن البدعة المذمومة لا إشكال فيها لأن المذمومة نحن اتفقنا جميعًا على تأصيله في البدعة المذمومة أنه صحيح– لكن كلامنا كله فيما

نسبه للبدعة المحمودة، أنه يقصد بها الحوادث التي استُحدِثَت وليس عليها أدلة بأعيانها من الكتاب والسنة أو الآثار والإجماع؛ أي يقصد الشافعي في كلامه البدعة المحمودة هي الحوادث التي استُحدِثَت وليست عليها دليل نصي من الكتاب أو السنة أو الآثار والإجماع. لكنها- انتبهوا- تدخل تحت أصل من أصول الدين أو تدخل تحت قاعدة من قواعد الدين؛ أي ليس لها دليلًا نصًا في الكتاب أو السنة أو الآثار لكنها تدخل تحت أصل من أصول الشرع أو قاعدة من قواعد الشرع، كما يدخل فيه المصالح المرسلة. فكثير من الأمور التي حتى قالوها العلماء ونحن رددنا عليها الأسبوع الماضي الذين يردون أن الأفعال بأنها من البدعة المحمودة، كجمع القرآن، وكتضمين الصناع، وقتل الجماعة، وغير ذلك من الأمور المعاصرة فكأن يُحمَل كلام الشافعي على أنه يقصد بها الشيء المحدث الذي ليس له دليل نصي في الكتاب أو السنة أو الآثار، لكنه يندرج تحت أصل من أصول الشرع أو قاعدة من قواعده. منها قلت المصالح المرسلة، فالمصالح المرسلة كثير منها لم تدخل أعيانها تحت نص معين، لكن دخلت تحت قواعد عامة للشرع، وهي ما فيها مصلحة المسلمين والمصلحة العامة وغير ذلك. فهنا يمكن يحمل قول الشافعي على أن البدعة المحمودة هنا هذه التي قد تستحدث في أزمنة أخرى، مثل بعض الأشياء الآن الرادار مثلًا الذي يضعونه للسرعة، الحزام في السيارات، كل هذه بعض أهل العلم يقولون أن هذه وجوبًا أنك إن لم تلبس الحزام مثلًا بعضهم يقول هذه من المصالح المرسلة، فإن ولي الأمر أمر بذلك فهذه فيها مصلحة للمرء وحماية له، فأنك لا يجوز أنك لا تفعلها من باب الشرع هنا كمصالح مرسلة، بأنها تفيد المرء أو قد تحفظه. هذا أيضًا وجه يحمل عليه كلام الشافعي.

الوجه الرابع: بأنك من الإنصاف في العلم أنك عندما تتعرض لقول أحد العلماء تنظر لكلامه في كتب أو في مواضع أخرى على نفس المسألة التي تتحدث عنها؛ أي تنظر إلى أقوال الشافعي، هو تكلم عن تقسيم البدعة، وأن البدعة المذمومة التي خارج الكتاب والسنة التي ليس لها أصل من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو غير ذلك، والبدعة المحمودة التي قلناها، هذا الكلام احتمل فيه إشكال، فنقول هل

الشافعي له كلام آخر في مواطن أخرى أن يكون هناك شيء محدث وأنه في الدين ويقول به أن هو محمود؟ أم هو يذم ذلك؟ لا لو نظرت إلى الشافعي خاصة في (الرسالة) في كلامه عن الإستحسان تعلم بأن الشافعي- رحمة الله عليه- واضح في هذه المسألة بأنه ذم الإستحسان، وقال أيضًا أن الإستحسان هذا تلذذ، وأنكر على من يستحسن، وقال أيضًا ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول إلا بإستدلال، إلى أن قال "ولا يقول بما استحسن" أي ليس لأحد أن يقول إلا أن يستدل وليس له أن يستحسن. وطبعًا الاستحسان مفهوم بأنه هو باب الشر الذي يدخل منه المبتدعة.

لذلك لا يمكن أن يقال بأن الشافعي يستحسن البدعة ويمدحها، فهو بين ذلك في كتابه (الرسالة) لذلك نقول بأنك تجمع كلام الإمام الشافعي في أكثر من موضع.

بل ذكر كما قال الإمام أحمد عن الإمام الشافعي قال: "ما رأيت أحدًا اتبع للأثر من الشافعي"، وابن الإمام سحنون – من المالكية- قال: "لم يكن في الشافعي بدعة". وهذا كله يبين لك على أن العلماء كانوا يرون شدة اتباع الشافعي للأثر. لذلك هذه أوجه تبين حمل كلام الشافعي.

ونختم بمسألة من القواعد التي أصَّلها لنا الشافعي أن (**النهي يفيد التحريم**) قال: "ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو على التحريم حتى تأتي دلالة تصرفه من التحريم إلى غير ذلك". هنا هذه قاعدة قعدها الشافعي في الرسالة في الأصول وغير ذلك، انظر إلى تطبيقها، هو الذي قعد هذه القاعدة، هل ممكن يخالفها بعد أن يقعدها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ** . فاذا كان هو قعد هذه القاعدة بأن ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم للتحريم والنبي نهى **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**.

فهنا دلالة على أن لو قال النهي للتحريم ولو قال بالبدعة إذًا أين النهي للتحريم؟ فهو الذي قعد لنا قاعدة أن النهي للتحريم، وهنا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ... وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ . إذًا لو قال بغير ذلك إذًا ناقض ما يقوله.

وأيضًا هو الذي قعد قاعدة لنا أيضًا –في الرسالة– : **(كل كلام كان عامًا ظاهرًا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على ظهوره وعمومه حتى يُعلَم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا يخصص هذا العموم أو يريد به جملة غيره)** من هذا الظهور. وحديث "كل بدعة ضلالة" ظاهر وهو على عمومه، فهو الذي قعد هذه القاعدة أيضًا، ولم يوجد ما يخرج عن هذا الحديث في أن هناك بدعة محمودة أو بدعة غير محمودة.

هذا حتى نبين الكلام وطبعًا رجوع لكلام الشافعي في كثير من الكتب على أنه قال قولًا – وهذه نختم– ولو تنزلنا بأن هذا قول للشافعي وهو الذي قال لو وجدتم كلامًا يخالف كلام النبي صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط، وهو كلام بشر وكلام عالم من العلماء لو قلنا تنزلًا أنه قال به فهذا يخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم فلا يُعمل به، ولا يُحتج به. وإن كنت أرى بأن هناك توجيهات التي قلناها يمكن أن يوجه عليها قول الشافعي– رحمه الله عليه –.

هذا أنا قلت فقط انصافًا حتى بعدما بينا الأقوال لا يظن أحد بأن قول الشافعي ليس له توجيه، أهل العلم بعضهم وجهوا هذا القول، لكن حقًا قول العز بن عبد السلام هو الذي فيه الإشكال وهو مردود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة تقسيم البدع لخمسة أقسام.

دعونا نرجع مرة أخرى لأن عندنا أمور نريد أن نختم بها هذا الباب أيضًا. نبين أن البدع أشر وأعظم ما يكون على شرًا على الإسلام وعلى المسلمين، وخطر عظيم جدًا البدع، وترى بأن البدع من خطورتها بأنها منازعة كما قلنا، وأن المبتدع ينازع

الله عز وجل في التشريع كما قال سبحانه وتعالى:{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} [الشورى:21]، فهنا لابد أن نبين ما الأسباب التي تؤدي إلى ظهور البدع.

الأسباب التي تؤدي إلى ظهور البدع:

هناك أسباب تكلموا فيها أهل العلم أدت إلى ظهور البدع، أو ستؤدي، لأن الأمر تنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حدث ويحدث؛

1- الجهل في الدين:

نقول أول سبب من أسباب ظهور البدع الجهل في الدين، والجهل كما تعلمون جهل على قسمين؛ جهل بسيط، وجهل مركب. والإشكال والطامة كلها في الجهل المركب، لأن الجهل البسيط الجاهل يعلم أنه جاهل فيتعلم، والجهل المركب هو لا يعلم أنه جاهل، هو يظن بأنه على علم وهو من الجهل بمكان. والمشكلة أن الجهل المركب ينافح عن جهل الذي يظن أنه علم، ويدافع عنه، ويريد أن ينشره، ولا يقبل أن يتعلم من ذلك، وهذا كله هو أصل الإشكال بأن من أسباب ظهور البدعة هو الجهل.

لذلك الله عز وجل في أكثر من موضع قدم العلم على غيره من العبادات، لما قال سبحانه وتعالى:{ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ} [محمد:19]، أي حتى الاستغفار جاء بعد العلم؛ أمر الله عز وجل أولًا بالعلم ثم بعد ذلك بالعبادة، أي لو قلنا بالعلم، والاستغفار عبادة، فالعلم قدم على العبادة، فتعلم أولًا ثم تتعبد حتى لا تقع بجهلك في الكبائر، أو المعاصي، أو الشرك، أو غير ذلك.

ومنها قول الله عز وجل: { قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ } [يوسف:108]، فهنا الدعوة لابد من البصيرة ومن العلم. لذلك ما وقع المبتدع فيما وقع فيه إلا بسبب جهله، وهو أنه لم يتعلم أولًا.

وأيضًا في الحديث نستأنس به لما فيه من ضعف، حديث الرجل الذي شج راسه وكان في سفر مع أصحابه وقال لهم أنه لا يستطيع الاغتسال، أجنب، فقال لهم أنه رأسه مشوجة وإن اغتسل مات، فقالوا لا نعلم لك إلا الغسل، فاغتسل الرجل فمات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:[**قَتَلوه قَتَلَهمُ اللهُ، أَلَا سألوا إذْ لم يَعلَموا؛ فإنَّما شِفاءُ العِيِّ السُّؤالُ**] وقلت استئناسًا به لأنه فيه كلام.

فنقول الجهل المركب أخطر ما يكون، وهو من أسباب ظهور البدع، وحقيقة ليل نهار بنسمع الآن عن أناس يُحسبون على الدعوة وأمضوا سنوات ظاهرهم أنهم يُعلِّمون الناس شيئًا، والحق والمنصف لو كان سمع لهؤلاء يعلم أنهم ليس عندهم شيء، ما أريد أصرح بأسماء لكن أمر قريب جدًا يوم أو يومين إمرأة تشتغل في الدعوة لسنوات؛ خمسة عشر سنة، وصل بها الضلال المرأة مدعية نبوة الآن! هي قالت وصلت للتكاليف رفعت والملائكة بينزلوا لها وأن هي الآن لا تصلي طبعًا ولا تفعل تكاليف، والملائكة بيخبروها بكل شيء، هي تظن أنها ملائكة، ووصل بها الأمر أنها اقتربت من إدعاء النبوة! وخمسة عشر سنة الآن الناس بيجلسوا إليها. والآن سمعت بأنها في مكان مرموق – أي المنطقه السكنية– الأخوات بيأتوها كثر، وإن كان الآن الحمد لله هناك من كان يعلم حالها من خمسة عشر سنة وحذر، لكن يبدو أن الأمر استفحل ووصلت..، لكن هي إن شاء الله افتضح أمرها، لكن لا أريد أن يروح حتى الذي لا يعلم يعلم فيذهب فيسأل فيقع. لكن أقول جهل، تُفسِّر في دين الله عز وجل القرآن وهي لا تعلم شيئًا فيه، تُعلِّم عقيدة وبالتأكيد عقيدة أولياء الشيطان وليس عقيدة أولياء الرحمن. المهم الذي أوقعها الجهل وإدعاء العلم، وطبعًا التلبيس عليها، ووصل بها إلى ما وصل كما يفعلون الآن غلاة الصوفية فيما تفعله، حتى إن الذين يجلسون معها يجلسون معها من الظهر إلى العصر هي لا تصلي وهم يتحرجون من القيام للصلاة أمامها! انظر إلى أين وصل الضلال! يقولون كنا نجلس ولا نستطيع نقوم نصلي، هي لا تصلي، حتى لا يطلبون منها أن يقوموا ليصلوا خوفًا، وطبعًا غير أن هم كانوا يخافون منها خوفًا شديدًا لأن هي معها ما معها من الجنون، هي تقول لهم

ملائكة، وتقول لهم أنا أعرف الذي تقولوه. فكأن أصبح لها علم، هي رفعت خلاص للسماء ويأتيها العلم مباشرة! أنا لا أقول الكلام الذي يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي بنقوله في الكتب، هذا حقيقة الآن واقعة موجودة. فاقصد هذا الجهل المركب يصل الإنسان به إلى الكفر- والعياذ بالله-.

2 الهوى:

السبب الثاني من أسباب البدعة الهوى، قال الله عز وجل لداوود عليه السلام: {يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ } [ص:26] فالهوى أصل الضلال- والعياذ بالله- لذلك الحديث الذي حسنه الإمام النووي- رحمة الله عليه- قال: :[لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ به]، والله عز وجل لما أراد أن يبين وأناط العبادة الشركية أناطها باتباع الهوى؛ {أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ} [الجاثية:23]، فاتخذ الإله هوى فوقع فيما وقع فيه من الشرك، {وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ} [القصص:50].

وفي سنن أبي داوود أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [سيخرجُ من أُمَّتي أقوامٌ تتَجارى بِهم تلكَ الأهواءُ كما يَتَجارى الكَلبُ لصاحِبِه، لا يَبقى منه عِرْقٌ ولا مِفصلٌ إلَّا دخلَه] معنى الحديث "سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء" تتجارى بهم الأهواء أي يكون اتباعهم للهوى والبدع سريع جدًا بدرجة كما لو أعض الكلب إمرئ فداء الكلب هذا يدخل في جسده وينتشر سريعًا، فيدخل في كل عرق ومفصل كما قال أهل الطب، وقال هنا النبي صلى الله عليه وسلم "سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء" أي تنتشر بينهم الأهواء والبدع- والعياذ بالله- كأن المر قد عضه الكلب ودخل هذا الداء في جسده فانتشر به. فهذا يدل على أنه سينتشر ذلك، وهذا الذي انتشر في كثير من البدع.

3- سكوت طلبة العلم والعلماء عن البدع:

من الأسباب أيضًا لانتشار البدع – وهذا الذي نحن مناط به أهل العلم، طلبة العلم والعلماء– سكوت طلبة العلم والعلماء عن البدع، وهذا الإشكال، لأن العلم لابد له من عمل، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورَّثوا العلمَ فمن أخذَ بِهِ فقد أخذَ بحظٍّ وافرٍ] .

فاذا سكت العلماء عن إنكار البدع وعن بيانها أمام الناس سيؤدي ذلك إلى إنتشار البدعة، وهذا من الأمور التي لابد أن يقوم بها أهل العلم، فإذا سكت أهل العلم أو سكت العالم أو طلبة العلم عن بيان البدع خوفًا أو ابتعادًا مثلًا نقول عن المشاكل وغير ذلك فإن لم يكن له عذر عند الله عز وجل سيحاسب عليه.

لذلك أنا أقول نشر العلم ومدارسة الكتب هذه– كتب العقيدة– هي ليست فقط هكذا، لأن لما بينتشر الناس الذين يتعلمون العلم وعقيدة أهل السنة والجماعة بينقل ذلك. لذلك لماذا كان علمائنا يحرصون على تدريس كتب العقيدة ويحارَبون في تدريس كتب العقيدة؟ لأن في تدريس كتب العقيدة نشر لعقيدة أهل السنة والجماعة، وإماتة البدع، وأما المبتدعة فتجدهم يحاربون الشيوخ على تدريس كتب العقيدة؛ خاصة عقيدة السلف، ما عندهم غير بعض الكلام يقولونه، كلام في كلام فقط، لكن تدريس كتب عقيدة السلف ما تجده إلا عند علماء السلف بحق وطلبة العلم الذين يسيرون على هذا المنهج، وهذا لابد لتبين للناس البدعة من السنة. فنقول أن سكوت العلماء عن بيان البدع هذا أمر عظيم يساعد على انتشار البدعة.

4- وقوع بعض أهل العلم في البدعة:

الأمر الرابع أنه قد يقع بعض أهل العلم في البدعة خطًا، تأويلًا، اجتهادًا ولم يصب فيه، فيؤدي ذلك إلى اغترار بعض الناس به، عالم ونبيل، عالم وذو علم لكن لا أحد معصوم، اجتهد في مسألة وأخطأ فيها، أو ظن أن هذه فيه سنة وهي

فيها بدعة فوقع في ذلك، الناس لما يرون هذا العالِم يفعل ذلك يتأثرون به، فقد يكون هذا سبيل لإنتشار بعد البدع بسبب قيام بعض أهل العلم بذلك. والحق أنه "اعرف الحق تعرف أهله وإن الحق لا يعرف بالرجال"، فليست المسألة أنه عالِم فتقول أنه مع الحق على الدوام! لا هو نبيل وكل شيء وقد يكون على خير لكنه لما وقع في ذلك لا شك بأن تأثر الناس بهذا العالم قد يؤدي إلى وقوعهم في البدعة.

وهذه سنبينها إن شاء الله بأنه يوجد كلام هنا قاله معاذ رضي الله عنه وأرضاه في الأثر عن مسألة التعامل مع العالِم إذا وقع في الزيغ، أو في الشبهة، أو غير ذلك، كيف نتعامل معه لأن هذا أيضًا مما تجاوز فيه بعض الأناس في زمننا هذا وتعاملوا فيه بغير تعامل أهل السنة والجماعة في ذلك، لكن وقوع بعض العلماء في البدع أدى ذلك إلى تأثر الناس ووقوع البدع.هذه أسباب مجتمعة أو منفردة قد تؤدي إلى ظهور البدع في بعض الأزمنة.

أقسام البدع:

- بدع مكفرة
- بدع مفسقة
  - بدع مفسقة حقيقية
  - بدع مفسقة إضافية

لابد أيضًا مادام تكلمنا عن البدع أن نقسم البدع؛ نبين أقسام البدع عند أهل العلم، لأن البدع على قسمين؛ البدع كلها مذمومة قلنا، لكن نقول التقسيم هنا للبدعة المذمومة إلى بدعة مكفرة وبدعة مفسقة. والبدعة المفسقة ممكن تقسمها لبدعة مفسقة حقيقية، وبدعة مفسقة إضافية. لكن عندك تقسيم أولًا؛ بدعة مكفرة وبدعة مفسقة.

البدعة المكفرة: أعظم أنواع البدع وأهلكها، والتي تؤدي بصاحبها إلى الخلود في نار جهنم – والعياذ بالله-. وضابط للبدعة المكفرة أنها تناقض الإسلام، أو تستلزم القدح والتنقيص من الإسلام؛ كنقص الخالق مثلًا، أي بدعة فيها نقص وتنسب النقص للخالق أو تنسب النقص للنبي صلى الله عليه وسلم هذا ضابط.

منها أنواع كثيرة لو قلنا بداية في العقيدة **بدعة وحدة الوجود، أو بدعة الحلولية، أو بدعة الإتحادية** الذين يقولون بوحدة الوجود، أو يقولون بالإتحاد أو الحلول، ويقولون بأن الله عز وجل حل في كل شيء – والعياذ بالله من ذلك- أو الإتحاد كما تقول النصارى بالتثليث، أو وحدة الوجود أن الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، لا فرق بين خالق ومخلوق، كل هذه سووا بين الخالق والمخلوق، أو جعلوه في كل مكان وغير ذلك. هذه من البدع المكفرة.

أو **بدعة غلاة الجهمية** الذين لازم قولهم ليس للكون إله، لأنهم نفوا لله أسماء، نفوا لله صفات، ويقولون الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا خارج العالم ولا داخل العالم! فأين؟ أنت لا تعبد إلهًا الآن، فتعبد عدمًا. ولا سميع ولا بصير ولا عليم، هذا لا شك بأنه بدعة مكفرة غلاة الجهمية.

أيضًا **غلاة القدرية** هذه بدعة مكفرة؛ الذين نفوا علم الله عز وجل، ونفوا كتابة الله عز وجل، لذلك قال الشافعي: "خاصموهم بالعلم، فإن أقروا فقد خصموا".

بدعة خلق القرآن أيضًا.

بدعة نفي صفات الله عز وجل.

بدعة ما تقوله الشيعة في عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وهذا تكذيب للقرآن، أو ما تقوله في الطعن في أبي بكر أيضًا.

ومنهم أيضًا من ألهوا علي رضي الله عنه **كالنصيريين** الذين يسمون "العلويين" الآن.

هذه كلها أنا قلت طبعًا البدعة المكفرة، أنا أتكلم عن النوع الآن.

البدعة المفسقة: القسم الثاني؛ البدعة المفسقة، وهي ما دون المكفرة، والخطر فيها أقل لأنه ليس فيها كفر، لكنها على ضلال، المرء فيها في مشيئة الله؛ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

وتنقسم البدعة المفسقة لبدعة مفسقة حقيقية وإضافية

فالمفسقة الحقيقية: ليس لها دليل من الكتاب أو السنة، لذلك قلت "حقيقية" يسمونها العلماء بدعة مفسقة حقيقية أي ليس لها أي دليل من الكتاب أو السنة ولا حتى من القياس. وطبعًا لو قلنا العبادات القياس فيها لا يجوز، لكن نقول أنه ليس لها دليل من الكتاب ولا من السنة.

مثل مثلًا ما يفعله غلاة الصوفية في الرهبانية التي يفعلونها، الرهبانية هذه قد نفاها النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا رهبانية في الإسلامِ]، وقال الله عز وجل:{ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد:27] . فهذه بدعة مفسقة لكن حقيقية ولابد فيها من الإنكار.

ونقول البدع كلها لابد فيها من إنكار، لكن بضابط طبعًا، بأنك تنكر بالأساليب التي تزال بها المفسدة ويتحقق فيها المصلحة، وإلا فلا تنكر بمفسدة أعظم، لأن الله عز وجل نفسه قال: { وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ } [الأنعام:108] فنهى الله عز وجل أن تسب آلهة الذين يدعون من دون الله حتى لا يسبوا الله عز وجل. فهذه بدعة مفسقة حقيقية.

وبدعة مفسقة إضافية والتي لها ثم دليل من الكتاب أو السنة؛ أي تتعلق بأصول في الكتاب أو السنة ولكن أدلة عامة ليست في محل النزاع، وهذه طبعًا كثيرة منها مثلًا صلاة الرغائب التي هي في أول رجب، منها مثلًا قيام وصيام النصف من شعبان، تخصيص صيام النصف من شعبان وقيام الليل أيضًا، أو أنك تجمع الناس حتى يصوموا في يوم معين، كما الناس أحيانًا تدعو إلى ذلك. فنقول

الاشياء التي هي لم تفعل قلنا صلاة الرغائب، قيام النصف من شعبان، تخصيص ليلة الجمعة بقيام مثلًا، وبعضهم يخصص أيام في الأسبوع للقيام.

انتهينا من البدعة المفسقة الحقيقية التي لا أصل لها، البدعة المفسقة الإضافية لها أصل، أي لها ثم الدليل لكن دليل عام، فلما يقول أحد الآن: أنا أريد أن أصلي صلاة الرغائب، تقول له: بدعة، يقول لك لماذا هو ربنا هيحاسبني على الصلاة؟ هو يتعلق بأصل عام؛ على الصلاة. يصوم يوم معين، أقول له لا تصوم النصف من شعبان على أن النصف من شعبان السنة فيه الصوم هذا لا يجوز، لكن لو هيصوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر هذا أمر آخر، يقول لي هو صوم في سبيل الله يوم، أنا أقول له نعم، هو يتعلق بماذا؟ بأدلة عامة.

لكن طبعًا **قاعدة عند أهل العلم ولابد أن يعلمها طلبة العلم أن: من الفحش في الاستدلال أن تستدل بدليل عام على مسألة خاصة**، هذا يسمونه ضعف شديد من طالب العلم، أن يستدل في مسألة خاصة بدليل عام. لذلك لماذا قلنا بدعة مفسقة إضافية ؟ لأن عندهم ثم أدلة عامة ممكن أن يتعلق بها.

لكن طبعًا هنا نحتاج أن نرد لأن هذه مسألة بيحدث فيها منازعات، وحتى مع بعض الإخوة الذين من السلفية أو نقول هناك بعض الأفعال يريدون أن يخرجونها من البدعة ويجعلونها من الأفعال أو من عموميات الأدلة في السنة فلا يُنكَر عليهم في ذلك. طبعًا أكثرها من يقيم في النصف من شعبان وغير ذلك من بعض الأمور التي ورد فيها بعض الأفعال.

فنقول حقيقة أن الرد في ذلك بأن في هذه الأفعال التي هي تكون بدعة مفسقة إضافية نقول ننكرها، مع أن هناك أصول عامة لكن ننكرها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أرحم الأمة بالأمة لم يفعل هذا الخير. هو ما هو إشكاله؟ يقول لك هذا الخير ويندرج تحت أصل عام، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبرنا بكل خير، فنقول له أولًا أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك الأمة في أمور العبادات

إلا قد بينها، حتى الطائر يطير بجناحيه كما جاء في حديث سلمان وحديث أنس- رضي الله عن الجميع- أنه كل شيء في العبادات قد بينه لنا، فمعنى أن يسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن خير هذا غير متصور عند السلف، لأن ما كان فيه خير لابد أن كان يدلنا عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن أن تجد لا قولًا ولا فعلًا ولا تقريرًا على أمر ما أنت تقوله ولا تجد له قولًا من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا فعلًا ولا تقريرًا، إذًا هذه دلالة واضحه جدًا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد هذا الخير لنا، وإلا إما بينه لنا قولًا أو فعلًا أو تقريرًا. هذا أمر يرد عليك بأنك لا تقول زيادة الخير خير لأن الخير هذا لم يرد إلينا من النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني بل وجدنا عكس ذلك بأن الذي تتكلم عنه الآن ليلة النصف من شعبان مثلًا، أو أول رجب، أو غير ذلك أو أي أمور نتكلم عنها في البدع التي نقول عليها مفسقة إضافية، وجدنا أن المقتضي كان موجودًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ليلة النصف من شعبان كانت موجودة أم لم تكن موجودة؟ كانت موجودة، هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي بين لنا في بعض الأحاديث ومنها طبعًا ضعيف الحديث لو قلنا في مسألة المشاحن هذا وغير ذلك. فالمقتضي كان موجود لإقامة الليلة أم لا؟ والمانع منتفي أم هناك مانع؟ منتفي، ومع ذلك ترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، تركه ولم يبينه لنا قولًا ولا فعلًا ولا تقريرًا، بل تركه.

إذًا ترك النبي صلى الله عليه وسلم مع أن المقتضي موجود والمانع منتفي يدل أن الترك مراد، هو يريد بهذا الترك أنه ليس مشروعًا، ليس مسنونًا حتى يفعله المرء. طبعًا ممكن يشكل عليك ويقول لك الترك ليس بدليل، نقول نعم فالنبي ترك أمور أخرى لا يفعلها في مواطن في أزمنة معينة في العبادات، نقول نعم لكن لما تكون العبادة يكون الزمن المخصوص بفضل مثلًا أو المكان، ويشير علينا النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا يفعل فيه غير ما قال، مثل ما قال في يوم عرفة الصيام،

قال الصيام يبين أنه كفارة، لكن قال في أيام ذو الحجة أن العمل الصالح فيها مفتوح، فما ننكر على من يفعل ما يريده في أيام ذي الحجة، لأنه يوجد دليل خاص بالأيام هذه، وخص يوم عرفة بالصوم. لكن من قال أريد أن أصلي ليلًا فهو من أيام العشر من ذي الحجة لكن لما يأتي اليوم ولا يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم عبادة خاصة فيه لا قولًا ولا فعلًا ولا تقريرًا وكذلك يسكت، ما يفعل، والمقتضي موجود والمانع منتفي، فنقول هذا مراد ألا يكون في هذا المكان أو هذا الزمان عبادة مشروعة.

بل نزيد عن ذلك؛ أنت تقول بأن هذا زيادة خير وما الإشكال في زيادة الخير أن أنا أفعل ذلك؟ نقول نحن جائنا الذم على زيادة الخير هذا، حديث في الصحيحين الثلاثة رهط الذين جاؤوا للنبي صلى الله عليه وسلم، أليس الصوم هذا من الدين؟ والصلاة هذه من الدين؟ والنكاح.. عندنا النكاح ليس من العبادات في المذهب الشافعي ولكن أنا أقول باقي المذاهب أن النكاح أيضًا عبادة. فالثلاثة جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم:[جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا] أليس هذا خير؟! زيادة في الصوم، وزيادة في الصلاة، وترك النساء لله عز وجل، ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟ أنكر عليهم، بل قال: [مَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي] وبين لهم أنه يفعل كذا وكذا وكذا.

إذًا المسألة ليست في الزيادة، بل الزيادة هذه التي يدعيها البعض بأنه زيادة خير وزيادة في الفعل هذه مردودة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبلها من هؤلاء، بل أنكر عليهم وقال: [مَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي] . إذًا هذه الإضافة التي يدعيها الناس أو هذه الزيادات كلها مادام لم يأت فيها دليل خاص فهذه من البدع المفسقة الإضافية.

هذه أقسام البدع.

سنقرأ حديث معاذ مرة أخرى، حديث (90):

90- وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ: أنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: " هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّمَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةً "

91- وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ، يَقُولُ: أَدْرَكْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَفَاتَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَأَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: " اللَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ قِسْطٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَأْخُذَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولَ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي، وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، اتَّقُوا زَيْغَةَ الْعَالِمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ

يُلْقِي عَلَى فِيَّ الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَيُلْقِي الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ قَالَ: قُلْنَا: وَمَا يُدْرِينَا رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُلْقِي كَلِمَةَ الْحَقِّ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِيَّ الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ؟ قَالَ: اجْتَنِبُوا مِنْ كَلِمَةِ الْحَكِيمِ كُلَّ مُتَشَابِهٍ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْتَ: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وتلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا "

ما تبقى حديث عمر إن شاء الله نختم به الأخير. نقول هنا سيدنا معاذ رضي الله عنه وأرضاه – كما قرئ علينا الآن حديث **إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يكون فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ** وانتبه لقول معاذ **إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا** كأن القول هذا من معاذ مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الفتن هذه كأنها نبوءة، **إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا**، فكأن معاذ يقول لنا ذلك رضي الله عنه، فهذا مما يمكن أن يصح أن نقول أنه مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن معاذ لا يمكن أن يتكلم فيما سيكون إلا إذا كان عنده علم من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. وهنا يقول **إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا** قلنا بأن هذا مما لا يقوله معاذ برأيه، بل لابد أن يكون مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كأنه وحي، ولكن بين لنا فيها قال **يكون فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ**، وهنا قرن سيدنا معاذ بين المال وبين القرآن، كأن هناك فتنة في المال وفتنة في القرآن، فاقترن المال بالقرآن.

فهل القرآن فيه فتنة؟ المال فيه فتنة نعم، نعلم بأن المال يكون فيه فتنة، {كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ، أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ} [العلق:7-6] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [**بادِروا بالأعمالِ سبعًا : هل تنظرون إلَّا فقرًا مُنسِيًا، أو غنًى مُطغِيًا**]، وقال تعالى: {إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن:15] ، ففي الأموال نعم قد بين الشرع أن قد تكون فتنة، وقد تكون صاحبة خير على الرجل إن أنفقها في مرضاة الله عز وجل، أعظم قربة كما جاء الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقولون:

[ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ] يذكرون كما نذكر ويتصدقون وليس عندنا مال فذهبوا بالأجور.. لماذا؟ لأن عندهم مال ينفقونه في مرضاة الله عز وجل.

فنقول المال قد يكون فتنة وقد يكون سبيلًا إلى الجنة لهذا الذي يتعامل فيه في مرضاة الله عز وجل. ولكن القرآن أيضًا، مع أن القرآن الله عز وجل يقول: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء:82] ، وقال الله عز وجل على الظالمين:{ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } [فصلت:44]. فنقول القرآن قد يكون فتنة، نعم، جاءت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن القرآن قد يستجلب به الإنسان الدنيا – والعياذ بالله– فيكون القرآن يستخدمه في أمور في الدنيا، ولذلك سبحان الله الشافعي يقول أن هذا العلم شريف من أراد به الدنيا أخذ به الدنيا ومن أراد به الآخرة أخذ به الآخرة. هذا من شرف العلم، لكن بعضهم يتعاملون معه وكأنه على أمور الدنيا فتجده يتعامل بالقرآن وغير القرآن؛ المسألة على القرآن وعلى العلم الشرعي وغير ذلك، بأنه قد يريد به الدنيا فيكون فتنة له، سواء بالمال أي يأخذ منه مالًا، شهرة، تكسبًا، رئاسة، سمعة، غير ذلك، ففتنة، والله عز وجل يقول: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:35].

وأنت قد تجد حقيقة انتشر تعلم القرآن، وهذا شيء عظيم، جيد، ولكن على النقيض انظر إلى ما يحدث في أيام التراويح في رمضان وانظر إلى من أعطاهم الله عز وجل صوتًا جميلًا حسنًا كيف يتقاضون الأموال لإحياء الليالي في رمضان! يقرأ ليلة السابع والعشرين ولا ليلة كذا ولا كذا، ويأخذ ما يأخذ من الأموال فقط ليحيي ليلة يصلي الناس خلفه فيبكون ويتباكون ويدعون وغير ذلك، ويحصل ما يحصل من الأموال. فهذا أمر حدث في زمننا هذا الذي قاله معاذ بأن القرآن قد يكون فتنة.

بل النبي صلى الله عليه وسلم قال: [اقْرَؤوا القُرآنَ، وابْتَغوا به اللهَ، مِن قَبلِ أنْ يَأْتيَ قَومٌ يُقيمونَه إقامةَ القِدْحِ، يتَعَجَّلونه، ولا يَتَأَجَّلونَه] ، "القدح" هو السهم الذي هو قبل أن يُرمَى ويكون فيه النصل يبيرد الأول ويضبط ويستقيم، فهو يقول بأن هؤلاء يقيمون القرآن إقامة القدح؛ أي يحسنون القرآن ويضبطون الأحكام والمخارج والتجويد وكل شيء كأنهم يرصون الأقداح التي هي الأسهم قبل أن يوضع فيها النصل وغير ذلك، فقال [يتَعَجَّلونه، ولا يَتَأَجَّلونَه] ، أي هم يضبطونه ويهتمون به لكن يتعجلون الأجر في الدنيا ولا يأخذون الأجر في الآخرة، فهذا مصداقًا لقول معاذ رضي الله عنه وأرضاه في مسألة أن القرآن قد يكون فتنة.

وأيضًا الحديث الثاني في هذا الموضع أيضًا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [والقوم يقدمون الرجل ليس بخيرهم ولا بأفقههم ولكن يغنيهم بالقرآن]، وهذا حقيقة .. انظروا في المساجد الآن، من الذي يقدم للصلاة بين الناس؟ أنداهم صوتًا كما قلت أو أحسنه، يغنيهم بالقرآن ولا يفقه في الصلاة، ولا يعلم أحكام لو حدث له عارض في الصلاة كيف سيفعل، وقد لا يكون أصلًا أيضًا عنده القرآن لكن المسألة أصبحت الآن هي أقدمية أو من يسبق أولًا أو من يهتم بشؤون المسجد فهو الذي يصلي.

وأنا أشاهدها وواقع حقيقة بتحدث ويقع منهم أخطاء في الصلاة، أي ليس هناك فقه في التعلم، وأحدهم مثلًا قام في الخامسة فسُبِّح له فأكمل، فجائني قلت له أنت قمت- أنا طبعًا لم أقم خلفه، انتظرته- قلت له أنت قمت الخامسة وأنت تعلم؟ قال لي نعم أعلم، وأكملت قلت له: أعد صلاتك، والذي صلى خلفك لو كان يعلم أنها الخامسة يعيد مثلك الصلاة، هو سلم ووجدته جري عليّ بيسألني، ورجل كبير أكبر منا، وهو رجل فاضل حقيقة، أنا أتكلم عن المسألة العلمية الآن، لكن ما الذي يلجئك أنك تقف تصلي طالما أنت غير ضابط الأحكام الفقهيه؟ قام للخامسة ويعلم أنها الخامسة وأراد أن يكمل، تحرج من النزول الله أعلم ما أدري ماذا فعل، لكن

هو صرح لي قال لي نعم أنا قمت وأنا أعلم أنها الخامسة، قلت لن أنزل، فأفسد صلاته وأفسد من اتبعه أيضًا بدون علم في ذلك.

الشاهد بأن هم أيضًا يقدمون أصحاب القراءات فقط، نقول نعم، لكن الآن وهذا ما لا يعلمه الناس؛ أن إذا تعارض صاحب القراءة مع صاحب العلم يقدم صاحب العلم بالصلاة وفقه الصلاة، لأنه ممكن يقع في أشياء تبطل صلاته وصلاة الناس، وممكن ما يعرف كيف يتصرف أصالة، وهذا حقيقة موجود الآن. فهذا مصداقًا لقول معاذ رضي الله عنه وأرضاه.

لكنه أيضًا في مسألة فتنة القرآن وفتنة المال قال: **حَتَّى يَأْخُذَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ** ، وهذا حقيقة الآن، انظر صغار في السن وهذا جيد أنك تفرح أن الاطفال يحفظون ويتقنون القرآن، لكن الأصل العمل ليس الحفظ، وإلا فالقراء كُثُر ولله الحمد، والقارئات والأخوات في القرآن كثيرات لكن ما يعلمون شيئًا في العقيدة، حتى العقيدة أصول العقيدة ما يعلمون فيها شيء، فضلًا عن أنها ممكن ما تعرف أصلًا كيف تطهر من الحيض وهي معلمة قرآن، أو هو معلم قرآن ولا يعرف كيف يغتسل من الجنابة ولا يعرف أركان الصلاة والفرق بينها وبين سنن وهيئات الصلاة، أو أركان الوضوء وغير ذلك، وهذا لا يعلمه. فنحن ما نريد مصاحف محفوظة! الأصل أن القرآن يُعمَل به وليس فقط يُحفَظ في الصدور.

لذلك هو قال: **فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَيَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّمَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةً** والعياذ بالله.

ثم في الرواية الثانية – وهذه الذي أريدها– قال فيها معاذ رضي الله عنه وأرضاه: **فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، اتَّقُوا زَيْغَةَ الْعَالِمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ** ، قال: (اتقوا زيغة العالم) وهذه مسألة حقيقة

مهمة، معاذ ما قال: (اتقوا العالم) قال: (اتقوا زيغة العالم)، وهذه من المسائل المهمة، وهذا أصل وضعه لنا معاذ رضي الله عنه وأرضاه نحن نحتاج إليه كثيرًا في هذا الزمان حقيقة، التعامل مع العالم إذا أخطأ. قال اتقوا زيغة العالم وما قال اتقوا العالم، لأن العالم قد يكون عالمًا شريفًا، ذو علم وذو قدر وذو اجتهاد، لكن قد يقع في الزيغ، فلما يقع في الزيغ الآن هو وضع لنا أنك تتقي ما وقع فيه من زيغ، تتقي ما وقع فيه من اجتهاد، لكن لا تهدم العالم؛ أي قد يقع في بدعة فاتقي البدعة وأنكر عليه أو بين أنها بدعة.

متى تتكلم عنه؟ إن وجدته بعد أن قيل له أن هذه بدعة وأن هذا الأمر مخالف للسنة وهو ما زال يريد أن يروج لذلك وأقمت عليه، طبعًا هذه أيضًا في مسائل لم يكن الخلاف فيها معتبر، لكن لو كانت المسألة وقع في بدعة خطأ فبينت له فرجع فلا حرج، انتهى المسألة ولا تتكلم عنها، واتقي هذا الفعل ولا تذكره. لذلك أنا قلت قال "اتقوا زيغة العالم" وعلى أنه يظل له العلم ويظل له القدر والاحترام والتبجيل والتوقير لأنه وريث للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان لا أحد معصوم، فأنت ترد عليه هذه الزيغة فقط.

أنا لماذا أقول هذا الكلام؟ لأن ظهر البعض بأن عندما يخطئ بعض أهل العلم، أو يجتهد فيخطئ ولا يصيب، أو يقع في شيء حتى لو في بدعة فتجده ما ترك الرجل في حاله، نزل عليه وأهدر كل ما يفعله طوال عمره في الدعوة، وفي العلم وفي كل شيء، لأنه مثلًا أخطأ في مسألة وقد يكون حتى الخطأ فيه خلاف، لكن قلنا بأنه وقع في البدعة.

فأنت الأصل أنك تنصحه وتبين له وغير ذلك، لا أنك تنزل عليه وتشهر به وتجرح فيه وغير ذلك! لأن معاذ رضي الله عنه قال **اتَّقُوا زَيْغَةَ الْعَالِمِ**، ثم قال: **إِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِيِّ الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ** ، أي ممكن هو حكيم وعالم لكن زلة الشيطان، قال: **وَيُلْقِي الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ** أي الشيطان ممكن يأتي وهذه

مسألة أيضًا ماذا تعني؟ بأن كلمة الحق قد يجريها الشيطان على المنافق- أنا سأبين في الفوائد المستنبطة هنا أنك تأخذ الحق من أي أحد ولو كان عدوًا لك- لكن هنا ماذا قال؟ **اجْتَنِبُوا مِنْ كَلِمَةِ الْحَكِيمِ كُلَّ مُتَشَابِهٍ**، الذي قد يتشابه عليك هذا الذي تجتنبه، وأنا الذي كنت أريد أن أوصله أن أبين منهج معاذ رضي الله عنه وأرضاه في أنك تتجنب الفعل، وتراعي الله عز وجل في هذا العالم، وأنك تعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وإلا لو كل واحد أخطأ فمن أول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه ليس بمعصوم؛ وقع فيما وقع فيه، وسيدنا عمر وقع أيضًا في أخطاء، وسيدنا عثمان وسيدنا علي، ولكن هؤلاء ما قدرهم! أنت تتكلم عن الخطأ ويغفر في بحر حسناته، وهذا وإلا فلا أحد معصوم غير النبي صلى الله عليه وسلم، أو من عصمه الله. فنقول بأنك عليك أن تتأسى بمنهج السلف في ذلك.

تبقى لنا قبل أن نختم الفوائد الحديث الأخير؛ حديث (93) الأثر عن عمر بن الخطاب؛ قال: **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِمُشْتَبَهِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى»**

- كنا قد تكلمنا الأسبوع الماضي عن الخلاف في الرواية (وتَلقى الحق إذا سمعته) و(يُلقى الحق إذا سَمعه) الروايتين موجودين، في رواية عند أبو داوود ورواية في الترغيب والترهيب، الحديث (91) الذي كنا تكلمنا عنه آخر كلمة في (91) قال: "وتَلقى الحق إذا سمعته" وأنتم عندكم قلتوا لي "ويُلقي الحق إذا سمعه"، الإثنين الروايتين موجودين وكلهم لها توجيه، "يَلقى الحق إذا" سمعه" أي هو إذا سمع العالم الحق قد يلقى ويرجع، وأنت قد تَلقى منه الحق بعد ذلك إذا سمعته منه، فلا تتقي لزيغته ولا تتقي العالم، أي هذه لها تفسير وهذه لها تفسير، لكن الروايتين موجودين. الروايات التي معكم موجودة في أبي داوود، والرواية الأخرى في الترغيب والترهيب، "وتَلقى الحق إذا سمعته" فممكن أنك أنت تلقى الحق عنده

بعد ذلك إذا سمعته أيضًا، فالرواية هذه موجودة وهذه ثابتة، وهذه لها تفسير وهذه لها تفسير كما قلنا.

فهنا حديث معاذ قال: **إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِمُشْتَبَهِ الْقُرْآنِ**، – وفي نسخة "بشبيه القرآن"–**فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عز وجل**» . وهنا المجادلة بمشابه القرآن وجدت في زمننا وفي زمن أيضًا من قبلنا، بعض الناس والطوائف المبتدعة كلها يضربون كتاب الله عز وجل بعض الآيات ببعضه بعض، انظر سواء كانت بداية من أول الخوارج الذين أخذوا بآيات فيها{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} [المائدة:44]، فجعلوا هذه الآيات كلها في أن من فعل الكبيرة كافر مخلد في نار جهنم.

والذين أيضًا ضلوا في باب الأسماء والصفات وجاؤوا في الصفات وأنكروا إثبات الصفات، وقالوا بأن هذا متشابه وفيه تشبيه الخالق بالمخلوق فأنكروا العلو، وأنكروا الإستواء، وأنكروا صفات فعلية وغير ذلك، فهذه أيضًا ظنًا منهم أن هذا من باب المتشابه، بل تأولوا على السلف وعلى الإمام أحمد بأنه قال: (أمروها كما جاءت) وأرادوا أن يفوضوا المعنى، مع أن السلف لم يفوضوا المعنى؛ فوضوا الكيفية فقط ولم يفوضوا المعنى. فكل هذا تعامل بالمتشابه الذين يضربون الآيات بعضها ببعض، والأحاديث بعضها ببعض، وهذا الذي نزل فيه من قول الله عز وجل: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ} [آل عمران:7]، فهنا يريد أن يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه أن الناس لو جادلوكم بمشتبه القرآن فخذوهم بالسنن، وهذه –سبحان الله– فيها إشارة عظيمة جدًا للشيخ لفتة أنه ختم بهذا الأثر عن عمر، وسيأتي بعد ذلك يتكلم عن الذين ينكرون السنة، لأن هنا هو يريد

أن يبين بأن السنة مبينة للقرآن؛ أي من جاءك بمتشابه القرآن نتيجة أنه في قلبه زيغ ما الذي يرفع هذا المتشابه؟ السنة، السنة تبين المجمل، تخصص العام، تؤكد ما في القرآن أيضًا، وكل هذا من السنة. لذلك قال عمر بن الخطاب: **فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ** أي أن من الذين يردون هذا المتشابه؟ أعلم الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فيردون المتشابه إلى المحكم ويبينونه للناس، وهم من؟ أهل العلم الذين يعلمون سنة النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا الكلام توجيه من عمر رضي الله وأرضاه ومن بديع المصنف أنه أتى به في آخر الأثر حتى يبدأ الباب الذي سيأتي معنا إن شاء الله بعد ذلك – سيأخذ منا أكثر من مرة– لأنه فيه الكلام عن مسألة التحذير من الطوائف التي عارضت السنة بكتاب الله عز وجل، ما يسمى بالقرآنيين وغير ذلك، هذا سيستفيض فيها في هذا الباب.

ويوجد تعليق لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: [سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا؛ الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، فمن اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا]. هنا طبعًا توجد فائدة أنا كنت سأقولها في الفوائد عمومًا، لكن في هذا الأثر عن عمر عبد العزيز هو جل الكلام في الإجماع، فهو يتكلم طبعًا عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سن السنة وولاة الأمور من بعده سننا، على أنه من بعده الخلفاء الراشدين، لو قلنا "ولاة الأمور من بعده السنن" لو قلنا أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين، الآخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل واستكمالًا لطاعة الله عز وجل، لأن الله عز وجل قال:{ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ } [الحشر:7]، وقال تعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء:80]. إذًا من أخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم

وسنة من بعده [عضُّوا عليها بالنَّواجِذِ] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقد استكمل طاعة الله عز وجل.

(وليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها) أي أن هذه السنن لا يمكن لأحد أن يبدل ولا يخالف هذه السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضًا يبين: (ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين) هذا يبين على أن أيضًا إن اجتمعت الأمة فلا تجتمع على ضلالة، فمن اتبع غير سبيل المؤمنين قد خالف الإجماع، وهذا بالإجماع عند أهل الأصول بأن مخالفة الإجماع بل بعضهم قال مخالفة الإجماع القطعي كفر، كأنه يخالف الكتاب والسنة إذا كان قطعيًا طبعًا.

فهذا آخر الكلام في هذا الأثر.

الفوائد المستنبطة:

هناك فوائد مستنبطة نختم بها هذا الباب العظيم، وهو يظهر من تسمية الباب وغيرها من الأحاديث التي قرأناها.

1- فضل الصحابة رضوان الله عليهم، كيف فضل الصحابة واتباعهم لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتأثرهم بالمواعظ، لما تذكر ارجع للأحاديث لما قام النبي صلى الله عليه وسلم يخطب **وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟** فيها فضل الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم لما يسمعون كلام النبي صلى الله عليه وسلم كانت تذرف الدموع، والقلوب تتخلع من صدورهم، وكانوا يحرصون على معرفة الخير من النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك قال ابن مسعود أن الله عز وجل اطلع على قلوب العباد فوجد أصفاها

وأتقاها قلب النبي صلى الله عليه وسلم فاختاره لرسالته، ثم اطلع على قلوب العباد فوجد أصفاها وأتقاها قلوب أصحابه فاختارهم لصحبة النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك تجد القلوب تتأثر والأعين كانت تذرف من ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم. هذه الفائده الأولى.

2- الفائدة الثانية في الحديث طبعًا الرد على القدرية، من حديث جابر رضي الله عنه: **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**، فمن الذي يضل ويهدي؟ الله عز وجل، فهذا قلنا فيه رد على القدرية – غلاة القدرية طبعًا- الذين نفوا علم الله عز وجل، لأنهم نفوا العلم فكيف سيهدي الله عز وجل من لا يعلم. فهذا حديث جابر رضي الله عنه. والقدرية طائفتان؛ غلاة القدرية والقدرية، غلاة القدرية نفو العلم والكتابة، والقدرية فقط أثبتوا العلم والكتابة ونفوا الإرادة والمشيئة والخلق.

3- الفائده الثالثة دفع المفهوم بالمنطوق، ماذا يعني دفع المفهوم بالمنطوق؟ هذا فيه رد على الذين استشهدوا من الحديث الذي معنا **خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ**، فقالوا خير الهدي من؟ هدي محمد صلى الله عليه وسلم هذا منطوق، إذًا أي هدي غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم مردود، فهنا ندفع المفهوم بالمنطوق. أي من يقولون بتقسيم البدعة بدعة مذمومة ومحمودة فنقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: **خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وسلم هذا منطوق ندفع به المفهوم الذي عندكم بأن هناك بدعة حسنة أو هناك هدي آخر غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. لكن هو كيف ممكن أن يشكل عليك؛ ؟ خير الهدي وأحسن الهدي، أحسن على صيغة أفعل ففيه تفضيل، إذًا هناك خير وأكمل الخير خير النبي صلى الله عليه وسلم لكن هناك هدي آخر هو فيه خير غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم. نقول لهم: هنا أفعل تفضيل ليست على بابها، ليس المقصود منها أن هناك فارق في الخيرية. قالوا: أين الدليل؟ قلنا نعم جاءت أدلة من الشرع بأن جاء أفعل التفضيل ليست على بابها، قال الله عز وجل: {أَصْحَٰبُ

﴿أَلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:24]. "أحسن" و "خير"، مِن مَن؟ هل يوجد أفضلية وخيرية بين أهل الجنة وأهل النار؟ لا يوجد، فهنا دل ذلك على أنه هو "خير الهدي" واحد هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

يؤكد ذلك الحديث **وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** فكل شيء ليس على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ضلالة. وحديث عمر "نعمت البدعة"، "وراه المسلمون حسنا فهو حسن" الذي تكلمنا عنه من قبل، فقلنا المنطوق الذي في الحديث يدفع المفهوم الذي عندكم. والمنطوق أيضًا "كل بدعة ضلالة" ستدفع به المفهوم الذي عندهم. هو لما يقول **خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ**، محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا لا ينافي أن يكون هناك هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم فهذا ليس بمنطوق، هذا مفهوم لأن هو المنطوق يقول خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو مفهومه أن هذا لا ينافي، مثل ما تقول أن هذا اثبات لكن ليس حصر؛ إنما الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم هذا حصر، لكن هو يريد أن يقول لك خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم اثبات لا ينفي، مثل ما تقول "لا إله" لكن ما تقول "إلا الله" فأنت قلت "لا إله" لكن هل حصرت؟ هذا هو المقصود من كلامهم.

4- طبعًا الحديث فيه أيضًا المسألة الأصيلة التي تكلمنا عنها من قبل في الحديث (86) لما قال: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا**، وطبعًا قلنا أن هذه المسألة البعض كان يراجعني في مسألة الغلبة، أن ليس فيها دليل، قلت لهم أخطأتم، لأن هذا الحديث يشير إلى مسألة المتغلب لأنه قال **عَبْدًا حَبَشِيًّا** ولا يمكن لعبد حبشي أن يكون خليفة للمسلمين لأنه لم تتحقق فيه شروط الولاية عند إجماع أهل العلم، وإن قلنا أن يكون قرشيًا ويكون كذا وكذا، ويكون حرًا، لكن هذا عبدًا حبشيًا، وهذه فيها إشارة كما قلنا لوجود الإمام المتغلب،

فهو كيف يكون عبدًا حبشيًا إمامًا وهو ليست له شروط الولاية إلا أن يكون تغلبًا! فهذه ترجع أن هذه إشارة موجودة.

5- أيضًا قال: **إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ سَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا** أيضًا فيه التنبؤ بالاختلافات التي تحدث، وهذه من علامات النبوة وهذه قد بيناها في الأبواب السابقة من قبل.

6- أيضًا ممكن قول معاذ في **اتَّقُوا زَيْغَةَ الْعَالِمِ** يبين لك أن الحق لا يعرف بالرجال، وأن الرجال يعرفون بالحق، لذلك ما ترفع راية أحد وتدافع عن أحد، لا أحد يدافع عنه مطلقًا إلا النبي صلى الله عليه وسلم، لكن غير ذلك فأنت تدافع عن الحق، وجدته مع العالم كنت معه، وإن لم تجده معه فلا تدافع عنه وهو على الباطل، هذا هو الأصل. لذلك التعصب والتحزب والالتفاف حول أحد أخطأ أو أصاب يظل معه على خطأه هذا ليس من هدي السلف، مصداقًا لقول معاذ **اتَّقُوا زَيْغَةَ الْعَالِمِ** .

7- وفيه طبعًا لا عصمة لأحد من بعد النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا.

8- وفيه أيضًا مراجعة العالم إذا أخطأ- في نفس الحديث- لأنه قال هنا: **اجْتَنِبُوا مِنْ كَلِمَةِ الْحَكِيمِ كُلَّ مُتَشَابِهٍ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْتَ: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ** ، إذًا فيه أيضًا أن من هدي السلف مراجعة أهل العلم فيما يقعون فيه، وليست المسألة تقديس يقول لك الشيخ قال ذلك، كيف تراجع الشيخ! هل الشيخ لم ير الحديث! ألم يسمع الشيخ هذا القول! هو إمام المذهب عندنا لم ينظر إلى هذه الأحاديث! يا أخي هذا ليس معصوم، إذا كان معاذ يقول **لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ** ، الصحابة كانوا يراجعون بعضهم بعضًا، عمر روجع، وأبو بكر روجع، والصحابة كلهم راجعوا أبو بكر في قتال مانعي الزكاة ومع ذلك كان الحق مع أبو بكر.

9- فيه أيضًا وَيُلْقِي الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ قَالَ: قُلْنَا: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُلْقِي كَلِمَةَ الْحَقِّ من الذي يلقي؟ الشيطان، طبعًا هنا فيها فائدة أيضًا بأن قبول الحق عن من جاء به كائنًا من كان أنت مأمور بقبول الحق ما دام قد جاءك، عن من جاءك به كائنًا من كان تقبل منه، وهذه لها نظائر في السنة، هنا طبعًا حديث معاذ رضي الله عنه يبين لنا بأن الشيطان لو ألقى كلمة الحكمة على المنافق ستقبلها لأنها كلمة حكمة ستقبلها، لكن الأصرح من ذلك جاء من حديث أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه جرين التمر أن يكون حارسًا عليه، فكان كلما يدخل وجد الشيطان يأكل- الذي تمثل له في صورة آدمية- فكان يمسكه فقال اتركني إلى اليوم الأول والثاني والثالث، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا فعل معك أسيرك البارحة؟ إلى أن جاءه في اليوم الثالث وأراد أن يأتي به للنبي صلى الله عليه وسلم قال اتركني أعلمك كلمات، فعلمه آية الكرسي، ماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم؟ [صَدقكَ وَهُوَ كَذوبٌ] صدقك أي قبلت منه، نعم هو صدقك في هذه الآية، يعلمه آية الكرسي وأن شيطان يفر منها، وهو كذوب. قبل منه أم لم يقبل؟ قبل منه، وهذه طبعًا تبين لك أصلًا أن الشياطين الأصل فيهم الكذب، فالذي بيقول لك معاهم الجن والجن بيقولوا لنا، أنت ما الذي أدراك أن الجن الذي معك هذا أصلًا هو مسلم أم كافر؟ ومن أدراك أن الجن هذا بيصدقك القول الذي هو معك الآن. فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال [صَدقكَ وَهُوَ كَذوبٌ] من صيغة مفاعلة أي هو أصلًا مشهور ومعلوم عنه الكذب، لكن صدقك في هذه المرة، فأخذ منه الحق وصارت سنة، حديث تعلمنا منه أنك إذا أردت أن يفر الشيطان منك إقرأ آية الكرسي.

بل القرآن جاء بذلك... في من؟ في بلقيس ملكة سبأ.. ماذا قالت لما جاءها الكتاب من سليمان عليه السلام؟ {قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً } ماذا قال الله عز وجل بعد ذلك؟ {وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل:34]، وهي كافرة كانت وقالت كلمة حق، والله عز وجل يقول {وَكَذَٰلِكَ

يَفْعَلُونَ} . فهنا هذه تبين لك لأن البعض الآن يسمع كلمة الحق، هو ينظر لمن قالها، لا، اقبل الحق ولو كان الرجل مع أهل الباطل، ما دام الحق جاءك من الكافر، جاءك من فاسق، جاءك من منافق، هو حق.. اقبله، هذا الذي جاء في الكتاب وجاء في السنة وجاء عن الصحابة في ذلك، هذه من الفوائد أيضًا التي نقولها.

نختم بهذا الكلام عن هذا الباب العظيم، نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن نعمل به بين الناس.

أحسن الله اليكم .. إن شاء الله الأسبوع القادم سيكون باب جديد مهم جدًا سيطول معنا فيه المقام؛ **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ يُعَارِضُونَ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى**، وحقيقة كل أبواب الكتاب إلى الآن التي نمر بها، أصول عظيمة جدًا هذا الكتاب من أهم الكتب التي لابد أن المرء أو طالب العلم يقرأ كثيرًا فيه ويتقنه، لأن كل هذه الأبواب من أهم الأبواب في العقيدة، وفيها تأصيلات مهمة جدًا، وميزة الكتاب أن هو يتكلم بالآثار والأحاديث فيرجعك إلى السنة وبالآيات، فالكلام الذي بيقوله المؤلف قليل، لكن الأصل أنه كتاب في الآثار، ويضبط لك أمور عظيمة جدًا. فهنا نتكلم طبعًا بمناسبة ما يأتي على لسان القرآنيين وغير ذلك- وهذا طبعًا سنتعرض إليه- والذين ينكرون السنة ويردون على ذلك. إن شاء الله هذا نرجئه للأسابيع القادمة.

وجزاكم الله خيرا جميعًا

المحاضرة الرابعة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من دروس كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– واليوم ندخل في الباب الأخير في الجزء الأول، الشيخ – رحمة الله عليه– قد جعل الكتاب أجزاء، فهذا الباب الثاني عشر وهو: **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ تُعارِض سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ الْإِنكار عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ**، كان هذا الباب اختاره المؤلف ليكون مسك الختام في الجزء الأول، والحق بأن الأبواب الإثني عشر– هذا الباب والذي قبله وكل الدروس السابقة – هذا الجزء هو تأصيل مهم جدًا لعقيدة أهل السنة

والجماعة، والشيخ – رحمة الله عليه– جزاه الله خيرا أحسن في هذا التصنيف، وفي ترتيب هذه الأبواب، لأنه تعرض لضوابط وقواعد وأمور عظيمة جدًا تضبط لنا كيف كانت عقيدة أهل السنة والجماعة.

لذلك كان هذا الجزء تأصيلي، وسيدخل بعد ذلك في أجزاء أخرى تكون أكثر تفصيليًا، أي هذا التفصيل الذي سيأتينا إن شاء الله بعد ذلك سيكون قائمًا على التأصيلات التي ذكرها في هذه الأبواب الإثنى عشر، والباب الذي يليه أيضًا الثالث عشر أيضًا، وإن كان دخل به في الجزء الثالث. لكن هذا الباب سيأخذ معنا وقت، قد يأخذ معنا محاضرة أو إثنين، والله أعلم ثلاثة أم لا، لأنه هذا من أعظم الأبواب التي ختم بها المصنف أنه بعد أن بين لنا السنة، وحجية السنة، والمتابعة للكتاب والسنة، هنا في هذا الباب أراد أن يحذرنا من أمر حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث الآن، لأن سيخرج علينا طائفة تنكر وتعارض سنة النبي صلى الله عليه وسلم، تضرب السنن بالكتاب، وسموا أنفسهم في زماننا بالقرآنيين، وهم أبعد ما يكون عن أهل القرآن، هم الذين يقدمون الكتاب فقط ويقولون ما وجدناه في الكتاب نعمل به، وأما من لم نجده فلا نعمل به! والأصل في ذلك هو معارضة السنة وهدم السنة.

ونحن بينا في الأبواب السابقة حجية السنة، لكن سنبين هنا في هذا الباب أن السنة وحي كالقرآن، وأن السنة والقرآن متلازمان، وأن الأمر جاء باتباع السنة، هذه سنبينها، وسنبين أيضًا علاقة السنة بالقرآن، وهذه من أهم الأمور في زماننا الآن منتشر، الناس كثر الذين يدعون مسألة اتباعهم للقرآن ويضربون السنة في ذلك، ويهدمون السنة حتى وصل بهم الأمر يتكلموا عن أصح الكتب؛ البخاري ومسلم، في هدم السنة ويريدون أن يهدموا السنة بالكلية حتى لا يتبقى لك شيء في الدين، لأنك لو نظرت إلى القرآن – كما سنبين– القرآن غالب الأحكام فيه مجملة، وجاءت السنة إما مبينة، وإما مقيدة، وإما مؤكدة، وإما أحيانًا السنة جاءت

لو قلنا مشرعة، وإن كنت أتحرج من اللفظ التشريعي على أن النبي صلى الله عليه وسلم ناقل عن الشرع وليس مشرعًا على الراجح، لكن أيضًا أتت بأحكام جديدة.

فإن أنت هدمت السنة، فأنت هدمت الدين، فلماذا هذا مبحث من المباحث المهمة؟ لأنه كيف سترد على هؤلاء الذين يقولون بأن السنة قد تعارض القرآن؟ أو أن السنة تخالف القرآن، ويقولون لابد أن نعمل بالقرآن ونترك السنة لأن القرآن قطعي والسنة فيها ما فيها من الظنية. وهذا إن وجدته تحقيقًا هو ليس دفاعًا عن القرآن في شيء، بل هم لم يفهموا القرآن، ولم يعلموا عن شيء في القرآن، لو قرأوا القرآن وتدبروا القرآن لعلموا بأن الله عز وجل بين لنا في القرآن أن السنة وحي كالقرآن، وأن الالتزام بالسنة كالالتزام بالقرآن، وأن السنة لا تخالف القرآن في شيء.

حتى الشافعي له كلام بديع في هذه المسألة يقول: "ما من نازلة تنزل إلا ولها أصل في الكتاب علمها من علمها وجهلها من جهلها" – في معنى كلامه – لكن هذا كلام مهم جدًا، ما من شيء ينزل حتى لو كانت نازلة إلا ولها أصل في الكتاب، لكن علم من علم وجهل من جهل في ذلك.

فكان هذا الباب من أهم الأبواب، لأن الطائفة موجودة بالفعل، النبي صلى الله عليه وسلم– كما سيأتي في الأحاديث– تنبأ بأنه سيظهر الناس يتكئون على الأريكة شبعانين ويقولون ما وجدناه في كتاب الله عملنا به، وما لم نجده لا نعمل به ! هؤلاء وُجدوا– كما قلت– وسموا أنفسهم بالقرآنين، وموجودين الآن ويقولون ذلك، فلابد أن نعلم كيف نؤصل الرد عليهم، وكيف تلجمهم النار في أفواههم بما يقولون.

فإن شاء الله نبدأ القراءة في بعض الكتاب، ثم سيكون محور الكلام على تعريف السنة عند الفقهاء، والأصوليين، والمحدثين، وعند أهل العقائد، ثم بعد ذلك نبين كيف أن السنة وحي، والأوامر التي جاءت من الله عز وجل بالزام المرء باتباع السنة، ثم سنبين العلاقة بين السنة وبين القرآن، وهذه لها حالات؛ إما أن تكون

مؤكدة، أو مبينة، أو مقيدة، أو أحكام جاءت في السنة، أو مخصصة – لو قلنا– لأنها هي جاءت مع التقييد في ذلك. سنبينها إن شاء الله بقدر الإمكان بالأمثلة في الأحكام، وفي المعاملات، وفي العبادات، حتى يستقيم لأن هذا باب مهم لابد أن لا نتركه هكذا بدون بيان وتأصيل.

قال المصنف – رحمه الله تعالى–:

12–بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ تُعَارِضُ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ إِذَا سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، فَعَارَضَ إِنْسَانٌ جَاهِلٌ فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، قِيلَ لَهُ: أَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ، وَأَنْتَ مِمَّنْ حَذَّرَنَاكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَذَّرَ مِنْكَ الْعُلَمَاءُ وَقِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلُ، إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فَرَائِضَهُ جُمْلَةً، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] فَأَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقَامَ الْبَيَانِ عَنْهُ، وَأَمَرَ الْخَلْقَ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]، ثُمَّ حَذَّرَهُمْ أَنْ يُخَالِفُوا أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَعَالَى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥] ثُمَّ فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ تَعَالَى وَقِيلَ لِهَذَا الْمُعَارِضِ لَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا جَاهِلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣] أَيْنَ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْفَجْرَ رَكْعَتَانِ، وَأَنَّ الظُّهْرَ أَرْبَعٌ, وَالْعَصْرَ أَرْبَعٌ، وَالْمَغْرِبَ ثَلَاثٌ، وَأَنَّ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَرْبَعٌ؟ أَيْنَ تَجِدُ أَحْكَامَ الصَّلَاةِ وَمَوَاقِيتَهَا، وَمَا يُصْلِحُهَا وَمَا يُبْطِلُهَا إِلَّا مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَمِثْلُهُ الزَّكَاةُ، أَيْنَ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، وَمِنْ عِشْرِينَ دِينَارًا نِصْفُ دِينَارٍ، وَمِنْ أَرْبَعِينَ شَاةٍ شَاةٌ، وَمِنْ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ، وَمِنْ جَمِيعِ أَحْكَامِ الزَّكَاةِ، أَيْنَ تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ فَرَائِضِ اللَّهِ، الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، لَا يُعْلَمُ الْحُكْمُ فِيهَا إِلَّا بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا خَرَجَ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ فِي مِلَّةِ الْمُلْحِدِينَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِثْلُ مَا بَيَّنْتُ لَكَ فَاعْلَمْ ذَلِكَ

هذا من بداية الكلام في الباب أصل لنا الشيخ- رحمة الله عليه- الإمام الآجري تأصيلات مهمة جدًا ذكر أولًا من باب تسمية الباب: **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ تُعَارِضُ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ**، أي جعلها طبقة، فهنا بعض الناس، أناس يدعون أنهم التزموا بالكتاب ويعارضون ويردون سنة النبي صلى الله عليه وسلم بحجة أنها تعارض الكتاب! فهو أراد أن يحذرنا من هؤلاء، قال: **وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ** ، لذلك ترى حتى من البيان بعد التبويب أن اسلوب الشيخ في الإنكار شديد، أي لما ذكر لنا: **يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ إِذَا سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى**

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، فَعَارَضَ إِنْسَانٌ جَاهِلٌ فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، قِيلَ لَهُ: أَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ، وَأَنْتَ مِمَّنْ حَذَّرَنَاكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَذَّرَ مِنْكَ الْعُلَمَاءُ وَقِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلُ. انظر إلى شدة الإنكار تظهر لك لأن المسألة عظيمة، أنت ترد السنة، لذلك المسألة ليست رد بعض الأحاديث! لا، هو هدم للدين بالكلية، لأنك إن تهدم السنة هدمت الدين، أنت لن تستطيع أن تعبد الله عز وجل بغير سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال عمران بن حصين ومن جاء من بعدة من التابعين- رضي الله عن عمران والتابعين- قالوا: [[القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن]] وهذه كلمات من ذهب.

وهنا يظهر لك شدة الإنكار من الشيخ، بل يخبر من بعده بأن الأمر ليس فيه تهاون، فهذه قوائم الدين، هو الآن يتكلم في بعض الأحاديث، ثم وصل ليتكلم في الصحيحين. فهل أنت كنت تستطيع أن تتصور أن أحد يتكلم عن البخاري مثلًا ومسلم! حتى العوام في مصر كانوا بيحلفوا بالبخاري، وعندما يخطأ يقول لك "هو احنا غلطنا في البخاري"! فهو وصل التدرج بأنه يريد أن يهدم أعلى درجات الصحة الآن. وغيرهم الذين أصبحوا لا يعترفوا بالسنة، قال أنا من القرآنين، وهذا كما سنبينه.

هنا الشيخ أصل لنا تأصيلات، فالكلام سيكون أولًا أنك تثبت لهؤلاء بأن السنة كالقرآن، والأدلة على ذلك كثيرة، السنة كالقرآن، وحي أيضًا، وكما أُمِرت باتباع القرآن لابد تؤمر باتباع السنة، ثم سيبين العلاقة كما بيّنا.

تعريف السنة:

لكن حري قبل أن ندخل نبين معنى السنة؛ نتعرض إلى تعريف السنة في اللغة، وعند أهل العقيدة، أو الأصول، وعند الفقهاء، والمحدثين.

السنة في اللغة: هي الطريقة، السنة في اللغة تأتي بمعنى الطريقة، أو هي المنهج.

أما السنة في الاصطلاح لها تعريفات كثيرة عند أهل العقائد، عند أهل الأصول، عند الفقهاء، عند المحدثين. لكن في عند هؤلاء كلهم السنة لا تنزل عن درجة القرآن؛ أي السنة والقرآن درجة واحدة على أن الكل وحي من عند الله عز وجل. وهذا الذي دعا بعض المحدثين أن يتكلمون في حديث معاذ، الذين تكلموا عن تضعيفه الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذ إلى أهل اليمن قاضيًا، قال[**فبِمَ تحكمُ؟ قال أحكمُ بكتابِ اللهِ قال : فإن لم تجدْ؟ قال : فسنةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، قال : فإن لم تجدْ؟ قال : أجتهدُ رأيي ولا آلُو، فضربه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في صدرِه وقال : الحمدُ للهِ الذي وفَّق رسولَ رسولِ اللهِ لما يُرضِي اللهَ**]، بعض أهل العلم ضعفوا الحديث- متن الحديث- قالوا فيه نكارة منهم الشيخ الألباني- رحمة الله عليه- قال النكارة بأنه الأصل أن الكتاب والسنة واحد، النبي صلى الله عليه وسلم لما يقول له بما تحكم؟ يحكم بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ما يقول الكتاب ثم يقول السنة، لأن لا فرق بين الكتاب والسنة، فالبعض لم يرتض هذه الطبقة فقط فضعف هذا الحديث ليس سندًا لكن نتكلم عن باب النكارة في المتن.

والشاهد- وإن كان هذا ليس محل البحث معنا- أن عند كل تعريفات أهل العقائد، أو الأصول، أو المحدثين، أو الفقهاء يرون بأن السنة والقرآن صنوان في مسألة الأحكام، لا يختلفان عن بعضهما البعض، ولا يتدرجان في الترتيب.

السنة عند أهل العقائد الذين يتكلمون في العقيدة يقصدون بها أن السنة تخالف البدعة، لما يتكلم أهل العقائد عن السنة يقصدون بالسنة مخالفة البدعة، أي السنة هي الطريقة المحمودة التي كان عليها الصحابة رضوان الله عليهم، ويسيرون عليها، هذا معنى للسنة عند أهل العقائد، بالمقابل يقصدون بها ما كان ضد البدعة وما استُحدِث في الدين، وقد فصلنا ذلك من قبل.

السنة عند المحدثين: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم.. عند المحدثين خمسة – احفظها هكذا– عند المحدثين خمسة، وعند الفقهاء ثلاثة.

المحدثين خمس: ما أضيف للنبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة خُلُقية، أو صفة خَلْقية. هذا عند أهل الحديث، وما أعظم شأن أهل الحديث الذين التزموا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر الناس ذكرًا للنبي صلى الله عليه وسلم وصلاة عليه. فنقول يهتمون بكل شيء جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية أو صفة خَلْقية.

ومن قول: كقول النبي صلى الله عليه وسلم: [**لولا أن أَشُقَّ على أُمَّتي لأمَرْتُهم بالسِّواكِ عِنْدَ كلِّ صَلاةٍ**]، هذا من قوله، سنة قولية، هذا أمر.

سنة فعلية: كثير من السنن الفعلية كمسح النبي صلى الله عليه وسلم على الخفين، هذه سنة فعلية للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث المغيرة لما هوى ليخلع عن النبي صلى الله عليه وسلم الخف، فقال:[**دَعْهُمَا؛ فإنِّي أدْخَلْتُهُما طَاهِرَتَيْنِ**]، فنقول هنا والصحيح بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم هو سنة فعلية أيضًا.

ولذلك بعض أهل الأصول – بعض أقول– أهل الأصول لا يجعلون فعل النبي صلى الله عليه وسلم سنة، أي يجعلونه خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، أي يجعلون فعل النبي صلى الله عليه وسلم سنة خاصة ليست سنة عامة للمسلمين. بعض أهل الأصول.. من؟ الشوكاني– رحمة الله عليه – كثيرًا ما تجد في نيل الأوطار وغيره يجد كل فعل للنبي صلى الله عليه وسلم الأصل عنده فيه أنه خاص إلا أن تأتي قرينة أنه عام للمسلمين، لذلك إن خالف فعل النبي صلى الله عليه وسلم القول يجعل الفعل خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم. لذلك يقول مثلًا الشرب واقفًا؛ النبي شرب واقفًا، قال خاصًا به، ويظل الأمر على النهي عن الوقف، والبول؛ بال واقفًا، فيجعل الأصل عنده فعل النبي صلى الله عليه وسلم الأصل فيه أنه للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تأتي قرينة تكون لعموم الأمة.

ونحن ليس بحثنا ذلك لكن نبين بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم هو سنة عند المحدثين، سنة فعلية.

تقرير: ماذا يعني تقرير؟ تقرير إما أن يقول أحد الصحابة قولًا فيقره النبي صلى الله عليه وسلم، أو يفعل أحد الصحابة فعلًا ويعلم النبي صلى الله عليه وسلم فيقر على هذا الفعل.

قولًا: حديث السلب، النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: **[مَن قتَلَ قَتيلًا فله سَلَبُه]**، أصل هذا الكلام أن أبي قتادة كان في المعركة مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل أكثر من واحد، فكان لبعض من قتلهم سلب، أي لهم سلب التي هي الأغراض، فجاء رجل من الصحابة فأخذ سلب هذا القتيل، ليس هو القاتل له لأن القاتل كان أبو قتادة، فلما النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجلس من قتل قتيلا فله سلبه، فقال أبو قتادة من يشهد لي من يشهد لي، ثلاثة، ولا أحد يتكلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا قتادة؟ فقال يا نبي الله صلى الله عليه وسلم قتلت قتيلا كذا وكذا ولم أجد سلبه وأخذ أحدهم سلبه، فقام رجل قال يا رسول وسلم سلبه عندي، وأراد أن يأخذه، قال فأرضِهِ عني، بيطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل أبو قتادة يرضى ولا يأخذ السلب، فقام أبو بكر قال لا والله أيعمد أسد من أُسد الله إلى أحد فيقتله فتأخذ سلبه؟ فقام أبو بكر منكرًا على أنه يأخذ سلب الرجل– حق له– فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق أبو بكر، في معنى الحديث طبعًا أنا أوجز، فقال "صدق". هنا إقرار النبي صلى الله عليه وسلم على قول أبو بكر لأنه رفض أن يأخذ سلبه لأن هذا حق له.

ومنها أيضًا حديث جابر رضي الله عنه وأرضاه **[كُنَّا نَعْزِلُ والقُرْآنُ يَنْزِلُ]**، لو قلنا أن هذا كان إقرارا من الشارع سواء على فعل العزل، هذا ممكن يصح أن يكون أيضًا سنة تقريرية من النبي صلى الله عليه وسلم.

الصفة الخَلْقية: هو ما نُقل عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم كأنك كما قال بعض الصحابة كلما نظرت إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم كأني نظرت إلى القمر ليلة البدر، إلى غير ذلك من وصف صفات النبي صلى الله عليه وسلم الخَلقية.

الصفة الخُلُقية: فكما جاء أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه وأرضاه قال: [خدَمْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عَشْرَ سِنينَ، فما قال لي لشيءٍ فعَلْتُه: لِمَ فعَلْتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعَلْه: ألَا فعَلْتَه؟] فنقل لنا أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، كما قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما سُئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت [كان خُلُقُه القُرآنَ] إلى غير ذلك من الأحاديث.

هذا ما يبحث عنه أهل الحديث، السنة عند المحدثين خمسة أنواع كما قلنا؛ قول وفعل وتقرير وسنة خُلُقية وسنة خَلْقية.

وأيضًا حديث معاوية بن الحكم السلمي لما كان يجهل الكلام في الصلاة، فضربوا الصحابة على فخديهم، ونظروا إليه قال: [فَوَاللَّهِ، ما كَهَرَنِي ولَا ضَرَبَنِي ولَا شَتَمَنِي، قالَ: إنَّ هذِه الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شيءٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ] إلى آخر الحديث. فيصف لنا خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم.

والأعرابي أيضًا الذي قام فبال في المسجد وقام الصحابة يفتكون به، فقال:[لا تُزرِموهُ] لا تفسدوا عليه بوله، ثم أخذه بعد ذلك وقال إن هذه الأماكن شرعت لكذا وكذا. كل هذه من صفات أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

السنة عند الأصوليين: نقول هي توافق المحدثين في ثلاثة؛ وهي القول والفعل والتقرير، ولكن أهل الأصول لا يتعرضون للصفات الخُلقية والخَلقية، لماذا؟ لأن أهل الأصول بيتكلمون في الحلال والحرام، أهل الأصول ينظرون إلى الحلال والحرام، لذلك يتكلمون في القول والفعل والتقرير ولا يتعرضون للصفات الخُلقية والخَلقية، أي لا يأخذوا منها أحكام.

السنة القولية عند الأصوليين: مثلًا كما جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [وإنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ وصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، ألَا فلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إنِّي أنْهَاكُمْ عن ذلكَ] ، وهنا أيضًا هذه سنة قولية.

وأيضًا حديث المسيء لصلاته لما دخل الرجل لم قال [ارْجِعْ فَصَلِّ فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ] ثلاثًا قال [والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أُحْسِنُ غيرَ هذا عَلِّمْنِي] قال إذا قمت إلى الصلاة ذكر له آية الوضوء ثم قال[ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ، فَكَبِّرْ] وهذه كلها هذه سنة قولية عند أهل الأصول.

السنة الفعلية: نقول هنا الفعلية، الأصل طبعًا عند أهل الأصول- ندخل الفقه قليلًا- أن أهل الأصول يرون بأن سنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية على الإستحباب، الأصل في فعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه على الاستحباب إلا أن يأتي الفعل بيان للواجب فيكون على الوجوب، منها [صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي] وفيها وأيضًا[خُذُوا عَنِّي مناسككم] لذلك كثير من الفقهاء الأصل عندهم في باب الحج والعمرة يعتبرونها على الوجوب لأنها بيان للواجب، إلا ما جاء الدليل على إخراجها.

لكن هناك قول آخر لأهل الأصول أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوب، هناك قول وقول قوي، ولهم دليل قوي جدًا من الكتاب يرون بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوب، وهو قول الله عز وجل: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ } [الحشر:7]، فقالوا {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ} قولًا أو فعلًا، فيدخل الفعل مع القول في ذلك.

لكن الحق- حتى ليس المقام مقام الأصول هنا، الأصول له بابه- نقول أن الأصل في الفعل عند أهل الأصول أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه على الإستحباب، لماذا؟ لأن هناك أفعال فعلها النبي صلى الله عليه وسلم مع مثلًا أهل

بيته عبادات رأوها ولم يلزمهم بها، وغيره من الصحابة ولم يلزمهم بها النبي صلى الله عليه وسلم، فدل ذلك على أن ليس كل فعل للنبي صلى الله عليه وسلم واجب.

وأيضًا حديث أقوى من ذلك؛ حديث التراويح لما هو فعل ثم ترك وقال: [خَشِيتُ أن تُفرَضَ عليكم] إذًا لما فعل ما فرض، لما قام فصلى فصلوا معه الناس في أول ليلة وثاني ليلة وثالث ليلة فامتنع فقال خشيت أن تفرض عليك، وكان فعلًا، فلو كان الفعل وجوبًا لفرض، هو بين ذلك. إذًا الأصل في فعل النبي صلى الله عليه وسلم هو على الإستحباب.

التقرير: وعند أهل الأصول أيضًا وهو يرون بأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقر على واجب فكان واجبًا، وإذا أقر على مندوب فكان مندوبًا.

إقرار على الواجب مثلًا ان رأى ما يفعله الصحابة في الركوع والسجود في صلاته أمامهم أقرهم على ذلك ولم ينكر عليهم، فكان إقرار على واجب لأن الركوع والسجود في الصلاة واجب، أي يرى الصحابة يركعون ويسجدون أمامهم في الصلاة أقرهم على هذا الفعل لم ينكر عليهم فيه شيئًا، فهذا إقرار على واجب، فيكون الإقرار هنا واجب.

وقد يكون الإقرار مستحب، ما المقصود بمستحب؟ يقره على فعلًا مستحبًا، لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم قرع نعلي بلال في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [يا بلالُ، حَدِّثْنِي بأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلَامِ] فهو وجد قرع نعليه في الجنة، فقال:[حَدِّثْنِي بأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلَامِ؛ فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ] فقال يا رسول الله ما عملت من عمل غير أني لم أتطهر في ساعة إلا صليت بعدها ركعتين؛ أي كلما كان يتطهر في أي وقت كان يصلي بهذا الطهور، أو في رواية :[أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا، في سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إلَّا صَلَّيْتُ بذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ] وفي رواية أنه صلى ركعتين، كان كل ما يتطهر يصلي

ركعتين. المهم نبين أن هذا إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم على شيء مستحب مع أن بلال هو الذي يفعله.

لكن هل ممكن تقول أن هذه سنة، أن هذا الإقرار من النبي صلى الله عليه وسلم على بلال أن أصبحت سنة أن كل من توضأ يصلي ركعتين؟ اتركها لكم سؤالًا، هل هذا الفعل من الصحابي أصبح سنة؟ أزيدكم حتى أوضح لكم المسألة؛ الرجل الذي كان يصلي بالإخلاص في كل ركعة فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اسألوه لماذا؟ قال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه. فهل تعد سنة؟ فهذا إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل.

هذه عند الأصوليين طبعًا نحن قلناها الثلاثة هذه لأن هي أحكام تكليفية لو تذكروا عند أهل الأصول، نحن نتكلم عن السنة عند أهل الأصول تكلمنا عن القول والفعل والتقرير لأن هذه هي الأحكام التكليفية التي يستدل بها على الوجوب والاستحباب وغير ذلك.

السنة عند الفقهاء: هي خلاف الواجب، دائمًا تقول الواجب وهذه سنة، أكثر العوام يقول لك: واجب أم سنة؟ أنت كل ما تسأله في شيء والأولاد طبعًا هي واجب أم سنة؟ هو أهم شئ يعرف أنها سنة حتى لا يقوم بها! فهذا كلام الفقهاء.

وهذه مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: **[صلُّوا قبلَ المغربِ]** صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب **[لِمَن شاءَ]** فأصبح هذا صارف للأمر من الوجوب إلى الإستحباب، فكانت هذه سنة وليست واجبة، نقول هذا تعريف السنة.

السنة وحي كما أن القرآن وحي:

والسنة وحي كما أن القرآن وحي، **ولابد من هذا التأصيل مهم جدًا**؛ أننا نؤصل أن السنة وحي كما أن القرآن وحي، أي أن المرء لا يمكن أن يتخلى عن السنة بحال من الأحوال، وأن من تخلى عن السنة فهو متخلي عن الدين، وأن هذا من الدين، والأدلة على ذلك من الكتاب ومن السنة ومن إجماع أهل العلم.

الأدلة من الكتاب:

1- قال الله عز وجل: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ} [الأحقاف:9]، أي ما أتبع إلا ما يوحى إلي، وهنا نفي وإثبات يفيد حصر، وهنا {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا} (ما) من الأسماء المبهمة وتفيد العموم أيضًا، وهذا يبين أن كل ما تبعه النبي صلى الله عليه وسلم فهو وحي؛ وقد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب واتبع السنة. إذًا السنة كالكتاب وحي. هذا الدليل الأول.

2- قول الله عز وجل: {لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ،إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ،فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ،ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} [القيامة:16-19]، وهذا هو الشاهد {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} المُبَيِّن هو من؟ الله عز وجل، إذًا كل ما بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم به للأمة المُبَيِّن له هو الله عز وجل؛ سواء كان كتابًا أو سنة، لأن الله عز وجل قال: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} إذًا التبيين من عند الله عز وجل. كما قال سبحانه وتعالى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل:44]، من الذي يبين؟ النبي صلى الله عليه وسلم يبين عن الله عز وجل، إذًا كل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم هو يرجع إلى الله عز وجل. فكانت السنة والكتاب وحي من عند الله عز وجل.

3- أيضًا – وهذه صريحة جدًا عند أهل التفسير والعلماء– قول الله تعالى: {وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ} [الأحزاب:34]، قال جل المفسرين أن المقصود بالحكمة هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والشافعي نقل ذلك

إجماع السلف على ذلك، قال الشافعي: "أجمع السلف على أن الحكمة المقصودة هنا في الآية السنة". ومن أراد أن يراجع يراجع كتاب الرسالة بما ذكر فيه ذلك.

4- ومن الأدلة قال الله عز وجل:{ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ } [النساء:113]، هنا الحكمة أيضًا كما قلنا أنزل الكتاب وحكمة، إذًا الحكمة منزلة من عند الله عز وجل، وهي وحي أيضًا من عند الله عز وجل. أجمع أهل التفسير أن الحكمة مقصود بها السنة، لو رجعنا لأهل التفسير في ذلك، وهو صنوان لما يقول الكتاب والحكمة، ما هو أنزل عليك الكتاب والحكمة، فالحكمة ليست فقط القرارات اللي تتكلم عنها، ما هو كتاب وحكمة، كتاب وسنة حتى يكون تشريع أصالة، ولا يمنع أن هناك في آيات أخرى تأتي الحكمة بمعنى آخر، لكن السياق هذا يبين أن الحكمة منزلة من عند الله عز وجل.

5- قال سبحانه وتعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ } [النساء:80]، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم من طاعة الله، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بشيء من عند نفسه، أي أن الله عز وجل جعل طاعة الرسول طاعة لله، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأت من عند نفسه بشيء، كل ما أتى به هو من عند الله عز وجل، إذًا من الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بما بينه؟ هو الآمر الحقيقي هو الله عز وجل. لذلك جعل طاعة الرسول من طاعة الله عز وجل، فكأن ما يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم هو ما أخبره الله عز وجل به؛ سواء كان كتابًا أو سنة.

6- وأيضًا من الأدلة من الكتاب قول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ} [المائدة:67]، فالنبي صلى الله عليه وسلم وقف في خطبة الوداع ماذا قال؟[أَلَا هل بلَّغْتُ؟ قالوا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ]، فقد أتم النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ، وهذا البلاغ من النبي صلى الله عليه وسلم أوحي إليه، الله عز وجل قال: {بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ} فكل ما بلغنا به النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب أو سنة

دل على أنه منزل من عند الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: { أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ} [المائدة:92]. إذًا الأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم هو ناقل للشرع، ومبلغ عن من؟ عن رب العباد سبحانه وتعالى؛ سواء كان من كلام الله سبحانه وتعالى قرآنًا، أو من قول النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه. هذا من الكتاب.

الأدلة من السنة:

أما من السنة والدلالة على أن السنة أيضًا وحي ومنها الأحاديث التي ستأتي معنا إن شاء الله معنا في الباب لذلك أنا سأتي ببعضها الآن لأننا سنتعرض إلى الشرح فيها لكن لنثبت المسألة التي معنا الآن.

1- منها أحاديث الباب الذي سيأتي معنا حديث أبي رافع عن أبيه قول النبي صلى الله عليه وسلم:[لا ألفين أحدًا منكم متكأ على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حرام حرمناه وما وجدنا من حلال أحللناه]

2- قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ].

3- وفي رواية أخرى:[وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مثلُ ما حرَّمَ اللَّهُ] ، وهذه دلالة صريحة جدًا من السنة على أن النبي صلى الله عليه وسلم يصرح على أن ما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند الله عز وجل.

4- وأيضًا جاءت أدلة أخرى من السنة تبين بأن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان وحيًا، قول النبي صلى الله عليه وسلم :[إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا]، تصريحًا بأن هذا وحيًا من الله عز وجل، وهو سنة، وهذه جاءت من عند الله، قال:[إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ].

5- وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر قال:[إنَّه أُوحِيَ إليَّ أنَّكم تُفتَنونَ في قُبورِكُم] وهذا تصريح لأن هذا وحي من عند الله عز وجل.

6- وأيضًا حديث النبي صلى الله عليه وسلم :[إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفث في رُوعِي أنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها فاتقوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطلبِ] وهذا كله يدل على أن هذا وحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

7- ومنها أيضًا حديث جبريل عليه السلام لما نزل في صورة رجل وجاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث المعروف- في أركان الإسلام والإيمان والإحسان، وهذا كان وحيًا، قال:[هذا جبريلُ أتاكم يعلمُكم أمرَ دينِكم] من الذي سئل؟ جبريل، وجبريل لا ينزل إلا بوحي من عند لله عز وجل.

الإجماع:

أما الإجماع فقد أجمع علماء القرون الخيرية قرون السلف، القرون الخيرية الأولى على أن السنة وحي كما أن القرآن وحي، وأن من عدل عن السنة فهو هالك ضال مضل، حتى أن عمر رضي الله عنه وأرضاه ورد عنه قال: [إنما الرأي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يريه ربه] وهذا يبين أن الصحابة مستقر عندهم بأن ما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم الرأي من عند الله عز وجل، يُعلمه الله عز وجل ذلك، وإلا حتى لو اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة وكان فيها الاجتهاد فيه لم يصب فكان ينزل الوحي يحصح الله عز وجل هذا الاجتهاد، كما حدث في أسارى بدر وغير ذلك {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ } [التوبة:43] إلى آخر الآيات، والذين اعتذروا في غزوه تبوك، وهذا كله يدل على أن الله عز وجل لم يكن يقر على شيء حتى لو اجتهد فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه يصوبه إن كان فيه ما كان من مخالفة مراد الله عز وجل.

بل هذا أيضًا كان مستقر ليس عند الصحابة فقط، كان مستقر أيضًا عند التابعين؛ كالأوزاعي وأيوب السختياني وعطاء وغير ذلك وحسان بن عطية وكل هذا يبين بين لك أن الأصل عند هؤلاء جميعًا أن السنة وحي كما كان القرآن وحي.

وهذه مسألة مهمة هذا التأصيل؛ أنك تبين للمخالف بأن لم يكن هناك خلاف عند أحد بأن السنة وحي كالقرآن، فلابد من العمل بالسنة كالعمل بالقرآن.

حاجة القرآن إلى السنة:

نبين الآن المبحث الذي سيطول معنا قليلًا وهو حاجة القرآن إلى السنة، كيف يحتاج القرآن إلى السنة، وهذا الذي قلنا سنبينه الذي قاله عمران بن حصين رضي الله عنه وغيره من الصحابة.

بعد أن أثبتنا حجية السنة من قبل، وأن السنة وحي كقرآن، نحتاج نبين العلاقة بين القرآن والسنة، وهذه العلاقة مهمة جدًا حتى تجلي لك المسألة، وكيف أن هؤلاء المبتدعة الذين أرادوا أن يهدموا الدين بالكلية ولا يهدموا السنة فقط نبين لهم كيف العلاقة بين الكتاب وبين السنة.

لها أحوال؛ نقول أن السنة مؤكدة هذا حال، والسنة مبينة للمجمل هذا حال ثان، والسنة مقيدة للمطلق هذا حال ثالث، وأيضًا السنة مشرعة أو مظهرة لأحكام جديدة ليست في القرآن.

الحال الأول: أن السنة مؤكدة للقرآن:

نبدأ بالحال الأول وأن السنة مؤكدة للقرآن، جاءت الآيات في الكتاب في مسائل، وجاءت السنة تؤكد ما جاء في القرآن. ونبدأ بالعقائد؛ لأن هنتكلم في العقائد، ونتكلم في العبادات، ونتكلم في المعاملات، يبين لك كيف أن السنة مؤكدة لما جاء في القرآن.

1- تجد قول الله عز وجل مثلًا في الإيمان قال الله عز وجل:{ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ

مُسْلِمُونَ} [البقرة:136]، وأيضًا قوله تعالى {لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ } [البقرة:177] الآية الأولى والثانية فيها بيان أركان الإيمان.

ثم قول الله عز وجل في القدر أيضًا:{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ } [الحديد:22] هذه في القدر وهذه آيات من القرآن، و{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ} [التغابن:11] . انظر هذه آيات كلها تتكلم عن أركان الإيمان؛ أركان الإيمان الستة.

وأيضًا الإسلام، قول الله عز وجل: {وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ } [البقرة:43]، و{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ } [البقرة:183] و {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران:97] . انظر هذه أركان الإسلام.

كل هذا جاء في حديث جبريل؛ جاءت السنة مؤكدة لما جاء في الكتاب، لما جاء جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة أحد الرجال شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، وسأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان. فجاءت السنة مؤكدة لما جاء في القرآن.

2- ومثال آخر قول الله عز وجل: {لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ} [النساء:29]، وقوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [النساء:29]. هذا كله نهي عن أكل أموال الناس بالباطل في الكتاب. جاءت السنة مؤكدة لذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [لا يحلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلَّا عن طيبِ نفسٍ]. وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنما البيعُ عن

تراضٍ]. إذًا لابد من التراضي، والتراضي طبعًا مقيد بما جاء به الشرع حتى لا يظن أحد التراضي مطلق.

3- مثال ثالث قول الله عز وجل: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ} [النساء:19]، فجاء هنا الأمر بالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين، وأيضًا جاء تأكيدًا بذلك في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: [واتَّقوا اللهَ عزَّ وجلَّ في النِّساءِ، فإنَّهنَّ عندكم عَوانٍ]. وأيضًا حديث هند لما جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم تشتكي من بخل أبو سفيان في النفقة، قال: [خُذي ما يَكفيكِ وولدَكِ بالمعروفِ] فجاء ذلك تأكيدًا لما جاء به الكتاب{وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ}.

4- ومنها أيضًا قول الله عز وجل: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة:45] وقوله: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ} [البقرة:178] فهنا السنة جاءت أولًا لما حدث من الصحابية الجليلة الربيع بنت النضر، وهي أخت أنس بن النضر وهي عمة أنس بن مالك، فلما كسرت ثنية الجارية أرادوا القصاص بالآية، فجاء أنس بن النضر قال: [أتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يا رَسولَ اللَّهِ] قال:[يا أنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ] قال: [واللَّهِ، لا تُكْسَرُ] ثم نزل قول الله عز وجل:{فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ} [البقرة:178]، فجاءت الآية والسنة أكدت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:[إنَّ مِن عِبَادِ اللَّهِ مَن لو أقْسَمَ علَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ] . الشاهد بأن السنة جاءت مؤكدة لما جاء في القرآن، القرآن جاء {فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ} فحكم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من السنة، لأنه إذا تنازلوا عن القصاص فلهم الدية في ذلك ويُقبَل قولهم، فجاءت السنة هنا أيضًا مؤكدة لما جاء في الكتاب.

5- قال الله عز وجل {يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ} [البقرة:276] في الآية محق للربا وزيادة البركة في الخير والصدقات. جاء عن ابن مسعود قال:[الرِّبا وإنْ كثُرَ، فإنَّ عاقِبتَه تَصيرُ إلى قُلٍّ] ، فإن كان هو موقوف على ابن مسعود لكنه

حقيقة صح موقوفًا وضعف مرفوعًا. وهذا مصداقًا أو تأكيدًا لقول الله عز وجل: {يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ} .

6- وقال الله عز وجل: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء:82] ونجد الرجل رقى بالفاتحة، فكانت رقية، أقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، بل قال:[وما يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟] ، فدل ذلك على أن السنة جائت مؤكدة لما جاء به القرآن.

7- وأيضًا قول الله عز وجل: {وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} [الذاريات:22-23] هنا الرزق أين؟ في السماء، الله عز وجل ينزل الرزق، فهذا من عند الله؛ من لوازم ربوبية الله عز وجل، جاءت السنة تبين ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم:[إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نفث في رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها فاتقوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطلبِ]. وهنا أيضًا جاءت السنة مؤكدة لما جاء به القرآن.

8- أيضًا قول الله عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ} [المائدة: 6] جاءت هذه من الكتاب تبين الوضوء، ثم جاءت السنة الفعلية من النبي صلى الله عليه وسلم حديث عثمان، وعبد الله بن زيد، وغير ذلك على وضوء النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدًا لما جاء في الكتاب.

9- وأيضًا من قول الله عز وجل:{ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: 79] طبعًا وإن كان يوجد خلاف في التفسير؛ والتفسير تنوع، بعضهم قال الملائكة والبعض في تفسير آخر قال المطهرون أنهم بشر. ممكن نؤكد ذلك بحديث تكلم العلماء في سنده لكن أجمعوا أو تلقوه بالقبول في متنه؛ وهو: [لا يمسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ] ، أقول تلقى أهل العلم هذا الحديث بالقبول، كل أساطين المحدثين تلقوا هذا الحديث بالقبول، وكانوا يعملون به وإن تكلموا في السند، لكن قالوا شهرة متنه تغني عن

ضعف سنده، وهذا مصداقًا لقول الله تعالى على أحد التفاسير{لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ} .

10- منها قول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ} [التوبة: 18] الله عز وجل أخبرنا أن الذين يعمرون مساجد الله شهد لهم بالإيمان، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إذا رأيتُمُ الرَّجلَ يعتادُ المسجدَ فاشهَدوا لَه بالإيمان] والحديث ضعيف حقيقة لكن صح موقوفًا، فلذلك نحن نستشهد به مع القرآن، استئناسًا أقول.

11- قول الله عز وجل: {وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: 4] جاءت السنة مؤكدة من حديث سبيعة الأسلمية لما توفي عنها زوجها وكانت حامل فلما وضعت تجملت للخطاب، فقال أبو السنابل بن بعكك قال: تريدين النكاح يا لكع؟ فلملمت ثيابها وذهبت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لها بأنها قد انتهت عدتها بوضع الحمل. وهذا تأكيدًا لقول الله عز وجل.

12- نختم أيضًا بقول الله عز وجل:{ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ } [البقرة: 149] هذا أمر باستقبال القبلة، هذه في الكتاب، جاءت السنة أيضًا من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المسيء في صلاته قال له: [إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ] هذا أيضًا جاء تأكيدًا من السنة على ما جاء في الكتاب.

هذه هي الحالة الأولى؛ هو أن تأتي السنة مؤكدة لما جاء في القرآن.

الحال الثاني: أن السنة مبينة للقرآن:

الحاله الثانية- وهي من أهم الأمور- أن السنة جاءت مبينة للقرآن، ولأن القرآن حقيقة فيه أحكام كثيرة جاءت على سبيل الإجمال، وهذا الذي قاله الشيخ فيما قرأناه الآن، لما أراد أن يحتج قال القرآن بين لي كيف الظهر أربع ركعات؟ كيف

العشاء الآخرة أربع ركعات؟ أين هذا في كتاب الله عز وجل؟ اين هذا في الزكاة؟ أين هذا في الصوم كيف يكون؟

فقد جاءت كثير من الأحكام نزلت مجملة في كتابه وجاءت السنة مبينة، وهذا مصداقًا لقول الله عز وجل:{ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل: 44] فمن المبين؟ المبين هو الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم ناقل لهذا التبيين، لأنه لابد أن ننسب البيان إلى الله عز وجل لأن هو وحي على الكلام الذي قد قلناه من قبل.

لذلك المجمل- أنا لا أريد طبعًا أن أرجع لتفسيرات المجمل، نحن كنا تعرضنا إليها في الأصول- لكن المجمل أن يأتي الحكم ولا تعرف كيفيته.

{ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ } [البقرة: 43] نعم نحن نقول بحكم وجوب الصلاة، لكن كيف تصلي؟ أين البيان؟ كيف تصلي؟ {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران:97] كيف تحج؟ {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ } [البقرة:43]، كيف تزكي؟ هذا مجمل، فلابد لك من تبيين لكيفية الصلاة، وكيفية الزكاة، وكيفية الحج.

فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول:[خُذُوا عَنِّي مناسككم] ويحج، فيُنقَل لنا في السنة كيف حج النبي صلى الله عليه وسلم. وقال: [صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي] فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فينزل يصلي أمام الصحابة يبين لهم كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وينقل للصحابة بعد ذلك كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.

لذلك لما يأتيك المجمل في القرآن فله احتمالات، فلابد يأتيك التبيين من السنة يبين لك الاحتمال المقصود، أو الطريقة المقصودة، أو الكيفية المقصودة، فكل هذه من السنة. وهذا التبيين من السنة للقرآن كان في العقائد، وكان في المعاملات، وكان أيضًا في العبادات.

ممكن أمثلة في ذلك.

في العقائد:

1- قال الله عز وجل سبحانه وتعالى:{ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ } [الأنعام:158]، كيف نعلم بعض آيات ربك؟ جاءت السنة تبين لنا علامات الساعة، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعُونَ، فَذلكَ حِينَ: {لَايَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا}] . وخذ عندك جميع أحاديث أشراط الساعة تبيين لقوله تعالى: {أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ} ولم تكن تعرف الآيات إلا بالسنة مبينة لما جاء إجمالًا في القرآن.

2- ومنها أيضًا لو قلنا {ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} [الملك:16]، جاء الخلاف وإن كان عند بعضهم لما قالوا {مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} ما المقصود بـ من في السماء؟ جاء حديث ابن مسعود الذي لا يصح إلا أن يكون مرفوعًا، أي لابد أن يُرفَع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: [ما بينَ سماءِ الدُّنيا والَّتي تليها مسيرةُ خمسِمائةِ عامٍ وما بينَ كُلِّ سماءَينِ خمسُمائةِ عامٍ وما بينَ السَّماءِ السَّابعةِ والكرسيِّ مسيرةُ خمسِمائةِ عامٍ وما بينَ الكرسيِّ والماءِ خمسُمائةِ عامٍ والعرشُ على الماءِ واللهُ جلَّ ذكرُه على العرشِ يعلَمُ ما أنتم عليه] . فعلمنا ما معنى {ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ} . فالمبتدعة الذين يريدون أن يقولوا بأن هذه على الظرفية نأتي ونقول بأن السنة بينت ما معنى {ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ}. وأيضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الجارية لما سألها أين الله؟ فقالت له: في السماء. فبين هذا كله. فنقول أن تأتي السنة تبين ما كان – لو قلنا مجملًا أو محتملًا– في القرآن.

3- أيضًا منها عذاب القبر، قول الله عز وجل:{ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة:21]، وقال عن آل فرعون: {ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ } [غافر:46]، بعضهم ينكر عذاب القبر يقول لا يوجد في القرآن عذاب القبر، نقول السنة جاءت بينت هذا، بينت من؟ العذاب الأدنى والعذاب الأكبر، بينت أن آل فرعون يعرضون غدوًا وعشيًا. فجاءت السنة تبين عذاب القبر في أكثر من موضع؛ حديث الرجلين الذين يعذبان ويعذبان في كبير [إنَّهما ليعذَّبانِ، وما يعذَّبانِ في كبيرٍ ، أمَّا أحدُهُما فكانَ لا يستنزِهُ من بولِهِ..] وبين ذلك. وحديث المرأة اليهودية التي دخلت على عائشة رضي الله عنها وأرضاها فاستعاذت من عذاب القبر وما كانت تعلم عائشة أن هناك عذاب للقبر، فاستغربت قالت: [أعاذَكِ اللَّهُ مِن عَذابِ القَبْرِ] ، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم قالت حدث كذا وكذا، فقال [نَعَمْ] فقالت: [فَما رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إلَّا تَعَوَّذَ مِن عَذَابِ القَبْرِ]. وأيضًا حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب على القبر فقال:[استعيذوا باللهِ من عذابِ القبرِ ، إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا...] الحديث الطويل، فلو كان في صلاح فالملائكة تسحب الروح وتصعد به إلى السماء ويقول الله عز وجل في عليين... إلى آخر الحديث.. والرجل الذي كان على المعاصي أو الكفر فيعذب في قبره.. كل هذا الحديث الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب قبل الدفن، فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن الرجل المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، والرجل الكافر إذا كان أيضًا في انقطاع وبين لنا أنه يوجد عذاب للقبر. هذا تبيين للآيات حتى لا يأتي أحد يقول ما وجدنا آيات في القرآن تتكلم عن عذاب القبر! فجاءت السنة تبين هذا العذاب الذي قد جاء في الآيات. وأيضًا قول الله عز وجل:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ } [إبراهيم:27]، الصحابة عندما سمعوا هذه الآيات سألوا عن عذاب القبر وعلموا أن هذه من أمور القبر التي يُثبَّت فيها المرء في القبر.

4- وأيضًا من تبيين السنة ما يخص الله عز وجل، قال الله عز وجل :{ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا} [القمر:14]، وقال :{ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ } [طه:39]، فجاء المبتدعة أرادوا أن يشوشوا على أهل السنة والجماعة فيقولون "أعيننا" بالجمع و"عيني" بالإفراد وفيها النعمة والكلأ والرعاية وغير ذلك. جاءت السنة حاسمة لهذه المسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ] فهنا الله ليس بأعور. والأعور معلوم عند علماء اللغة وغيرهم أن من عنده عينين أحدهما فاسدة أو لا تعمل. فهنا هذا تبيين وحسم للمجمل- لو قلنا تنزلًا- أنه مجمل لما جاء في القرآن.

5- ومنها أيضًا صفة أخرى من صفات الله عز وجل، قال تعالى لإبليس: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ } [ص:75]، و{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ } [يس:71]. أيضًا جاؤوا شوشوا، فجاءت السنة حاسمة تبين بأن صفة اليد ثابتة لله عز وجل، بل أن يد الله عز وجل يمنى: [وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ] ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ] تبيين، كلتا يديه تثنية. فالسنة جاءت مبينة لما ذكر في أكثر من احتمال في القرآن.

6- أيضًا { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } [يونس:26]، فهنا الزيادة فسرها النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت السنة المبينة وهي رؤية وجه الله عز وجل يوم القيامة- نسأل الله عز وجل جميعًا أن نراه- فقال الزيادة: [النَّظَرُ إلى وجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ] .

7- وأيضًا من قوله:{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ } [القلم:42]، وهذه وإن كان طبعًا قلنا بأنها لا يستدل بالآية فقط على إثبات صفة الساق، لكن لابد أنك تأتي إلى السنة وكما جاء عن النبي صلى الله عليه وذكر حديث يوم القيامة عندما يكون الناس على الصراط- الحديث الطويل تكلمنا عنه كثير- إلى أن تبقى المسلمون والمنافقون، فجاءهم الله عز وجل في صورة غير الذي يعرفونها، فقال أنا ربكم

قالوا أنت لست بربنا، قال هل بينكم وبينه علامة، قالوا نعم الساق، فيأتيهم الله عز وجل فيكشف عن ساقه، فيخر أهل الإيمان إلى الله عز وجل سجدًا، وينقلب على قفاهم أو على ظهورهم أهل النفاق والعياذ بالله- في معنى الحديث-. فجاءت السنة مبينة أنه :{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ } لأنها ليست مضافة إلى الله في الآية، فلا تستطيع أن تستدل بها منفردة، لابد أن تأتي بالحديث ليبين لك المقصود من هذه الآية، فجاءت السنة هنا مبينة عن القرآن. هذا في العقائد.

في الأحكام:

وأما في الأحكام فكثيرة ولله الحمد، السنة جاءت مبينة، منها:

1- قول الله عز وجل: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا } [المائدة:6]، هذه الآية كيف فيها ستغتسل؟ لم يأتي، كيف فيها ستتيمم؟ لم يأتي، وإن كان الآية ممكن يستدل بها على الوضوء، لكن هنا فيها الطهارة الكبرى، وفيها الطهارة الصغرى، وفيها التيمم البدل، جاءت السنة بينت كيف يكون الغسل لما جاء رجل لم يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وجلس في آخر المسجد فقال: ما منعك ألا تصلي ألست بمسلمًا؟ قال أجنبت وليس عندي ماء، فأولًا علمه التيمم كما جاء في حديث عمار: كان يكفيك أن تضرب يديك هكذا وتصلي، ثم لما جاء الماء قال خذه فافرغه على جسدك.

2- ولما سألت أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها النبي صلى الله عليه وسلم قالت [إِنِّي امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ الجَنَابَةِ؟ قَالَ: لَا. إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ المَاءَ فَتَطْهُرِينَ]. فهذا بيان للنبي صلى الله عليه وسلم لكيفية الغسل، وإلا فالقرآن في الآية ليس فيه بيان للغسل.

3- وأيضًا في التيمم كما عمار رضي الله عنه وأرضاه كان يعلم بالتيمم، ولكن لم يكن يعلم كيف التيمم فتمرغ في التراب لما كان في سفر مع عمر بن الخطاب واجنب ولم يجد ماء فلما رجع للنبي صلى الله عليه وسلم قال إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك هكذا وتمسح على وجهك وظاهر يديك ضربة واحدة "على الراجح". كيف علم ذلك؟ علمه النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءت السنة مبينة لنا في الأحكام أيضًا.

4- وأيضًا من قول الله عز وجل:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ} [البقرة:222] هذه من الأمور التي كان اليهود لما تحيض المرأة يخرجوها خارج البيت ولا يؤكلوها ولا يشربوها ولا يجلسوا معها، بل كانوا يقصون الملابس لو أصابها من شيء وغير ذلك، فالله عز وجل قال: {فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ} كيف نعتزل النساء في المحيض؟ نعتزل المكان، أم نعتزل الوطء، أم نعتزل ماذا؟ جاءت السنة تبين؛ النبي صلى الله عليه وسلم قال: [اصنَعُوا كلَّ شَيءٍ إلَّا النِّكاحَ]. وجاء حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: [كانَ إحْدانا إذا كانَتْ حائِضًا أمَرَها رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنْ تَأْتَزِرَ في فَوْرِ حَيْضَتِها، ثُمَّ يُباشِرُها]. فيبين ما معنى{فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ} . وأيضًا ما حدث أن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت تنام مع النبي صلى الله عليه وسلم في لحافه فنزل الدم فانسلت- أي تسحبت- انسلت من اللحاف فتحفظت ورجعت، فضمها إليه مرة أخرى، وليبين بأنه لا يُمنَع فعل ذلك مع الحائض.

5- وقوله: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ } [البقرة:222] ، كيف التطهر من الحيض؟ لم يكن التطهر معلوم، لذلك جاءت المرأة تسأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف أتطهر؟ قال تطهري سبحان الله، ثم أخذتها عائشة وبينت لها بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن بين في أحاديث أخرى أن تتتبع أثر الدم، وتتقي المحل، وغير ذلك. فجاء التطهر أيضًا في السنة

بيانًا لقوله عز وجل: {حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ} لأنه لم يأت القرآن ويبين كيف كانت الطهارة للمرأة.

6- أيضًا الأصرح من ذلك قول الله عز وجل: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ } [البقرة:43]، كيف نقيم الصلاة؟ فجاءت السنة تبين كيفية الصلوات، ومواقيت الصلاة، أولًا مواقيت الصلاة بحديث جبريل لما نزل وصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم مرتين، عدد الصلوات والركعات وكيفية الصلاة بينها النبي صلى الله عليه وسلم.

7- { وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ } [البقرة: 43]، كيفية إعطاء الزكاة؟ فجاءت المقادير؛ سواء في الغنم، وفي الإبل، وفي البقر، في المواشي، أو جاءت في الذهب والفضة، في عروض التجارة، في غير ذلك، قال: [ليسَ فِيما دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ] فبين المقدار، فبين ذلك في الزكاة.

8- كذلك في الصيام؛ قال الله عز وجل: { أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ} [البقرة: 187] هنا جاءت الآية مجملة أصلًا، وجاءت السنة تبين بأنه يحل للمرء الوطء إلى الفجر.. من أين السنة تبين ذلك؟ لأن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم وهو جنب، يستيقظ من النوم ويصوم وهو جنب، والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يحتلم لأن هذا تلاعب الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك. فلما تقول كان يدخل عليه الفجر وهو جنب، إذًا يحتمل بأنه كان آخر الوقت ثم أجنب لأن لم يستطع أن مثلًا يغتسل- يحتمل أنا أقول- فدل ذلك على أن للمرء أن يباشر أو يطأ الزوجة إلى قبيل الفجر، وإن نزع قبل الفجر بدقائق فهذا ليس عليه شيء، هذا بينته السنة وليست الآية، قالت:[كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِن غيرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ] .

9- أيضًا الحج؛ {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ} [آل عمران:97] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [خُذُوا عَنِّي مناسككم] وبين حجة الوداع كيف تكون مناسك الحج.

في المعاملات:

اختم بالمعاملات حتى ننتهي من مسألة البيان، ويتبقى لنا الأحوال الأخرى إن شاء الله تكون الأسبوع القادم، لكن أيضًا السنة مبينة للقرآن في المعاملات؛

1- قوله تعالى: {وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ} [البقرة:275] . " وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ " هنا مجمل إذا أردت أن تقول مجمل، أو عام، لكن كيف تفصيل البيع؟ نقول نعم الأصل في البيوع الحل لكن جاء النبي صلى الله عليه وسلم يبين [إنما البيعُ عن تراضٍ] مثلًا، وأيضًا [لا تبعْ ما ليس عندَك]، ونهى عن بيع المنابذة وبيع الملامسة أيضًا. كل هذا جاء التبيين من السنة. "وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ" ما هي الربا؟ كيف نعلم الربا يا رسول صلى الله عليه وسلم؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم:[إنَّما الرِّبا في النَّسِيئَةِ] فهذا نوع من أنواع الربا. ثم جاء في حديث عُبادة:[لا تَبيعوا الذَّهبَ بالذَّهبِ، ولا الفِضَّةَ بالفِضَّةِ، ولا البُرَّ بالبُرِّ، ولا الشَّعيرَ بالشَّعيرِ، ولا التَّمرَ بالتَّمرِ، ولا المِلحَ بالمِلحِ، إلَّا سواءً بسواءٍ، يدًا بيدٍ] فبين هذا النوع الثاني من أنواع الربا وهو ربا الفضل، فبين لنا مجمل الذي جاء في القرآن، ما كنا نعلم ما هي الربا، نعم كانت الربا في الجاهلية موجودة ولكن حرم الربا لابد أن يبين في الشرع ما هي الربا، فهنا جاء الشرع يبين لنا كيف تكون الربا.

2- العدة؛ عدة النساء لم تكن معلومة، قال: {وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ} [الطلاق:4] هذه الآية واضحة في أنواع العدة، لكن هنا نقول العدة ثلاثة شهور التي لم تحض، قالوا هنا الآية التي لم تحض لها عدة ثلاثة شهور، جاءت السنة تبين جواز نكاح الصغيرة- فالتي لم تحض هذه هي الصغيرة- فجاءت السنة تبين نكاح الصغيرة بأن النبي صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة في ست سنوات وتزوجها على الراجح في تسع سنوات. فجاءت السنة تبين أن التي لم تحض هذه لها أن تتزوج، فجاءت السنة مبينة للتي لم تحض المقصود بها الصغيرة هي التي لم تحض، لأن ممكن

تأتي بالكبيرة؛ قال في الكبيرة: {وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ} لكن هنا لما قال: {وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ} جاء البيان من السنة بجواز نكاح الصغيرة لأن ممكن الكبيرة لم تحض؛ مثل أن يكون عندها عشرين سنة ولم تحض لأي سبب لكن جاء سن التكليف، لكن بينت السنة أن التي لم تحض هي المقصود بها الصغيرة.

3- {وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ} [المائدة:38] أولًا جاءت السنة مبينة بأنه لا يقطع إلا في ربع دينار. ثانيًا يقطع الكف، لأن اليد بتطلق على الكف وعلى العضد وعلى الذراع، كل هذا "يد" في اللغة. ولذلك اليدين إلى المرفقين، فاليدين هنا جاءت في الوضوء "إلى المرفقين" –وهذه مسألة نرجئها للفقه– لكن جاءت هنا "فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا " أقطع من أين؟ فجاءت السنة تبين مكان القطع، وتبين أيضًا قدر القطع؛ [لا تُقطعُ اليدُ إلا في ربعِ دينارٍ]، وأيضًا لابد أن يكون في حرز، وهذه السنة بينت ذلك.

نكتفي بذلك القدر في مسألة الأمثلة، ونقف عند الحال الثالث الذي سنبينه إن شاء الله بأن السنة توضح مشكل القرآن، ثم بعد ذلك توضح مطلق القرآن أو تقيده، ثم تأتي بأحكام جديدة لم تأتي في الكتاب.

إن شاء الله نرجئ هذا الكلام الأسبوع القادم على بيان التأصيل في هذا الباب، ونكمل ما تيسر لنا بإذن الله تعالى باقي الآثار التي لم نقرأها.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام ما زلنا في شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وكنا قد بدأنا الأسبوع الماضي في الباب الثاني عشر **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ تُعَارِضُ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ**. وقلنا أن هذا الباب هو ختام للجزء الأول من هذا الكتاب، وهذا الجزء من أهم الأجزاء في هذا الكتاب وفي غيره، لأن فيه تأصيلات مهمة جدًا ينبغي لطالب العلم أن يضبطها وأن يحرص على مراجعتها دائمًا.

وهذا الكتاب من الأمهات كما يقال ومن الأصول التي تبين الشريعة والعقيدة عند أهل السنة والجماعة، فهذا الباب أيضًا الذي معنا كان مسك الختام لهذا الجزء، وهو يبين فيه الشيخ بعد أن بين لنا مكانة الكتاب والسنة، وكيف السلف كانوا يتعاملون معها، أراد ان يحذرنا كما حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من أن هناك طوائف ستخرج ترد سنة النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل، لذلك قال وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ .

وقد ذكرنا من سياق المؤلف وكتابته بأنه كيف يتعامل مع المخالف في هذه المسألة، وليست فيها نوع من اللين، بل فيها شدة الإنكار على من يقول بهذا القول المبتدع الضال الذي ينكر فيه السنة ويردها ويقول بأنها تعارض الكتاب، فيقدم الكتاب على السنة. وقد ظهرت طائفة القرآنيين الذين قالوا بذلك، وهنا الأحاديث التي سنبينها إن شاء الله تبين تنبؤ النبي صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء سيظهرون بعد ذلك.

ولكن ما زلنا في بيان علاقة السنة بالكتاب، وقد بينا الأسبوع الماضي على أن السنة أولًا مؤكدة للقرآن بالأمثلة، والحالة الثانية أن السنة مبينة للقرآن، ونكمل إن شاء الله الحالات الخمس؛ وهي أن السنة أيضًا توضح مشكل القرآن.

الحال الثالث: أن السنة توضح مشكل القرآن:

فقد تأتي آيات مشكلة على البعض في القرآن، فتأتي السنة توضح هذا المشكل، وهذا قد حدث لبعض الصحابة، منها:

1- قول الله عز وجل: {وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ} [البقرة:187]، فاشكلت هذه الآية على عدي بن حاتم رضي الله عنه، فقال: [يا رَسولَ اللهِ، إنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ] فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقالَ: [إنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إنَّما هو سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ]، هو كان يضع عقال أبيض

وعقال أسود وكان طبعًا لا يوجد كهرباء ولا أنوار فكان يضعهم حتى يظهر له اللون الأبيض من العقال، فيعلم بأن الفجر قد خرج، وكذلك في السواد في المغرب، فالنبي ضحك لأن ليس هذا المقصود، المقصود من الآية {وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ} أي خيط الفجر، فالبياض لن يظهر إلا على الشروق، فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هو سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ]. هذا مشكل كان عند بعض الصحابة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم من السنة بين لهم المقصود من هذه الآية.

2- وأيضًا اشكل على الصحابة لما نزل قول الله عز وجل:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ } [الأنعام:82]، فالصحابة اشكل عليهم هذه الآية لأن الله عز وجل قال:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ} فقالوا [أَيُّنَا لم يظلِمُ نفسَهُ] فاشكل عليهم هذه المسألة واشتد عليهم ذلك، لأن المرء لابد يقع في الظلم لنفسه بالمعاصي وغير ذلك، ولأن الآية أيضًا أصوليا (بظلم) هي نكرة، والنكرة في سياق النفي فتفيد العموم، فحتى استدلال الأصول يقول بأن: {وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ} فأي ظلم، لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، فاستشكل عليهم ذلك، فلما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لهم: [ليس كما تظُنُّون إنما هو كما قال لقمانُ لابنِه : { يَا بُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ }] فقال هنا الظلم المقصود في الآية هو الشرك، وهذا المقصود بـ {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ} أي بشرك، فجاءت السنة توضح هذا المشكل الذي اشكل على الصحابة رضوان الله عليهم.

الحال الرابع: أن السنة مقيدة للقرآن:

ثم عندنا الحالة الرابعة وهي أن السنة مقيدة للقرآن، السنة مقيدة لمطلق القرآن، وهذه الحالة الرابعة التي بين السنة وبين القرآن. من أين؟ أدلة كثيرة جاءت الإطلاق في الكتاب وجاءت السنة مقيدة.

1- قال الله عز وجل:{ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ } [المائدة:38] التقييد هنا قال {وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ} أي سرقة يقطع فيها، أم لابد قدر معين من السرقة؟ فجاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [لا قطعَ إلَّا في رُبعِ دينارٍ] أي هل لو سرقت مليون كما لو سرقت 10 جنيهات؟ هذه سرقة وهذه سرقة- لو أخذنا طبعًا بشروط السرقة التي ليس محلنا الآن الكلام فيها فقهيًا الأخذ من الحرز وفي خفاء وغير ذلك- لكن هل لو أخذت عشرة جنيه من درج كما أخذ مثلًا مائة ألف؟ فهنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا قطعَ إلَّا في رُبعِ دينارٍ] فأصبح هذا تقييد لمطلق، مطلق السرقة قيدت بأن لابد أن يتجاوز المسروق قيمة الربع دينار.

2- أيضًا جاء من قوله تعالى في الكفارات قال: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ } [المجادلة:3] في الظهار، وفي سوره النساء: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } [النساء:92] ، فاختلف العلماء هل نقول في الظهار رقبة مؤمنة أيضًا فنقول نحمل المطلق على المقيد؟ أم لا نحمل المطلق على المقيد؟ هل نقول في الظهار رقبة مؤمنة أيضًا كما نقول في القتل رقبة مؤمنة؟ بعض أهل العلم اختلفوا، فالشافعية يقولون نحمل المطلق على المقيد فهنا لابد رقبة مؤمنة في كل الكفارات، والأحناف لم يقولوا بذلك؛ قالوا لا، فقط الرقبة المؤمنة فيما جاء فيها النص، وفي غير ذلك على الإطلاق. ما الذي رجح لنا؟ رجح لنا حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، فلما ضرب الجارية صككها على وجهها كانت ترعى الغنم أو كانت في حاجة فضاع منها بعض الغنم فصككها على وجهها، فشعر بالندم، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم ليكفر، فأراد ان يعتقها فقال ائتني بها ،[فَقالَ لَهَا: أيْنَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّمَاءِ ، قالَ: مَن أنَا؟ قالَتْ: أنْتَ رَسولُ اللهِ، قالَ: أعْتِقْهَا، فإنَّهَا مُؤْمِنَةٌ] . فهنا بين بأن هناك شرط في عتق الرقبة؛ الإيمان، فجاءت السنة مقيدة للمطلق عمومًا، جاءت السنة هنا مقيدة لمطلق القرآن.

والأمثلة أكثر من ذلك، نحن فقط نبين علاقة السنة بالقرآن.

الحال الخامس: أن السنة جاءت بأحكام لم يأت بها القرآن:

الحالة الخامسة أن السنة جاءت بأحكام لم يأت بها القرآن – على الراجح نقول– وطبعًا نحن قلنا بداية حتى لا يظن أحد بأن السنة لما تأتي بأحكام لا يأت بها القرآن بأن النبي شرع، قلنا الراجح – وهذا خلاف أصولي حقيقة– لكن الراجح أن النبي مبلغ عن الله عز وجل، وأنه ما يتكلم إلا بوحي، نحن قلنا من قبل وأصلنا بأن السنة وحي كالقرآن، وبينا الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك. فهنا جاءت السنة بأحكام لم تكن في القرآن، وهذه أحكام متعددة، ممكن نبين على سبيل المثال:

1- اثبات الشفعة للجار، الشفعة للجار لم يأت فيها نصًا في كتاب الله عز وجل، لكن جاء فيها عموميات، مثلًا قول الله عز وجل:{ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } [الأنفال:63] وهذا من تأليف القلوب؛ الشفعة بين الجيران، ولكن جاءت السنة في حكم الشفعة، النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة، وأيضًا قال:[الجارُ أحقُّ بِسَقَبِه] فجاءت تبين السنة حكم الشفعة، وهذا حكم لا تجده في القرآن منصوصًا عليه. وقال:[جارُ الدَّارِ أحَقُّ بالدَّارِ من غيرِهِ] ، والبخاري روى قال: [جَعَلَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الشُّفْعَةَ في كُلِّ مَالٍ لَمْ يُقْسَمْ، فَإِذَا وقَعَتِ الحُدُودُ، وصُرِّفَتِ الطُّرُقُ، فلا شُفْعَةَ] كل هذه أحكام جاءت من السنة.

2- أيضًا في الفرائض، ميراث الجدة، لما جاءت الجدة لأبي بكر رضي الله عنه تطلب ميراثًا، قال لا أعلم لك في كتاب الله عز وجل نصيب، فجاء أحد الصحابة المغيرة بن شعبة فقال لأبو بكر قضى النبي صلى الله عليه وسلم للجدة بالسدس، قال ائتني بمن معك؛ أي يعلم مثلك، فجاء بمحمد بن مسلمة الأنصاري فشهد معه بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قضى للجدة بالسدس، فقضى أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه بذلك، وهذا كان للجدة في المواريث بالسدس ولم يُذكر للجدة نصيب في القرآن أصالة. فكان هذا حكمًا أيضًا جاءت به السنة لا تجده في القرآن.

3- أيضًا كفارة الجماع في نهار رمضان، من أشهر المسائل التي يعلمها الجميع، لكن أين هي في كتاب الله عز وجل؟ هي جاءت في السنة؛ حديث الرجل الذي جامع في نهار رمضان وجاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال هلكت، قال ما أهلك؟ قال وقعت على أهلي في نهار رمضان.. الحديث المشهور، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بين له أن عليه كفارة الجماع في نهار رمضان. فهذا أيضًا حكم جاءت به السنة.

4- أيضًا في النكاح؛ تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، [نهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُجمَعَ بَينَ المرأةِ وخالَتِها، وبَينَ المرأةِ وعَمَّتِها] وهذه أيضًا من المحرمات التي لم يأت بها القرآن، القرآن لم يأت بذلك، لكن قال:{ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ } [النساء:23] لكن جاءت السنة بالنهي عن الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، هذا أيضًا من الأحكام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

5- وأيضًا هناك تحريمات جاءت في الطعام لم يأت بها الكتاب؛ وهو تحريم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع، وتحريم الحمر الأهلية، كل هذا لم يأت، فالذي جاء في الكتاب قال: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ} [النحل:115] وآية الأنعام: {وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ } [الأنعام:119] ولم يذكر في الكتاب ذي ناب من السباع، ولم يذكر أيضًا لحوم الحمر الأهلية وقد حرمها النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. وهذه أيضًا من الأحكام التي جاءت بها السنة.

6- أيضًا ما يحرم من الرضاع؛ الآيات جاءت في تحريم الرضاع فقط الأم {وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ } [النساء:23] باقي ما يحرم من الرضاع لم يأت في القرآن، فجاءت السنة تبين بأحكام :[يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ ما يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ] فحرمت بنت الأم المرضعة، وقال: {وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ }

[النساء:23] وقال: [يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ] فالعمة من الرضاعة والخالة من الرضاعة وغير ذلك يحرم، إلى غير ذلك.

7- أيضًا اتباع النساء للجنائز؛ هذا حكم جاءت به السنة، لا تجده في كتاب الله عز وجل- أو طبعًا هو تجده كما سيأتي من كلام ابن مسعود لما جاءت المرأة.. فكما قال الشافعي ما في شيء إلا وله أصل في الكتاب- لكن هنا نقول الحكم هذا الفرعي العملي لا تجده منصوصًا عليه في كتاب الله عز وجل، وإلا سنرجع لقول الله عز وجل:{ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ } [الحشر:7]، فهو هذا الذي نريده؛ بأنه ردنا الله عز وجل إلى من؟ إلى الرسول، إلى السنة، فجاءت السنة بأحكام. حديث أم عطية: [نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا] أين النهي عن اتباع النساء للجنائز في الكتاب؟ هذه أحكام جاءت بها السنة.

8- التغريب للزاني والزانية، التغريب العام، لأن الآية قالت: {ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ } [النور:2]، التغريب من أين جاء؟ جاء من السنة.

فهذه كلها أحكام بينا بأنها جاءت بها السنة، ولم تكن منصوص عليها في كتاب الله عز وجل.

هذه الخمس حالات التي اجتهد فيها أهل العلم وبينوا فيها حالة السنة مع القرآن في ذلك.

نقرا الأحاديث من أول حديث في الباب؛ حديث (94)

94- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَبْلُغُهُ الْأَمْرُ عَنِّي، فَيَقُولُ: مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"

95 -وَحَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ الْأُشْنَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْأَسْوَدِ الْعِجْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى اتَّبَعْنَاهُ "

96 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أنا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ أَتَاهُ عَنِّي حَدِيثٌ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ اتْلُ بِهِ قُرْآنًا»

97 - أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُفَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: ثنا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ الْكِنْدِيِّ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ، أَلَا إِنَّهُ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

98- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ الْأُشْنَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ

بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: " إِنَّكَ امْرُؤٌ أَحْمَقُ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الظُّهْرَ أَرْبَعًا لَا تَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ؟ ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَنَحْوَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مُفَسَّرًا؟ إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَحْكَمَ ذَلِكَ، وَإِنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُ ذَلِكَ "

99 -وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ثَوْبَانُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ: كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: أَلَا أَرَاكَ تُعَارِضُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى

100- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا قُطْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّهُ رَأَى مُحْرِمًا عَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَنَهَى الْمُحْرِمَ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِنَزْعِ ثِيَابِي، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]

101 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلُّوَيَةَ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِشَبِيهِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وطبعًا في رواية أخرى "بمشتبه القرآن"

102 وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ زُغْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

هذا القدر كله الذي قرأناه هو تكلمنا فيه الأسبوع الماضي واليوم إلى الآن، وكل هذه الأحاديث طبعًا سنعرج على بعض الكلمات فيها، وهناك أشياء سنرجئها للفوائد المستنبطة في آخر الباب.

لكن هذه هي القضية التي تكلمنا عنها في مسألة اثبات حجية السنة، وعلاقة السنة بالقرآن، وهذه الذي جاءت به بعض الأحاديث يبين فيها؛

أولًا فيها اثبات أنه سيأتي قوم يقولون ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا فِي أَرِيكَتِهِ يَبْلُغُهُ الْأَمْرُ عَنِّي، فَيَقُولُ: لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ]، وقلنا إن هذه من نبوءات النبي صلى الله عليه وسلم بين بأنه سيظهر أقوام يقولون ذلك، وقد ظهروا. ومنهم مواصفات؛ قال:[لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا فِي أَرِيكَتِهِ]، أولًا بأن هؤلاء لهم صفات، وفي روايات:[شبعانَ متكئًا على أريكتِه] .

فهو بين النبي صلى الله عليه وسلم هذه المواصفات؛ بأن هؤلاء في راحة، وفي رواية أخرى شبعانًا، أي هو ما يهمه إلا أمور الدنيا مخالف لأهل العلم والعلماء، فتجد أهل العلم يقومون يثنون ظهورهم طوال الليل والنهار، يحررون المسائل، ويدرسون ويتدارسون، طعامهم قليل، وليس عندهم الراحة الموجودة. لذلك تجد النبي صلى الله عليه وسلم يبين بأنه جالس على راحة، شبعانًا، ويتكلم في أمور الدين، ويرد سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه مواصفات تجدها في الذين يريدون أن يردون السنة.

وهناك طبعًا فوائد للباب قلت سأرجئها، لأن فيها من الفوائد على أن العلم لا ينال إلا بالسهر، وبالتعب، وبالجوع، وغير ذلك، وهذه من فوائد بعض الروايات التي جاءت في هذا الحديث وغيره.

لكن هنا نقول أن هذا بيان بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين لنا بأن سيظهر هؤلاء يفعلون ذلك، حتى في رواية قال: "لَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ"، "لَا أُلْفِيَنَّ" هنا لا أعرفن أو لا أجدن، وغير ذلك. كل هذه الروايات التي قرأناها تبين أن هؤلاء يردون السنة بكتاب الله عز وجل، لذلك قال: أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مرتين، أو الرواية الأخرى: أَلَا إِنَّهُ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ .

كل هذه المباحث التي تكلمنا عنها نبين فيها بأن القرآن والسنة صنوان لا يفترقان، وأنهما وحيان، وأن القرآن أحوج إلى السنة كما قال عمران بن حصين رضي الله عنه أن السنة أحوج إلى القرآن، هذه كلها تتمة لما قال. وانظر إلى كلام عمران بن حصين لما قال: إِنَّكَ امْرُؤٌ أَحْمَقُ، ما قَبِل منه أن يقول هذا الكلام أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَ وَجَل الظُّهْرَ أَرْبَعًا، وهذا كله كما قلنا بأن هذا تبيين، لأن جاء{وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ } [البقرة:43]، وجاءت مجملة، والمجمل يحتاج إلى بيان، والبيان جاء من السنة؛ من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم [صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي] وقيامه على المنبر فصلى فعلم الناس كيفيه الصلاة، وغير ذلك.

لذلك هنا عمران بن حصين يقول: إِنَّكَ امْرُؤٌ أَحْمَقُ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الظُّهْرَ أَرْبَعًا لَا تَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ؟ كيف تعرف أيضًا أن الظهر صلاة سرية؟ إلى أن جاء جبريل عليه السلام فصلى بين الوقتين وصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك. قال: إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَحْكَمَ ذَلِكَ، وَإِنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُ ذَلِكَ "، وهذا

كله كما قلنا الحالات اللي تكلمنا عنها؛ سواء مبينة للقرآن، مقيدة، موضحة للمتشابه، وغير ذلك، منها هذه الروايات التي جاءت.

وأيضًا حديث عبد الرحمن بن يزيد **أَنَّهُ رَأَى مُحْرِمًا عَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَنَهَى الْمُحْرِمَ** وهذه مسألة مهمة ستأتي توطئة لما جاء مع ابن مسعود مع المرأة التي جاءته تسأله عن حديث "لعن الله الواشمة والمستوشمة"، فنهر المحرم، **فَقَالَ: ائْتِنِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِنَزْعِ ثِيَابِي** فبماذا أتاه؟ {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}. إذًا الآن الله عز وجل أحالك، أمرك بأن الذي يأتيك عن الرسول صلى الله عليه وسلم لابد منه، وما نهاك عنه لابد أن تنتهي عنه، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:[**خُذُوا عَنِّي مناسككم**]، ثم ذكر لما جاء الرجل: أيلبس المحرم السراويل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الحديث المشهور لا يلبس السراويل ولا يلبس النعال ولا يلبس كذا وكذا، ثم بيَّن المنهي، لأن الأكثر في الذي يجوز لبسه [**لا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ الْقَمِيصَ، وَلَا السَّرَاوِيلَ، وَلَا الْبُرْنُسَ، وَلَا الْخُفَّيْنِ، إِلَّا أَنْ لَا يَجِدَ النَّعْلَيْنِ، فَلْيَلْبَسْ مَا هُوَ أَسْفَلُ مِنَ الْكَعْبَيْنِ**].

فقلنا هذه الآية عمدة في هذه المسألة بأنك لو أراد أحد أن يستشكل عليك يقول لك ائتني بحكم.. قريبًا أحد الأبناء كان يذكر لي يقول لي ائتني بحكم تحريم الرقص في القرآن، قلت له جيد، نأتيك بالحكم الأصل في القرآن أن الله عز وجل أحالك إلى السنة، ثم نأتيك من السنة إن لم تجد آية في القرآن بتحريم الرقص مثلًا. فبعضهم يقول ذلك، نعم، أين الآية في القرآن التي تقول بتحريم الرقص؟ فأقول الآن.. هذا الذي يتنطع الأحمق الذي يقول لك ذلك، قد حدث مع الصحابة هذا، فردوه إلى قول الله عز وجل :{ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ } [الحشر:7].

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه كما جاء في هذا الأثر قال: **إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِمُشْتَبَهِ الْقُرْآنِ** أو **بِشَبِيهِ الْقُرْآنِ** .. فانظر.. لأن الآيات فيها آيات مشتبهات كما جاء في سوره آل عمران:{ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ } [آل عمران:7]، قال: **فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ**. لذلك يبين لك معنى قول عمران بن حصين (القرآن أحوج إلى السنة من السنة أحوج إلى القرآن)، أنك تجد في غالب القرآن ممكن مجملات، أو كما قال بعض السلف (القرآن حَمَّال) حَمَّال أوجه أي يعني له تفسيرات متنوعة فتحتمل في التفسير، لكن تأتي السنة مبينة، ومقيدة، ومفسرة، وموضحة للمشكل، لذلك قال **فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ** وهذا قول من؟ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه **فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** . لأن من أصحاب السنن؟ النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.

لذلك انظر الحديث الذي مررت عليه قبله، الحديث (99) قال: **حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى**.من الذي أعلم؟

لما يأتي فتقول له السنة، يقول لا، أنا أريد آية من القرآن! قل له: أنت ستفهم القرآن أكثر من فهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أُنزل عليه الوحي، وهو الذي بلغنا، وهو الذي فسره لنا، فكيف أنت تعارض فهمك أو تقابل فهمك بفهم النبي صلى الله عليه وسلم، أو بسنة النبي صلى الله عليه وسلم؟! فالنبي صلى الله عليه وسلم هو أولى الناس ببيان السنة لنا، وأعلم الناس بكتاب الله عز وجل.

فلما جاءت السنة تبين الكتاب، إذًا أنت لابد لك أن تأخذ بهذا الفهم، وإلا لو قلت أترك السنة إذًا أنت تقدم فهمك على فهم النبي صلى الله عليه وسلم، أو علمك على علم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا فيه كفر أصالة.

فلذلك هنا يقول عمر بن الخطاب **فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** وهذه طبعًا فيه بيان منقبة أهل العلم، لأن كلما استغرق المرء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وحوى السنة فهمًا، وتدبرًا، ومعرفة كان أعلم بالكتاب. لذلك أنا أعجب من الذي يتكلم في التفسير وليس عنده شيء في السنة! وفقط يقف عند كتب التفسير وهو ليس له باع في السنة! فكيف لك أنك ستأخذ بالقرآن وتفسر وأنت ليس عندك علم في السنة! لذلك لا يستقيم.. لابد أن يكون هناك علم بالسنة حتى تستطيع أن تفسر كلام الله عز وجل وأحكام الله عز وجل.

ثم بين ذلك بأنك حتى تلقي أو تفند الشبهات التي يأتونك بها هؤلاء فلا بد لك بالسنة، السنة هي التي ستبين لك ذلك. قال عمر: **سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَز وَجَل.**

نقرا الأحاديث حتى ندخل في الجديد، كل هذا الذي قرأناه كنا نتكلم عنه الأسبوع الماضي وهذا الأسبوع، لكن أردنا أن نبين بعض الفوائد من الأحاديث. ندخل في حديث ابن مسعود لأنه فيه ما فيه من المسائل.

103 - **وَأَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ يَعْنِي الزَّهْرَانِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ كَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ لَهُ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُتَوَشِّمَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي كِتَابِ**

اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُ هَذَا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، ثُمَّ قَالَ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]

104 - أَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاشِمَاتِ» فَذَكَرَ نَحْوَ الْحَدِيثِ قَبْلَهُ

105 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ الْأُشْنَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ الْمُهَلْهَلِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَهُ

106- وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ , عَنْ عَطَاءٍ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩] قَالَ: إِلَى اللَّهِ: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ , وَإِلَى الرَّسُولِ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هذا الحديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه فيه ما فيه من الفوائد التي ذكرها المؤلف وأتى بها في هذا الباب، لأن هو حدَّث ابن مسعود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ كَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ أي عندها علم بالقرآن، أو كانت تحفظ القرآن وتقرأ القرآن، فسمعت أن

ابن مسعود رضي الله عنه يلعن ويقول **وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى** ، وهي كانت لها علم بكتاب الله، فلما سمعت ذلك ذهبت إلى ابن مسعود لتسأله، وهذا أولًا فيه منقبة للمرأة؛ إمرأة فقيهه لبيبه سمعت شيئًا استعجبته وكان عندها من العلم فجاءت لابن مسعود تسأله؛ أنت تقول تلعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم – هذا لا إشكال فيه– **وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى** ، فقالت له: **لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُ هَذَا** أي ما في نص. وهذا ليس استنكارًا منها ورد للسنة! لا، هو بيان منها عن ما سمعته من ابن مسعود فجاءت تتعلم، وليست كهؤلاء الذين يردون، هي جاءت تقول كيف يكون هذا في كتاب الله وأنا لم أراه في كتاب الله عز وجل؟

فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ**، **ثُمَّ قَالَ**: {**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**}. فهنا الآية بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى، وقد لَعَن، إذًا لعْن النبي صلى الله عليه وسلم موجود في كتاب الله عز وجل، لأن الله عز وجل أمر بأن ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم لابد لنا فيه من العمل به، وما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فلابد فيه من النهي.

لذلك المرأة بعد أن سمعت ذلك سكتت ولم تتكلم، وهذا إن دل دل على أن المرأة استقر في قلبها بأن هذا هو القول الحق، ولم تجادل، هي جاءت تتعلم، فلما بُيِّن لها وقفت عند ذلك، وتعلمت.

ولكنها أشكلت عليه مره أخرى في إحدى الروايات في السنن تقريبًا، قالت: فإنا وجدنا أهل بيتك يفعلونها؛ في مسألة النمص. فقال ابن مسعود: فإن وجدت ذلك فهي طالق، فاذهبي وانظري، فذهبت إلى أهل بيته فرجعت فقالت لقد قلت حقًا ولكن – في معنى الحديث– اختلط علي الأمر. وهذا تمسك ابن مسعود بالسنة، حتى يقول لو كانت تفعل ذلك فهي طالق، لأن ابن مسعود متمسك بأمر النبي

صلى الله عليه وسلم وهو لعن هؤلاء الأصناف التي ذكرت، وهو قال فإن وجدت ذلك فلا أجامعها وهي طالق، فلما رجعت بعد ذلك وقالت له لقد وجدنا غير ما قلنا، فتبين بأن كان الحق مع ابن مسعود.

الحديث فيه مسائل فقهية، لكن فيه أولًا بعض الآداب وما فعلته المرأة:

1- أنها تأدبت مع السنة، تأدبت مع الكتاب، بأنها لما لم تجد دليلًا في كتاب الله عز وجل أو استعصى عليها الأمر جاءت تسأل أولًا قبل أن تُنكِر، وهذا حري بالمرء بأنه إذا جهل مسألة أن يذهب إلى أهل العلم أولًا فيسأل، أو جاء لطالب العلم مسألة معينة ولم يجدها فلا يرد هكذا حديثًا، أو لا يرد مسألة فقهية، أو لا يرد حكمًا، ويقول من أدراك أنه يعلمه أو لا يعلمه؟ فيسأل، فإن سئل أو عَلِم فقد رُفِع عنه الجهل بذلك.

2- الأمر الثاني أن المرأة انصاعت وانقادت ولم تجادل- وهذا أمر مهم- لما تبين لها الحق من كلام ابن مسعود سكتت، وإن كانت طبعًا تكلمت في الأول أن اختلط عليها ان هذا تفعله نساء ابن مسعود، لكنها لم تناقشه في مسألة أن هو موجود في الكتاب أم لا، وهذا انصياع وانقياد من المرأة عندما جاءها الحق، وهو فيه قبول الحق.

طبعًا هنا الحديث فيه جُمَل؛ أولًا فيه اللعن، واللعن يدل على أن هذا الفعل الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر، لأن من صفات المعاصي التي هي من الكبائر أن يُذكَر فيها اللعن، أو يُذكَر فيها الوعيد.

واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل، لذلك كل ما جاء فيه لعنًا لابد أن تقف فيه، الأمر ليس بالهين! لذلك المرء عندما حتى يجد خلافًا في المسألة والمسألة فيها لعن، فالحيطة نقول والاحتياط والحذر أن المرء هنا لابد أن يتمهل كثيرًا في الفعل. لذلك نقول: [لَعنَ اللَّهُ زوَّاراتِ القبورِ]، وهنا مثلًا لعن الله

[والواشِمَةِ والمُسْتَوْشِمَةِ]، و[المُتَفَلِّجاتِ لِلْحُسْنِ]، وغير ذلك. كل هذه اللعنة التي جاء فيها وهذا أمر يجعل المرء يقف عنده لأنه ليس بالأمر الهين.

ولعن الربا، وانظر إلى الناس تتهاون في مسألة الربا، [لَعَنَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ آكِلَ الرِّبَا ، وَمُؤْكِلَهُ...] وغير ذلك. ولعن في الخمر: [إنَّ اللهَ لعَن الخمرَ، وعاصِرَها، ومعتصِرَها، وشارِبَها، وحامِلَها...] إلى غير ذلك. فالمسألة ليست بالهينة، هي ليست معصية كباقي المعاصي حتى، لكن لما تنظر إلى اللعن وفيه الطرد من رحمة الله لابد يقشعر الجسد والجلد والشعر يقف من ذلك، فتقف عند هذه المسألة ولا تقول فلان قال بتحليلها وفلان قال بكذا، فأنا أخذ بأي قول! لا، لابد تقف عند ذلك.

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم لعن [الواصلةَ والمستوصلةَ، والواشمةَ والمستوشمةَ، والواشرةَ والمستوشرةَ، والنَّامصةَ والمتنمِّصةَ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ] وفي رواية أيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أيُّما امرأةٍ أدخَلَتْ رأسَها شعرًا مِن غيرِ شعرِها, فإنما تُدخِلُه زورًا].

الواصلة: التي تصل شعرها بغيره، تصل الشعر بغير الشعر، إما شعر حيوان؛ شعر خيل أو شعر غنم مثلًا، أو شعر آدمي، وبعضهم قال أيضًا خيوط منقولة للشعر يوصَل بها، هذه هي الواصلة.

المستوصلة: التي تفعل ذلك، فالواصلة التي تُوصِل، والمستوصلة التي تفعل ذلك.

الواشمة: والوشم عند الفقهاء أن يغرز إبرة في في الجلد- أنا قلت عند الفقهاء وأقصد بالفقهاء لأن هذا تعريفه عند الفقهاء- فيسيل الدم فيضعون مكان الدم مادة، مادة في هذا المكان، كحل مثلًا، أو لون أخضر، لون أحمر وغير ذلك، فهذا يُحَسِّن ويُجَمِّل؛ أي يكون له شكل حسن وجميل، هذا الوشم، وليس بقيد على الراجح لكن هذا تعريف الفقهاء قلت خروج الدم، لكن هو إن غُرزت الإبرة ووُضِعت المادة فهو أيضًا في معنى الوشم، حتى وإن سال الدم أو لم يسيل الدم،

لأن العبرة عند الفقهاء في سيلان الدم النجاسة، هم يقيدون مسألة الدم لأن الدم عندما يسيل ويوضع مكانه مادة فالدم نجس، فيوضع معه مادة فأصبح أيضًا هناك مادة نجسة موجودة عندهم، فلذلك يتكلمون في هذه المسألة.

والفقهاء يقولون بالتعريف هكذا، لكن الحق بأن سيلان الدم ليس شرطًا، على الراجح لأن هذه مسألة خلافية، لأن البعض يقيد في الفقه بسيلان الدم، لذلك هم يقولون الآن بعض الأشياء التي تفعل الآن أن ليس فيها سيلان دم، يأخذ في طبقة الجلد الوسطى ويضع المادة ولا يسيل الدم فيقول ليس بوشم، لكن الصحيح أن هو في معنى الوشم ما دام غُرز في الجلد شيء وأُدخِلَت مادة، ولا يشترط أنها تكون على الدوام أو مؤقتة، لأن هم أيضًا يقيدون أحيانًا بأن الوشم على الدوام، لذلك يقول الفقهاء إن استطاع أن يزيلها – بعد أن يتوب من ذلك– يزيل، لأن هو عندهم إشكالية في أنه ما زالت هذه المادة الموجودة نجسة أصلًا، فعندهم مشكلة في الطهارة أصلًا، لكن إن لم يستطع أن يغير فهذا سيكون معفو عنه. لكن هذه قيود ليس محلها الآن عمومًا لكن نحن نعرج عليها لأنها مهمة في الحديث، الصحيح نقول: أن ما غرز في الجلد ووُضِع فيه مادة في معنى الوشم، سال الدم أو لم يسيل، مؤقت كان أو دائم، ولكنه دخل في الجلد بغرز فالمادة هذه تكون على سبيل الوشم.

المتفلجة: التي تُفَرِّق بين الأسنان الأمامية، يأتون عند الأسنان الأمامية ويجعلون فوارق للجمال، للحسن، هذه المتفلجات، وأيضًا بتعطي نوع من الإبتسامة أو غير ذلك، أو شيء بيجلب للناظر فتنة. نقول متفلجة من التفليج ، وقد يكون أيضًا بما يسمى **الوشر** وهو تبريد الأسنان بالمبرد فيتم برد الأسنان بحيث تكون أصغر، يبردوها بحيث تظهر أصغر، وهو أيضًا مثله مثل التفليج.

مهم هذا الحديث لأن طبعًا هذه من القضايا التي انتشر الكلام فيها كثيرًا، والمذاهب لهم أقوال فيها، وهناك مذاهب طبعًا ملخص لن نتعرض للمسألة الفقهية فيها لكن بعض الأصحاب في المذاهب يرون بالكراهة، وقالوا بالكراهة مع اشتراط

موافقة الزوج للمرأة التي لها زوج؛ أي إن فعلت ذلك في بعض هذه الأمور التي نتكلم عنها كالنمص سيأتي أيضًا النامصة والمتنمصة في حديث، والوصل أيضًا يقولون إن أراد الزوج ذلك فلا بأس بذلك مع الكراهة، على أن لو كان لها زوج.

طبعًا الرواية الثانية التي ذكرتها قال: [**أيُّما امرأةٍ أدخَلَتْ رأسَها شعرًا مِن غيرِ شعرِها، فإنما تُدخِلُه زورًا**] كأن فيه بيان لعلة أخرى؛ أي هنا الحديث الذي قلناه بيَّن فيه اللعن عن من فعلت ذلك، وجاء الحديث الثاني كأن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن ان هناك علة أنه زور، أي هذا من باب الزور والغش، لذلك جعلوها كأنها علة مركبة؛ أي فيها علة الزور وهذه تكون لمن ليست لها زوج مثلًا وأراد أن يأتي أحد يخطبها فتفعل بعض الأمور هذه فيكون فيه زورًا. ولذلك هم عندما أخذوا علة الزور أجازوا للزوج مع الكراهة إن وافق أن تفعل ذلك.

فهذه المسألة البعض قلت الأصحاب في المذهب يقولون بأن على الكراهة مع موافقة الزوج، هذا طبعًا في المرأة التي لها زوج، ويمنعون في المرأة التي ليست لها زوج لأن هذا من باب الزور.

والحق أن العلة ليست علة واحدة الزور، العلة قد تكون مركبة، وهي مركبة كما سنبين، لأن حديث المرأة التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت [**إن لي بنتًا عروسًا...**]- وهذا من أهم الأحاديث وأنا ما أعلم أين الصارف! لذلك بعض الفقهاء والمحدثين في المذاهب، المحققين كالنووي وغيره ما ارتضوا إلا التحريم في هذه الأمور، ولم يرتضى بقول المذهب في مسألة الكراهة مع إذن الزوج، لأن الحديث فيه جاءت المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت: [**إن لي بنتا عروسا وإن الحصبة أخذتها فسقط شعر رأسها أفأصل في شعر رأسها**] وفي رواية قالت: [**ليلة العرس**] أي هي كانت ليلة العرس فجاءت ابنتها عروس، قالت [**وزوجها يريد**] فهذه الزيادة مهمة أيضًا لأن هذه ترد على الذين قالوا بإذن الزوج، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [**لعن الله الواصِلَةَ والمُستَوْصِلَةَ**] لما جاءت تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تصل، وعروس، وفي ليلة العرس، فهو الآن الرجل لو

دخلت عليه المرأة هكذا سيطلقها، لا يوجد شعر تمامًا، وقع شعرها من الحصبة، والزوج يريد، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال؟ **[لعن الله الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ]**.

فأين هذا من قولهم على أنه يجوز بإذن الزوج، إذا كان الزوج يريد، لإنتفاء الغش والتدليس. المسألة ليست في الغش والتدليس، العلة ليست علة واحدة، وإلا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يجوز، إمراة في عرسها، والشعر سقط، والزوج يوافق، ماذا بعد ذلك؟ ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم **[لعن الله الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ]**.

فنقول هذا الوصل محرم، وكبيرة من الكبائر، استحق فيها اللعن، والحق نقول بأن محرم على المرأة ذات الزوج وغير ذات الزوج، وإن كان قلت يوجد تفصيل عند المذاهب، لذلك بعض المذاهب كالشافعية يرون إن مثلًا وصلت بشعر الآدمي فلا يجوز، وإن وصلت بشعر مثلًا خيل أو شعر مأكول اللحم جاز، بشرط موافقة الزوج، وأن يكون هذا زوجها، وإلا لغير زوج فلا، وإلا لو وصلت بشعر غير مأكول – لأن يرون النجاسة هنا في غير المأكول – أو شعر آدمي لا يجوز أيضًا، فيقولون أن هذا نجس.

والحق أن المسألة ليست في النجاسة وعدم النجاسة، وأن المسألة ليست في إذن الزوج، هم طبعًا يرون الحرمة لأنها وصلته بنجس، لكن الصحيح الراجح نقول بأن قول الجماهير من أهل العلم وقول المحققين أن كل الوصل محرم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمرأة **[لعن الله الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ]**، ولو كانت المسألة فيها تفصيل لبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم وقال أوصليها بشعر غير آدمي، أوصليها بشعر مأكول اللحم، أو هل الزوج موافق أو غير موافق؟ أو استاذني الزوج، كل هذا النبي صلى الله عليه وسلم لم يسأل عنه، وترك الاستفصال في مقام السؤال ينزل منزلة العموم من المقال.

إذًا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسأل ولم يستفصل وقال **[لعن الله الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ]**، فلا يأتي أحد ويقول بعد ذلك ننظر ونقول الزوج أو غير الزوج، ونجس أو غير نجس! كل هذا من أين؟ أين العلة المستنبطة من هذه؟ حتى لو قالوا زورًا فنقول أن هذه ليست العلة الوحيدة، نقول عله مركبة، يتحقق الزور سيكون لغير الزوج، والزوجة جاء الحديث فيه باللعن أيضًا، وهذا هو الصحيح الراجح في هذه المسألة.

ثم ذكر أيضًا الوشم، والوشم كما قلنا أنه من الكبائر.

والنمص، وهذا الإشكال العظيم في النمص أيضًا، والنمص طبعًا حقيقة تعبنا من كثرة المسألة في مسألة النمص، وكثرة كلام الفقهاء أصلًا فيه أيضًا. أولًا اختلفوا في ما هو النمص، واختلفوا في أي شعر الذي هو يطلق عليه النمص؟ ابن جرير الطبري يرى أن كل شعر في المرأة يحرم إزالته إلا ما جاء في مواطن الفطرة فقط، يعمم كله، فعنده أي شعر فحتى لو ظهر لها لحية وشارب يحرم عنده أنها تزيله. وسار على هذا الكلام الشيخ الألباني- رحمة الله عليه- أخذ بهذا وقال أن كله، وهذا خلاف كله عندهم في ما هو الشعر، أي شعر الذي بيتكلم عنه. والبعض قال شعر الوجه، والصحيح الراجح أن هو شعر الحاجبين، لأن هناك كلام أيضًا عند الفقهاء أن هو شعر الوجه، وقول ثاني أن الشعر المقصود به هنا شعر النمص يقصد بشعر الحاجبين.

ثم اختلفوا، هل المقصود به النتف أم الحلق؟ فالحنابلة عندهم الحلق لا يعد نمصًا والنمص يكون بالنتف فقط، هذا خلاف الحنابلة، لذلك عندهم لو حلقت حاجبها ورسمته فهذا ليس نمصًا- وقلت هذا خلاف آخر وليس محلنا حقيقة هذا في دروس السنة قد نبينها- لكن ما نريد أن نقوله هنا الآن بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله النامصة، واللعن كما قلنا دلالة كبيرة جدًا على الطرد من رحمة الله عز وجل.

بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العلل:

1- قال **الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ**، فهنا هذه علة، إذًا علة التحريم تغيير خلق الله عز وجل، إذًا هذه علة.

وعلة أخرى أنها الغش أو الزور كما قلنا.

وطبعًا تغيير خلق الله عز وجل هذه من فعل الشياطين، لأن الله عز وجل قد بين عن الشيطان قال:{ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ } [النساء:119]، فهنا قال النبي صلى الله عليه وسلم **الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**. إذًا هنا إشارة على أن التحريم لتغيير خلق الله عز وجل، هذه علة.

2- وعلة أيضًا أخرى قال **وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ**، وطبعًا هذه ليست على عمومها حتى ما يقول أحد لا هناك أدلة أخرى جاءت في الشرع بالحسن، نعم ليس النهي عن الحسن مطلقًا، لكن قال هنا التجميل والتحسين، قال **وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ** ، فلما قال في الحديث "والمتفلجات للحسن" أصبحت علة.

ولكن طبعًا ليس كل الحسن مذموم لأنه جاءت أمور أخرى لكن هنا نُص على أمور جاء فيه اللعن، وإلا فقد جاءت السنة بجواز الاكتحال، بجواز الطيب، وغير ذلك. فهناك ضوابط عند أهل العلم في هذه المسألة.

لكن أقول هنا نجمع العلل لنبين بان العلة قد تكون مركبة.. لماذا أنا بقول هذا الكلام؟ حتى ما يأتي أحد ويستنبط علة ويجعل الأحاديث كلها على علة واحدة فيقول انتفت العلة هذه كما قال بعضهم في مسألة رضا الزوج وغير ذلك، فنقول إذًا المسألة جائزة مثلًا.

نقول العلة متعددة في هذه المسألة، العلة فيها تركيب، مركبة، منها أولًا **وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ** أصبحت علتين.

3- وعلة أخرى اجتهد أهل العلم وفيها وجه جميل أن بعضهم قال أن هناك علة أخرى تضاف إلى هذه العلة الأولى والثانية؛ أن فيها معارضة صريحة لحكمة الله عز وجل، أن من تفعل ذلك تعارض حكمة الله، والله عز وجل قال:{ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ} [النساء:32]، فقال بعض أهل العلم أن هذا الفعل يدل على عدم رضاها بحكمة الله عز وجل، لذلك قالوا أن هذه أيضًا من العلة، وقد تكون من الحكمة عمومًا أي فيها نوع من التسخط على القدر، وفيه تغيير خلق الله، وفيه التحسين.

وحتى لا يأتي أحد ويشكل، نقول أننا ندور مع الشرع حيث دار، لما جاءت الأدلة بجواز التجمل بالثياب، بالكحل، بالطيب، بغير ذلك، قلنا به، ولما جاء الشرع بالنهي عن التجمل بالوشم، والوشر، والنمص، والوصل، وغير ذلك قلنا به. فنحن ندور مع الشرع حيث دار فيما جاء، لأن الأصل نعم إباحة التزين من المرأة للزوج هذا الأصل الاصيل، نعم نقول الأصل بأن المرأة تتجمل، لكن لما جاء الاستثناء قلنا به، كما قلنا حتى لا أطيل أكثر من ذلك.

لأن هناك بعض الأمور تجوز، على خلاف بين العلماء، بعضهم قال الشيء المؤقت هو الذي يجوز، والشيء الدائم لا يجوز، والشيء الذي يقاس على أمور جاء فيها الشرع بالجواز فنقيس عليه أيضًا. مساحيق التجميل مثلًا تجوز مثل الكحل- نحن لا نتكلم عن خروج المرأة به في الشارع وغير ذلك نتكلم عن أن تستعمله في أمر مباح لزوج وغير ذلك- كالكحل، كالطيب، غير ذلك يجوز لا شيء فيه، بعضهم قال العدسات أيضًا على أنها شيء يزال فممكن يوضع ويزال وغير ذلك، هذا قياسًا على الأمور التي جاء فيها الشرع بالجواز فيه بالتجميل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إذا نظَرَ إليها سَرَّتْه] إذًا النبي صلى الله عليه وسلم وضع أصل، لأن الأصل أن المرأة إذا الزوج نظر إليها تسره، إذًا اباح الشرع إلى أن تفعل ما يُسَر به الرجل، وهذا الأصل معنا، لكن متى نقف؟ عندما يأتي الدليل بالمنع، باللعن، وغير ذلك.

4- ثم العلة الرابعة [فإنما تُدخِلُه زورًا] لو أردتم أن تدخلوا العلة الرابعة في المسألة قال [فإنما تُدخِلُه زورًا]، فهذا الأمر أيضًا ممكن أن يدخل في مسألة الاعتراض على القدر، لأن أيضًا فيه الغش لكنه قد يكون علة رابعة.

كل هذه علل مركبة، وأنا قصدت بمسألة المركبة حتى ما ينفرد أحد بعلة ويجعل مدار الأمر على هذه العلة فإذا انتفت العلة انتفى الحكم! لا، لابد الجمع في هذه الأمور ما دام الحكم له أكثر من علة فلابد من جمع هذه العلل.

نأتي لحديث عطاء؛ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} قَالَ: إِلَى اللَّهِ: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وعلا, وَإِلَى الرَّسُولِ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وهذه طبعًا مسألة عظيمة جدًا لأن التنازع في الشيء يُرَد فيه إلى الله عز وجل وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فبيَّن عطاء كيف يُرَد إلى الله؟ إلى كتاب الله عز وجل، وكيف يُرَد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؟ إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه لها صور كثيرة عند الصحابة وعند غير الصحابة، بل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قصة العسيف الرجل الذي كان عنده ابن عسيفًا أي أجيرًا عند رجل، وزنى بإمرأة الرجل، فلم يكن يعلم الحكم، فجاء لبعض الناس فحكموا بأنه يعطيه مائة شاة ووليدة، حكموا له بذلك، فلما قيل له قالوا له إن ابنك عليه جلد مئة وتغريب عام، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُما بِكِتَابِ اللهِ] **وهذا الذي نريده – الشاهد–** لأنه لما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم النبي قال: [لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُما بِكِتَابِ اللهِ] قال: [الوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وعلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يا أُنَيْسُ إلى امْرَأَةِ هذا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا. قالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فأَمَرَ بهَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَرُجِمَتْ] فهنا.. رد الرجل لمن؟ الرجل رده إلى النبي صلى

الله عليه وسلم، لأنه قال سألت البعض فأفتوا لي بذلك، "فسألت بعض أهل العلم" ويراد أن الذي سأله ثاني مرة كان أبو بكر – في بعض الروايات – فقال له عليك مائة جلدة وتغريب عام واذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ففي الثانية قال سألت بعض أهل العلم ثم جاء للنبي صلى الله عليه وسلم ليقضي بينهم. فهنا رد الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم قال [لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُما بِكِتَابِ اللهِ] مع أن ليس في كتاب الله تغريب، لكن فيه جلد، فقضى بكتاب الله بالجلد وقضى بالسنة بالتغريب له. فدل ذلك على أن المرد كان عندهم إلى الكتاب وإلى السنة.

وأيضًا لما حدث مع صفوان بن أمية وكان في المسجد نائمًا على رداء له، فجاء أحد فسرق الرداء من تحته، فأمسك به فأخذه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ذهب للنبي صلى الله عليه وسلم قال: القطع. فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيقطع في ردائي؟ هو له هبة أو أبيعه، قال:[فهلَّا كان هذا قبل أن تأتيَني به] فأنت جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالقضاء كان إلى النبي صلى الله عليه وسلم،{وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ} [الشورى:10].

فهنا الأصل الأصيل عندنا بأن الرد يكون إلى الكتاب والسنة. قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ} أي هنا العصيان جاء لله ولرسوله {فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا} [الأحزاب:36]، دل على أن الطاعة لله ولرسوله أيضًا صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء:65].

فنقول هذا هو الرد، والأمثلة كثيرة جدًا في الرد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والرد إلى كتاب الله عز وجل.

انظر.. صلح الحديبية؛ لما حدث من عمر رضي الله عنه وأرضاه- كما قلناها مرارًا – كان يرى أنه على الحق، وجاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال:[أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟] قال النبي صلى الله عليه وسلم [بَلَى] قال: [فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا ؟] قال: [إِنِّي رَسولُ اللَّهِ ولَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا] وانظر إلى أبو بكر – **وهذا الشاهد**– لما ذهب عمر إلى أبو بكر يقول لأبو بكر: ألسنا على الحق؟ قال نعم. أليس هم على الباطل؟ .. قال: الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يضيعه الله. فانظر إلى أبو بكر، يرد الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم يرد الأمر إلى الله عز وجل ويقول له أن هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولن يضيعه الله عز وجل.

وأيضًا هذا كان دأب الصحابة؛ لما جاء الخلاف الذي حدث بين أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه وابن عباس. أبو هريرة كان يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [توضَّئوا مِمَّا مسَّتِ النَّارُ]، فابن عباس رضي الله عنهما قال: [أنتوضَّأُ منَ الحميمِ؟] فالماء الساخن قد مسه النار، هو يريد أن يُشكِل على أبي هريرة لأن أبو هريرة كان يروي [توضَّئوا مِمَّا مسَّتِ النَّارُ]، فقال ابن عباس:[أنتوضَّأُ منَ الحميمِ؟] كأنه استنكار. فانظر إلى أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: [يا ابنَ أخي ، إذا حدَّثتُكَ عن رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ حديثًا ، فلا تَضرِبْ لَهُ الأمثالَ] وكان ابن عباس في بدايته – ممكن تقول ذلك– انظر إلى دأب الصحابة؛ رده إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: [فلا تَضرِبْ لَهُ الأمثالَ].

أيضًا لما تنازع الصحابة في زمن عمر بن الخطاب على مسألة الإكسال في الجماع، هل يوجب الغسل أم لا يوجب الغسل؟ فالبعض قال: [إنَّما المَاءُ مِنَ المَاءِ]، والبعض قال: [إذا الْتَقَى الخِتانانِ وجَبَ الغُسلُ]. فقال عمر لأبي موسى الأشعري قال اذهب إلى أمنا عائشة فاسألها، ولما ذهب قالت عائشة – وطبعًا الحديث طويل أنا اختصر– قالت: [عَلَى الخَبِيرِ سَقَطْتَ] كنت أفعله أنا والنبي صلى الله عليه وسلم إذا التقى الختانان وجب الغسل. فرجع أبو موسى الأشعري

قال لعمر: من قال بغير ذلك أوجعته ضربا؛ أي فُصِل النزاع، ذهبوا لعائشة رضي الله عنه وأرضاها فقضت في المسألة، بأنه إذا وطئ حتى لو أكسل ولم يُنزِل فهنا عليه أيضًا الغسل. فكان نزاعًا رُد إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أيضًا مسألة طاعون الشام؛ لما ذهب عمر رضي الله عنه وأرضاه في رحلته وقبل أن يدخل الشام وعلم بالطاعون وقف، يدخل أم يرجع؟ فقال ائتوني بأصحاب بدر وأصحاب أحد وبيعة الرضوان؛ يستشير، فلم يستطع أن يصل إلى شيء، فعزم على الرجوع، فجاءه أبو عبيدة قال: تفر من قدر الله إلى قدر الله، قال لو قالها غيرك يا أبو عبيدة أفر من قدر الله إلى قدر الله. ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ذكر له حديث النبي صلى الله عليه وسلم:[إذا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فلا تَدْخُلُوها، وإذا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بها فلا تَخْرُجُوا مِنْها] فلما جاء الحديث رجعوا جميعًا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم ورُفِع الخلاف في ذلك. فهذا كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم إذا حدث ما حدث بينهما من إشكاليات.

أيضًا مسألة المتعة في الحج – كما هو معلوم– جاؤوا لابن عمر سألوه عن المتعة، قال نحن تمتعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا ولكن أباك وأبو بكر كان ينهان عن المتعة، قال: ما أمرنا أن نتعبد بقول أبي، ولكن أمرنا أن نتعبد بقول النبي صلى الله عليه وسلم" تمتعنا مع النبي صلى الله عليه وسلم. ثم لما جاؤوا يسألون ابن عباس وقيل له أن أبو بكر وعمر كانوا ينهون عن المتعة، قال: [يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟] مع معلومية قدر أبو بكر وعمر.

فهنا هذا الكلام الذي يقصده عطاء أنه :{فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ} [النساء:59]، هذا هو الأصل، وليس أن نرده إلى عالِم المذهب، أو إلى إمام المذهب، أو إلى أصحاب المذهب! لا، نرده إلى الكتاب والسنة، مع احترامنا وتقديرنا وتبجيلنا لعلمائنا وسلفنا الصالح، لكن المسألة: (قال الله.. قال الرسول)، ليست المسألة قول الرجال، وإن كنا نقول بأن هؤلاء بيجتهدون ليصلون

إلى الحق، ويصيبون أو يخطئون، لكن لو أمر حدث فيه التنازع فلابد التنازع هنا يكون الرجوع فيه إلى الكتاب وإلى السنة.

إذًا لابد أن نبين ونختم بكلام المصنف الذي قاله هنا وحقيقة مسك الختام يبين لنا بأن المتنازع فيه والمختلف فيه لابد أن يكون الأمر تقول لك ولمن معك: (بيني وبينك الكتاب والسنة)، وليس بيني وبينك المذهب الفلاني ولا غير المذهب! هذا ليس تنقيص من المذاهب حتى لا يظن أحد، نحن نُدَرِّس ونَدْرُس فقه مذهبي وندرس أيضًا الفقه المقارن وغير ذلك، فالأصول لابد في الدراسة، ونحسن الظن بأن أهل العلم هؤلاء في كل المذاهب ما أفتوا بذلك ولا تبحروا في المسائل إلا أنهم يبحثون عن الدليل، ولكن المسألة ليست تعصبًا لهؤلاء، هم كانوا يتعصبون إلى الأدلة، ونحن نريد أن نتعصب أيضًا إلى الكتاب والسنة إلى الأدلة وليس إلى أقوال العلماء.

وهذا هو الأصل الذي لابد أن يتربى عليه الجميع ويتعلم عليه، بأنه لا مانع بأنك قد تخالف، لأن حقيقة كنت أسمع شروحات كثيرة في المذهب وغير المذهب، ناس أفاضل جدًا وذو قدر في العلم لكن ما يستطيع أن يخرج.. ، هو حتى المذهب في المسألة قد يكون واضح فيها لمن يدقق بأنه خلاف الراجح لكنه ما يستطيع أن ينطق بها، فهو يبرر للمذهب هذا القول ولا يستطيع حتى يشير بأن القول الثاني أو القول هذا أرجح، وهذا تقييد ليس محمودًا حقيقة – مع القدر– لأن هذا فيه وضْع المرء في قالب أنه لا يخرج منه، وهذا ليس مبتغى لأئمة المذاهب، هم قالوا: "لو وجدت الدليل يخالف قولي، فاضرب بقولي عرض الحائط"، نعم نقول بأن هذه ليست لكل أحد، لكن أيضًا لا يمكن أن يكون الاتفاق كاملًا في كل مسائل المذهب، فلا تأتي في مسألة أو كم مسألة فتقول والله هنا المذهب القول فيه ليس براجح والأرجح قول فلان أو قول دليل آخر، لا يمكن أن تجد أن المذهب في كل مسائله هو الراجح فيه، لكن هو بيظهر بأن من أراد أن يتقيد بالمذهب فلا تجده يخرج مطلقًا حتى في الشرح، وهذا قلت ليس بمحمود والله أعلم في ذلك.

نقف عند الأثر عن عمر بن عبد العزيز ، متبقي حديث (107) و (108) والختام في الفوائد المستنبطة في الباب هذا نرجئه إن شاء الله للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السادسة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمة الله تعالى- وما زلنا في آخر باب من أبواب الجزء الأول الذي ختم به المصنف الجزء الأول من كتابه وهو **بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ تُعَارِضُ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ.**

وكنا قد أفردنا مجلسين في مسألة الكلام عن السنة، وعلاقة السنة بالقرآن بما تيسر أن نبين، وقرأنا الآثار والأحاديث التي ذكرها المصنف في ذلك.

نقرأ الأحاديث (107) و(108).

قال المصنف – رحمه الله تعالى–:

107 – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أنا الْحَوْطِيُّ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَوَادَةُ بْنُ زِيَادٍ، وَعَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى النَّاسِ: إِنَّهُ لَا رَأْيَ لِأَحَدٍ مَعَ سُنَّةٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ

108– وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: السُّنَّةُ سُنَّتَانِ: سُنَّةٌ الْأَخْذُ بِهَا فَرِيضَةٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَسُنَّةٌ الْأَخْذُ بِهَا فَضِيلَةٌ، وَتَرْكُهَا إِلَى غَيْرِ حَرَجٍ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فِيمَا ذَكَرْتُ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى مَا نَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا إِذَا تَدَبَّرَهُ الْعَاقِلُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَلْزَمَهُ التَّمَسُّكَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ, وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ, وَجَمِيعِ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرْكِ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ فِي الدِّينِ، وَلُزُومَ مُجَانَبَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ, وَالِاتِّبَاعَ, وَتَرْكَ الِابْتِدَاعِ, فَقَدْ كَفَانَا عِلْمُ مَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

مازلنا في هذا الباب العظيم، باب السنة وحاجة السنة للقرآن، والقرآن إلى السنة، وختم المؤلف هذا الباب في هذا الجزء منها ذكر الأثر عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: إِنَّهُ لَا رَأْيَ لِأَحَدٍ مَعَ سُنَّةٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم، يبين لك كيف كان يتعامل هؤلاء السلف الصالح مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يقدمون أحد من الآراء على ذلك.

لذلك قال الزهري: "قال أئمتنا الإعتصام بالسنة نجاة"، وقال أيضًا الزهري: "السنة سفينة نوح فمن ركبها فقد نجى، ومن تخلف عنها فقد هلك". وقد جاءت الآيات كما بينا من قبل تبين وجوب الإلتزام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وبكتاب الله عز وجل.

قال تعالى:{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ } [الأحزاب:36]، وأيضًا قال سبحانه وتعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا} [النساء:65]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: [كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى]. وجاءت كما قلنا الأحاديث في ذلك كثيرة أيضًا في وجوب اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر لنا عن مكحول قولًا يحتاج إلى تفصيل، قال فيه: السُّنَّةُ سُنَّتَانِ: سُنَّةٌ الْأَخْذُ بِهَا فَرِيضَةٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَسُنَّةٌ الْأَخْذُ بِهَا فَضِيلَةٌ، وَتَرْكُهَا إِلَى غَيْرِ حَرَجٍ. وطبعًا هو قسم السنة هنا التابعي الجليل إلى قسمين؛ سنة فريضة، وسنة فضيلة، ثم بين في ترك سنة الفريضة قال فيها: تَرْكُهَا كُفْرٌ ،وهذا فيه توجيه هنا، لابد من توجيه، وأيضًا في مسألة السنة الْأَخْذُ بِهَا فَضِيلَةٌ، وَتَرْكُهَا إِلَى غَيْرِ حَرَجٍ.

أهل العلم تكلموا في تقسيم السنة، بعضهم قسمها إلى أربعة وليس إلى إثنتين، فقالوا:

القسم الأول: وهي سنة فريضة: وهو الذي ذكره المؤلف – أي أن السنة هنا مقصود بها الطريقة، أو الهيئة، أو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم. وسنة فريضة مثل ركوع الصلاة، السجود في الصلاة، الرفع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي]، أو كما جاء في مناسك الحج وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [خُذُوا عَنِّي مناسككم] ، أو كما جاء في الصوم أيضًا، وغير ذلك. فكل هذه سنة فريضة. أو ما جاءت فيها من بعض الأمور غير العبادات لو قلنا إطلاق اللحية مثلًا، إسبال الثوب – على الصحيح وإن كان فيها أيضًا خلاف– وغير ذلك.

هذه كلها على أنها سنن من سنن الفرائض، وهذه السنة تركها يأثم به المرء، تركها معصية، لكن هنا قال المؤلف تركها كفر وهذا توجيه، بمعنى هو يقصد أن تركها كفر – وهذه طبعًا كلها في الواجبات أو الفرائض– إن كان هذا جحودًا، أو إستحلالًا، لأن أهل السنة والجماعة لا يرون بأن تارك الفرائض يكفر؛ إلا طبعًا الخلاف المشهور في الصلاة وأقل منه في الزكاة وأضعف منه في الصوم، لكن نتكلم على الواجبات عمومًا لو كان سنة فريضة فأهل السنة والجماعة يرون بأن تارك الفريضة أو تارك الواجب هو على معصية، ولكنه لا يكفر بذلك.

فتوجيه قول التابعي الجليل بأن سُنَّةٌ الْأَخْذُ بِهَا فَرِيضَةٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ هنا يقصد بها إن جحد هذه السنة على الراجح أو استحل ذلك هذا الذي يكون فيه كفر، وإلا فمن مات من أهل القبلة وعليه ما عليه من المعاصي أو الذنوب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

القسم الثاني: وهي سنة الفضيلة: الذي أشار إليها أيضًا المؤلف، وهي كالنوافل خاصة النوافل الرواتب مثلًا، أو صوم مثلًا لو قلنا يوم الإثنين والخميس، أو صوم الأيام المؤكدة كصوم يوم عرفة، أو صوم مثلًا يوم عاشوراء وجاءت فيهم الأدلة، لذلك مثلًا الرواتب قول النبي صلى الله عليه وسلم: [**من صلَّى في اليومِ واللَّيلةِ ثِنتَي عشرةَ رَكعةً سوى المَكتوبةِ بُنِيَ لَهُ بيتٌ في الجنَّةِ**]، ثم ذكر بعد ذلك في الحديث: [**أربَعًا قَبلَ الظُّهرِ، ورَكعَتَينِ بَعدَها، ورَكعَتَينِ بَعدَ المَغرِبِ، ورَكعَتَينِ بَعدَ العِشاءِ، ورَكعَتَينِ قَبلَ صَلاةِ الفَجرِ**]. كل هذه سنة فضيلة، لذلك قال: **وَتَرْكُهَا إِلَى غَيْرِ حَرَجٍ** أي لا يُنكَر عليه، من لم يفعل هذا لا يُنكَر عليه في ذلك، لأن الأصل فيها أن هي على الفضيلة.

وإلا ممكن يُشكل علينا كلام الإمام أحمد أنه لما سئل عن الوتر قال: "من ترك الوتر رجل سوء"، هو طبعًا هناك خلاف؛ الأحناف يرون بأن صلاة الوتر واجبة ولكن هذا ليس مبحثنا فقهيًا الآن، الصحيح بأن صلاة الوتر ليست واجبة، والدليل حديث الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن أركان الإسلام فقال:[**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَومِ واللَّيْلَةِ**] إلى أن قال: [**هلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قالَ: لا، إلَّا أنْ تَطَّوَّعَ**]. وأيضًا النبي صلى الله عليه وسلم ذُكر على خلاف في ليلة المزدلفة بأنه ما صلى الوتر – على خلاف نقول–، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الوتر على الراحلة وهذه دلالة على أنها لو كانت واجبة لنزل وصلاها باستقبال قبلة وقيام. فقول الإمام أحمد يبدو أنه رجل بسوء هذا يختص به من أراد الكمال؛ فالمسألة مصروفة على أن "سوء" أي أنه سينقص من كماله على أنه إن ترك الوتر.

وحتى لو قلنا المداومة على الترك لأن لو قلنا بأنها سنة نافلة فلا إشكال أنه لا يفعلها أصلًا فمن لا يصوم الإثنين والخميس أصلًا لا تقول له أنه رجل سوء، وحتى لو لم يصل الرواتب لا تقول أن الرجل سوء. لكن هذا توجيه الإمام أحمد في هذه المسألة. وليس من ترك شيء فهو مُعرِض عنه! فهذا سيء جدًا ووقع فيه

بعض الناس وخالفوا فيه، يرى بأن من ترك شيء يُعد إعراضًا! ليس كل الترك إعراض، حتى لو داوم على الترك طالما نقول في النوافل، فلا يصح أن تقول إنه إعراض لأن الإعراض ستؤثِّمه، فيوجد ناس مداومة على ترك صوم النوافل، لا يصوم إلا رمضان.. ماذا ستقول له؟! صحيح الرواتب من آكد النوافل، لكن لا تقول أنه إعراضًا.

لذلك نحمل كلام الإمام أحمد – حتى لا نطيل فيها– بأنه يرى أن الوتر من شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على فعله اقترب فيها من الواجب، ولكنه "رجل سوء" أي رجل لا يريد الكمال، لا يريد علو الهمة، على الغالب في ذلك.

القسم الثالث: سنة اختُلِف فيها؛ هل هي فضيلة أم فريضة: وهذه ممكن نقول فيها جزء الخلاف فيه قوي، ففيه المناصحة وليس فيه الإنكار، وفي منها من كان الخلاف فيه ضعيف ففيه الإنكار جائز.

نقول الأول على أنها السنة الخلاف فيها قوي؛ كستر الوجه للمرأة – النقاب–، فيه خلاف والخلاف فيه قوي، هناك من يقول بأن ستر المرأة لوجهها واجب، وهناك من يقول بأن ستر المرأة لوجهها فضيلة؛ سنة، ليست فيها وجوبًا. ونقول الخلاف فيه قوي، والحق أن فقهيًا أو علميًا المناصحة فيه، وليس فيه الإنكار، لأن من أخذ بأي قول من القولين فمعه أدلة قوية.

وأيضًا ممكن ينزل فقهيًا مسألة الوضوء من أكل لحم الإبل– أو الجذور– فيه خلاف؛ الجمهور يرى بعدم الوضوء، والإمام أحمد يرى بالوضوء، والجمهور معه دليل على أنه يرى بأنه كان في أول الأمر الوضوء [**توضَّئوا مِمَّا مسَّتِ النَّارُ**]، ثم نسخ ذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره أخذ من كتف شاة وأكلها ثم صلى، فقالوا إذًا نُسخ الوضوء مما مسته النار، ويقولون بعدم وجوبه لكن يستحب الوضوء من لحم الإبل. والإمام أحمد يرى وجوب الوضوء من أكل لحم الإبل ويستدل بحديث الرجل الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم سأله: [**أتوضَّأُ**

من لحُومِ الغنَمِ ؟ قال: إنْ شِئتَ فتوَضَّأْ، وإنْ شِئتَ فلا تتوَضَّأْ، قال: أتوَضَّأُ من لحُومِ الإبِلِ؟ قال: نَعَمْ، فتوَضَّأْ مِن لحُومِ الإبِلِ]. فيقولون إذًا هذا الحديث يخصص النسخ أو العموم الذي جاء بنسخ الوضوء مما مسته النار. إذًا المسألة فيها خلاف، والخلاف فيها نقول قوي؛ أي لا يكون فيه إنكارًا.

خلاف فيه إنكار: الخلاف في مسألة الإسبال- وهذا الذي أراه هو - والخلاف في مسألة الزواج بغير ولي، فيه خلاف لكن الخلاف فيه إنكارًا، الخلاف فيه ضعيف، وهذا طبعًا اجتهادًا، فالجمهور يرون ببطلان النكاح للمرأة بدون ولي ثيب أو بكر، والإمام ابو حنيفة - رضي الله عن الجميع- يرى بأن المرأة الثيب إذا زوجت نفسها بدون ولي فيصح، ونقول أن هذا يخالف حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [أيما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليِّها؛ فنكاحُها باطلٌ, فنكاحُها باطلٌ, فنكاحُها باطلٌ]، ففي خلاف نعم، لكن الخلاف فيه ضعيف والله أعلم في ذلك. لذلك فيه الإنكار، لذلك الجمهور يبطلون هذا العقد ولا بد من تصحيحه أيضًا.

فنقول هذه سنة فيها خلاف، البعض يرى بأنها فريضة والبعض يرى بأنها واجبة - مثلًا لو قلنا ذلك-.

القسم الرابع: سنة العادات: التي هي لا تنقلب إلى العبادات إلا بالنية، وهي كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثلًا الأكل بثلاثة أصابع، أو ممكن نقول لبس العمامة، لبس الثوب، هذه كلها عادات للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه ليست سنة لكن من فعلها تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم أو ترك أكل الضب مثلًا تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم فممكن تنقلب فيه سنة العادة إلى سنة عبادة.

طبعًا بخلاف أن هناك عادات أخرى جاء فيها نصًا، مثل الأكل باليمين جاء فيها نص شرعي فهذا ينقلب هنا من عادة ؛ فالأكل بعضها عادة وبعضها عبادة.

المهم أن هذه السنن هذه التي قال هي فضيلة وتركها إلى غير حرج هذه أنواع السنة.

نقطة نود أن نشير إليها قبل أن ندخل في ختام الباب ونلخص ما قلناه من قبل؛ الباب يتكلم هنا عن رد السنة، وأن هناك طائفة ظهرت؛ بعضهم ردوها كالقرآنيين الذين ردوا السنة بالكلية واكتفوا بالقرآن فقط، ومنهم طائفة أقل منهم يحرفون السنة أي لا يردونها مطلقًا لكن يحرفونها، والثمرة أنهم يهدمون السنة ولا يعملون بها.

لكن لابد أن أبين حتى لا يشكل عليكم نقول أنه قد حدث التقاء مع بعض المبتدعة في ذلك الأمر؛ في الثمرة وليس في التأصيل، بمعنى؛ وجدت مسائل في الشرع عندنا حدث فيها خلاف بين العلماء،وبعض أهل العلم ردوا بعض الأحاديث ولم يعملوا بها، وهؤلاء من النجباء، من الفضلاء، من علماء السلف، ردوا فاشتركوا في الثمرة مع المبتدعة في أنهم ردوا بعض الأحاديث، لكن اختلفوا في التأصيل.

وأنا أردت أن أبين هذه المسألة حتى يزيل اللبس الذي قد يأتي عند البعض عندما تحاور أو تتكلم مع المبتدع، فهناك فارق بأنهم يردون السنة أصالة ولا يعملون بها، وبين من اجتهد ورد نعم أخطأ فاجتهد فأخطأ فرد بعض الأحاديث ولم يعمل.

الثمرة قد تظهر لك واحدة بأنه لم يعمل بالحديث، لكن الفارق أن هذا تأصيلًا عنده أنه يرد السنة ويريد أن يهدم، وهذا ليس تأصيلًا هذا يعمل بالسنة ولكنه اختلط عنده الحديث مع أصول أخرى عنده فلم يعمل بالحديث ولم يكن مصيبًا.

وأنا سأذكر بعض الأمثلة حتى نبين بأن هذا قد ممكن أن يحدث من بعض السلف أصلًا ومن بعدهم أيضًا، وإن كان كما أقول اشترك أو اجتمع في الثمرة مع المبتدعة ولكنهم اختلفوا. ولذلك ننظر لمسألة مهمة، نحن لماذا بنذكرها؟ لتعامل السلف مع هؤلاء، فالثمرة أنه رد الحديث لكنه هنا السلف أنكر عليه في المسألة فقط ولم ينكر على ذاته وشخصه، لأنه يعلم من أصوله أن هو يعظم السنة،

بخلاف تعاملهم مع المبتدعة الذين من أصولهم رد السنة وإن اجتمعوا معهم في الثمرة، ويبين لك هنا كيف يتعامل السلف حتى إن وافق قولك، وأنا أريد هذه مهمة جدًا في هذه الأزمنة؛ **إن وافق قول الشريف النبيل العالم قول بعض المبتدعة فأنت عليك أن تمحص؛ هل ستعامله بما تعامل به المبتدعة وترميه بأنه مبتدع؟ أم ترد عليه اجتهاده الذي أخطأ فيه وتحفظ له قدره بأنه ملازم للسنة؟**

هذا هو الذي غاب عن البعض فخلطوا ووقعوا في أنهم عندما يروا بأن الشيخ أو العالم أخطأ أو اجتهد وحتى وإن رد حديثا فيعامله كأنه مبتدع، وما أريد أن أتجرأ أنا أيضًا في الرد لكن هذا ليس بحسن تعامل، وليس فقه هذا. وسنأتي ببعض الأمثلة مثلًا في العقيدة وفي الفقه.

- **أول مثال مثلًا مسألة حديث الجساسة**؛ وهو اثبات أن الدجال موجود ومربوط ومسلسل في مكان ما. هل تعلمون حديث الجساسة أم لا؟ هناك بعض أهل العلم النبلاء من رد الحديث، قال البخاري لم يذكره في صحيحه وعلقه ولو كان صحيحًا لذكره وليس عندنا غير هذا الحديث في المسألة. فهو لا ينكر وجود المسيح أنه سيأتي لكن ينكر وجود المسيح حاليًا، وهذا من أعلم أهل الارض في زمانه كان – رحمة الله عليه– لكن هو يقول ذلك القول ورد هذا الحديث، وقالوا ليس عندنا دليل بأن المسيح موجود الآن ومسلسل، وهذا خلافًا لمن؟ لجل كل علماء السلف الذين يثبتون حديث الجساسة. لكن رُد عليه فقط اجتهاده وعُرف قدره أيضًا.
- بعض أهل العلم أيضًا من أهل السنة والجماعة **لا يثبتون عذاب القبر** في السنة أي ردوا أحاديث عذاب القبر مع أن الآيات جاءت، فقالوا نقول بالقرآن فقط. أو دعوني أضبط المسألة؛ بعضهم رد وجود عذاب القبر، قالوا لم يأت تصريحًا من القرآن عذاب القبر، ونعم الآيات في القرآن قد تحتمل، وبعضهم رد ذلك مع أن الآيات منها قول الله عز وجل:{ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ} [السجدة:21]، هم طبعًا لن يردوا الآيات، لكن الآيات محتمله في التفسير فلا يثبتونها بذلك، أو{ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ }

[غافر:46] إلى آخر الآيات، فردوا ذلك، وأنا لا أتكلم عن الذين ردوا عذاب القبر بالكلية وبعض علامات اليوم الآخر، لا، هناك بعض الفضلاء ردوا ذلك ووقعوا في هذه الإشكالية أيضًا.

- منها أيضًا بعضهم قالوا **بعدم قتل المرتد** والحديث: [مَن بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ]، قالوا عندنا آية: {لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ } [البقرة:256] فلا يخصص هذا الآحاد بقطعي القرآن، فلا يقولون بقتل المرتد، والحديث موجود، لكن رد الحديث بذلك في هذه المسألة.
- منها أيضًا **بعض المالكية مثلًا يرون بجواز أكل الأسد والقرد وبعض السباع** مع أن الحديث [نهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السِّباعِ وعن كلِّ ذي مِخلَبٍ من الطَّيرِ]، يقولون قد جاءت الآيات تقول من قوله تعالى: { وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ } [الأنعام:119] ولم يأت التفصيل في القرآن بالأسد والقرد وغير ذلك، مع أن الحديث موجود لكن قالوا عندنا الآية محكمة ولم يعملوا بالحديث وردوا الحديث. وأنا لا أدخل في النزاع الفقهي الآن معكم انا أبين لكم أمثلة جاءت في هذه المسألة.
- **أيضًا الأحناف ردوا حديث المصراة**، والمصراة هي الشاة المربوطة الأخلاف ويظهر اللبن في الضرع ثم بعد أن يأخذها يكتشف أن ليس فيها لبن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَنِ اشْتَرَى شاةً مُصَرَّاةً فَلْيَنْقَلِبْ بها، فَلْيَحْلُبْها، فإنْ رَضِيَ حِلابَها أمْسَكَها، وإلَّا رَدَّها ومعها صاعٌ مِن تَمْرٍ] هنا الحديث يقول صاع من التمر، جاء الأحناف لم يقبلوا، قالوا لماذا صاع من التمر؟ هو أخذ لبن يرد لبن والله عز وجل قد قال:{ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ} [النحل:126] لابد المثلية فلماذا يرد تمرًا؟ فقالوا مخالف للأصول وردوا الحديث. وطبعًا ردوا عليهم أهل العلم قالوا هذا ما يصح، هذا الحديث أصل؛ السنة أصل. لكن هو في النهاية هو لم يعمل بالحديث ورد الحديث حتى وإن اجتهد وأخطأ وأتى بآية أخرى لكن هو لم يعمل بالحديث في ذلك.

- بل حدث مع عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما أنكرت على ابن عباس- رضي الله عنه عن الجميع- **رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لوجه ربه**، فقال: [**نورٌ أنَّى أراهُ**] فهو قال[**نورٌ إني أراهُ**] فعائشة رضي الله عنها وأرضاها مع أنها استدلت بدليل ليس في المسألة لكن استدلت عليه وأنكرت عليه قالت:{ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ } [الأنعام:103] والآية لا تكفي، فقال لا تدركه الأبصار. وهناك فرق بين الإبصار عن الرؤية. المهم أن السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها ردت على ابن عباس وأتته بآية من القرآن لترد عليه من القرآن على السنة أيضًا. فلا يصح طبعًا أن نقول بأن ابن عباس بيرد الآية! ما هو أصلًا راوي الحديث بضبط ما، لكن نقول بأن عائشة رضي الله عنها وأرضاها ردت ذلك ولم تقبل من ابن عباس هذا الاجتهاد.
- وأيضًا المسألة الاشهر في مذهب ابن عمر وعمر قبله- رضي الله عن الجميع- بأن **الميت يعذب ببكاء أهله عليه**، ورد ذلك لعائشة قالت: [**إِنَّكَ لَتُخْبِرُنِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبٍ وَلَا مُتَّهَمٍ**] أي هي لا تكذبهم ولا تتهمهم، ولكن الله عز وجل – كما قالت {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ} [الأنعام:164] فكيف الميت يعذب ببكاء أهله عليه؟! أرادت أن تُشكل عليهم أيضًا. فهذا خلاف أيضًا، وردت عليهم قالت [**وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ**] ولكن ما حَدَّث النبي صلى الله عليه وسلم بأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

فنقول بأن حدث ذلك من بعض الفضلاء كما قلنا؛ سواء من الصحابة أو من بعض الأئمة بأنه قد حدث اجتهاد من بعضهم فردوا بعض أحاديث السنة، ولكن نقول وإن وافقوا – أنا أعيد وأكرر هذه المسائل- وإن وافقوا المبتدعة في الثمرة لكنهم لا يوافقونهم في الأصل، وهنا يُرَد فقط هذا الاجتهاد ويظل عندهم الأصل وهو بتقدير السنة والعمل بها.

ملخص لعلاقة السنة بالقرآن:

الآن قبل أن نختم الباب نريد أن نجمل ما قلناه في مسألة علاقة السنة بالقرآن، لعلكم تراجعون فيها معي.

أولًا؛ قلنا بأن السنة مع القرآن تأتي بأوجه ثلاثة- أنا أعلم بأني قلت تقسيمات خمسة لكن أنا أعطيكم من وجه ثاني في الجمع.

بأنه إما تكون السنة موافقة للقرآن؛ وهذا المعنى الذي قلناه – مؤكدة– موافقة للقرآن من كل وجه، فتأتي السنة والقرآن قبلها كلهم مؤكدين على حكم واحد، فهذا وجه بأن السنة موافقة للقرآن من كل وجه.

من وجه ثاني أن تأتي السنة مبينة للقرآن؛ سواء مبينة لمجمله، مفسرة لآيات القرآن، موضحة لمشكل القرآن، فهنا السنة كأنها تبين، وهذا الوجه الثاني من علاقة السنة مع القرآن؛ سواء قلت بأنها مقيدة للمطلق، مبينة للمجمل، موضحة أو مفسرة للمشكل، كل هذا بيان من السنة للقرآن.

والوجه الثالث وهو أن السنة موجبة لحكم سكت عنه القرآن،وقد مثلنا في كل ذلك. أنا أجمل لكم ما قلناه من قبل، فهذا ختام الباب حتى نختم به اليوم إن شاء الله.

فنقول إذًا هذه أوجه السنة مع القرآن؛ إما السنة موافقة للقرآن في كل شيء في أحكامه، أو السنة مبينة لما في القرآن، أو الوجه الثالث أن السنة جاءت موجبة لحكم سكت عنه القرآن؛ سواء كان الحكم إيجاب، أو تحريم، أو كراهة، أو تنزيه، أو غير ذلك، وطبعًا الأدلة قد بيناها من قبل حتى لا نعيد، هذا إجمالًا.

الفوائد لمستنبطة:

نقول هنا هذا الباب الذي تكلمنا عنه لابد فيه من فوائد عده مستنبطة؛ سواء فوائد عامة أو فوائد من الأحاديث التي قرأناها الآن.

الفوائد العامة:

1- لا فرق بين قضاء الله عز وجل وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم، كلهم ليس للمؤمن أن يختار بينهما، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ } [الأحزاب:36]، فهنا لا فرق بين قضاء الله وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم.

2- لا يجوز التقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يجوز التقدم بين يدي الله عز وجل.

3- أن التولي عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هذا من شأن المنافقين والكافرين، ليس من شأن المؤمنين والمسلمين.

4- وجوب الرد والرجوع عند التنازع والاختلاف في شيء من أمور الدين إلى الله عز وجل وإلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أصل أصيل في هذا الدين.

5- التحذير من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم،{فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63]، كما جاء الرجل لمالك بن أنس رضي الله عنه وأرضاه أراد ان يحرم من المدينة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أحرم من ذو الحليفة، قال ولكني أريد أن أحرم من المدينة. هو لماذا يريد أن يحرم من المدينة؟ ليطيل الوقت الذي سيحرم فيه فكأنه يتقرب إلى الله عز وجل بزيادة وقت هو فيه محرم، فقال أخشى عليك من الفتنة، قال وأين الفتنة يا إمام؟ قال: {فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63]، ظن بأن ما يفعله أفضل مما فعله النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يبين لك اجتهاد بعض الناس في بعض العبادات وهو لم يفعلها النبي صلى

الله عليه وسلم، كما جاءوا الثلاثة رهط للنبي صلى الله عليه وسلم، فهذا ممكن يصيبه فتنة كأنه سيظن أنه أفضل مما فعله النبي صلى الله عليه وسلم! مصيبة يقع فيها المرء. لذلك نقول تحريم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وأن له عاقبة سيئة في الدنيا وفي الآخرة.

6- طاعة النبي صلى الله عليه وسلم سبب لدخول الجنة، ومعصية النبي صلى الله عليه وسلم سبب لدخول النار- والعياذ بالله- {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ} [النساء:13]، و {وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا} [النساء:14].

7- من صفات المنافقين أنهم لا يتحاكمون إلى الله وإلى الرسول، وإذا دعوا أن يتحاكموا إلى الله وإلى الرسول لا يستجيبون إلى ذلك. وهذه من صفات المنافق، كيف تعلم المنافق؟ تدعوه إلى التحاكم إلى الله وإلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وانظر إلى ما يحدث بين المسلمين الآن، تحدث القضايا وتحدث المنازعات تقول تعالى إلى الشرع، يقول لك القانون! وانظر إلى النزاعات بين الرجل وأمرأته عند الطلاق. وأسألوني على المسألة هذه، القانون بيعطيها.. والقانون يعطيه.. القانون! وكذلك في البيوع، وكذلك في المعاملات، فأين هنا التحاكم إلى الشرع! وأنا أحزن كثيرًا لما أجد سمت الالتزام ومع ذلك تجد عند التنازع ما كأنه عنده التزام أصالة! فقط الظاهر! نسأل الله السلامة. فهذا من صفات المنافقين، فإنك لابد أن ترد التنازع إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن أنك تريد مصلحتك وغير ذلك فهذه علامة نفاق- والعياذ بالله من ذلك-. أما المؤمن فإذا دعي إلى الله ورسوله يقول سمعًا وطاعة، ما يتكلمون، هذا الشرع يقول ذلك إذًا على رقبتي، لابد أن أفعله، هذا هو الصحيح، هذه هي المعاملة، وليست المسألة فقط ترديد آيات نحفظها وسنة، لكن عند المعاملة كيف تكون! لابد المعاملة تكون شرعية أيضًا كما أن التعلم يكون شرعي، وهذا مما عمت به البلوى الله المستعان.

8- كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في السنة هو حق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي بباطل، هو وحي، قال الله عز وجل: {لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ

بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ } [فصلت:42]، فكل ما ثبتت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو حق يجب العمل به؛ سواء كانت في الأمور الشرعية او في الأمور الغيبية أيضًا، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرنا بالأمور الغيبية التي أعلمه الله عز وجل بها فلا مدخل للعقل في ذلك، لابد أن تقر بالأمور الغيبية كما تقر بغير الأمور الغيبية، لأن كله من عند الله عز وجل، وكله النبي صلى الله عليه وسلم أتى به وحيًا من الله عز وجل.

9- القرآن لا يغني عن السنة في وجوب الطاعة والاتباع، أي كما أنك تتبع القرآن يجب عليك اتباع السنة وهذا رد على ماذا؟ على الذين قالوا نتبع القرآن وإذا جاء الحديث نعرضه على كتاب الله فما وجدناه في كتاب الله نعمل به وأما ما وجدناه لا نعمل به! وهذا باطل، لأن القرآن لا يغني عن السنة، هو مثله في وجوب الطاعة ووجوب الاتباع، ما حرم النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله عز وجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلُه معه] فتحريم النبي صلى الله عليه وسلم كتحريم الله عز وجل طبعًا؛ على الراجح بأن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله عز وجل.

10- العصمة للأمة لابد حتى تكون فبالتمسك بالكتاب والسنة، لن يحدث لهذه الأمة قيامة مرة أخرى أو علوًا ولن يعصمها الله عز وجل مما هي فيه من خزي ونزول إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا إلى قيام الساعة، كلما حدث تنازل أو عدم تمسك بالكتاب والسنة تجد يصيب المصبين ما يصيبهم. لذلك انظر الفارق بين السلف وبين الخلف، وقلنا حتى بين بعض الخلف لأن السلف السنة حاكمة كانت عليهم، وأما بعض الخلف هم تحاكموا في السنة. لذلك متى ظهرت الفرق المبتدعة؟ لما تحاكم هؤلاء في السنة، ولكن قبل هؤلاء كانت السنة حاكمة على السلف، فمتى جاءت السنة عملوا بها. لما جاء بعض الخلف؛ وأقول بعض لأن طبعًا الخير لا ينقطع، لكن لما ظهر الذين أحدثوا في التحكم في السنة فظهر هنا الكلام وعلم الكلام والعقل وعرض الأدلة على العقل وعرضها على الوجد وعلى الذوق وعرضها على أصولهم، فإن خالفت السنة الأصول

تحكموا في السنة واخضعوا السنة لأصولهم؛ سواء كان هذا في العقيدة أو في الفقه، أي أن هذا وجد في العقيدة، انظر إلى أصول الفرق المبتدعة – تكلمنا عنها من قبل حتى لا أسمي مره أخرى– انظر.. أصولهم يقدمونها أولًا ويخضعون السنة – بل وأحيانًا الكتاب– إلى الأصول عندما يقدمون العقل على النقل، فهو الآن أخضع الكتاب والسنة إلى أصله، ويقولون العقل يقيني والسنة ظنية أو الكتاب وكذا! وهذا تحكم. بل في الفقه أيضًا، لأن حدث مع التعصب في بعض المذاهب الفقهية أنه جعل المذهب يتحكم في السنة! فلما تأتي تكلمه يقول لك المذهب يقول، المذهب يقول! نعم نحن نعلم بأن أئمة المذهب الأصل فيهم أنهم كانوا يتفقهون على الكتاب والسنة، لكن لما حدث تحكم فأصبح المذهب يُقدَّم على السنة وليست السنة هي الحاكمة على المذهب. وهذا من علامات النزول في هذه المسألة، وهذا الفارق بين السلف وبين بعض الخلف لذلك حدث التعصب الآن، أنك مثلًا في بعض الأماكن تجد أن الإفتاء قائم في البلد كله على مذهب واحد، هو الآن المذهب عنده هو الشرع فيفتي كل الفتاوى وكل القضاء على مذهب واحد، حتى وإن كان في المذهب بعض المخالفات حتى وإن رأى فيه مرجوح فهو لا يتعامل إلا مع المذهب! وهذا لا شك تحكم في السنة مذموم يؤدي إلى مهالك عظيمه جدًا، وخلافا لما قلناه.

هذه فوائد عامة مستنبطة من الباب.

فوائد من الأحاديث:

هناك بعض الفوائد التي ممكن نستخرجها من الأحاديث التي جاءت معنا.

1- الحديث الأول حديث لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ فيه بعض الفوائد قلناها بأنه فيه بيان على أن هذا العلم لا يُنال بالراحة، لا يُنال بالجلوس على الأريكة، وفي بعض الروايات قال: [وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ] لذلك الإمام الشافعي له كلام قال ما رأيت بدينا قط فيه خير– يقصد خير في العلم– إلا محمد بن الحسن الشيباني فقط. وسفيان الثوري أيضًا كان حالة نادرة لأن سفيان كان يأكل على العشاء خروف ويقول إن الدابة إذا أعلفتها أعطتك؛ أي عمل. وهذه حالة نادرة

فكان أكل ويقيم الليل، هو زاده الطعام، لذلك هذا من الاستثناءات. لذلك الشافعي يقول أنا لا أرى خيرًا في البدين. وهو يرى طبعًا أن البدين وهو الذي يأكل الطعام الكثير سيثقل عن الطاعة، وعن الهمة، والعلم محتاج صبر وجلوس وحرق كما يقال. فلذلك هو النبي قال[وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ] أي كأنه علامة على الراحة وعلى عدم الهمة في الطلب وغير ذلك. وهنا يبين بأن هذه من سمات الذين يهدمون السنة ولا يتعلمون العلم. وهذه وجدتها تجد بعض الناس- هو مرحرح كما يقال- ويتكلم في الدين وفي الشرع هو أصلًا يمكن ما يُحسِن أن يقرأ الفاتحة ولا يعرف الفرق بين أركان الوضوء ولا سننه ولا في الصلاة ولا غير ذلك، ويتكلم في دين الله عز وجل، وهذا من هذا الحديث.

2- أيضًا من الفوائد المستنبطة - وهذه مسألة حقيقة أيضًا مهمة جدًا- أن من أراد العلم يذهب له. انظر إلى حديث عبد الله بن مسعود لما جاءته المرأة أم يعقوب لما سمعت بأنه يلعن الواشمات والمستوشمات، فانظر.. المرأة أرادت العلم، خرجت من بيتها، من سترها، من حجرتها، خرجت لتريد العلم لما سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ بالحديث في لعن المتفلجات أيضًا ويرى ذلك في الكتاب فجاءته تسأله عن ذلك، وهذا يدلك على أن الأصل بأن من أراد العلم يذهب إليه، وهذا كان دأب السلف، حتى لو كان نساء أو رجال، الآن المرأة خرجت لابن مسعود تسأله لتتعلم، فلما تعلمت رجعت، وهي واضح أنها كانت من الذين أوتوا العلم أي كانت لها في القرآن لأنها قالت إني راجعت القرآن بين دفتيه ما وجدت فيما ما تقول، المهم أنها كانت تريد العلم.

وهذا كان دأب الصحابة، ورد عن جابر رضي الله عنه وأرضاه- وطبعًا جابر رضي الله عنه من السبعة المكثرين في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم- فعلم بأن هناك في الشام عبد الله بن أنيس كان عنده حديث لم يعلمه جابر، وهو حديث في قيام الساعة، فذهب من المدينة إلى الشام، وعبد الله بن أنيس هو صحابي أصلًا هو جلس في الشام بعد ذلك، فلما علم بأن جابر هو الذي يأتيه خرج مسرعًا له فاحتضنه وقبله وقال ما الذي أتاك قال سمعت أن معك حديث أن

[يحشُرُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ عُراةً غُرْلًا بُهْمًا] وهو ما كان يعلم "بُهمًا"، ما كان عنده الحديث فيه "بُهمًا"، فسافر من المدينة إلى الشام ليسمع الحديث منه، قال علمت أن معك كذا وكذا، قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم: [يحشرُ اللَّهُ العبادَ يوم القيامة أو قالَ يحشرُ اللَّهُ النَّاسَ قالَ وأومأَ بيدِهِ إلى الشَّامِ] النبي صلى الله عليه وسلم أومأ بيده إلى الشام؛ أي الحشر سيكون من الشام، [وأومأَ بيدِهِ إلى الشَّامِ عراةً غرلًا بُهْمًا قلتُ ما بُهْمًا قالَ ليسَ معَهُم شيءٌ] فقط، ثم التف بدابته وأخذ بغيته ورجع مره أخرى. هو جاء فقط لهذه الكلمة، فضرب الإبل من المدينة إلى الشام وقال "والتف ورجع" .

فانظر كيف كان حرصهم على طلب العلم، الآن أنت فقط بتتأخر ربع ساعة عشر دقاق في الدرس بالليل أو في أي وقت ثاني يكون الأكل والشرب والنوم والصحيان ولو قلت له الدرس مثلًا انتقل من المنطقة هذه لمنطقة ثانية، يقول لك بعيد يا شيخ نحن لا نستطيع أن نأتي نحن بنصل في ساعة إلا ربع. ساعة إلا ربع! الصحابي الجليل قد سافر من المدينة للشام على الإبل ولم يأت في مواصلات حتى، لا أصل نحن بنأخد وقت فالمكان بعيد، شوف لنا مكان قريب!

لذلك هم سادوا وعلوا بتقديرهم للعلم ولأهل العلم، والقصص كثيرة في هذه المسألة في الرحلة في طلب العلم وهذه كلها مستنبطة مما جاء لنا من هذه المرأة أم يعقوب جزاها الله خيرًا عن ذلك.

3- أيضًا ممكن نقول من الفوائد المستنبطة في هذا الباب العظيم أن من أصول المبتدعة المجادلة، وهذا الباب الذي سيأتي معنا إن شاء الله الأسبوع القادم؛ باب المجادلة وذم المجادلة، لكن من أصول المبتدعة التلبيس والمجادلة بشبيه القرآن، وهذا الذي يستنبط من حديث (102) الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وهذا من أصول المبتدعة، انظر إلى أي مبتدعة من الطوائف المبتدعة أصولهم أنهم يأتون بمتشابهات في القرآن ويأتون

بشبه كما قال عمر رضي الله عنه وأرضاه، فردنا إلى السنة ليبين لك أن السنة تزيل هذا اللبس، وقال الله عز وجل: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ } [آل عمران:7]، فهنا من علامات المبتدعة أنهم يستدلون بالمتشابه، لذلك عمر رضي الله عنه وأرضاه ردنا إلى السنة لنزيل هذا التشابه.

4- أيضًا من الفوائد من قول عطاء في الحديث (106) **فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}قَالَ: إِلَى اللَّهِ: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ , وَإِلَى الرَّسُولِ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، إذًا هنا يبين لك أن الحديث حجة بذاته، وهذا من قول عطاء، أي كما أن الكتاب حجة فالحديث حجة أيضًا بذاته، وهذا هنا لأنه قال {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} فسَّر عطاء هذا بأن الحديث حجة بذاته. وأيضًا ممكن يستدل بها من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [ألا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مثلُ ما حرَّمَ اللَّهُ] ، إذًا لا يأتيك أحد يقول ائتني بآية من القرآن، قل لا الحديث وحده هو دليل على ما أقول ولا حتى أحتاج إلى آية.

هنا الشيخ – رحمة الله عليه– ختم الكلام ونختم به أيضًا: **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فِيمَا ذَكَرْتُ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى مَا نَدَبَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا إِذَا تَدَبَّرَهُ الْعَاقِلُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَلْزَمَهُ التَّمَسُّكَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ** انظر إلى الترتيب يتكلم عن كتاب الله عز وجل، سنة النبي صلى الله عليه وسلم، سنة الخلفاء الراشدين، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم **وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ،وهنا تقديم أيضًا لقول الصحابة لأن هم الذين فهموا ما

أنزل عليهم **وَجَمِيعِ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ** – وهم التابعين– **وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**، هنا يردك إلى التأصيل؛ الكتاب والسنة والخلفاء الراشدين ثم الصحابة ثم التابعين؛ القرون الخيرية الثلاثة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، وأئمة المسلمين أي أهل العلم {لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ } [النساء:83]، فهنا دل على أنك ترد أيضًا إلى أئمة الإسلام، **وَتَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ** وهذا أيضًا تأصيل، انظر هذه الكلمات سيبدأ بها باب جديد بعد ذلك؛ (**بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ**). فقال: **وَتَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَلُزُومَ مُجَانَبَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ , وَالِاتِّبَاعُ , وَتَرْكُ الِابْتِدَاعُ , فَقَدْ كَفَانَا عِلْمُ مَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ** ، وهذه كلمات جميلة من الشيخ– رحمة الله عليه– **كَفَانَا عِلْمُ مَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ**، لا تستوحش أي لا تمل وأنك لا تشعر بالوحشة من ذكرهم، بل أنت تشعر بقربهم لأنهم أقرب إلى السنة، فكلما تذكرهم تجد أن ينابيع العلم عندهم فتستفيد منهم، بخلاف قال: **عَنْ ذِكْرِهِمْ، مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ**، يحيلك الشيخ – رحمة الله عليه– على السلف الصالح وعلى أئمة السلف في الاتباع وترك مذاهب أهل البدع والضلالات، قال: **وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.**

كان هذا آخر الكلام في هذا الباب العظيم، وختم به الجزء الأول، سنقف عنده إن شاء الله هذا اليوم على أن نبتدئ إن شاء الله الباب الجديد بإذن الله تعالى في الأسبوع القادم وباب: (**ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ**).

المحاضرة السابعة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من كتاب الشريعة للإمام الآجري- عليه رحمة الله تعالى- وكنا قد ختمنا بفضل الله تعالى علينا ومنته الجزء الأول في تقسيم المؤلف وهو الأبواب الإثني عشر الأولى، وسنبدأ إن شاء الله في الجزء الثاني وهو الباب الثالث عشر: **بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ**، وهذا أيضًا كما سيأتي من سياق المؤلف أنه كل ما قاله في هذا الباب والباب الذي قبله من العلم الذي لابد أن يُعمَل به.

وقلت لكم أن هذا الكتاب – خاصة هذه الأبواب الأولى التي فيها تأصيل وتثبيت وبيان وتوضيح لعقيدة أهل السنة والجماعة من أهم وأعظم الأبواب– لأن هذا الكتاب من كتب السلف، فالإمام الآجري من 300 إلى 360هـ، أي من أصول كتب السلف خاصة أن الكلام فيه كله يُرجعه إلى الأحاديث والآثار، لذلك كان من أنفع الكتب في العقيدة، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا مدارسته، والإنتفاع به، والعمل به.

فندخل إن شاء الله في بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، ونقرأ أولًا ثم نبين المسألة.

قال المصنف – رحمه الله تعالى–:

13–بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ

109- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أنا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: نا الْحَجَّاجُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ قَرَأَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: ٥٨]

110- وَحَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَحْفُوظُ بْنُ أَبِي تَوْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: ٥٨]

111 - وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ، أَيْضًا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْجَرْجَرَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ مَرْوَانَ الْفَلَسْطِينِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الدِّمَشْقِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَبُو أُمَامَةَ , وَوَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالُوا: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَمَارَى فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ، ثُمَّ انْتَهَرَنَا، فَقَالَ: "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَا تُهَيِّجُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَهَجَ النَّارِ ثُمَّ قَالَ: أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَوَ لَيْسَ عَنْ هَذَا نُهِيتُمْ، أَوَ لَيْسَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا؟ ثُمَّ قَالَ: ذَرُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ، وَيُهَيِّجُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ لَا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ يُورِثُ الشَّكَّ وَيُحْبِطُ الْعَمَلَ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمَارِي، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ الْمُمَارِي قَدْ تَمَّتْ حَسَرَاتُهُ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَكَفَى بِكَ إِثْمًا لَا تَزَالُ مُمَارِيًا، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُمَارِيَ لَا أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَأَنَا زَعِيمٌ بِثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ فِي الْجَنَّةِ: فِي وَسَطِهَا، وَرِبَاضِهَا، وَأَعْلَاهَا لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا نَهَانِي رَبِّي تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، الْمِرَاءُ ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ مِنْكَ بِالتَّحْرِيشِ، وَهُوَ الْمِرَاءُ فِي الدِّينِ، ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا عَلَى الضَّلَالَةِ، إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا السَّوَادُ الْأَعْظَمُ ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي، مَنْ لَمْ يُمَارِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِذَنْبٍ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ لَمَّا سَمِعَ هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُمَارُوا فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُجَادِلُوا، وَحَذَّرُوا

الْمُسْلِمِينَ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ، وَأَمَرُوهُمْ بِالْأَخْذِ بِالسُّنَنِ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَنَذْكُرُ عَنْهُمْ مَا دَلَّ عَلَى مَا قُلْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال المؤلف- رحمة الله عليه - **بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ** . نبين أولًا بعض المقدمات في هذا الباب العظيم، لأن هذا الباب كما قلنا تتمة لأبواب التأصيل في هذا الكتاب.

الجدل لغة: قالوا مقابلة الحجة بالحجة، والجدل بمعنى المناظرة والمخاصمة أيضًا، لذلك يقال على الجدال مخاصمة لشدته، وهذا في اللغة.

أما اصطلاحًا فله أكثر من تعريف:

الراغب قال: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

والجرجاني قال: الجدال دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه. فإما يدفعه، أو يقصد به تصحيح كلامه.

معنى الجدال عمومًا سواء لغة مشتركة مع الاصطلاح هو ما فيه المنازعة والمخاصمة والمغالبة، وهذا كله من معاني الجدال.

والمراء، لأنه ذكر المراء أيضًا الشيخ – وإن كان الحديث ضعيف– لكن سنبين ما يحتاج إليه خاصة الباب الذي سيليه سيتكلم عن المراء في القرآن.

فالمراء أيضًا يأتي بمعنى الجدال؛ أي التماري يكون أيضًا بمعنى الجدال.

ولكن المراء في الاصطلاح فيه ضابط عن الجدال، وهو أن المراء طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير. لذلك هو مذموم المراء على أنك تريد أن تطعن في كلام الغير وتظهر الخلل الذي فيه والمراد لك تحقير كلامه، ليس لنصرة الحق أو غير ذلك.

المهم أن الجدال هو مقابلة الحجة بالحجة، وفيه المناظرة، فيه المخاصمة، فيه المغالبة، كل هذا في معنى الجدال.

الإمام يقول باب ذم الجدال، كأنه يريد أن يبين أن الجدال مذموم، **لكن هل كل الجدال مذموم؟** فيه تفصيل عند أهل العلم، لأن الجدال بعضهم قالوا يُنظر في الجدال قد يأتي فيه الاحكام التكليفية الخمسة؛ أي قد يكون واجبًا، قد يكون مستحبًا، قد يكون محرمًا، مكروهًا أو مباحًا. وهذا يجعلنا نقول بأن لابد أن نقسم أنواع الجدال، لأن هناك جدال محمود، وهناك جدال مذموم الذي قصده المؤلف في هذا الباب.

أنواع الجدال:

- جدال محمود
- جدال مذموم

الجدال المحمود: كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية لن يخرج عن جدالًا واجبًا أو مستحبًا؛ أي أن المحمود إما سيكون على سبيل الوجوب أو الإستحباب.

ومن الجدال المحمود هو أن يكون الجدال لتثبيت الحق ودحض الشبهات؛ أي أنت تجادل لتُثَبِّت الحق، تناظر، تنازع لتثبت الحق، أو تدحض الشبهات، كما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه من الكفار، كان يجادلهم ليثبت الحق الذي أرسله الله عز وجل به، ويدحض الشبهات التي عندهم. قال سبحانه وتعالى:{ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ} [النحل:125]، فهذه مجادلة في الحق مشروعة.

بل قد نقول أحيانًا تكون هذه المجادلة واجبة وأحيانًا تكون مستحبة، فاذا كانت المجادلة لتبين حقيقة الإسلام عند من يطعن في الإسلام وتحتاج أن تبين حقيقة

الإسلام وكشف زيغ الخصوم فهذه قد تكون مجادلة واجبة عليك إن كنت أهلًا لذلك فوجب عليك أنك تفعل ذلك.

وقد يكون الجدال مستحب عند النقاش مع غير المسلمين، تريد أن تبين لهم عظمة الإسلام، وعدل الإسلام، ورحمة الإسلام، وغير ذلك، تبين لهم فساد المعتقد الذي هم عليه، فهذا جدال محمود ومستحب، وهذه من أنواع الجدال.

ولكن طبعًا له ضوابط سواء الأول أو الثاني الذي هو في المحمود بأنك تتدرج في الجدال كما أمرك الله عز وجل، قال الله عز وجل: { وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ } [النحل:121]، فنقول الجزء الأول أنك تجادل الذين أوتوا الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، هنا ممكن يكون فيها الشدة.

وقلنا الآن أن الجدال المحمود كما بينا لا يخرج عن الوجوب أو الندب، وعندنا أدلة كثيرة من الشرع سنبينها.

- **أدلة الجدال المحمود من الشرع:**

كما قلنا منها { وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...} وقبلها { ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ...} ومواقف أخرى جادل نوح عليه السلام قومه في الحق حتى أنهم قالوا له:{ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ} [هود:32] ، وهذه مجادلة وبالحق، ومجادلة الأنبياء كلها حق.

كذلك مجادلة ابراهيم عليه السلام في أكثر من موقف؛ { أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [البقرة:258].

وأيضًا النبي صلى الله عليه وسلم قال:[جاهِدوا المشرِكينَ بأموالِكُم وأنفسِكُم وألسنتِكُم]. إذًا هذه من أنواع الجدال المحمود لأنك تقيم الحجة على أهل الباطل، وتذب عن أهل الحق وعن الإسلام، فهنا جاء النبي صلى الله عليه وسلم قال: [جاهِدوا المشرِكينَ بأموالِكُم وأنفسِكُم وألسنتِكُم] المجاهدة هنا بالأموال والنفس والألسنة، فالأموال والأنفس معروفة، جهاد، لكن بالألسنة هنا ما هي؟ هي المجادلة، الجهاد هنا باللسان هو ما نقصد به المجادلة وإظهار الحق والنقاش معه.

هذا الجدال المحمود، وهذا طبعًا ليس مراد المؤلف.

الجدال المذموم:

هنا الجدال المذموم الذي ذكره المؤلف في بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وهذا حقيقة فيه أقسام كثيرة، **الجدال المذموم فيه أقسام متعددة**، والبعض قد يجمله على نوعين أو ممكن يكون أكثر من نوعين أحيانًا يكون ثلاثة على حسب كلام المؤلف.

أنواع الجدال المذموم:

1- جدل الكفار؛ الكفار لما يجادلون أهل الإسلام هذا جدل مذموم، وهذا الذي بينه الله عز وجل عن الكفار في أكثر من آية، قال سبحانه وتعالى:{ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } [غافر:4]، فهم ليسوا على هدى، ولما يجادلون يريدون أن يدحضوا الحق، ولا يثبتونه، ويريدون أن ينشروا الزيف والضلال والباطل، لذلك كان جدل الكفار من الجدل المذموم. قال سبحانه وتعالى: {وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ } [غافر:5]، أي مجادلتهم كانت بالباطل، لماذا؟ ليدحضوا الحق.

وأيضًا من قوله تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ } [الحج:8]، وقالوا أيضًا في سورة الأعراف: قال {أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم} [الأعراف:71]، فهذا أيضًا جدال بالباطل كما قلنا، وهذا كله مذموم لا شك في ذلك، وهو جدال الكفار، أي الجدال الذي يقوم به الكفار وليس جدالات أهل الإسلام للكفار.

2- **جدل المسلمين**؛ الجدل بين المسلمين، وهو الذي يقوم على طريقة أهل الأهواء والبدع والذين في قلوبهم زيغ، وهذا الإشكال هذا الجدل الذي ذمه الإمام لأن هذا الجدل بين المسلمين قد يودي بالمرء أن ينتقل – والعياذ بالله– من الإيمان إلى الكفر، أو من الهدى إلى الضلال، أو من السنة إلى البدعة، والباب سيطول معنا سنبين أكثر من ذلك لكن هنا نبين بأن هذا من الجدل المذموم جدل المسلمين، وخاصة لو كان على وجه المعارضة؛ معارضة الآيات بعضها ببعض، أو الآيات بالأحاديث وغير ذلك، أو الآيات المتشابهات، فيجادلون بعضهم بعض بالآيات المتشابهة، فهذا هو من الجدل المذموم لأنه يؤدي إلى التحقير، وإلى التنقيص، وإلى غلبة الهوى في ذلك، وقد يؤدي إلى الأغاليط أيضًا، وفيه ما فيه من العصبية والفرقة بين المسلمين، فكل واحد يجادل لينتصر لرأيه، ويريد تعصبًا، أو هوى، أو غير ذلك، بل قد يؤدي ذلك– والعياذ بالله– إلى الاقتتال والتكفير، وهذه كما قلنا من المذموم.

الأدلة على أن هذا مذمومًا:

قول الله عز وجل: {كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ، يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ } [الأنفال:5-6]، فهنا هذا جدال مذموم مع أنه من المسلمين؛ طائفة من المسلمين ذمها الله عز وجل.

وأيضًا قال سبحانه وتعالى: {ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ } [البقرة:197]، فنهى الله عز وجل عن الجدال في الحج لأنه فيه ما فيه من المنازعة وغلبة الهوى وغير ذلك أيضًا، فكان هذا جدالًا بين المسلمين مذمومًا، غير مراد، غير محمود عند رب العالمين.

وأيضًا كما جاء من حديث عائشة عندما تلى النبي صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل:{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ

تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ } [آل عمران:7]، فعائشة سألت النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: **[يا عائشةُ إذا رأيتم الذين يجادلون فيه**– أي في الكتاب أو في السنة– **فهم الذين عناهم اللهُ فاحذروهم]** وهذا الذي حدث بعد ذلك في الفتن من بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد مقتل عثمان، وخلافة علي رضي الله عنه وأرضاه.

ومنه أيضًا ما ذكره المؤلف في الباب، حديث الباب الذي معنا الآن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**، ثُمَّ قَرَأَ: {**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**} فهذا أيضًا من الأدلة على الجدل المذموم الذي يكون بين المسلمين بعضهم وبعض.

ومنها قول الله عز وجل – وإن كان هذا عمومًا–{وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا} [الكهف:54]، وهذه نزلت أيضًا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى فاطمة وعلي رضي الله عنهما وأرضاهما لما كانوا نائمين ليلًا فقال لهم ألا تصلون؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضرب على فخذيه وقال: {وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا} ، وإن كان هذا نقول فيه لو قلنا أنه مجادلة على أمر مستحب أو مكروه، لأن هنا الاستحباب كان في الصلاة ولكن فيه المجادلة أيضًا.

ومنها أيضًا كما قال سبحانه وتعالى: {وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ} [الكهف:56] لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا، أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا، أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

قَبِيلًا } [الإسراء:90-92] كل هذه مجادلة بين هؤلاء الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضًا أبي بن خلف الذي جاء ومسك العظام وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتزعم يا محمد أن الله يحيي هذه؟ ويمسك العظام، فقال الله عز وجل: {قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } [يس:78-79] فهذه أيضًا كان جدال مذموم من الكفار، كان مع النبي صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:[جِدالٌ في القرآنِ كفرٌ] ، وفي رواية :[مِراءٌ في القرآنِ كُفرٌ] وهذا يدل على أن الجدال في القرآن هذا مذموم شرعًا، وهذا حديث في السنن وهو سند مقارب عن أبي هريرة حقيقة فيه نظر في السند لذلك يقولون بسند مقارب عن أبي هريرة. و "مقارب" أي فيه نظر في الثبوت لكنه له أكثر من رواية.

وأيضًا ما حدث من الجدال المذموم بين المسلمين لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يخبر الصحابة بليلة القدر فتماروا وتجادلوا تكالموا وتعالت أصواتهم فنُسي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلم يخبرهم، فقال لهم: [خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ وعَسَى أَنْ يَكونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا في التَّاسِعَةِ، والسَّابِعَةِ، والخَامِسَةِ] .

ومنها الحديث في السنن قول النبي صلى الله عليه وسلم:[مَنْ تعلَّمَ العلْمَ ليُباهِيَ بِهِ العلماءَ ، أوْ يُمارِيَ بِهِ السفهاءَ ، أوْ يصرِفَ بِهِ وجوهَ الناسِ إليه ، فَهو في نَارِ جَهنَّم] نعوذ بالله من ذلك. وطبعًا هذه كلها تبين مسألة الجدال المذموم.

ثم ذكر هنا المؤلف – رحمة الله عليه– بدأ بحديث أبي أمامة وذكر فيها الرواية الأولى والرواية الثانية؛ روايتان عن أبي إمامة رضي الله عنه، على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ. ثُمَّ قَرَأَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} ، وهذا الحديث له مناسبة وهذه

الآية في الحديث فيها أكثر من مسائل أو فيه لفتات، هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ** . طبعًا هنا في تقدير في الكلام لأنك لو اخذته على ظاهره قد يكون للقدرية الذين ينسبون أفعال العباد للعباد، ويقولون العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم وخاصة الشرور.

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم قال: **مَا ضَلَّ قَوْمٌ** أي هنا من الذي ضل؟ القوم، ولكن لابد من تقدير أن تقول "ما أضل الله قوم" لأن هذه المسألة فيها ما قد يستدل به استدلال باطل طبعًا لا يجوز على أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، فلابد هنا نقول بأنه هناك تقدير من قول النبي صلى الله عليه وسلم **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى** أي "ما أضل الله قومًا بعد هدى" **كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ**.

ممكن نقول أن هذه لها نظير من القرآن؛ من قول الله عز وجل:{ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الجاثية:23]، فهنا من الذي أضل؟ الله عز وجل،{ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ}. إذًا هنا الصحيح نقول بأن تقدير الضلالة كان من الله عز وجل، والسبب طبعًا مباشر من العبد الذين هم قد أوتوا الجدل، فبعد أن أوتوا جدل بعد أن عرض عليهم الهدى كما سنبين، لأن هذا الحديث كان له مناسبة بأن قريش جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم أيضًا تجادله لما نزل قول الله عز وجل:{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ} [الأنبياء:98]، فلما سمعوا ذلك جاؤوا للنبي صلى الله عليه وسلم يقولون: تزعم أن الله عز وجل يقول:{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ} قال نعم، فجاء كبير لهم – وإن كان السند فيه كلام – قال ماذا تفعل يا محمد صلى الله عليه وسلم في من يعبد عيسى ومن يعبد الملائكة؟ – وهم كانوا بعض القريش تعبد الملائكة غير الأصنام– ومن يعبد عزير؟ فتهلل الكفار لما سمعوا هذا الكلام، ظنوا أنهم قد خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نزل قول الله عز وجل:{إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء:101]، سبقت لهم منا

الحسنى.. من؟ الملائكة وعزير وعيسى عليهم السلام، وأنهم مبعدون، أي لا يدخلون في ذلك. بل يُكور – كما جاء في الحديث الآخر– بشبيه ذلك والذين كانوا يعبدون عزير وعيسى والملائكة ينزلون في النار في شبيه هؤلاء. إذًا هم لا يدخلون النار، وهم أرادوا أن يخاصموا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

وأيضًا هم لو نظروا – مع أنهم أهل لغة– من قول الله عز وجل:{ إِنَّكُمْ وَمَا...} "وما" في الأصول لغير العاقل، فهم الآن إذا تدبروها لغة وهم أهل لغة لأن الله قال:{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ... } فلم يذكر فيه العاقل، فخرجت الملائكة وخرج عزير وخرج عيسى، وهذا توجيه آخر لذلك، لكن نقول بأن لها مناسبة، لأن الله قال: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف:58]، هم ما أرادوا إلا أن يخاصموا النبي صلى الله عليه وسلم ويجادلونه، والنبي صلى الله عليه وسلم قال **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ.**

هناك إشكال، نحن بينا الأول مسألة القدر بأن الله عز وجل هو الذي أضلهم هذه نبينها، مسألة أخرى بيناها، أيضًا أن الحديث فيه أن النبي قال **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ** إذًا الضلالة جاءت بعد ماذا؟ بعد هدى، وفيها بيان عدل الله عز وجل بأن الله لا يظلم أحد {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت:46]، فهنا نقول بأن الله عز وجل لا يعذب أحد ؛ {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، إذًا هنا الله عز وجل لم يظلم العباد، هم الذين تركوا الهدى وأرادوا الجدال فوقعوا في الضلالة بعد ذلك، لأن أيضًا الظلم محرم، الله عز وجل قد حرم الظلم على نفسه، قال:[**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا**] فلا يتصور بأن الله عز وجل سيعذب أحد بظلم لهم، بل هو بعدل، لكن الإشكال هنا الآن نقوله الآن؛ النبي صلى الله عليه وسلم يقول **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى**، كيف يكون الكلام في قريش وأين الهدى الذي كانوا عليه قريش حتى يضلوا بعد ذلك؟

فـ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ نقول هنا.. ما هو الهدى؟ البلاغ والبيان، وهذا لابد أن يكون معًا؛ بلاغ وبيان. مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى أي أن جاءهم البلاغ والبيان هذا هو المقصود، لابد أن نبين المعنى لأن "بعد هدى" أي هل هم كانوا على هدى؟ لا هم كانوا على باطل، لم يكونوا على هدى، لكن أتاهم الهدى؟ نعم، لأنه قال مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ، ما الذي كانوا عليه هنا؟ أي الهدى الذي جاءهم من النبي صلى الله عليه وسلم. ليس المقصود أن هم كانوا على هدى ثم ضلوا، لأن هم كانوا من أهل الكفر، لكن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم بالهدى، ما هو الهدى الذي جاء به؟ البلاغ والبيان، وهذا لابد أن نبينه بأن الله عز وجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ} [المائدة:67]، إذًا لابد من البلاغ، وليس فقط البلاغ، البلاغ مع البيان، البيان أن يبين لهم.

لذلك نقول البعض طبعًا في مسألة البيان هذه الذين يقولون بأن تقام الحجة فقط بالسماع في مسألة التوحيد، لذلك البعض تناقش من سنوات أحد الإخوة في هذه المسألة يقول: يكفي أنك تأتي بالقرآن وتتلو الآيات بجانبه، فهو قد سمع بالفعل آيات القرآن أسلم أم لم يسلم أو كان من المبتدعة، أو غير ذلك، فخلاص هو كافر لأنه لم يدخل التوحيد! قلنا له يا أخي أنت لو جلست للصبح تقرأ له هذه الآيات ما أدراك، هو لم يفهمها، المسألة ليست في البلاغ فقط، لأن هو يستدل بالبلاغ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ} وأنا قد بلغت، أتيت بالمصحف وظللت أقرأ القرآن بجانبه وأقول له الآيات وهو أبى. قل له البلاغ لابد له من بيان، لأن الله عز وجل قال ذلك:{ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ } [النحل:44]، إذًا ماذا قال؟ "لِتُبَيِّنَ " إذًا ليس فقط البلاغ بدون بيان، وإلا أنت امسك الآن المصحف وقف بجانب أي كافر من الأعجمي وإقرأ بجانبه القرآن، هل هو يفهم شيء؟ لا يفهم منك شيء. فهل ستقول أنك أقمت عليه الحجة الآن ؟! لابد من البلاغ مع البيان، قال الله عز وجل:{ وَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ } [التوبة:115]، إذًا لابد من البيان مع البلاغ.

لذلك نقول بأن من وصله الإسلام مشوهًا، أو وصله الإسلام عن طريق الطوائف المبتدعة، هو رأى طوائف مبتدعة معينة وقالوا له هذا الإسلام ولم يقبله، هل هذا بيان حقيقي للإسلام؟ ليس بيان حقيقي للإسلام، إذًا لابد أن يأتيه البيان صحيحًا، يُعرَض عليه البيان صحيحًا حتى يُحاسب عليه بعد ذلك. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ قَرَأَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}** هنا قلنا بأن هذا هو الجدل الذي بيناه في قراءة الآية، وأن هذا من الجدل المذموم.

ذكر بعد ذلك الشيخ الحديث المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه، والحديث ضعيف، وإن كان بعض الكلمات الواردة في الحديث ممكن أن تكون صحيحة من أحاديث أخرى، لكن الحديث ضعيفًا ولم يثبت، لذلك كما قلنا بعض الكلمات التي جاءت في بعض الأحاديث الأخرى لكن الحديث ضعيف عند أهل العلم، لذلك سنغض عنه ولن ندخل في شرحه.

لكن هنا قال بعد ذلك المؤلف **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ لَمَّا سَمِعَ هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ** هو لا يقصد أن هذا الحديث سمعوه، بل سمعوا أصل هذا الكلام الذي تكلمناه عن الجدل قول الله عز وجل وغير ذلك مما بيناه، قال: **لَمَّا سَمِعَ هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُمَارُوا فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُجَادِلُوا، وَحَذَّرُوا الْمُسْلِمِينَ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ، وَأَمَرُوهُمْ بِالْأَخْذِ بِالسُّنَنِ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَنَذْكُرُ عَنْهُمْ مَا دَلَّ عَلَى مَا قُلْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.**

الفوائد المستنبطة:

1- الآية والحديث الذي ذكر في أول الباب الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ** يبين لك بأن أكثر أهل الكفر ما وقعوا في الكفر- لو كان جاءهم من الهدى- إلا بسبب الجدال والخصومة، وهذا الذي فعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم لما أكثروا الجدال أو الخصومة كانوا في الكفر ولم يخرجوا منه إلى الإيمان، وهذا الكلام يستدل به علماؤنا على أن أهل البدع؛ المبتدعة، يسيرون على طريق أهل الجاهلية؛ أهل الكفر، لأن أهل الكفر ظلوا على كفرهم بسبب الجدال وبسبب الخصومة وأن القلوب استقرت على الكفر ولم يرد الله عز وجل لها الإيمان بسبب ما هم فيه من جدال ومراء، وكذلك من كان من المبتدعة الذين يروجون وينشرون بدعتهم، والذين أيضًا يستدلون بالأباطيل أو يأتون بالأدلة ويلون عنق الأدلة - كما يقال- ليستدلون بها على بدعتهم، فهؤلاء قلوبهم مشابهة لقلوب أهل الكفر في الضلالة - والعياذ بالله- .

لذلك كنا ذكرنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم[**إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ**] وقد جائني سؤال: هل هذا معناه أنه لا يتوب؟ نقول لا، ليس معناه أن الله عز وجل سيمنع المبتدع ألا يتوب وإلا لابد أن نجمع بين حديث النبي صلى الله عليه وسلم هو [**إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ**] وحديث آخر لعل هذا يبين الإشكال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**أَبَى اللهُ أَنْ يقبَلَ عملَ صاحبِ بدعةٍ حتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**] إذًا دل ذلك على أنه إن ترك البدعة - وهذا معناه التوبة- لأن ترك البدعة سيكون توبة، سيقبل الله عز وجل منه، إذًا نعم نقول هنا لابد الجمع. لكن نقول بأن المبتدع الله عز وجل من نكاله فيه ومن عقابه لأنه يتجرأ على الله أن يشرع شيئًا ليس من الإسلام- صاحب البدعة- لذلك قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم [**إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ**] ولعل هذا الذي يتمادى في ذلك، ويتمارى، ولا يرجع، فيحجب عنه، لكن إن أراد الله عز وجل له أن يتوب فسيتوب. إذًا المسألة فيها جمع، لا نقول بأن المبتدع منع الله عز وجل عنه التوبة، إذا كان

الكافر قد يتوب ويرجع {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة:74]، وقبلها قال الله عز وجل: {لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ} [المائدة:72]، و { لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ } [المائدة:73]، ثم قال سبحانه وتعالى {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة:74]. لكن نقول من شده إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على صاحب البدعة بأن الله عز وجل قد يحجب عنه التوبة.

2- فائدة أخرى من هذا الحديث أيضًا؛ أنا سأقرأ وانتم تقولوا الفائدة المستخرجة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ قَرَأَ**: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} كيف تستنبط الفائدة مما قلته الآن؟ أنه إن تاب المرء عن البدعة ورجع لأهل السنة، وإن عمل الناس بعد ذلك ببدعته، لكنه من تمام توبته أن يبين البدعة التي خرج منها ودخل منها، فإن بيَّن الحق نقيض الباطل الذي كان عليه برأت الذمة. وأبو الحسن الأشعري – رحمه الله تعالى– قد بين. وطبعًا هم جاؤوا علماء أخرين عندهم ساروا على كلامهم، لكن هو المسألة أن صاحب البدعة إن تاب سيبين، لابد من تمام توبته أن يبين الحق الذي كان ينكره أو يفند الباطل الذي كان يقول به، فقد برأت ذمته وليس عليه شيء، غير مؤاخذ، لكن إن لم يبين فيه نظر طبعًا.

وفائدة أخرى العلاقة بين السنة والقرآن، السنة فسرت الحديث، مبينة، لأنه قال: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} فما هو التبيين؟ فممكن تقول هنا السنة مبينة لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعدما قرأ الحديث ذكر الآية، فالحديث بيَّن الآية.

3- منها أيضًا إقامة الحجة تكون قبل العقوبة؛ إقامة الحجة أولًا ثم العقوبة بعد ذلك. أو ممكن تستدل أيضًا أن إقامة الحجة سيعقبها العقوبة إن أقام الله عز وجل الحجة عليهم ثم أبوا تأتي العقوبة بعد ذلك، وهذا طبعًا لقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:115]، وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، مِن أَجْلِ ذلكَ أَنْزَلَ الكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ] فعذر الناس بأن أنزل لهم الكتب والرسل، ثم لما ردوا هذه الهداية نزل العقاب. لذلك انظر إلى قصص أقوام الأنبياء في القرآن تجد أنه يأتي النبي يدعوهم ثم عندما يردوا الدعوة ويعارضوا يأتي العذاب ينزل عليهم بعد ذلك، وهذا المقصود.

نقرأ إن شاء الله الآثار، هنا المصنف يسرد علينا آثار لتبين العنوان الذي قد بينه لعلنا نقرأها ثم نحتاج أيضًا نبين أمور في المناظرة بعد ذلك نستفيض فيها أكثر، لأن المناظرة – التي هي الجدال– بينا أن منها المذموم ومنها المحمود، لكن أيضًا لابد للمناظرة من أغراض؛ يكون لها غرض صحيح أو قد يكون لها غرض باطل، وكيف تناظر، لأن المؤلف هنا اشتد جدًا في الباب على منع المناظرة والجدال حتى بين المسلمين، وحتى في المسائل الفقهية وسيُذكر لنا ذلك. فنحتاج أن نبين أنواع المناظرات والغرض كيف يكون من المناظرة، وهذا إن شاء الله نذكره مع قراءتنا للكلام.

112-حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ»

113- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ»

114- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يَقُولُ: "لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ

115- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ

116- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ

117- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ: انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ , فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ

118 -وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بنُ دَاوُدَ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى قَالَ ثنا مَخْلَدٌ، عَنْ هِشَامٍ يَعْنِي ابْنَ حَسَّانَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ

هذه طبعًا آثار سنمر عليها ذكرها المؤلف – عليه رحمة الله تعالى– بدأ بمسلم بن يسار قال: **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ** وهذا فيه كما بينا النهي عن المراء، قد بينا المراء وما فيه من الجدال والمخاصمة والمراد فيه تحقير المخالف واظهار بطلان قوله، قال: **فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ**، يبين طبعًا بأن الوقوع في المراء وفي الجدال مذموم؛ سواء كان حتى بين المسلمين كما قلنا وبين غيرهم، وحتى بين أهل الأهواء، فيها تقييد، لكن لما نأتي له سنتكلم عنه إن شاء الله لكن يبين بأن فيه نهي عن المراء وأن فيه يظهر جهل للعالم، لأنه ما يريد فيه الحق، بل هو يريد فيه المنازعة وغير ذلك.

وقال: **يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ** لأن الشيطان يوجد في هذه المواضع، وأن الشيطان يريد هذه الزلة من العالم ليكبرها وليزيدها انتشارًا. لذلك قال في رواية أخرى **إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ** وهذه رواية أخرى.

ثم ذكر عن أبي قلابة قال: **لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ**. طبعًا هذا كلام مهم جدًا وهي مسألة النهي من أبي قلابة على مجالسة أهل الأهواء. **وَلَا تُجَادِلُوهُمْ** إذًا هنا من الجدال المذموم مناظرة أهل الأهواء، فهو يرى مناظرة أهل الأهواء من الجدال المذموم، هو بين، لماذا؟ قال: **فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ**.

وهذه للأسف أكثر ما يعج به النت الآن في المواقع، كل واحد قرأ كتاب أو أتقن بعض الأمور تجده يأتي بمخالفه من أهل الأهواء ويريد أن يناظر، وهو قد يكون في قلبه يريد الحق، لا أقصد أنه يريد شيء، لكن الأمر ليس بالهين! انظر إلى كلام السلف أن الأصل عندهم عدم جواز مناظرة أهل الأهواء، وهو سيستفيض سنأتي مازلنا في الكلام، لكن هذه من أخطر أنواع المناظرات؛ مجادلة أهل الأهواء، لذلك كثير من أهل العلم يقولون "أميتوا الباطل بالسكوت عليه". فالأصل عندهم أن حتى أهل الهوى أنك تسكت عنه فهذا إماتة للباطل. طبعًا سيأتي استثناءات، هناك علماء كشيخ الإسلام بن تيمية وغيرهم جادلوا وناظروا، لكن هذه سيأتي فيها الكلام إن شاء الله.

لكن هو يؤصل لنا الآن من ضمن هذه الآثار بأن مناظرة أهل الأهواء من الجدال المذموم، لماذا؟ قال: . **فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ**، أي ممكن يقع في قلبك أثناء المناظرة من البدع التي هي عند المخالف لك، أو يصدر لك شكًا أو شبهة لا تستطيع أن تدفعها فتفتن بها، لذلك هو قال: **لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ** ، فكيف سننغمس في الضلالة إلا بالتأثر؛ أنك تتأثر بهم، **أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ** يأتيك بشبه لا تستطيع أن تردها أو تدفعها فيلبس عليك في الدين فتقع أنت في المهلكة. إذًا هذه من علامات أو من الأوصاف التي ذكرها أبي قلابة في منع مناظرة أهل الأهواء.

وأهل العلم زادوا عليها أيضًا، بعضهم قال بأنك في المناظرة نشر للبدعة لهم، وتجد الإعلانات: ندعوكم إلى المناظرة بين أهل السنة وكذا، وأهل السنة وكذا، وبين كذا وكذا. أنت الآن يوجد ناس أصلًا لا تعلم شيء عن هذه المسألة، وطبعًا الإعلانات بتنتشر، فتُدخِل واحد من العوام أو من صغار الطلبة أو لا يعلم عن الباطل هذا شيئًا، فيسمع فيُفسَد أكثر؛ سواء أنت كنت مصيب أو غير مصيب، لكن لما سمع المخالف فتن به. إذًا المناظرة قالوا فيها نشر للبدعة والإعراض عنها إخماد لها كما قلت كان علماؤنا يقولون "إماتة الباطل بالسكوت عنه".

لذلك قريبًا كنا في مسألة؛ إحدى النساء في الضلال المبين كما يقال والعياذ بالله وصلت إلى إدعاء النبوة، وسمعت أكثر من ذلك، فقيل لي أنهم بدأوا ينشروا لها، قلت لهم هذا خطأ لأنكم الآن تنشروا لها فتروجوا لها، فأميتوا الباطل بالسكوت عنه، أو يتم مناظرتها على الضيق إن كانت تريد الحق، لكن النشر وتحذير الناس والأخوات من كذا والقناة توضع فيها أيضًا أقوالها فالناس تدخل فتسمع! كل هذا ليس من دأب السلف، وللأسف يردن الخير ولا يسألن أهل العلم، فتجد الكل يسارع ويفعل ولا يرجع لأهل العلم يسأله: هل أنا ما أفعله الآن هذا صحيح أم لا؟ تجرؤ أنا في الحقيقة أمقته الآن.

وقد ماتت هذه المرأة، والبعض حتى يكتب رسائل يقولون هي كذا وكذا في عقيدتها، والرسالة ليست منضبطة حتى علميًا، فأنت تريد تدفع الناس ألا يسمعوا لفلانة وبحجة أن العقيدة فيها كذا وكذا، والمكتوب ليس منضبطًا، بل أنت أيضًا كأنك تروج، فهي تريد الخير نعم التي كتبت، لكن أيضًا لو رَجَعَت لأهل العلم لصححت أخطاء لها في الرسالة واضحة فقهيًا، أي هي تقول مثلًا جواز الصلاة في المساجد التي فيها قبر، والمعلوم أن الصلاة باطلة عند كل أهل العلم. فمن قال لك بأن الصلاة باطلة؟ الجمهور يقولون بأن الصلاة في المسجد الذي فيه قبر صحيحة مع الإثم، والحنابلة فقط الذين يقولون أنها باطلة، فأنت تكتبي شيء سيُرَد عليك الآن، فالذي سيقرأ الكلام لو كانوا هم أصحاب هذه المرأة التي ماتت، من عندهم فقه سيأتون بك ويقولون أنت لا تفهمين، أنت لم تقرأي الفقه حتى تقولي الخلاف كذا وكذا. ومسائل أخرى فقهية أيضًا فيها الخلاف واضح، فهي تدعي بأن المسألة واضحة.

فأقصد هنا هذه المسائل لابد فيها من سؤال أهل العلم أولًا، لذلك هنا الأثر الذي معنا وعلمائنا يقولون لا تجادل ولا تناظر مع أهل الأهواء إلا بضوابط سنتعرض إليها. لكن أيضًا قالوا المناظرة تقوية له، بل فيها رفع للشأن. فأنت عندما تأتي به الآن وتتناظر معه، فهي إمرأة الآن يسمع لها عشرة أو عشرين أو ثلاثين من

الأخوات، كم ثلاثين في وسط الملايين الذي نحن فيه الآن، هل هذا يستدعى أن يكتب لها وبوستات وينتشر بين خمسمائة وألف وألفين أخت لا يسمعوا عنها ولا يعرفوا اسمها فيقال لهم أنتم لا تذهبوا لفلانة فهذه بتدعي نبوة الآن، أو هذه بتفعل كذا! فهو أصلًا هؤلاء العشرين أو الثلاثين لا أحد يعرف عنهم، اسكتوا. أما نشر ذلك زاد من حب الاستطلاع عند بعض الناس أنهم يسمعوا ويقرأوا عنها، فممكن تفتن الناس، فهذا ليس من دأب السلف.

لذلك نقول نشر ذلك أو حتى المناظرة مع هؤلاء والإعلان رفع بالشأن، وهم لا يحتاجون لذلك، بل العكس؛ أنت تميتهم، فهم ممكن يكونوا يريدون فعل ذلك حتى أنت ترفعهم وتطلب المناظرة وتنشرهم وهم يفعلون ذلك تقصدًا. لذلك هذه المسائل قالها علماؤنا وسلفنا الصالح في المسألة.

انظر في موقف ذكره الإمام أحمد الذي حدث من عمر رضي الله عنه وأرضاه الرجل الذي كان عنده إشكال في القدر وأُتي به إلى عمر رضي الله عنه وأرضاه، أي كان ممن يقول بالقدر في زمان عمر، فأتى به عمر. هل عمر ناقشه؟ ما ناقشه عمر، مسكه وربطه وظل يضرب في رأسه فيقول له كفيت، فيقول له هل ذهب ما في رأسك؟ أي الذي في رأسك ذهب ولا ما ذهب بعد؟ قال ذهب ذهب- أو في معنى الحديث - فأوجعه عمر رضي الله عنه وأرضاه، لم يقل له تعال نكلمك أو نتشاور معك، لا. هو ولي أمر طبعًا، وطبعًا هذا زمن كان فيه العقيدة الصحيحة منتشرة، فهذا جاء في رأسه شيء فهذا تعامل معه عمر رضي الله عنه وأرضاه بما يصلح. إذًا المسألة هنا تحتاج لحكمة وعلم في كيف تتعامل مع هؤلاء، وليست المسألة حب المناظرة وغير ذلك.

فنقول أن نشر هذه المسائل هكذا بدون الرجوع هذا فيه مفاسد عظيمة، لأن طبعًا نقول لابد من تقييد أيضًا لكلام أبي قلابة لما قال: **لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ** هذا على العموم، لكنه لابد من استثناء، يخرج منه أهل العلم الراسخين المتقنون الذين يستطيعون أن يجادلوا وأن يردوا ذلك. لكن المسألة هو يقول هنا على

العموم لأنه بين **فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ**. لكن للأسف أن غالب من يتصدر وانظر أكثر ما يكون في المواقع التي فيها الحوارات العقائدية والفقهية حتى – وسنبين حتى الجدل الفقهي هذا لأنه أيضًا هو ذموه؛ للخصومة التي تكون فيه ورغبة المرء في الإنتصار لنفسه ودحض كلام الغير ليست على سبيل المناصحة والاسترشاد، وهذا سيبينه فيه كلام جميل في هذه المسألة.

قال أيضًا **بَشِيرٍ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ** ، وطبعًا هذا يبين الحبوط هذا إشكال، لأن حبوط العمل أي تلاشيه ولا يعد له أجر أو ثواب عند الله عز وجل. قال **الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ** يبين لك ذم للخصومة والجدال في الدين لأن هذه قد تحبط أعمالك لأنك – كما سنبين– أنت ما تجادل وتخاصم أو غالب ما يفعلون ذلك هو انتصار لرأيه أو يريد دحض المخالف ويريد الانتقاص منه وغير ذلك، وهذا من الجدل المذموم، طبعًا كلامنا كله الذي يرويه المؤلف عن الجدل المذموم الذي قد بيناه في المقدمة.

أيضًا ما نقل عن **يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ**، وهذا صحيح لأنه من عرض دينه للمخاصمة والمجادلة والمناظرة تجده ينتقل، كما سيأتي في الذي نقل عن مالك بن أنس قال كان يوما في المسجد **وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ , فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ** يقصد به الإمام مالك **اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي** أي هو يريد أن يناظره، ثم قال الإمام مالك: **فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

وَسَلَّمَ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ.

فأنت الآن تُعَرِّض دينك، كل حين وآخر مناظرة هنا يتكلمون يطلع من المعتزلة على الأشعرية على الماتريدية على كان في أهل السنة قبل ذلك! فأنت الآن بتجعل دينك غرضا للتنقل. لذلك أمتع ما يكون ما قاله بعد ذلك **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ** ترتيب بديع جدًا حقيقة يساعدك في الشرح، قال: **يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ**، هذا هو الصحيح الآن، أنت الآن على عقيدة صحيحة ثابتة، لذلك دائمًا نقول التعرض للفرق المخالفة هذا أمر لا ينبغي أن يكون في بداية طلب العلم، ولا حتى في متوسط طلب العلم، لو كان الكتاب فيه ذكر للمخالف بنذكره، لكن أنك تتعرض للمخالف وتتوسع وترد وتدخل في ذلك وأنت ما زلت في بدايات الطلب أو حتى في منتصف الطلب ولم تتقن فهذه قد تعرض نفسك لشبهة، شبهة واحدة مثلًا عند هؤلاء لا تستطيع أن ترد عليها أنت أو اختلطت عليك ينقلب حالك، وقد رأينا ناس كانوا على السنة وانقلبوا إلى الطوائف المبتدعة بسبب كثرة مجادلتهم ومخاصمتهم وجلوسهم مع أهل الأهواء.

فلذلك هو يقول: **أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي** فأنت تعلم دينك الآن، قف عليه، لماذا إذًا تلتمس المناظرة والمجادلة والحضور والمخالفة، مثل جهم بن صفوان عندما ناظر السومانية أراد أن يخرجهم من نسبتهم للإلحاد وإنكارهم للإله وقع في ما وقع فيه بعد أن ناظرهم هو وقع في إشكالية أنه نفى الصفات عن الله عز وجل بالأصل الذي أصله! فكانت المناظرة وبال عليه وعلى الأمة من بعده، لأن أصل الفرق كلها أصولهم من الجهمية في الأسماء والصفات لأن هو أول من نفى وبحجة التشبيه والتمثيل، فجاء من بعده المعتزلة، وجاء من بعده الماتريدية والأشاعرة والكلابية وغير ذلك في مسألة الأسماء والصفات كلهم يأخذون من أصل جهم مع الاختلاف،

فوقع فيما وقع فيه لأنه ناظر بغير ضوابط. فهنا يقول بأنك مادام أنت قد أبصرت دينك فلماذا تنتقل إلى مناظرات أخرى. –

الرواية 119: عِمْرَانُ الْقَصِيرُ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْمُنَازَعَةَ وَالْخُصُومَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ، طبعًا هذه مسألة أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ أي من الافتراضات والاحتمالات، وكره السلف ذلك، حتى أن ابن عمر كان يطوف بالبيت فجاءه رجل يمني فيقول له أرايت يا ابن عمر إن لم أستطع أن أستلم الحجر؟ قال له: النبي صلى الله عليه وسلم استلم الحجر وقبل الحجر، قال أرأيت إن دفعوني عليه؟ قال قد استلم النبي صلى الله عليه وسلم الحجر. قال أرأيت إن كذا قال أرأيت ... يسأل ابن عمر، وابن عمر يقول له فعل النبي صلى الله عليه وسلم كذا، فقال له: "يا يمني اجعل أرأيت في اليمن"، أي أنت الآن ما تفترض.

فهنا "أرأيت" هذه كره العلماء أن تسأل، بل حتى النبي صلى الله عليه وسلم قد بين بأنه كره للصحابة أن يسألوا أشياء فتُحرَّم بسبب مسألتهم، وكذا كان يفعله بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام، وكان العلماء يقولون لا نفتي في المسألة حتى تقع، لذلك كان بعضهم يسأل قال يا إمام مثلًا إذا رأيت حدث كذا وكذا، قال حدث؟ قال لا، قال عندما تحدث نفتي ونتكلم، لماذا نتكلف أمرًا ليس موجودًا، ومنهم هنا أيضًا الذين يقولون أرأيت أرأيت الذي يفترض افتراضات واحتمالات ويتنطع فهذه كلها من المنازعة ومن الخصومة التي نهى عنها السلف الصالح.

نقف عند هذا قرأنا حتى حديث (118) وانتهينا عند (119).

هناك أيضًا بعض أنواع للجدال المذموم سنذكرها أيضًا في سياق ما سيأتي، لأن هناك أيضًا الجدال لم نقله؛ الجدال بدون علم صحيح، هذا من الجدال المذموم، طبعًا لقوله تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ} [الحج:8]، هذا جدال بغير علم، هذا جدال مذموم، حتى وإن كنت وُضِعت في موضع يجب عليك فيه الجدال– لو قلنا– أو يستحب لك فيه الجدال، لكنك إن

لم تكن عندك العلم فوقعت في المذموم، فيكون جدال مذموم، مع أنه قد يكون الآن المقام يقول أنك لابد أنك تجادل وجوبًا سواء أو استحبابًا، لكن لو كان بغير علم فهذا الذي نهى عنه الله عز وجل،{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِى صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ } [غافر:56]، إلى آخر الآيات.

نقف عند هذا القدر.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثامنة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في الباب الثالث عشر **بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ**، وكنا قد بدأنا الكلام عنه الأسبوع الماضي، فتكلمنا عن الجدال، وتعريف الجدال، وتكلمنا عن أن أهل العلم قسموا الجدال إلى جدال محمود وجدال مذموم، وسنكمل أيضًا القراءة في الآثار التي نقلها الإمام عن ذم الجدال، وإلا فقلنا بأن المسألة فيها تفصيل حتى لا يظن أحد أن الجدال كله مذموم، وإن كان سيبين حالات كثيرة يُذَم فيها الجدال، لكن نقول بأن هناك جدال

في الحق كما بينا الجدال مع الكفار يبين لهم الباطل الذي هم عليه، أو جدال للرد على الشبهات التي تلقى على الإسلام وأهل الإسلام وبينا ذلك.

وسنكمل الكلام إن شاء الله عن المناظرات والجدال، نبين بعض الأمور الخاصة بالمناظرة والجدال، وكيف تكون الأغراض من المناظرات، وأيضًا الأجور التي قد يستحضرها المرء في المناظرة، وعلى النقيض كيف تكون المناظرة مهلكة للمرء ومفسدة وضياع فيه ما فيه من دينه وفتن، فوجب أننا نعرف المناظرة.

تعريف المناظرة:

قال بعض أهل العلم هي: **تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق**. وهذه مسألة مهمة في القيد، لذلك نعرف بالشيء المحمود ليس بالشيء المذموم، لذلك تردد الكلام بين شخصين كل منهما يصحح قوله ويبطل قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، وهذا يبين لك بأن لابد للمناظرة من أغراض.

أغراض المناظرة:

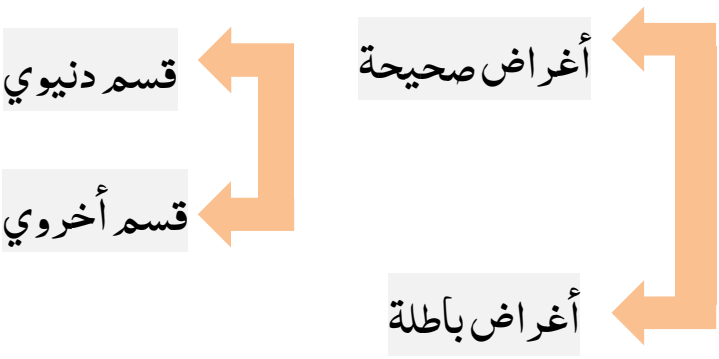

قد تكون الأغراض صحيحة وقد تكون الأغراض باطلة، وأهل العلم تكلموا أيضًا في الأغراض أو النوايا نقول التي يعقدها المرء في المناظرة، وقد تكون الأغراض الصحيحة منها ما هو دنيوي ومنها ما هو أخروي.

الأغراض الصحيحة:

القسم الأخروي:

فلو قلنا نبدأ بالأغراض الصحيحة والقسم الأخروي لأن هذا الذي فيه الأجر والثواب ابتغاء من الله عز وجل، وفيه مرضاة الله بأنك تناظر طلبًا لمرضاة الله عز وجل، تريد الأجر والمثوبة. وكيف يكون ذلك؟ على أنك تحمل المناظرة على أنها نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا حق لأن المناظرة فيها من الأمر بالمعروف وفيها من النهي عن المنكر، فأنت لو حملت المناظرة على هذا الأمر أنه نوع من الأمر المعروف والنهي عن المنكر وأنها أيضًا من باب النصيحة لله ولرسوله ولولاة الأمور ولعموم المسلمين ولكتاب الله ورسوله فهذا أيضًا يكون أجرًا أخرويًا.

ولذلك الأنبياء صلوات الله عز وجل وسلامه عليم كثيرًا جاءت الآيات كقوم هود وصالح وغير ذلك يقول الله عز وجل:{ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الشعراء:109]، فهنا الأجر هو يريد المرء في هذه المناظرة الأجر الأخروي، يريده من الله عز وجل. وأيضًا قال تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:{ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ } [سبأ:47]، إذًا هو ما يبتغي في المجادلة وفي المناظرة إلا الأجر من الله عز وجل، وهذا غرض أخروي عظيم جدًا ينتويه المرء.

القسم الدنيوي:

أما لو قلنا بالغرض الدنيوي الذي ليس مذمومًا بأنه أولًا **بيان الحق**؛ أي هو يريد أن يبين الحق ويظهر الصواب في القول الذي يتبناه، سواء كانت مسائل علمية أي في العقيدة، أو مسائل عملية لو كانت في أمور الفقه، فهذا غرض دنيوي لا إشكال فيه أن يريد أن يبينه، لأنه لما يناظر مثلًا أهل الأهواء أو البدع لو قلنا أو المشركين أو الكفار أو حتى من الفرق المبتدعة التي تتكلم عنها، هو لو انتوى أن

يبين حقيقة الإسلام الصحيحة، ويظهر الحق في قوله، ويبطل قول الباطل وعقيدة المخالف فهذا أمر محمود وهذا أمر دنيوي أنه يريد أن يظهر الحق و ويبين الصواب.

أمر آخر؛ أنه قد لا يريد أن يظهر الحق في المناظرة لكن **يريد أن يكشف الباطل**؛ أي أحيانًا تأتي مناظرات أنت تريد تبطل قول المخالف ليس أنت بتظهر قول الحق لك، لا، أنت عندك أقوال باطلة ظهرت لك أو المخالف عنده من البطلان بمكان ويدعي أمور باطلة فأنت تريد أن تكشف الباطل، فقد يكون الغرض من المناظرة ليس هنا أنك تبين صواب القول الذي عندك، لا، أنت تريد أن تكشف الباطل عند المخالف، كالذين يدعون أقوال باطلة وشبهات باطلة فأنت تريد أن ترد هذا الباطل؛ كان شركيًا، كان بدعيًا، كان غير ذلك، وكأنك تناظر المشرك أو تناظر أهل الكتاب فتبين ما عنده من أقوال باطلة، كأن يقول بالتثليث، يقول بالألوهية لعيسى عليه السلام، وغير ذلك، أو المشرك.

لذلك العلماء كثير ما يتكلمون، شيخ الإسلام ابن تيمية على أن المناظرات التي كانت بين أهل الباطل بعضهم وبعض كان فيها ما فيها من الاستفادة جدًا لأهل السنة؛ أي لما تنظر مثلًا لمناظرات الأشاعرة مع المعتزلة – وهما من الفرق المبتدعة، فهو الأشعري يريد أن يكشف الباطل عند المعتزل، والمعتزل يريد أن يكشف الباطل عند الأشعري، فهو كل واحد يريد أن يكشف الباطل عند الآخر، فهو لما بيُكشَف له الباطل– انتبه فكلام شيخ الإسلام بن تيمية له معنى أقول حتى ما أنقل مناظرة– على أنه لما يناظروا بالباطل بعضهم بعض هو بيلقي عليه حجة، فتجد المخالف يقف لأنه أُلقي عليه حجة في أصوله، وهو الثاني ألقى عليه حجة، هو عنده الآن نوع من الاهتزاز أنه ضُرِب من المخالف بحجج، فكأن المقدمات التي هو وضعها ليست بصحيحة، لأن الثاني أبطلها له. فأنت ممكن تدخل الآن وأنت صاحب الصواب فتتلقف هذا أو هذا لأنه ضُرِب في مقدماته من الطرف الآخر، وتصحح له تقول: أن مقدمتك كانت خطأ والمقدمة الصحيحة هي كذا وكذا وكذا، فيكون الأمر على هذا المنوال.

لذلك كان شيخ الإسلام يقول بأن مناظرات أهل الباطل بعضهم وبعض أفادت بعض علماء أهل السنة، استطاع لما اهتز أصحاب الباطل في مقدمتهم التي كل واحد فيهم إبطلها للثاني والنتائج استطعت أنك تدخل فتكشف له باطله الذي هو كان يؤسس عليه مذهبه أو قوله، فيرده بعد ذلك إلى الحق.

وطبعًا أنت في المناظرة بتبين الحق، لكن في المناظرة التي فيها كشف الباطل لا يستلزم بأنك عندما تكشف الباطل قد بينت الحق، إلا إن كان الباطل قولًا واحدًا، فأنت لما هتكشف الباطل إذًا النقيض هيكون قول الحق.

لكن ممكن تدخل في مناظرة تكشف فيها الباطل لهذا الذي يناظرك، لكن هناك أقوال أخرى باطلة لم يتعرض إليها المخالف هنا، لذلك يقولون كشف الباطل لا يستلزم بالضرورة أنك قد أثبت الحق إلا إن كان الباطل قولًا واحدًا، فلما أنت كشفت الباطل أصبح حق ظاهر، لأن الحق واحد طبعًا لا يتعدد، لكن قد تبطل أنت هذا الباطل ويظل هناك أقوال أخرى باطلة لم تأت في المناظرة وعند آخرين، فهذا ليس معناه أنك لما أبطلت هذا الباطل قد كشفت الحق، ولكن هذا غرض من أغراض المناظرة؛ إما أنك تظهر الحق وأنت داخل لتبين قولك الحق، أو أنك تناظر لتبطل أو تكشف الباطل الذي عند المخالف لك. وهذه قلنا من الأغراض وإن كانت حتى لو دنيوية لكنها لا بأس بها ولا حرج في ذلك مع الأغراض الأخروية.

الأغراض الباطلة:

1- الأغراض الباطلة في المناظرات وهذه لابد أن يتجنبها المرء الذي يريد أن يناظر أو غيره وهو طبعًا بعضهم يفعلها المبتدعة والمخالفين، ويريد أن يدحض الحق ويريد أن يكسر الحق مخافة أن الحق ينتشر، وهذا طبعًا بيكون غالبًا اعتقاد المخالف لك أن يريد أن يدحض الحق ويكسره حتى لا ينتشر، وهذا لا شك بأنه غرض باطل.

2- أو يريد أن يظهر الباطل وينشر هذا الباطل أيضًا، فهو عنده غرض في المناظرة؛ أنه يظهر الباطل هذا وينشره. لذلك نقول دائمًا لابد الذي يناظر يكون أهل للمناظرة، وإلا لو ناظر وليس بأهل سيؤدي ذلك إلى انتشار الباطل وعلوه، فالأولى أن يسكت كما سيأتي هنا ويبين جل من العلماء قالوا بأن السكوت عن الباطل إماتة له، وألا تناظر. إذًا هذا غرض باطل.

3- من الأغراض الباطلة بأنك تريد من المناظرة كسر المخالف أو الخصم والتقليل من شأنه، وهذا لا يشترط أن المناظرة تكون بين حق وباطل محض، ممكن يحدث مناظرة على خلافات في الفقه أو في غير ذلك في المذاهب، فلابد أنك تناظر- وسنبين ذلك- من باب النصيحة والإرشاد ليس من باب الغلبة، وإلا كره، بل منع كثير من العلماء المناظرة بهذا الغرض بأنك تريد أن تكسر المخالف وتقلل من شأنه وتبين عواره، لذلك هذا ضد معنى ما قاله الشافعي لما قال- رحمه الله-: "ما ناظرت أحدًا إلا وددت أن يكون الحق معه" هو ما يريد كسره، ولا يريد أن يقلل من شأنه، ولا يحتقره، ولا يقول لك انظر ناظرت فأتيت عليه، ولم يجعل له قائمة، هذا كله غرض باطل من أغراض المناظرة.

لذلك يبين لنا هنا في الآثار كثير من العلماء منعوا المناظرة، لأن قالوا لا يخلو المرء في نفسه وفي قلبه عندما يناظر إلا أنه يريد أن يخطئ المخالف حتى لو ادعى بأنه يريد الحق، لكن هم قالوا تخطيئك للمخالف؛ مقصدك أنك تخطئ المخالف هذا غرض لا يصح، وقلما ينجو منه - وستأتي في الآثار سنشرح أكثر- لكن هذه أصول نقول أن هنا من الأغراض الخاطئة أنك تريد كسر المناظر، تريد كسر الخصم، تريد أنك تقلل من شأنه.

4- ومن الأغراض الباطلة أيضًا أنك تريد بالمناظرة الشهرة أو العلو أو السمعة أو المنصب أو الجاه، أنت داخل تعمل المناظرة تريد أن يقال فلان ناظر وقد فعل وفعل، يُذكَر عنه في المناظرات كذا، أو مال أو سمعة أو شهرة وغير ذلك، لا شك بأن هذه من الأغراض التي لا تصح.

لذلك كان العلماء يقولون دائما أنك في المناظرة لابد أن يكون الغرض صحيح، وأنك تريد إدراك الحق لا تريد تخطيء المخالف ولا كسره ولا غير ذلك، ومن كان هذا مقصده في المناظرة أُعِين لأن الآيات جاءت بأن الله عز وجل يعين من يريد الخير، قال الله عز وجل:{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ}[العنكبوت:69]، إذًا أنت عندما تجاهد مع الله يهديك الله عز وجل، أنت أردت ذلك أعطاك الله عز وجل ما أردت. أيضًا: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۖ} [يونس:9]، عملوا الصالحات وأرادوا ذلك لله فهداهم الله عز وجل بإيمان، {وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ} [مريم:76]. كل هذه تبين لك بأن إذا كان مقصدك خيرًا ومقصدك حقًا فالله عز وجل يعينك في المناظرة.

وأما العكس بالعكس، يقول الله عز وجل:{ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ } [الصف:5] أرادوا الزيغ فأزاغ الله عز وجل قلوبهم بذلك.

إذًا مسائل مهمة جدًا أنك تحدد الغرض في المناظرة، حتى لو في مناقشة علمية، لأنها نوع من المناظرة والمجادلة – كما سيأتي الآن– حتى في المناقشات الفقهية التي قد تكون بين المذاهب وبعضها البعض في مسألة علمية لابد أنك تستحضر هذه الأغراض وهذه النوايا في المناظرة.

فوائد المناظرة:

المناظرة لها فوائد طبعًا إن صحت– أقول إن صحت المناظرة– وكان فيها ما فيها من هذه الضوابط لا شك أن هناك فوائد للمناظرات، وإن كان يصعب جدًا كما سيأتي معنا في قراءة الآثار التي وردت في الباب أنك تصل إلى ما يقوله المؤلف – رحمة الله عليه– لأنه فصل تفصيلًا بديعًا في آخر الباب في هذه المسألة في أنك كيف تُقدِم على المناظرة أو على المجادلة إلا أن تتحقق هذه الضوابط التي بنقولها الآن، لكن نقول أن من استطاع أن يفعل ذلك فلا شك أن هناك فوائد عديدة من المناظرة، منها:

1- أولًا كما قلنا القيام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر؛ لأنك لما تناظر لبيان الحق ودفع الباطل فهذا نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- الاستفادة بأنك بتصل إلى الحق في المناظرة في المسألة العلمية أو المسألة حتى العملية لو كانت عقيدة أو كانت في المسائل الفقهية، الهدف من أنك تصل للحق. لذلك الشافعي يقول "ما ناظرت أحد إلا تمنيت أن يكون الحق معه" هو ما يريد الوصول إلى الحق فقط؛ سواء الحق هذا يظهر عن طريقه وعن طريق الغير المهم أن يصل. فمن فوائد المناظرة وهذا المفترض طبعًا – المفترض أقول– وإن كان يعُز، فالمناظرات بتنتهي وبعض الناس تخرج منها – من العوام– أكثر شبهات مثلًا عنده، إلا طبعًا إن وفق الله عز وجل المناظر صاحب الحق أن يظهره، وطبعًا هذا للمتجرد الذي بيحضر ليتعلم ويفهم الحق ويزيل الشبهة من عنده. فنقول أنه من فوائد المناظرة أنك تصل إلى الحق.

3- إبطال الباطل؛ لأن المناظرة الأصل فيها إن لم تكن تظهر الحق فستبطل الباطل الذي انتشر ويعتقده بعض الناس.

4- أنك بترفع الإشكاليات واللبس الموجود في بعض المواضيع التي نتكلم فيها في المناظرة، هذه من فوائد المناظرة بأنك بترفع إشكال أو لبس قد يفهمه الناس خطأ، بعض الناس عندهم شبهات، هو فهم خطأ، وأنا وجدتها في بعض المناظرات عندما كنت أطلع عليها بأن المخالف هو عنده أصلًا مقدمات خطأ، فالذي يناظره بيَّن له أن الأصول التي بنيت عليها شبهاتك أنت لم تكن تعلمها علمًا صحيحًا، أي يستند لأحاديث ليست موجودة أو يظن أقوال ليست موجودة، فهو لما يبين له فيزيل اللبس من عنده والإشكال فتنتهي المسألة وقد ظهر الحق فيها.

5- لا شك بأن الأصل في نية المناظرة أنك تقلل الخلاف الموجود، فأنت لماذا تناظر؟ في علو في قول، وقول آخر مقابل له، وأنت تريد تناظر حتى تبين الحق أين بحيث ينتهي الخلاف بين المسلمين ويتبعون القول الصائب وانتهت المسألة. فمن فوائد المناظرة أنك المفترض فيها أنك تقلل الخلاف الموجود ويجتمع الناس– أهل الإسلام– على القول الحق وينتهي ترويج للقول الباطل.

6- فيها ما فيها أيضًا من المسائل العلمية؛ أن المناظرة بتحصل لك ملكة الجدل والمناظرة والبحث والنقاش، وهذه طبعًا لو كانت فيها الضوابط التي قلناها لكن لا شك بتفيد في هذه المسألة في التحصيل وغير ذلك.

قلنا هذه ضوابط في مسألة المناظرة، إن شاء الله سنتعرض لبعض الأنواع أيضًا أثناء القراءة على المناظرات التي عدها بعض أهل العلم أو أنواع المناظرات التي هي محمودة ومذمومة، وكنا قد ذكرنا منها الأسبوع الماضي لكن لا يمنع أيضًا بأننا إن شاء الله نتعرض إليها ما استطعنا.

نبدأ بحديث (120)

120- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ، زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: ثنا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ قَالَ لِأَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَالَ: فَوَلَّى أَيُّوبُ، وَجَعَلَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ: وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ"

121- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ جَدِّي، أَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: لَا قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَا، لَتَقُومَنَّ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ

122 -وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَيُّوبَ الْأَنْطَاكِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَتَّابُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ خُصَيْفٍ، قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ يَا مُوسَى لَا تُخَاصِمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَا مُوسَى لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَيَقَعُ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ، فَيُرْدِيَكَ فَيُدْخِلَكَ النَّارَ

طبعًا هذا كله يبين بأن السلف كانوا لا يجالسون ولا يتكلمون ولا يجادلون مع أهل الأهواء، وكأنه هنا رفض كما في أيوب أشار بأصبعه : **وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ** أي لا يقف ولا يتكلم معه، ولا يجادلونه.

وأيضًا كما دخل رجلان على محمد بن سيرين طلبوا الحديث معهم نقرأ آية؟ قال لَا، **لَتَقُومَنَّ** أي حتى أيضًا لا يجالسهم؛ لا يجالس أهل الأهواء. وقلنا من قبل بأن نهي العلماء والسلف عن مجالسة أهل الأهواء لأن المرء لا يضمن قلبه، قد يزيغ القلب، يفتن، قد يحدث ما يحدث فيه من تغير، فكانوا يفرون منهم. وهذه طبعًا لها أصول في الشرع؛ قول الله عز وجل:{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ } [النساء:140]، أي أنت لك الآن أنك لا تجلس مع هؤلاء لأنه صاحب اعتقاد أو صاحب كلام أو هناك هوى أو غير ذلك، فأنك لا تجادله ولا تكون معه.

لذلك جاء النهي أيضًا؛ قال عز وجل:{ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [العنكبوت:46]، فطبعًا هذه استثناءات، لكن الأصل قالوا بالذم في ذلك، وأيضًا {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ} [الحج:8] فجاء الذم عن هؤلاء والجلوس معهم؛ أي الكلام والحديث معهم.

وهذا قلنا – كما يبين الشيخ هنا– دأب السلف على أنهم كانوا لا يجالسونهم ولا يناظرونهم، وإلا طبعًا سنبين – عندما يستدعي الكلام – بأنه حدثت مناظرات

وحدث كلام سواء من النبي صلى الله عليه وسلم أو من الصحابة رضوان الله عليهم أو الآيات تبين بأنه يمكن أن تجادل لكن لها ضوابطها، كما قال فيها علماؤنا. لكن هنا يبين قال: لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَيَقَعَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ، فَيُرْدِيَكَ فَيُدْخِلَكَ النَّارَ، وهذا يبين الحكمة في النهي، بأنك لو جادلت تقع، ولكن طبعًا كما سنبين أن هي ليست على إطلاقها، وإلا قد جاءت الآيات التي بيناها الآن بأن الله عز وجل ما نهى بالكلية، قال:{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ} [العنكبوت:46]، وأيضًا:{ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ } [النحل:125]، إذًا جاءت مناظرات لكنها لها ضوابط.

بل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ناظر كما ناظر نصارى نجران، بل من الصحابة أشهر المناظرات مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج ناظرهم في ذلك، وأيضًا مناظرة علي بن أبي طالب أيضًا مع الخوارج، ومن أشهر المناظرات أيضًا مناظرة الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن مع الخلفاء الذين ناظروه في ذلك ابن أبي دؤاد وغيره، والرجل الذي سيأتي معنا هنا الذي دخل على ابن أبي دؤاد والخليفة وناظرهم وانتهت الفتنة بفضل الله عز وجل.

إذًا المناظرة حدثت بين النبي صلى الله عليه وسلم، حدثت مع الصحابة أيضًا، بل قلنا هناك بعض الآيات جاءت في القرآن أُمِرنا فيها بالرد بالحجج؛ أي لما يأتيك من يحاجك أنك ترد فيها، منها قول الله عز وجل:{ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ} [البقرة:135]، إذًا هنا ما وقفنا عند كلامهم، الله عز وجل يقول {قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ} ، وأيضًا: {وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ} [البقرة:111]، إذًا هناك رد على الحجج هذه وعلى البراهين، وأيضًا: {كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [آل عمران:93]، فجاءت الحجج والبراهين ترد عليهم.

بل جاءت بعض الآيات من الله عز وجل يرد عليهم الحجة بالحجة؛{أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ} [الطور:35] لما ادعوا ذلك.. فمن خلقكم أصلًا؟ وكانت سببًا في إيمان بعض الصحابة. وأيضًا{لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء:22]، فهنا الآيات فيها رد على الحجج والدعاوى. وأيضًا من قوله تعالى:{ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ } [الأنعام:148] أيضًا هذا رد عليهم؛ إذا كان عندكم العلم فاخرجوه لنا.

هذا كله رد من الكتاب كما قلنا على هؤلاء الذين هم أهل الأهواء وغير ذلك.

وقد طبعًا جاءت آثار أخرى فيها المجادلة بالحق كما قلنا، ونكتفي بذلك.

123- قَالَ زُهَيْرٌ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ مَرْوَانَ بْنَ شُجَاعٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيَّ يَقُولُ: مَا خَاصَمَ وَرِعٌ قَطُّ فِي الدِّينِ

لأنه يخشى على نفسه، وطبعًا هذه مقيدة، فالورع يقول أن تترك، لكن طبعًا قلت بأن هذه لها تقييدات، لكن هو العموم عندهم أنك لا تخاصم ولا تجادل، وهذا الأصل، لماذا؟ لأنهم يخشون على قلوبهم من ذلك، ويخشون على نفوسهم أن تقع فيها شكوك أو ريبة أو غير ذلك.

ولعل مناظرة أهل الأهواء هنا جاء الذم فيها أيضًا منها كما جاء في بعض الآثار أن يقع في قلبك شك، أن تناظر أهل الأهواء فيقع في قلبك شك فيمكن أنك تنحرف عن العقيدة، لذلك حصل ذم من العلماء على مناظرة أهل الأهواء لذلك. أو أحيانًا تكون مناظرة أهل الأهواء تقوية لهم؛ فأنت لما تبرزه وتأتي به تناظره وهو من أهل الأهواء قد يكون- كما سيأتي معنا الآن- السكوت عنهم إماتة لهم.

فلماذا هم العلماء وقفوا في مسألة المناظرة هذه واشتدوا فيها؟ قالوا إما أن يزيغ القلب، وإما قد تكون المناظرة تقوية لهم، فأنت أحيانًا تأتي بواحد ليس له أصلًا

قيمة، فلما تأتيه وتناظره تجد الناس التفت والتمت وسمعت، فأنت قويت شوكته، ولذلك كانوا السلف يميتونهم ولا يتكلمون عنهم.

وأحيانًا تكون المناظرة نشر للبدعة وأنت لا تعلم، فأنك لما تناظر سيُسمَع كلامه، وينتشر كلامه، وطبعًا خاصة في أزمنتنا تسجيلات وفيديوهات ونشر، فممكن الناس أصلًا لم تكن تعلم عن الكلام هذا شيء ثم لما أنت تنشره فهو يسمع كلامًا لم يكن يسمعه.

وطبعًا هذه مشكلة- انظر إلى المنع- مع أن ليس عندهم وسائل الإنتشار الموجودة، كأن من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في سنن أبي داوود تقارب الزمان هذا، من تفسير العلماء فيما نحن فيه؛ تقارب الزمان نحن بنجلس الآن ويوجد ناس في دول أخرى بتسمعنا ويوجد ناس في أماكن أخرى تسمعنا، هذا من تقارب الزمان الآن وأيضًا مع هذا الوقت الذي فيه ما فيه من الأشراط بأنك قد تنشر هذه المناظرة التي كان ممكن يحضرها مثلًا في الزمن الماضي عشرة، أو عشرين أو خمسمائة أو ألف في بلد أو ألوفات، فأنت الآن الملايين بتراها في خمس دقائق الآن، فانظر إلى نشر كلامه بين الناس، ويصيب قلوب ناس أنت لا تعلم ما في قلوبهم من الإيمان الآن، وهذه قلت من أخطر أنواع المناظرات؛ التي هي مناظرات أهل الأهواء والبدع تحديدًا، يمكن أهل الشرك بيكون الباطل فيه واضح، لكن أهل الأهواء والبدع الذي فيه إشكاليات وشبهات بتكون أعظم في هذه المسألة أكثر من ذلك.

124 -وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ، أَخْبَرَنَا أَبُو خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَكَمِ: مَا اضْطَرَّ النَّاسَ إِلَى الْأَهْوَاءِ؟ قَالَ: الْخُصُومَاتُ

125-حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَحْفُوظُ بْنُ أَبِي تَوْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ، عَنْ زِيَادِ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو حَمْزَةَ لِإِبْرَاهِيمَ: يَا أَبَا عِمْرَانَ أَيُّ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ آخُذَ بِرَأْيِكَ وَأَقْتَدِيَ بِكَ، قَالَ: مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَمَا هِيَ إِلَّا زِينَةُ الشَّيْطَانِ وَمَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ

مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وهذا ذم على العموم كأنه يرى بأن هذه الأهواء التي فيها المناظرات والخصومات ما في شيء، قال: وَمَا هِيَ إِلَّا زِينَةُ الشَّيْطَانِ وَمَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، ما تجد لا المناظرات ولا الجدالات إلا طبعًا كما قيدنا بالقيود التي قلناها كمناظرات النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين ومع النصارى ومع غير ذلك لإثبات الحق، أما بين الناس بعضهم وبعض وبين أهل الأهواء ما كان هذا يفعلونه.

قال أيضًا:

126- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَحْفُوظٌ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ الصَّنْعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا رَبَاحُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَوَانَا عَلَى هَوَاكُمْ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهَوَى كُلُّهُ ضَلَالَةٌ

هو كأن المقصود طبعًا هنا من السائل أن هوانا على هواكم، أي اتباعه على اتباع ابن عباس، لكن ابن عباس رضي الله عنهما حمل الكلام على ظاهره فأراد أن يبين له أن الهوى كله مذموم، لأن هو قال هنا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَوَانَا عَلَى هَوَاكُمْ أي ممكن تقول سنتنا على سنتكم، أو اتباعنا على ما تتبعونه أنتم،

تُحمَل على ذلك، لكن ابن عباس طبعًا، وهو من هو، ابن عباس قال: **الْهَوَى كُلُّهُ ضَلَالَةٌ** ، إذًا المسألة ليست هوى، ليس لنا هوى نحن حتى تتبعه، وانظر إلى هذا الكلام رد مهم جدًا، أي هو يريد أن يقول له أن ليس لنا هوى حتى تتبعه على هوانا، نحن ليس عندنا هوى، نحن نتبع الكتاب والسنة وهذا ليس بهوى، فهذا يرده إلى أن الهوى كله ضلالة، إذًا الهوى هنا أنك طبعًا ترى أنت بنظرك وليس اتباعًا للكتاب والسنة، اشتهيت شيء، رأيت شيء، اقتنعت بشيء، هذا هوى، فإن خالف الكتاب والسنة فيكون أشد، {أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ } [الجاثية:23]، فنقول؛ هنا يرده ابن عباس ليبين بأن الهوى كله ضلالة.

علامات أهل الأهواء عند أهل السنة والجماعة:

والحقيقة أن أهل الأهواء لهم علامات عند أهل السنة والجماعة، وكأن هنا ابن عباس يشير إلينا بمسألة أهل الأهواء، فنقول كيف تعلم أهل الأهواء؟ لهم علامات عند أهل السنة والجماعة؛

1- أولًا كثرة الجدال والمراء، طبعًا المراء سيأتي له باب عندنا قادم، لكن المراء هو أخص من الجدال، أي المراء يأتي بمعنى الجدال ويكون أخصًا، أي كل مراء جدال وليس كل جدال مراء، لكن المراء في الباطل، والجدال كما قلنا فيه مذموم وفيه محمود. وقال الله عز وجل: {وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ} [الحج:55]، فهذه تبين أن المراء باطلًا، فكثرة المراء والجدال من علامات أهل الأهواء. وتجده يجادل في كتاب الله عز وجل، ويجادل في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا أكثر ما يكون في الطوائف المبتدعة تكلمنا عنه في الأسماء والصفات، الجدال والمراء في الكتاب، وتحريف ما جاء في الكتاب وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخص أسماء الله عز وجل وصفاته، ويتكلمون فيه بمراء وجدال وأصول باطلة، ومنها طبعًا يقدمون فيه العقل على النقل، إلى غير ذلك.

2- من علامات أهل الأهواء أنهم لا يحسنون الكلام في المسألة بعلم، قال الله عز وجل: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا } [الإسراء:36] فتجد من علامتهم أنهم يتكلمون بغير علم، لذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من تحريف صفات الله عز وجل واسمائه وغير ذلك من الأمور التي اشتهرت بذلك.

3- من علاماتهم أيضًا الاعتراض، بل أن الاعتراض حتى حدث على العلماء وعلى الشيوخ والاعتراض طبعًا قبلها على الكتاب والسنة، يجعل المرء يفقد كثير من العلم وكثير من المنافع، بل حتى هذا كان في مدارسة الطلاب مع الشيوخ، تجد كثرة معارضة التلميذ لشيخه قد تؤدي إلى أن الشيخ لا يعطيه كثير من العلم، وهذا حدث مع أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف ابن عبد الرحمن بن عوف وهو من أحد الفقهاء السبع وكان شيخه ابن عباس قال: عارضت ابن عباس كثيرًا وكان هذا سبب في عدم أخذ علم كثير من ابن عباس. كان يعارضه ويعارضه ويعارضه، وهذه تحدث من بعض التلاميذ يكثر من معارضة الشيخ في التلقي فالشيخ ممكن – لن نقول يحزن– لكنه لا ينشط له، أي لا يكون عنده النشاط والهمة أن يعطيه، فيكتفي أن يعطيه ما يأخذه من الناس، وإلا الذين يتوقفون في فترات مهمة جدًا –طبعًا في الطلب– عن معارضة شيوخهم يستفيدون كثيرًا ويخصونهم بعلم كثير.

4- من علامات أهل الأهواء – وهذا كثيرًا حقيقة تستطيع أن تعلم بهم هؤلاء– اتباع زلة العالم، أهل الأهواء يتبعون زلات العلماء وينشرونها بين الناس. وأنا حقيقة أربأ بكثير من الناس إخوة وأخوات رجال ونساء عن هذه المسألة – لأنهم بجهل منهم أقول – على الأقل أقول بجهل منهم– وعدم علم لهم بضوابط السلف فتجدهم، وأنا أحزن كثيرًا حقيقة بأنهم وهم محسوبين على أهل السنة وطلاب وطالبات علم لكن لاشك أنه لا أحد معصوم، اتبعوا في هذا اتباع فعل أهل الأهواء، فتجد مثلًا العالم أو مجموعه علماء أو شيء أصدروا فتوى أو كلام، قد يكون اجتهدوا في المسألة – نحن لا نتكلم عن مسألة بعينها الآن – اجتهدوا فيها، قد يكون معهم حق أو يكون هم رجحوا قول على قول، أو الخلاف في المسألة فيه نزاع نقول في ثبوت الحق، فتجد من لم يعجبه فتوى هؤلاء، وهم أقول علماء لا يشك أحد في أنهم

علماء ومن أهل العلم والثقة وكانوا محل قبول نقول، فتجده يتكلم بكلمات أنا أحزن جدًا عندما أقرأها وأسمعها وينقلها لي بعض الناس عن هؤلاء العلماء، حتى لأنه أفتى بفتوى أو قالوا بقول. يا أخي هب أنت لا تعلم المصلحة ولا المفسدة، ولا أنت جالس ولا أنتِ جالسة في هذا الموضع حتى تقررين!هذا أمر ليس بالهين وخاصة عندما يتعلق بمجموعات ناس ويتعلق بدول وغير ذلك، فكيف تتجرأ لأنك لم تعجبك الفتوى فتنتقص من قدرهم وتقول مثلًا لجنة كبار علماء يقول لجنة صغار العلماء أو لجنة ليسوا بكبار العلماء.من أنت! والله أنت ما تستطيع ولا تستطيعي أن تقفي فقط تناقشي أحدًا منهم خمس دقائق وإلا علمت جهلك وعلم جهلك.

المسألة ليست تحيزًا، لكن ما هذا الذي يحدث! هذا هو عمل أهل الأهواء، هذا لو قلت زلات العلماء، لكن هب لو المسألة فيها خلاف أصلًا، لكن أهل الأهواء يطيرون بزلات العلماء وينشرون. فأنت لما كتبت الجملة هذه التي أنت كتبتها وأنتِ كتبتيها عن هؤلاء العلماء حتى وإن حادوا، طارت لمن قرأها الآن وانتشرت، وكم من المفاسد حدثت أنك تنشر عورات وأخطاء العلماء المحسوبين على أهل السنة والجماعة، هل أنت لما نشرت هذا فهو رجع عن الفتوى! بل أنت ازددت انتقاصًا منه أمام العوام وجعلت كثير من العوام ينتقصون يقولون انظروا إلى شيوخهم وعلمائهم الذين كانوا يقولون عنهم في الماضي، انظر ماذا يقولون عنهم الآن! وهذا قلت اتباع لدأب أو طريقة أهل الأهواء، وهذا ليس بعلم، وكما قالوا لحوم العلماء مسمومة، وهذا طبعًا حدث، فأنا لو جئت لك بأمثلة الآن هي موجودة في الماضي.

وتجد أصحاب الطوائف يتصيدون لعلماء أهل السنة في أخطائهم، طبعًا ابن تيمية له ما له من الغصة عند قلوب هؤلاء وحناجرهم، فتجد يتتبعون أن ابن تيمية الذي تقولون عنه فارس الميدان في العقيدة طيب ابن تيمية يقول بفناء النار، وماذا ستفعلون بفناء النار؟ طبعًا هذه على خلاف؛ هل هو قال بفناء نار الموحدين؟ وهب أنه قال بفناء النار، وابن القيم قال بفناء نار الموحدين، فهب أنه قال بها، هو ماذا يريد؟ هو يريد أن يتتبع ليهدم لك هذا العالِم.

فهذه علامات أهل الأهواء، فأنت بجهلك – أنا قلت إحسانًا بالظن بهؤلاء– الذين يفعلون الإخوة والأخوات الموجودين الآن المحسوبين على أهل السنة وبعضهم طلاب وطلبات علم لكن أنت بهذا اتباع لأهل الأهواء، ليس هكذا المسألة، أنت عليك تناصح، لو لك طريق لهم أرسل لهم وناصحهم بينك وبينه: أنت لماذا قلت ذلك؟ وهذه المسألة فيها كذا وكذا.. مناصحة، هذا إن كنت تريد الحق. أما أنك تنشر هكذا!

لذلك هم ليس هؤلاء فقط، فالأمثلة كثيرة عندنا أصلًا، فالأحناف طبعًا عندهم كانت المذاهب تشهر بعضها ببعض، أي لن تجد عالِم أو مذهب ليس عنده شذوذ، الأحناف مثلًا عندهم يجعلون الأجيرة المستخدمة قياسًا على الأمة، وهذا طبعًا قول مردود، كيف تكون الأجيرة المستخدمة تقاس على الأمة! وطبعًا بعض الغرار أو الجهال في بعض البلاد بيأتوا بالخادمات من بلاد ويعاملونهم كأنهم إماء، وطبعًا هذا قول الأحناف لا يُعمَل به، هذا مهجور.

وأيضًا مثلًا عندنا في الشافعية هناك قول بجواز المرء أن ينكح ابنته من الزنا، وهذا قول موجود بأنه يرى بأن البنت هذه من الزنا ليست نكاحًا صحيحًا فبالتالي ليست محرمة عليه مع أنها من ماؤه ويعلم، لكن يرون بجواز نكاح بنته من الزنا لأنها لم تأت بنكاح صحيح، وهذا قول أيضًا موجود في المذهب عند الشافعي لكنه لا يعمل به.

بل بعض الصحابة سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه ألم يقل بأن الربيبة التي ليست في الحجر يمكن أن يتزوجها؟ لما جاءه الرجل يسأله عنها فأخذ بمفهوم المخالفة من الآية مع أن هذا نقول أنه ليس هو المعمول به عند جل الصحابة رضوان الله عليهم. وابن عباس كان يقول بنكاح المتعة، وكان يقول بربا الفضل، وهو بعضهم رجع عن ذلك طبعًا.

إذًا أنت ستجد هؤلاء يطيرون بهؤلاء، فأنا سمعت أحد مِن مَن يريد أن يتكلم يطعن في الفقه عمومًا الإسلامي فهو بيأتي بمثال والذي أمامه لسنا على وفاق معه لكنه

مؤصل، فهو يقول لك الرجل ترك سافر وترك إمرأته أربع سنوات فلما رجع وجدها حامل، قال من أين الحمل؟ منك، فهو بيلمز على الفقهاء، فهو يريد أن يلمز على الشيخ الذي أمامه، فضحك، قالوا نعم حمل صحيح قال به الإمام الشافعي، قال به الإمام أحمد، قال به الإمام الأوزاعي، قال به الإمام مالك، وعلى أن أقصى مدة للحمل أربع سنوات، فهو يريد أن يقدح في الفقه، وأن جمهور العلماء يقولون بهذا، بأن هذا حمل صحيح ويحملونه على أنه حمل صحيح ولا يطبقونه، وهذا وردت قالوا في بعض السلف أنه من وُلد على هذا القدر فوُجِد – وإن كان نادرًا لكن وُجِد – ولا يقام عليه حد، ولا يكون ولد زنا أو غير ذلك.

المهم أن أهل الأهواء كهؤلاء يطيرون ببعض الفتاوى، وبعض أقوال العلماء يريدون أن ينشرونها بين الناس إما قدحًا في العالِم حتى يكسرونه فلا يتبعونه الناس، وإما قدحًا في المنهج نفسه والإسلام.

تعامل أهل السنة والجماعة مع زلات العلماء:

1- أول شيء أن تلتمس العذر للعالم، لابد أن تلتمس له العذر إن أخطأ وحفاظًا على مكانة العلماء، وليس تقديسًا، لكن حفاظًا لأن العلماء ورثة الأنبياء، ولا أحد معصوم إلا من عصمه الله عز وجل، فإن أخطأ لابد أنك تلتمس له العذر كما جاءت الآثار بأنك إن وجدت أخ لك على باطل أو على شيء فعله فيُحمَل على أنه 99% على الباطل و 1% على الحق تحمله على هذا 1% على الحق، فما بالك في أهل العلم! فكان هذا تعامل السلف مع العلماء في الزلات، أولًا يلتمسون لهم الأعذار.

2- تستغفر لهؤلاء، لا أن تنشرهم وتشتم وتوبخ! تستغفر، فإذا كان طالب العلم – على الحديث الذي فيه كلام لكن استئناسًا– تستغفر له الملائكة أو يستغفر له من في السماء والأرض والحيتان في البحر، فما بالك بعالِم أخطأ في شيء مثلًا! ألا تستغفر له وتدعو الله عز وجل له أن يغفر الله عز وجل له! هذا كان دأب علمائنا السلف في ذلك.

3- تبين الزلة، ما في إشكال، حتى لا يكون تقديسًا، تبين هذا الخطأ باسلوب وتبين الحق فيه والصواب وتقف عند ذلك، إذًا المسألة علمية خاصة لو انتشرت هذه الفتوى، أو انتشرت هذه الزلة وأصبح يتلقفها الناس ويعملون بها، فهنا تبين لو كانت فيها الخطأ العلمي أن تبينها للناس، وحتى الناس تعلم أن هذه فيها مخالفة للكتاب والسنة وغير ذلك. هنا تكون برئت الساحة، نصحته، استغفرت له، التمست له العذر، بينت أيضًا الخطأ وقد برئت الساحة وليس عليك شيء بعد ذلك. فهذا كان ما يفعله السلف الصالح.

هنا طبعًا ابن عباس كل هذا كان في كلامه **جَعَلَ هَوَانَا عَلَى هَوَاكُمْ** مع أن ابن عباس قال: **الْهَوَى كُلُّهُ ضَلَالَةٌ**، ونحن عندنا هوى ممدوح وهوى مذموم، لكن هو طبعًا ابن عباس يقصد الهوى المذموم لأن الهوى الممدوح ممكن يستأنس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم والحديث حسنه الإمام النووي في الأربعين النووية وأتى به، وإن كان بعض أهل العلم ضعفوه **[لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ به]**، فهنا يقصد الهوى المحمود وهو الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فغير ذلك فهو مذموم، وهذا الذي يقصده ابن عباس في الهوى المذموم الذي أيضًا ذمه الله عز وجل لما قال سبحانه وتعالى:{ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [ص:26] وقال تعالى: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ } [القصص:50]. فنقول لا شك أن هذا من الهوى المذموم.

نرجع إلى الآثار.

127 حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزْيَدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ

طبعًا هذا كله بيان باتباع السلف وطبعًا وَإِيَّاكَ وَآرَاءِ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ، ولعل هذه تبين كثيرًا بأن لابد الاتباع يكون اتباع الكتاب والسنة وليس اتباع الأصحاب والرجال وآرائهم إن خالفت الكتاب والسنة.

128 -حَدَّثَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ قَالَ: رَأَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ مُحْرِزٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَشَبَبَةُ قَرِيبٌ مِنْهُ، يَتَجَادَلُونَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَقَامَ وَقَالَ: إِنَّمَا أَنْتُمْ جَرَبٌ إِنَّمَا أَنْتُمْ جَرَبٌ

وهذا طبعًا انتقل من المكان الذي فيه من المجادلة والخصام وقال إِنَّمَا أَنْتُمْ جَرَبٌ، أي كأنكم ينفر منكم من ما فيكم من آفات كالجرب وانتقل من هذا المكان، أنهم كانوا لا يجالسون أهل الأهواء.

129 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أنا أَبُو الْحَكَمِ قَالَ: أنا مُوسَى بْنُ أَبِي كَرْدَمَ وَقَالَ غَيْرُهُ: ابْنُ أَبِي دَرْمٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: بُلِّغَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ مَجْلِسٍ، كَانَ فِي نَاحِيَةِ بَابِ بَنِي سَهْمٍ، يَجْلِسُ فِيهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَيَخْتَصِمُونَ، فَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَيْهِمْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى وَقَفْنَا، فَقَالَ لِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبِرْهُمْ عَنْ كَلَامِ الْفَتَى الَّذِي كَلَّمَ بِهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي بَلَائِهِ، قَالَ وَهْبٌ: فَقُلْتُ: قَالَ الْفَتَى: يَا أَيُّوبُ أَمَا كَانَ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ مَا يَكِلُّ لِسَانَكَ وَيَقْطَعُ قَلْبَكَ وَيَكْسِرُ حُجَّتَكَ، يَا أَيُّوبُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا أَسْكَنَتْهُمْ خَشْيَةُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ وَلَا بُكْمٍ , وَإِنَّهُمْ لَهُمُ النُّبَلَاءُ الْفُصَحَاءُ الطُّلَقَاءُ الْأَلِبَّاءُ الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَأَيَّامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا

عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ فَرَقًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَيْبَةً لَهُ فَإِذَا اسْتَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ اسْتَبَقُوا إِلَى اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ، لَا يَسْتَكْثِرُونَ لِلَّهِ الْكَثِيرَ وَلَا يَرْضَوْنَ لَهُ بِالْقَلِيلِ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ الظَّالِمِينَ الْخَاطِئِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَنْزَاهٌ، أَبْرَارٌ، أَخْيَارٌ، وَمَعَ الْمُضَيِّعِينَ الْمُفْرِطِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَكْيَاسٌ أَقْوِيَاءُ، نَاحِلُونَ دَائِبُونَ، يَرَاهُمُ الْجَاهِلُ فَيَقُولُ: مَرْضَى وَلَيْسُوا بِمَرْضَى، وَقَدْ خُولِطُوا وَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ

130 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ فَيْرُوزَ الْأَزْرَقُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ أَبِي دَرْمٍ، عَنْ يُوسُفَ يَعْنِي ابْنَ مَاهَكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ مَجْلِسٍ فِي نَاحِيَةِ بَنِي سَهْمٍ فِيهِ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَخْتَصِمُونَ وَيَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِمْ قَالَ: فَانْطَلَقَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَخْبِرِ الْقَوْمَ عَنْ كَلَامِ الْفَتَى الَّذِي كَلَّمَ بِهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي بَلَائِهِ، فَقَالَ وَهْبٌ: قَالَ الْفَتَى: لَقَدْ كَانَ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذِكْرِ الْمَوْتِ، مَا يَكُلُّ لِسَانَكَ، وَيَقْطَعُ قَلْبَكَ، وَيَكْسِرُ حُجَّتَكَ؟ أَفَلَمْ تَعْلَمْ يَا أَيُّوبُ أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا، أَسْكَتَتْهُمْ خَشْيَةُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ وَلَا بَكَمٍ، وَإِنَّهُمْ لَهُمُ الْفُصَحَاءُ الطُّلَقَاءُ الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَأَيَّامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَكَلَّتْ أَحْلَامُهُمْ فَرَقًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَيْبَةً لَهُ، حَتَّى إِذَا اسْتَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ ابْتَدَرُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ، لَا يَسْتَكْثِرُونَ لِلَّهِ الْكَثِيرَ، وَلَا يَرْضَوْنَ لَهُ بِالْقَلِيلِ، نَاحِلُونَ ذَائِبُونَ، يَرَاهُمُ الْجَاهِلُ فَيَقُولُ: مَرْضَى، وَقَدْ خُولِطُوا، وَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ

هو الحديث أصالة فيه انقطاع حقيقة، ولم يثبت لأنه يوجد فارق لا أدري الرواية الثانية وهب بن منبه ما سمع ابن عباس أو ما أدركه، فما أدري الرواية الثانية كيف، لكن المعنى هو طبعًا أتى بالرواية فقط لأن لما عُلِم بأن هناك شباب يتجادلون فذهب ابن عباس وأراد أن يذكرهم بهذا الكلام، لكن الحديث حقيقة لم يثبت عند أهل العلم وفيه انقطاع، لذلك سنمر عليه وأبين فقط، وإن كان طبعًا فيه معاني كثيرة ليست خارجة عن أحاديث أخرى، لكنه الراجح في عدم الثبوت.

131- وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ الصَّنْعَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ: دَعِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ عَنْ أَمْرِكَ، فَإِنَّكَ لَا تُعْجِزُ أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَكَيْفَ تُمَارِي وَتُجَادِلُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ وَرَجُلٍ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَكَيْفَ تُمَارِي وَتُجَادِلُ مَنْ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَلَا يُطِيعُكَ، فَاقْطَعْ ذَلِكَ عَلَيْكَ

هو بيتكلم عن الناصح لو أنت تعلم بأنك أنت أعلم منه فلماذا تجادله؟ ومن كان أعلم منك فاترك له لأن هو معه العلم. فإن ظننت بأنك أنت أعلم منه فلماذا ستجادله وهو لن يطيعك؟ فلقطع ذلك عليه، أي هو لن يطيعك وأنت تعلم أنك أعلى منه فأنت تعلم بأنك لن تستفيد منه.

ونحن قلنا أن المناظرة أو المجادلة الأصل فيها أنك تريد أن تبين الحق، أو تدفع الباطل، أو أنك تناصح، فلو كنت أنت لن تستفيد، أنت تعلم أنك أعلم فأنت لن تستفيد منه بشيء وعلمت بأنك أنت أعلم منه، فلو هو أعلم منك فلا تجادله خذ منه العلم، ولو أنت أعلم منه فأنت علمت أنه لا يطيعك فلا تجادل في المسألة.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، فَمَيَّزَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرِي لَهُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ عَلِمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَزِمَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ، لِيَنْتَفِيَ عَنْهُ الْجَهْلُ، وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ، أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، وَلَا لِلدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادُهُ سَلِمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ، وَاتَّبَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَهُ لِذَلِكَ.

حقيقة الكلام عظيم جدًا موفق مسدد من الإمام– رحمة الله عليه – خاصة انظر.. قال "**مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ**" لذلك أنا قلت لك كل الأبواب السابقة من أول الكتاب إلى هذا الباب من أهم الأبواب في أصول الدين، أنه يقول **جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرِي لَهُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ عَلِمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ** ، فنحن كثير نتعلم لكن المشكلة كلها في العمل، وهو أصل العالِم لا يكون عالمًا إلا بالعمل بما تعلم، العالِم عند العلماء معناه هو: "من عَلِم وعمل بما علم" ليس بما عَلِم فقط، لذلك هو يقول هنا **عَلِمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ** ، فحتى زكاة العلم أنك تعمل به وتنشره أيضًا، فلذلك يقول هنا: **فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَزِمَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهذه من الخيرية حقًا، المرء لو علم بأن الله عز وجل أراد به الخير بأنه ما يحك رأسه إلا بدليل من الشرع ويتجرد مع المخالف ولا يميل إلى هوى والتعصب المذهبي كان فقهيًا كما يحدث.

وللأسف أحزن أيضًا من نشر التعصب الفقهي الآن الموجود، وكل الشيوخ في كل مذهب يتكلمون عن مذهبهم ويقوون جدًا مسألة التعصب، فهناك فارق بأنك تدعو لأن الفقه يدرس بطريقه منهجية قام عليه الدراسة سنين طويلة عند علمائنا وهذا نقول به، وأنك تجعل المسألة عصبية لكل مذهب، وهذه أصبحت مقيتة مذمومة حقيقة.

فلذلك المسألة هنا أن الالتزام يكون بـ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وقال: وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ، لِيَنْتَفِيَ عَنْهُ الْجَهْلُ، وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ، أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ والعلو. ثم ذكر كلمة جميلة، قال: وَاتَّبَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ كلمة جميلة جدًا حقيقة، مسددة، قال لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ فأنت لما تسمع الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام مالك تسمع أكابر العلماء، الآجري قلت لك في 300هـ وجاء بعدهم طبعًا العلماء فهو يقول لا يستوحش من ذكر العلماء، يستأنس، ناس الله عز وجل جعل لهم القبول وجعل لهم العلم ينشر لهم، فأنت لا تستوحش من ذكر هؤلاء العلماء.

والحق أنت انظر.. هناك بعض العلماء لما تذكر اسمهم أنت تتشرح؛ الإمام النووي مثلًا، بركة، أنت انظر للإمام النووي – مع ما فيه قلنا في المسألة– وانظر لأئمة المذاهب وبعض العلماء، شيخ الإسلام ابن تيمية لما تتكلم عنه في العقيدة وانظر إلى جهده والذي فعله والنفع به، فهذا لا يستوحش من ذكرهم أي أنك تستانس بذكر هؤلاء العلماء وتسأل الله عز وجل أن تكون في زمرة هؤلاء.

ثم قال؛ ونختم بهذه القطعة:

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ كَانَ رَجُلٌ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمًا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الدِّينِ، يُنَازِعُهُ فِيهَا وَيُخَاصِمُهُ، تَرَى لَهُ أَنْ يُنَاظِرَهُ، حَتَّى تَثْبُتَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَيَرُدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ؟ قِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي نُهِينَا عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي حَذَّرَنَاهُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَاذَا نَصْنَعُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنْ كَانَ الَّذِي يَسْأَلُكَ مَسْأَلَتَهُ مَسْأَلَةَ مُسْتَرْشِدٍ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا مُنَاظَرَةً، فَأَرْشِدْهُ بِأَلْطَفِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ بِالْعِلْمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَوْلِ الصَّحَابَةِ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ

الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ مُنَاظَرَتَكَ، وَمُجَادَلَتَكَ، فَهَذَا الَّذِي كَرِهَ لَكَ الْعُلَمَاءُ، فَلَا تُنَاظِرْهُ، وَاحْذَرْهُ عَلَى دِينِكَ، كَمَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ كُنْتَ لَهُمْ مُتَّبِعًا فَإِنْ قَالَ: فَنَدَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَنَسْكُتُ عَنْهُمْ؟ قِيلَ لَهُ: سُكُوتُكَ عَنْهُمْ وَهِجْرَتُكَ لِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُنَاظَرَتِكَ لَهُمْ كَذَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ

وهذا الكلام تفصيل من الإمام في مسألة المناظرة، المسألة إن كانت على سبيل الاسترشاد والنصيحة وجاءك يسألك أعطه الإجابة بالأدلة بإرفاق ولين من كتاب وسنة وقول العلماء وانتهت المسألة، وإن كان يأتيك ينازعك ويخاصمك ويريد أن يثبت عليك الحجة فالإمام هنا يقول- وسيأتي تفصيل آخر في الكتاب في نفس الباب حتى في المسائل الفقهية سيتعرض إليها- لكن هو يريد أن يقول هذا الذي نهينا عنه؛ أي لا تجادل، ولا طبعًا تخاصم لأنك ستقع في المنهي عنه، فسُئل أيضًا فالآن سنتركه ويعلو الباطل؟ هو قال بتفصيل أيضًا نقول بأنه يرى بأن إن كان السكوت عنه يميته فافعله، هو طبعًا كلام الشيخ هنا بأنك تسكت لأنه كما قال **فَنَدَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَنَسْكُتُ عَنْهُمْ؟ سُكُوتُكَ عَنْهُمْ وَهِجْرَتُكَ لِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُنَاظَرَتِكَ لَهُمْ**، طبعًا هذا إن وجدنا بأن السكوت عنهم قتلًا لهم، وإلا فبعض العلماء أيضًا يقولون على حسب النظر للمخالفة؛ إن كان إمام في هذه المسألة وانتشر كلامه وله أتباع وأصبح لابد أن يُبيَّن فلن ينفع معه السكوت، وهذا الذي حدث من الإمام أحمد، الإمام أحمد ما سكت، هنا لابد أن تدقق النظر حتى لا تأخذ كلام الشيخ – رحمة الله عليه – في اتجاه واحد! هو هذا نعم السكوت قد يكون إماتة له ولا تتكلم وهو يريد أن يسحبك للمناظرة إما أن ينشر نفسه، يقوي قوله، وغير ذلك، أو يريد يتعالى عليك، فأنت لا تعطيه هذه الفرصة. لكن قالوا إن كانت البدعة لإمام يدعو لها وانتشرت كما حدث مع الإمام أحمد فلم يسكت؛ بل بيَّن وناظر وجادل بالحق ليدحض هذه الشبهة وهذا التفصيل

مهم سنختم به هذا الكلام ونقف عند الحديث رقم (132) إن شاء الله نكمل ذلك الأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

المحاضرة التاسعة عشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمه الله تعالى– وما زلنا في هذا الباب العظيم الذي ذكره المؤلف وهو في **بَابُ ذَمِّ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ**، وقلنا أن هذا الباب من أهم الأبواب – ويمكن اللقاء الثالث فيه– على مسألة الجدال وذم الجدال وبينَّا الجدال، وأنواع الجدال، وأن هناك من الجدال ما هو مذمومًا وهناك من الجدال ما هو محمود، وقد بينا أيضًا بعض علامات أهل الأهواء التي يعرفوا بها، وكيف تعامل المرء مع زلة العالم، وهذا كله قد أشرنا إليه من قبل.

ولكن أصل الباب كما يظهر من تسمية المؤلف وتبويبه على أنه يريد أن يقول لنا بأن الشرع قد جاء بذم الأهواء، وذم اتباع آراء الرجال وترك الكتاب والسنة، وذم أن يتبع المرء الآراء التي تعارض سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأن المرء يقلد آراء الفقهاء الرجال، وهذا كله يظهر لنا في التبويب وفي الآثار التي جاءت في هذا الباب من تحذير السلف من اتباع الآراء وجاءت الآثار بذلك، وتعظيم السلف الصالح من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم للسنة واتباع السنة وذمهم آراء الرجال والأهواء، بل حتى إن خالف الصحابة ما جاء عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يشتدون في ذلك، فليس ذلك ببعيد عن قيام ابن عباس وهو يخطب في الناس فيحثهم على المتعة في الحج وأن يتمتعون بالعمرة إلى الحج كما ذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام في حجة الوداع وهو يحثهم على ذلك فيقولون لقد كان أبو بكر وعمر ينهون عن المتعة، فقال: [يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟] فانظر حتى قول الصحابة، وإن كان أبو بكر وعمر لم يخالفوا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكن اجتهادًا لهم قد بيناه من قبل في مسألة حث الناس على الحج إفرادًا أو حتى يأتون بعمرة من سفرة جديدة فلا يكون البيت مهجورًا إلى غير ذلك. ولكن انظر إلى تعظيم ابن عباس للسنة، حتى لو قيل له قال أبو بكر وعمر فيقول للناس[يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟] .

وهذا ليس فقط من قول ابن عباس، بل أيضًا ما فعله ابن عمر مع ابنه بلال بن عبد الله بن عمر لما ذكر ابن عمر له قول النبي صلى الله عليه وسلم [لا تمنعوا إِمَاءَ اللَّهِ مساجدَ اللهِ] فقال بلال[واللهِ لنمنَعُهنَّ إنهم ليتخذونه دغلًا] فقام عبد الله بن عمر فصفعه صفعة شديدة، وفي رواية سبه مسبة شديدة حتى قالوا قاطعه حتى مات ابن عمر وهو مقاطع لبلال ابنه لأنه ذكر له سنة للنبي صلى الله عليه وسلم في عدم منع النساء مساجد الله عز وجل وهو يقول [واللهِ لنمنَعُهنَّ] مع أن بلال

كان مجتهدًا؛ لم يكن يرد سنة النبي صلى الله عليه وسلم، هو كان يرى وكان يقول بما قالت به عائشة رضي الله عنها وأرضاها، كان يرى ما فعلته النساء بعد ذلك فقال والله يتخذونه دغلًا أو تكية أو أنه سبيلًا ليخرجون من البيوت فيفتنون، وقد قالت عائشة ذلك؛ قالت: [لَو رأَى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ما أحدَثَ النِّساءُ بعدَهُ لمنعَهُنَّ المساجدَ كما مُنِعَت نساءُ بَني إسرائيلَ]. فهو لم يقصد أن يرد السنة لكنه رأى بأن العلة أو الحكمة هنا أو المفسدة أصبحت موجودة، ومع ذلك ابن عمر رضي الله عنهما لم يرتض بذلك فقاطعه وسبه مسبة شديدة لأنه قيل أمامه سنة النبي صلى الله عليه وسلم فخالف ذلك قولًا وقال[واللهِ لنمنَعُهنَّ]. فنقول ذم الصحابة الكرام اتباع الهوى واتباع الآراء واتباع النظر والفكر والعقل الذي يرد به ويصادم به سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

والهوى حقيقة إن لم يوافق الشرع – إن صح هذا التعبير كما نقول– لقوله صلى الله عليه وسلم: [لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ به]على تحسين لهذا الحديث كما قلنا من قبل، ولكن الله عز وجل قد ذم من اتخذ الهوى قال:{ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان:43]، فنقول هنا هذا اتخذ الهوى، جعله مقدم، ومن جعل هواه مقدم كما فعل أهل البدع وأهل الأهواء وغير ذلك وقع في المنكرات التي جاءت.

وقد حذرنا من قبل من الذين يسارعون في المناظرة وفي الجدال مع المخالف بدون علم وبدون اتقان فوقعوا فيما وقعوا فيه، هذا كله يرجع للهوى، هو ممكن يريد الخير لكن أنك تناظر مع المخالف سواء من غير المسلمين، فهناك مجموعات موجودة على مناظرة أهل الكتاب والنصارى وغير ذلك، والبعض تكلمت أنا معهم هم بيأخذوا فقط دورات في كيف يرد الشبهات، وهذا لا يكفي، وإن كان الدورات هذه مفيدة أو شيء لكن هذه لا تكفي لأنك تجاهد هؤلاء وتناظرهم. شيخ الإسلام ابن تيمية قال في هذه المسألة: "يحرم على كل أمرئ مسلم أن يقرأ في كتب أهل الكتاب حتى يتقن كتابه"؛ كتاب القرآن، كتاب الإسلام . ابن عمر لما رآه النبي صلى الله عليه

وسلم وهو يحمل بعض التوراة، قال: [أَمُتَهَوِّكون فيها يا ابنَ الخطَّابِ]، [والذي نَفْسي بِيَدِه، لو أنَّ موسى كان حَيًّا، ما وَسِعَه إلَّا أنْ يَتْبَعَني]. فهذا من الإشكاليات أنه يجادل ويناظر ولا تجده متقن لكتاب الله عز وجل؛ سواء تدبر وتفقه وعلم، ولا يكفي المسألة بأن دورة تؤخذ بعض المحاضرات فيكون مستعدًا فيرد! المسألة ليست بالهينة، لأن ممكن تُلقى عليه شبهة فإما هو لا يستطيع أن يرد أو هو تلقى في قلبه كما جاءت في الآثار التي قرأناها من قبل فيفتن بهذه الشبهة، وهذا أمر عظيم جدًا، وهذا كان كلام السلف.

وليس هذا في أهل الكتاب فقط بل أيضًا في مناظرة الطوائف المبتدعة من أهل الإسلام، فكيف تناظر وأنت لم تتقن أصالة أصول أهل السنة والجماعة! لذلك كان أهل السلف يذمون كما جاء عن الإمام الآجري الآن في هذا الباب مسألة المناظرة والجدال مع أهل الأهواء إلا بضوابط سنبينها في آخر الكتاب.

ونحن لا يمكن أن نقول أن يترك الأمر بلا مناظرة أو بلا مناقشة خاصة لو علا أمرهم وأصبحوا ينتشرون ويضللون الناس ويتجرأون على أهل السنة، فلا يمكن أن تُترَك البدعة هكذا لمن لا يتصدى لها، لابد من أسود أهل السنة يقومون فيتصدرون إلى البدعة ويسقطونها ويقدمون السنة للناس، لا يمكن أن نسكت عن ذلك، ولكن من هذا الذي يفعل ذلك؟ هذا هو الإشكال، ومتى يفعل ذلك؟ هذا أيضًا الذي يحتاج إلى ضوابط. لذلك كان الصحابة الكرام يمنعون من الجلوس مع أهل البدع والأهواء، وكانوا يحذرون الناس من ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم:[يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَهْوُونَ هَوًى يَتَجَارَى بِهِمْ ذَلِكَ الْهَوَى كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَدَعُ مِنْهُ عِرْقًا وَلَا مَفْصِلًا إِلَّا دَخَلَهُ] أي النبي صلى الله عليه وسلم يُشبه عندما يُعَض المرء من كلب فيدخل مرض الكلب في جسده قال يسير في العروق والمفاصل. فهو يريد أن يقول[يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَهْوُونَ هَوًى] أي يحبون الهوى [كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ] أي أنهم يستمتعون بالمناظرات والجدال والهوى، وهذا يدل على أن القلب قد شرب الهوى – والعياذ بالله – وكما نقول نقع فيه حتى شربه وأصبح ليس عنده

غير هذا القلب المملوء بالهوى. هذا قالوا لا تناظره ولا تجادله ولا تجالسه باي حال من الأحوال.. لماذا؟ لأنك لن تستطيع، فقد اشرأب القلب ودخل الهوى في العروق والمفاصل وغير ذلك فهذا لا يمكن لك أنك ستسلك معه مسلكًا ترده فيه إلا أن يشاء الله، لكن هذا الغالب طبعًا. والأمر الثاني بأنه فيه خطر على المرء أن يجالسه لأنه ممكن يصيبه من ذلك شيء، وهذا الذي ذكره المؤلف في الآثار التي قرأناها في الأسبوع الماضي والذي قبله على مسألة ذم الصحابة والسلف الصالح وغير ذلك على الجلوس مع أهل الأهواء والمجالسة بينهما ومراجعتهم في ذلك.

الآن ندخل في قراءة الآثار المتبقية في هذا الباب، ونبين أيضًا لأنه سيتعرض لبعض المناظرات التي حدثت، وهذا يبين لنا الضوابط عند أهل العلم في متى تُترَك المناظرة ومتى لابد فيها من المناظرة.

قال المصنف – رحمه الله تعالى–:

132 –حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أنا مَنْصُورٌ، عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ: لَسْتُ بِرَادٍّ عَلَيْهِمْ , أَشَدُّ مِنَ السُّكُوتِ

133– أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو تَقِيٍّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ

الأول طبعًا قال لَسْتُ بِرَادٍّ عَلَيْهِمْ , أَشَدُّ مِنَ السُّكُوتِ يبين لك بأن السكوت عن هؤلاء وعدم اجابتهم في المناظرة وفي الجدال هو أشد رد عليهم، لأن بعضهم يريدون في المناظرة العلو والإنتشار، فأنت لما تسكت وتميت هذه البدعة بالسكوت هذا أشد ما يكون عليه كأنك كما يقول العوام "لا تعبره، لا تنظر إليه ولا كأنه

موجود" ولا تتكلم له. وهذا موجود، بعض الناس تجدهم في بعض الإعلام أو شيء وللأسف ينخدع الأغرار الذين هم أصحاب المواقع الإجتماعية هذه والتواصل، كل ما يخرج علينا سواء ضال أو مضل أو حتى جاهل جهول يتكلم في مسائل من مسائل الدين، أو يلمح بأن سنتكلم في هذه المسألة أو نفعل فيها قانونًا ولا نفعل فيها كذا وكذا، ويأتي بالأعاجيب والأغاليط وغير ذلك، ستجد الناس على المواقع كأنهم فتح لهم باب وكلام ثم كلام ثم كلام! فهو يريد ذلك، هو يريد فقط يخرج ليقول كلمتين وأنت الآن تأخذ هذا الكلام ونظل نحن نجلس في محاورات وخمسين سؤال على نفس الموضوع لأن الرجل فقط مثلًا استيقظ فتذكر شيئًا أو أراد أن يضل الناس بشيء فيتكلم فيه ليلًا في أي قناة من القنوات أو موقع من المواقع فالناس ذهبوا خلفه، مع أنك أنت لو سكتت ولا كأنك سمعت شيء وأنت لا تعير ذلك الجهول شيئًا قد لا أحد يسمع لهذا الكلام، لكن نقل نقل نقل نقل فبعد أن كان عشرة أو عشرين يعلمون أو مائة، أصبح ملايين تعلم على مسألة أصلًا ليست لها أصل ولا أي شيء، وهو فقط يتلاعب بالناس ويشغل الناس بغير ذلك، وهذا لأنهم لا يقرأون، هم لا يتعلمون وهؤلاء يظنون بأنهم يدافعون عن الدين وعن السنة، ومنشورات وكلام وتعليقات وتعليق يرد على تعليق وتعليق وثم تكون قضية فيُسئَل بعد ذلك أهل العلم ماذا نفعل في ذلك، وتجد أصلًا المسألة ليست لها أصول ولا قائمة وأنتم جعلتم لها أصول بلا داعي! لماذا كل هذا!

فهنا السلف يقولون **لَسْتُ بِرَادٍّ عَلَيْهِمْ , أَشَدُّ مِنَ السُّكُوتِ**، اسكت.. عندما يتعاظم الأمر ويزداد ويستفحل ويصبح له تأثير سينبري له من أهل العلم ليتكلمون، وهذا هو الذي حدث كما سيبين لنا المؤلف مع ابن أبي دؤاد مع هذا الأعرابي، وقبله الإمام أحمد لما فعله، وقبله الإمام الشافعي لما عمله مع حفص الفرد وكان من المبتدعة أيضًا ما سكت له، وإلى غير ذلك، وقبله شيخ الإسلام ابن تيمية لما ناظر، بل قبلهم كلهم الإمام أبو حنيفة لما كان يناظر الملاحدة أو يناظر الذين لا يثبتون إلهًا. كل هذه لما يزداد تأثير هؤلاء تجد من ينبري لهم من أهل العلم وأهل السنة ليرد عليهم بدعتهم.

قال: لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ، وهذه طبعًا قد بيناها لأن المرء قد نُهي عن مجالسة هؤلاء،{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ } [النساء:140]، فالله عز وجل نهى عن أننا نجلس في أماكن المنكرات، أماكن الأهواء لأن تتغير القلوب، أنت إما أنك تغير المنكر أو تزول عنه، فأنت مجالستك مع أهل الأهواء تمرض القلب لا شك في ذلك. لذلك السلف نهو عن ذلك.

134-حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ: وَمَارَاهُ رَجُلٌ فِي شَيْءٍ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِالْمِرَاءِ مِنْكَ، وَلَكِنِّي لَا أُمَارِيكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: أَلَمْ تَسْمَعْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي قِلَابَةَ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْحَسَنِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: أَلَا تُنَاظِرُنِي فِي الدِّينِ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنِ اقْتَدَى بِهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنِ اضْطُرِرْتُ فِي الْأَمْرِ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاظَرَتِهِمْ، وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ أَلَا أُنَاظِرُهُمْ؟ قِيلَ لَهُ: الِاضْطِرَارُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ إِمَامٍ لَهُ مَذْهَبٌ سُوءٌ، فَيَمْتَحِنُ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِ، كَفِعْلِ مَنْ مَضَى فِي وَقْتِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: ثَلَاثَةُ خُلَفَاءَ امْتَحَنُوا النَّاسَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى

مَذْهَبِهِمُ السُّوءِ، فَلَمْ يَجِدِ الْعُلَمَاءُ بُدًّا مِنَ الذَّبِّ عَنِ الدِّينِ، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ مَعْرِفَةَ الْعَامَّةِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَنَاظَرُوهُمْ ضَرُورَةً لَا اخْتِيَارًا، فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَقَّ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَأَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُعْتَزِلَةَ وَفَضَحَهُمْ وَعَرَفَتِ الْعَامَّةُ أَنَّ الْحَقَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ وَمَنْ تَابَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَرْجُو أَنْ يُعِيذَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ مِحْنَةٍ تَكُونُ أَبَدًا

إذًا هنا أولًا لما سُئل الإمام الآجري – رحمة الله عليه– وهذه طريقة الإمام، هو ما سُئِل، هو دائمًا يفترض سؤالًا ويجيب عليه، وهذه طريقة موجودة في كتابه كله من أوله إلى آخره، قال: **فَإِنِ اضْطُرِرْتَنِي فِي الْأَمْرِ وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاظَرَتِهِمْ , وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ أَلَا أُنَاظِرُهُمْ؟** هو لم يلغي المناظرة بالكلية، لكن أثبت متى تكون المناظرة؟ قال: **مَعَ إِمَامٍ لَهُ مَذْهَبٌ سُوءٌ، فَيَمْتَحِنُ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِ**، إذًا متى تكون؟ لما تجد البدعة انتشرت وعلت وأصبح كما قال هنا إما إمام هذه البدعة أو الداعي لها أصبح له قوة وجبروت فإنه يمتحن الناس عليها، فهنا لا تسكت، فلا بد أنك ترد كما فعل الإمام أحمد لما جاء الخلفاء الثلاثة قبل انقشاع الفتنة كانوا يحملون الناس على فتنة خلق القرآن، فهنا كان لابد أن يتصدى عالم ويبين السنة من البدعة. فهنا متى تناظر؟ ليس اختيارا كما قال، لكن اضطرارا، لأنك لا يمكن أن تترك أهل البدعة يعلون، لابد أن أهل السنة يتصدرون لهم ويميتون البدعة ويقيمون السنة.

إذًا ضابط مهم جدًا بأن المسألة في المناظرة والتصدي عندما تجد البدعة قد علت وأصبح لها إمام ولها فرقة أو لها طائفة أو لها شيوخ أو لها أتباع وأصبحوا ينافحون عنها ويروجون لها وينشرونها، هنا لابد من التصدي والمناظرة وإخماد هذه البدعة

وإقامة السنة مكانها، وهذا الذي فعله الإمام أحمد رضي الله عنه في فتنة خلق القرآن.

ثم سيذكر الإمام الآن المناظرة التي حدثت معه.

وَبَلَغَنِي عَنِ الْمُهْتَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا فَظَّعَ أَبِي يَعْنِي الْوَاثِقَ إِلَّا شَيْخٌ جِيءَ بِهِ مِنَ الْمَصِيصَةِ، فَمَكَثَ فِي السِّجْنِ مُدَّةً، ثُمَّ إِنَّ أَبِي ذَكَرَهُ يَوْمًا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالشَّيْخِ، فَأُتِيَ بِهِ مُقَيَّدًا، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا اسْتَعْمَلْتَ مَعِي أَدَبَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا أَدَبَ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} [النساء: ٨٦] وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَدِّ السَّلَامِ، فَقَالَ لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ: سَلْهُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَا مَحْبُوسٌ مُقَيَّدٌ، أُصَلِّي فِي الْحَبْسِ بِتَيَمُّمٍ، مُنِعْتُ الْمَاءَ فَمُرْ بِقُيُودِي تُحَلُّ، وَمُرْ لِي بِمَاءٍ أَتَطَهَّرُ وَأُصَلِّي، ثُمَّ سَلْنِي قَالَ: فَأَمَرَ، فَحَلَّ قَيْدَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ قَالَ: لِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ: سَلْهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: الْمَسْأَلَةُ لِي، تَأْمُرُهُ أَنْ يُجِيبَنِي فَقَالَ: سَلْ، فَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، أَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَهُمَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عُمَرُ وَلَا عُثْمَانُ، وَلَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُمَّ عَنْهُمْ تَدْعُو أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ؟ لَيْسَ يَخْلُو أَنْ تَقُولَ: عَلِمُوهُ أَوْ جَهِلُوهُ، فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمُوهُ، وَسَكَتُوا

عَنْهُ، وَسِعَنَا وَإِيَّاكَ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ مِنَ السُّكُوتِ، وَإِنْ قُلْتَ: جَهِلُوهُ وَعَلِمْتُهُ أَنَا، فَيَا لُكَعُ بْنَ لُكَعٍ، يَجْهَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟ قَالَ الْمُهْتَدِي: فَرَأَيْتُ أَبِي وَثَبَ قَائِمًا وَدَخَلَ الْحَبْزِي، وَجَعَلَ ثَوْبَهُ فِي فِيهِ، يَضْحَكُ؟ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: صَدَقَ، لَيْسَ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَقُولَ: جَهِلُوهُ أَوْ عَلِمُوهُ، فَإِنْ قُلْنَا: عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ وَسِعَنَا مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ، وَإِنْ قُلْنَا: جَهِلُوهُ وَعَلِمْتَهُ أَنْتَ، فَيَا لُكَعُ بْنَ لُكَعٍ يَجْهَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟ ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: لَسْتَ أَعْنِيكَ، إِنَّمَا أَعْنِي ابْنَ أَبِي دُؤَادٍ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَعْطِ هَذَا الشَّيْخَ نَفَقَتَهُ وَأَخْرِجْهُ عَنْ بَلَدِنَا

سبحان الله هذه المناظرة أن أراد الله عز وجل – وهذه لعلك ترجئها للفوائد لكن– إن أراد الله عز وجل أن يخرج الحق على أحد كائن من كان سيخرجه الله عز وجل، فهذا الرجل ليس بعالِم؛ الذي ناظر ابن أبي دؤاد، وليس صاحب علم، بل هو على الفطرة، ولكن الله عز وجل أراد أن يشرح صدر الخليفة وأن يُكذِّب ابن أبي دؤاد أمام الخليفة على يد هذا الرجل.

وهذا سبحان الله الإمام أحمد جلس ثلاثة خلفاء يناظرهم ويناظر ابن أبي دؤاد أمامهم، والله عز وجل لم يجعل لكلام الإمام أحمد قبولًا عند هؤلاء حتى جاء هذا الخليفة في هذه القصة وجاء هذا الرجل الذي هو ليس يأتي بشيء أي لا يُعلَم أصلًا له علمًا ولا شيء، لكن الله عز وجل أراد أن يجري الحق على لسانه، لأن هناك رواية أخرى أيضًا فيها كلام أخذه على السجية في رواية لما قال ابن أبي دؤاد "أما تدعو إليه شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال لا، قال علمه أبو بكر؟ قال لا، علمه عمر؟ قال لا، فابتسم الرجل، فلما ابتسم علم ابن أبي دؤاد أنه وقع في الفخ – كما يقال– لأنه الخليفة ابتسم، لأنه سأله: أشيء علمه النبي صلى الله عليه

وسلم؟ فقال لا، فكأن يريد أن يقول له فكيف يا لكع يا ابن لكع تقول شيئًا تعلمه أنت ولا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم؟! لو قال ذلك يكفر، فلما علم بأنه وقع قال أرجع إلى ما كان، قال علمه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال ارجع إلى ما أول السؤال، فقال نرجع إلى بداية السؤال مرة أخرى، علمه النبي صلى الله عليه وسلم هل قال به؟ قال به أبو بكر؟ قال به عمر؟ قال به عثمان؟ قال به علي؟ أي هم علموه لكن لم يقولوا به قال نعم، قال لا يسع كما وسعهم فأنت شيء، لكن هو في الأول حتى انسحب معه فلما علم بأنه إذا أقر بأن شيء علمه هو لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم فكأن فيه تفضيل من الله له على النبي فوقع في الكفر في ذلك. ثم حدث بعد ذلك أنه ظهر كذبه وظهر بدعته. فالله عز وجل كشف الغمة بذلك وأخرج الإمام أحمد، ورجع إمامًا لأهل السنة.

الشاهد في ذلك أنه أتى بهذه المناظرة لأن كان لابد لها مناظرة، وإلا لو كان الإمام أحمد ترك المناظرة مع الخلفاء السابقين ووقف على ما وقف عليه لحدث في الأمة ما لا يحمد، لأنه بوقوف الإمام أحمد في وجه هؤلاء وتقوية من خلفه أخرج الله عز وجل بعد ذلك هذا الرجل الذي كان سببًا في انقشاع هذه البدعة والفتنة العظيمة جدًا التي حدثت في الأمة؛ فتنة خلق القرآن.

الشاهد من المناظرة بأنها كان لها سببًا، بأن لها إمام ولها شوكة ويمتحن الناس عليها فلابد من التصدي لها. وهناك فوائد من هذا الحديث سأرجئها إلى آخر الباب نجمع فيها الفوائد المستنبطة في الباب كله بإذن الله.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَبَعْدَ هَذَا نَأْمُرُ بِحِفْظِ السُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَالشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَمَنْ

كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَيُنْبَذُ مَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا نُنَاظِرُ، وَلَا نُجَادِلُ وَلَا نُخَاصِمُ، وَإِذَا لَقِيَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ أَخَذَ فِي غَيْرِهِ، وَإِنْ حَضَرَ مَجْلِسًا هُوَ فِيهِ قَامَ عَنْهُ هَكَذَا أَدَّبَنَا مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا

طبعًا قياسًا على مناظرة الإمام أحمد حدثت مناظرات من قبل؛ الإمام الشافعي كان حفص الفرد هذا مبتدعًا، حتى أنه في مرض الإمام الشافعي كان يدخل عليه الأصحاب ويسلمون عليه ويذكرهم يقولون تذكرني؟ نعم، فدخل عليه حفص الفرد فقال تذكرني؟ قال لا أريد أن أذكرك، لأنه كان صاحب بدعة.

وكذلك الإمام أبو حنيفة لما ناظر الملاحدة وجاؤوه يناظرون، قال اتركوني الآن فإني منشغل بسفينة تحمل البضائع من تلقاء نفسها وتسير في البحر، قالوا ماذا تقول أنت مجنون؟ هل هناك سفينة تحمل البضائع من نفسها ثم تسير بلا قبطان؟ قال أنتم تنكرون ذلك؟ وأنتم تقولون بأن هذا الكون وهذه الأنهار والجبال ليس لها قائد ولا قبطان ولا خالق – في معنى المناظرة – فبهتوا. وكان الإمام أبو حنيفة صاحب جدل ونظر عظيم جدًا حتى أن هذا كان في بداية الأمر وكان يشغل نفسه كثير بالمناظرات، ثم بعد ذلك رجع عن ذلك، أي هو كان له مناظرات كثيرة ثم رجع واشتغل بالفقه أكثر فكان إمامًا كما هو معلوم من أئمة الفقه وإمام من أئمة المذاهب الأربعة، لكنه كان صاحب نظر وفقه ومجادلة وله شأن في زمانه، فهذا كان الإمام أبو حنيفة.

الإمام أحمد أيضًا لما ناظر، وغير ذلك من المناظرات التي قلناها من قبل من الصحابة ابن عباس لما ناظر الخوارج، وسيدنا علي أيضًا رضي الله عنه لما ناظر الخوارج أيضًا، وكل هذه مناظرات كانت لها شأن ولها قدر عظيم جدًا لأنها كانت لكسر الشوكة وكسر البدعة وقيام السنة ورد الناس عن البدعة التي هم فيها، فكان لها هذا الشأن العظيم الذي قياسًا نقوله على ما ذكره الإمام هنا في مناظرة ابن أبي دؤاد مع هذا الرجل.

135- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَصْبَغِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي غَيْرِهِ

136- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ

137- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن عُثْمَانَ الْمِصِّيصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا عُمْرَةٌ وَلَا جِهَادٌ، وَلَا صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ

هنا إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي غَيْرِهِ... و إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ طبعًا هذه إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره لعل فيها إشارة إلى هجر المبتدع.

وهجر المبتدع، حقيقة من المسائل المهمة وللأسف أيضًا ابتلينا بها في زماننا هنا بفهم خطأ في مسألة الهجر، لأن لابد أن نفرق بين هجر البدعة وهجر المبتدع.
وطبعًا أولًا الهجر أنواع؛ منهم هجر جاء الذم فيه في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يهجر أحدكم أخاه أكثر من ثلاثة أيام، هذا لو كان الهجر أمر شخصي؛ أي أنت تهجره لأمر شخصي بينك وبينه شحناء بغضاء شيء شخصي هذا الذي نهي عنه، وأما الهجر في الدين أنك تهجر أخاك لبدعة يقوم بها أو ينشرها أو شيء في أمر من أمور الدين هذا ليس مقيدًا، لا يدخل في هذا الحديث الذي هو يختص بالثلاثة أيام، لأن قد يكون الهجر في الدين هنا واجب عليك،

طبعًا هو له شروط علنا نعرج عليها، لكن هنا هذا هجر آخر، والهجر هذا الآخر – الذي ليس مقيدًا بمدة – ضابطه سيكون على المصلحة والمفسدة إلى غير ذلك.

وهنا طبعًا الهجر هذا الذي قلناه خارج عن هجر الثلاث أيام لقول الله عز وجل: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ} [النساء:140]، إذًا جاء النهي عن أنك تجلس معه، وهذا معنى الهجر والترك، والمسألة كما قلت ليست مقيدة، لأن الله عز وجل قال {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا} وطبعًا البدعة إن كانت مكفرة أو مفسقة ففيها هذا لأنك بتخالف شرع الله عز وجل، وتفعل ما لا يشرعه الله عز وجل، ففيها الاستهزاء والكفر بآيات الله عز وجل.

وأيضًا منها قوله تعالى:{ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأنعام:68]، فأيضًا جاء الأمر بهجر الأماكن التي يكون فيها البدع وأيضًا الناس أصحاب البدع. وأن هذا أيضًا يوافق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنك أنت الآن في مكان فيه بدعة لابد ستنزل تحت حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ] فأنت الآن إن تواجدت فلابد تغير وإلا فلا تتواجد في هذا المكان. إذًا جاء الأمر بمسألة الهجر وبيان مشروعية الهجر وأنك لابد أن تهجر.

لكن نقول هنا هذا هجر البدعة التي قلناها الآن أنك بتهجر البدعة، لأن هناك فرق بين البدعة وبين المبتدع، هجر البدعة أي هجر الذنب، هجر هذه المعصية، هجر هذا الأمر الذي يخالف السنة، هذه قد بينَّا أنك وجوبًا لابد أن تهجر هذه البدعة، أنك تخرج من أماكن وجودها، أو الأزمنة الخاصة بها، أو هيئتها، أو غير ذلك، وطبعًا لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:[كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ] فعلى التأصيل الذي

قلناه أنه على الراجح بأن البدع كلها ضلالات وليس هناك البدعة الحسنة والبدعة السيئة.

لكن الأمر الثاني في الهجر هو هجر المبتدع؛ فهجر البدعة قد بيناه، أما هجر المبتدع وهو الذي قام بالبدعة.. فكيف تتعامل معه؟ وهذه المسألة التي قلت حقيقة حدث فيها عدم الضبط، فالبعض قد نقول فرط والبعض أفرط، فيها تفريط وإفراط، أو فيها غلو وجفو، فالبعض غالى جدًا في تعامله مع المبتدع، بل ممكن يكون قد أخرجه من الإسلام مثلًا في التعامل، والبعض كان على النقيض في التعامل مع المبتدع بل تعامل معه كأنه صاحب سنة، ونقول لابد فيها من ضوابط.

ضوابط التعامل مع المبتدع:

1- أولًا لابد أن تثبت البدعة على هذا الشخص؛ أن ما عليه هو حقيقة بدعة وبدعة حقيقية؛ أقصد بدعة ثابتة بأنها بدعة، لأنه قد يكون متأول تأولًا مقبولًا سائغًا، أي عنده أدلة ويخالفك، لكن عنده أدلة من الشرع والخلاف قد يكون معتبرًا، فإن كان الخلاف معتبرًا فلا يمكن لك أن تصفه بأنه مبتدع، وهذا من الخطأ الذي يقع فيه البعض، لأنه يجد المخالف له في مسألة وهو لا يعلم أن الخلاف له فيه أدلة وخلاف قوي وله حظ من النظر ومعتبرًا، ومع ذلك يرميه بالبدعة، وهذا خطأ، إذًا لابد أولًا أنك تثبت البدعة عليه.

2- ثانيًا أنك تثبت أن هذا الرجل حتى تقول عليه مبتدع بأنه يعاند في إقامة هذه البدعة؛ أي أنت قد بينت له مثلًا وأقمت عليه الحجة أو وجهته، نصحته، إلى غير ذلك، ثم استمر هو على ذلك، وإما قد يكون الرجل لا يعلم بأنها بدعة؛ هو يفعلها أو عنده تأويل ضعيف لو أحد جاء وكلمه وتناقش معه قد يرجع، فلذلك لا يمكن أن ترميه بأنه مبتدع حتى تقيم عليه الحجة وتبين له ثم تعلم أنه يعاند، فهذا بعد أن علم الحق ويعاند في هذه البدعة فهنا قد ثبتت عليه البدعة أولًا ثم ثبت عليه العناد.

3- ثم يأتي من الضوابط بأنك لابد أن تكون نيتك في هجرانه هو التأديب والتأليف، لا النزاع والإختلاف؛ أي أنت تكون لك نية في هذا الهجر، أنت تريد أن تؤدبه وتؤلف قلبه وترده، لا المقصود بأنك تريد أن تنزعه من الإسلام أو تنزعه من الجماعة

وغير ذلك. فالأمر أنك هو – كما نقولها دائمًا في شروحات أخرى– كالفرق بين قتال البغاة وقتال الكفار، فقتال البغاة أنت تريد أن ترده للحق لذلك لها ضوابط، أما قتال الكفار فهو رفض الدين فأنت تقاتله، تستأصله، لأنك إن لم تستأصله سيستأصلك لأن هو رفض الإسلام وأنت تقاتله لأنك أُمِرت بقتاله، فلا هوادة حينئذ في المسألة.. انتهت، لكن قتال البغاة هم على أهل الإسلام فأنت تريد أن ترده، وهذا الفارق في قتال البغاة عن قتال الكفار. كذلك أنت هنا الأصل بأنك تريد أن ترده، إذًا الهجر لابد له من نية التأليف والتأديب.

4- أيضًا أنك بالهجر لا تكون مفسدة الهجر أكبر من المصلحة؛ وهنا المسألة طبعًا لن نتوسع فيها كثيرًا لكن نبينها فقط كضابط من ضوابط مسألة أنك تهجر المبتدع أنك تنظر للمصلحة والمفسدة، فيكون في الهجر مصلحة أكثر من المفسدة، وإلا لو كانت مفسدة الهجر أعظم فهنا لابد أن تعيد النظر في مسألة الهجر هذه؛ أي قد يكون الهجر هذا ممكن يؤدي في وقت من الأوقات إلى تلبيس على الناس وانسحاب ناس كثير معه بغير علم وجهل منهم، فأنت لا تعلن الهجر الآن لأن إعلانك لهجره الآن قد يسبب أن بعض من الجهال والعوام أنهم لشدة تعاطفهم فيقفون في صفه مثلًا، فتجد أن الهجر له الآن واعلان ذلك فيه مفسدة أكثر، فيمكن أن تتروى في ذلك حتى تتغير الأمور.

5- أيضًا من الضوابط أن أهل العلم قد وضعوا فارق بين المبتدع الذي يدعو إلى بدعته والمبتدع الذي بدعته في نفسه لا تخرج عن نفسه، فهناك بعض الناس هو يبتدع أو يأتي ببدع في عبادة له؛ في صلاة معينة، في ذكر معين، في غير ذلك، فبدعته في نفسه أي هو لا ينشرها، لا يتكلم بها، فهذا في حاله، بخلاف المبتدع الذي يدعو إلى البدعة، وبخلاف أيضًا المقلد الذي بيقلد في البدعة فهذا أيضًا له حال، فهنا يفرقون بين المبتدع الذي يدعو إلى بدعته وبين المقلد الذي حاله لا يؤثر في الغير، وبين الذي يفعل البدعة لذاته ولا ينشرها أيضًا، فلابد من هذه التفرقة عند الهجر، وفيها نظر طبعًا هي مسألة المصلحة في ذلك.

فنقول أن مسألة الهجر هذه ظهرت من الآثار التي ذكرها الإمام فيما نُقِل إلينا الآن على أنك إذا لقيته حتى في طريق فأنك تتركه كأنك تهجره ولا تسلم عليه، لا تكلمه، على التفصيل الذي قلناه.

لكن هنا الأثر الذي يليه أيضًا فيه إشكال، الأثر **عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا عُمْرَةٌ وَلَا جِهَادٌ، وَلَا صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ**، وهل هذا يعد من القائل تكفيرًا لصاحب بالبدعة أم ماذا رأيكم؟ هل ترون أن هذا ممكن يكون تكفيرًا له؟ أم كيف يحمل الكلام؟ قال **صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا عُمْرَةٌ وَلَا جِهَادٌ، وَلَا صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ** ، هنا إما أنك تقول أنه يقصد أنه صاحب بدعة مكفرة فكأنه أخرجه من الدين، وممكن نقول بأن توجيه لقول الحسن **صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا عُمْرَةٌ وَلَا جِهَادٌ، وَلَا صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ** على معنى القبول وليس الصحة، أي على التفرقة بين الإجزاء وبين القبول، وعلى هذا ليس المقصود منه أنه يحكم عليه بالكفر، كأنه يريد أن يقول أنه فعل هذه الطاعات لكن من شروط العبادة الإخلاص والمتابعة، فالإخلاص ممكن موجود لكن ليس هناك متابعة لأن صاحب البدعة أكيد ليس عنده متابعة فلم تُقبَل بسبب المتابعة، ولعلها تجزئه الله أعلم. فإما أن تقول القبول غير الإجزاء، أو على أنه لا تقبل بسبب عدم وجود المتابعة وليس المقصود منها تكفيره، فتحتمل هذه أيضًا.

138 - **وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: مَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ**

وهذه عجيبة لأن تبين لك بأن مآل هؤلاء قد يؤدي إلى الدماء والقتال، أي هو يريد أن يقول **مَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ** أي إبتدأ ببدعة قولية ممكن أو إعتقادية، ثم أدى ذلك إلى أنه استحل السيف واستحل الدماء والقتل، وهذا ممكن

مشاهد في مسألة الخوارج على أنه بدأ ذو الخويصرة بالاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم أنهم بعد ذلك سيقاتلون أهل الإسلام ويقتلونهم ويستحلون دمائهم، وقد حدث، وبدأوا ببدعة، ولو تنظر لأثر عبد الله بن مسعود مع أبو موسى الاشعري في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لما رآهم حِلَق فأتى يسأل ابن مسعود، فذهب إليهم ابن مسعود فقالوا يا أبو عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال كم من مريد للخير لم يبلغه! قال الراوي وجدنا أكثرهم يطاعنونا يوم النهروان؛ أي هؤلاء الذين كانوا يتحلقون هم الذين كانوا يطاعنونا يوم النهروان من الخوارج.

فتجد بأنه يبتدئ المرء بالبدعة – والعياذ بالله – ثم يصل بعد ذلك إلى القتال والاستحلال، وهذا معناه أنه ليس بالضرورة أن الخوارج فقط هم الذين يقاتلون أهل الإسلام، فهو يتكلم على العموم؛ **مَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ** قد تؤدي البدعة بعد ذلك أن نستحل السيف على المسلمين وليس يشترط أن يكون من الخوارج، بل يكون بصاحب بدعة أخرى لكنه أدى به ذلك إلى استحلال قتل المسلمين.

139 وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، بِطَرَسُوسَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الزَّائِغُونَ فِي الدِّينِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

هنا بين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كيفية التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن النجاة كل النجاة بالتمسك، لأنه قال سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، فبين بأن النجاة ستكون في التمسك بالكتاب والسنة، والسنن تحديدًا طبعًا لأن الكلام في مسألة رد السنن، وأن الخسارة كل الخسارة ترك السنة، لأنه قال ذلك، وترك اتباع كتاب الله عز وجل وان استكمال الطاعة- كما قال- تكون باتباع الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر أن ليس لأحد من الخلق التغيير والتبديل، انظر إلى هذا الكلام قوي جدًا، عمر بن عبد العزيز يبين ليس لأحد من الخلق التغيير ولا التبديل لأن هذا تغيير لشرع الله عز وجل وتبديل لشرع الله عز وجل، فيبين أصلًا هامًا جدًا على أن من أراد النجاة لابد يتمسك بالكتاب والسنة، ومن أراد الخسران هو من بدل وغير كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والكتاب محفوظ إلى قيام الساعة لكن بدل وغير في أحكامه فلم يعمل بأحكام الكتاب ولا السنة وغيرها وبدلها واخترع وسن أحكامًا أخرى، فغير وبدل، أو حتى ليس في الأحكام الشرعية، حتى أيضًا في المبتدعة الذين حرفوا وبدلوا في كتابه وفي أسماء الله وفي صفاته وفي القدر وفي الإرادة وفي الإيمان وغير ذلك، هذا كله تبديل وتحريف لما جاء في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، كلام عظيم جدًا ولعل هذا جاء بعد قول الحسن: صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ هو هنا قال صاحب البدعة، وصاحب البدعة هنا هو الذي بدل وهو الذي غيَّر والذي سن والله يقول:{ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ } [الأعراف: 54]، فالخلق والأمر لله عز وجل، فصاحب البدعة بينشئ ويخلق أوامر ويسن، فهذا تبديل

وتحريف، لذلك يوافق قول من قبله الحسن: لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ لأنه قد بدل وغير في دين الله عز وجل.

وهذه كلمات لعمر بن عبد العزيز حقيقة أصل من الأصول يعتد به عند أهل السنة والجماعة في اتباع الكتاب والسنة ونتائج التبديل والتغيير كما قال وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا – والعياذ بالله من ذلك– فهذه من أهم الضوابط في ذلك.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَبَيَّنْتَهُ قَدْ عَرِفْنَاهُ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ مُنَاظَرَتُنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ الَّتِي يُنْكِرُهَا أَهْلُ الْحَقِّ، وَنُهِينَا عَنِ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ فِيهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْفِقْهِ فِي الْأَحْكَامِ , مِثْلُ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالنِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ، هَلْ لَنَا مُبَاحٌ أَنْ نُنَاظِرَ فِيهِ وَنُجَادِلَ، أَمْ هُوَ مَحْظُورٌ عَلَيْنَا، عَرَفْنَا مَا يَلْزَمُ فِيهِ كَيْفَ السَّلَامَةُ، قِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ مَا أَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْمُنَاظَرَةِ فِيهِ، حَتَّى لَا يَلْحَقَهُ فِيهِ فِتْنَةٌ وَلَا مَأْثَمٌ، وَلَا يَظْفَرُ فِيهِ الشَّيْطَانُ فَإِنْ قَالَ كَيْفَ؟ قِيلَ لَهُ: هَذَا، قَدْ كَثُرَ فِي النَّاسِ جِدًّا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فِي كُلِّ بَلَدٍ يُنَاظِرُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ يُرِيدُ مُغَالَبَتَهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ، وَالِاسْتِظْهَارُ عَلَيْهِ بِالِاحْتِجَاجِ، فَيَحْمَرُّ لِذَلِكَ وَجْهُهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُحِبُّ أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبُهُ، وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَطَأٌ عَظِيمٌ، لَا يُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ وَلَا يَحْمَدُهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْعُقَلَاءِ؛ لِأَنَّ مُرَادَكَ أَنْ يُخْطِئَ مُنَاظِرُكَ: خَطَأٌ مِنْكَ، وَمَعْصِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمُرَادُهُ أَنْ تُخْطِئَ خَطَأً مِنْهُ وَمَعْصِيَةٌ، فَمَتَى يَسْلَمُ الْجَمِيعُ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّمَا نُنَاظِرُ لِتَخْرُجَ لَنَا الْفَائِدَةُ؟ قِيلَ لَهُ: هَذَا كَلَامٌ ظَاهِرٌ، وَفِي الْبَاطِنِ غَيْرُهُ وَقِيلَ لَهُ: إِذَا أَرَدْتَ وَجْهَ السَّلَامَةِ فِي الْمُنَاظَرَةِ لِطَلَبِ الْفَائِدَةِ، كَمَا ذَكَرْتَ، فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ

حِجَازِيًّا، وَالَّذِي يُنَاظِرُكَ عِرَاقِيًّا، وَبَيْنَكُمَا مَسْأَلَةٌ، تَقُولُ أَنْتَ: حَلَالٌ، وَيَقُولُ هُوَ: بَلْ حَرَامٌ فَإِنْ كُنْتُمَا تُرِيدَانِ السَّلَامَةَ، وَطَلَبَ الْفَائِدَةِ، فَقُلْ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَدِ اخْتَلَفَ فِيهَا مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الشُّيُوخِ، فَتَعَالَ حَتَّى نَتَنَاظَرَ فِيهَا مِنَّا صِحَّةً لَا مُغَالَبَةً فَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ فِيهَا مَعَكَ، اتَّبَعْتُكَ، وَتَرَكْتُ قَوْلِي، وَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ مَعِي، اتَّبَعْتَنِي وَتَرَكْتَ قَوْلَكَ، لَا أُرِيدُ أَنْ تُخْطِئَ وَلَا أُغَالِبُكَ، وَلَا تُرِيدُ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا تُغَالِبُنِي فَإِنْ جَرَى الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَهُوَ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَمَا أَعَزَّ هَذَا فِي النَّاسِ فَإِذَا قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: لَا نُطِيقُ هَذَا، وَصَدَقَا عَنْ أَنْفُسِهِمَا قِيلَ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، قَدْ عَرَفْتَ قَوْلَكَ وَقَوْلَ صَاحِبِكَ وَأَصْحَابِكَ وَاحْتِجَاجِهِمْ، وَأَنْتَ فَلَا تَرْجِعْ عَنْ قَوْلِكَ، وَتَرَى أَنَّ خَصْمَكَ عَلَى الْخَطَأِ وَقَالَ خَصْمُكَ كَذَلِكَ، فَمَا بِكُمَا إِلَى الْمُجَادَلَةِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ حَاجَةٌ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا لَيْسَ يُرِيدُ الرُّجُوعَ عَنْ مَذْهَبِهِ , وَإِنَّمَا مُرَادُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبُهُ، فَأَنْتُمَا آثِمَانِ بِهَذَا الْمُرَادِ، أَعَاذَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ الْعُقَلَاءَ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْمُرَادِ فَإِذَا لَمْ تُجْرِ الْمُنَاظَرَةُ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ، فَالسُّكُوتُ أَسْلَمُ، قَدْ عَرَفْتَ مَا عِنْدَكَ وَمَا عِنْدَهُ وَعَرَفَ مَا عِنْدَهُ وَمَا عِنْدَكَ، وَالسَّلَامُ ثُمَّ لَا نَأْمَنُ أَنْ يَقُولَ لَكَ فِي مُنَاظَرَتِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقُولُ لَهُ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، أَوْ تَقُولَ: لَمْ يَقُلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ ذَلِكَ، لِتَرُدَّ قَوْلَهُ، وَهَذَا عَظِيمٌ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ لَكَ أَيْضًا، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَرُدُّ حُجَّةَ صَاحِبِهِ بِالْمُخَارَقَةِ وَالْمُغَالَبَةِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ رَأَيْنَا يُنَاظِرُ وَيُجَادِلُ وَنَتَجَادَلُ، حَتَّى رُبَّمَا خَرَقَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ هَذَا الَّذِي خَافَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

هذا الكلام الذي ختم به الإمام – رحمة الله عليه– هذا الجزء، هو انتهى من المناظرة الأولى أو المناظرات الخاصة بالعقيدة، كأنه يُسئل الآن أو يفترض لنا سؤالًا؛ أن المناظرة ليست بين أهل الأهواء وليست المناظرة مع المبتدعة ولكن المناظرة عن شيء في الفقه، وهذا كثير ما يحدث، تناظر في مسألة فقهيه كما قال الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك، فهل المناظرة فيها مباحة أن تتجادل وتناظر، أم لا؟ فقال **أَمْ هُوَ مَحْظُورٌ عَلَيْنَا؟** انظر إلى كلام الشيخ كأنه يؤصل لنا الآن المسألة، هذا كلام عزيز جدًا حقيقة وهذا الكلام لابد الكل يقف معه، لأنك لو نظرت.. كلام فيه ضبط شديد على المرء لأنك ستراجع نفسك في كل مسألة تناقش فيها من يخالفك.

نحن قرأنا الكلام واضح أعتقد لكننا سنلخصه لكن أهم شيء قاله بأن الإشكال عنده في المناظرة بأنك تناظر وأنت تريد أن يكون غيرك على خطأ وأنت الذي تكون على صواب، أي أن تتمنى لغيرك أن يكون مخطئ، وهذه مشكلة، وانظر حقًا أنت عندما تناظر أنت بتكون مقتنع برأي والذي أمامك عنده رأي آخر مخالف لك فأنت عندما تناظر تريد أن تبين خطأ المخالف، وهذا هو الذي يريد أن يقوله، هذا هو الإشكال، بأنك تتمنى خطأ المخالف وتتمنى صوابك، لذلك انظر إلى كلام الشافعي لما قال: "**ما ناظرت أحد إلا تمنيت أن يكون الحق معه**". لو أتيت بكلام الشافعي رحمه الله مع كلام الآجري هنا علمت لماذا الشافعي قال ذلك، أو هو طبعًا الشافعي قال قبل ذلك، لكن هنا كأن الآجري فهم معنى كلام الشافعي الذي نردده كثيرًا ولا نضبطه عند الواقع، فهو يقول "ما ناظرت أحد إلا تمنيت أن يكون الحق معه"، ماذا يعني ذلك؟ هو لا يتمنى أن يكون هو مخطئ، وهذا هو الذي يقصده هنا، بأنك إذا ناظرت على أن الذي أمامك مخطئ فأنت تمنيت خطأه وهذا هو المذموم لأنه قال: **لِأَنَّ مُرَادَكَ أَنْ يُخْطِئَ مُنَاظِرُكَ: خَطَأٌ مِنْكَ، وَمَعْصِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمُرَادُهُ أَنْ تُخْطِئَ خَطَأً مِنْهُ وَمَعْصِيَةٌ**، إذًا المقصود هنا ليس أن تتمنى أنت أنه يخطئ فأنت تنتصر عليه، لا، أنت تتمنى أن ممكن يبين لأخيه الحق، فإن كان هذا المقصد الذي قاله المؤلف

هنا يمكن أن تدخل في المناظرة، ولكن إن كان المقصد أنك تبين خطأ المخالف كما يحدث عند الكثير، لذلك هو قال ذلك، فهذه هي المشكلة والمعصية التي وقعت فيها لأنك تمنيت وقوع الغير في الخطأ، وكذلك هو تمنى لك ذلك.

إذًا ما الخروج؟ الخروج كما قال الآن أنك إذا كنت ولابد أنك ستناقش في المسألة فتناقش على سبيل المناصحة، بمعنى تقول له أنت كما قال أنت حجازي وأنت عراقي، أنت مثلًا حنبلي وأنت شافعي، ولا أنت كذا ولا أنت كذا، فانا عندي قولي وأدلتي هكذا، وأنت قولك هكذا، هنا المناظرة مناصحة وليست مغالبة، أي تقول له أنا أناصحك وأنت تناصحني ليست لنا مغالبة في المسألة، وليس أن يخرجوا بعد المناظرة من الذي فاز على الآخر، وكان كل واحد جالس من الأتباع يقول له لقد أفحمه في هذا الدليل، وهذا رد عليه، وهذا قضى عليه، وهذا كذا.. وكأننا في حرب! هذه ليست مناظرة محمودة عند أهل العلم، ليس هذا المراد، وتخرج القلوب فيها شحناء وكراهية وبغضاء وكل واحد يحمل على أخيه من ذلك.

فلخص لنا الإمام قال إن كانت المناظرة مناصحة وليست مغالبة فأنت تبين له الحق الذي عندك وهو يبين لك، إما هو يتبع أو لا تتبع لا يهم الآن، أنت بينت له ذلك. ثم قال فإن كان كل واحد لا يستطيع أن يفعل حتى المناصحة هذه فلا تناظر، يكفي أنك أنت عندك أقوال أصحابك وهو عنده أقوال أصحابه أن تعمل بما تعلم وهو يعمل بما يعلم ولا تجادل في ذلك حتى لا تقع في المعصية.

إذًا المناظرة تكون على المناصحة ولا تكون على المغالبة وتمني خطأ الغير، هذا الذي أراد أن يقوله، لأنه أيضًا بيَّن مسألة ستأتي في الباب الذي يليه؛ مسألة المراء في القرآن وغيره، لكن ممكن في المناظرة يقول لك هذا حديث، فتقول له كبرًا ومغالبة أن الحديث ضعيف، فتضعف حديثًا هو صحيحًا وأنت ممكن تكون تعلم فوقعت في إشكالية كبيرة جدًا خاصة لو كان المسألة فيها تواتر أو فيها قطعيات أصالة، لذلك قال: لَا نَأْمَنُ أَنْ يَقُولَ لَكَ فِي مُنَاظَرَتِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقُولُ لَهُ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، أَوْ تَقُولَ: لَمْ يَقُلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فهذا رد للسنة فأمر عظيم جدًا، لذلك من لم يستطع أن يضبط المناظرة فلا يناظر.

ثم ذكر بعض الآداب مررنا عليها يمكن من قبل بأنه الصوت يكون منخفضًا ولا يكون عاليًا ولا يكون فيها شحناء ولا بغضاء ولا علو ولا انتقاص من الطرف الآخر إلى غير ذلك من آداب المناظرة، هذه كانت تتمة الكلام في هذا الباب.

الفوائد المستنبطة:

سنختم بفائدة أو فائدتين، نحن قد ذكرنا معظم الفوائد ولكن الآن خلاصة هذا الباب قد بيناه من قبل حتى لا نكرر للوقت.

1- فيه لو تتبعنا كثير من الآثار التي ذكرت تجد أن فيها أصل واحد مهم جدًا وهو **حفظ القلب**؛ تجد أن غالب العلماء فيما نقلهم الإمام عنهم في مسألة ذمهم لمخالطة أهل الأهواء ومجالستهم وغير ذلك هو حفظ القلب، أنك تحفظ قلبك أولًا من الوقوع في الفتن، تحفظ قلبك من التعرض لما قد يشغله عن طاعة الله عز وجل، فكانت الوسائل التي تؤدي إلى عدم حفظ القلب جاؤوا فمنعوها؛ منها مجالسة أهل الأهواء، منها مناظرة أهل الأهواء، منها المجادلة والمراء مع أهل الأهواء، لأن هذا يؤدي إلى ضياع القلب، وهذا أصل أصيل عندنا في الشرع أن يحفظ المرء قلبه، فلذلك كل ما كان فيه من شهوات أو شبهات يجب المرء أن يبعد عنها، فشهوات مثل أماكن المنكر وغير ذلك، وشبهات هي ما كان فيها من البدعة، فلذلك الأصل الذي تستطيع أنك تستخلصه من هذا الباب أيضًا حرص السلف رضوان الله عليهم جميعًا على حفظ قلب المؤمن والمسلم، فلا يعرضه لما يفتنه به حتى لو كان هناك مصلحة، لكن الأصل الاصيل أن تحافظ على نفسك أولًا، وإلا فاترك لغيرك ممن أعطاهم الله عز وجل الرسوخ في العلم وأعطاهم القوة في المناظرة أن يتقدم لهؤلاء ويرد عليهم.

نحن أصلنا أصل لابد أن نبينه؛ ليس معنى ذلك بترك الجدال كاملة وترك المناظرة، بل لابد لمن يتصدى لهؤلاء المبتدعة ويرد عليهم بدعتهم ولكن يكون من أهل العلم الراسخ في ذلك، ومعه الآلة التي يستطيع أن يرد بها على هؤلاء ويحفظ فيها قلبه.

2- أيضًا من الفوائد في هذا الباب أن العلماء قدموا الاشتغال بالطاعة عن مسألة المناظرة والمجادلة والكلام مع أهل الأهواء؛ أي يقدمون الأوقات تكون في طاعة الله عز وجل، لذلك بعضهم رفض أنك ترد عليهم ولا تجالسهم ولا تكلمهم ولا تفعل شيء وينشغل بطاعة الله، قدموا الطاعة لله عز وجل وأن المرء يفعل ما يرضى به عنه الله عز وجل عن مجالسة هؤلاء المبتدعة وأهل الأهواء.

3- وآخر فائدة من الفوائد قد تكون إلماحًا وإن كانت تصريحًا وهو قول الأعرابي لأبي دؤاد "يا لكع بن لكع" وهذه من الكلمات الشديدة لو قلنا؛ فقد تكون مسبة أو تكون فيها ما فيها من التعدي، وهذا يسمى فُحش الكلام، لكن يقال فحش الكلام يغتفر مع فحش الذنب لأنه قال له "يا لكع بن لكع" وهذه ليست كلمات هينة، وهذه نقول فحش الكلام يغتفر مع فحش الذنب إذا كان الذنب عظيمًا، فيمكن لك ولو كنت في موقف تحتاج فيه إلى أن ترد بفحش في الكلام لتدحض سوء المخالف فلا بأس، قال الله عز وجل:{ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ } [النساء:148]، ولا أعظم من الظلم أن يتعدى على الله عز وجل، أو على النبي صلى الله عليه وسلم، أو يكون الرجل صاحب بدعة أيضًا، وهذا الذي جعل الأعرابي أن يقول لابن أبي دؤاد لأنها كانت الفتنة عظيمة، ولها نظير لو تذكروا نظير في صلح الحديبية لما جاء عروة وكان من كفار قريش وجاء أراد أن يستهزئ بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم:[فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ]، فقال له أبو بكر كلمه شديدة جدًا، سبه مسبة شديدة، فقال من القائل؟ قال أبو بكر، قال: [لَوْلَا يَدٌ لَكَ عِنْدِي لَكَافَأْتُكَ بِهَا]، لرددت عليك، والنبي جالس، سبه ومسبة عظيمة ليست هينة، لكن لأن المقام كان فيه فحش من الرجل في الذنب، يتعدى على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال نحن نفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم

سبه مسبة. فقالوا هنا إن استدعى الأمر الفحش في الكلام لأن هناك فحشًا في الذنب فلا حرج في ذلك ان استدعى الأمر. هذا مناسبة ما قاله الأعرابي لابن أبي دؤاد "يا لكع بن لكع".

وهذا اخر الكلام في هذا الباب، ونكون الحمد لله انتهينا من هذا الباب، ثم إن شاء الله نستقبل الأسبوع القادم بإذن الله تعالى **بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ** نسير فيه مثلما نسير به على أبواب الكتاب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة العشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– واليوم ندخل في باب جديد من أبواب هذا الكتاب المبارك وهو **بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ**،ونقرأ أولًا ثم نبين.

14-بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

140 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: أنا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»

141- حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى التَّيْمِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»

142- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيُّ: إِنِّي سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: هَاجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِذْ سَمِعَ صَوْتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ»

143- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أنا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا يَتَدَارَءُونَ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَإِنَّمَا كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ»

144- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ قَالَ: أنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّ الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»

145- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ أَبُو حَاتِمٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَاكَرُ عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، يَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ وَهَذَا بِآيَةٍ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَأَنَّمَا صُبَّ عَلَى وَجْهِهِ الْخَلُّ، فَقَالَ: «يَا هَؤُلَاءِ، لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَإِنَّهُ لَمْ تَضِلَّ أُمَّةٌ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا باب جديد وهو **بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنِ الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ** كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بل اشتد النهي في ذلك وجاء التغليظ من النبي صلى الله عليه وسلم على النهي عن المراء في القرآن، وهذا يجعلنا أولًا نتكلم عن معنى القرآن.

ما معنى كلمة القرآن؟

معنى القرآن في اللغة:

القرآن قد تذكر مهموزة (القرآن) أو غير مهموزة (القران) وهذه لغة أيضًا غير المهموزة ذكرها الشافعي – رحمه الله تعالى– وهو إمام محتج به في اللغة ذكر القرآن بغير همز وهي معلومة عند كثير من علماء اللغة أن يأتي القرآن غير مهموز، وهنا مشتق من قرن الشيء إلى الشيء؛ أي جمعه بعضه إلى بعض، جمعته بعضًا إلى بعض.

وسمي (القرآن) بذلك الذي هو مهموزًا لاقتران السور والآيات والحروف، وهو مشتق من القرائن لأن آيات الله عز وجل يصدق بعضها بعضًا، فالإستفادة جاءت من الإقتران أو من القرينة، وهذا صحيح لأن كل أحكام الكتاب والآيات يصدق بعضها بعضًا. لكن المشهور على أنه مهموز؛ أي يقرأ (القرآن) وهو مشتق من القراءة هنا، مصدر قرأ أو قرأت الكتاب قراءة كما قال تعالى:{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ، فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ} [القيامة: 17-18].

أيضًا قالوا القرآن هو عَلَم على كتاب الله عز وجل، كما قال الشافعي قال: "هو عَلَم على كتاب الله عز وجل" وهو أولًا علم على كتاب الله عمومًا أي أن هذا كأنه ممكن أن يطلق على غير الكتاب المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الكلام له أصل كما قال هنا فيما قرأناه حديث (144) حديث عبد الله بن عمرو قال: **دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّ الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»** الأمم الذي من قبلنا اختلفوا في القرآن، إذًا يصح أن تقول بأن القرآن اسم علم على الكتاب المنزل من عند الله عز وجل حتى لو لم يكن الكتاب الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي اكتاب الذي نزل على عيسى، الكتاب الذي نزل على موسى يصح لهذا الحديث الذي قلناه الآن أن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم فلا تختلفوا فيه أي في القرآن **ودَعُوا الْمِرَاءَ فِي**

الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ. إذًا هو اسم علم على كتاب الله عز وجل واسم علم على الكتاب الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

معنى القرآن في الإصطلاح:

القرآن هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، الموصول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه.

كلام الله؛ وهذا طبعًا معنى أضيف إلى الله، وقلنا الإضافة إلى الله على معنيين؛ إضافة صفة لموصوف أو إضافة أعيان قائمة بذاتها، فلما نقول كلام الله إذًا صفة لله عز وجل وهي صفة ثابتة لله عز وجل، وهي صفة الكلام، وأن الله عز وجل يتكلم بصوت وبحرف مسموع. "كلام الله" الإضافة هنا إضافة صفة لموصوف؛ أي إضافة معاني ليست أعيان قائمة بذاتها بخلاف لو قلت عيسى روح الله، ناقة الله وسقياها، الكعبة بيت الله هذه إضافة أعيان، لكن هذه إضافة معاني أي صفات؛ كلام الله رحمة الله، سمع الله وغير ذلك.

المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ وهنا يفيدك على مسألة مهمة؛ منزل على محمد صلى الله عليه وسلم أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع القرآن مباشرة من رب العالمين لأنه قال "منزل" هناك وسيط، والوسيط هو جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن، قال تعالى:{ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ، نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء:192-195]، فهنا دل ذلك على أن القرآن سمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل الذي سمعه من رب العزة سبحانه وتعالى.

الموصول إلينا بالتواتر؛ وهذا مهم لماذا؟ حتى يخرج بعض القراءات التي لم تصل إلينا بالتواتر، قال تعالى:{ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ} [البقرة:196]، قراءة متواترة {فَصِيَامُ

ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ} ورد عن ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) قراءة لابن مسعود لكن قراءة شاذة أي لم تصل لنا بالتواتر، فلا يستدل بها على الحكم الشرعي فلا تكون قرآنًا، وإن قلنا أنه قول صحابي لكن لا تقول قرآن، لو قلت بأنه قول صحابي من باب هنا إثبات الحكم على نحن قول الصحابي إن لم يخالفه طبعًا صحابي آخر أو خالف الكتاب، لكن نقول هو ليس قرآنًا مع أنه قد تلاه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأنه لم يصل إلينا بالتواتر، القراءة هذه لابن مسعود قراءة شاذة ليست متواترة. وطبعًا هذا التعريف مهم لأنه له تاثير في الفقه، لأن بعض المذاهب بيأتوا في بعض القراءات هذه ولا يستدلون بها الأحكام الشرعي، منها الآن مسألة الصيام ثلاثة أيام متواليات لا نقول به لأنه ليس قرآنًا، هو ورد عن ابن مسعود فقط.

المتعبد بتلاوته؛ وهنا يخرج لنا الحديث القدسي على القول بأن الحديث القدسي لفظًا ومعنى من الله عز وجل كالقرآن لفظًا ومعنى أيضًا، لكن الفارق بأن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته ولا يستطيع أن تصلي به، لكن القرآن يصلي به ويتعبد بتلاوته. فهنا لما قلنا "المتعبد بتلاوته" حتى نخرج الحديث القدسي على قول من قال بأنه لفظًا ومعنى من الله عز وجل.

المتحدى بأقصر سورة منه؛ وهذا من باب الإعجاز لأن الله عز وجل قال:{ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [البقرة:23]، فتحدى الله عز وجل قريش، وكانوا أهل بلاغة وفصاحة وكانوا يلقون الشعر بالمئات من الأبيات بل بالآلاف في مناسبات وارتجالًا أحيانًا أيضًا، فجاءهم القرآن فيه معجزة في أن الله عز وجل تحداهم أن يأتوا بآية، أول شيء بسورة أو بعشر آيات أو بآية، وكل هذا من باب التحدي على أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بذلك، لأن هذا الكلام من عند الله، كلام الله عز وجل ليس بكلام بشر، فهم اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم أنه من شعر الجاهلية، وأنه يعلمه ساحر، إلى غير ذلك، فتحدى الله عز وجل أن يأتوا بسورة من مثله. فهذا معنى القرآن.

هذا الباب العظيم فيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المراء في القرآن، والنهي هنا جاء من الأحاديث التي قرأناها منها قول النبي صلى الله عليه وسلم **الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ** ، وأيضًا **دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ**، وقال **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ**. فكل هذه أحاديث وآثار على ذم المراء في القرآن.

الأحاديث جاءت أولًا فيها بيان الذم، ثانيًا بيان الحكم لأن جاء الحكم أن المراء في القرآن كفر، وقبلها جاء بيان الذم.

معنى المراء في القرآن:

فيه أكثر من معنى لأنه قد يكون المراء في القرآن من باب الألفاظ أي المراء المجادلة في آيات القرآن وطرق التلاوة، وقد يكون المراء في القرآن من جهة المعنى، وهذا سنبينه، فمن جهة التلاوة كما سيأتي معنا بأن القرآن قرأ على سبعة أحرف، وطبعًا أول ما نزل نزل على حرف واحد، والعرب كانت تختلف اللهجات في القبائل، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا ربه بأنه يوسع في ذلك أو يكرمه بأن ينزل القرآن بأحرف أخرى، بلهجات أخرى، حتى تستطيع كل قبيلة أنها تقرأه بما تعلمه لأن هناك بعض الحروف، فممكن أن تقول "إتي" أي يأتي، أو قَدِم، كل هذه مفردات لكلمة تختلف اللهجات فيها باختلاف القبائل. فالله عز وجل أنزله على حرفين بعد ذلك فأراد النبي صلى الله عليه وسلم التيسير أكثر، فكان ينزل الله عز وجل الآيات القرآن على سبعة أحرف؛ أي زاد في حرفين ثلاثة أربع حتى وصل إلى سبعة أحرف؛ أي لهجات قبائل العرب المختلفة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُقرئ هذه القبيلة بلهجتها ويقرئ هذه بلهجتها ويقرئ هذه بلهجتها، فكما جاءت الآثار تبين من أثر عمر – سيأتي معنا وغيره – وبعض الصحابة فكانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بلهجة، ويسمعون من صحابي آخر يقرأ بحرف آخر بلهجة فيحدث بينهم خلاف، فيأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقولون كما جاء ابن مسعود وجاء عمر يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول

"إقرأ" ويقول "إقرأ"، فيقول "أنزل على هذا وأنزل على هذا إقرأوا بما تعلمتم ولا تتماروا في القرآن" أي لا تختلفوا في هذه القراءات. فأنزل الله القرآن بذلك، فهذا نوع من أنواع المراء الذي هو الاختلاف على القراءات.

لماذا جاء هنا المراء كما سنبين؟ لأنك أنت تعلم لغة وكان غيره يعلم لغة أخرى فيظن أن هذا ليس بقرآن، وهذا يظن أن ليس بقرآن، فيحدث التنازع وقد يرد القراءة لأنه لا يعلمها فيرد القرآن، لذلك قال "كل يقرأ بما تعلَّم وكله نزل من عند الله عز وجل". فكان هذا نوع من المراء في القرآن من باب الألفاظ، وجاء النهي حتى لا يُكَذِّب أحد آيات نزلت وسمعها من غيره ولا يحدث التنازع بذلك.

وقد يأتي المراء هنا من باب المعاني، وهذه طبعًا أوسع، وهذه قد تكون مقصودة وقد لا تكون مقصودة، أي ما حدث في الاختلاف في اللهجات لم يكن يعلمونها الصحابة، فابن مسعود لما قال للرجل إقرأ بعشر آيات من الفرقان فقرأ بغير قرآءة ابن مسعود، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله، وعمر لما سمع أيضًا كما سيأتي الرجل يقرأ بقراءة غير الذي يقرأها فجذبه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له يقرأ بغير ما أقرأتني يا رسول صلى الله عليه وسلم، فقال إقرأ يا عمر ثم قال إقرأ، فقال "هو بكل نزل". فهذا كان فقط لأنهم كانوا لا يعلمون ذلك. لكن هناك مراء في القرآن وهو الذي قد يصل فيه إلى الكفر، والنبي صلى الله عليه وسلم يبينه، وسنبين مسألة الحكم الذي ذكر.

صور المراء في القرآن:

1- منها أنك تشكك؛ المراء في القرآن أي **التشكيك في القرآن** من النهي عن المراء في القرآن، من جاء يشكك في القرآن، وهذا قد حدث من كفار قريش لما اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مسحور قالوا:{ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ} [المدثر:24-25]، فقال الله عز وجل: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ} [المدثر:26-27]، فجاؤوا يشككون في القرآن. فمن المراء في

القرآن كما كان يفعل كفار قريش ويقولون أنه سحر بل قالوا:{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} [النحل:103]، فهم قالوا بأن هناك من يُعلمه وسموا رجل من الأعاجم، والله عز وجل أنزل بأن هذا مراء وهذا تشكيك في القرآن:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ } [الفرقان:4]، فكل هذا كان تشكيكًا فيما أنزل الله عز وجل،{ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان:5]. وكل هذا كما قلت من باب التشكيك.

والله عز وجل يقول:{ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} [النساء:166]، فكان هذا ردًا على كل من بدأوا بالتشكيك في القرآن من كفار قريش ومن جاءوا من بعدهم من أهل البدع والضلالة الذين يشككون في القرآن، منهم ممكن تسحب على ذلك الذين قالوا بأن القرآن مخلوق كما حدث في فتنة خلق القرآن، لأنه يشكك في القرآن أنه ليس من عند الله عز وجل؛ أي هذا ليس كلام الله عز وجل ويقولون القرآن مخلوق أيضًا، وطبعًا نحن لا نتعرض للحكم هنا الآن في المسألة سنتكلم عنه، لكن نتكلم عن صور المراء والتشكيك. من صور المراء في القرآن منها صورة التشكيك في القرآن.

2- منها أيضًا الذين **يحرفون القرآن**؛ تشكيك هم يدعون التأويل فيحرفون آيات من القرآن؛ سواء التحريف الباطني الذين هم الباطنية أو الذين يحرفون بعض آيات الصفات وغير ذلك ويقولون تأويلا فهذا أيضًا كله من باب المراء في القرآن بالتشكيك فيه.

3- وقد يكون المراء في القرآن **بالكلام بغير علم فيه**؛ أي أنك تتكلم في القرآن بغير علم وهذا من أعظم الأمور، وكان السلف الصالح بل أعظم الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه كانت ترتعد فرائصه ممن يسأله عن آية في القرآن وفي كتاب الله عز وجل ويقول: [أيُّ سماءٍ تُظلُّني, وأيُّ أرضٍ

تُقِلُّني إذا قلتُ في كتابِ اللهِ بغيرِ علمٍ] وما من أحد إلا وقاف عند كتاب الله عز وجل، فإن علم قال وتكلم بما علم وإلا قال جهلت ولا أعلم. وأيضًا ابن عمر لما جاء أحد الناس يسأله عن تفسير آية من آيات الكتاب فقال: "اذهب إلى هذا الحبر" وأشار إلى ابن عباس، قال: فاسأله وارجع لي، فذهب فسأل ابن عباس فأجابه، ثم رجع فأخبر ابن عمر رضي الله عن الجميع، قال: **[نِعمَ تُرجَمانُ القرآنِ ابنُ عبَّاسٍ]** . فكانوا يتورعون بل يقفون عند الكلام في التفسير في آيات الله عز وجل بدون علم. فالكلام في القرآن بغير علم من المراء.

وللأسف يكثر هذا الأمر في زمننا هذا، تجد كل واحد الآن قرأ بعض القراءات يجلس مجالس التفسير والتدبر وغير ذلك في كتاب الله عز وجل، وأنا أعجب من كثرة هذه المجالس حقيقة، السلف كانوا لا يتجرأون على التفسير، هذا عظيم جدًا أن تفسر كلام الله عز وجل، فكيف تتجرأ على أنك تدخل في التفسير تتكلم بغير علم، بغير أصول! لأنك تتكلم عن رب العالمين. أنت تفسر كلام الله عز وجل فأنا ما أدري كثرة هذه المجالس التي يتكلمون عنها في التدبر وغير التدبر، أليس التدبر هذا تدبر في آيات الله؟! كيف ستتدبر وأنت لم تعلم كتاب الله! لابد أن تتعلم كلام الله عز وجل أولًا وتفهم التفسير، ثم بعد ذلك إن أردت وأعطاك الله عز وجل التفكر والتدبر فيكون مبنيًا على أصول، لكن الذي بيحدث غير ذلك! الذي بيحدث بأن كل واحد بيجلس يتدبر كما يريد، ويفكر في الآيات كما يريد، ولا يكتفي بأنه حتى أولًا أنه يطلع على أصول كتب التفسير المعتمدة لكنه يتكلم فيأتي بالأعاجيب، والأخوات تأتي بالأعاجيب، كله بيأتي بالأعاجيب.

لكن إن كان من أهل العلم يقرأ في كتب من أهل العلم بيقرأ ليس عليه شيء، لكن يتكلم من نفسه ويتدبر هو من نفسه ويكلم الناس، من أين ذلك! فهل ممكن أحد يتكلم في الفقه بدون أن يكون درس الفقه فيقول نتدبر الأحاديث ونستخرج أحكام فقهيه ولم يكن اطلع على كلام الفقهاء! هذا مجنون، فما بالك بكلام رب العالمين أنت كيف تتكلم فيه! ابن عمر قال اذهبوا إلى هذا الحبر – ابن عباس– المسألة

ليست بالهينة، الآن يوجد تجرؤ على هذه المسألة حقيقة، ناهيك عن الغلطات والأغاليط فيما يقال بل تدبرات عجيبة بتأتي أصالة.

4- أيضًا من المراء **تخطئة البعض لبعضهم البعض في قراءات أحرف القرآن**، وقلناها الآن كما حدث مع ابن مسعود وعمر بن الخطاب أنهم كانوا يخطئوا بعضهم بعضًا في القراءات، وكما حدث من ابن عمر بن الخطاب لما سمع هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأه له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إقرأنيها قال وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهله، أي كأنه كان سيضربه، أو يقوم عليه،[سَمِعْتُ هِشامَ بنَ حَكِيمِ بنِ حِزامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقانِ علَى غيرِ ما أقْرَؤُها، وكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أقْرَأَنِيها، وكِدْتُ أنْ أعْجَلَ عليه، ثُمَّ أمْهَلْتُهُ حتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ برِدائِهِ، فَجِئْتُ به رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلْتُ: إنِّي سَمِعْتُ هذا يَقْرَأُ علَى غيرِ ما أقْرَأْتَنِيها، فقالَ لِي: أرْسِلْهُ، ثُمَّ قالَ له: اقْرَأْ، فَقَرَأَ، قالَ: هَكَذا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قالَ لِي: اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ، فقالَ: هَكَذا أُنْزِلَتْ إنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ علَى سَبْعَةِ أحْرُفٍ، فاقْرَؤُوا منه ما تَيَسَّرَ] .

5- المعنى الآخر وهو **ضرب آيات الله عز وجل المتشابهة بعضها ببعض** وهذه من أخطر أنواع المراء في القرآن؛ وهو أن يضرب آيات الله المتشابهة، وهذا وقع فيها طبعًا كما في سورة ال عمران: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ } [آل عمران:7]، فهنا توجد آيات ظاهرها التعارض فيأتي هؤلاء نقول إما بجهل أو بسوء قصد أو بعدوان وظلم فيضربون آيات الله المتشابهة بعضها ببعض، كما في بعض الفرق آيات الوعيد والوعد؛ ما فعله الخوارج، ما فعله المعتزلة، ما فعله القدرية أيضًا، وهذا الذي جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي قرأناه الآن حديث (143) سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا يَتَدَارَءُونَ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَإِنَّمَا كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ»

انظر.. هنا أصبح هذا نوع آخر من المراء بأنهم يضربون آيات الله بعضها ببعض، وهذا قد حدث؛ بعضهم إما يأخذ بجانب أحاديث الوعيد أو جانب أحاديث الوعد أو يضرب كما جاء من قول الله عز وجل:{ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء:78]، ثم قال الله عز وجل: {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ } [النساء:79]، هم يقولون أنكر عليهم قال الله عز وجل: :{ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ } ، فهؤلاء ما فقهوا، ضربوا الآيات بعضها ببعض، قالوا كيف يقول الله عز وجل في أول الآيات ينكر عليهم أنهم قالوا ذلك ثم الله عز وجل يقول :{ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ } يضربون هذه الآيات بعضهم، فهم طبعًا لم يستوعبوا الآيات، هو الآية الأولى من باب القدر {كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ}، والآية الأخيرة {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ } من باب الأسباب؛ أنت الذي تسببت في السيئة فجاءتك، والله عز وجل من عليك بالحسنة من عنده لما فعلتها، فالآية الأولى كونًا كله بقدر الله، والثانية أنت السبب في هذه السيئة لأنك أنت التي فعلتها، فهم لم يفهمون ذلك فضربوا الآيات بعضها ببعض، وهذا الذي نهى عنه الله عز وجل. لذلك آيات القدر لابد تُحمَل جميعها وإلا بعض الناس وقعوا مثل القدرية النفاة والجبرية وغير ذلك، فهم نفوا؛ أخذوا آيات وضربوها بعضها ببعض.

فآيات القدر لابد أن تجمع بعضها ببعض لأن منها قدر بيكون كونًا وفي منه شرعًا كما في هذه الآية، فلابد أن تجمع الآيات بعضها ببعض، وأكثر ما وقعوا فيه في ضرب الآيات القدرية وأيضًا كما حدث في الخوارج ضرب الوعيد والوعد لما قالوا أن صاحب الكبيرة في النار وحملوا آيات الوعيد للكفار على عصاة المسلمين، فهذا كله من باب ضرب الآيات بعضها ببعض، وهذا كله مراء في القرآن، وهذه كلها أنواع من أنواع المراء الذي جاء في القرآن.

هذه كانت الجزئية الأولى في مسألة المراء وأنواع المراء الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

المسألة الأخرى التي معنا الآن حكم هذا الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ وذكر في الحديث وذكر في رواية الأخرى ثم أيضًا تكلم عن أن الأمم السابقة لعنوا في القرآن أنهم أيضًا اختلفوا فيه قال وأن الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ.

هنا أهل العلم اختلفوا في هذه المسألة؛ الكفر هنا ما هو نوعه، هل هو الكفر الأكبر؟ أم هو الكفر الأصغر؟ أم هو ليس بكفر ولكنه وسيلة إلى الكفر لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال بأنه كفر؟

كل من هؤلاء العلماء لهم قول في هذه المسألة في قول النبي صلى الله عليه وسلم مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ . وعندنا قاعدة ليست مطردة – أقول ليست مطردة – وهي عند شيخ الإسلام ابن تيمية حتى ما أحد يطير بها ويأتينا بالاستثناءات؛ بأن "إذا جاء الكفر منكرًا إلا وكان يقصد به الكفر الأصغر" إذا جاء الكفر نكرة فالأصل فيه أن يقصد به الكفر الأصغر، وقلت هذه قاعدة أغلبية وليست مطردة وإلا قد يخالَف ذلك بالقرائن وبحالات أخرى.

فلو قلنا قصد النبي صلى الله عليه وسلم قال الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ لو رجعنا إلى ما قلناه في معنى المراء إما أن كان تشكيكًا، أو كان قول بغير علم، أو كان ضرب الآيات بعضها ببعض، أو كان منازعة في قراءة الأحرف، فلا شك بأن فيها ممكن أن يكون كفرًا أكبر، وفيها ممكن أن يكون كفرًا أصغر، وفيها ما يكون وسيلة للكفر.

فلو قلنا على أنه يقصد بها الكفر الأكبر؛ الكفر المخرج من الملة، فتحمل على أن المراء هنا في القرآن هو الشك، هو الشك في القرآن الذي يؤدي إلى الكفر، قال

الله تعالى:{ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} [هود:17]، ستشكك مثل ما قال الكفار قالوا هو ساحر، يعلمه بشر، يشككون في الآيات، فنقول هنا إذا أخذنا على أنه كفر أكبر هيكون هنا على أن المراء هنا من باب التشكيك في القرآن كما كان يفعل كفار قريش.

والتشكيك في القرآن لا شك بأنه ناقض من نواقض الإيمان؛ قال الله عز وجل: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ } [الحجرات:15]، وقلنا من شروط لا إله إلا الله اليقين المنافي للشك، فهنا هتحمل الكفر على أحد المعاني طبعًا لأنك لن تستطيع أن تقول بأن المراء في القرآن كفر فتقول على كل ما قلناه من معاني المراء أن تحملها كلها على الكفر الأكبر! لا، لابد أن توجه هنا الحكم من الكفر الأكبر إلى أنه من باب التشكيك، وهذا من أنواع المراء.

أما لو قلت بأن الحكم على المعنى الثاني وهو كفر أصغر وليس بكفر أكبر في المعاني الأخرى مع أنه ظاهر بأنه ليس كفرًا حتى أصغر، لما تقول مثلًا الكلام بغير علم لن تقول كفر لكن معصية، والمنازعة في أحرف القرآن لن تقول كفر، حقيقة هي معصية وهي خطيئة لكن ممكن يحُمل على الكفر الأصغر على أن بعض أهل العلم كانوا يقولون قاعدة عندهم: "كل أمر أو خطيئة وقع فيها المرء وسماها النبي صلى الله عليه وسلم كفرًا وجاءت الأدلة على أنه ليس بكفر – أي الذي يفعل ليس بكافر هو من المسلمين– فهو سُمي كفرًا من باب الوسيلة"؛ أنه وسيلة للكفر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ]** هو سماه كفر وهو خطيئة ولكن جاءت الأدلة أن القاتل ليس بكافر؛ هو من المسلمين. إذًا هنا يقصد به هنا أنه قد يكون وسيلة للكفر الأكبر فلذلك أنزلوه منزلة الكفر الأصغر الذي ليس مخرج من الملة. فالنبي صلى الله عليه وسلم سماه كفر لكن الأدلة جاءت بأن الفاعل ليس بكافر، إذًا هو ليس بكفر أكبر فقلناه بكفر أصغر على ظاهر النص، لكن هو المقصود به أنه وسيلة للكفر.

المعنى الثالث أنك تقول أنه كبيرة وأنه ممكن يؤول إلى الكفر؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال كفر لا يقصد لا كفر أكبر ولا كفر أصغر لكن ممكن يؤول إلى الكفر، وهذا كأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله من باب أنه يؤول إلى الكفر أي هو كبيرة فقط لأنه لا شك أن هناك بعض الأمور ليست بكفر أصغر أيضًا أي مجرد أنها كبيرة فممكن تؤول إلى الكفر هذا إن كان فيه جحود؛ أي جاءته القراءة فجحد القراءة – طبعًا أتكلم على السبعة أحرف – فجحدها مثلًا أو أنكرها، هو لا يعلم أنها قراءة أخرى ثم أنكرها بعد ذلك، قال الله عز وجل:{ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ} [العنكبوت:47]. فالأول قلنا أنك أنكرت بجهل، إذًا هتقول هنا المعصية، فهو وقت ما أنكر بدون علم فتكون الكبيرة التي يقصدها ، لكن لو جحد فقد انتقل.

ما الذي جعلنا نقول هذا التوجيه كله؟ لأن الأحاديث التي جاءت بعضها فيها مراء قد يكون فعلًا ظاهر كفر، ومراء معصية ليس بكفر، فالعلماء قالوا إذًا هو النبي صلى الله عليه وسلم نظر هنا إلى ما يمكن أن يؤول إليه، إذًا إما يكون كفرًا أكبر، ممكن يكون كفرًا أصغر، ممكن يكون معصية لكن قد تؤول إلى الكفر فسماه ذلك في بعضها كفرًا على هذه المسألة.

إن كان ضرب الآيات بعضها ببعض على هوى وانتصار لطائفة ويتقصد ذلك فهو طبعًا ممكن يؤدي به إلى الكفر، وإن كان بجهل كما حدث من بعض الطوائف فهناك طوائف محسوبة من الإسلام ولكنهم خالفوا أهل السنة والجماعة بضرب الآيات بعضها ببعض مثل الخوارج بأنهم ليسوا كفارًا كما قلنا لكن ضربوا آيات الوعد بالوعيد، والقدرية أيضًا بعضهم الجبرية والقدرية النفاة الذين لم يكفرون أهل السنة والجماعة ضربوا آيات القدر أيضًا بعضها ببعض، فهذا ليس بكفر لكنه فيه ما فيه من ضرب الآيات بعضها ببعض.

هذا الحكم الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم لكنه لا شك باختلاف هذه الأحكام أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين العاقبة أو المآل، والمآل مذموم لأن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، إذًا اللعن جاء بماذا؟ بالإختلاف، وقال: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ وهذه مسألة مهمة جدًا. النبي صلى الله عليه وسلم قال أولًا حديث (143) إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، فبين أن المآل هو الهلكة، وبين أن الذين أُهلكوا من قبل أهلكوا بسبب ضرب كتاب الله عز وجل بعضه ببعض، فقال: وَإِنَّمَا كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ. وبين بعد ذلك أيضًا في الحديث (145) قال: لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَإِنَّهُ لَمْ تَضِلَّ أُمَّةٌ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، والحديث (144) قال: دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، إذًا هذا كله في المآل، إذًا المآل أولًا الهلكة، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الاختلاف والمراء في القرآن والجدال في القرآن سيؤدي إلى الهلاك كما حدث في الأمم السابقة، كأن النبي صل عليه وسلم يقول لو اختلفتم في الكتاب فانظروا إلى ما حدث للأمم السابقة؛ سبب هلاك الأمم السابقة اختلافهم في الكتاب والمراء في الكتاب فان أردتم ألا تهلكوا فاتركوا المراء والاختلاف في القرآن.

قال الله عز وجل:{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} [آل عمران:105]، وقال عز وجل:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ } [الأنعام:159]، فهو يريد أن يقول أن هذا كان سبب للهلاك. إذًا علينا بأننا نتقي هذا السبب. أيضًا ثم بين المآل وهو اللعن، وأنهم لُعنوا بسبب أيضًا مراءهم في القرآن، وهذا إن دل دل على أن النبي صلى الله عليه وسلم – وهذا أصل آخر كنا سنتكلم عنه في الفوائد – بأن النبي

صلى الله عليه يحذرنا دائمًا من التشبه بالأقوام السابقة، لأنه الأحاديث التي تبين ربط لنا بأن هذا ما كان يحدث في الأقوام السابقة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:[**ليس مِنَّا مَنْ تشبَّهَ بِغَيْرِنا**] فحتى في هذا الباب؛ باب التشبه بهم في هذه المسألة، نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

وطبعًا الأدلة طافحة في السنة لأن التشبه بالكفار أو بأهل الكتاب على درجات عند العلماء، منهم من يكون كفرًا ومنهم من يكون خلاف الأولى، مثل حديث [**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ**]، وأيضًا حديث ذات أنواط [**قُلْنا : يا رسولَ اللهِ اجعَلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (اللهُ أكبَرُ إنَّها السَّنَنُ هذا كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى : اجعَلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ**]. والأدلة كثيرة جاءت على تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع سنن من كان قبلنا.

بل أنت لو نظرت إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء كبيرًا كان أو صغيرا في الفقهيات وحتى في أمور العقيدة تجد أنه كان يحرص على مخالفة الكفار، حتى في حجه كان حريصًا في المناسك على أن يخالف ما كان في المناسك في الجاهلية حتى أنهم قالوا ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا إلا خالفنا فيه، بتغييره ليوم عرفة والمزدلفة والنفور في الإصفرار وغير ذلك، بل حتى في اللبس فنهى عن التشبه حتى في السراويل، وأمرنا بالصلاة في النعال على غير ما قالوا، وغير ذلك. فكل هذا جاء الشرع ليبين لنا على مسألة أننا لابد أن نخالف هؤلاء.

ثم ذكر كما قال: **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ** أيضًا فبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وطبعًا قصص كثيرة لو قلت أيضًا قصة الذين فعلوه صراحة في اختلافهم في التوراة ما حدث من الرجل والمرأة الذين زنيا فجاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم وكان عبد الله بن سلام وقتها كان قد أسلم وعند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال ماذا تجدون في القرآن؟ قالوا التحميم، قال ائتوني بالتوراة، فأتوا بالتوراة فقرأوا فوضع الرجل يده على الحكم، فقال عبد الله بن سلام

ارفع يدك يا عدو الله، فرفع وجد الرجم في لهما التوراة. فكانوا أيضًا يختلفون على كتبهم أيضًا، فالنبي صلى الله عليه وسلم رجمهما. وهذا طبعًا كان في الكفر الواضح الصريح.

من ذلك أيضًا تسحب هذا الكلام على ما حدث في التأويل في القرآن والاختلاف، فلما يقول الله عز وجل: { يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ } [الفتح:10]، فيقول لك نعمة الله، قدرة الله،{تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا} [القمر:14] تجري برعايتنا،{ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه:5] استولى! فهذا كله من باب الاختلاف والمراء في القرآن والتحريف، كما فعل من قبلهم اليهود والنصارى في التحريف أيضًا هؤلاء يفعلون في ذلك.

وطبعًا الباطنية الذين قالوا في {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ } [البقرة:67]، فقالوا بقرة من؟ رضي الله عنها – نعوذ بالله من ذلك – فهذا تحريف، فكل هذا من صور التحريف والتلاعب الذي ذم النبي صلى الله عليه وسلم الأمم السابقة ونهانا وحذرنا من أننا إذا وقعنا في هذا سنهلك – والعياذ بالله –كما هلكت الأمم السابقة.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: عَرَفْنَا هَذَا الْمِرَاءَ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ , مَا هُوَ؟ قِيلَ لَهُ: نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَمَعْنَاهَا: عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَقِّنُ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْقُرْآنَ عَلَى حَسَبِ مَا يَحْتَمِلُ مِنْ لُغَتِهِمْ، تَخْفِيفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا رُبَّمَا إِذَا الْتَقَوْا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَيْسَ هَكَذَا الْقُرْآنُ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعِيبُ بَعْضُهُمْ قِرَاءَةَ بَعْضٍ فَنُهُوا عَنْ هَذَا: اقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ، وَلَا يَجْحَدُ بَعْضُكُمْ قِرَاءَةَ بَعْضٍ، وَاحْذَرُوا الْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ فِيمَا قَدْ تَعَلَّمْتُمْ، وَالْحُجَّةُ فِيمَا قُلْنَا

146 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ لِرَجُلٍ: أَقْرِئْنِي مِنَ الْأَحْقَافِ ثَلَاثِينَ آيَةً، فَأَقْرَأَنِي خِلَافَ مَا أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ لِآخَرَ: أَقْرِئْنِي مِنَ الْأَحْقَافِ ثَلَاثِينَ آيَةً، فَأَقْرَأَنِي خِلَافَ مَا أَقْرَأَنِي الْأَوَّلُ، وَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَهُ جَالِسٌ فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: قَالَ لَكُمْ: «اقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ»

هذا يبين لك بأن النبي صلى الله عليه وسلم غضب لما رآهم يتكلمون خوفًا، وطبعًا هنا لابد أن نعلم الحكمة لأن هم الآن سيردون القراءات وسيردون كلام الله عز وجل فيهلكون بذلك، فأراد أن يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كل من علم شيئًا يقرأ به ولا ينكر على الآخر.

147- وَحَدَّثَنَا أَيْضًا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أنا شَرِيكٌ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةً، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَقُلْتُ: أَفِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا أَقْرَأُ فَقَرَأَ السُّورَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ بِخِلَافِ مَا أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالرَّجُلُ، وَإِذَا عِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفْنَا فِي قِرَاءَتِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالِاخْتِلَافِ، فَلْيَقْرَأْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا أُقْرِئَ»

وهنا طبعًا أحال على الاختلاف الذي حدث في الأمم السابقة والهلاك الذي قد بيناه من قبل.

148- وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: أنا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا، فَأَخَذْتُ بِثَوْبِهِ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ: «اقْرَأْ» فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهَا مِنْهُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَصَارَ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرًا بِهَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ هَذَا: قِرَاءَتِي أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: بَلْ قِرَاءَتِي أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَقِيلَ لَهُمْ: لِيَقْرَأْ كُلُّ إِنْسَانٍ كَمَا عَلِمَ، وَلَا يَعِبْ بَعْضُكُمْ قِرَاءَةَ غَيْرِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ

طبعًا هنا الإمام – رحمة الله عليه – بين لنا الحكمة من ذلك لأن هذا يدعي أن قراءته أفضل من هذا، وهذا كله كلام الله، بل قد يرد الكتاب، قال: **وَيُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا** وهذه المصيبة؛ التكذيب، لذلك قال: :**لِيَقْرَأْ كُلُّ إِنْسَانٍ كَمَا عَلِمَ** ولا أحد يعب على الآخر. ثم أحال إلى أن الأصل في القرآن– وهذا هو الأهم– القرآن نزل للعمل، للتقوى، للعمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه، والاعتبار بالأمثال التي في القرآن. طبعًا المتشابه هنا سيأتي الكلام فيه باب لذلك أنا سأرجئه لأن المتشابه

له أكثر من معنى، الآيات تتشابه بعضها ببعض وهذا حق، آيات الجنة كلها تتشابه، الأحكام تتشابه، هذا من باب التشابه، وقد يأتي التشابه من باب يحتاج للتبيين وهذا الذي يختص به الراسخون في العلم، أو التشابه الذي يستأثر الله عز وجل به لنفسه فيما كان من كيفية بعض أمور الجنة أو اسمائه وصفاته إلى غير ذلك من أنواع المتشابه التي سنبينها. لكن الأصل أنك تؤمن بالمتشابه وتعمل بالمحكم وهذا هو الأهم، وتعتبر بالأمثال التي جاءت في القرآن، وتحل الحلال وتحرم الحرام، وهذا هو المطلوب من المرء في القرآن ليس فقط الحفظ والترديد ليل نهار وعدم العمل، بل الفقهاء لا يسمون الفقيه فقيهًا عالمًا إلا إذا عمل بما علم، لكن لو علم ولم يعمل لا يعد عندهم فقيهًا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ الْمُصْحَفِ, مُصْحَفَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ وَالصَّحَابَةُ, وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ, وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ, وَقَوْلِ السَّبْعَةِ الْأَئِمَّةِ فِي الْقُرْآنِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ, وَلَمْ أُحِبَّ تَرْدَادَهُ هَاهُنَا, وَإِنَّمَا مُرَادِي هَاهُنَا تَرْكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ, فَإِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنْهُ, وَلَا يَقُولُ إِنْسَانٌ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ, وَلَا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ, إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ, أَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ أَوْ عَنْ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ, وَلَا يُمَارِي وَلَا يُجَادِلُ

هو يتكلم هنا عن مصحف عثمان، طبعًا هذه قصة حتى المقام لا يطول لكن أعتقد الغالب يعلمها، وهذه لها بداية في زمن عمر؛ مسألة جمع القرآن هي ليست عند عثمان فقط. أيضًا الحكمة التي جمع فيها عثمان القرآن أنه جاءه حذيفة وكان في أرمينيا جلس فترة في الفتوحات ثم انتشرت الفتوحات الإسلامية فانتشرت قراءات الأحرف السبعة التي نزلت على قبائل العرب، وطبعًا بعد الزمن عن الصحابة أي الصحابة كانوا قلوا، فاشتكى لعثمان قال وجدتهم في أرمينيا أو في

غير هذه البلاد يضربون القراءات بعضهم ببعض؛ يقول هذه قراءتي أفضل من قراءتك، وأحيانًا يقولون هذه القراءة ليست بصحيحة، فجاء يشتكي لأمير المؤمنين عثمان بن عفان خشي أن يحدث التنازع الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر عثمان بجمع كل المصاحف التي كانت فيها الأحرف السبع التي نزلت وجمع الناس على مصحف عثمان الذي سمي عثمان والأصل فيه أنه على حرف واحد، وإن كان بعض الآيات في المصحف كانت تُحمل على حرف أو حرفين، لكن هو الأصل أنه جمعهم على حرف واحد وهو مصحف عثمان، وأحرق كل المصاحف الأخرى ثم نَسخ منها نُسخ وأرسلها إلى الأمصار جميعًا وألزمهم بالإجتماع على مصحف عثمان.

هذا قد حدث له قصة قبلها في زمن عمر لأن أيضًا جاء رجل لعمر في خلافته فقرأ أمام عمر القرآن، قال من أين أنت؟ قال من الكوفة، قال من يقرئك في الكوفة؟ قال ابن مسعود، فأرسل ابن مسعود قال: أقرئ الناس بلغة قريش فالقرآن نزل بلغتهم، هو أقرأه كان بحرف آخر، فعمر رضي الله عنه فقيه، شعر بأن قراءات الأحرف السبع ستؤدي إلى شيء فطلب من ابن مسعود وهو في الكوفة أن يُقرئ الناس بلغة قريش، قال قد أنزل الله القرآن بلغتهم. وهذا الذي فعله عثمان بعد ذلك كما قلت بالمصحف العثماني الذي هو بين أيدينا الآن فجُمع القرآن على حرف واحد حتى يجتمع الناس عليه ولا يضرب بعضهم بها ببعض.

ثم هنا يبين مسألة مهمة جدًا بأن القول في القرآن لابد التفسير فيه أن يكون عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الترتيب؛ أن أولى التفاسير بكلام الله هو النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك ما ورد عن الصحابة، ثم بعد ذلك ما ورد عن التابعين، ثم عن إمام من أئمة المسلمين، وهذا الذي يجب أن يتبعه أي أحد يتكلم في التفسير أن يرجع إلى هذه الترتيبات الموجودة عند السلف الصالح في مسألة التفسير. قال: ولا يماري ولا يجادل.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّا قَدْ نَرَى الْفُقَهَاءَ يَتَنَاظَرُونَ فِي الْفِقْهِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا، وَقَالَ النَّبِيُّ كَذَا وَكَذَا، فَهَلْ يَكُونُ هَذَا مِنْ مِرَاءٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قِيلَ: مَعَاذَ اللَّهِ، لَيْسَ هَذَا مِرَاءً فَإِنَّ الْفَقِيهَ رُبَّمَا نَاظَرَهُ الرَّجُلُ فِي مَسْأَلَةٍ، فَيَقُولُ لَهُ عَلَى جِهَةِ الْبَيَانِ وَالنَّصِيحَةِ حُجَّتُنَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِهَةِ النَّصِيحَةِ وَالْبَيَانِ، لَا عَلَى جِهَةِ الْمُمَارَاةِ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا، وَلَمْ يُرِدِ الْمُغَالَبَةَ، وَلَا أَنْ يُخْطِئَ خَصْمُهُ وَيَسْتَظْهِرَ عَلَيْهِ سَلِمَ، وَقُبِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ

فهنا هذا ليس مراء لكن تستدل بالأدلة؛ بالكتاب وبالسنة، لتبين مع اختلاف الأدلة وتنوعها هذا لا يعد مراء ولا مجادلة كما بيّنا في الكتاب الذي قبله أنه على جهة البيان والنصيحة.

قَالَ الْحَسَنُ: الْمُؤْمِنُ لَا يُدَارِي وَلَا يُمَارِي، يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللَّهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللَّهَ وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا وَبَعْدَ هَذَا فَأُكْرِهَ الْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ وَرَفْعُ الصَّوْتِ فِي الْمُنَاظَرَةِ فِي الْفِقْهِ إِلَّا عَلَى الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ الْحَسَنَةِ

وهذا طبعًا مهم جدًا بأن المرء إذا تناظر وتكلم فعليه أن يتأدب بالآداب السكينة والوقار وألا يكون فيه رفع للصوت، لأن رفع الصوت والغضب والإنفعال يُخرِج من المرء أشياء لا تُحمَد، ويضيع قد تكون بطريقته في اسلوبه وعرضه فلا يوصل المعلومة إلى الغير، قد يكون هذا الإنفعال مشوش على الغير فلا يصل للمقصود. لذلك قال لابد من الوقار والسكينة في المناظرة.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحُلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ

الله أكبر.. طبعًا هذا كلام بديع من عمر أمير المؤمنين: **تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحُلْمَ** وهذا مهم، سمت العالم وطالب العلم مع العلم لابد أن يكون معه سكينة وحلم لأنه سيأتيك من يعترض، سيأتيك من يناظر أو سيأتيك من يتكلم فلابد أن تفهمه، سيأتيك الجاهل يسأل بجهل، فعليك أن تكون حليمًا معه وتبين له ذلك، وإلا انظر الأعرابي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فمسك النبي صلى الله عليه وسلم من ملابسه حتى قال الصحابي وجدت وقع الثوب على رقبة النبي صلى الله عليه وسلم من الشدة، والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم له ويعطيه ما يريد.

فهذه آداب من عمر بن الخطاب لطلاب العلم والعلماء، وأيضًا التواضع وهذه طبعًا نتكلم عنها في آداب المعلم والمتعلم في مقدمة المجموع، وأيضًا **وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ**، فالمرء لابد مهما أوتي من علم فعليه أن يتواضع ولا يكون جبارًا ولا يستكبر بهذا العلم. فلو معك علم لكنك جبار متكبر فهذا جهل فكأنك تضيع العلم بهذا الجهل في الآداب الذي عندك، فأنت تضيع ما عندك من علم إما بالكبر بالجبروت هذه الأمور فلا يُستفاد منه، **فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ** أي العلم الذي عندك لا يقوم بسبب جهلك بهذه الأمور التي أنت وقعت فيها.

الفوائد المستنبطة:

1- فضل القرآن، وهذا قد بينه الله عز وجل في مواضع عدة منها قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء:82]، وأيضًا يستنبط هذا من قول النبي صلى الله عليه **الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**، ما جعل المراء في شيء كفر إلا في القرآن فهذا يدل على فضل القرآن وهو كلام الله عز وجل، جُعِل المراء فيه كفرًا، فهذا دل على مكانة القرآن وعظم شانه وهو كلام الله عز وجل.

2- من قول النبي صلى الله عليه وسلم: **وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ** هذه مهمة جدًا هذه اللفظة أنه لا يجوز أحد أن يتكلم في كتاب الله عز وجل بغير علم، قال النبي صلى الله عليه وسلم **فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ**، وطبعًا هذا ممكن تقرأ فيها في { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ } [آل عمران:7]، لو قلت على قراءة الوصل أنك تقول بأن هذا يُقصَد به الراسخ في العلم الذي يعلم التأويل هو الذي يقول، وإلا فالذي ليس براسخ في العلم يقف على طريقة الوقف وهي كثيرة عند أهل العلم وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ فيقف قراءة الوقف فلا أحد يتكلم لأن هذا مما اختص به الله لنفسه سبحانه وتعالى.

3- رحمة الله عز وجل بالأمة لأنه أنزل القرآن على سبعة أحرف وهذا كان إستجابة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أراد أن ييسر على قومه فينزل عليهم لكل قوم بلهجته فيتقبلوا القرآن ولا يكون شاقًا عليهم فيقبلوا عليه ويتلونه ويقرأونه ويعملون به، وهذا لا شك من رحمة الله عز وجل بالأمة بأنه لما نزل على العرب في زمانهم أراد أن يخفف النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فاستجاب الله عز وجل لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنزله على سبعة أحرف، لكن حذر بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لا يسلكوا سبيل الذين هلكوا من قبل فيتنازعون فيه ويتمارون فيه ويتجادلون فيه ويتناظرون فيه، فيقع فيما حدث من الأمم السابقة.

4- ضرورة الرجوع إلى أهل العلم من قول **وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ**.

5- بيّنا مسألة الحكم في المراء على التفصيل الذي قلناه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كفر" على الأنواع التي قد بيناها.

وهذا نكون قد انتهينا بفضل الله تعالى من هذا الباب، ونقف عند **بَابُ تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعُقُوبَةِ الْإِمَامِ لِمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ** إن شاء الله نبدأ فيه بإذن الله تعالى الأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الحادية والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلا سَدِيدا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم إن شاء الله ندخل في باب جديد من أبواب الجزء الثاني من هذا الكتاب المبارك، نسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن نعمل بذلك بين الناس.

سندخل في باب **بَابُ تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعُقُوبَةِ الْإِمَامِ لِمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ**، وهذا تتمة أيضًا للأبواب

السابقة التي تكلم فيها المؤلف عن الجدال، وتكلم عن ذم الجدال، ثم تكلم عن المراء في القرآن، والآن يكتمل الكلام عن التحذير من الذين يجادلون بمتشابه القرآن. وأيضًا فهذه التسمية فيها عنوانان؛ عنوان ذم الذين يجادلون في متشابه القرآن، والثاني عقوبة الإمام لمن يجادل، فكأنه يتكلم عن ذم المجادلة بالمتشابه وأيضًا يبين أن من حق الإمام أن يعنف أو يعاقب أو يعزر من يراه يجادل في متشابه القرآن وفيه ما فيه من التلبيس على الناس وإرادة الفتنة بعوام الناس وانتشار الزيغ إلى غير ذلك من الأمور التي من مهام ولي الأمر أن يحافظ على دين الناس، فله أن يعاقب. وله أثر وسنة عن عمر رضي الله عنه وأرضاه في هذا الأمر سنبينها إن شاء الله تعالى. فنبدأ بالقراءة وإن شاء الله يسر لنا الله عز وجل التعليق.

قال المصنف- رحمه الله تعالى-:

15-بَابُ تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعُقُوبَةِ الْإِمَامِ لِمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ

149 - أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ، أَوْ بِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ تَعَالَى، فَاحْذَرُوهُمْ»

150 - حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ تَعَالَى، فَاحْذَرُوهُمْ»

151- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: ثنا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ قَالَ: ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، قَالَ: ثنا أَيُّوبُ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ} [آل عمران: ٧] إِلَى قَوْلِهِ: {أُولُو الْأَلْبَابِ} فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»

وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقُ جَمَاعَةٍ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قد بين المؤلف لنا ما جاء من قبل في الكتاب والسنة من ذم الجدال، وأن الجدال قد جاء ذمه في الكتاب وفي السنة، وأن الجدال هو بضاعة أهل الفساد والضلال وأهل الحيدة عن الرشاد، هم الذين يجادلون في كتاب الله عز وجل، قال الله عز وجل عنهم:{ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِى ٱلۡبِلَٰدِ} [غافر:4]، وكما جاء في الحديث الذي ساقه المؤلف في الأبواب السابقة عن النبي صلى الله عليه وسلم: **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ** ، فالجدل أو المراء في القرآن منه أيضًا أن المرء يجادل في متشابه القرآن، لذلك ذكر لنا في هذا الحديث؛ حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها بأنها ذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تلا قول الله عز وجل:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ

ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ } [آل عمران:7]، قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها لعائشة: **إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ** في كتاب الله **فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ تَعَالَى، فَاحْذَرُوهُمْ** .

إذًا هنا الذين يعملون بالمتشابه في غير ما أُنزِل به، هم الذين حذر النبي صلى الله عليه وسلم منهم، إذًا هنا مناسبة التبويب أو التسمية؛ من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للآية من سورة آل عمران بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذين يجادلون في متشابه القرآن هم الذين حذرنا الله عز وجل منهم، الذين يبتغون الفتنة ويبتغون التأويل.

المحكم والمتشابه:

لكن هنا لابد أن نتكلم عن مسألة المتشابه والمحكم، لأنه **جاءت آيات تبين أن القرآن محكم وجاءت آيات تبين أن القرآن متشابه، فهل هناك تعارض بين هذه الآيات وهذه الآيات أم أنه لا تعارض بينهم؟**

قال تعالى في بداية سورة هود: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود:1]، قال الله عز وجل كتاب (أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ) وصفه بالإحكام. وقال سبحانه وتعالى:{ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ } [الزمر:23]، فهنا الله عز وجل وصف الحديث أنه كتاب متشابه مثاني، ووصف بأن الذين رُزقوا الخشية تقشعر الجلود لما تسمع هذه الآيات ثم تلين جلودهم وقلوبهم بذكر الله. إذًا جاءت آيات تبين أن القرآن محكم، وجاءت آيات تبين التشابه في القرآن. ومنها طبعًا آية آل عمران التي معنا أيضًا.

ولكن لابد أن نؤصل أصلًا؛ بأنه ليس أصدق من الله قيلا، فالله عز وجل قوله هو الصدق سبحانه وتعالى، فلما يقول لنا (كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ) إذًا هو كتاب أحكمت آياته، محكم أي بالغ العناية، بالغ الإتقان، بالغ الإحسان، فكتاب الله عز وجل محكم في أخباره؛ كل أخباره محكمة، في أحكامه، في إتقانه، في بلاغته وإعجازه، لأن الله عز وجل أنزل هذا الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم، على قوم قريش الذين كانوا يشتهرون بالفصاحة والبلاغة، فأنزل هذا الكتاب فيه الإعجاز في البيان وفي البلاغة وتحدى به الله عز وجل أن يأتوا بمثله، قال سبحانه وتعالى في سوره البقرة:{ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ، فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ} [البقرة:23-24]، فهنا الله عز وجل يبين بأن هذا الكتاب محكم، متقن، فيه الإحسان، فيه التمام في صدقه، في أخباره، في أحكامه كلها عدل، فهذا توجيه أولًا لمسألة الإحكام. وهذا لابد أن نؤمن به ونعتقد ذلك في كتاب الله عز وجل، وفي كل كلام الله سبحانه وتعالى.

وأيضًا الكتاب كما أنه محكم فهو متشابه، متشابه بأن آياته كلها فيها أيضًا الصدق، متشابهة في صدق الأخبار التي جاءت عن الأمم السابقة، متشابهة في أن الأحكام كلها فيها عدل؛ ليس هناك أحكام فيها عدل وأحكام ليس فيها عدل، متشابهة أيضًا على أنك إذا قرأت أوامر الله عز وجل تجد أن كل أوامر الله متشابهة في جلب المصلحة للناس، وأيضًا إذا قرأت نواهي الله عز وجل تجد أنها كلها متشابهة في درء المفسدة عن ما يحدث للناس. فهذا كله متشابه أيضًا على أنه لا تفريق في كتاب الله عز وجل؛ لا في أحكامه من حيث الأوامر، ولا في نواهيه، فكلها متشابهة في الإحسان، متشابهة في الصدق، متشابهة في الإحكام، متشابهة في العدل في الأحكام، متشابهة حتى لو قرأت كل الآيات التي فيها الترغيب فتجد بأنها متشابهة في أنك تشعر بالرغبة، أو بالحب لله عز وجل، أو بالإقبال. كذلك إذا قرأت كل الآيات التي فيها الترهيب تجد فيها الخوف والوجل،

فمتشابه في الرجاء، آياته كلها لها معنى رجاء واحدًا. وأيضًا الآيات التي فيها النذارة، التي فيها العقاب أيضًا متشابهة من حيث الخوف، فتجد الرجاء متشابه والخوف متشابه، فتورث لك أيضًا خشية، كلها متشابهة، وهذه المقصودة من آيات الله عز وجل. إذًا من هذا الوجه يُقصَد معنى قول الله عز وجل في بعض الآيات أو ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بمسألة التشابه.

إذًا هو محكم لا يتعارض مع المتشابه، هو محكم من حيث الإتقان، من حيث البلاغة، من حيث التحدي، من حيث الأحكام، وهو متشابه أن يصدق بعضها بعض، فهذا التوجيه بين الإحكام وبين التشابه. بيّنا الآن أنه لا منافاة بين كون القرآن محكم وبين كون القرآن أيضًا متشابه، **هذا على الإجمال** الذي قلناه الآن.

ما معنى المُحكم عند أهل العلم؟ فتكلموا أن الإحكام لما يكون في الآيات قالوا يقصد بالإحكام في الآيات التي تفيد النص؛ بمعنى أي لا تفيد إلا معنى واحد. إذًا **الإحكام على سبيل التفصيل**: قالوا الإحكام قد يطلق عند بعض أهل العلم على أن الآيات التي تفيد النص في الحكم أي لا تحتمل إلا قولًا واحدًا، هذا ما كان نصًا، أي لا معنى ثان له، أو كان المعنى واضحًا جليًا لا يحتاج إلى أنك تفسره، كقول الله عز وجل:{ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} [الإخلاص:1-4]، هذه آية محكمة ليس فيها أي إحتمالية في إفراد الله عز وجل بالوحدانية، وأنه سبحانه وتعالى هو الأحد الذي لم يلد ولم يولد.

أيضًا آية محكمة من قوله تعالى:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ} [الأنبياء:25]، آية محكمة نصًا لا تحتمل غير معنى واحد هو إفراد الله عز وجل بالعبادة. أيضًا قوله تعالى لموسى عليه السلام:{ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ} [طه:14]، هذه آيات محكمات أي نص، لا تحتمل معاني غير هذه المعاني.

فقالوا إذًا يحمل عند أهل العلم المحكم على النص؛ سواء كان النص في مسألة العقائد كما جاء هنا، أو كان النص في مسألة الأحكام فقالوا المحكم هو الحلال البَيِّن والحرام البَيِّن ، هذا هو المحكم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:[إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس]. إذًا قالوا المحكم هنا في الأحكام هو الحلال البين والحرام البين، لما تأتي الأحكام التي هي حلال بين وحرام بين فهذه هي المحكمة، إذًا هذا معنى المحكم بتفاسير عند أهل العلم.

ما معنى المتشابه عند أهل العلم؟ المتشابه له أكثر من معنى تفسير، منها بدأوا بتفسير الحسن، قال الحسن البصري – رحمة الله عليه – وغيره: "المتشابه هو المنسوخ من الأحكام". فالأحكام المنسوخة دلالة على أنها متشابهة، والمحكم هو الباقي؛ هو الذي نسخ به، فقالوا هذا أحد معاني متشابه، وهي الأحكام المنسوخة كقول الله عز وجل في سوره البقرة:{ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ } [البقرة:185]، هذا ناسخ لقول الله عز وجل في الآية التي قبلها: {وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ } [البقرة:184]، فحملوا المحكم على الناسخ، والمتشابه على الآيات التي فيها الأحكام المنسوخة.

وبعضهم قال المتشابه هو أوائل السور في الحروف المقطعة، (الر) (الم) وإلى غير ذلك، قالوا هذا متشابه لا يُعلَم معناها وهذا مما استأثر الله عز وجل العلم به لنفسه سبحانه وتعالى.

وبعضهم قال المتشابه كل ما استأثر الله عز وجل به بعلمه من الغيبيات، فقالوا هذا أيضًا من المتشابه. إذًا هنا بيّنا معنى المتشابه على أحد المعاني على أكثر من معنى، وبيّنا المحكم.

فنأتي للآية التي جاءت في حديث عائشة في سورة آل عمران: { مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا

تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ } ثم جاءت الواو {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ } [آل عمران:7]، الواو هنا اختلف في أهل العلم هل الواو استئنافية، أم الواو عاطفة؟ **فلو قلنا استئنافية** بمعنى أن {وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ} إذًا هنا مُدِح الراسخون في العلم على أنهم قالوا {ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ }، هذا معنى الاستئناف في هذه المسألة، كأنهم هنا لا يدخلون في علم التأويل.

أو تقول الواو معطوفة فيكون الراسخون عُطفوا على الله عز وجل في مسألة علم التأويل. **وهذه فيها أقوال ثلاثة عند أهل العلم:**

1- **القول الأول وهو قول الجمهور**؛ جمهور الأصوليين والمفسرين بل والمحدثين يقولون **أن الواو هنا استئنافية**، وابن قدامة قال: "هو قول أهل العلم من السلف والخلف يرون بأنها استئنافية" أي ليست عاطفة، إذًا فيكون علم التأويل لله عز وجل فقط وليس لأحد {وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ } إذًا هنا قراءة الوقف، ستقف على {وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ } ثم تقول بعد ذلك {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ} وكأن الواو هنا استئنافية فجاء مدح الراسخون لأنهم {يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ } أيدوا ذلك، وليس لعلمهم شيء من التأويل، وهذا القول الأول.

2- **القول الثاني أنها عاطفة**؛ أنها عاطفة؛ أن الواو في {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ} عاطفة، إذًا الراسخون في العلم يعلمون المحكم والمتشابه، هذا معنى عاطفة، إذًا هنا عطفت {وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ} على الوصل نقول، فهنا كأن الراسخون في العلم هم الذين يعلمون المحكم والمتشابه.

وطبعًا هنا لابد أن نقول أن التشابه هنا سيكون تفاوت، علم المتشابه تفاوت نسبي بمعنى نقول عرضي؛ أن بعض أهل العلم يعلمون وبعض أهل العلم لا يعلمون، وبعض قد لا يعلم ثم يعلم بعد ذلك، أي هنا لابد نقر لو قلنا أنه يعلم فليس معناه أن كلهم يعلمون ولا كله يعلم في وقت واحد، بل قد لا يعلم ثم يبحث فيدرس فيعلم،

أي أن المسألة عرضية، متغيرة وليست ذاتية، لابد هذا يأتي بالعلم. وهذا القول أن أهل العلم هم يعلمون هنا المحكم والمتشابه يؤيد ما قاله الشافعي على أن يريد أن يقول أن: (ما من نازله نزلت إلا في كتاب الله حلها، علمها من علمها وجهلها من جهلها).

أين أدلة هذا القول؛ الذين قالوا بأن الراسخين في العلم يعلمون المحكم والمتشابه؟

قالوا أولًا الله عز وجل مدحهم في الآية، ولهذا جاءت الآية على سبيل المدح لهم، فنقول الله عز وجل مدح الراسخين في علم، والعالِم لا يُمدَح إلا لعلمه، فلا يُمدَح على الجهل، فلو قلت بأن هم لا يعلمون المتشابه فأين المدح هنا؟ سيمدحون على الجهل؟! لا، لا يمدحون إلا على العلم. إذًا دل ذلك على أنهم يعلمون هذا المتشابه، هذا وجه.

وأيضًا قالوا لو قلنا بأن هؤلاء أهل العلم لا يعلمون فكيف نصرف قول الله عز وجل: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء:192-196]، فهنا نقول الله عز وجل في الآية بلغ بأن القرآن عربي، قال {عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} ولغة العرب لغة معلومة للعرب ولأهل العلم فحتى يكون عالمًا لو كان عربيًا فبالسليقة سيعلم، بالإضافة أيضًا بأنه سيكون عنده هذا العلم، فلا شك بأن العوام لا يعلمون ذلك، لكن الراسخون في العلم هم الذين يعملون ذلك، فدل ذلك على أن الآيات هذه تبين بأن القرآن نزل بلسان عربي مبين وأهل العلم يعلمون هذا اللسان، فكان بأنهم يعلمون المحكم ويعلمون أيضًا المتشابه.

أيضًا استدلوا على قول الله عز وجل:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} [النساء:82] ، فالله عز وجل أشار إلى تدبر القرآن، بل أنكر الله عز وجل على عدم تدبر القرآن في بعض الآيات بأنك تتعلم

القرآن تدبره ليس هزه كهز الشعر أو حفظه! بل الأصل أنك تتعلم القرآن كما قال الصحابة كنا نحفظ عشر لا نجاوزها حتى نعلم ما فيها من أحكام ويعملون بها بعد ذلك. فالأصل أن القرآن جاء للتدبر، إذًا لو نزلت للتدبر فلابد أن هناك أهل للتدبر ويعلمون هذا المتشابه، وإلا لما حث الله عز وجل أو أوجب على تدبر القرآن، فكيف سيتدبرون بدون علم! لابد أنهم يعلمون المتشابه حتى يكونوا قد تدبروا القرآن.

وأيضًا قالوا قد بين الله عز وجل من قوله تعالى:{ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ } [النساء:83]، فالله عز وجل أمر وأرشد الأمة على أنه لما يعرض للمرء شيء يرده إلى الرسول في حياته وإلى سنته وإلى أولي الأمر – هنا العلماء – لأنه قال {لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ}، لأن أولي الأمر قد تأتي بمعنى الولاة الحكام أو تأتي بمعنى أهل العلم، هنا الآية السياق {لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ} دل ذلك على أن المقصود هنا العلماء، فما دام الله عز وجل قد رد الأمر إلى أهل العلم ليستنبطونه إذًا هم الذين يعلمون المتشابه ويعلمون المحكم.

فهذه أدلة عند أصحاب هذا القول الذين قالوا بأن الراسخين في العلم هم الذين يعلمون المحكم والمتشابه. وأيضًا ممكن يُستأنس بقول النبي صلى الله عليه وسلم: [إذا اجتهَدَ الحاكمُ فأصابَ فله أجرانِ وإذا اجتَهدَ فأخطأَ فلَهُ أجرٌ] يدل ذلك على أن اجتهاده سيكون في المحكم والمتشابه، أو المحكم نصًا معلومًا اجتهدوا في حفظه، لكن المتشابه هو الذي فيه الاجتهاد، فذلك دلالة على أن له الأجر عند الله عز وجل، فدلالة على أن أهل العلم يعلمون لو أصاب إذًا سيعلم المتشابه هذا. وهذا الذي مدحه الله عز وجل في الآية.

أصحاب هذا القول، ومنهم طبعًا أشهر من نصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية والذي قال هذا القول الثاني وطبعًا خلافًا للقول الأول قول الجمهور كما نقل ابن قدامة، لكنه قال بهذا القول، وطبعًا من أهم أعمدة قول شيخ الإسلام ابن تيمية

في القول هذا قال: "لو لم نقل بهذا القول وتركنا المتشابه أنه لا يعلم أحد من الراسخين في العلم لكان ذريعة لأهل البدعة".

قلنا ذلك لو تذكروا في العقيدة قلنا أن أصل الإشكال عند كثير من الطوائف خاصة في مسائل مباحث أسماء الله وصفاته قالوا أن هذا من المتشابه الذي لا نعلمه، منهم المفوضة لو تذكروا، ومنهم كالجهمية والمعتزلة الذين قالوا أيضًا متشابه فلا نعلم لا أسماء ولا الصفات فيثبتون حروفًا ولا يثبتون معاني، ومنهم المفوضة الذين أثبتوا الألفاظ ولم يثبتوا المعاني وتركوا الكيفية وفوضوا كل شيء، ليس الكيفية فقط لكن فوضوا المعنى أصالة أيضًا. كل هذا كانت حجتهم أنه من المتشابه، فقالوا وهذا لا نعلمه هذا يعلمه الله عز وجل، أن هذا كله من الله عز وجل أو ذاته سبحانه وتعالى فلا نعلم عنه شيء، فكانت مطية على أن يخرجوا هذه المباحث مع أن أشرف شيء وأحكم شيء في كتاب الله عز وجل هو الله عز وجل واسمائه وصفاته، كيف لا يكون معرفة الله عز وجل محكمة في الآيات!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لو قلنا بهذا القول لكان ذريعة لأصحاب الطوائف المبتدعة على أنه يكون مطية ليردوا آيات وأحاديث الصفات والأسماء وغير ذلك بحجة بأنه من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلى الله عز وجل. ويستدل المفوضة – لو تذكروا تكلمنا من قبل– مفوضة بهذه الآية وقالوا بالوقف وقالوا هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله فنفوض المعنى أيضًا ويثبتون اللفظ فقط.

3– **القول الثالث** وتوسط فيه بعض أهل العلم، قالوا ننظر أولًا لمعنى التأويل. فالآية تقول {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ} **فقالوا ننظر ما معنى التأويل؟** التأويل له أكثر من معنى، عند بعض المحققين – وهذا عند المتقدمين من أهل التفسير أيضًا– قالوا ننظر في معنى التفسير ومعنى التأويل؛

⇦ قال بعض المحققين التأويل **أن تطبق ذلك عمليًا**، هذا معنى التأويل؛ أنك تؤول الشيء تطبقه، كيف علموا ذلك؟ من السنة؛ حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها كثيرًا بنقوله يمكن ما يتدبرونه، هم استخلصوا منها، قالت لما

نزل قول الله عز وجل: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا} [النصر: 1-3]، [كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُكثِرُ أن يقولَ في ركوعِه وسُجودِه: سبحانك اللَّهُمَّ رَبَّنا وبحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي؛ يتأوَّلُ القُرآنَ] وهذا هو هذا الذي نريده قالت كان [يتأوَّلُ القُرآنَ] ماذا يعني [يتأوَّلُ القُرآنَ]؟ يطبق ما علمه وحفظه وفهمه من القرآن في صلاته. فقالوا إذًا معنى التأويل أن تطبق عمليًا، فإذا كنت ستطبق عمليًا إذًا يجب أنك تعلم أولًا المعنى، فكيف ستطبق العملي إلا بعد أن تكون قد علمت المعنى؟! فقالوا إذا جاءك الأمر أو النهي لا تستطيع أن تكون مطيعًا سامعًا لله عز وجل إلا أن تفهمه، تعرف المعنى فتطبق، فقالوا إذًا هذا المعنى الأول للتأويل وهو أن يطبق عمليًا. وهذا طبعًا لو تدبرتم معي المعنى الأول.. يجوز أن يطلق على من؟ على العلماء، لأن هذا المعنى غير منافي؛ أن التأويل هنا بهذا المعنى لا يتنافى مع أن يعلمه الراسخون في العلم، لماذا؟ لأنه تطبيقًا، لابد معنى ثم يطبق، إذًا يجوز هنا أن يكون التأويل هذا بمعنى التطبيق العملي ولا يكون إلا بعد علم المعنى، إذًا لابد أن تعلم المعنى، إذًا الراسخون في العلم سيعلمون المعنى أولًا ثم يطبقوه ويبينوه للناس لأنك لن تستطيع أن تطبق إلا بعد العلم.

⇦ المعنى الثاني- وهذا مشهور جدًا عند علماء التفسير والبيان - أن تأويله بمعنى بيانه، **التأويل بمعنى البيان**، وهذا لا يختلف فيه أحد؛ أن التفسير بمعنى البيان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس لما ضرب على صدره: [اللهم فقِّهْهُ في الدينِ ، وعلِّمْهُ التأويلَ] وكما قال ابن عمر إشار إلى حبر الأمة اذهب إلى حبر الأمة ابن عباس لما جاءه رجل يريد أن يسأله عن تفسير آية قال لا تسألني اذهب إلى هذا الحبر، ثم ذهب فلما رجع وأخبره قال: هذا ترجمان القرآن، وهذا معنى متفق عليه عند علماء التفسير أن التأويل بمعنى البيان أو التفسير.

⇦ المعنى الثالث للتأويل وهو **ما يؤول إليه الأمر**؛ أي الأمر غيبي أنت لا تعلم حقيقة الأمر، أي في بعض الأمور الله عز وجل لما يحدثك عن الجنة، يحدثك عن النار، الآن هذا أمر غيبي حقيقته أنت لا تعلمه، كما قال ابن عباس: [**ليسَ في الجنَّةِ شيءٌ مِمَّا في الدُّنيا إلَّا الأسماءُ**] لما ذكر عن الفواكة قال ليس بينهم إلا الإسم، أما حقيقة الفواكة أنت لا تعلمها. كذلك يقول الله عز وجل: [**أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ**]، فالتأويل هنا بيأتي بمعنى حقيقة الشيء، وهذه من الأمور التي استأثر الله عز وجل بها لنفسه، وقد جاء الكتاب يبين ذلك لما قال سبحانه وتعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ } [الأنعام:27-28]، وفي الأعراف: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ} [الأعراف:53]، هنا (يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ) أي حقيقة هذا اليوم، يوم يأتي حقيقة هذا اليوم. فهذا هو المعنى الثالث في التأويل؛ ما يؤول إليه حقيقة الأمر، لذلك قالوا في الأعراف: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ} أي يوم يأتي حقيقة الأمر {يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ } إلى آخر الآيات. فهنا يأتي التأويل بمعنى حقيقة الشيء، حقيقة الأمر الذي أخبر الله عز وجل به أن يأتي حقيقة. هذا المعنى الثالث.

المعنى الأول والثاني لا إشكال أن العلماء يعلمونه سواء كان تطبيقه عمليًا أو تفسيره أو بيانه، لكن المعنى الثالث هذه من الأمور التي استأثر الله عز وجل بها لنفسه، فممكن نقول أصحاب هذا القول توسطوا؛ قالوا المعنى الأول والثاني الواو فيه عاطفة، الذي هو التأويل بمعنى التطبيق عمليًا أو المعنى الثاني بمعنى البيان والتفسير، هذا يصح أن ينزل على الراسخين في العلم فتكون الواو هنا عاطفة،

عُطفِت على الله عز وجل {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ} الذين يعلمون تطبيقه عمليًا والذين أيضًا يعلمون تفسيره.

وأما المعنى الثالث الذي هو حقيقة الأمر قالوا هنا الواو استئنافية، وأن هذا أمر استأثر الله عز وجل به لنفسه سبحانه وتعالى فلا يعلمه إلا الله عز وجل؛ استئنافية أي أن الراسخين في العلم فقط يصدقون، فهذا المدح جاء لذلك، وأن الذي يعلم تأويله هنا هو الله عز وجل.

وطبعًا يؤيد أيضًا كلام هذا قلنا قول ابن عباس في مسألة البيان أنه قال: "أنا من الراسخين في العلم" يتكلم عن الآية، وهنا يتكلم على أن المقصود هنا في البيان والتفسير، وحتى مجاهد قال ذلك أيضًا في الآية {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ} معطوفًا على قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ} وقال طبعًا "عرضت القرآن على ابن عباس آية آية أُدرِك معناها"، وطبعًا هنا معنى أن يقول آية آية أي كل القرآن عرضه على ابن عباس وأدرك معناه، إذًا علم معناه أيضًا، إذا مر على المحكم والمتشابه، وأن ابن عباس رضي الله عنه فسر له كل شيء، وأن مجاهد رحمه الله أخذ منه أيضًا، فنقول هنا هذا القول فيه التوسط، وهذا أيضًا نقول قولًا صائبًا والله أعلم في ذلك.

هذا الكلام في مسألة المحكم والمتشابه، أردنا أن نبين ذلك طبعًا لأن الضلال جاء في الطوائف المبتدعة الذين أخذوا بآيات القرآن المتشابه والأحاديث وسنبين الأمثلة على ذلك لكن بعد أن ندخل في قراءة الأحاديث التي لها علاقة بفعل أمير المؤمنين فيما فعله مع هذا الرجل، ثم إن شاء الله نبين أمثلة كثيرة فيما وقع فيه الطوائف المبتدعة.

152 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْجُعَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُصَيْفَةَ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ

الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا لَقِينَا رَجُلًا يَسْأَلُ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَمْكِنِّي مِنْهُ قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ ذَاتَ يَوْمٍ يُغَدِّي النَّاسَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَعِمَامَةٌ يَتَغَدَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات: ٢] فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ هُوَ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَجْلِدُهُ حَتَّى سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أَلْبِسُوهُ ثِيَابَهُ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى قَتَبٍ، ثُمَّ أَخْرِجُوهُ حَتَّى تَقْدِمُوا بِهِ بِلَادَهُ، ثُمَّ لِيَقُمْ خَطِيبًا، ثُمَّ لِيَقُلْ: إِنَّ صَبِيغًا طَلَبَ الْعِلْمَ فَأَخْطَأَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَضِيعًا فِي قَوْمِهِ حَتَّى هَلَكَ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ

153- أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عَسَلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ تَفْسِيرِ {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} [الذاريات: ٢] اسْتَحَقَّ الضَّرْبَ، وَالتَّنْكِيلَ بِهِ وَالْهِجْرَةَ قِيلَ لَهُ: لَمْ يَكُنْ ضَرْبُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ بِسَبَبٍ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا تَأَدَّى إِلَى عُمَرَ مَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يَرَاهُ عَلِمَ أَنَّهُ مَفْتُونٌ، قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، وَعَلِمَ أَنَّ اشْتِغَالَهُ بِطَلَبِ عِلْمِ الْوَاجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ أَوْلَى بِهِ , وَتَطَلُّبُ عِلْمِ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى بِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مُقْبِلٌ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُ، سَأَلَ عُمَرُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْهُ، حَتَّى يُنَكِّلَ بِهِ، وحَتَّى: يُحَذِّرُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ رَاعٍ يَجِبُ عَلَيْهِ تَفَقُّدُ رَعِيَّتِهِ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ، فَأَمْكَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

154- حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلُّوَيَةَ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبَهِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَكَذَا كَانَ مَنْ بَعْدِ عُمَرَ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِذَا سَأَلَهُ إِنْسَانٌ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ عَنَّفَهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ رُوِيَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ يَوْمًا: سَلُونِي، فَقَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: مَا السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ لَهُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ، سَلْ تَفَقُّهًا، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتًا، أَلَا سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ يَنْفَعُكَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكَ أَوْ أَمْرِ آخِرَتِكَ؟ ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ مَحْوُ اللَّيْلِ قُلْتُ: وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَكْرَهُونَ عُضْلَ الْمَسَائِلِ وَيَرُدُّونَهَا، وَيَأْمُرُونَ بِالسُّؤَالِ عَمَّا يَعْنِي خَوْفًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ الَّذِي نُهُوا عَنْهُ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَنَهَى عَنِ الْأُغْلُوطَاتِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ

شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» كُلُّ هَذَا خَوْفًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، وَيَا أَهْلَ الْحَدِيثِ، وَيَا أَهْلَ الْفِقْهِ، وَدَعُوا الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ وَاسْلُكُوا طَرِيقَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَئِمَّتِكُمْ، يَسْتَقِمْ لَكُمُ الْأَمْرُ الرَّشِيدُ، وَتَكُونُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْوَاضِحَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ أُثْبِتَ فِي تَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ عَقَلَ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِمَنْ أَحَبَّ

هذا الجزء الذي مررنا عليه هو فيه الجزء الثاني من عنوان الباب؛ لأن عنوان الباب بعد أن بين مسألة ذم الجدال في متشابه القرآن، بين عقوبة الإمام؛ بأن للإمام أن يعاقب الذي يجادل في متشابه القرآن، وهذا طبعًا من أهم مهام ولي الأمر أنه يحافظ على دين الناس، ومن أهم ذلك حتى يحافظ أن يسد باب البدع ويزكي أبواب السنن، فسد باب البدع أصل أصيل من واجبات ولي الأمر، وأهل البدع لا يتركون أهل السنة في حالهم، هم في زيغ وفي ضلال فهم يريدون أيضًا أن يزيغ أهل السنة ويسحبونهم إلى البدع التي عندهم، فلذلك يجب أن يلتفت لذلك ولي الأمر وأنه عندما يرى بدعة من البدع قد قامت أو هناك من آحاد الناس من يروج إلى بدعة من البدع فإنه لا يتركه هكذا، بل لابد أن يرده؛ أولًا يرده هو إلى الحق كما فعل عمر بن الخطاب الآن، ثانيًا يحافظ على باقي المسلمين على أنهم لا يفتنون بهذه البدع ولا يتأثرون بها من باب المحافظة على السنة ورد البدع، وإلا تنتشر أفكار الضالة ويقع العوام في ذلك إن انتشرت البدعة لابد كما قال العلماء ستموت السنة؛ " كلما انتشرت بدعة" تموت مقابلها سنة" والعكس بالعكس؛ إذا أُحييت السنن تموت البدع.

لذلك لابد على ولي الأمر أن يصحح المسار إذا رأى أن هناك من حاد عن طريق السنة وأعتنق طريق البدعة، وهذا الذي حدث في زمن عمر رضي الله عنه وأرضاه لأن صبيغ هذا قد قيل بأنه كان في الكوفة أنه حدث عنده زيغ في آيات منها القدر ومنها آيات متشابهات، والإشكال أن هو لم تكن المسألة جهل فقط بل

أصبح ينشر هذه الأسئلة عندما كان يسأل الناس أو يسأل من معه، فهو تأثر بالمتشابه واعتقد فأراد أيضًا أن ينشر ذلك، وهذا الذي جعل لما أُخبِر عمر بذلك عنه لم يكن جاء للمدينة كان في الكوفة هو أصلًا، فتمنى عمر أنه يلقاه، وقدر الله عز وجل بأنه جاء وحضر مجلس لعمر بن الخطاب – كما جاءت الروايات تبين ذلك– فلما بعد أن طَعِم و انتهى المجلس جاء لعمر يسأله عن{وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا} [الذاريات:1]، إلى آخر ذلك، فعلم أنه هو، قال أنت من؟ قال أنا صبيغ فقال وأنا عمر، فقالوا بأنه نزل عليه ضربًا حتى قال واعده في بيت من البيوت أو في مكان فأتاه بالجريدة أو كأنه كرباج أي بالجريدة، ومسكه عمر بن الخطاب وجلس يضرب فيه حتى شج رأسه، قالوا ذلك.

وهذا كله من باب تأديب الإمام على من يقول بالبدعة، وهي طبعًا المسألة ليست لأنه جَهِل، لا، هو الروايات الأخرى تبين بأنه لم يكتف بأنه جهل المسألة فسأل ليتعلم، بل هو كان ينشر ذلك كأنه يلبس على الناس لما يجلس، يأتيهم بالمتشابهات هذه. فهذا الذي جعل عمر بن الخطاب يؤدبه ويعاقبه على ذلك، حتى أنه قال هنا، هل انتبهتم لقوله: قال: **فَلَمْ يَزَلْ يَجْلِدُهُ حَتَّى سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ،** ماذا يعني؟ هو الآن لو وجده محلوقًا فإن الخوارج سيماهم التحليق ، قال **لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ** أي أن هنا قد تأكد عنده أن هو من الخوارج، يدينون بذلك، وإن كان هو ما فعله ذلك عمر له إلا أنه قد بدأ أنه يقول ذلك ليس جهلًا فقط منه، لذلك هو حتى في روايات أخرى قال: "قد ذهب في رأسي ما كان يا أمير المؤمنين" ماذا يعني؟ أخرجه. وهو قال بعد ذلك: **أَلْبِسُوهُ ثِيَابَهُ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى قَتَبٍ**، والقتب هذا صغير الدواب، شيء صغير كأنه بيعزره، بيركبه على شيء سيسافر من المدينة يذهب حتى هناك على القتب هذا، على شيء كأنه جحش صغير – أعزكم الله– ثم قال: **أَخْرِجُوهُ حَتَّى تَقْدِمُوا بِهِ بِلَادَهُ، ثُمَّ لِيَقُمْ**

خَطِيبًا، ليس هو، سيأتي الذي معه خطيبًا من عمر رضي الله عنه وأرضاه يخطب في الناس فيقول إِنَّ صَبِيغًا طَلَبَ الْعِلْمَ فَأَخْطَأَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَضِيعًا فِي قَوْمِهِ حَتَّى هَلَكَ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ.

فهنا انظر لتعامل عمر رضي الله عنه وأرضاه مع مسألة البدعة، فأوجعه ضربًا حتى أدمى رأسه، والرجل رجع عن ذلك، ثم أيضًا لم يكتف بل جعل ذلك يُنشَر بين الناس بأن الإمام فعل ذلك لمن كان يرى بعض البدع.

وهذا دأب حقيقة من تتبع متشابه القرآن، وقلنا أكثر الفرق الضالة تتبع متشابه القرآن – كما سنبين في حالات كثيرة – وهي طبعًا المطلوب منها أن يزيغ أهل السنة عن السنة، أو يلبسوا ويروجوا أفكار زائفة خادعة تنطلي طبعًا على الأغرار فقط والعوام ليضلوهم عن سبيله أو عن طريق أهل السنة.

والرواية الأخرى فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ إلى آخر ما قلنا فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي. طبعًا هو الإمام الآجري – رحمة الله عليه – يبين أن المسألة ليست أنه سأل عن التفسير، فالمسألة لو سأل عن التفسير لا إشكال، لا، هو ما أراد ذلك كما قلنا، هو أراد أنه يُشكِل على الناس ويتكلم في المتشابه، لذلك هو قال بأنه لو شغل نفسه بواجبات العلم، فالمسألة ليست وليدة الرواية فقط، هو علم عمر عنه وأخبروه وقالوا بأن هو يتكلم ويسأل كثيرًا فعلم أنه انشغل عن تعلم الواجبات والفرائض بهذا المتشابه.

فأراد أن يبين له أن هذا ترك للصحيح، وأراد أن يحذر غيره عندما يفعل معه ذلك فيَحْذَر باقي الناس على أن من يتكلم في المتشابه ويترك العلم الصحيح الواضح الفرض ويذهب إلى الكلام في المتشابهات ولم يكن من أهل العلم أيضًا الذين لهم

الحجة في أن يتكلموا فيه ويفسرون للناس فأراد أن ينكل به. لكن قبله قال دعى الله **أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْهُ**، انظر المسألة ليست يسيرة، أي عمر يدعو الله بأن يمكنه منه حتى يبين الحق. هذه طبعًا قلت من واجبات أن ولي الأمر يهمه جدًا تصحيح عقيدة الناس توحيدًا وسنة، وتوحيد إذًا ضدها الشرك، فيمنع الشرك، وسنة فيمنع البدع، إلى غير ذلك من مهام ولي الأمر.

ثم ذكر كلامًا يكتب بماء العين عن عمر بن الخطاب: **سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِمُتَشابَهِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.**

لذلك دائمًا كان يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (القرآن حمَّال) وهذا قاله لابن عباس لما أرسله للخوارج قال: (لا تجادلهم بالقرآن فان القرآن حمَّال أوجه) الآيات فيها أوجه في التفسير، لكن جادلهم بالسنة. وقلنا من قبل في الأبواب السابقة بأن السنة مبينة لمجمل القرآن، وموضحة، ومفسرة، ومقيدة وإلى كل هذه الأمور، لذلك كان عمر يقول: **سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِمُتَشابَهِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ**، لأن السنن ستبين، تقضي عليهم، فليس فيها مجال أن يجادلونكم فيها. فقال: **فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ**، حتى أهل العلم قالوا أن: (القرآن أحوج إلى السنة – إن صح هذا اللفظ– من السنة إلى القرآن) لأن القرآن فيه المجمل كما قلنا ويحتاج إلى بيان، وفيه المطلق ويحتاج إلى تقييد، وفيه الذي يحتاج إلى تفسير وتوضيح، وهذا مصداقًا لقول عمر رضي الله عنه وأرضاه **إِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**. ثم أيضًا أحال من بعد عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب قال: **إِذَا سَأَلَهُ إِنْسَانٌ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ عَنَّفَهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ** ، وهذه طبعًا تحدث، كثيرًا الناس ترسل أسئلة هو علم لا ينتفع به وتجده أنه يفتح المصحف خاصة بعض العوام أو بعض الجدد في الالتزام تجده لما يفتح القرآن يحفظ فيمر على آيات فيبدأ ينظر في الآيات وهو ليس عنده علم،

فيأتيك بآية ويقول لك أشكلت عليّ، أو هو يجتهد، والبعض يفسر ولم يكن تعلم، فهذه طبعًا إشكاليات. لذلك كان أهل العلم دائمًا يعنفون من يسأل في أشياء لا تعنيه أو ليست لها فائدة من العلم الذي لا ينتفع به أصالة أو ليس فيه فائدة.

لذلك لما علي بن أبي طالب جلس قال: **سَلُونِي** ، أي الذي يريد أن يسأل أسئلة، فقال الرجل **ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: مَا السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ**؟ أنت ماذا ستفعل بالسواد الذي في القمر! هذا علم لا ينتفع به في شيء. لذلك قال: **قَاتَلَكَ اللَّهُ، سَلْ تَفَقُّهًا**، أي أنت تسأل لتتفقه وتتعلم، لكن ما الذي سينفعك من السؤال عن السواد في القمر! ومع ذلك قال: **ذَلِكَ مَحْوُ اللَّيْلِ**، أي أجابه بإجابة لكنه بين قال: **سَلْ تَفَقُّهًا، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتًا أَلَا سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ يَنْفَعُكَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكَ أَوْ أَمْرِ آخِرَتِكَ**؟ وهذا هو الصحيح، بعض الناس أيضًا تتنطع زيادة في السؤال حقيقة، يسأل عن افتراضات، كما جاء الرجل لابن عمر في الطواف وقال أرايت؟ عن الحجر. يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحجر، قال أرايت إن دفعني؟ قال أرأيت إن كذا؟ قال أرأيت إن كذا؟ قال اجعل رأيت خلفك في اليمن يا يمني. فهذه أسئلة عن أشياء لا تفيد. فأنت تسأل عن ما تتفقه به في دينك واترك غير ذلك.

بل قد نُهي عن السؤال في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يحرم أمور لم تكن حرمت، لما الرجل جاء وسأل عن الحج: أفي كل عام؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم قال:[**إِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**] فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يسأل أحد من الأعراب أو الصحابة عن شيء فيُحرَّم بسبب ذلك أو يُوجَب عليهم. فهو لم يرضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج في التراويح بعد اليوم الثاني أو الثالث – على الخلاف – خشية أن تفرض. فهذا هو الأصل؛ أن المرء لا يسأل إلا عن شيء يستفيد منه.

قال: **وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَكْرَهُونَ عُضْلَ الْمَسَائِلِ وَيَرُدُّونَهَا، وَيَأْمُرُونَ بِالسُّؤَالِ عَمَّا يَعْنِي خَوْفًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ الَّذِي نُهُوا عَنْهُ.** وطبعًا

حديث النبي صلى الله عليه وسلم **نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَنَهَى عَنِ الْأُغْلُوطَاتِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ** ، كل هذا يبين كراهة النبي صلى الله عليه وسلم وكراهة أهل العلم على أن المرء يسأل في أمور ليست فيها فائدة، بل ستؤدي إلى المراء والجدال. وقال: **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ** هذه نرجئها لأننا كنا نريد حقيقة أن نبين أمثلة كثيرة جدًا بقدر ما نستطيع عن مسألة المتشابه، وكيف وقع هؤلاء الذين وقعوا في البدع في المتشابهات، لكن الحق الوقت ما يسمح لنا الآن، فسنؤجل الأمثلة، كنت أريد أن أختم بها الباب لكن ستأخذ وقت في أن لابد أن نتعرف على المتشابه الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، الذي قال: فإذا رأيتم الذين يجادلون في القرآن فهؤلاء الذين نهى الله عز وجل عنهم، لابد أن نبين أمثلة من الطوائف المبتدعة الذين وقعوا في ذلك حتى نحذر من ذلك ونتعلم كيف نرد هؤلاء إلى أهل السنة والجماعة. نقف عند هذا القدر لعلنا إن شاء الله نبين الأسبوع القادم ما تبقى من هذا الباب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثانية والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام ما زلنا في شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – ومازلنا في **بَابُ تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعُقُوبَةِ الْإِمَامِ لِمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ.** وكنا قد ذكرنا الأسبوع الماضي كلام عن متشابه القرآن، كان عمدة الباب في شرح آية آل عمران في مسألة المحكم والمتشابه، وما هو معنى المحكم والمتشابه إجمالًا

وتفصيلًا وأقوال أهل العلم في مسألة الوقف والوصل في الآية، وهل المتشابه معلوم أم غير معلوم استاثر الله عز وجل به لنفسه؟ أم علمه أهل العلم الذين رسخوا في العلم؟ إلى غير ذلك من الأمور. وبينا بأن عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة المتشابه والمحكم أن الواجب على كل مسلم أن يعمل أولًا بالمحكم، ثم يرد المتشابه إلى المحكم ويأخذ من المحكم ما يفسر به المتشابه، حتى تتفق دلالة المتشابه مع دلالة المحكم فتتوافق النصوص وتصدق بعضها بعضًا. وهذا هو الجمع بين المحكم والمتشابه كما بينا في القرآن لأنها كلها من عند الله عز وجل، وما كان من عند الله تعالى فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهذه طريقة سلف الأمة والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم بإحسان.

فالقاعدة عند السلف وجوب رد المتشابه إلى المحكم حتى تتفق دلالة المحكم مع المتشابه، فيجعلون المحكم هو الأصل الذي يجب اتباعه ويجب اعتماده، وأما المتشابه يردونه إلى هذا المحكم، وهذا هو الذي جاء فيه قول الله عز وجل:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ } [آل عمران:7]. فهذه طريقة الراسخين في العلم وطريقة أهل السنة والجماعة.

وقلنا بأننا سنضرب أمثلة تبين كيف وقع أصحاب الطوائف المبتدعة في المتشابه، وأن كل الطوائف المبتدعة التي ظهرت وقعوا في المتشابه وجعلوه أصلًا ولم يردوه إلى المحكم فوقعوا فيما وقع فيه، بل أخذوا آيات محكمات وفهموها فجعلوها من المتشابهات، وردوا على ذلك محكمات أخر كثيرة توافق هذا المعنى، كما وقع الجهمية أولًا لما استدلوا بقول الله عز وجل:{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا} [مريم:65]، وقوله تعالى أيضًا:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ } [الشورى:11]، وقوله تعالى:{ قُلْ هُوَ

ٱللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:1]، فهذه النصوص محكمة في حق الله عز وجل، فجاء الجهمية لهذه النصوص المحكمة وحملوها ما لا تحتمل، وحرفوا معانيها.

وكلما جاءت آيات محكمات في الأسماء وفي الصفات متواترة أيضًا – أنا أتكلم عن الكتاب وليست حتى عن السنة فقط – ردوا هذه الآيات. يأتيك {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه:5] وهي آية محكمة، فيقولون لا يجوز أن ننسب الاستواء إلى الله عز وجل لأنه ليس كمثله شيء، لأنه لا سمي له، لأنه هو الله الأحد الصمد.

فجعلوا آيات محكمات الدلالة فهموها فهمًا جعلوها متشابهة، وكل ما يأتيهم من آيات في الأسماء والصفات لا يثبتونها بحجة أن هذا يخالف المحكم وأن الله ليس له سمي، ليس له مثل، ليس كمثله شيء، وأن الله عز وجل هو الأحد الصمد فلا يمكن أن يضاف إليه أسماء ولا صفات، إلى غير ذلك، فضلوا في هذا الباب ضلالًا عميقًا كبيرًا، فنفوا صفات السمع والبصر والإرادة والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة، كل هذا مع أنها صفات ثابتة كاملة في حق الله عز وجل محكمة، بمفهوم مغلوط عندهم لآيات محكمات، فقالوا لا نثبت ذلك لأن هذا متعارض! وهذا طبعًا قلنا فهم باطل عندهم، جعلوا المحكم متشابه، وعليه؛ فردوا كل المحكمات الأخريات بعد ذلك.

كذلك ما وقع من **النصارى**، فتجد بعض النصارى ظنوا بأنهم وجدوا ما لا أحد وجده قبلهم في القرآن، فيقولون للمسلمين أنتم تنكرون علينا تعدد الإله إلى ثلاثة آلهة، هم يقولون طبعًا الآب والروح القدس والإبن، ويقولون ونحن وجدنا عندكم في الكتاب الله عز وجل يخاطبكم بـ "نحن"، و "إنا"، و "مما عملت أيدينا"، و"نحن"، وغير ذلك، فأنتم أيضًا عندكم أكثر من إله؛ تثليث كما عندنا!

وطبعًا هذا فهم أتوا بما يظنون متشابهًا – وهو ليس متشابه – وتركوا المحكم. فالآيات المحكمات على أن الله الأحد الصمد، قوله تعالى:{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ } [محمد:19]، آية محكمة، {وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ} [البقرة:163]، أيضًا {وَمَآ

أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ } [التوبة:31]، و{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ} [البينة:5]، آيات محكمات تفيد إفراد الله عز وجل والوحدانية له. وأيضًا {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} [آل عمران:18]. فآيات كثيرة في هذا المعنى محكمة ومع ذلك هم جاؤوا إلى بعض الآيات التي فيها "نحن" أو "إنا" وظنوا بأن هذا تفيد عقيدتهم الباطلة، وهذا ليس فيها شيء لأن معلوم عند اللغة بأن هذه تفيد التعظيم ليس إلا. الله عز وجل لما يتكلم بصيغه الجمع "نحن" أو "إنا" أو غير ذلك فهذه نون التعظيم وهذه ليست نون الجمع، وهو اسلوب معروف عند العرب، لكنهم كما قلت أرادوا أن يستخدموا المتشابه في ظنهم فيضربوا به المحكم.

أيضًا سار على نهجهم **الروافض** عليهم لعائن الله عز وجل، الروافض أيضًا أتوا بآيات جعلوها متشابهات عندهم ويستدلون بها على ذم الصحابة من قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ} [الأحزاب:53]، فقالوا إذًا الله عز وجل أنزل هذه الآيات على أن الصحابة كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم هذا القرآن، ومنهم من كان عازمًا على الزواج من بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم! فانظر إلى المكر والكيد والفجر عندهم! أخذوا هذه الآية ويستدلون بها على ذم الصحابة على أن الله عز وجل أنزل هذه الآية فيهم أنهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم أو كان منهم من يريد أن ينكح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، وتركوا الآيات المحكمات في فضل الصحابة الذي أنزلها الله عز وجل ورضاه عنهم من قوله تعالى:{ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ } [التوبة:100]، ومنها قوله تعالى أيضًا{لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ} [الفتح:18]، وأيضًا {مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ

صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلًا } [الأحزاب:23]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: [خيرُ القُرونِ قَرْني ثمَّ الذين يَلُونَهم ثمَّ الذين يَلُونَهم] فبيَّن خير القرون والأزمنة قرن الصحابة.

نصوص محكمات تجدها في الكتاب وفي السنة تبين فضل الصحابة وأن الله عز وجل قد رضي عنهم، وهم أتوا بهذه الآيات المتشابهة يربون بها الآيات المحكمات ليشوشوا على الناس ويستدلون على عقيدتهم الباطلة.

ومنها أيضًا **القدرية**؛ فالقدرية أيضًا فهموا آيات في القرآن منها قول الله عز وجل: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ} [فصلت:46]، و { وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف:49]، قالوا هذه الآيات – انظر كيف البدعة تجعل المرء يضرب المحكم بالمتشابه – يقولون الله نفى عن نفسه الظلم. فما الإشكال إذًا؟ يقولون الله تعالى لا يمكن أن يخلق فعل العبد، كيف يخلق فعل العبد ثم يحاسبه عليه وربنا يقول{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ} ويقول أيضًا سبحانه وتعالى{ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} فكيف يخلق الله عز وجل فعل العبد ثم يحاسبه على ذلك؟ وتركوا عموميات وآيات محكمات تبين أن {ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} [الزمر:62]، و{وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ} [الزمر:62]،و {قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ} [الرعد:16]، و {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [التكوير:29]، نصوص محكمة على أن العبد مخلوق وأعماله مخلوقه أيضًا، وأن العبد لا يريد إلا ما يشاء الله عز وجل، وهم ما فهموا الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية فتمسكوا بهذه الآيات التي جعلوها من المتشابه وأهملوا المحكم الصريح. لذلك نقول الله بيَّن {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} أي لكم مشيئة لكن غير مستقلة، لابد أن تكون تحت مشيئة الله عز وجل. ويستدلون أيضًا من قول الله عز وجل{فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَـٰذِبِينَ} [العنكبوت:3]، فيقولون إذًا الله عز وجل لا يعلم الأشياء إلا بعد أن تقع!

أيضًا هذه آيات متشابهة عندهم فيستدلون بها على أن الله عز وجل لا يعلم ولم يخلق أفعال العباد، بل استدلوا بقوله تعالى أيضًا:{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم:41]، إذًا من الذي يفعل؟ الناس، إذًا الناس هي الذي تفعل وتخلق وتعمل أفعالهم بأنفسهم! فاستدلوا بالآية الأولى: {فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [العنكبوت:3]، على أن الله لا يعلم إلا بعد الحدوث، والثانية أيضًا بأن الفساد ظهر بما كسبت أيدي الناس فإذًا الله عز وجل – مع الآيات التي قلتها قبل ذلك على مذهبهم في مسألة أن الله لم يخلق أفعال العباد– هم يقولون طبعًا أن الله لا يعلم أفعال العباد حتى تفعلها العباد أيضًا.

وطبعًا الرد في مسألة الآية: طبعًا الآية الثانية سهلة ليس فيها إشكال{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ} [الروم:41] أي بسبب؛ أي أنتم فعلتم ذلك فالله أنزل عليكم العذاب، لكن نقول الآية الثانية: {فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [العنكبوت:3] لابد تجمعها مع دليل آخر؛ في مسألة أهل الفترة وأطفال المشركين والمجانين لما سُئل عنهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: [اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ]

لماذا جئت بهذا الحديث؟ هم يُسئل عنهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة سيدخلوا الجنة أم النار؟ لأن هم أصحاب فترة أو مجنون أو صبي من المشركين فنقول هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم [اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ] إذًا هناك علم محاسبة، هذا الذي يُقصَد من قوله تعالى: {فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [العنكبوت:3].

فيوجد علم محاسبة ويوجد علم مشاهدة، فالآن من قوله تعالى:{ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ} [العنكبوت:3] فالله عز وجل علم ما سيكون إلى يوم القيامة، فإذًا لماذا يقول هذا؟ لا، هذا علم المحاسبة، أي أنت تقول الآن

الله لا يحاسب حتى تعمل، هو يعلم الله عز وجل أنك ستعمل لكنك حتى لا تأتي وتحتج على الله عز وجل إن حاسبك قبل أن تعمل، فتقول يا ربي كنت لن أكفر، كنت لن أفعل هذه المعصية، فالله عز وجل قال:{ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ} [العنكبوت:3] أي لن يحاسبهم حتى يعملوا ما قدره الله عز وجل من قبل. وهذا لابد أن تفرق بين علم المحاسبة وعلم المشاهدة، هذا الذي نقصده الآن.

فكل شيء كُتِب في اللوح المحفوظ، لكن الله عز وجل لن يحاسب إلا بعد أن تعمل، وهذا هو الذي لم يفهمه القدرية في ذلك، فظنوا بأن الله عز وجل لم يعلم إلا بعد أن حدث! وهذا خطأ، الله عز وجل يعلم من قبل ما سيكون لكنه لا يحاسب حتى يعمل المرء ما سيعمله. والشاهد أن كل هذا من كلام القدرية على أنهم لم يفرقوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. قد فصلنا من قبل، انظروا كيف استدلوا بآيات فيها المتشابهة عندهم وأصلوها وردوا بها الآيات المحكمات الأخرى التي قد بيناها.

أيضًا وقع في نفس ما وقعوا فيه **الجبرية**؛ فالجبرية أيضًا ردوا نصوص محكمة جاءت في الكتاب بنصوص أخرى تشابهت عندهم، فلم يحملوا المتشابه على المحكم، بل صدروا الآيات التي عندهم فيها تشابه ولم يعملوا بالآيات المحكمة، كما كان يعمل أهل السنة يردون المتشابه إلى المحكم فتتضح لهم.

وكما هو معلوم بأن الجبرية يقولون على أن المرء لا يعمل شيء وأنه كريشة في الهواء إلى غير ذلك، وأن الله عز وجل هو الذي يفعل كل شيء، وهو الضلال أيضًا مثلهم مثل القدرية في مسألة فهمهم للإرادة الكونية والإرادة الشرعية، لكنهم قالوا ذلك.

وقالوا بأن أفعال العباد تُنسَب إلى الله عز وجل؛ أي خلقا وإيجادًا وعملًا، وهذا الفارق بين القدرية وبين الجبرية، وبين أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة يقولون بأن أفعال العباد خلقًا وإيجادًا من الله عز وجل، وفعلًا وكسبًا من العباد.

الجبرية قالوا لا، الكل من الله فالعبد لا يفعل شيئًا وليس له الإرادة، نقيض قول القدرية.

فهم يقولون: {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الإنسان:30]، إذًا المشيئة لله عز وجل، أنت ليس لك شيء، الكل في مشيئة الله عز وجل. فهنا جعل كل المشيئة لله وأن لا قدرة للعبد ولا فعل له ولا كسب له ولا تحصيل، وهذا ينافي آيات أخرى محكمات؛ قول الله عز وجل:{ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر:38]، وقول الله عز وجل: {وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى:30]، وقول الله عز وجل: {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} [آل عمران:182]. إذًا كل هذه أدلة تبين أن العباد لهم مشيئة، ولهم كسب، ولهم عمل أيضًا. و{ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف:5]، هم الذين زاغوا، فالله عز وجل عاقبهم فأزاغ الله عز وجل قلوبهم. الشاهد بأنهم أيضًا أتوا بآيات عندهم فيها متشابهات ولم يردوها إلى الآيات المحكمات فوقعوا.

ومنها كما قلنا من قبل قوله تعالى:{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال:17]، فقالوا أن العبد لم يرم، وأن هذا دليل على أن العبد لم يفعل شيء وأن الله عز وجل هو الذي يفعل إلى آخر ما قالوه أيضًا في مسألة الآيات التي تبين على أن العبد ليس له فعل ولا إختيار، إلى غير ذلك.

أيضًا من الذين وقعوا من المبتدعة الذين نفوا الشفاعة، أيضًا استدلوا بقول الله عز وجل: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ} [المدثر:48]، وهؤلاء **المعتزلة** الذين نفوا الشفاعة، **والخوارج** نفوا الشفاعة للمسلمين وحملوا آيات نفي الشفاعة للكفار على عصاة المسلمين فنفوا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المعاصي، أهل الكبائر، ونفو شفاعة المسلمين بعضهم لبعض أيضًا، واستدلوا من قوله تعالى: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ} [المدثر:48]، وهذه الآية نزلت في الكفار.

إذًا أين الأدلة المتواترة الأخرى في إثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من المسلمين وإثبات الشفاعة للمسلمين بعضهم إلى بعض إلى غير ذلك من انواع الشفاعات؟! تجد أنهم بعدما أخذوا بهذه الآية ردوا المحكم لأنهم أخذوا بالمتشابه ولم يحملوا الآيات بعضها على البعض، بل حملوا كما فعلت الخوارج في كثير من آيات الوعيد التي نزلت في الكفار حملوها على أهل الكبائر من المسلمين وأخرجوهم من الإسلام بحمل المتشابه على المحكم. فهذا أيضًا كان في مسألة نفيهم للشفاعة.

منها أيضًا ما فعله **المعتزلة** في أنهم قعدوا قواعد على مسألة نفي أن يُشبَّه الله عز وجل بصفات من الخلق، فأيضًا وقعوا فيما وقعوا فيه من رد لكثير من أفعال الله عز وجل الإختيارية وصفات الأفعال لله عز وجل، وأولوها بتآويل باطلة، تهوكوا فيها ولم يثبتوا كل الآيات التي جاءت أن الله عز وجل له أفعال إختيارية، قال: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:29]، و {فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ } [التوبة:105]، و{هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ } [البقرة:210]، إتيان لله عز وجل، و{وَجَآءَ رَبُّكَ} [الفجر:22]، وقوله تعالى { إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج:14]، وأيضًا {وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً} [الإسراء:16]، و {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ} [المجادلة:1]. كل هذه التي فيها الأفعال الإختيارية الأشاعرة لم يثبتوا ذلك، وعلى أن هذا من سبيل الشيء المحدث، وقالوا بأن لو أثبتناه لله عز وجل فجعلناه مُحدَث فجعلناه كالمخلوق وما استدلوا إلا بآية ودليل أهون ما يكون؛ من قول الله عز وجل؛ ابراهيم لما نظر في القمر:{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ } [الأنعام:76]، فقالوا هنا بأن ابراهيم عليه السلام لما قال {لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ } حملوا معنى قول الله عز وجل {لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ } معنى الآفلين هنا عندهم الأفول محصور في الحركة؛ أي أنه يتحرك من مكانه، فأرادوا أن يقولوا بأن ابراهيم نفى أي إله غير الله عز وجل لأنه يتحرك! انظر إلى البدعة من أين أتتهم! من الاعتقاد الخاطئ، حتى التفسير

مخالف لأهل اللغة، فقالوا {لَآ أُحِبُّ الْآفِلِينَ } أن الأفول بمعنى الحركة هنا، فقالوا إذًا ابراهيم عليه السلام استدل على بطلان الإلهة لغير الله عز وجل بالحركة، إذًا الله عز وجل لا يقوم، لا يفعل، لا يصدر منه شيء! فكل الأفعال الإختيارية التي جاءت في القرآن أو جاءت في السنة ينفوها عن الله بهذه الآية فقط وبكلام باطل حتى ليس عند أهل اللغة، لأن أهل اللغة لا يثبتون أن {لَآ أُحِبُّ الْآفِلِينَ } بمعنى لا أحب الذين يتحركوا، لكن الأفول عندهم الشيء الذي يغيب، فلما أفل أي غاب، هنا ليس التحرك لأن الله عز وجل لا يمكن أن يكون له أفول لأن الله لا يمكن أن يغفل أو يغيب عن الكون فيحدث شيء لا يعلمه. فهذا معنى الأفول في اللغة وهو أنه يغيب عن الشيء، فهنا لأن الله عز وجل لابد أن يكون مطلع على الخلق يعلم أمورهم ويعلم ما يكون. فهنا لما قال{لَآ أُحِبُّ الْآفِلِينَ } فليس المقصود به الحركة كما يقولون! فانظر... تركوا كل الآيات المحكمات على إثبات الأفعال الإختيارية لله عز وجل وجاءوا بآية وحيدة أصلًا عندهم وبتفسير خطأ حتى لغة ولم يردوا المتشابه حتى لو كان فيه أكثر من معنى ومنها المعنى الذي قلناه هو الصحيح، فكان يجب أن يرد على المحكم فتستقيم الأمور. لكنهم لأنهم عاملوا القرآن بمعاملة أهل البدع بأنهم أخذوا بالمتشابه ولم يردوه على المحكم فوقعوا فيما وقعوا فيه، وعلى هذا لم يثبتوا كل الأفعال الإختيارية التي قد أثبتها الله عز وجل.

منها أيضًا ما وقع من **الأشاعرة** ومن غيرهم الذين نفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وقد جاءت آيات محكمات، قال الله عز وجل:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22- 23]، وقوله تعالى:{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس:26]، النبي صلى الله عليه وسلم فسرها قال "الزيادة" هي رؤية الله عز وجل يوم القيامة. فتركوا هذه الآيات المحكمات؛ قطعيات في الدلالة، وجاءوا بآيات أخرى فيها تشابه، قال تعالى:{ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام:103]، فقالوا قال تعالى {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ} وقال الله عز وجل لموسى: {لَن تَرَىٰنِى} [الأعراف:143]. أصوليًا كما ندرس "لن" نفي "تراني"، قالوا على

العموم لن يرى الله عز وجل وقالوا {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ} فهذه آيات فيها المعنى ممكن يتشابه يرد إلى المحكم، فهناك فرق بين الإدراك وبين الرؤية؛ الإدراك فيه إحاطة ولا يمكن أحد أن يحيط بالله عز وجل، فنفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لأن الآيات جاءت في الرؤية و"لن" لا تفيد التأبيد عند أهل اللغة، وإن فادت هنا فتفيد في الدنيا لا في الآخرة، لأن لن يحتمل الإنسان النظر إلى الله عز وجل ببصره. فهنا صدروا المتشابه ولم يردوه إلى المحكم فوقعوا في نفي رؤية المؤمنين لربهم عز وجل.

وطبعًا قس على ذلك أيضًا الأشاعرة لما وقعوا في عدم اثبات الصفات الخبرية والصفات الفعلية التي جاءت، إلى غير ذلك، باستدلالهم بآيات متشابهات وعدم ردهم للآيات المحكمات.

فهذه كلها أمثلة من الطوائف المبتدعة وقعوا فيما وقعوا فيه من رد الآيات المحكمات ببعض ما تشابه عندهم من بعض الآيات فوقعوا فيما وقعوا فيه من الضلال.

منها أيضًا **الخوارج** لما أخذوا بأحاديث مثلًا [سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ] وأيضًا [لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ] أخذوا بهذه الأحاديث وقالوا بكفر فاعل الكبيرة ولم يأخذوا بالأحاديث الأخرى والآيات المحكمات قوله تعالى: {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ} [الأعراف:156]، أو قول الله عز وجل: {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ } [الحجرات:9] القتال لا شك بأنه معصية لكن قال {مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} فأثبت الله عز وجل لهم الإيمان. والنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الحسن قال: [إِنَّ ابْنِي هذا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشْ يُصْلِحْ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ]. وهذا كله رد، لكنهم أخذوا بالمتشابه ولم يردوه إلى المحكم فوقعوا فيما وقعوا فيه في الضلال الذي قد بيناه.

أيضًا كما فعلوا – الخوارج – مع علي بن أبي طالب، أخذوا بقول الله تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام:57] و {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أنزل ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة:44] وكانوا يلمزون على عليّ رضي الله عنه وأرضاه على أنه قَبِل التحكيم مع معاوية بحكم الرجال، وطبعًا الكلام قد بيناه من قبل في بداية الأبواب على كيف يرد عليهم على أن الله عز وجل أيضًا ذكر في آيات النساء: { فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ } [النساء:35]، قالوا هذا رجال؛ حكم من أهلها وحكم من أهله، الله عز وجل أمر بذلك. وفي الصيد: { يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ} [المائدة:95]، "يحكم به ذوي عدل منكم" بشر أيضًا؛ الله عز وجل جعله يحكم، وهذا ما دام يحكم بحكم الله فهذا هو حكم الله عز وجل. فهذه آيات وأحاديث محكمات تبين، لو ردوا ذلك ما وقعوا فيما وقعوا فيه.

أيضًا لابد ألا نترك الصوفية لأننا نعيش الآن مع الإشكاليات التي تحدث أيضًا **غلاة الصوفية** الذين بعد أن وصلوا لما وصلوا إليه وقالوا بأننا وصلنا إلى صلة بيننا وبين ربنا فأوقفوا التكاليف واستدلوا بقول الله عز وجل:{ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ} [الحجر:99] وقالوا اليقين قد جاءنا لأننا في صلة مع الله عز وجل مستمرة، نحن بيننا وبين الله عز وجل صلة فلا نحتاج إلى العبادة هذه! فهذا باطل، أخذوا الآية وبمفهوم حتى لم يقع وليس متشابه لأن الآية محكمة {وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ} [الحجر:99] اليقين هو الموت لأن النبي صلى الله عليه وسلم وحتى وهو في اغمائه كان يفيق فيصلي فيغمى عليه يفيق فيصلي، وبعد أن بعد يصلي يغمى عليه مره أخرى، ما ترك الصلاة حتى قبل موته بساعات، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم. فهم أتوا بهذه الآيات وجعلوا لها فهمًا، وحتى لو تشابه عندهم كان لابد أن يردوه إلى المحكم فلا يقعوا فيما وقعوا فيه من الأباطيل التي قالوها، ولكنهم {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ } [آل عمران:7].

فهذه كلها نماذج أردنا أن نبينها من نماذج الطوائف المبتدعة الذين خالفوا منهج أهل السنة والجماعة في عدم ردهم المتشابه للمحكم فتستقيم لهم الأمور.

هناك كلام قاله المؤلف قال: **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ , وَيَا أَهْلَ الْحَدِيثِ , وَيَا أَهْلَ الْفِقْهِ , وَدَعُوا الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ وَاسْلُكُوا طَرِيقَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَئِمَّتِكُمْ، يَسْتَقِمْ لَكُمُ الْأَمْرُ الرَّشِيدُ، وَتَكُونُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْوَاضِحَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ أُثْبِتَ فِي تَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ عَقَلَ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِمَنْ أَحَبَّ** . هنا الشيخ يختم الكلام كأنه أيضًا تتمة لما قاله في الباب الذي قبله في مسألة المراء والمناظرة، فكأنه يحث أهل القرآن وأهل الحديث والفقه على أن يتركوا المراء والجدال والخصومة وأن يرجعوا إلى منهج السلف الصالح في مسألة ترك الجدال والخصومة والمناظرة بغير فائدة، إلا أن يكون في حق يراد أن يُبيَن، أو دفع مفاسد يُخشى أن تنتشر، فأثبت ذلك.

الفوائد المستنبطة:

1- أن الأمر إذا اشتبه على الناس يجب رد الأمر إلى الراسخين في العلم. والآيات التي قرأناها وبيناها بأن عند التشابه لابد يرد الأمر إلى الراسخين في العلم، وهذه الإشكالية التي نحن فيها الآن؛ كل منا يتكلم في المتشابه كأنه أُنزل عليه هو ليرد! ومعلوم فالله عز وجل في الآية بين بأن الذين يعلمون المتشابه ليس كل أحد، وما يعلمه إلا قليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم، إذًا الكثير لا يعلم، فالقليل هو الذي يعلم، بل قُيد القليل بالرسوخ في العلم. فلو أن في زمن الفتن – وهذا الكلام أيضًا يكون في الفتن وفي المتشابه – لو رُد الأمر إلى الراسخين في العلم لاستقامت الدنيا.

لكن للأسف فيما نرى بأن كل أحد يتكلم في عضل المسائل كأنه قد اشرب حلها من زمان وكأنه هو العالم الأوحد في الأمة، وهو إن تكلمت معه لا يعلم حتى

الدليل على ما يقوله! وهذه من المصائب التي نحن ابتلينا بها في هذه الأزمنة، لم يفرق بين أهل الرسوخ في العلم الذين لابد أنهم هم من يتصدون إلى عضل المسائل ويترك حتى باقي أهل العلم الذين لم يصلوا لهذه المرتبة لهؤلاء. لكن الذي يحدث أن عوام الناس ومن اشتم رائحة بعض العلم، بل من عنده بعض الثقافة العلمية، بل من عنده بعض الهوى الشرعي- كما يقال- يتكلم في هذه المسائل. وهذه من المصائب، يخالف قول الله عز وجل: {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ } [النساء:83]، فبين أن عند الفتن وعند المتشابه لابد أن يُرد الأمر إلى الراسخين في العلم.

ولكنه يحدث ما تنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم بأن يأتي على الزمان يتصدر فيه الرويبضة ويُطلَب العلم عند الأصاغر فتحدث الإنحرافات، ويحصل التجرؤ، ويحدث التكفير، ويحدث الإرجاء إلى غير ذلك ما يحدث بدون علم.

2- ولي الأمر له الحق في تعزير من يخالف من الرعية منهج أهل السنة والجماعة أو ما يخالف الحق، كما فعل عمر بن الخطاب أعزر الرجل لأنه كان يتكلم في المتشابه، وهذا يبين لك أولًا وظيفة ولي الأمر؛ من واجباته أن يحفظ للناس الدين وأن يحفظ للناس منهج أهل السنة والجماعة ويحملهم على قول الله عز وجل وقول النبي صلى الله عليه وسلم، هذه واجباته. أيضًا إذا رأى إعوجاج في بعض الناس فلا يترك ذلك، من مهامه أيضًا، وله الحق أن يؤدب ويعزر الذي يتجرأ.

ولكن للأسف نحن نرى المسألة ليست في المتشابه الآن، التجرؤ أصبح على دين الله عز وجل مستباح، التجرؤ على الثوابت وعلى الآيات المحكمات في الكتاب وفي السنة، ومن باب أولى أن هؤلاء يحتاجون إلى تعزير، ويحتاجون إلى ردع، ويحتاجون إلى ألا يفتنون العوام ويفتنون الناس ويترك لهم المجال.

فإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع فقط برجل في الكوفة يتكلم ويسأل عن المتشابه فلما أُتي به ضربه وعزره وعمل فيه فيما فعل. فحري بكل

ولي أمر بأنه ينظر في الكلام الذي يخالف الشرع والذي يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يفعل كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

3- من كلام الرجل أنه كان يسأل عن أشياء كثيرة ليست له أن يسأل عنها، وفيها بيان على أن كثرة السؤال عما لا يقع لا حاجة لنا فيه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الأغلوطات والغلوطات في الدين أو المعضلات أو الناس الذين يتمارون بعضل المسائل بدون داعي، وهذه نجدها، أحيانًا تأتي أسئلة ما داعي أنها تُسئل، أي هناك أسئلة فيها تنطع، فيها تكلف، فيها افتراضات، فيها أشياء نحن في غنى عن ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، والصحابة كانوا ينهون أيضًا عن ذلك على أن كثرة السؤال عما لا يقع، فهذا نُهي عنه، وهذا يسمى من باب الأغلوطات والمعضلات التي لا يصح أن المرء يماري بها العلماء حتى أو يسأل عنها أو يضيع الأوقات في ذلك. وطبعًا هذا يستنبط من رواية علي بن أبي طالب لما قال علي بن ابي طالب **سَلُونِي، فَقَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: مَا السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ لَهُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ، سَلْ تَفَقُّهًا، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتًا** . فهذه فائدة مستنبطة من هذه الرواية من هذا السند.

وقال: **وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَنَهَى عَنِ الْأُغْلُوطَاتِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ** .

نكون قد انتهينا من هذا الباب، ونقف إن شاء الله عند **بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ**. هذا الباب والأبواب التي تليه في هذه المسألة ستأخذ معنا بعض الدروس، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا ذلك، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما تعلمنا، وأن يجعلنا ننشر ذلك بين الناس.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع درس جديد من دروس شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم ندخل في باب جديد أيضًا من أبواب هذا الكتاب المبارك، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا مدارسته وأن ينفعنا بما نتعلمه من هذا الكتاب، وأن يجعلنا نعمل بهذا العلم وننشره بين الناس. توقفنا عند **بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ**

16-بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ قَوْلَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُزِغْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وُوُفِّقُوا لِلرَّشَادِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ، وَالْجَهْمِيُّ فَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ كَافِرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} [البقرة: ٧٥] وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [آل عمران: ٦١] وَقَالَ تَعَالَى {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ وَسَنَذْكُرُ مِنَ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَقَوْلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ،

زَادَهُ عِلْمًا وَفَهْمًا، وَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ فَالْبَلَاءُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من بديع المصنف أنه قدم لهذا الباب بأبواب سابقة – لو تذكروا – قد تكلم عن النهي عن المراء في القرآن، تكلم عن النهي عن المجادلة والمنازعة، ثم تكلم بعد ذلك أيضًا عن المتشابه في القرآن؛ تعرض لمتشابه القرآن، كأنه قدم لنا أبواب من باب كيف يكون الأدب مع القرآن حتى يصل إلى لب ما يريد، وهذا الباب الذي هو معنا يصل إلى أصل من أصول العقيدة عندنا بعد أن بين لنا كيف التأدب في القرآن من حيث المتشابه والجدال والمناظرة والمخاصمة إلى غير ذلك أتى ليتكلم عن القرآن نفسه ويقول بأن القرآن كلام الله عز وجل، ويبين كيف وقع فيه ما وقع من الطوائف المبتدعة فكان هذا حقيقة من حسن ترتيب المؤلف لهذا الكتاب الذي أراه – والله أعلم – من أعظم كتب أهل السنة والجماعة في أبواب العقيدة ترتيبًا وأيضًا تأصيلًا لهذا العلم؛ علم التوحيد أو العقيدة.

فهنا بدأ في الكلام عن باب ذكر الإيمان؛

عنوان هذا الباب فيه ثلاثة مسائل:

1- قال **بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** هذا أول شيء؛ يثبت بأن القرآن كلام لله عز وجل؛

2- **وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**، إذًا هنا لم يكتفي بالإثبات، بل أراد النفي أن يكون كلام الله مخلوقًا، وهذه مسألة مهمة جدًا عقائديًا أيضًا في المناظرات مع الفرق المبتدعة، لأن ممكن تجد أمامك من يضللك ويقول أنا أقول بأن القرآن كلام الله ويسكت، لماذا؟ لأن القرآن منسوب إلى الله، كلام الله، وسيأتي معنا الآن بأن الإضافة إلى الله على نوعين؛ إضافة أعيان وإضافة صفة، فهو الآن لما يقول لك أن القرآن كلام الله ويسكت فلم يثبت لك الآن عقيدة أهل السنة والجماعة، ممكن يرى

أنه كلام الله لكن مخلوق، مضاف إلى الله إضافة أعيان كما قالت المعتزلة وقالت الجهمية.

لذلك هو أراد في التبويب أن يقول لك **وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**، إذًا لابد بعد أن تثبت تنفي هنا بأنه ليس بمخلوق وهذه المسألة الثانية ليبين بأن القرآن كلام الله عز وجل لكن أيضًا لابد أن تثبت أنه ليس بمخلوق ليرد على المبتدعة – كما سيأتي معنا– الجهمية والمعتزلة، وأيضًا من لبسوا على أهل السنة والجماعة وقالوا نقول بأن كلام الله عز وجل ولكنهم لم يثبتوا الكلام كما أثبتوه أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة والماتردية وغير ذلك الذين لم يقولوا بأن الكلام مخلوق لكن لازم قولهم لم ينفوا الصفة أثبتوا أن صفة الكلام لله لكنهم أيضًا لم يثبتوا أن الكلام الذي بين أيدينا هذا قد تكلم به الله عز وجل – القرآن– قد تكلم به الله عز وجل، بل كما بينا من قبل أنهم يرون بأنه معنى من المعاني وأنه حكاية عن كلام الله عز وجل، فهذه هي المسألة الثانية.

3– المسألة الثالثة يبين حكم من زعم أن القرآن مخلوق وقال **فَقَدْ كَفَرَ** ،وسنبين هذه المسألة؛ هل الكفر هنا كفر على العين، أم كفر على النوع؟ وهل كفر أكبر أم ليس بذلك؟ لكن الترجمة تبين لك ثلاثة مسائل.

المسألة الأولى: بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

سنبدأ بالأولى؛ قال المؤلف **الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** ، وكلام الله عز وجل هنا أضيف الكلام إلى الله جل وعلا.

- **والمضاف إلى الله نوعان:**

1– **النوع الأول: إضافة عين إلى الله وهذه تكون إضافة تشريف**، فتقول ناقة الله، الكعبة بيت الله، عيسى روح الله، هذه كلها أضيفت إلى الله عز وجل، ولكن هذه الإضافة لها معاني في التوحيد أنها تدل على ربوبية الله عز وجل، لأن أولًا فيها عظيم ربوبية الله عز وجل لما تنظر إلى الكعبة، تنظر إلى الناقة وكيف خرجت من

الصخرة الذي خلقها الله عز وجل أخرجها بمعجزة، فهذه أضيفت إلى الله. وعيسى الذي خلقه الله عز وجل كآدم من أم فقط، وإن كان آدم خلق من غير أم وأب، وعيسى خلق من أم فقط، فهذه أيضًا الإضافة التي أضيفت إلى الله. والكعبة بيت لله عز وجل الذي فيه ما فيه من الشأن والعِظَم عند رب العالمين. فنقول الإضافة هنا فيها أولًا تشريف للمضاف، وتدل على عظم ربوبية المضاف إليه وهو الله عز وجل، فنقول أن هذا النوع الأول من أنواع الإضافة. ولما قال عن عيسى "روح الله" فلابد أن تكون الروح من خلق الله، قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران:59]، فهنا تبين أيضًا قدرة الله عز وجل كما أن خلق آدم من تراب وقال كن فيكون فكذلك خلق عيسى وإن كان من أم وليس من أب، لكن فيها عظيم قدرة الله عز وجل، وهي إضافة تشريف، وبينا ذلك من الكعبة والناقة إلى غير ذلك.

2- **النوع الثاني من الإضافة هو إضافة معنى إلى الله عز وجل**؛ وهذه مسألة قد تكلمنا عليها من قبل، وإضافة المعنى هي **إضافة صفة إلى موصوف**، قد تقول مثلًا رحمة الله، علم الله، عزة الله، أي أن العزة والرحمة والعلم صفة لله عز وجل.

وهنا من استدلالات المؤلف استدل على مسألة إضافة الصفة للموصوف لأنه قال: **أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تعالى**، وهذا دليل طبعًا – المقدمة سنتكلم عنها إن شاء الله أيضًا فيها نظر قليلًا– فهو يريد الإمام الآجري أن يستدل على أن القرآن كلام الله عز وجل صفة لأن القرآن من العلم، لأن الذي يتكلم لابد له من علم، فكأن القرآن من العلم، فهو ردهم من المتشابه عندهم إلى المتفق عليه، وإن كان طبعًا ليس إلى كل المتفق عليه عند المبتدعة، هو يريد أن يقول: **لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ** وعلم الله لا يجوز أن يكون مخلوقًا، فرد القرآن إلى العلم، على أن يحاج بعض – أقول بعض – لماذا بعض؟ لأن هناك طوائف أصلًا لم تثبت علم الله. فالجهمية لم تثبت لا اسم ولا صفة، لو تذكروا، الجهمية لم تثبت لله إلا الوجود فقط؛ صفة الوجود لله

وليست له أسماء ولا صفات. والمعتزلة جاؤوا فأثبتوا الأسماء بلا معنى، قالوا سميع بلا سمع، عليم بلا علم، بصير بلا بصر- وأنا لا أريد أن أستفيض في التأصيل لأنه موجود في شروحات أخرى - لكن نبين على أن هؤلاء لم يثبتوا العلم. لكن الذين أثبتوا العلم هم الأشاعرة، أثبتوا العلم. فهو هذا ممكن يصح أن يكون استدلالًا عليهم؛ أن الكلام من العلم، والعلم مثبت، فهذا يسحبون كما أثبتم العلم فتثبتون الكلام، وكما أن لله علمًا خاص به فلله كلام خاص به، ولا يستلزم إثبات العلم لله وهناك علم للمخلوق التشابه، كذلك لا يستلزم اثبات الكلام لله أن يكون كلامًا متشابهًا مع المخلوق، لأن هم فروا من إثبات الكلام عند أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بحرف وصوت مسموع وقالوا كلام نفسي! فهذا كله ممكن يكون عند الأشاعرة في المحاججة. لكن الذين نفوا العلم أصالة فالمقدمة هذه ستكون عندهم فيها نظر لأنه سينسف لك الدليل من أوله ويقول لك بأن لا أثبت العلم أصالة.

لكن هو استدلال بديع نظرًا من المؤلف أنه أراد أن يقول أن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يمكن أن يكون مخلوقًا، إذًا القرآن لا يكون مخلوقًا. وهذه كلها طبعًا تبين لك أولًا الإضافة إلى الله عز وجل أنها إضافة على نوعين، وتبين لك أيضًا أن الاستدلال الذي أتى به المؤلف أنه أرجع الكلام إلى العلم، وقال كما أن العلم ليس مخلوق فيكون القرآن أيضًا ليس بمخلوق. وهذا لعله سيأتي إن شاء الله تفصيل أكثر من ذلك.

لكن نبين الآن على أن الذين خالفوا في ذلك لابد أن تعلم من الذين قالوا بأن القرآن مخلوق، فالذين طبعًا بدأوا ذلك هم المعتزلة - أفراخ الجهمية- لأن هذه البدعة ظهرت في زمن الإمام أحمد عن طريق المعتزلة. والجهمية ينسبون إلى (جهم بن صفوان) والذي أصلًا أخذ من (الجعد بن درهم)، والجعد بن درهم أخذ من (أبان بن سمعان) وهذا يهوديًا. فالخبيث ابن الخبيث أخذ من الخبثاء ثم خرج بهذه الطائفة التي هي الجهمية التي نفت الأسماء والصفات عن الله.

ثم جاءت المعتزلة – أفراخ للجهمية – فأخذوا أيضًا بالتعطيل، لأن أصل التعطيل جاء من الجهمية، وكل ما جاء من بعدهم من الطوائف المبتدعة أخذوا من الجهمية؛ فالمعتزلة أخذوا من التعطيل بالكلية مع أنهم فارقوا الجهمية أنهم أثبتوا الأسماء بلا معنى.

وهذه بداية الفتنة عند المعتزلة أنهم قالوا بأن القرآن مخلوق وهذا الذي حدث كما قلت في فتنة الإمام أحمد، وطبعًا انبرى لها الإمام أحمد دفاعًا عن السنة وأثبت وقال لهم بأن القرآن غير مخلوق، وهذا طبعًا كان عقيدة أهل السنة والجماعة. إذًا هذه مسألة مهمة جدًا عندنا في العقيدة وهي مسألة اثبات بأن القرآن كلام الله عز وجل، وأن القرآن غير مخلوق.

لوازم باطلة ستلزم من زعم بأن القرآن مخلوق:

نقول أن من زعم القرآن مخلوق – وهذا القول الذي أشن عليه المؤلف هنا في هذا الباب الذي معنا – سيلزمه لوازم باطلة؛ ولهم بعض الأدلة سأشير إليها أيضًا، لكنهم لما قالوا بأن القرآن مخلوق، كلام الله عز وجل مخلوق، سيلزمهم لوازم، فلو قالوا بأن القرآن مخلوق فمعنى ذلك بأن المخلوق هكذا يدعي الخلق، ألم يقل الله عز وجل:{ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ،أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ} [الطور:35-36] ؟ وهذا قرآن، أليست هذه آيات قرآنية قيلت؟ فلو قلنا ذلك إذًا الذي قال عندهم مخلوق. فهو من الذي قال{أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ،أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ} ؟ إذًا الذي خلق من؟ سيكون مخلوقًا لأن القرآن عندهم مخلوق، والذي قال هذه الآيات ستكون مخلوقة، إذًا الذي خلق هو المخلوق، وهذا كفر! هم لا يستطيعون أن يقولوا ذلك لأن الله عز وجل قال: {أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ} ، {أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ} من الذي خلق؟ الذي تكلم بهذا الكلام. فلو قلت بأن الذي تكلم بهذا الكلام مخلوق – لأنه كلام

الله – إذًا الذي خلق هو من؟ المخلوق. وهذا كفر مبين، بل حتى فرعون ما قال ذلك، {فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ} [النازعات:24]، لم يقل أنه خالق.

فهم يقولون أن الذي قال هذه الآيات مخلوق، فكلام الله عندهم مخلوق، إذًا الذي خلق مخلوق وليس بخالق، لأن نحن عندنا الذي قال هذه الكلمات هو الله عز وجل، والله هو الذي خلق هو الذي قال ذلك هنا، فلو قلتم بأن هذا الكلام مخلوق إذًا الذي خلق مخلوق.

هذه لوازم – أقول لوازم – فلما أقول لوازم إذًا لم أقل أنهم قالوا تصريحًا، لكن لما يقولوا أن كلام الله مخلوق يلزمهم هذه اللوازم الباطلة. فالبعض بيظن أن هذا الكلام لما أقوله والبعض عندما كنا بنعمل السلسلة على النت يقول لي أنت بتكذب على الأشاعرة! قلت له أنت لا تفهم الفارق بين لما أقول لك قول الأشاعرة، ولازم قول الأشاعرة، أنا لما أقول "لازم" إذًا أنا لم أنسب القول لهم، لكن لازم قولهم أنه يكون معناه كذا، وممكن تشكلني في اللازم لكن ليس كذبًا عليهم كما يظن الجاهل في ذلك.

أيضًا منها قول الله عز وجل:{ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ، إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى} [طه:11-12]، إلى آخر الآيات. فمن الذي نادى؟ إذًا الذي نادى هنا ليس الله عز وجل، إذًا مخلوق أيضًا! سيلزمهم أيضًا لو قالوا بأن القرآن مخلوق هنا الذي قال {نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ، إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ} فمن ربك هنا؟! مخلوق. إذًا الرب جعلوه مخلوقًا لأن الذي قال هذا الكلام سيكون أيضًا مخلوق.

ومنها أيضًا لما يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: **[يا آدمُ ! فيَقولُ : لبَّيْكَ وسعدَيْكَ والخيرُ في يدَيْكَ، فيقولُ : أخْرِجْ بعْثَ النارِ]** في يوم القيامة في الشفاعة، فالله عز وجل ينادي من؟ يقول **[يا آدمُ]** فيقول له ماذا؟ **[لبَّيْكَ وسعدَيْكَ والخيرُ في يدَيْكَ، فيقولُ : أخْرِجْ بعْثَ النارِ ، قال : وما بَعْثُ النارِ ؟ قال : من كلِّ ألْفٍ تِسعَمائةٍ وتِسعةً**

وتِسعينَ] من الذي قال لآدم أخرج بعث النار؟ عندهم سيكون مخلوقًا وليس الله عز وجل.

فقلنا الآن بأن هذه لوازم لهم، والشيخ لما قال الآن لما نسب في الكلام قال: لَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا جَهْمِيٌّ نحن بينا طبعًا من هم الجهمية لكن لابد أن نفصل في مراتب الجهمية حتى يستقيم الأمر، لأن هو قال طبعًا لَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ.

مراتب الجهمية:

الجهمية ثلاثة مراتب:

1- المرتبة الأولى وهي مرتبة غلاة الجهمية:

وهي المرتبة الأكبر، الذين نُسبوا إلى الجهم بن صفوان، وهؤلاء كفار باتفاق أهل السنة والجماعة، حتى ان الإمام عبد الله بن المبارك لم يدخلهم في السبعين فرقة، لما سألوه عن السبعين فرقة ثم عد لهم، ثم قالوا والجهمية؟ قال: أنت تسألني عن السبعين فرقة من أهل الإسلام فيبين أن الجهمية لم تكن عند هؤلاء من أهل الإسلام. وهذا طبعًا على الاعتقاد الأول الذين نفوا كل الأسماء والصفات، ونفو علم الله وكل هذا، هؤلاء كفار عند إجماع أهل العلم.

2 المعتزلة وهم أفراخ للجهمية:

ثم بعد الجهمية المعتزلة وهم أفراخ للجهمية – كما قلت وبينت – بأن هؤلاء عندهم قول باطل أيضًا بأنهم أثبتوا الأسماء بلا صفات، ولكن عندهم تأويلات منعت علماء السنة والجماعة من تكفيرهم، لأن ضابط المعتزلة في هذه المسألة أنهم أرادوا أن يفروا من تشبيه الخالق بالمخلوق فعطلوا هذه الصفات، وإن كان طبعًا هذا قول باطل لكنهم لم يصلوا إلى الإنكار أو البدعة الكفرية التي عند الجهمية، فهذا الذي منع أهل السنة والجماعة من تكفيرهم.

لكن الشافعي وضع لنا ضابط مع هؤلاء، قال: (خاصموهم بالعلم) ماذا يعني بالعلم؟ أي إن أثبتوا علم الله ففروا من الكفر، ولكن إن خُصِموا في العلم- أي لم يوافقوا في العلم – فقد كفروا، أي لو نفوا علم الله عز وجل فقد كفروا ووقعوا فيما وقع فيه الجهمية.

3- المرتبة الثالثة:

وأنا لماذا بقول لك جهمي؟ لماذا أنا بفرق هذا التفريق الثالث؟ لأن بعض علماء المتقدمين يجعلون الأشعري الذي هو يعطل- لأن هذا يعتبرونه نوع من التعطيل- فأحيانًا يرمونه بـ (الجهمي)، أي هو لا يريدون به الجهمي الأصلي، لكنه لأن كل من عطل؛ سواء عطل بالكلية أسماء وصفات، أو أثبت أسماء بلا معنى، أو أثبت بعض الصفات وكما سنبين عطل الصفات الفعلية كما عند الأشاعرة، فهؤلاء بعض أهل العلم يجعلونهم كلهم من باب الجهمية، ليس من باب الجهمية طبعًا في مرتبة واحدة لكن على أن أصل الجهمية التعطيل وهذا نوع من التعطيل.

لذلك أنا اتكلم هنا حتى لا أحد يظن عندما قول الأشاعرة أنني قلت أنهم كالجهمية! لكن هذا بالعرف العام العلمي على أنهم يدخلونهم في هذه المسألة. وهم قد عطلوا الصفات الفعلية أو الصفات الاختيارية لله عز وجل، وأيضًا الصفات الخبرية، وهم سموه تأويل وهو في الحق تعطيل عندنا، فلذلك أنا اتكلم عن أن ممكن تسمع أحد يتكلم عن الأشعري فيقول له جهمي أو كالجهمي من هذا الباب.

لذلك عند التقسيم قسمنا؛ غلاتهم وبينا، ثم المعتزلة وبينا؛ ثم المرتبة الثالثة وهم **طائفة أهل الكلام، وهم أعم من الأشاعرة**، أي تأثروا بالفلاسفة، وتأثروا بعلم المنطق، والحق أن منهم من علماء الحديث أيضًا ولهم ما لهم من عمل في السنة وغير ذلك، ووافقوا بعضهم أهل السنة في أشياء وخالفوا أهل السنة في أشياء.

ومنهم طبعًا الأشاعرة كطائفة لأنهم أقروا بأسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العليا، فأثبتوا لله عز وجل أسماء حسنى فيها ما تليق بالله عز وجل من صفات جلال

وكمال إلى غير ذلك، ولكنهم مع اثباتهم لهذه الصفات أرادوا أيضًا أن ينزهوا الله عز وجل عن التشبيه فوقعوا أيضًا في نوع من التعطيل؛ بأنهم عطلوا الأفعال الإختيارية والصفات الفعلية أو حتى أيضًا الصفات الخبرية. فهم يقولون أن هذا تأويل ولكن الحق أن هذا تحريف الكلم عن مواضعه، هذا ليس بتأويل لما تقول يقول الله عز وجل: { يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ} [الفتح:10]، فيقولون اليد غير مرادة!

وكيف غير مراد والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وكيف يكون هذا من المتشابه والنبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن بلسان قومه بل نزل بقوم يعلمون اللغة العربية. فكيف يمكن أن تكون هذه الصفات فيها ما فيها من المتشابه! بل هي من المحكم. وكيف يكون أصلًا الصفات التي تخص الله عز وجل تكون متشابهة! بل هو أصل التوحيد كله هو الله عز وجل ومعرفة الله عز وجل، فكيف يُنزل الله عز وجل على الناس كلامًا فيه اسمائه وصفاته ويكون متشابهًا وهو في حق الله عز وجل، بل هو أحكم الإحكام هو ما يخص الله عز وجل.

ولكنهم وقعوا في ما وقعوا فيه من من التعطيل أو من التحريف – نقول تحريف الكلم – لما نفوا النزول، ونفوا الغضب، والمحبة، ونفوا أيضًا الكلام – كما سيأتي معنا – ثم أيضًا وقعوا في نفي وتعطيل الصفات الخبرية؛ فنفوا عن الله اليد والساق والعينين والوجه إلى غير ذلك، بحجة { لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى:11]، وهذا باطل! لأن الله عز وجل نعم قال{ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ } ثم أثبت وقال {وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} فنفى المثلية لكنه أثبت الصفات، وهكذا لابد أن تكون أن تثبت ما أثبته الله عز وجل؛ لما يقول اليد إذًا تثبت اليد، لما يقول الكلام فتثبت صفة الكلام لله عز وجل، غضب الله عز وجل إذًا صفة الغضب لله، يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله إذًا اثبتنا صفة الحب لله عز وجل، وهكذا.

فنقول هذه كلها تعريجة على معنى (الجهمي) بترتيبهم أو بدرجات الفرق التي خالفت. وطبعًا الأدلة على أن القرآن كلام الله عز وجل ذكرها المؤلف سندخل فيها الآن لكن قبل أن ندخل في ذلك نبين أولًا هو قال: **الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ** . إذًا القرآن كلام الله،

والكلام صفة من صفات الله عز وجل. فالله تكلم بالقرآن وغير القرآن، البعض يظن أن الكلام فقط قرآن، لكن الله عز وجل تكلم بالقرآن وتكلم بغير القرآن؛ لما تكلم مع السماوات والأرض، وتكلم مع الجنة والنار، وتكلم أيضًا بغير القرآن تكلم بالتوراة وبالإنجيل وغير ذلك. فالكلام صفة لله عز وجل ومنها أن الله عز وجل تكلم بالقرآن الذي بين أيدينا الآن.

فهذا يستدعي أن نعرج تعريجة سريعة على الصفات

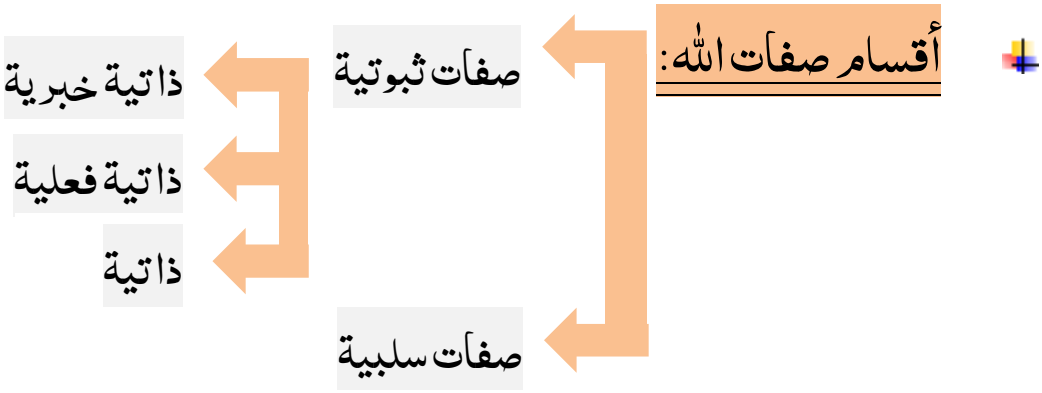

صفات الله على قسمين أولين؛ **صفات ثبوتية وصفات سلبية**.

والصفات الثبوتية، ما معنى الثبوتية؟ أي ثبتت بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة لو قلت نقلًا عن أن الإجماع لا يكون إلا عن كتاب وسنة.

الصفات الثبوتية تنقسم إلى ثلاثة عندنا:

1 **صفات ذاتية خبرية:**

وهي التي لا مدخل للقياس فيها، وهي صفات توقيفية، ومعنى أقول توقيفية أي لابد أن يأتيك فيها كتاب أو سنة، ليس فيها مدخل للعقل بأي حال من الأحوال. **والصفات الخبرية لها ضابط عندنا: مسماها عندنا أبعاض وأجزاء** – وأقول عندنا– لماذا قلنا عندنا؟ لأنه قد تجد الصفة في المخلوق وموجودة في الله، اليد للمخلوق، لكن اليد في المخلوق بعض، لكن لا نقول بأن اليد عند الله بعض، نحن لا نعلم الكيفية، نثبت أن

لله يد لكن مسماها عندنا أبعاض وأجزاء، لكنها لما نُسِبَت إلى الله – أضيفت إلى الله عز وجل– علمنا أنها صفة لله،{ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ} [الفتح:10]، أضيفت اليد إلى الله، وهذا يرجع للتأصيل الذي قلناه في بداية المحاضرة على أن الإضافة إلى الله إضافة تشريف وإضافة صفة لموصوف. هنا إضافة صفة لأن اليد أضيفت إلى الله عز وجل.

وقلنا ما المقصود بصفات ذاتية خبرية؟ أي لا مدخل للعقل، لا يمكن أنك تتخيل هذه الصفات من نفسك، لو لم يأتيك من عند الله أن{ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ} وأن الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :[**ليسَ بأَعْوَرَ**] وقال: { تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا} [القمر:14]، وحديث الساق وحديث القدم، كل هذه لا يمكن أن العقل يدخل فيها وأنك تستطيع أن تثبت هذا لله! هذا لا يمكن لأنه لا مدخل للعقل في الصفات الخبرية.

2 صفات ذاتية فعلية:

التي هي اختيارية، ما المقصود باختيارية؟ أي **إن شاء الله فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها**. إن شاء الله عز وجل مثلًا تكلم وإن شاء لم يتكلم، إن شاء غضب وإن شاء لم يغضب، إن شاء أحب وإن شاء لم يحب، إن شاء ضحك و إن شاء لم يضحك، إن شاء عاقب – فهذا فعل – وإن شاء لم يعاقب الله عز وجل.

لكن هناك **ضابط مهم** أنا أريده حتى أبين لك الخلاف الذي وقع فيه الأشاعرة في هذه المسألة؛ أن معنى أن نقول **فعلية أي متجددة، ماذا يعني متجددة؟ أي ممكن تقع الآن ثم لا تقع بعد ذلك ثم تقع بعد ذلك**. هذا يسمى صفة محدثة؟ نعم، متجددة؟ نعم لا إشكال. أين الإشكال؟ فأنا لماذا قلت محدثة؟ لأن القرآن جاء بها، قال الله عز وجل:{ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ} [الأنبياء:2]، ذكر محدث، ما المقصود بـ "محدث"؟ أي أن الله عز وجل متصف بالكلام أزلا، أي من الأصل، لكنه هل يتكلم من وقتها إلى الآن؟ هذا نقص! إذًا يتكلم وقتما شاء، إذًا الذكر المحدث أي لما شاء الله عز وجل أن ينزل آيات، {قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا }

[المجادلة:1]، لما جاءت المرأة تجادل النبي صلى الله عليه وسلم كما قالت عائشة وهي في الغرفة وأنا لا أسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الركن. وهل غرفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثين كيلو؟ كانت قصر منيف؟ لا كانت عدة أمتار، ومع ذلك السيدة عائشة لا تسمع، وقالت:{ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا} [سبحانَ الذي وسِع سمعُه الأصواتَ]. فالله عز وجل سمع قول المرأة عندما جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآيات. فهذا ذكر محدث، متجدد، ممكن أن ينزل، حادث.

إذًا الصفات الاختيارية أو الصفات الفعلية تتجدد، محدثة، تتعلق بالمشيئة. لماذا نقول ذلك؟ لأنك لابد تضبط أمور؛ أنت لا تستطيع أن تقول أن الله يتكلم من الأزل، وإلا فهذا نقص، فلو أحد ظل يتكلم مثلًا ولا يسكت فماذا ستقول عليه؟ وهذه صفة نقص، لكن الحكيم يتكلم عندما يريد ويسكت عندما يريد. ولله المثل الأعلى. فأنت لا يمكن أن تقول أن الله يتكلم من الأزل إلى يومنا هذا، ولا يمكن تقول بأن الله عز وجل ينادي على موسى لما جاء إلى الجبل إلى وقت ما جاء موسى{فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ، إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه:11-12] ، {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ} [طه:17]، كل هذا كلام الله عز وجل مع موسى، لما جاء موسى إلى الجبل تكلم الله عز وجل معه، ولا يمكن أن تقول بأن الله يتكلم مع موسى منذ الأزل إلى الآن!

إذًا لابد أن تقول الضابط هنا أولًا لماذا قلنا متجدد ومحدث؟ قل لأنك إذا قلت ذلك ولم تقل بهذا التجدد ولا هذا الإختيار فستقع في النقص أنك تقول بأن الله عز وجل يتكلم من الأزل.

لابد أن تقول أنها أزلية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية أنها: "قديمة النوع حادثة الأفراد"، لا يمكن أن تقول بأنه لم يكن متصفًا بالكلام ثم اتصف بالكلام، هو متصف بالأصل، واجعل ذلك في كل الصفات؛ أنها أزلية، قديمة النوع. لكن هناك بعض الصفات التي هي الاختيارية هذه حادثة الأفراد، **وهذا هو الإشكال عند الأشاعرة،**

لأننا لما قلنا حادثة الأفراد قالوا محدث، إذًا حادث، إذًا مخلوق، إذًا لو قلنا بإثبات الصفات الفعلية إذًا قلنا بأنه تحل فيه الحوادث، إذًا هو محدث، إذًا هو مخلوق، إذًا هم كفروا – نعوذ بالله من ذلك–، هم لو قالوا ويظنون ذلك. فهم وقعوا في ماذا؟ على أن لو قلت بأنها فيها إرادة ومشيئة متجدد ومحدث جعلوا أن المحدث مقابل المخلوق، وأن الحادث هو المخلوق! وهذا خطأ، لأن الحادث ليس بمعنى المخلوق عند العرب حتى، الحادث بمعنى المتجدد، لذلك قال الله عز وجل:{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ} [الأنبياء:2]، فالآن محدث، هل هو مخلوق؟ لا، إذًا متجدد، نزل وقت ما أراد الله عز وجل أن ينزله. إذًا ليس معنى أنك تقول لله صفات اختيارية فعلية ثابتة تتجدد أنك قد نسبت أو قعت في التشبيه كما قال هؤلاء.

3 **صفات ذاتية:**

التي لا تنفك عن الله، كالسمع، البصر، العزة، القدرة، هذه التي يتصف بها الله عز وجل أبدًا وليست اختيارية.

هذا كان تقسيم مراجعة لما قلنا من قبل، ولأنه قد ذكر المؤلف هنا أن القرآن كلام الله فجعل القرآن كلام، والكلام صفة لله عز وجل. وطبعًا كل هذا كان في الصفات الثبوتية.

أما **الصفات السلبية** هي التي نفاها الله عز وجل عن نفسه، وهذه لن ندخل في تفصيلها، يكفيكم أنك تعلموا أن هناك الصفات السلبية التي نفاها الله عز وجل، لا يمسه من نصب ولا تعب ولا جهد ولا غير ذلك، نفاها الله عز وجل عن نفسه، وآية الكرسي أيضًا وما فيها من الصفات المنفية مع الصفات المثبوتة.

نرجع لصفة الكلام **بعد أن بيّنا التقسيم، أين سنُدخِل صفة الكلام؟**

نقول صفة الكلام ذاتية فعلية وثابتة بالكتاب، وبالسنة، وبإجماع أهل السنة، وبالعقل، وبالنظر أيضًا.

الأدلة من الكتاب:

1- كما قال الشيخ – رحمة الله عليه- هو طبعًا هنا قال{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ } [التوبة:6]، وجه الشاهد: كلام الله، وجه الاستدلال: أضيف الكلام إلى الله، فأضيفت صفة إلى موصوف. وقال: {حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ }.

2-{وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} [البقرة:75]، والسماع هنا كلام، وهو طبعًا يوجد سماع كلام بصوت، ويوجد سماع يتلى عليهم، لكن اتركوا هذا السماع لأن طبعًا السماع هنا الذي كان يتلو عليهم هو النبي صلى الله عليه وسلم، لكن يوجد فرق بين المؤدي وأصل المتكلم، لكن هنا أتكلم أن {كَلَـٰمَ ٱللَّهِ} أضيف الكلام إلى الله، فلما أضيف إلى الله أصبح أيضًا صفة لموصوف.

3- {قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ} [الأعراف:158]، وجه الشاهد: {وَكَلِمَـٰتِهِۦ} إذًا يؤمن بكلمات الله عز وجل، وطبعًا لا يصور أن يكون مخلوق، هو النبي صلى الله عليه وسلم بيؤمن بالله وبصفاته وباسمائه لأنها من الله عز وجل، أي لازمها نقول. فهنا الشاهد {وَكَلِمَـٰتِهِۦ} أضيفت إلى الله عز وجل. قال: وهو القرآن.

4- وقال جل وعلا لموسى عليه الصلاة والسلام {إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى} [الأعراف:144]، أضيف أيضًا الكلام إلى الله عز وجل.

5- ممكن نضيف أيضًا {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء:164]، طبعًا هو ممكن يشكل عليك ويقول وكلم (اللهَ) موسى، وقال بعضهم ذلك، الجهمية هم الذين قالوا

ذلك، ورد عليهم قال ماذا ستفعل بقوله تعالى: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:143]، فوقف في ذلك.

6- ومنها أيضًا : {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ } [الفتح:15]، أضيف الكلام إلى الله. طبعًا كل المسألة ضابطها على أن أضيف هذا الكلام إلى الله فأصبح إضافة صفة لموصوف.

7- {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ} [الشورى:51]، إذًا البشر يكلمهم الله، فأثبت أن الله يتكلم مع البشر.

8- وأيضًا {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ} [البقرة:30]، **أين وجه الشاهد وكيفية الاستدلال؟** {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ } القول هنا المقصود به الكلام.

9- {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:60]، لو هم على قولهم الآن اللوازم التي قلناها لو هم يقولون أن القرآن مخلوق، من الذي قال {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ؟ سيكون المخلوق هو الذي يقول هذا الكلام. هنا أيضًا أضيف الكلام إلى الله، {وَقَالَ رَبُّكُمْ} أيضًا القول. فنحن هنا نثبت القول ونرد عليهم، من لوازمهم.

10- {وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ} [الأعراف:22]، إلى آخر الآيات {وَنَادَىٰهُمَا} المنادى والنداء لابد ان يكون فيه كلام، بل بصوت مسموع وغير ذلك.

الأدلة من السنة:

1- قول ابن مسعود – وإن كان موقوفًا وجاء مرفوعًا– قال:[**إذا تكلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ أهلُ السماءِ للسماءِ صَلْصَلَةً كجرِّ السلسلةِ على الصَّفَا، فيُصْعَقون، فلا يزالون كذلك حتى يَأْتِيَهم جبريلُ، حتى إذا جاءَهم جبريلُ فُزِّعَ عن قلوبِهم . قال : فيقولون : يا جبريلُ ماذا قال ربُّك ؟ فيقولُ : الحقَّ، فيقولون : الحقَّ، الحقَّ.]** وهذا طبعًا هو ابن مسعود لكن له حكم الرفع لأن هذا لا يقال من عند ابن مسعود، لابد أن يُرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا ابن مسعود لا يأخذ من أهل الكتاب، فهو صح موقوفًا، ولكن هو لا يكون إلا له حكم الرفع.

2- قال النبي صلى الله عليه وسلم: [يحشُرُ اللهُ العبادَ يومَ القيامةِ عُراةً غُرْلًا بُهْمًا. قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال: ليس معهم شيءٌ، ثمَّ يناديهم أي الله عز وجل بصوتٍ يسمعُه من بعُد كما يسمعُه من قرُب] فمن المنادي هنا؟ الله عز وجل، والنداء لابد أن يكون بصوت مسموع، إذًا هذا إثبات لصفة الكلام لله عز وجل.

3- قول النبي صلى الله عليه وسلم:[أعوذُ بكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ] ، الإمام أحمد أتى بهذا الدليل ليرد به على الذين ينفون صفة الكلام، والذين يقولون بأن كلام الله مخلوق.

سنستدل من وجهين: الوجه الأول على صفة الكلام، والوجه الثاني على أن القرآن صفة لله غير مخلوقة. هنا قال[أعوذُ بكَلِماتِ اللهِ] أضيفت الكلمات إلى الله عز وجل.

الإشكال: **هل يجوز الاستعاذة بكلمات الله عز وجل؟**

رد أحد الطلبة: النبي صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بشيء مخلوق.

⇦ تعقيب فضيلة الشيخ: نعم هذا توجيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يستعيذ بشيء مخلوق، ولذلك هذا دلالة على أن كلام الله غير مخلوق، فهذا لا إشكال فيه، لأنها لما أضيفت فلا يمكن أن يستعيذ بمخلوق، وهذا رد على الذين قالوا أنه مخلوق. لكن أنا سؤالي لكم: **هل يجوز الاستعاذة بالصفة؟ أليس كلام الله عز وجل صفة لله؟ فهل يجوز الاستعاذة بالصفة؟ وهل يجوز دعاء الصفة؟**

الاستعاذة بغير الله شرك صحيح، لكن هنا هذه صفة من صفات الله عز وجل، فأنت الآن تستعيذ بالصفة، لكن لابد من توجيه. لماذا أنا أقول هذا الكلام؟ هل ممكن تدعو الصفة؟ أي أنت قلت "أعوذ بكلمات الله"، هل ممكن تقول "يا رحمة الله ارحميني"؟ **ما الفرق بين "يا رحمة الله ارحميني" و "أعوذ بكلمات الله"؟** هذا دعاء الصفة وهذا استعاذة بالصفة. قلتم هذا جائز، وهو الصحيح أنك تقول أن هذا شرك، لو دعا الرحمة، وهذا يقع فيه بعض الناس خطأ، هذا يكون شرك. طيب لماذا قلنا في الاستعاذة جائزة، بل قالها النبي صلى الله عليه وسلم؟

فأنت عندما تقول "يا رحمة الله ارحميني" هذا شرك لأنك أنت بتطلب من الرحمة ولا تطلب من الله، فلماذا لما قلنا في الاستعاذة مع أنها عبادة "أعوذ بكلمات الله" ليست شرك مع أنها استعاذة، والاستعاذة عبادة، والدعاء عبادة؟

والنبي صلى الله عليه وسلم قال "برحمتك استغيث"، فلابد أن توجهوا الكلام، "برحمتك استغيث" ستبين لك المسألة التي في "أعوذ بكلمات الله"، أنك لما تقول "برحمتك استغيث" المعنى هنا: "أني أتوسل إليك بما هو محبوب إليك وهي الرحمة"، وأحب إليك صفاتك، فكأنك أنت قلبت المسألة "برحمتك استغيث" و "أعوذ بكلمات الله" أنك قلبته دعاء بالتوسل لله عز وجل، وقدمت في التوسل أحب إليه شيء تتوسل به وهو الصفة. أليس نحن في الدعاء بنتوسل إلى الله بالأسماء والصفات؟ فهنا أنت قلبت "أعوذ بكلمات الله" أو "برحمتك استغيث" أنك توسلت إلى الله بأحب شيء إليه وهو صفته، فهنا قلنا جائزة.

لكن لما قلت "يا رحمة الله ارحميني" قلنا هذه صريحة في أنك لجأت إلى الرحمة، ولا يجوز أنك تلجأ إلى الرحمة بالدعاء، بل لابد أن تدعو الله عز وجل.

نرجع للأدلة؛

4- أيضًا ممكن نقول تصريحًا من حديث جابر لما قُتل أبوه عبد الله بن حرام رضي الله عنه يوم أحد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر: **[أَلَا أُخبِرُكَ ما قال اللهُ لأبيك؟! قال: بلى، قال: ما كلَّم اللهُ أحدًا إلا مِن وراءِ حجابٍ، وكلَّم أباك كِفاحًا]** من غير حجاب، منقبة لعبد الله بن حرام، **[فقال: يا عبدي، تَمَنَّ عليَّ أُعطِكَ]** انظر.. منقبة ليست بعدها منقبة، ما كلم الله أحد كفاحًا إلا عبد الله بن حرام، **[فقال: يا عبدي، تَمَنَّ عليَّ أُعطِكَ]** وانظر.. هو لا يمكن أن يكلمه إلا إذا كان هذا رده؛ قال: **[يا ربِّ، تُحيِيني فأُقتَلُ فيك ثانيةً! قال: إنَّه سبَق مِنِّي أنَّهم إليها لا يَرجِعون]** انظر إلى الثانية من عبد الله بن حرام رضي الله عنه، الأول أراد أن يرجع ليقاتل مره أخرى لما رأى من حلاوة الجزاء من رب العالمين، فلما كان هذا مستحيلًا، ماذا قال؟ عنده أمنية، وانظر الأمنية ما أخذها

لنفسه بعد ذلك، والأولى أيضًا أراد أن يُقتَل في الله، قال:[يا ربِّ، فأبلِغْ مَن ورائي] انظر إلى معنى هذا الكلام، [أبلِغْ مَن ورائي] يريد لإخوانه ولأحبابه وللمسلمين أن يعلموا الخير الذي هو فيه، فحتى يسارعون ويبادرون إلى الله عز وجل، فهو في هذا الموضع ما تذكر إلا أحبائه في الدنيا من أهل الإسلام، أراد أن يبشرهم الله عز وجل ويُعلمهم بما هو فيه الآن، فقال الله عز وجل: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...}. فانظر لهذا الصحابي الجليل الذي كلمه الله عز وجل. طبعًا الحديث فيه إثبات صفة الكلام واضحة لله عز وجل، لكن انظر في هذا الموقف وهذا عجيب أن الرجل في هذه النعائم الذي هو فيها الآن والله يكلمه، انظر أي إيمان هذا! أي إخلاص! يمكنك أن تجزم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قالها؛ حديث، أن الله كلمه وتمنى. أي إخلاص في هذا العمل كان عند هذا الرجل رضي الله عنه، أنه أصالة يريد أن يبلغ من خلفه بما فعل، فحتى يدعوهم إلى ما هو قاله، حب، [لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ] وصل إلى الأمان إلى بشاشته عنده حتى يطلب من الله عز وجل أن يبلغ قومه بما فيه حتى يلحقوا به. نسأل الله عز وجل أن يلحقنا بهذا الصحابي الجليل مع النبي صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى.

5- أيضًا عن عدي بن حاتم قال: [ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا وسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ، ليسَ بيْنَ اللَّهِ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فلا يَرَى شيئًا قُدّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يَتَّقِيَ النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ] كل هذه أدلة على هذه المسألة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:[لا يَزالُ يُلْقَى في النَّارِ وتَقُولُ: هلْ مِن مَزِيدٍ ، حتَّى يَضَعَ فيها رَبُّ العالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بعِزَّتِكَ وكَرَمِكَ، ولا تَزالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ، حتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لها خَلْقًا، فيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ]هنا أين الشاهد؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} [ق:30]، قال الله لمن؟ لجهنم، تكلم الله عز وجل.

الإجماع:

إجماع الصحابة على إثبات الكلام لله عز وجل.

العقل:

وهو قياس الأولى؛ إذا كان المخلوق يتكلم، والذي يتكلم في المخلوقات أفضل من الذي لا يتكلم، فهنا قياس الأولى يصح، وفي الخبري ليس فيه قياس أولى- أي الصفات الخبرية- لكن هنا في الصفات الذاتية والصفات الفعلية- وبعض الصفات الفعلية طبعًا لأن ليس على اطلاقها- قياس الأولى هنا نقول يصح لأن نقول هذا من باب أولى أن تثبت لله عز وجل صفة الكلام.

النظر:

هنا المؤلف استدل بالنظر في صفة العلم، وجعل الكلام من العلم، فاستدل على الكلام بأنه من علم الله عز وجل.

إذًا قد أثبتنا الآن بأن الكلام صفة من صفات الله عز وجل، وطبعًا هذا يستدعي منك أن تعمل بهذه الصفة، وهذه طبعًا لو تكلمت سنحتاج لدرس آخر، سنقف عندها؛ كيف بعد أن أثبت صفة الكلام لله عز وجل أنك تتعبد إلى الله عز وجل بهذه الصفة وأنك تتقرب بها إلى الله عز وجل؟ وهذا يدفعنا إلى أن نتكلم عن القرآن لأنه كلام الله، فكيف تتعامل مع القرآن بعد أن أثبتنا أنه كلام لله عز وجل، وكيف يكون توقيرك له وغير ذلك. هذا إن شاء الله نتكلم عنه الأسبوع القادم نقف عند ذلك.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الرابعة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري وما زلنا في الباب الذي بدأناه الأسبوع الماضي **بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ** . وما زلنا في المقدمة وقول الإمام الآجري في استدلاله على أن الكلام صفة من

صفات الله عز وجل، واستدل بالآيات، وبينا الاستدلال من الكتاب، ومن السنة، ومن الإجماع، ومن العقل، ومن النظر على أن الكلام صفة من صفات الله عز وجل.

وهذا أمر لابد أن يُلازَم، أي بمعنى كلما نتكلم عن صفة من صفات الله عز وجل، اسم من أسماء عز وجل لابد أن نبين كيف نتعبد إلى الله عز وجل بآثار هذه الصفة، لأن الهدف من معرفة أسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العليا أن المرء طبعًا الأول أن يثبتها ويعتقد بها ويثبتها لأن الله عز وجل أثبتها في كتابه أو أثبتها النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن بعد الإثبات لابد أيضًا أن يتعلم كيف يتعبد إلى الله عز وجل بهذه الصفات، لأنها ما علمناها إلا بعد أن نستيقن بها ونثبتها ونعتقد ثبوتها، لابد أيضًا نعلم كيف نتعبد بها، قال الله عز وجل:{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ} [محمد:19]، إذًا الله عز وجل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم أن إله الا الله، وداخل فيها العلم بالأسماء وبالصفات لله عز وجل، وهذا من أنفع العلوم وأعظمها على الإطلاق؛ أفضل العلوم على الإطلاق هو معرفة أسماء الله عز وجل باسمائه الحسنى وصفاته العليا، لأن كلما تبحر المرء في هذا العلم ودخل فيه وتعبد بالأسماء والصفات إلى الله عز وجل زاد اليقين، وزاد الإيمان في ذلك، وذاق حلاوة الإيمان حقيقة في هذا الباب، لذلك هو أعظم الأبواب على الإطلاق.

فالمرء إذا استقر في قلبه بأن القرآن كلام الله عز وجل، وطبعًا قلنا قبلها إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأن القرآن هذا كلام لله عز وجل، فهو متعبد به لأنه كلام لله عز وجل، صفة من صفات الله عز وجل، فلابد أن يتعبد إلى الله عز وجل بهذه الصفة؛ وهي صفة الكلام ومنها القرآن؛ لأنه كلام الله عز وجل. فكيف يتعبد الله عز وجل في ذلك؟

كيف يتعبد المرء إلى الله بصفة الكلام؟

أولًا بأن المرء عليه أن يستسلم لكل ما جاء عن الله عز وجل؛ كل ما جاءك من الله عز وجل لابد أن تقول له سمعًا وطاعة، لابد أن تستسلم لذلك، كما قال الله عز وجل حاكيًا عن ابراهيم عليه السلام، قال:{ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [البقرة:131]، فهنا لابد من الخضوع والإقرار لله عز وجل، ولابد أنك تقر بما أثبته الله عز وجل؛ أن الله قد تكلم سبحانه وتعالى؛ تكلم مع السماوات والأرض، تكلم مع الجنة والنار، تكلم مع بعض عباده كما تكلم مع عبد الله بن حرام كفاحًا ليس بينه حجاب، تكلم الله عز وجل مع موسى عليه السلام – كليم الله عز وجل– تكلم الله عز وجل مع النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج إلى السماء لما كتب الصلوات، وتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، بل تكلم الله عز وجل مع آدم عليه السلام.

فلابد لك باعتقادك بصفة الكلام أن تقر بأن الله يتكلم، وأن الله عز وجل ينادي كما جاءت الآيات – وقد قرأناها الأسبوع الماضي حتى لا نعيد – وأن الله عز وجل يتكلم بحرف وبصوت أيضًا، فإذا شاء الله عز وجل أن يسمعه من شاء من عبادة. فالله عز وجل لما تكلم مع موسى عليه السلام سمع موسى كلام الله عز وجل حتى قالوا بأن موسى بعد سماعه كلام الله عز وجل من حلاوة هذا الكلام عافى سماع كلام الناس شهرًا، والذي جعله يطلب من الله عز وجل أن يراه بعد أن سمع الله عز وجل {قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف:143] بعد أن سمع كلام الله عز وجل فطمع في الأكثر وهو أن يرى الله عز وجل فسأل ذلك. فالشاهد أننا لابد أن نتعبد إلى الله عز وجل بهذه الصفة، وأن نقر ما جاء فيها عن الله عز وجل.

آداب في التعامل مع القرآن وتعظيمه:

ولابد هنا من بيان أمور تخص القرآن لأن إذا قلنا بأنك تتعبد بصفة الكلام، ثم القرآن من كلام الله عز وجل، هناك أمور للقرآن لابد أن نتأدب فيها مع الله عز وجل.

أولًا نبين بأن الله عز وجل قد أنزل هذا الكتاب؛ {لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء:10]، إذًا شرف الأمة في القرآن، فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أي فيه عزكم، فيه شرفكم، فيه علوكم، هو اتباعكم للقرآن، فالله عز وجل قد أنزل هذا الكتاب، إذًا حري بنا أولًا أن نعظم كتاب الله عز وجل.

إذًا من الأمور التي لابد أن يتعبد بها المرء مع القرآن أن **يعظم كلام الله عز وجل**، قال سبحانه وتعالى: { مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح:13]، إذًا من لم يعظم كتاب الله عز وجل فهذا لم يوقر الله عز وجل، لأن هذا الكلام صفة – كما قلنا– لله سبحانه وتعالى.

وليس التعظيم أنك تعلق الصور والآيات كما يُفعل! يأتون الآن بالصور والآيات براويز وتعلق على الجدار، أو توضع الشرائط اللصق على السيارات، أو يوضع المصحف أمام السيارة! هذا كله ليس له علاقة بتعظيم وتوقير القرآن، تعظيم وتوقير القرآن ما يكون هكذا! بل أنت أحيانًا بتهين القرآن – والله المستعان – بأنك لما بتضعه في السيارة تتركه بالسنوات ممكن تفتح التابلوه تجد مصحف منذ مثلًا سنتين أو ثلاثة بترابه عليه ما حتى يمسحه، هو أصلًا وضعه أول ما اشترى السيارة، أراد أن يحفظ السيارة فأتى بالمصحف، أو يضعه أمامه كما يفعل بعض أصحاب سيارات الأجرة وغير ذلك، أو يضعه في خلفه وغير ذلك، أو يضعه في البيوت كلوحات كما قلنا! هذا كله ليس من توقير القرآن في شيء، بل أقول قد تؤدي بذلك إلى إهانة هذه السور والآيات، وهذا ليس الغرض الذي أنزل الله عز وجل به القرآن، فهذا ليس من التعظيم له.

من تعظيم القرآن أيضًا **ألا تأكل بالقرآن**؛ أي لا يكون كسبك بالقرآن، فأنت تذهب تقرأ ربع ربعين ثلاثة خمسة في ميتم أو في فرح أو في افتتاح أو أنك تنتظر قدوم رمضان حتى تصلي بالناس التراويح فتقتات من ذلك، وهذا للأسف موسم! فهذا ليس من تعظيم القرآن أنك تتكسب بالقرآن أو أنك تأكل بالقرآن. فكيف يكون القرآن شفيعًا لك يوم القيامة وأنت تفعل ذلك! وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؛ أنه قد تنبأ في بعض أحاديثه، قال: [**اقرَؤوا القُرآنَ قبل أنْ يأتيَ قومٌ يُقيمونَه إقامَةَ القِدحِ يتَعَجَّلونَه، ولا يَتأَجَّلونَه**]، أي يتعجلون أجرهم في الدنيا ولا يتأخرون أجرهم في الآخرة، وأتى الأقوام، وسمعنا أن هناك من يشار إليه في القراءة – وهذه معلومة أنا أعلمها– بأنه جُعِل في يوم السابع والعشرين حتى يصلي بالناس في مسجد كبير – من سنوات طبعًا هذا الكلام – وأخذ مليون جنيه حتى يقيم هذه الليلة، أنا أقول لك المرأة التي تبرعت بهذا المبلغ فأنا أعلم ما أقول لك، أنا لم أراها لكن نقلوا لي، أنا ما أريد أن أقول أن المرأة تأثم بهذا، ولو قلت ذلك يغفر الله لي، لكنها المليون جنيه هذه لو أنفقتها على طلاب العلم الذين لا يجدون كتابًا فقط يتعلمون أو كتب لحفاظ القرآن لكان أولى للناس بأن الرجل يأتي ليصلي بهم في ليلة فيبكي ويتباكى الناس خلفه! وهذا سفه يغفر الله لي. وأنت الذي يأخذ المليون جنيه حتى يصلي بالناس هذا في ليلة، ما هذا! ما أدري! الله عز وجل أعطاك القرآن لتتكسب به هكذا! تقول نعم الفقير وليس عنده ويعلم يأخذ جُعل للقرآن، أي يُجعل له جُعلًا ما في إشكال لأنه حبس وقت وأنه بيعلم الناس، فهذا تعليم يأخذ – على خلاف بين أهل العلم – لكن لا يشترط، لكن الآن أن تتكسب به هذا الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

أيضًا من تعظيم كتاب الله عز وجل مسألة **أن لا يمس المرء الكتاب إلا وأن يكون طاهرًا**، على الحديث الذي نقول فيه خلاف في الثبوت لكن تلقاه أهل العلم بالقبول وهو حديث [**لا يمسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ**] وقال فيه أساطين أهل العلم كما قال الإمام أحمد "لا أشك أن هذا الكلام قاله النبي صلى الله عليه وسلم – في معنى ذلك– أو قاله عمرو بن حزم. وقلت هذا الحديث وإن تكلم فيه البعض وأنا أعجب حقيقة أن بعض من الفضلاء الذين هم يُشهَر عنهم بأنهم تخصصوا في الحديث فلما ذُكِر

الحديث قال الحديث فيه ضعف وسكت في المسألة الفقهية، مع أنه من أهل الحديث. نعم نحن نعلم ليس بجديد أن الحديث في ثبوته فيه ضعف، لكن لابد تنقل أن كل أساطين أهل الحديث من السلف عملوا بهذا الحديث، وهناك عندنا قاعدة بأن "شهرة العمل بالحديث قد تغني عن البحث في سنده" . وهذه قاعدة موجودة عند أهل العلم وهذا من الأحاديث الذي قد اشتُهِر العمل به، لذلك قال الإمام أحمد: "أنا لا أشك في ثبوته" مع أنه السند الذي جاءهم فيه إشكال لكن العمل تلقاه أهل العلم بالقبول.

أيضًا **من التعظيم القرآني ألا يُهجَر القرآن**، قال الله عز وجل: {وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا} [الفرقان:30]، فهجران القرآن هذا من عدم تعظيم القرآن، وهجران القرآن هنا مراتب؛ فلابد ننظر كيف يهجر القرآن؟ لأن المسألة ليست في ترك التلاوة فقط، هذا **أولًا هجران القراءة**؛ أنك لا تقرأ أو يكون لك ورد وتغفل عنه أو لا تراجعه، وهذا طبعًا أول مراتب هجران القرآن، قال الله عز وجل: {وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا} [المزمل:4]،

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَن قرَأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسَنَةٌ والحسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها لا أقولُ الم حرفٌ ولكنْ ألِفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ ومِيمٌ حرفٌ] وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنَّ الرَّجُلَ الذي ليس في جَوفِهِ شَيءٌ مِنَ القُرآنِ، كَالبَيتِ الخَرِبِ]، فهذا يدل على أن لابد أن المرء يكون له قراءة للقرآن، ويقرأ ويسمع أيضًا، بل بعض أهل العلم قالوا السماع أفضل من القراءة – بعضهم قال ذلك – أي أن يسمع، وهذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فقال لأبي موسى الأشعري لقد جئتك أمس وسمعتك وأنت تقرأ القرآن فقال:[لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُهُ تَحْبِيرًا]. ولما قال لعبد الله بن مسعود: [اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: فإنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيْرِي]. انظر فهذا كله كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن من الصحابة الكرام. فسماع القرآن أيضًا بل البعض قالوا أن السماع أفضل من القراءة.

قالوا إذا خُير بين – ربنا يعافينا– الضرير وبين الأصم، فالضرير سيسمع ويتلقى لكن الأصم لن يستطيع أن يحمل شيئًا في ذلك ويستمتع.

الهجران الآخر هجران التدبر والتفكر؛ وهذا من أهم ما أُنزِل القرآن له؛ أنك تتدبر القرآن، قال الله عز وجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} [النساء:82]، و{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} [محمد:24]، فالأصل في نزول القرآن أن المرء يتدبره؛ يتدبر المعاني، التفسير، الحكم، المواعظ التي فيه كل هذه لابد أن يفعلها المرء، ومن ترك ذلك فكان من هجران القرآن.

منه أيضًا الاستشفاء بالقرآن؛ لأن القرآن نزل للاستشفاء؛ سواء استشفاء قلبي أو جسدي أيضًا، الإثنين يستشفى بهم القرآن، قال الله عز وجل:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء:82] ، فهو شفاء ورحمة للمؤمنين، فشفاء معنوي هذا شفاء قلوب، أن تقرأ القرآن تشعر بأن القلب {أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ} [الرعد:28] ، فمعالجة أمراض القلوب بسماع القرآن، وتدبر القرآن، وقراءة القرآن، وتفسير القرآن، وأيضًا بالرقية الشرعية لما الرجل لُدِغ؛ سيد هذا الحي كما جاء في الحديث الصحيح أن بعض الصحابة كانوا في سفرة فدخلوا على حي من الأحياء فأرادوا أن يضيفوهما، فأبوا أن يضيفوهما، ثم جاءهم بأن سيد هذا الوادي وسيد هذا الحي قد لُدغ، هل عندكم من راق؟ فقالوا نعم، فقام رجل فرقى بالفاتحة، فأعطوه قطيع من الغنم، فقالوا لا نأخذ منه شيء حتى نرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونسأله، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: [وَما أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟] فقال اضربوا لي بسهم معكم، وأجاز لهم أن يأخذوا ذلك. ومعلوم آيات الاستشفاء بالقرآن؛ بالرقية وغير ذلك.

أيضًا من أهمهم **التحاكم إلى القرآن** وهذه الأهم التي أخرتها في النهاية في هذه المسألة، فمن هجر القرآن أيضًا أنك لا تتحاكم إلى القرآن، ولا تعمل بما جاء فيه من

أحكام ولا ترجع إلى ما نزل فيه من أوامر ومن منهيات، فمن هجر القرآن أنك تنحي القرآن جانبًا ولا تعمل بأوامره، ولا تنتهي عن منهياته، ولا يكون لك هو الصراط الذي تسير عليه في تطبيقك في الحياة. هذا أيضًا من هجران القرآن.

هذه كانت كلها طبعًا هي نبذة لأن المسألة نحن بنحاول نضيف بعض العبادات أو نضيف بعض الأمور الدعوية مع الأمور العقائدية.

قول أهل السنة والجماعة والفرق المبتدعة في صفة كلام الله عز وجل:

نرجع لمسألة القرآن وبعض الضوابط التي عند أهل السنة والجماعة في مسألة إثبات كلام الله عز وجل وكيف تكون صفة الكلام، لأن الإمام – رحمة الله عليه – بين لنا هنا في الجزء الذي قرأناه الآن أن هناك من خالف في ذلك.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ . فما زلنا نحن في مسألة كيف كلام الله عز وجل، لابد أن نبين ما هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله عز وجل؟ وما هو قول الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في ذلك؟ فهناك خلاف بين أهل السنة والجماعة والمبتدعة في إثبات صفة الكلام بين طرفين ووسط؛ أي طرفي على نقيض، وبين وسط، ودائمًا يكون الوسط هم أهل السنة والجماعة.

طرف يقول بأن القرآن– وهو كلام الله عز وجل – مخلوق، وأنه ليس من كلام الله عز وجل وليس من صفات الله عز وجل، هذا الطرف هم **الجهمية** أصالة، لأن لابد تؤصل أن أول من قال بذلك هم الجهمية، ثم المعتزلة الذين قالوا بفتنة خلق القرآن كما حدث مع الإمام أحمد. فهذا طرف، قال بأن القرآن مخلوق وأنه ليس من كلام الله عز وجل وليس صفة من صفات الله عز وجل.

وأهل السنة والجماعة على النقيض يقولون أن القرآن كلام الله عز وجل لفظًا ومعنى، وأن الله عز وجل تكلم بحرف وصوت مسموع سمعه من شاء الله عز وجل أن يسمعه. فهذا قول أهل السنة والجماعة.

وأناس – وأنا أصحح فقط لما قلت طرفان ووسط، والطرفان هنا بين المبتدعة الجهمية وبين أهل السنة والجماعة الطرف الثاني، الوسط هم ليسوا هنا أهل الصواب هم أرادوا أن يتوسطوا فوقعوا في البدعة والذي سنبينهم الآن حتى نضبط الكلام.

نقول هنا بأن الطرف الثاني– وهو قول أهل السنة والجماعة بأن القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق؛ صفة من صفات الله عز وجل، وأن الله يتكلم بصوت وحرف مسموع.

وطائفة تنطعت فأرادت أن تتوسط بين الجهمية وبين أهل السنة والجماعة، أرادت أن تقترب من أهل السنة والجماعة باللفظ فقط، وأما بالحقيقة فلم يقتربوا بل هم اقتربوا من أهل البدعة، فقالوا نعم الله عز وجل يتصف بالكلام، نثبت كلام الله عز وجل. جيد.. طيب والقرآن الذي بين أيدينا؟ قالوا لا، هذا ليس بكلام لله عز وجل، هذا حكاية عن كلام عز وجل! يعني الله لم يتكلم بصوت مسموع؟ لا لم يتكلم بصوت مسموع! طيب وهذا القرآن؟ قالوا حكاية عن كلام الله عز وجل، كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ لكن هذا الذي بين أيدينا هذا حكاية عن كلام الله عز وجل!

لماذا؟ قالوا لأن الحروف والأصوات مخلوقة، ولو قلنا بأن الله عز وجل يتكلم بصوت وحرف وأن هذا القرآن الذي تكلم به الله عز وجل فسمعه جبريل ثم نزل به على النبي صلى الله عليه وسلم فلو قلنا بأن الله تكلم فقد تكلم بصوت وحرف، وهذه الأصوات والحروف مخلوقات، فلو قلنا بأن الله قد تكلم بصوت وحرف فقد نسبنا الشيء المخلوق إلى الله عز وجل. طيب فما معنى الكلام؟ قالوا الكلام معنى قائم بذات الله عز وجل، فجعلوا الكلام كالعلم في النهاية، فالعلم معنى؛ الله عز وجل يعلم، فجعلوا الكلام كالعلم.

ما فرقوا الكلام عن العلم، والكلام غير العلم، الكلام من العلم لا يكون هناك كلام إلا بعلم نعم، لكن الكلام غير العلم، فالعلم صفة ذات لا تنفك أبدًا عن ذات الله عز وجل، وقلنا الكلام ذات وفعل؛ ذاتية فعلية، الأصل أنها فعلية إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم، قديمة النوع حادثة الأفراد. لذلك الأدلة التي قد بيناها من قول النبي صلى الله عليه وسلم [أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ] فهل النبي صلى الله عليه وسلم لما استعاذ استعاذ بمخلوق؟! وهذا على قول الجهمية – هو مخلوق عندهم– طيب.. كلمات الله التي استعاذ بها النبي صلى الله عليه وسلم على قول الأشاعرة ماذا ستقولون فيها؟ فهي كلمات الله عز وجل فتكون صفة من صفات الله عز وجل وليست مخلوقات، لأن لو قلتم حكاية عن الله إذًا هذا القرآن ليس بكلام لله عز وجل، المكتوب بين الدفتين الآن هذا ليس بكلام لله عز وجل لم يتكلم به الله عز وجل! فهنا قلت لهم هذه لوازمهم الباطلة، وطبعًا الذين قالوا بهذا الكلام هم **الأشاعرة**.

فنقول هنا هذا بيان لمعنى صفة الكلام، وطبعًا نحن نجمل على قدر ما يتسع الكتاب في ذلك.

لذلك أنت تجد أن بعض الناس تأثروا بكلام الأشاعرة، خاصة الإخوة الحفاظ في القرآن في الأسانيد، تنظر لبعض أسانيد القرآن وبعض الإخوة لم ينتبهوا لذلك من كثرة ما نقل عن الأشاعرة في هذه المسألة، فتجد يكتب في السند يأخذ هو سند القرآن فلان عن فلان عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ، هم ما يقولون عن رب العزة، هو يكتب عن اللوح المحفوظ، وتجدها في كثير من الأسانيد لأن هو تأثر بقول الأشاعرة لأنهم لا يقولون بأن الله عز وجل تكلم، فيأتي بالسند عن النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ثم يكتب عن اللوح المحفوظ، لماذا؟ لأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ، لكن ما يقول عن رب العالمين!

لذلك أقول أهل السنة والجماعة لابد أن يثبتوا ذلك في السند، لأنهم يقولون بأن جبريل سمعه من الله عز وجل، هم لا يقولون ذلك. وللأسف تأثر بعض الناس ولم ينتبهوا

لهذه المسألة وتجدها تُكتَب في بعض الأسانيد وهو لا ينتبه الذي يكتبها أن هذه مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا من انتشار ما قاله الأشاعرة في بعض الأزمنة، فروج فأصبح يتناقل هذا الكلام، وهذا ليس ضبطًا في هذه المسألة.

نقول القرآن كلام الله عز وجل هو غير مخلوق والدلالة على أنه غير مخلوق بيَّن المؤلف- رحمة الله عليه - أيضًا بعض الأدلة في هذه المسألة؛ منها أن الله عز وجل فرق بين الخلق والأمر،{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف:54] هذا رد على الجهمية لأن هم يقولون بأن الكلام مخلوق - أصل الباب الذي معنا الآن- فالله عز وجل قال {أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} فغاير الله عز وجل بين الخلق وبين الأمر، والأصل في العطف المغايرة. إذًا هناك فرق بين الخلق وبين الأمر.

وهنا "الأمر" ماذا يكون؟ هو كلمات الله عز وجل، لأن كلام الله عز وجل هو أوامره أو منهياته، إذًا هناك فارق، قال{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} فلما غاير علمنا أن هناك فرق بين الخلق وبين الأمر. والأمر هو من كلام الله عز وجل.

واستدل أيضًا المؤلف قال: **لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.** هذا استدلال آخر صدر به الباب الإمام الآجري على أن القرآن من علم الله، لأن الذي يتكلم لابد عن علم، فكان القرآن من العلم، وهنا القاعدة التي كنا قد درسناها من قبل: (القول في بعض صفات كالقول في الآخر). وهذا يحاجّ به الأشاعرة تحديدًا، فهو قال الآن **الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا** ، فكذا القرآن لا يكون مخلوقًا. هذه طبعًا قلنا يحاجّ بها الأشاعرة، لكن لو جئت عند الجهمية والمعتزلة هم أصلًا ينكرون الصفات، الجهمية لا يثبت لا اسم ولا صفة، والمعتزلة يثبت أسماء بلا صفات، فهو لا يثبت علمًا.

فلذلك هو ممكن هذا يصح كما قلنا بأنك تحج به الأشاعرة، هم الأشاعرة يقولون نعم نحن نقول بالكلام يثبتونه، لكن لما ثبتوه أثبتوه حكاية، فقلنا لهم أنتم الآن ما غايرتم

بين الكلام والعلم، لأن الكلام غير العلم، لكن الكلام من العلم، أي صفة الكلام غير صفة العلم، هذه صفة وهذه صفة. هم لما قالوا بأن الكلام حكاية عن الله عز وجل فجعلوه لا يتكلم بصوت ولا حرف، فأصبح الكلام كأنه علم.

لكن هو استدلال المؤلف هنا يريد أن يقول بأنكم – على الطوائف الأخرى – بأن الكلام من العلم، إذًا أثبتتم العلم لله عز وجل، لابد أن تثبت الكلام أيضًا لله عز وجل، وأن علم الله لا يكون مخلوقًا، فكذلك الكتاب لا يكون مخلوقًا، هل ممكن أن تقول بأن علم الله مخلوق؟ لا، فهذه صفة له.

لكن الإشكال هنا في محاجتك مع الجهمي في هذا، لأن هذا الأصل هو لا يقرك به أصالة.

هو طبعًا أتى بأدلة أخرى لا أريد أن أذكرها الآن ستأتي مسألة القلم وأول ما خلق الله القلم، سنأتي في مواضعها نبينها، لكن سنبين من الذي قال بأن القرآن مخلوق؟ لأن هذا في أصل الباب.

قلنا بأن أول من قال أن القرآن مخلوق هم الجهمية والمعتزلة، بينا ذلك. هل لهم أدلة على ذلك أم ليس لهم أدلة؟ هي أدلة واهية طبعًا، لكن لابد أن تعرف أدلة القوم حتى تضبط الرد عليهم. هم لهم بعض الأدلة سنذكرها، والرد يسير لأننا بيّنا في الأسبوع الماضي كيفية إثبات بأن القرآن كلام الله عز وجل وأنه صفة من صفات الله عز وجل بالأدلة في الكتاب والسنة.

ما هي الشبهات التي عند هؤلاء؟

1- **الدليل الأول**: قالوا قال الله عز وجل:{ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ } [الزمر:62]، قالوا والقرآن شيء، إذًا ينزل تحت الخلق. إذًا هذا أول دليل عندهم، أو ليس دليل طبعًا هو شيء ما يرتقي لكن قالوا ذلك.

2- **الدليل الثاني**: وهذا الدليل عند الجهمية وعند الأشاعرة في أمر ما – ستعلمونه الآن– يبين لكم، قال تعالى:{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء:2]، قالوا (ذكر محدث) إذًا القرآن محدث، إذًا مخلوق لأن المحدث هو المخلوق، فقالوا إذًا القرآن مخلوق.

3- **الدليل الثالث**: ما استدل به ابن أبي دؤاد على الإمام أحمد، والإمام أحمد وقف في هذه المسألة في الأول أمام المأمون. قال ابن ابو دؤاد: ألم يقل الله عز وجل: {إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا } [الزخرف:3]، فهو الآن يقول بأن "الجعل" قال تعالى: {وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ } [الأنعام:1]، إذًا (الجعل) شيء مخلوق، قال {وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ } و{إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا} أي خلقهن كما خلق الظلمات والنور، خلق القرآن العربي، من أين استدل؟ من الجعل، قال:{ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا} فقال الجعل بمعنى الخلق، لماذا؟ قال لأن الله عز وجل قال في أكثر من آية ومنها {وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ } وقال {إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف:3]، قالوا هذا أيضًا دلالة على أن القرآن مخلوق.

4- **الدليل الرابع**: المتأخرين عندهم استدلوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في البقرة وآل عمران قال: **[اقْرَؤُوا القرآنَ؛ فإنَّه يأْتي يومَ القيامةِ شَفِيعًا لأصحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: البقرةَ وسورةَ آلِ عمران؛ فإنَّهما تأْتيانِ يومَ القيامةِ، كأنَّهما غَمَامَتَانِ، أو كأنَّهما غَيَايَتَانِ، أو كأنَّهما فِرْقَانِ مِن طيرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عن أصحابِهِمَا]**، (ابن علية) طبعًا، وابن علية هذا كان من أهل الحديث، لكن الإمام أحمد قال: "ظل ابن علية وضيعًا بين أهل الحديث لما قال بقول خلق القرآن". كان من أهل الحديث ثم قال بخلق القرآن، وبعضهم قالوا هو رجع والحمد لله تقريبًا هو رجع، لكن قيل أن هو قيل عنه كذبًا وقيل أن هو رجع بعد ذلك عن ذلك. فالمهم أن هو أخذ بهذا، قال ابن علية يأتيان يوم القيامة "بلسان يتكلمان" من؟ القرآن؛ البقرة وآل عمران قال يحاجان عن صاحبهما، فقال إذًا يأتيان يوم القيامة بلسان يتكلمان، إذًا فكيف يكون كلامًا؟ لابد أن يكون مخلوقًا.

هذه أربع أدلة عندكم، نرد حتى ما نترك المسألة هكذا بدون رد.

الرد على هذه الشبهات:

1- الرد على الدليل الأول:

{ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} [الزمر:62]، الرد عليهم من وجهين، نرد أصوليًا

أهل الأصول بعضهم قال هو عام مخصوص، خُص بدليل، ما الدليل الذي تخص به العام؟ قلت الآن {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} [الزمر:62]، فستقول أن {أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ} [الأعراف:54] خصصت العموم، خرج الخلق؛ هو لله، (خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ)، والأمر غير الخلق، لأن الآية غايرت بين الخلق والأمر، فممكن تقول "الخلق" نزل تحت العموم، وخرج "الأمر" من العموم لأن الأمر ليس خلقًا، والله قال {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} إذًا الله عز وجل يتكلم عن الخلق، والقرآن تحت الأمر لأنه أوامر.

الثاني أيضًا أصوليًا {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ} عام يراد به الخصوص، كيف يكون عام يراد به الخصوص؟ هناك عام يراد به العموم، وعام يراد به الخصوص، قالوا (خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ) قابل للخلق، وصفات الله عز وجل ليست مخلوقة حتى تُخلَق، هذه معاني لله عز وجل، صفات لله عز وجل مرتبطة بأنها معنى من المعاني، إذًا (خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ) هنا مع الوجه الثاني أنه عام يراد به الخصوص.

وكما جاء من قوله تعالى:{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا} [الأحقاف:25]، فقالوا هنا ما دمرت كل شيء، لكن دمرت المساكن – لما قلنا في الأصول لو تذكروا– وأيضًا {وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ} [النمل:23]، قلنا خصصت بالحس، وخصصت بالعقل.

فعلى هذا إما أنك تقول عام مخصوص وهذا الأوجه، وإما أنك تقول عام يراد به الخصوص. طبعًا أهل الأصول يقولون بذلك أنه عام يراد به الخصوص والبعض يقول عام مخصوص. انتهينا، إذًا ليس لهم في الدليل شيء.

2- الرد على الدليل الثاني:

ندخل للدليل الثاني {إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف:3]، قالوا والله قال: {وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ} [الأنعام:1]، إذًا (الجعل) بمعنى الخلق، والإمام أحمد وقف في هذا الدليل فترة حقيقة لكن رجع. قال الإمام أحمد هل أصلًا أصوليًا (الجعل) بمعنى الخلق؟ أم له معنى آخر بمعنى الصيرورة والعاقبة مثلًا؟ قال أن الله عز وجل قال {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل:5]، فقال الإمام أحمد فجعلهم كعصف مأكول أي "صيرهم" كعصف مأكول، إذًا ليس المقصود هنا بالجعل الخلق، بل الصيرورة، فـ {إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا} أي صيرناه عربيًا، لماذا؟ لأنه نزل بلسان العرب إلى غير ذلك لينطق بلغة العرب، قال الله { وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ،نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } [الشعراء:192-195].

اللغة تحتمل الخلق والصيرورة، تحتمل المعنى، إذًا مادام تحتمل إذًا لابد هنا تحملها على المحكم. فأنت لو عندك اللفظ إما تقول مشترك فستحمله على ما هو محكم، فالآن لا تحمله على أن هو مضاد للمحكم. فالمحكمات عندنا أن القرآن غير مخلوق. فهو أنت لما تأتي بآية وتقول: {وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ } و{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} أيضًا إذًا هنا (الجعل) قد يكون صيرورة وأيضًا لا يشترط أن القرآن أنه يكون خلق، بل ممكن يكون صيره الله عز وجل قرآنًا عربيًا ليكون بلسان لغة العرب. إذًا تحتمل المسألة، وما دامت تحتمل فسترده للمحكم، إذًا ليس لك فيه دليل. وهو أيضًا الإمام أحمد أتى لهم بآية فيها (الجعل) أيضًا، إذًا المسألة احتملت، فسترده على المحكم وانتهت الإشكالية في ذلك.

3- الرد على الدليل الثالث:

{مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ} [الأنبياء:2]،الأشاعرة قالوا بهذه المسألة، قالوا (محدث) أي مخلوق، وهذا الذي جعلهم يعطلون كل الصفات الفعلية لله عز وجل،

التي هي فيها إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، فقالوا إذا أثبتناها جعلناها فيها إحداث؛ إن شاء ضحك، إن شاء أحب، إن شاء.. فقالوا كل ما كان فيه المشيئة فيها – ومنها الكلام لأن الكلام إما سيقول بأن الله عز وجل يكلم موسى من الأزل إلى الآن وهذا لا يمكن، وإما يقول لا، كلم الله موسى لما جاء موسى إلى الميقات، إذًا هيكون محدث، إذًا عنده المحدث مخلوق، فيفر من هذا أيضًا فيجعل القرآن ليس بكلام، يجعله حكاية! والإشكالية عندهم في أنهم قالوا أن "محدث" هنا بمعنى "مخلوق"، وهذا خطأ، لأن حتى عند العرب المحدث لا يشترط أن يكون مخلوقًا، المحدث عند العرب هو الشيء المتجدد. لماذا نحن قلنا هذا الكلام؟ فمعنى {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ} أي شيء جديد، متجدد، ليس مخلوق، وهذا يوافق المُحكَم، لأنك أنت لو لم تقل ذلك فكيف ستحمل قول الله عز وجل: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ } [الأعراف:143]؟ فهو لما جاء كلمه. وكيف ستحمل المرأة التي جاءت تشتكي للنبي صلى الله عليه وسلم والسيدة عائشة تقول{قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ } [المجادلة:1]؟ وكيف ستحمل قول الله عز وجل:{ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ } [الأنفال:67]؟ الآية هذه هل الله عز وجل يقولها منذ أن كُتبت في اللوح المحفوظ؟ أم هذه ما قيلت إلا لما حدثت المعركة وحدث اسارى بدر ثم نزل قول الله عز وجل؟

إذًا هنا "محدث" أي متجدد على حسب الحال، وهذا أيضًا يوافق كمال صفات الله، أنك لا يمكن أن تقول بأنك حتى تثبت الكلام أنت لو قلت على المخلوق أنه يتكلم من أول ما تعلم الكلام إلى الآن، فماذا ستقول؟ هذا لا يسكت! هذه صفة نقص! لكن من الكمال عند المخلوق – طبعًا كمال المخلوقية – بأنه يتكلم عندما يريد ويسكت عندما يريد، ومن باب أولى هذا يكون في حق الله عز وجل، وإلا لما تقول إما أن هو بيتكلم هذا الكلام من قديم الأزل، وهذا لا يمكن أن يكون، فنقول إذًا المقصود هنا من المحدث أي المتجدد، وهذا يوافق طبعًا الآيات والأحاديث التي جاءت بأن الله عز وجل قد أنزل الآيات في مواقف وحين دعا المقام للكلام. إذًا هنا "محدث" أي جديد.

4- الرد على الدليل الرابع:

تبقى معنا الآن حديث البقرة وآل عمران، واعتقد المسألة ليست فيهم شيء. هل عندكم توجيه في استدلالهم بحديث البقرة وآل عمران أنها ستأتي تحاجان عن صاحبهم يوم القيامة فدل ذلك على المخلوق؟

من الذي سيأتي؟ العمل الذي يأتي، عملك وهو قراءتك أنت، وعملك أنت، هو الذي يأتي يوم القيامة.

هل يوجد دليل على ذلك؟ حديث [كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ] "ثقيلتان في الميزان" إذًا العمل؛ الكلمتان وهما "سبحان الله وبحمده" – حتى فيها اسم الله عز وجل – "سبحان الله وبحمده" قال "ثقيلتان في الميزان" من هم؟ العمل الذي أنت قرأته، هذا هو المقصود.

إذًا يوم القيامة ما يستدلوا به هنا ليس القرآن الذي سيأتي، بل عملك الذي قرأت به القرآن هذا الذي يجعله الله عز وجل كما جعل كلمتان ثقيلتان في الميزان تحاج لك يوم القيامة، وهذه أيضًا لا إشكال في ذلك لأن الله عز وجل قال: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } [النحل:40]، فإذا أراد الله عز وجل يجعل الأعمال بكن تكون كهيئة ما وتأتي ستكون ذلك. إذًا هذا رد عليهم.

يلزم – حتى نختم الكلام لهؤلاء حتى ما نرجع إليه مره أخرى – بعد أن بينا الشبهات التي عندهم والرد عليهم يلزمهم بقولهم لخلق القرآن لوازم باطلة، لما قالوا بهذا لوازم باطلة. وطبعًا هذا سيأتي معنا في الحُكم إن شاء الله بعد ذلك في الشروحات، لأن من تبويب الباب قلنا هناك ثلاث مسائل:

1- أن المصنف قال الإيمان بأن الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،هذا أولًا، إثبات؛

2- ثم قال لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، هذه المسألة الثانية؛

3- وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ، وهذه المسألة الثالثة.

نحن ما زلنا في إثبات أن القرآن كلام الله عز وجل، وبعد الإثبات هناك نفي: وأن كلامه غير مخلوق، وهذه ستأتي لها كلام إن شاء الله، لكن ما زلنا في الجزء الأول؛ إثبات أن القرآن كلام الله عز وجل.

هم نفوا وقالوا بأنه مخلوق، ومن لوازمهم – كما قلنا الآن – أنهم إذا قلتم بأن القرآن مخلوق سيكون الله مخلوق – حاشاه ذلك – لأن القرآن صفة، فلو جعلت الصفة مخلوقة فيكون الموصوف بها مخلوق، إذًا أنتم الآن جعلتم الله مخلوق، وهذه طبعًا **لوازم باطلة كفرية**، لذلك سنبين لك أن بعض الذين قالوا بالكفر؛ سواء كفر أصلي بقولهم أو من اللوازم الذين قالوها أيضًا في هذا الباب.

اللازم الثاني بأنك لو قلت بأن القرآن مخلوق فماذا ستفعل بقول الله عز وجل:{ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي } [طه:14]، طبعًا لو قلنا أنه كلام الله فصفة، إذًا تكلم الله، إذًا صفة من صفات الله وهو الخالق، لكن لو جعلت هذا الكلام مخلوق إذًا أنت بتعبد من الآن؟ كأن المخلوق هو الذي بيدعوك إلى العبادة، لأن الكلام مخلوق، فهو قال: (فَٱعۡبُدۡنِي) إذًا هكذا المخلوق سيدعي بأنه الخالق، هذه من اللوازم، اسمها اللوازم، ولما قالوا بقولهم أن القرآن مخلوق، ما المقصود بلوازم؟ لوازم باطلة لهم، هم لم يقولوا ذلك لكن لما قالوا بأن القرآن مخلوق أول شيء لما ادعوا أن القرآن مخلوق إذًا الله مخلوق لأنه صفة، ثاني شيء إذًا أنت الآن جعلت أن المرء يدعو المخلوق

لأن الكلام :{ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي } أنت تقول أن هذا الكلام مخلوق، إذًا المخلوق بيدعو أن يكون خالقًا.. لأنك بتعبد من؟ الخالق. هذه لوازم باطلة، كلها لوازم طبعًا كفرية أصلًا.

من اللوازم أنك لو قلت بأن كلام الله مخلوق، وكلامك أنت مخلوق، وكلام زيد مخلوق، وعمر مخلوق، وبكر مخلوق، أنت جعلت كلام الله مخلوق مثل كلام باقي المخلوقين، فشابهت، جعلت مشابهة بين الخالق وبين المخلوق، وهذه من اللوازم الكفرية أيضًا، بل أنت لو قلت بأن كلام الله مخلوق فجعلته كالمخلوق، إذًا المخلوق عنده فحش في الكلام أم لا؟ وعنده سب أم لا؟ فشبهت أيضًا الخالق والمخلوق وهذه من اللوازم الباطلة في ما يقولونه، ولا شك أن هذا القول طبعًا كفر مبين.

ولكن نحن سنقف عند مسألة الحكم هذه، وهو **مبحث: من قال أن القرآن المخلوق ما حكمه عند أهل السنة والجماعة؟** هذا الذي بينه المصنف، ونحن ما زلنا في بداية الأحاديث، لكن هذا إن شاء الله هذا سيكون تفصيل لما سيأتي بعد ذلك وهو عبارة عن الآثار التي تبين قول السلف الصالح من أول قول عمر رضي الله عنه وأرضاه، والأئمة، وقول السلف في من قال بأن القرآن مخلوق حكمهم عليه في ذلك. هذا إن شاء الله نرجئه للأسبوع القادم، ما زلنا مع هذا الباب العظيم وما فيه من مسائل، أسأل الله عز وجل أن ييسر لنا ويشرح الصدور لحسن الشرح فيها والإنصات منكم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – رحمة الله عليه – وما زلنا في الباب تقريبًا هذه المحاضره الثالثة في هذا الباب – والله أعلم – **بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ**. وقلنا بأن هذه التسمية لهذا الباب تحتوي على ثلاثة مسائل؛ أولًا كما ظهر في كتاب المؤلف؛ إثبات بأن القرآن كلام

الله عز وجل، وهذا تكلمنا عنه باستفاضة وأثبتنا بأن القرآن هو كلام الله عز وجل، وأن الكلام صفة من صفات الله عز وجل، والله عز وجل قد تكلم بالقرآن وتكلم بغير القرآن أيضًا من كتب أنزلها الله عز وجل على عيسى عليه السلام، وعلى موسى، وعلى داوود، وتكلم الله عز وجل مع بعض مخلوقاته كما تكلم مع الجنة، وتكلم مع النار، وتكلم مع الملائكة أيضًا، وتكلم مع إبليس، وتكلم مع آدم.

فهذا الجزء الأول وقد بيّنا واستفضنا فيه، ورددنا على الطوائف التي نفت صفة الكلام لله عز وجل؛ كالمعتزلة والجهمية، أو الذين أثبتوا الكلام على اختلاف أهل السنة وهم الأشاعرة والماتريدية الذين قالوا بأن القرآن حكاية عن كلام الله ولم يثبتوا بأن الله تكلم بصوت مسموع وبحروف؛ وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة قد بيناها من قبل.

ثم قلنا أيضًا بأن المسألة الثانية التي نتكلم عنها أن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق، وهذا أيضًا رد على الجهمية، لأن الجهمية يقولون بأن أسماء الله وصفاته مخلوقة، وأن القرآن مخلوق، والمعتزلة وفتنة الإمام أحمد – كما بيّنا – في زمانه مع الخلفاء الثلاثة الذين عاصرهم وفتنة ابن أبي دؤاد الذين قالوا بأن القرآن مخلوق، وحدث ما حدث فيه من امتحان الناس في ذلك، وقلنا هنا هذه المسألة الثانية بأن القرآن كلام الله وصفة من صفات الله عز وجل، وغاير الله عز وجل في كتابه من قوله تعالى: {أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف:54] وقلنا الخلق غير الأمر، ودل ذلك على أن القرآن ليس مخلوقًا، بل هو كلام الله عز وجل، والكلام صفة من صفات الله عز وجل.

ثم تبقى معنا كانت المسألة الثالثة أشرنا إليها في نهاية المحاضرة الأخيرة على مسألة تسمية هذا الباب لما قال المؤلف **وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ** وهذه هي المسألة الثالثة في تسمية الباب، ويظهر طبعًا هذا العنوان من إمام جليل الإمام الآجري، وهذا الكتاب كما قلنا من أمتع وأنفع الكتب التي يستفيد منها طالب العلم في التأصيلات التي أصلها لنا هذا الإمام العظيم – رحمه الله – ونفع الله بعلومه.

هنا أوجز لنا في التعريف المسائل الثلاثة؛ أنك لابد أولًا تثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، هذا لابد، ثم أيضًا لا يكتفي بذلك بل لابد تنفي أن القرآن مخلوق، وسنبين لماذا هو اشترط ذلك في التسمية عندما نأتي إلى قراءة الآثار، لأن الإمام أحمد لما سُئل عن ذلك من قال بأن القرآن كلام الله وسكت ولا يقول غير مخلوق فقال كان يسع المرء ذلك قبل أن يظهر الخلاف وظهر اعتقاد الجهمية والمعتزلة، وحدث ما حدث في فتنة الإمام أحمد على أنهم يقولون بأن القرآن مخلوق فكان ممكن يكفي ذلك المرء؛ أن يقول بأن القرآن كلام الله ويسكت لأن لم يكن هناك خلاف قبل ذلك على مسألة أنه مخلوق، لكن قال أما وقد ظهر الخلاف فلا بد حتى يثبت عقيدة أهل السنة والجماعة أن يصرح بأن القرآن كلام الله عز وجل وأنه غير مخلوق. لذلك المؤلف هنا أتى بهذه الكلمات في هذه التسمية.

ثم ذكر **وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ**، إذًا هنا حكم من قال بأن القرآن مخلوق، هنا ظاهر من كلام المؤلف كما سيأتي معنا ومن الآثار بأن أهل السنة ما سكتوا عن الذي يقول أن كلام الله عز وجل مخلوق، ولم يسكتوا أيضًا عن الذين سكتوا ولم يقل أنه غير مخلوق، فقالوا بأن من قال مخلوق فقد كفر. ويعد هذا حقيقة إجماعًا من السلف على أن من قال القرآن مخلوق فقد كفر. قالوا ورد ذلك عن ابن عباس– رضي الله عنهما – وعن عبد الرحمن بن مهدي وعن أحمد بن حنبل وعن عبد الله بن المبارك وابن عيينة وكثير من التابعين أيضًا المحققين، بل كما سيأتي معنا عبد الرحمن بن مهدي قال: (لَوْ كَانَ لِي سُلْطَانٌ لَقُمْتُ عَلَى الْجِسْرِ ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي أَحَدٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ ، فَإِذَا قَالَ لِي : مَخْلُوقٌ ، ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَأَلْقَيْتُهُ فِي الْمَاءِ) وهو لا يستحل طبعًا دق العنق عبد الرحمن بن مهدي إلا لو رأى أنه كافر. فهذا يبين لك أن السلف الصالح كانوا يقولون بكفره.

مالك أيضًا رضي الله عنه لما سئل قال: (من قال بالقرآن مخلوق يستتاب وإلا قتله ولي الأمر)، والاستتابة لا تكون إلا من ردة، فدل ذلك أيضًا أن هذا كان مستقر عند السلف. جعفر الصادق أيضًا لما سُئل قال: (يقتل ولا يستتاب)، وكيع بن الجراح لما

سُئل عن ذبائح الجهمية قال: الذين يقولون بأن القرآن مخلوق قال هذه ميتة لا تؤكل وذبائح أهل الكتاب تقدم عليهم، لأنه يرى كفرهم؛ ردتهم. أيضًا ابن المبارك لما أراد أن يتكلم عن الثلاثة وسبعين فرقة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة وسبعين فرقة كلهم في النار وواحدة في الجنة، قال الجهمية خرجت من الثلاثة وسبعين، أي لم يعد الجهمية من الثلاثة وسبعين لأنه يرى بأن الجهمية خرجت عن الدين أصلًا من حديث الثلاثة وسبعين. هو طبعًا هنا كأن كلام ابن المبارك يرى بأن الثلاثة وسبعين هم لا يدخل فيهم من كفر وفيهم المبتدعة والفساق، ولكن الحق أنه يدخل فيهم أحيانًا من كفر ويدخل الفساق، لكن البعض يظن خطأ بأن الإثنين وسبعين كفار. لكن المهم أن ابن المبارك الذي نريد أن نستشهد بكلامه هنا أنه يرى بأن الجهمية لم تدخل في هذا الحديث لأنهم مرتدين أصلًا عن الإسلام، فلا يدخلوا.

فنقول إجماع عند السلف على أن من قال بالقرآن مخلوق فقد كفر، وطبعًا الإمام أحمد صرح بذلك، على أحد أقوال الإمام أحمد. الإشكال أنه عنده في المسألة أكثر من قول، فسأبين الإشكالية في مسألة التعيين فقط هنا، فقال: "من قال القرآن مخلوق فقد كفر"، لذلك جاءه رجل – كما سيأتي معنا أيضًا – يسأله أأصلي خلف الرجل يشرب الخمر اعتاده؟ قال لا تصلي خلفه، قال يا إمام أأصلي خلف من يقول القرآن مخلوق؟ فقال له مغضبًا سبحان الله منعتك أن تصلي خلف مسلم فكيف تصلي خلف كافر؟ أي شارب الخمر طلع أو نزل – مثل ما يقال – هو فاعل كبيرة لكن مسلم، فهو يقول له أنا منعتك أن تصلي خلف شارب الخمر – أي اعتاده – فكيف تصلي خلف كافر؟ فهذه دلالة على أن السلف أجمعوا على كفر من قال بأن القرآن مخلوق.

هل الكفر هنا على النوع أم على العين؟

لكن الحق هنا نبين هل الكفر هنا على النوع أم على العين؟ هناك استقرار على أن من قال بالقرآن مخلوق كافر، فهذا نوع، لكن هل هذا عينًا أيضًا؟ هذا طبعًا لو سألتم جُل أهل العلم في الأقوال كأنهم يقولون بالعين، لكن الحق أن فيها تفصيل لأن الإمام أحمد مع أنه قال (فقد كفر) لكنه لم يكفر المأمون، ولم يكفر ابن أبي دؤاد، بل قال

لو أن لي دعوة صالحة لدعيتها له، ولن يدعو لكافر. فهو الإمام أحمد لم يعامل البعض منهم بأنهم على الكفر عينًا، ويبدو أن هذا أيضًا عند التحقيق قول المديني وعبد الرحمن بن مهدي؛ فهم يقولون بالكفر، لكن هل يسقط على الأعيان مباشرة؟ هذا يرجع لتأصيل عند أهل السنة والجماعة في مسألة كفر العين وكفر النوع.

فلو قلنا بذلك نجد أن الإمام أحمد مع أن الأقوال كلها يتكلمون فيها تصريحًا بالكفر، لكن أين الإشكال؟ تطبيق الإمام أحمد مع المأمون ومع ابن أبي دؤاد لم يكفرهم بذلك، بل لم يرض أن يخرجوا عليه، وهذا ثابت عن الإمام أحمد في ذلك. فأنا حقيقة سأنقل لكم كلام شارح الطحاوية في هذه المسألة لعله يبين لكم أن المسألة قد تكون عند كثير من أهل العلم تحتاج لتحقيق مع العين وليس مع النوع في هذه المسألة مع إتفاق السلف بأن هذا القول كفر.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح الطحاوية:

(قال كثيرٌ من أهْلِ السُّنَّةِ المشاهيرِ بتكفيرِ من قال بخَلقِ القُرآنِ) هذا لا إشكال فيه، قال: (وَأَمَّا الشَّخْصُ الْمُعَيَّنُ ، إِذَا قِيلَ : هَلْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ وَأَنَّهُ كَافِرٌ ؟ فَهَذَا لَا نَشْهَدُ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَمْرٍ تَجُوزُ مَعَهُ الشَّهَادَةُ) أي لابد يكون معك دليل على هذه المسألة، (فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْبَغْيِ أَنْ يُشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ وَلَا يَرْحَمُهُ بَلْ يُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ، فَإِنَّ هَذَا حُكْمُ الْكَافِرِ بَعْدَ الْمَوْتِ) وهذا طبعًا يبين لك بأنهم كانوا يرون بأن الكافر إذا مات على كفره هذا حكمه، فالحكم أن نقول أنه يعين بالكفر إذا مات على الكفر، ومع ذلك نقول أنه مات على الكفر فهو في جهنم، لكن هل نجزم أنه في جهنم بعد أن مات؟ هذه مآلها إلى الله عز وجل لأنه لو كان كافرًا لابد، لكن لعله قد أسلم أو تاب أو غير ذلك- أتكلم عن الجزم فقط – لكن إن مات على الكفر ظاهرًا فنقول هو من أهل النار لأنه مات على الكفر، لكن هذا الكافر الأصلي نقول أو الذي هو على الكفر. هو هنا يريد أن يقول أن هذا حكم الكافر بعد موته الذي تشهد بأنه لا رحمة ولا مغفرة له.

(وَلِأَنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا مَغْفُورًا لَهُ ، أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِيمَانٌ عَظِيمٌ وَحَسَنَاتٌ أَوْجَبَتْ لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ) طبعًا الأخيرة لا تكون إلا لو كانت البدعة ليست كفرية، لكن مفسقة، فهنا حسناته ممكن، لكن لو كانت البدعة كفرية فهذا يُحمل. لكن هو الشاهد من كلام شرح الطحاوية بأن على أصول أهل السنة والجماعة بأن مسألة الشهود بالعين لابد فيها من تحقيق الشروط؛ لأن هو قال هنا قد يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا.

وبعضهم يرى بأن ابن أبي دؤاد كان الإمام أحمد يراه مجتهدًا، لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كان يقول في بعض المناظرات لو قلت بقولك أكون أنا عندي كفرت، الإمام ابن تيمية، لكن لو أنت قلت بقولك فأنت عندي ليس بكافر. لماذا قال ذلك ابن تيمية؟ لأن ابن تيمية يرى أن هو على الباطل لو قال بقوله وهو يعتقد الباطل سيكفر، لكن أنت مجتهد اجتهاد فيها وإن كان الاجتهاد هذا مردود باطل لكن أنت عندي لا تكفر لأنك عندك اجتهاد.

وأنا لماذا ناقشت؟ لأن المجلس مجلس علمي، لكن لما تتكلم في المسألة هكذا هتقول والله أهل السنة والجماعة يرون بأن من قال بأن القرآن مخلوق فقد كفر، لكن إن أردت أن تدقق تبين المسألة هنا لابد أن تفرق فيها بين النوع وبين العين. وعندما تعين فلابد أن تقيم الشروط وتنتفي الموانع حتى تعينه هو. وإن كان بعد موته إذًا سنسكت، نحن بنقول الحكم، لكن هل سنعين عليه؟ ما نستطيع أن نعين عليه لأننا لا نعرف الآن إذا كان مجتهد؟ أم لم يصله الدليل؟ أم ماذا كان يرى؟ وقد ظهر الخلاف عند بعض الإخوة؛ أن الآن الكافر الأصلي مات، فهل تقول هذا رجل في جهنم لأنه مات على الكفر؟ والبعض ينكر يقول لك: لا، ما تقول في جهنم أنت من أدراك أنه في جهنم؟ نقول له إن مات على الكفر فالله عز وجل بين أن من مات كافرًا هو في جهنم، وهو الرجل مات أمامنا كافرًا، فلي أن أقول أن هذا كافرًا مات على الكفر وهو في جهنم، والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار) و "بقبر كافر" هنا على التعيين، فمن السنة التي يغفل عنها كثير من الناس

إذا مررت بقبور الكفار تبشرهم بالنار، والنبي صلى الله عليه وسلم قال (بقبر كافر) أي ما قال على النوع، لا، فهناك عين كافر موجودة فتبشره بالنار لأنه مات على الكفر. لكن نقول هنا: هل أنا أجزم أنه في جهنم؟ لا ما أستطيع أجزم، هل أنا أجزم الآن أن الله عز وجل سيجعله في جهنم يوم القيامة؟ أنا ليست لي هذه، هذه المسألة الغيبية التي لا أجزم بها، أقف أقول لا أعلم، أنا لا أجزم أن الله عز وجل سيدخله جهنم، لكن أجزم بأن من مات على الكفر فهو في جهنم، الله أخبرنا، لكن هل هو عين الله عز وجل أن أجزم من الآن أنه سيكون في جهنم؟ هذه ليست لي لأنه ممكن يكون كان قسيسًا كبيرًا وما مات على الكفر وكان أسلم بالخفاء ونحن لا نعلم، فإنني أجزم بنزوله جهنم من هنا، هذه ليست لنا. هذا الفارق.. وإن كان البعض أصلًا يريد ينكر أيضًا يقول لا تقل أنه مات على الكفر ما أدري- أقول أنا فصلت حتى ما أعيد الكلام- أنا أفرق بين أن أقول حال موته وقد تبين ظاهرًا أنه مات على كفره، فأقول بما قال به الله عز وجل وقال به النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لا أجزم أن يوم القيامة أن الله سينزله في جهنم.

ومسألة حكم من قال أن القرآن مخلوق – ما أدري تذكروا أم لا لكن أنا سألخص حتى ما نعيد- أن هناك تكذيب لله عز وجل؛ لأنه كذب القرآن لما قال أن القرآن مخلوق، الله عز وجل قال:{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة:6]، كلام الله هذا صفة وهو يقول أنه مخلوق، فهو يكذب القرآن، هذا أمر.

الأمر الثاني تشبيه الخالق بالمخلوق، ما هو التشبيه هنا؟ أنا أراجع معكم.. لأن لما قال الله عز وجل:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى:11]، لو تذكر قول نعيم بن حماد شيخ البخاري قال: (من شبه الخالق بالمخلوق فقد كفر). فلو قال بأن القرآن مخلوق إذًا الكلام الذي تكلمه ربنا مخلوق، إذًا جعل كلام الله ككلام المخلوق، والمخلوق كلامه مخلوق، فكلامنا الآن هذا مخلوق، ولو قال بأن القرآن – وهو كلام الله – مخلوق إذًا شبه الخالق بالمخلوق، ومن شبه الخالق والمخلوق فقد

كفر. هذا الباب الثاني الذين يكفرون به من قال بأن القرآن مخلوق وليس كلام الله عز وجل.

الثالث؛ أن من قال بأن القرآن مخلوق فقد دعى غير الله، فالله عز وجل قال: {إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي } [طه:14]، فلو كان هذا الكلام – الذي هو كلام الله – قاله مخلوق إذًا الذي بيقول (إنني أنا الله) مخلوق، إذًا فهو بيعبد مخلوق غير الله عز وجل، فهذا أيضًا من باب الكفر. فهذه أدلة على التكفير؛ وجوه التكفير، اللوازم التي قلتها من قبل، وبعضها في منها لوازم، لكن أنا قلت الآن وجوه التكفير من أين؛ تكذيب الكتاب، تشبيه الخالق بالمخلوق، والأخيرة هي التي ممكن تكون من اللوازم. أنا أجملت لكم الآن، وقد فصلت من قبل، قلت وجوه التكفير، وهناك لوازم باطلة، فممكن ترجعوا للتفصيل أكثر ، لكن طبعًا لما نقول تكذيب الكتاب هذا ليس لازم لأن ربنا بيقول {كَلَٰمَ ٱللَّهِ}، وأنت تقول ليس بكلام الله، ما هو كلام الله أي صفة وأنت تقول ليس بكلام لله عز وجل وأن هذا كلام مخلوق، إذًا أنت بتكذب القرآن.

انتهينا من المسائل الثلاثة التي كانت مقصودة في الباب، وقرأنا المقدمة، نقرأ مرة أخرى لأن هناك مسألة مهمة لن اتركها قبل أن ندخل في الآثار.

بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ قَوْلَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُزِغْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وُوُفِّقُوا لِلرَّشَادِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَوْلُ أَئِمَّةِ

الْمُسْلِمِينَ لَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ، وَالْجَهْمِيُّ فَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ كَافِرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} [البقرة: ٧٥] وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [آل عمران: ٦١] وَقَالَ تَعَالَى {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ

هنا نريد أولًا نبين أن ما قاله الإمام الآجري في هذا الذي قرأناه يبين لنا مسألة إثبات الكلام وقد بيناها، جُل الأدلة على أن يبين أن القرآن من علم الله، وأن العلم صفة من صفات الله عز وجل، والقرآن أيضًا كلام لله عز وجل، من قال بأن القرآن مخلوق إذًا كأنه قال بأن العلم مخلوق، وهذا لا يقوله مسلم. لذلك هو قال "من قال ذلك فقد كفر"، فكأنه قاس الكلام على العلم، وأن العلم صفة، فيكون الكلام صفة، فلا يصح أن يكون مخلوقًا.

ثم بين أن أول من قال ذلك هم الجهمية، والجهمية حقًا هم الذين أول من قالوا بمسألة القرآن مخلوق ثم تبعهم بعد ذلك المعتزلة في هذه المسألة. وقد بين حكم الجهمية عند العلماء بأنهم كفار في ذلك، ثم استدل بالأدلة: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ } [التوبة:6]، وقد بيّنا هنا وجه

الشاهد؛ إضافة الكلام إلى الله. وأيضًا: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ} [البقرة:75]، أضيف الكلام إلى الله فأصبح صفة أيضًا، والآية التي تليها:{ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ} [الأعراف:158]، وأيضًا إضافة الكلمات إلى الله عز وجل. فكل هذا إقرارًا من الإمام على أن الأدلة هذه كلها تبين أن الكلام أضيف إلى الله؛ إضافة صفة لموصوف.

قال: **وَهُوَ الْقُرْآنُ**، وقد قال جل وعلا لموسى عليه الصلاة والسلام: { إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى} [الأعراف:144]، فهنا أيضًا "بكلامي" الكلام أضيف إلى الله عز وجل، فلا يمكن أن يكون الكلام مخلوقًا. قال: "وفي هذا كثير". ثم {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ } [آل عمران:61]، هنا أيضًا بين أن العلم هو القرآن، فلا يمكن أن يكون العلم مخلوق، وكذلك القرآن لا يكون مخلوق. وهذه المسائل قد انتهينا منها.

هنا المسألة التي لابد أن نقف عندها قليلًا فقط ولن أتوسع، لكن هناك مسائل الإمام حقيقة لم يذكرها لابد أن نبينها عند أهل السنة والجماعة لأن فيها خلاف بينها وبين الطوائف الأخرى لما قال: **لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ**. هذه جملة مهمة جدًا، وهو أصل هذا الكلام لما ابن عباس رضي الله عنهما كان يُسئل عن قول الله – وتجده في القرآن كثيرًا – {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء:17]، {وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:158]، { وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} [النساء:134]، فهو لما سئل بن عباس قال: (كان ولم يزل) وهو يريد أن يبين بأن الله عز وجل كان متصفًا بهذه الصفات ومتصف بها ولم يزل متصفًا بها. والمسألة التي يؤكد عليها الشيخ هنا هو أنه قال: **لَمْ يَزَلِ** ثم قال: **بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ**، لماذا قبل خلق الأشياء؟ هذا تقييد مهم جدًا – سامحوني

إن كان هناك تأصيل لكن سيفيدكم لأن المسائل هذه ممكن نمر عليها شرحًا دعويًا ولا تفهموا لماذا هو قال هذا الكلام.

قال: **بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ**، ثم قال: **مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ**. وهل هناك من يقول غير هذا حتى يكفره؟ نعم، **هذه المسألة عند أهل العلم تسمى مسألة اتصاف الله عز وجل بصفاته**؛ هل هو متصف بها قبل خلق الأشياء؟ أو هو كان لم يكن متصف بها ثم أصبح متصفًا بها؟ أم هو كان متصف بها ولكن لم يظهر هذا الاتصاف إلا بعد أن خلق أشيائه؟ أم هو متصف بها أصالة كما أن اسمائه متصف بها وصفاته متصف بها؛ سواء خلق أو لم يخلق، قدر أو لم يقدر فالصفات ثابتة لله عز وجل ؟

هذه مسألة فيها كلام عند العلماء، طبعًا ليس كلام عند أهل السنة؛ أهل السنة والجماعة قولهم واحد سأبينه لكن فيها ثلاثة أقوال؛ المعتزلة لهم قول ومعهم الجهمية طبعًا، وبعد ذلك الأشاعرة والماتريدية لهم قول، وأهل السنة والجماعة لهم قول في هذه المسألة. وهذه طبعًا تنشأ عن مسألة تسمى التسلسل لن ندخل فيها لأنها مسألة عويصة نوعًا ما وليست مقامها الآن، لكن نحن سنتكلم عن هل الله عز وجل متصف بهذه الصفات أزلًا؟ أم لم يكن في وقت متصف واتصف؟ أم لم يكن متصف إلا لما ظهرت الآثار؟

- **المذهب الأول وهو عند الجهمية والمعتزلة:**

يقولون أن الفعل كان ممتنعًا على الله عز وجل، ثم انقلب من الامتناع إلى الإمكان، كان ممتنعًا ذاتيا. ما المقصود بـ "كان ممتنعًا"؟ أي أن الله كان ممتنع عليه الخلق – تعالى الله عن ذلك – كان ممتنعًا عليه السمع، البصر، القدرة، القوة، إلى غير ذلك، كان ممتنعًا عنه ذلك، ولم تكن له لا صفات ولا أسماء في وقت، ثم لم يتصف بهذه الصفات إلا بعد أن ظهرت الآثار. أي بعد أن خلق، وبعد أن قدر، بعد أن مثلًا أنشأ، بعد أن برأ، بعد أن أنزل مطرًا، بعد أن كذا.. فقالوا قبل ذلك كان ممتنع. فمتى ظهرت له الصفات؟ لما ظهرت الآثار لأن هم يرون المعتزلة والجهمية أصلًا أن

أسماء الله مخلوقة، وأن صفات الله مخلوقة، وعندهم معنى السميع والبصير هو الشيء المسموع، هو الشيء المبصر – لو أنتم متذكرين – فبالتالي هو عنده الصفات ليست لله عز وجل، ليس عنده صفة ملازمة لله يتصف بها، لا، هي الصفة أثرها في الموصوف، وهم يقولون بأن الله عز وجل ممتنع عنه الصفات وظهرت الصفات له لما ظهرت الآثار، أي متى كان خالقًا؟ لما خلق، صفة الخلق له، متى كان مثلًا برأ الشيء – البارئ – لما يبرأ الشيء نفسه، القدير لما ظهرت القدرة.

وطبعًا هذا كله كفر، هذا الكلام كفر لأن هم أولًا ينفون الصفات عن الله ويجعلون الله عز وجل كانت ممتنعًا عليه الصفات ثم أصبحت الصفات له، كما أن هذا يتماشى مع أصلهم كما قلت؛ لأن هم أصلًا يرون بأن الأسماء والصفات مخلوقة، وأن هي ليست لازمة لله عز وجل. المهم أن هذا معنى قولهم، أي لما ابتدأ الخلق أو ابتدأ الرزق أو ابتدأ الإنشاء صار خالقًا، صار بارئًا، صار رزاقًا، وطبعًا أنه كان في وقت ما ممتنع عليه الصفات ثم بعد ذلك أصبحت ممكنة عليه، ممتنعة عنه أي لا يقتطع، هذا قولهم الجهمية والمعتزلة. هو طبعًا هكذا (الكلام) لأنهم يرون بأن لم يكن متكلمًا ثم أصبح متكلمًا لما تكلم أصلًا، وكذلك الرحمة إلى غير ذلك، ضابطه أن الفعل كان ممتنعًا على الله – هذا الضابط – ثم انقلب من الامتناع الذات إلى الإمكان.

- **المذهب الثاني وهو مذهب الكلابية والأشاعرة والماتريدية:**

المذهب الثاني وهو مذهب الكلابية والأشاعرة والماتريدية وكثير من طوائف أهل الكلام يقولون أن الفعل كان ممتنعًا **من** الله، ليس عليه، ممتنعًا منه لا عليه، أي هم يقولون نعم نثبت القدرة ونثبت الرحمة ونثبت الخلق أصله، لكن لا يثبت له فعل القدرة إلا لما يُقدِّر، ولا يثبت له فعل الخلق إلا لما يخلق. فهم يريدوا أن يقولوا نحن لا نقول مثل الجهمية، هؤلاء كفار عندهم لأنه امتنع عن الله صفة عندهم، هم يقولون لا، الصفة ليست ممتنعة عليه لكن ممتنعة منه؛ أي هو متصف لكن لا نقول أنه خلق إلا بعد أن يخلق، لكن أصل الخلق عنده نعم، لكن أصل القدرة عنده نعم، لكن لا نقول أو لا نصف بأنه قدر إلا بعد أن يقدر، أي لم تظهر آثار الصفة إلا بعد أن

فعل، المهم أن هو هناك زمن، وهذا هو الإشكال عند الأشاعرة؛ هناك زمن ولم يكن متصفًا بالصفة.

هم فرقوا بين أصل الصفة، الآخرين قالوا ممتنعًا عنه أي هو لم يتصف بها، هم قالوا لا، هو ليس ممتنع عنه، هو ممتنع منه، هو الصفة عنده لكن هو ممتنعه منه لأنه لم يخلق، ففرق. ما الذي جعلهم يقولوا ذلك؟ أي قالوا هو ممتنع منه، لكن متى نقول خالق؟ عندما يخلق. لماذا وقعوا في هذا الكلام؟ هم يقولون لم تظهر الصفة إلا عند الأثر. لماذا قالوا ذلك؟ ما الذي جعلهم يقعوا في ذلك؟ أي هم أثبتوا جزء لكن قالوا ذلك. هو أولًا المشكلة هذه أن هناك زمان ،عندنا نحن نقول، أن على كلام الأشاعرة يوجد زمان طويل معطل عن الفعل، يوجد زمان طويل معطل عن الخلق، ويوجد زمان طويل معطل عن الرزق، وهذا نقص. لذلك نحن لا نقبل ذلك الكلام منهم، إشكاليتهم الأشاعرة أنهم ربطوا بين أسماء الله وصفاته في الزمان الذي نحن نعيش فيه، نظرتهم للزمان الذي نعيش فيه، قالوا زماننا خُلِق بعد أن لم يكن موجود، ربنا خلق سماوات وخلق أرض، فربطوا بين زماننا وبين أسماء الله وصفاته، فجعلوا ظهور الأسماء والصفات على ظهور الزمان الذي نحن فيه، وهذا خطأ. فهم الآن الإشكال عندهم أن الأسماء والصفات لله متعلقة بهذا العالم الذي عندنا المنظور، وهذا الخطأ الذي وقعوا فيه.

- **القول الثالث وهو قول أهل السنة والجماعة:**

نحن- أهل السنة والجماعة – نقول لا، أن الله عز وجل لم يزل متصفًا بصفات الكمال، لم يزل، لذلك هو قال هنا الشيخ: **لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ**، انتبهوا.. ((**قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ**))، ليست المسألة لها علاقة بخلق الأشياء في زماننا هنا، الله عز وجل متصفًا من قبل ذلك بهذه الصفات؛ صفات الذات، وصفات الفعل أيضًا، ما زال متصفًا بالخلق قبل خلقه أيضًا، وبخلقه ازداد كمالًا على كمالًا، لكن صفاته أبدية.

إذًا لا يجوز أن تعتقد بأن الله عز وجل لم يكن متصفًا بها، أو كان حتى متصفًا ولم يقم بها، فأنت ليس لك أنك تقول ذلك، لأن سيكون أيضًا هنا جزء أنت عطلت الصفة فيه. ولكن أهل السنة والجماعة يقولون أن كل هذا نقص في حق الله عز وجل، يقولون بأن الله عز وجل لم يزل متصف بصفات الكمال- الذات والفعل- قبل خلقه، وبخلقه وببرئه وبرزقه ازداد كمالًا على كمال. هذا ملخص الجزئية هذه فقط أنا بس تعرجت إليها وإلا طبعًا هي أصلها كما قلت هو قول ابن عباس لما روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سأله السائل عن قوله: { وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} ، {وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}، { وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} و(كان) هنا عندنا في الماضي، كأنه يقصد بها الماضي. فقال ابن عباس (سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك)، أي الله عز وجل سمى نفسه كان سميعا بصيرا ولم يزل. لذلك قال المؤلف هنا: **لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ** . فلا نقول بقول الجهمية، هذا كفر، ولا بقول الأشاعرة لأن قول الأشاعرة أخطأوا في أنهم ربطوا الصفات وأثرها في الزمان الذي نحن فيه، فهذا أيضًا لا يصح لأن الله عز وجل كان ولم يكن شيئًا هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فاسمائه وصفاته كانت ولم تزل.

نبدأ نقرأ

وَسَنَذْكُرُ مِنَ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَقَوْلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، زَادَهُ عِلْمًا وَفَهْمًا، وَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ فَالْبَلَاءُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ

155- حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ التَّمِيمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى مِنْبَرِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا عَطَفْتُمُوهُ عَلَى أَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُ النَّاسِ، فَدَخَلُوهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَقَدْ وُضِعَتْ لَكُمُ السُّنَنُ، وَلَمْ يُتْرَكْ لِأَحَدٍ مَقَالًا إِلَّا أَنْ يَكْفُرَ عَبْدٌ عَمْدًا عَيْنًا، فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ، اعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ

156 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ فَلَا تَصْرِفُوهُ عَلَى آرَائِكُمْ

هنا المصنف – رحمة الله عليه – أورد لنا قال: **وَسَنَذْكُرُ مِنَ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَقَوْلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ**، هذه جملة جميلة حقيقة تكررت من الإمام في هذا الكتاب، وقول: **لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ** أي كأنه تجد الذي يقول **لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ** فيه كأنه يفتقدهم، أي كلما يذكر العلماء لا يستطيع أنه يتكلم في المسائل إلا أن يذكر هؤلاء العلماء. وهذا طبعًا صلة رحم بين العلماء بعضهم وبعض، فكأنه فيها نوع من الحب والود بين العلماء على أنه لما يتكلم في المسألة لابد يرجع لهؤلاء العلماء ويذكرهم ويستأنس بأقوالهم. فهو قال ذلك وكررها في أكثر من مرة **مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، زَادَهُ عِلْمًا وَفَهْمًا**

ذكر هنا أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، والأثر عند بعض أهل العلم ضعيف، لذلك أنا راجعت عندي النسخة هو ذكر فيها أنه رجال ثقات عند ابن بطة، لكن بعض أهل العلم ضعفوا هذا الأثر عند بعض أهل العلم في المحققين، لكن عمومًا كأنه يستانس أيضًا بالذي يليه، لأن الذي يليه الرواية الأخرى عند الدارمي وهي أيضًا هذه حسنة – والله أعلم – إذًا إن شاء الله مجموع الروايات المعنى فيها صحيح. قال فيها عمر بن الخطاب: **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** ، وهذا إثبات طبعًا أن القرآن كلام الله عز وجل **فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا عَطَفْتُمُوهُ عَلَى أَهْوَائِكُمْ** عطفتموه هنا العطف بمعنى الصرف؛ لأنكم صرفتم القرآن على الهوى، كأنكم عطفتموه أي صرفتموه على أهوائكم، أي جعلتم القرآن؛ قولوا تأويل، قولوا صرف بأي نوع، لكنه على الهوى وليس على مراد الله عز وجل أو مراد النبي صلى الله عليه وسلم. قال: **فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُ النَّاسِ، فَدَخَلُوهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَقَدْ وُضِعَتْ لَكُمُ السُّنَنُ، وَلَمْ يُتْرَكْ لِأَحَدٍ مَقَالًا** أي وضعت لكم بالسنن أي الدين اكتمل، قال الله عز وجل:{ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ} [المائدة:3]، والنبي صلى الله عليه وسلم قام بحجة الوداع قال: اللهم بلغت اللهم فاشهد، والله عز وجل يقول:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة:67]. فالله عز وجل قد أتم البيان والبلاغ ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أدى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وقد شهد له الصحابة، وشهد الله عز وجل أيضًا له ذلك.

فنقول أن: **وُضِعَتْ لَكُمُ السُّنَنُ، وَلَمْ يُتْرَكْ لِأَحَدٍ مَقَالًا** أي لم يترك أحد أنه يقول على السنن شيء، ولكن طبعًا تُرِك باب الاجتهاد فقط لقول الله عز وجل:{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ} [النساء:83] فدل على أن هناك باب للاجتهاد، وهو المتشابه الذي قال فيه الله عز وجل في سورة آل عمران: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ

رَبِّنَآ ﴾ [آل عمران:7]، إذًا أيضًا هذا باب فُتِح، لكن الاجتهاد لابد مرجعه إلى الكتاب والسنة وليس إلى الهوى.

لذلك هو يقول: **وَلَمْ يُتْرَكْ لِأَحَدٍ مَقَالًا إِلَّا أَنْ يَكْفُرَ عَبْدٌ عَمْدًا عَيْنًا، فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا** . طبعًا هذه بيناها من قبل مسألة متابعة السنن ومتابعة قول النبي صلى الله عليه وسلم، والأصل فيه اتباع السنة وعدم الاتباع، تأصيل قد بيناه من قبل كل تأكيد من عمر بن الخطاب **فَقَدْ كُفِيتُمْ** أي قد نزل علينا الكتاب والسنة فلا نحتاج لشيء غيره، فلا نحتاج للأهواء ولا آراء الرجال إن خالفت طبعًا وإن صادمت وإن تعارضت مع الكتاب والسنة فقد كفينا ذلك والحمد لله معنا الكتاب والسنة.

قال **اعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ** وهذه واضحة، **وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ** وهذه سورة آل عمران كما قلنا بأن الله عز وجل أثنى إما على تفسير الآية على القولين إما أن هو الأصل أنك تعمل بالمحكم، والمتشابه الذي لا تعلمه ترد علمه إلى الله وتؤمن به، أو على قول بأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه فهنا هتقول أنك هتعمل به وتتبع فيه أهل الرسوخ في العلم.

وطبعًا الشاهد في الحديث (كلام الله) لأنه قال: **الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ** وهي صفة لله عز وجل، ثم أمر باتباع القرآن والسنة وعدم اتباع الأهواء والآراء وغير ذلك.

ثم الرواية الأخرى قال: **الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ فَلَا تَصْرِفُوهُ عَلَى آرَائِكُمْ** وفي بعض النسخ (تضربوه على آرائكم) لكن هي الحق أن الصحيح (تصرفوه على آرائكم) لأن هي جاءت بمعنى الرواية الأخرى (عطفتموه) **فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا عَطَفْتُمُوهُ عَلَى أَهْوَائِكُمْ** والعطف بمعنى الصرف، فهنا بينها تصريحًا **فَلَا تَصْرِفُوهُ عَلَى آرَائِكُمْ** أي لا تجعلوا القرآن على الهوى تأخذ الآية وتفسرها أنت بهواك أو تصرفها على حسب الهوى.

157- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ الْأَبَّارُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: أَخَذَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ بِيَدِي فَقَالَ: يَا هَنَاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ

خباب بن الأرت رضي الله عنه صحابي جليل أخذ بيد رجل معه فقال **يَا هَنَاهُ**، و"يا هناه" هذا اسلوب نداء فتأتي للذكر "يا هناه" وللمرأة "يا هنتاه"، فهنا كأنه ينادي، اسلوب نداء كأنه يلفت نظره أو يريد أن يجعله يلتفت إليه، فقال: **يَا هَنَاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ** . وهنا طبعًا الشاهد؛ أضاف الكلام إلى الله عز وجل، وكل هذا طبعًا يبين بأن الكلام صفة لله عز وجل، ولا يمكن أن تتقرب إلى الله بمخلوق، لو قلت أن القرآن مخلوق فأنت تتقرب إلى الله بالمخلوق! أو تتقرب إلى الله عز وجل باسمائه وبصفاته لأنها من صفاته سبحانه وتعالى.

158-حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ الْبَزُورِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: سُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْقُرْآنِ، أَخَالِقٌ أَوْ مَخْلُوقٌ؟ قال: «لَيْسَ خَالِقًا وَلَا مَخْلُوقًا، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى»

159-حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْبَدٌ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثِقَةٌ , عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنٍ عَنِ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ , وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ مَعْبَدُ بْنُ رَاشِدٍ كُوفِيٌّ رَوَى عَنْ مُوسَى بن دَاوُدَ وَرُوَيْمِ بْنِ يَزِيدَ

160 وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمُّوَيَهُ بْنُ يُونُسَ إِمَامُ مَسْجِدِ جَامِعِ قَزْوِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ الرَّأْسِيُّ، رَأْسُ الْعَيْنِ , قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، كَاتِبُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمر: ٢٨] قَالَ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَقَالَ حَمُّوَيَهِ بْنُ يُونُسَ: بَلَغَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ هَذَا الْحَدِيثُ، فَكَتَبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، يَكْتُبُ إِلَيْهِ بِإِجَازَتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِإِجَازَتِهِ فَسُرَّ أَحْمَدُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ كَيْفَ فَاتَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ هَذَا الْحَدِيثُ

الآثار السابقة تبين بأن لما سُئل القرآن خالق أم مخلوق؟ قال لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ , وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا يبين لك أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، لذلك القرآن لا يُدعى، فمن دعا القرآن فهذا شرك لأن القرآن ليس بخالق، وكذلك القرآن ليس بمخلوق وهذا كفر أيضًا، لكن القرآن كلام الله، وكلام الله صفة.

لذلك نحن نقول دائمًا أنك لا تدعو الصفة، لا تقل (يا رحمة الله ارحميني)، و (يا عزة الله عزيني)! لا، أنت تدعو الله عز وجل، وهذا فرقناه من قبل؛ أن الدعاء لله عز وجل ويتوسل نعم بصفاته، لكن لا تُدعى الصفة نفسها؛ لذلك هو لا خالق ولا مخلوق، فالقرآن من كلام الله، والكلام صفة لله عز وجل، وهذا قد بينها تصريحًا هنا.

ثم ذكر أيضًا ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير {قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ } [الزمر:28] قَالَ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ ، وهنا طبعًا معلوم عند السلف ابن عباس هذا القول يؤكد أن القرآن غير مخلوق، وأنه صفة من صفات الله عز وجل.

ثم ذكر هنا أن بَلَغَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ هَذَا الْحَدِيثُ، فَكَتَبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، يَكْتُبُ إِلَيْهِ بِإِجَازَتِهِ ، كأن أحمد لم يكن يعلم بالحديث، فلما علم بالحديث

سُر به جدًا، لذلك أراد أن يجاز فيه، فطلب الإجازة، وهذا فيه دلالة على أن أهل العلم كانوا يحرصون عندما يجدون أحاديث لم يكن على علم بها وفيها معاني وفيها إثبات لعقيدة أهل السنة والجماعة كانوا يفرحون بها كثيرًا، وكانوا يثبتونها ويطلبونها ويسعدون بها لأنها تثبت وتقوي العقيدة والحجة عندهم، لذلك لما علم بالحديث سُر به لأن فيه طبعًا إثبات، لأن طبعًا الإمام أحمد أكثر من عانى بفتنة خلق القرآن، وهذا حديث فيه إثبات لقول ابن مسعود في التفسير فيها، فلذلك سر بذلك واستعجب أنه قد فاته، ومع ذلك إمام جليل بهذا القدر ولم يدرك كل الأحاديث، وهذا لا عجب، فقلنا من قبل أن عمر بن الخطاب غاب عنه بعض الأحاديث بل أبو بكر غاب عنه حديث توريث النبي صلى الله عليه وسلم للجدة السدس إلى غير ذلك، وغاب عن عمر رضي الله عنه حديث الطاعون، وليس عمر فقط بل كثير من الصحابة إلى أن أخبره عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر أيضًا في حديث الجنازة قال قد فرطنا من قراريط، وأيضًا ابن عمر كان غاب عنه حديث نقل البضاعة والسلعة بعد الشراء لما ضرب على كتف زيد بن ثابت فقال له اشترى جزافًا من البالة من الملابس وأراد أن يبيعها قبل أن ينقلها، فبين له زيد وكان لا يعلم بذلك، فيغيب عن الصحابة الكثير.

161 - حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَخٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ يُوسُفَ الزِّمِّيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَالَ: مِنَ الْيَهُودِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مِنَ النَّصَارَى؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مِنَ الْمَجُوسِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، هَذَا زِنْدِيقٌ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَخْلُوقٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ١] فَالرَّحْمَنُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، وَالرَّحِيمُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، وَاللَّهُ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، فَهَذَا أَصْلُ الزَّنْدَقَةِ

هنا سُئل عن رجل يقول **الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَالَ: مِنَ الْيَهُودِ؟ قَالَ:** لَا، **قَالَ: مِنَ النَّصَارَى؟ قَالَ:** لَا، **قَالَ: مِنَ الْمَجُوسِ؟ قَالَ:** لَا، **قَالَ: فَمِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ**، وهذا تأصيل يبين لا يمكن أن يكون من أهل التوحيد ويقول بأن القرآن مخلوق! كيف يكون القرآن مخلوق ويكون من أهل التوحيد؟! هذه من أصول أهل السنة والجماعة، من أصول التوحيد. فكيف ذلك؟! أنكر. ثم بين الدليل، انظر.. جاء بـ {**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**} ماذا في بسم الله الرحمن الرحيم؟ فيها الله، وفيها الرحمن، وفيها الرحيم، فأنت لو قلت الآن بأن القرآن مخلوق إذًا الكلمات هذه مخلوقة، إذًا الله مخلوق– تعالى الله عن ذلك – والرحمن والرحيم، فهذا كفر لأنك جعلت الكلام مخلوق، هذه أسماء الله عز وجل، الله، والرحمن، والرحيم، فلذلك كيف يكون القرآن مخلوق، لذلك سمى ذلك زندقة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السادسة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام نستكمل الشرح والتعليق على كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وما زلنا في **بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ.**

وقفنا عند حديث رقم (162)

162 - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اخْتَلَفُوا عِنْدَنَا فِي الْقُرْآنِ، فَمَا تَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مَا نَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ: وَسَمِعْتُ هَارُونَ الْقَزْوِينِيَّ يَقُولُ: لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ، وَأَهْلِ السُّنَنِ، إِلَّا وَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَيُكَفِّرُونَهُ قَالَ هَارُونُ: وَأَنَا أَقُولُ بِهَذِهِ السُّنَّةِ وَقَالَ لَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ: وَأَنَا أَقُولُ بِمِثْلِ مَا قَالَ هَارُونُ قَالَ ابْنُ أَبِي عَوْفٍ، وَسَمِعْتُ هَارُونَ يَقُولُ: مَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ، وَلَمْ يَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ هُوَ مَخْلُوقٌ

163 - وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: ثنا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمْزَةُ بْنُ سَعِيدٍ الْمَرْوَزِيُّ وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، قَدْ بَلَغَكَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ابْنِ عُلَيَّةَ فِي الْقُرْآنِ، فَمَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَقَالَ اسْمَعْ إِلَيَّ وَيْلَكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ زِنْدِيقٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا تُجَالِسْهُ وَلَا تُكَلِّمْهُ

الإمام الآجري ينقل الآن الآثار عن السلف في مسألة أقوالهم في من قال بأن القرآن مخلوق، ويبين كفر ذلك عند هؤلاء، وقد بيّنا. لكن هنا في الرواية التي قرأناها في الأثر الأول زاد في مسألة ستأتي معنا الآن في من قال بأن القرآن كلام الله وسكت ولم يقل غير مخلوق، وهذه ستأتي معنا الآن في إنكار الإمام أحمد وسنبين اختلاف الطوائف، والذي ظهر من كلام الإمام أحمد في من قال القرآن كلام الله وسكت ولم يقل غير مخلوق، وهنا يبين قال: **وَلَمْ يَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ هُوَ مَخْلُوقٌ** .

والحق أن هناك تفصيل سيأتي معنا الآن إن شاء الله في الروايات التي تأتي، لأنه هو قال: **مَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ**، وإن كان بين هنا التفصيل - الحق أرجع-

لأن هو قال **مَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ.** هم سيأتي معنا ثلاثة أقسام الذين قالوا القرآن كلام الله وسكتوا:

1- من قال بالشك، هذا الذي يقصده، من وقف شكًا هذا الذي فيه الحكم عندهم بالزندقة وبالكفر؛

2- بخلاف من وقف - كما سيأتي معنا - ليس شكًا ولكنه تورعًا أن يقول شيء لم يقوله السلف أو الصحابة؛

3- أو من وقف جهلًا، وهذا سيأتي.

لكن هنا قال: **مَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ،** إذًا شك في ذلك، فهذا الذي كأنه قال مخلوق، وهذا الذي لا يقبل منه.

ثم ذكر الرواية التي بعدها عن ابن عُلية، وابن علية كان من المحدثين ولكنه قال بهذا القول، لذلك أنكر الإمام أحمد عليه وهجره وأشاعوا عليه ذلك، فهُجِر بعد ذلك على هذا القول، ويقال أنه رجع بعد ذلك، وأسأل الله أن يكون قد رجع.

164- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعِجْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

165 -أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي أُوَيْسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ , وَكَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ

هذا تأصيل **الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ , وَكَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ** أي صفة لله، **وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ،** (من الله) هنا يقصد:من صفات الله عز وجل أو من اسمائه سبحانه وتعالى

ليس هناك شيء مخلوقًا.

166 -حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَيَسْتَفْظِعُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ, قَالَ مَالِكٌ: يُوجَعُ ضَرْبًا، وَيُحْبَسُ حَتَّى يَمُوتَ

قَالَ مَالِكٌ: يُوجَعُ ضَرْبًا، وَيُحْبَسُ حَتَّى يَمُوتَ ، هل هنا معناه أن مالك لا يكفره؟ أنه قتله ردة، وممكن يكون قتله حدًا. هو يحتمل نقول بأنه رأى كفره ولكنه أراد أن يستتاب كالساحر وغيره، لأن هذا خلاف بين أهل العلم، وكتارك الصلاة وهو أيضًا يستتاب، ففي الساحر قالوا يستتاب أو المرتد، فالمرتد سيستتاب فإن رجع أصبح مسلم، وإن لم يرجع قُتل ردة. لكن على أنه قال يستتاب، يرى مالك كفره لكنه يستتاب أولًا عنده، فان رجع وإلا قُتل. إذًا لا يستدل على ذلك بأن مالك لا يرى الكفر لأنه قال: **يُوجَعُ ضَرْبًا، وَيُحْبَسُ حَتَّى يَمُوتَ**، ممكن يموت على سبيل الحد وليس على سبيل الكفر، وأنت هتقول لي كيف بيحبس حتى يموت؟ ممكن يحبس حتى يموت حدًا وليس كفرًا، حدًا أي مسلم ولكن مات لأنه لا يريد أن يرجع لكن مسلم، على الخلاف بين الساحر وغير ذلك.

فقلنا لا يستنبط من ذلك أن مالك لا يرى الكفر. وإن كان ممكن يظهر لماذا؟ لأنه ممكن يكون يرى كفره لكنه لا يرى قتله في الحال، يرى استتابته ويعزر حتى يعود، وإلا يُحبس حتى يموت هو. وإلا عندنا في تارك الصلاة قلنا الحنابلة عندهم كفر ويستتاب لكن يموت كافرًا، لكن الجمهور قالوا يستتاب ويصلي أو يُترَك، فان مات كأنه يموت حدًا لكن لا يكون كافرًا، هذا هو المقصود. فيُحتمل.

167- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ فَقُلْتُ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: لَوْ أَنِّي عَلَى سُلْطَانٍ لَقُمْتُ عَلَى الْجِسْرِ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي رَجُلٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ، فَإِذَا قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَأَلْقَيْتُهُ فِي الْمَاءِ

هذا من؟ عبد الرحمن بن مهدي.

168 -وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: لَوْ كَانَ لِيَ الْأَمْرُ لَقُمْتُ عَلَى الْجِسْرِ، فَلَا يَمُرُّ بِي أَحَدٌ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَأَلْقَيْتُهُ فِي الْمَاءِ

169- حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: وَذَكَرَ الْجَهْمِيَّةَ قَالَ: هُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ زَنَادِقَةٌ، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

هذا طبعًا دلالة على تكفيرهم عندهم.

170- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ عَمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [آل عمران: ٦١] أَفَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنُ؟ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ مَخْلُوقَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ لَا يُشَكُّ فِي ذَلِكَ، إِذَا أَعْتَقَدَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَأْيُهُ وَمَذْهَبُهُ وَكَانَ دِينًا يَتَدَيَّنُ بِهِ، كَانَ عِنْدَنَا كَافِرٌ

طبعًا هنا مسألة مهمة لابد تأخذوها في الأدلة.. انظروا لاستدلال الإمام أحمد؛ جعل القرآن من علم الله – أقول من علم الله – لأن العلم صفة لله، والقرآن كلام الله، والكلام صفة، قال تعالى:{ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ} [آل عمران:61]، والذي جاءه من العلم من؟ من القرآن، فالقرآن حكمة حكم العلم، لذلك هو بماذا استدل هنا؟ من قال بأن علم الله مخلوق يكون كافر، فلو قال علم الله المخلوق دلالة على أن الكلام هو علم لله عز وجل، هو يريد أن يستدلك بالمتفق عليه، فالمتفق عليه أنك لا تقول أن علم الله مخلوق، فمن قال بأن كلام الله مخلوق كأنه قال أن علم الله مخلوق، وكما أن هذا كافر فيكون هذا كافرًا. لذلك هو قال هنا: **مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ** مع أن الكلام في الكلام لكن لأن القرآن من العلم، فهو أراد أن يبين له الأعم في ذلك **فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ مَخْلُوقَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ** والقرآن من علم الله عز وجل، لأنه قال: **أَفَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنُ**؟ ما جاءك من العلم **أَفَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنُ**؟ **فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ مَخْلُوقَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ** لا يشك في ذلك. فهذه طريقة استدلال قوية من الإمام أحمد تضمن الأدلة على بطلان قول من قال بأن القرآن مخلوق.

171 أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ نُصَيْرٍ أَبُو عُثْمَانَ الْوَاسِطِيُّ فِي مَجْلِسِ خَلَفِ الْبَزَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: مَا يَقُولُ هَذِهِ الدُّوَيْبَةُ؟ يَعْنِي بِشْرًا الْمِرِّيسِيَّ قَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَالَ: كَذَبَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] فَالْخَلْقُ: خَلْقُ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ: الْقُرْآنُ

الدويبة تصغير الدابة؛ أي تحقير.

هذا طبعًا دليل آخر؛ التفرقة بين الخلق والقرآن. بمناسبة العلم؛ توجد آية أخرى تتذكروها تثبتون بها أن القرآن ليس مخلوقًا؟ فواتح سورة مشهورة جدًا، فواتح سورة الرحمن{ٱلرَّحْمَـٰنُ، عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ، خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ} [الرحمن:1-3]، مثل ما قال:{أَلَا لَهُ

ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:54]، هنا قال {عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ} ثم قال {خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ} فغاير بين الخلق وبين العلم، وهو هنا القرآن هو من علم الله عز وجل. فهذه أيضًا دلالة على المغايرة.

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ: أنا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ

173 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الْعَسْكَرِيُّ الْفَقِيهُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الطَّبَّاعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْهَاكَ عَنْ مُسْلِمٍ، وَتَسْأَلُنِي عَنْ كَافِرٍ؟

طبعًا هنا كأن يبين منهج الإمام أحمد وغيره على جواز الصلاة خلف الفاسق الذي يشرب الخمر. يُشكِل علينا - إن صح السند - فعل ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه لما صلى خلف إمام الكوفة وكان يشرب الخمر، فصلى يوم الفجر أربعة، فبعد أن سلم التفت إليهم فنظر إليهم قال أتريدون زيادة؟ فقال ابن مسعود نحن معك في زيادة. وهذا كان مذهب ابن مسعود[إنما جُعل الإمامُ ليؤتمَّ به] قول النبي صلى الله عليه وسلم. فكان ابن مسعود يتابع الإمام في كل شيء. قد يشكل ذلك ولكن المسألة ليست فقهية الآن، فنقول بأن الشاهد من كلام الإمام أحمد بأنه قال لا تصلي خلف الذي يشرب الخمر وهو مسلم لأنه يأتي بكبيرة، فيسأله عن الذي يقول بالقرآن مخلوق، فقال تَسْأَلُنِي عَنْ كَافِرٍ؟ وبينا مسألة الكفر الأسبوع الماضي تكلمنا فيها وقلنا الإمام أحمد يُحمَل قوله على مسألة الكفر النوع أم العين، حتى لا نعيد مرة أخرى نحن نقرأ الآثار فقط الآن.

174 أَخْبَرَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَذُكِرَ لَهُ رَجُلٌ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ وَالْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَالَ أَحْمَدُ: كُفْرٌ بَيِّنٌ،

قُلْتُ لِأَحْمَدَ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ؟ قَالَ: أَقُولُ: هُوَ كَافِرٌ

طبعًا هنا الكلام الأول لما قال كُفْرٌ بَيِّنٌ كأنه كفر نوع لأنه قال كُفْرٌ بَيِّنٌ يظهر ذلك، وقلنا هذا الكلام الذي نُقل عن الإمام أحمد أنه أحيانًا يُنقل عنه تعيين وأحيانًا ينقل عنه كأن المقصود النوع على أنه يحتاج بعد ذلك إلى إقامة حجة عليه مثلًا أو مناظرة فيه.

175- حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو طَالِبٍ قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ: يَا أَبَا طَالِبٍ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِمَّا أَدْخَلْتَ عَلَيَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، قُلْتُ: عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ؟ قَالُوا: لَا، قُلْتُ: فَإِنَّ عِلْمَ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥] وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [آل عمران: ٦١] هَذَا فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

176- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَصَّاصُ قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ وَذَكَرَ الْقُرْآنَ وَمَا يَقُولُ حَفْصٌ الْفَرْدُ،

الربيع هذا عندنا إثنين ربيع في المذهب، والربيع بن سليمان هو راوي كتب الشافعي، هذا أحد الإثنين الربيع؛ فهذا الذي روى كتب الشافعي، وحفص الفرد هذا اسمه واحد كان من المبتدعة.

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ: حَفْصٌ الْمُنْفَرِدُ، وَنَاظَرَهُ بِحَضْرَةِ وَالٍ كَانَ بِمِصْرَ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمُنَاظَرَةِ: كَفَرْتَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ قَامُوا، فَانْصَرَفُوا، فَسَمِعْتُ حَفْصًا يَقُولُ: أَشَاطَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الشَّافِعِيُّ بِدَمِي

طبعًا الشافعي كفَّره في المجلس وكان يقول أصلًا بخلق القرآن وغير ذلك.

قَالَ الرَّبِيعُ: وَسَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ

حتى قيل أن حفص هذا لما مرض الشافعي مرض الموت تقريبًا فكان يدخلون عليه يواسونه فدخل عليه حفص أشاح الشافعي بوجهه وذمه وقال فيما معناه أنه ما قبل منه قولًا، قال ما مازلت على ضلالتك؟ – أو في معنى الكلام ما أذكر اللفظ– ولم يقبل منه حتى الزيارة لأنه كان يقول بهذا، وكفَّره أصلًا.

177 حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَسْنَوَيْهِ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ يَقُولُ: "مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَدِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ، وَقَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى

أي الذين يقولون ذلك قالوا أكثر مما قاله اليهود والنصارى، فاليهود والنصارى قالوا أن الإنجيل والتوراة نزل من عند الله عز وجل، فهم افتروا أكثر.

وانظروا ستأتي **مسألة جديدة معنا الآن في مسألة أول شيء خلقه الله عز وجل** والخلاف بين أهل العلم وهنا احتجاج جديد هو سيحتج لنا الآن بأن القرآن كلام الله غير مخلوق من دليل جديد، الدليل الجديد أنه سيثبت بأن أول شيء خُلق هو القلم على الخلاف – سيأتي الخلاف أبينه – والكلام بالاتفاق قبل الخلق، فإذا كان الكلام قبل الخلق إجماعًا، حتى المختلف معك يثبت بأن الكلام كان قبل الخلق، فلو كان أول ما خلق القلم إذًا الكلام كان قبل الخلق، لأن قال: (قال اكتب)، إذًا أول شيء القلمثم قال له اكتب، إذًا هنا لابد أن يكون الكلام هو قبل الخلق، إذًا كلام الله عز وجل لا يمكن أن يكون مخلوقًا لأن أول خلق هو القلم. هو يستدل بهذا لأنه يثبت أن أول خلق القلم، وأن الكلام سابق للخلق، إذًا لابد أن يكون الكلام غير مخلوق.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدِ احْتَجَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمَ وَذَكَرَ أَنَّهُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ كَانَ الْكَلَامُ قَبْلَ خَلْقِ الْقَلَمِ، وَإِذَا كَانَ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمَ دَلَّ عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ وَلِأَنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ

هو يثبت أولًا أن الكلام كان قبل خلق الأشياء، فإذا كان أول شيء خلقه القلم إذًا هنا لا يمكن أن يكون القرآن مخلوق، فالقرآن كلام الله والكلام قبل خلق الله عز وجل الأشياء، إذًا القرآن هو من كلام الله، فلا يمكن أن يكون القرآن مخلوق. فهذا اتفاقًا، الكلام قبل الخلق، هذا استدلال الإمام أحمد أن الكلام قبل الخلق، والقرآن من كلام الله، وأول ما خلق خلق القلم، فلو كان الكلام مخلوق إذًا أول شيء خلقه الكلام وليس القلم، لكن لما قال أن أول شيء خلقه القلم إذًا الكلام غير مخلوق،صفة لله عز وجل.

ندخل في خلاف عند أهل السنة- الأصل هذا متفق عليه، أهل السنة أصالة يرون بأن الكلام صفة- لكن **الخلاف بين أهل السنة على أول شيء خلقه الله عز وجل، أربع أقوال: القلم، أم العرش، أم الماء، أم النور؟**

اضبطوا هذه الأربع أقوال، سنقرأ هنا الأول الآثار على أول شيء خلقه؛ القلم، وهو القول الأول وهو قول الجمهور، نأخذ بالترتيب الأفضل. العرش القول الثاني وهذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وبعض أهل العلم. القول الثالث الماء وذكره ابن كثير وابن حجر في بعض الكتب. والقول الرابع النور أول ما خلق.

178 - حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبَّاسٍ النَّرْسِيِّ، فَقُلْتُ: كَانَ صَاحِبُ سُنَّةٍ؟ فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ قُلْتُ: بَلَغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا قُولِي: الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِلَّا كَقَوْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَسُرَّ بِذَلِكَ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَلَيْسَ هُوَ كَمَا قَالَ؟

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ هَذَا الشَّيْخُ دَلَّنَا عَلَيْهِ لُؤَيْنٌ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَفْطِنْ لَهُ , قَوْلُهُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ الْقَلَمَ، وَالْكَلَامُ قَبْلَ الْقَلَمِ , قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ كَأَنَّهُ كَشَفَ عَنْ وَجْهِي الْغِطَاءَ، وَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى وَجْهِهِ، قُلْتُ: إِنَّهُ شَيْخٌ قَدْ نَشَأَ بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ وَاحِدَ الْكُوفَةِ وَاحِدٌ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءِ الْقَلَمُ فَقَالَ: كَمْ تَرَى، قَدْ كَتَبْنَاهُ؟ ثُمَّ قَالَ: نَظَرْتُ فِيهِ، فَإِذَا قَدْ رَوَاهُ خَمْسَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَدْ خَرَّجْتُ هَذَا الْبَابَ فِي كِتَابِ الْقَدَرِ، وَأَنَا أَذْكُرُهُ هَهُنَا لِتَقْوَى بِهِ حُجَّةُ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الزَّيْغِ

179- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ يَعْنِي الْأَزْرَقَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْخُشَنِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

وانتبهوا هنا لأنه توجد روايات، أنا أريد الفتح والضم لأن لها معنى.

أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ

هنا فيها قراءة بـ (القلمَ) و(القلمُ)، كأنه القلم بدل عن الأولية، القلمُ أول شيء خلق الله، أو خلق الله القلمَ تقول هنا المفعولية.

ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَهُ النُّونَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ عَمَلٍ، أَوْ أَثَرٍ، أَوْ رِزْقٍ، فَكَتَبَ مَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: ١] ثُمَّ خَتَمَ عَلَى الْقَلَمِ، فَلَمْ يَنْطِقْ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"

180 وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ زِيَادٍ الْحِمْصِيُّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَرَى فِيهِ الْمَوْتَ فَقَالَ: يَا أَبَتِ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ قَالَ: اجْلِسْ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قُلْتُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اجْرِ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، دَخَلْتَ النَّارَ"

181- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْكُوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَقَالَ: إِلَيَّ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ جَمَاعَةٍ

182 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفُضَيْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى: الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ فَكَبَسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: ١]"

183 وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

184 وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِصْمَةُ أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمُ...» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا طُرُقُ جَمَاعَةٍ

كل هذه الروايات مسألة الخلق قبل ندخل في استدال آخر حديث موسى مع آدم عليهما السلام، وهذا دليل آخر إن شاء الله سيكون ختام للباب هذا.

لكن نقول لو أردتم بالتفصيل في مسألة القلم أولًا بين الدليل أولًا من المؤلف على كيفية استدلاله بأن أول شيء خلقه الله عز وجل القلم، وكما سنبين سواء القلم، العرش، النور، والماء، كل هذا، المهم أن هذا كله أول شيء خلقه وأن الكلام سابق للخلق، فلو كان القرآن مخلوقًا لما كان يقول الله عز وجل أول شئ خلقه القلم، بل كان يقول أن القرآن أول شيء خلقه. إذًا دل ذلك على أن القرآن ليس مخلوق. هذا وجه الاستدلال. لكن نقول بأن العلماء اختلفوا عندنا في مسألة أول المخلوقات، الخلاف كله في أول المخلوقات.

ما هي أول المخلوقات التي خلقها الله عز وجل؟

القول الأول: القلم:

طبعًا يظهر لكم من الأحاديث التي انتصر لها المؤلف، لأن هذا واضح من قول الإمام الآجري، على أنه يرى بأن أول ما خلق الله عز وجل هو القلم، وطبعًا لن نعيد

كل هذه الروايات التي ذكرها الإمام الآجري وغيره من أهل العلم، قال أنه القلم. لكن نحن سنستدل أهمها بحديث عبادة بن الصامت، فحديث عبادة بن الصامت هو الذي فيه مسألة يُرَد فيها على أصحاب القول الثاني وقول شيخ الإسلام بن تيمية؛ على أن ليس أول شيء خلق هو القلم، بل العرش. لأن حديث عبادة بن الصامت يقول: **[سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ]** ومن قال بهذا القول أيضًا ابن جرير الطبري، أيضًا انتصر لهذا القول على أن أول شيء خلقه الله القلم. وطبعًا من المعاصرين الذين انتصروا لهذا القول ودافعوا بشدة الشيخ الألباني- رحمة الله عليه – قال أيضًا بهذا القول، وطبعًا بيَّن بأن الحديث يرى بأنه نصًا في النزاع، وهو طبعًا يرد على شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة العرش – كما سنبين – فقال بأن الحديث نص؛ أن أول شيء خلقه الله القلم قال اكتب. فقال أن هذه المسألة فيها نص فلا يحتاج أننا نذهب إلى غير ذلك لأن باقي الأدلة تحتمل، وهذا الدليل ليس فيه احتمال بل هو نص في النزاع على أن أول شيء خلقه الله عز وجل القلم ثم في الحديث أمره أن يكتب كل شيء. **وانتبهوا** هنا لهذه المسألة؛ لأن هنا الخلق عند هؤلاء القوم خلق الله عز وجل القلم، ولما خلق القلم أمره بالكتابة، إذًا خلق القلم والأمر بالكتابة؛ كتابة المقادير، هذه متلازمة في الحديث. وهذا القول الأول أنه خلق القلم وأمره أن يكتب كل شيء.

القول الثاني: الماء:

القول الثاني الماء – لو نأخذ بالأضعف ونترك العرش في الآخر لأن هو الأقوى في المسألة – . الذين قالوا بأن الماء هو أول المخلوقات، وهذا ذكره ابن جرير الطبري في التفاسير، وذكره ابن كثير أيضًا، وذكره تقريبًا ابن حجر – والله أعلم – في فتح الباري. وهذا كله يرجع إلى حديث أبي رزين العقيلي مرفوعًا، وطبعًا قالوا مرفوعًا لأن هذا لا يكون إلا من باب الرفع **[أن الماء خلق قبل العرش]**. وابن حجر والسدي رووا

أيضًا في أسانيد أخرى قالوا: [أن الله لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء]. وهذا القول الثاني وهو الماء.

القول الثالث: النور والظلمة:

القول الثالث أن أول شيء خلقه الله عز وجل خلق النور والظمة، وهذا القول أيضًا ذكره ابن جرير الطبري ونسبه إلى ابن اسحاق، حقيقة ما أذكر له دليلًا، لكن هو مذكور، لكن هذا القول هو أضعف الأقوال لكنه قول ابن أبي اسحاق وذكره بن جرير الطبري

القول الرابع: العرش:

القول الرابع الذي معنا الآن وهو قول شيخ الإسلام بن تيمية بأن أول شيء من هذه المخلوقات خلقها الله عز وجل هو العرش، وبعض أهل العلم أيضًا، استدلوا بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ] إذًا هنا العرش كان موجود قبل الكتابة، والكتابة مع من؟ مع القلم، تذكروا حديث القلم؛ قال: [أولُ ما خلق اللهُ القلَمَ فقال اكتُبْ].فالقول الأول يستدلون بأن خلق القلم ومعه أمر الله عز وجل للقلم: (اكتب) فكانت الكتابة مع خلق القلم، إذًا لو كانت كتابة المقادير قبل خلق الله السماوات والأرض هذه لا إشكال فيها – السماوات والأرض– لكن (وعرشه على الماء) إذًا العرش كان قبل القلم. من أين فهمتم؟ لأن عرشه قبل الكتابة، كان موجودًا، والكتابة مع القلم لما خلق القلم قال له اكتب. قالوا إذًا هنا أن العرش هو قبل ذلك. إذًا الحديث فيه أن التقدير خلق كتابة كان بعد العرش، لأن العرش كان موجود. صحيح أم لا؟ هذا هو الذي نقصده الآن.

إذًا العرش سابق على القلم، وقلت أن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية. يؤيده حديث آخر لعمران بن الحصين رضي الله عنه قال: [كان اللهُ ولم يكنْ شيءٌ غيرُه وكان عرشُه على الماءِ ثم كتب في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ ثم خلق السماواتِ والأرضَ] أقول يؤيده. فيدل على

أن العرش كان موجود قبل كتابة المقادير، والكتابة ملزمه بماذا؟ بالقلم. فدل ذلك على أن العرش أقوى.

سنحتاج أن نرد. شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحاب هذا القول أرادوا أن يردوا على الحديث الأول الذي قاله بعضهم أنه نص [أَولُ ما خلق اللهُ القلَمَ فقال اكتُبْ] أليس هذا نص؟ ألسنا نحتاج نرد على المخالف أو نأول الحديث؟ هذه لها تاويلأن، نقول بعضهم قال أن أول ما خلق الله عز وجل يقصد به هنا (القلم) أي أول خلق العالم كان القلم. وهذا توجيه ليس دليل، أنت بتوجه الآن لأنك أنت أثبتت أولًا أن العرش قبل الكتابة، والكتابة مربوطة بالقلم، فتحتاج أن توجه؛ تقول أن أولية الخلق هنا لأي شيء؟ قالوا أولية خلق القلم أول شيء خُلق في هذا العالم، فجعلوا الأولية هنا حتى تحمل الحديث إلى معنى مقبولًا، لأنه عنده حديث ثاني بيقول أن العرش موجود قبل الكتابة، إذًا العرش قبل القلم، إذًا الأولية هنا يقصد بها بعضهم قال على أن الأولية أولية خلق العالم هو القلم. لكن لو نظرنا للأسبقية فالعرش أسبق.

واترك (الماء) الآن لأن الحديث الذي جاء في الماء سنين أنه ضعيف. فالقول الثاني والثالث ضعيف الذي هو (النور والظلمة) هذه غالبًا من الإسرائيليات نقلها ابن ابي اسحاق، فلا يعد به. أما حديث أبو رزين ففيه ضعف الذين قالوا بـ (الماء) فيه ضعف لذلك هو أضعف الأقوال. فأصبح النزاع القوي فقط هو بين القلم والعرش لأن الأحاديث صحيحة في الإثنين.

فأصحاب الذين قالوا بالعرش وجهوا أن أول خلق العالم هو القلم. وهناك توجيه آخر وهذه تحتاج أنك تقرأ سياق الأحاديث لما قال النبي صلى الله عليه وسلم:[أَولُ ما خلق اللهُ القلَمَ فقال اكتُبْ]. بعضهم قالوا المقصود أن الأولية في الأولى، لأن الأولية (أولَ) أو (أولُ) بعضهم جعلوها على الفتح أو الضم، قالوا لو كانت على الفتح فالمقصود بالأولية ليست أولية الخلق كأنك تقول لما خلق الله القلم أول شيء قال له اكتب، إذًا سيحملون الحديث على ليس أول شيء خلق الله القلم فيكون القلم أول المخلوقات، لا، هنا أول على النص، على أن أولَ ما خلق الله القلم قال اكتب، أي

أول عمل قام به القلم بعد خلقه الله قال له اكتب، إذًا الأولية هنا للكتابة وليست الأولية للخلق، هذا قول الذين قالوا بالعرش.

والذين قالوا بالقلم وجهوا حديث [كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ] ماذا قالوا هنا؟ قالوا هذا الحديث لم يتعرض لخلق القلم لكن تعرض للكتابة، فيقولوا ممكن نجمع نحن أيضًا فنقول أن الله عز وجل خلق القلم أولًا ثم خلق العرش ثم قال للقلم اكتب، فالأسبقية في الحديث الذي معكم للكتابة – هم يقولون ذلك – ولا يمنع أن يكون خلق القلم ثم خلق العرش ثم كتب، لأن الأسبقية في الحديث الذي معكم في أن العرش سابق على الكتابة. الإشكال هو نص الحديث الذي عندهم؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أول ما خلق اللهُ القلَمَ فقال اكتُبْ]، فهنا بين أن أول ما خلق القلم قال اكتب، فهنا دلالة على التلازم؛ أي حين خلق القلم قال اكتب. عمومًا الجمع للإثنين حسن، والمسألة ليست فيها نزاع بين أهل السنة والجماعة، وكل واحد حاول أن يجمع، هذا قول وهذا قول، ولا يفسد لنا في الود قضية – كما يقال – ومن أراد أن يأخذ بهذا القول يأخذ، لكن يعلم الخلاف من أين، والخلاف ليس بشيء كما قلت.

وقول (الماء) قلت أن حديث أبو رزين [أن الماء خلق قبل العرش] الحديث غير صحيح.

وأقوى في المسألة الذين أخذوا حديث عبادة بن الصامت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: [أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ] قالوا لو جعلناها جملة واحدة أو جملتين، إن كانت جملة واحدة أي أول ما خلق الله القلم قال اكتب لو اعتبرتها جمله واحدة إذًا فحقًا عند أول الخلق أمره بالكتابة، وهذا ظن الإشكال، لو جعلتها جمله واحدة أي مع أول خلقه قال له اكتب. وهنا سيكون أول ما خلق الله القلم قال له اكتب بنصب (أولَ) وتنصب (القلمَ): (أولَ ما خلق الله القلمَ قال له اكتب) إذًا هنا الأولية للقلم. لكن لو جعلتها جملتين فهنا ستكون الأولية راجعة للكتابة وليست للخلق وستكون مضمومة (أولُ ما خلق الله القلم قال له اكتب). لو جعلتها جملتين أول ما

خلق الله القلم أي خلق الله القلم لكن (أولُ) قال له اكتب إذًا الأولية للكتابة وليست للخلق. لو جعلتها جملتين – وهذا ختامًا للمسألة حتى لا نطيل أكثر من ذلك.

ثم سيختم الباب بدليل آخر على مسألة أن القرآن كلام الله عز وجل وهو حديث احتجاج ادم وموسى. انظر الحديث هذا.. كم من مرة نأتي به في العقيدة وكل مرة له شواهد وله فوائد مستنبطة. هنا أتى بهذا الحديث واستنباط حقيقة قوي من الشيخ – رحمة الله عليه – أنه يستنبط من حديث حاج آدم وموسى أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، نقرأه:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَفِي حَدِيثِ آدَمَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَسَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

185- حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّقْرِ السُّكَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ، وَأَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ قَالَ: أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ

ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيْنَ مَوْضِعُ الْحُجَّةِ فِيمَا قُلْتَ؟ قِيلَ لَهُ: قَوْلُ آدَمَ لِمُوسَى: أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ وَإِنَّمَا كَانَ بَيْنَهُمَا الْكَلَامُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، إِذْ قَالَ: «لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا، مِنْ خَلْقِهِ»

فَتَفَقَّهُوا هَذَا تَفْقَهُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ

المسألة أن آدم قال لموسى عليه السلام أن الله كلم موسى ليس بينه وبينه رسول، رَسُولًا، مِنْ خَلْقِهِ فهو الرسول لابد يكون من خلقه، والذي كان بين الله وموسى كلام، ليس أحد بينهم؛ لا ملك ولا رسول آدمي ولا أي شيء، فلو كان الكلام مخلوقًا لم يقل آدم لموسى عليه السلام رسولًا من خلقه، "كلمك ليس بينك وبينه رسولًا من خلقه"، والذي بينهما كان الكلام، الكلام فدل ذلك على أن الكلام غير مخلوق.

استنباط دقيق، لكن ممكن يشكل عليه أم لا؟ ما هو الإشكال؟ سنقرأ المتبقي

186 - حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ، وَهَنَّادَ بْنَ السَّرِيِّ، وَعَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ حَمَّادٍ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، وَحَكِيمَ بْنَ سَيْفٍ الرَّقِّيَّ، وَأَيُّوبَ بْنَ مُحَمَّدٍ، وَسَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ، صَاحِبَ الشَّافِعِيِّ وَعَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الصَّبَّاحِ وَعُثْمَانَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ بَكَّارِ بْنِ الرَّيَّانِ، وَأَحْمَدَ بْنَ جَوَّاسٍ الْحَنَفِيَّ، وَوَهْبَ بْنَ بَقِيَّةَ، وَمَنْ لَا أُحْصِيهِمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلُّ هَؤُلَاءِ سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فِيمَا ذَكَرْتُ مِنْ هَذَا الْبَابِ بَلَاغٌ لِمَنْ عَقَلَ وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ

هو بيقول: **أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟** هو نفى أن يكون في شيء بينه وبين الله عز وجل من خلقه، ليس بينه وبين الله عز وجل غير الكلام فقط الذي كان موجود وقتها، وهو قال "ليس بينك وبينه رسول" والكلام هو الذي بينهما. والرسول ليس بالضروري أن يكون آدمي؛ فالرسول ممكن يكون آدمي أو يكون ملك، يكون إلهام، وحي، يكون ينزله مثلًا. وهنا قال **مِنْ خَلْقِهِ** فالكلام كله أنه لم يجعل بينه وبينه شيء من خلقه. فالذي كان بينه وبين موسى عليه السلام هو الكلام، فلو كان هناك شيء من خلقه ما نفى، إذًا الكلام ليس من خلقه.

هو إشكال بعيد عنكم قد يشكل، تقول أن هذا في كلام الله، أليس موسى كان يتكلم عليه السلام، وكلام موسى مخلوق؟ فهل ممكن تشكل بذلك؟ فالإشكال كان ممكن يأتي من أين؟ هو قال (ليس بينك وبينه رسول من خلقه) لكن الذي بينه وبين الله عز وجل كلام من الله، وكلام من موسى، وكلام موسى مخلوق، وكلام الله ليس بمخلوق. فالمقصود من كلام آدم هو **الَّذِي كَلَّمَكَ** مقصود منه كلام الله، فأنت ستحمل كلام آدم عليه السلام على أنه كلام الله الذي بينه وبين الرسول، فقط.

نقف عند **بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ مَذَاهِبِ الْوَاقِفَةِ**

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السابعة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم إن شاء الله عز وجل نختم الأبواب المتبقية في مباحث القرآن وما جاء في عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن. كنا قد تكلمنا في الباب السادس عشر عن أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، وبينا المسائل التي فيه

تبويب المؤلف، وعقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة أن الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ جَلَّ وَعَلا لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ.

انتهينا بفضل الله، تبقى معنا مسألة الواقفة ومسألة اللفظية، وهذه تتمة إن شاء الله الكلام عن القرآن، وإن شاء الله نحاول أن ننتهي منها فيكون قد انتهينا من أبواب القرآن وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه، وبعد ذلك يبدأ المؤلف في الكلام عن الإيمان والإسلام وشرائع الدين وأبواب أخرى عظيمة جدًا، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا الاستفادة منها.

فبوَّب الإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – قال: بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ مَذَاهِبِ الْوَاقِفَةِ

17 – بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ مَذَاهِبِ الْوَاقِفَةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَقَفُوا فِيهِ وَقَالُوا: لَا نَقُولُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهَؤُلَاءِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِمَّنْ رَدَّ عَلَى مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، قَالُوا: هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ: مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ وَأَشَرُّ؛ لِأَنَّهُمْ شَكُّوا فِي دِينِهِمْ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَشُكُّ فِي كَلَامِ الرَّبِّ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَأَنَا أَذْكُرُ مَا تَأَدَّى إِلَيْنَا مِنْهُ مِمَّنْ أَنْكَرَ عَلَى الْوَاقِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ

قبل أن ندخل في القراءة نبين مسألة الواقفة، وما سار إليه العلماء. وطبعًا تكلمنا على أن هناك من قال بأن القرآن مخلوق، وبينا هذه المسألة. ظهر بعد ذلك نبتة أو مجموعة كانوا يقولون عندما يسئلون القرآن يقولون القرآن كلام الله، ولا يقولون غير مخلوق؛ يقفوا. فهذه المجموعة أو هذه النبتة التي ظهرت الحق أن غالب العلماء والذي مال إليه الإمام الآجري نقلًا طبعًا عن الإمام أحمد مع أن الإمام أحمد قد فصل تفصيل – سنبينه – على أن من وقف في هذه المسألة وكان وقفه على سبيل

الشك – **هذا التقييد مهم** – كما قال هنا الإمام الآجري، لأنه قال: **وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَشُكُّ فِي كَلَامِ الرَّبِّ** . إذًا هنا مقصد الإمام أن من وقف شاكًا في ذلك فهذا الذي ينطبق عليه الكلام الذي نقله الإمام الآجري، والكلام الذي قاله فيهم الإمام أحمد. لماذا؟ قالوا لأن هناك من وقف ليس شاكًا، لكنه قال: قلت القرآن كلام الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر وقال عمر وقال عثمان وقال علي وقال الصحابة، فأنا قلت كما قال الصحابة ووقفت كما وقف الصحابة، وأراد أن يتورع على أن يقول كلامًا لم يقوله النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة، فوقف عند القرآن كلام الله.

هؤلاء أيضًا سُئل عنهم الإمام أحمد، قال: كان هذا يُقبل منهم قبل ظهور الفتنة، أو لما ظهرت فتنة خلق القرآن وأصبح هناك طائفة مبتدعة ظهرت في هذا الكلام، فكان قبل ذلك ممكن يُقبل أن نقول أقول مثلما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الصحابة ووقف، لكن بعد أن ظهرت هذه الفتنة وظهرت الفرق التي قالت بأن القرآن مخلوق، فقال هنا لا يصح وقوفهم في هذا. وهذا كلام الإمام أحمد، لذلك هو قال فيهم هؤلاء يُجانبوا، يُهاجروا، يُتركوا حتى يعودوا؛ أي من باب التعزير لهم.

وليس هؤلاء كالشكاكة الذين كأنهم قالوا بأن القرآن مخلوق؛ لأن شكهم هذا لا يُقبَل، بل هذا كفر عنده، لأن هذا شك في الإيمان. لكن لو قال: قلت القرآن كلام الله وأقف وما أقول غير مخلوق على ما أنا قلت إليه، قال فيهم الإمام أحمد كان هذا يُقبَل منهم قبل الفتنة، لكن بعد الفتنة فلا يقبل لأن هذا فيه نوع من التضليل أصالة أيضًا فلابد هؤلاء أن يجانبوا ويتركوا حتى يعودوا.

وأما من قال لا أعلم؛ وهذه الطائفة الثالثة التي قالت لا أعلم قال: هؤلاء جهال يُعلَّموا.

إذًا أصبح عندنا ثلاثة طوائف في هذه المسألة؛ الذين قالوا شكًا فهذا المقصود في الباب، وهؤلاء خبثاء يدخلون كما قال الذي قال أن القرآن مخلوق، وأما من قالوا ظنًا

منهم توقفًا كما وقف الصحابة أو لم يقولوا وليس شكًا قال هؤلاء لا يُقبَل منهم بعد ظهور الفتنة ولا بد أن يرجعوا عن ذلك لكنه قال فيهم الإمام أحمد أنهم يُجانبوا ويُهاجروا حتى يرجعوا؛ أي يُخاصموا. والثالث الذي قال لا أعلم قالوا هؤلاء جهال يُعلَّموا. وهذا كله نقله ابن الإمام أحمد؛ عبد الله، عن الإمام أحمد الذي هو الصنف الجاهل، لأنه رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة قال: (سمعت أبي سُئل عن الواقفة، فقال أبي من كان منهم يخاصم ويُعرَف بالكلام فهو جهمي) أي يُعرف بأهل الكلام، و"يُخاصَم" أي يُجادَل فهذا جهمي؛ إذًا مثل الذي قال بأن القرآن مخلوق. قال: (ومن لم يكن يُعرَف بالكلام هذا يُجانَب حتى يرجع) أي ليس هو من أهل الكلام، وهذا الصنف الثاني الذي قلت أن بعضهم قال لن نقوله لأن لم يقوله أحد من الصحابة ولم يكن من أهل الكلام قال هذا يُتجَنب حتى يُراجَع. ومن كان جاهلًا أو يسأل فهذا يُعلَّم. إذًا أصبح عندنا الثلاثة الذين قالوا بذلك.

لكن الحق نقول بأن هؤلاء الذين ظهروا وشككوا؛ الذين قالوا نقف شكًا، هؤلاء أخطأوا بل نقول بأن هؤلاء إن كانوا من أهل الكلام فهؤلاء يخاصمون ويطبق عليهم أحكام الجهمية، لأنهم إن كانوا يجهلون ولا يعلمون حقًا؛ لو كانوا هؤلاء الذين توقفوا، لردوا ذلك إلى أهل العلم. أنت لو جهلت شيئًا رده إلى أهل العلم، قال الله عز وجل:{ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ } [النساء:83]، إذًا لما كان وجب عليهم لما وقفوا في شيء لا يعلمونه أن يردونه إلى أهل العلم ليبينوا لهم الحق من الباطل، لكن لأنهم لما لم يفعلوا ذلك فهؤلاء الذين سُموا بالواقفة؛ الذين قالوا لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، فقلنا فيهم ما قلنا من التقسيم.

لكن حقًا أين الإشكال في وقفهم؟ أن هذه صفات من؟ الذين قالوا لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، هذا التذبذب صفات المنافقين، قال الله عز وجل عنهم:{ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ } [النساء:143]. فالذين قالوا بالوقف، الواقفة هؤلاء، في تذبذب، من صفات المنافقين. فلذلك لا يُقبل منهم ذلك، وهذا الأمر أمر

في العقيدة ليس فيه التذبذب، وهذا من فعل أهل النفاق. فكذلك أهل الواقفة لا هم إلى أهل السنة مالوا، ولا هم لأهل البدعة تصريحًا والضلالة مالوا، فلذلك حتى الذين أرادوا أن يفعلونه تورعًا أو يقولون لا نقل به لم يقل به أحد من السلف قال الإمام أحمد: (كان هذا يُقبَل منهم قبل الفتنة) أما بعد الفتنة وظهر الأمر لابد أن يكون موقف صريح في مسألة خلق القرآن، وأن يصرحوا بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق.

187- حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَسْأَلُ: هَلْ لَهُمْ رُخْصَةٌ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، ثُمَّ يَسْكُتُ؟ فَقَالَ: وَلَمْ يَسْكُتْ؟ لَوْلَا مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ كَانَ يَسَعُهُ السُّكُوتُ، وَلَكِنْ حَيْثُ تَكَلَّمُوا فِيمَا تَكَلَّمُوا، لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتَكَلَّمُونَ؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَعْنَى قَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ: لَمْ يَخْتَلِفْ أَهْلُ الْإِيمَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَلَمَّا جَاءَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ فَأَحْدَثَ الْكُفْرَ بِقَوْلِهِ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ لَمْ يَسَعِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا الرَّدُّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ بِلَا شَكٍّ، وَلَا تَوَقُّفٍ فِيهِ، فَمَنْ لَمْ يَقُلْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ سُمِّيَ وَاقِفِيًّا، شَاكًّا فِي دِينِهِ

الوقيفة هؤلاء قالوا لا نقول غير مخلوق قالوا كلام الله فقط. فالجهمية يقولون القرآن كلام الله لكن يقولون مخلوق، خلقه الله عز وجل. فهم يقولون القرآن كلام الله ولم يصارحوا بأنه غير مخلوق، سُئلوا قالوا قالوا نقف، لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، لماذا؟ على أنواع؛

قلنا القول الأول شكوا فالشك هنا لا يُقبل، لأن لا يمكن أن تشكوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ]، وقول الله عز وجل: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ} [التوبة:6]، فكيف يستعيذ النبي صلى الله عليه وسلم بمخلوق؟! فهذا دلالة على أن المسألة محسومة، فالشك هنا لا يُقبَل، إذًا هذا كفر.

والثاني الذين قالوا نقول كما قال السلف ونقف، رد عليهم الإمام أحمد هذا كان قبل أن تحدث الفتنة، لكن لما حدثت الفتنة لأن الجهمية يقولون القرآن كلام الله ويقولون أنه مخلوق أيضًا. لذلك نحن قلنا أنك لابد أن تصرح أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا تقف. فلذلك لم يُقبَل من هؤلاء أيضًا لما ظهرت الفتنة في هذا القول.

والثالث كما قلنا الجهال فيُعلَّموا.

188 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ: وَذَكَرَ رَجُلَيْنِ كَانَا وَقَّفَا فِي الْقُرْآنِ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَدْعُو عَلَيْهِمَا وَقَالَ لِي: هَؤُلَاءِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، وَجَعَلَ يَذْكُرُهُمَا بِالْمَكْرُوهِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَرَأَيْتُ أَحْمَدَ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، مِمَّنْ وَقَّفَ فِيمَا بَلَغَنِي، فَقَالَ لَهُ: اغْرُبْ، لَا أَرَاكَ تَجِيءُ إِلَى بَابِي فِي كَلَامٍ غَلِيظٍ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُ: مَا أَحْوَجَكَ أَنْ يَصْنَعَ بِكَ مَا صَنَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِصُبَيْغٍ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَرَدَّ الْبَابَ

يبين لك إنكار الإمام أحمد على صبيغ، وصبيغ هذا كان يقول في القدر وكان في الكوفة، فذُكِر لعمر فقال ألا لي بصبيغ يأتي بين أيدي، وما أن مرت أيام حتى جاء للمدينة، أتوا به إلى المدينة لعمر، فوجده عمر أمامه، قال أنا صبيغ، فأخذه ودخل معه الدار وأغلق الباب ونزل عليه بالضرة حتى شج رأسه وأدماه، فقال قد ذهب الذي في عقلي يا أمير المؤمنين، ثم أخذه وأرسل به أحد - وكان كبير قومه- فرجع به إلى الكوفة ونادى مناد أن صبيغ قد أتاه ما أتى ورجع عنه ثم قال وما زال وضيعًا في قومه، أي بعد ما كان مرفوع فأصبح وضيعًا في قومه بسبب ما قال. لكن سيدنا عمر ضربه وأدبه.

189 - حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ يَقُولُ: مَنْ قَالَ لَا أَقُولُ الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَسَمِعْتُ قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ: وَقِيلَ لَهُ الْوَاقِفَةُ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ

شَرٌّ مِنْهُمْ، يَعْنِي مِمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ

لماذا هنا يقول قتيبة بن سعيد أن الواقفة شر؟ لأنه كما هو مؤصل عندنا أن المنافق أشر من الكافر الأصلي، لأن المنافق يظهر لك الإيمان ويبطن الكفر فأنت لا تعلمه فتتخدع، كذلك الواقفي؛ لو كان جهميًا صريحًا فقال القرآن مخلوق علمت حاله واحتطت منه وسهل عليك أمره، لكن لما الواقفة يُلبِّس عليك ويقول لك لا أدري، أقول مثل ما قال أبو بكر وعمر فهؤلاء شر لأنهم يلبسون وفتنة على الناس.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَسَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَيَسْكُتُونَ شَرٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي مِمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ

وأيضًا عثمان بن أبي شيبة يقول ذلك.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَسَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ: عَمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا يَقُولُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا مَخْلُوقٍ؟ فَقَالَ: هَذَا شَاكٌّ، وَالشَّاكُّ كَافِرٌ

طبعًا هذا الكلام قلنا في الصنف الأول الذين وقفوا شاكًا.

190- وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُقَاتِلٍ الْعَبَّادَانِيَّ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ فِي الْوَاقِفَةِ: هُمْ عِنْدِي شَرٌّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ

191 -حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو طَالِبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَمَّنْ أَمْسَكَ فَقَالَ: لَا أَقُولُ: لَيْسَ هُوَ مَخْلُوقًا، إِذَا لَقِيَنِي فِي الطَّرِيقِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، أُسَلِّمُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ؟ وَلَا تُكَلِّمْهُ، كَيْفَ يَعْرِفُهُ النَّاسُ إِذَا سَلَّمْتَ عَلَيْهِ؟ وَكَيْفَ يَعْرِفُ هُوَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا لَمْ تُسَلِّمْ عَلَيْهِ عَرَفَ الذُّلَّ، وَعَرَفَ أَنَّكَ أَنْكَرْتَ عَلَيْهِ، وَعَرَفَهُ النَّاسُ

وهذه طبعًا من باب مهاجرة أهل البدعة وتركهم ومخاصمتهم حتى أولًا يعرفون بأنك مُنكِر على ما هم عليه، وحتى لو كنت أنت من أكابر الناس أو من من هو مشتهر بالعلم والفضل بين الناس فإذا رأوك الناس لا تسلم على هؤلاء فعلموا بأن هؤلاء عندهم شيء أو من المبتدعة، فكأن هذا من باب الإنكار عليهم، وبين العلة في ذلك، وهذا ممكن يُفعَل طبعًا مع جزء من السياسة الشرعية أو السياسة الدعوية نقول على حسب الإنكار. هنا طبعًا هو يريد أن يبين، لأن هذا الكلام في العقيدة ولا يُقبَل، لكن أحيانًا تكون المسألة مع العاصي، أو صاحب الذنب، أو من يقول ببدعة ولا يعلم أنها بدعة أو لا يروج لها فأنك ممكن هنا أنك تحتاج أن تبين وتكلمه وتجلس معه، إلا أنك إذا رأيت أنه مبتدع أو يدعو إلى بدعته فهنا مسألة المجانبة والمتاركة والمهاجرة والمخاصمة وإلى غير ذلك، وقد تكون أيضًا لها ضوابط في مسألة المصلحة والمفسدة.

192 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُؤَمَّلَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ قَالَ ابْنُ أَبِي بَزَّةَ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، أَوْ وَقَفَ، وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا، فَهُوَ عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدِينِ رَسُولِهِ حَتَّى يَتُوبَ

هنا طبعًا الشيخ بيقدم للباب الذي يليه، هناك جزء من الكلام واضح؛ مسألة الذي قال بأنه مخلوق، أو وقف، أو قال لفظي بالقرآن مخلوق قد بيّنا. وهذا يتكلم عن باب جديد الآن سيختم به أبواب القرآن وهو حكم اللفظية أو كما قال الشيخ الآن: بَابُ ذِكْرِ اللَّفْظِيَّةِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حِكَايَةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَذَبُوا

الآن ندخل في مبحث جديد وهو باب اللفظية. ما معنى اللفظية؟ قلنا هذه تتمة الكلام عن أبواب القرآن وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه. ذكر الشيخ – رحمة الله عليه – وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حِكَايَةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَذَبُوا.

إذًا عندنا هنا مبحثان: الأول: ما سميوا باللفظية؛ الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق. هذا معنى اللفظية. ومسألة أخرى يشير إليها الشيخ الآن وهي مسألة الذين قالوا بأن القرآن الذي بين الدفتين الذي معنا الآن هذا حكاية عن كلام الله الذي في اللوح المحفوظ، أو ما يسمى – كما سيأتي معنا – الكلام النفسي عندهم أن الكلام على نوعين؛ كلام نفسي لله، وكلام لفظي. وعندهم الكلام اللفظي هذا مخلوق والكلام النفسي هو كلام الله عز وجل.

هو هنا يشير إلى الأشاعرة في الجزء الثاني. واللفظية هؤلاء سميوا باللفظية لأن هؤلاء – كما سنقرأ الآن –هم طائفة انتحلوا كلامًا، هذا الكلام حقيقة بميزان أهل السنة والجماعة يحتمل حقًا ويحتمل باطلًا؛ أي ممكن يكون المقصد منه باطلًا فيكون كفرًا كقول الجهمية، وقد يكون هذا الكلام حقًا وقد قال به بعض أهل السنة والجماعة. فهنا الميزان لابد تنظر، هذا كلام مجمل.

وإن كان لما ظهر ظهر أصالة عند الذين أرادوا أن يختفوا قول الجهمية، لا يصرحون بأن القرآن مخلوق فيقولون لفظي بالقرآن مخلوق. فما الذي تقصده بلفظك؟ هل الملفوظ أم التلفظ؟ أي هل الفعل أم الملفوظ؟ الملفوظ هو القرآن، هم كانوا يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ويقصدون به الملفوظ، فكانوا كالجهمية.

أما الذين قالوا لفظي بالقرآن مخلوق ويقصدون به التلفظ، أي الفعل، أي صوتي وحروفه، هذه مخلوقة لأننا مخلوق فهذا له نظر آخر فلابد نفرق.. لماذا؟ لأن المؤلف هنا تكلم إنكارًا عن الذين قالوا اللفظي بالقرآن مخلوق، وسينقل كلام الإمام أحمد. والحق أن كلام الإمام أحمد بين مقصده في الإنكار الذين يقولون بالكلام تحايلًا على كلام الجهمية، وإلا في بعض أهل السنة والجماعة كأبي زرعة وأبي حاتم لم يقفوا هذا الموقف في الوسط، وللأسف نزلوا نزلة شديدة عن الذي قال بالقرآن لفظي بالقرآن

مخلوق، ونزلوا عن البخاري لأن البخاري أشيع عنه ذلك في كتابه خلق أفعال العباد في الأحاديث، فنزلوا عليه وقالوا بأنه جهمي وإلى غيره حتى مات بعد ذلك البخاري لما خرج وقالوا عنه ما قالوا.

فهناك من أهل العلم من وقفوا أو بينوا مقصدهم في الإنكار على من قال لفظي بالقرآن مخلوق، وهذا الإمام أحمد، لأن الإمام أحمد أنكر شديدًا، لكن بيَّن الإنكار على من. وهناك من لم يبين أخذ بالإجمال وهو أبو زرعة وأبو حاتم على أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق لم يسألوا ولم يفصلوا أنكروا عليه إنكارًا شديدًا فنزلوا على البخاري نزله عظيمة جدًا في ذلك. والحق التفصيل.. لكن هنا الكلام الذي سنقرأه الآن للإمام هو أخذ بقول من أنكر ولم يبين لنا التفصيل حقيقة هنا، لكن يبين أن غالب أهل السنة والجماعة أنكروا على من قال ذلك. لكن هو المقصود هنا بالإنكار على من قال لفظي بالقرآن المخلوق وهو يقصد به الملفوظ أيضًا، وهو القرآن. فهذا هو أصل الإنكار فيه.

سنقرأ ثم نبين، لكن نحن قد بينا الآن أن هناك من قال بالإجمال وأنكر، وهناك من قال بالتفصيل في ظاهر كلامه، فالإمام أحمد لم يفصل تصريحًا لكن بيَّن إنكاره لكذا. وهناك من فصل بعد ذلك وقال إن كان يقصد أنه حروفه وكلامه هو فهذا مخلوق نعم، وأما إن كان يقصد الملفوظ فهذا ليس بمخلوق وهو القرآن، وهذا الذي كان مقصد البخاري حقيقة منه الذي أشيع عنه وأُنكِر عليه بعد ذلك، وهو بريء حقيقة من ذلك.

18 - بَابُ ذِكْرِ اللَّفْظِيَّةِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حِكَايَةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَذَبُوا

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: احْذَرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ، وَقَائِلُ هَذَا مُبْتَدِعٌ، خَبِيثٌ وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُجَالَسُ، وَيُحَذَّرُ مِنْهُ النَّاسُ، لَا يَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ , وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَقَفَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ , وَمَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ أَيْضًا، كَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغَلَّظَ فِيهِ الْقَوْلَ جِدًّا وَكَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَقْرَءُوهُ النَّاسُ، وَهُوَ فِي الْمَصَاحِفِ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَهَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ، يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ يُقَالُ لِقَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْقُرْآنُ يُكَذِّبُكَ، وَيَرُدُّ قَوْلَكَ، وَالسُّنَّةُ تُكَذِّبُكَ وَتَرُدُّ قَوْلَكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ إِنَّمَا يَسْمَعُ النَّاسُ كَلَامَ اللَّهِ، وَلَمْ يَقُلْ: حِكَايَةَ كَلَامِ اللَّهِ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤] فَأَخْبَرَ أَنَّ السَّامِعَ إِنَّمَا يَسْمَعُ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَقُلْ: حِكَايَةَ الْقُرْآنِ. وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩] ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأحقاف: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ، فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى

الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ} [الجن: ١] وَلَمْ يَقُلْ يَسْتَمِعُونَ حِكَايَةَ الْقُرْآنِ وَلَا قَالَتِ الْجِنُّ: إِنَّا سَمِعْنَا حِكَايَةَ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ مَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ، وَأَتَى بِخِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَبِخِلَافِ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ وقَالَ تَعَالَى: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ» وَقَالَ: «مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ تَعَاهَدَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا ذَهَبَتْ» وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ» وَقَالَ: فِي حَدِيثٍ آخَرَ «لَا تُسَافِرُوا بِالْمَصَاحِفِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنَالُوهَا» وَقَالَ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ " وَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: قَرَأَ طه، ويس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ، قَالُوا: طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هَذَا، وَطُوبَى لِأَلْسُنٍ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا، وَطُوبَى لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا " وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ، فَإِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَفِي السُّنَنِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ كَثِيرٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَيَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَيَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَهُ، فَيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَلَا يُمَارُوا فِيهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَإِنْ عَارَضَهُمْ إِنْسَانٌ جَهْمِيٌّ فَقَالَ: مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَقَفَ، أَوْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ: هَذَا الْقُرْآنُ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَحُكْمُهُ أَنْ يُهْجَرَ وَلَا يُكَلَّمَ، وَلَا يُصَلَّى خَلْفَهُ، وَيُحَذَّرَ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَقَوْلِ التَّابِعِينَ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ تَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ

وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، فَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ رَجَوْتُ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ خَيْرٍ، وَسَأَذْكُرُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا لَا بُدَّ لِمَنْ كَانَ هَذَا مَذْهَبَهُ وَعِلْمَهُ، عَمِلَ بِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ، وَشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

أولًا معنا المسألة الأولى ننتهي منها لأن يبدو أن سيطيل معنا الأمر قليلًا في مسألة حكاية القرآن. لكن المسألة الأولى مسألة اللفظية، وقلنا بأن مسألة اللفظية كما بين هنا الإمام بأنه نقل قول الإمام أحمد على أنه أنكر من قال لفظي بالقرآن، وقلنا التفصيل والحق في ذلك؛ **من قال لفظي بالقرآن مخلوق ويقصد به الملفوظ؛ أي القرآن** فهذا حقيقة قول الجهمية، فهذا مثله مثل الجهمي، وحكمه مثل حكم الجهمي، لأنه هنا هو كأنه قال القرآن مخلوق، والقرآن قلنا صفة من صفات الله عز وجل لأنه كلام الله عز وجل، فكأنه شبه الخالق بالمخلوق، لأن المخلوق كلامه مخلوق، وأما الخالق فكلامه من صفاته سبحانه وتعالى.

أما **أن تقول الوجه الثاني الحق أن لفظي بالقرآن مخلوق وتقصد به كلامك، وحروفك، وفعلك، وتلاوتك التي تخرج من الحنجرة وتحرك الشفة وتحرك اللسان إلى غير ذلك، أو الأذن التي تسمع هذا الكلام هذا مخلوق**، فنعم، لأنك أنت مخلوق وهذا فعلك، وفعلك أيضًا مخلوق.

إذًا الكلمة تحمل حقًا وتحمل باطلًا، والحق أن أهل السنة والجماعة لابد أن يقفون من باب الإنصاف والعدل فيسألون؛ فإذا تبين لهم أن المقصود بلفظ القرآن مخلوق قول الجهمية فهذا هو جهمي، وأما إذا تبين أن مقصده أنه يقصد به القول الحق الثاني فلا يتسرع في التبديع ولا التكفير، ولا يتسرع في وصفه بالجهمية، لأن هذا من الإنصاف والعدل قلنا، لأنه قد ورد ذلك عن بعض أئمة أهل السنة والجماعة، فيجب هنا أن تقف وتقصد؛ تقول له: ماذا تقصد بلفظ القرآن مخلوق؟ وهذا التفصيل قلت قاله بعض أهل السنة، ويبدو من كلام الإمام أحمد أنه يقصد الوجه الذي قلناه باطل،

ولا يقصد من القول الذي يقصده حق، لأن الذي يقول لفظ القرآن مخلوق على التفصيل الذي قلناه ليس بجهمي، إذًا مقصود الإمام أحمد على الذي يقول قول الجهمية. أما لما قلت الذين أرادوا يمثلوا كلام الإمام أحمد – كما نقل الإمام الآجري هنا – فيبدو أن هذا من باب سد الذرائع، أي يريد أن يُظهِر كلام الإمام أحمد ولم يذكر التفصيل على أنه يريد من باب سد الذرائع ألا ينشر هذه المسألة حتى لا يؤدي ذلك إلى الوقوع في الخطأ، لكن بالتحقيق والتدقيق لأنه نُقِل عن البخاري أنه قال هذا الكلام عند ذكره لباب خلق أفعال العباد في الرد على على الذين قالوا بالقدرية وأن أفعال العباد غير مخلوقة فأراد أن يبين أن هذا أيضًا التلفظ بالقرآن من أفعال العباد، فهم أخذوا هذا الكلام عليه وبدَّعوه، خاصة أبو زرعة وابو حاتم ونزلوا عليه نزلة شديدة، مع أن الإمام مسلم نصره وقال بقوله، وقال أين البيهقي؟ وهو أيضًا من أئمة أهل السنة والجماعة مع الإشكال الذي عنده في بعض أمور العقيدة لكنه أيضًا نصر هذا القول. إذًا هناك أئمة لم يبدعوا البخاري لأنهم علموا أن مقصوده ليس مقصود الجهمية. فنقول الصحيح في ذلك أننا نقول بالتفصيل ولا نقول بالإجمال كما نُقِل عن أبو حاتم وأبو زرعة – رحم الله الجميع – واتهموا في ذلك البخاري.

لكن من قال بقول الإمام أحمد –كما ذكر الإمام معنا هنا – من باب نقله فقط على أن هذا يبدو أنه من باب سد الذرائع.

من قال أصواتي مخلوقة، وسمعي مخلوق هذا لا إشكال فيه. نحن لماذا قلنا أن كلامه ليس خطأ؟ فممكن أحد يشكل ويقول كيف تكون حروفك.. **وانتبهوا** حتى نبينها لعلها مُشكَلة عندكم؛ لما يقول لفظي مخلوق، وحروفي مخلوقة، وشفتي مخلوقة، فهو ممكن ينكر عليك يقول لك كيف تقول هذا مخلوق وأنت تتكلم بكلام الله، وكلام الله غير مخلوق؟ أقول له ألم يقل الله عز وجل:{ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ، فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} [البروج: 21-22]، واللوح المحفوظ مخلوق أم لا؟ مخلوق، والقرآن كلام الله، إذًا لا إشكال أني أقول بأن حروفي مخلوقة وأن والقرآن هو كلام الله عز وجل.

إذًا هنا الحق نقول بأن الأصل أن الإنسان يجتنب ذلك ولا يدخل في هذا المعترك ولا يتكلم فيه؛ أولًا من باب حسم المادة وسد الذرائع حتى لا أحد يأخذ هذا الكلام لأن فيه تشويش وهذا أيضًا قد يؤدي بالإنسان في الوقوع في قول مُهلِك له، فالصحيح أن يتجنب المرء ذلك. لكن نحن نقول من باب العلم والمدارسة هذا التفصيل في هذا الكلام مهم لأنه قد رُمِي به إمام من أهل سنة والجماعة؛ وهو البخاري، وقلت وافقه بعد ذلك وأيده بهذا الكلام الإمام مسلم والإمام البهيقي، فلابد أن نعلم التفصيل في هذه المسألة.

هو ذكر المسألة التي بعد ذلك وهو الذين قالوا بأن القرآن حكاية للقرآن الذي في اللوح المحفوظ. هؤلاء الطائفة عندهم إشكالية، وطبعًا هم **الأشاعرة** الذين يقولون بهذا الكلام. لذلك الكلام عند الأشاعرة ليس كالكلام عند أهل السنة والجماعة، والبعض يخطئ يظن أن هم يثبتون السبع صفات ومنها الكلام.

هم لا يقولون بأن الله عز وجل تكلم بالكلام بالقرآن الذي معنا الآن كما نقصد به أهل السنة والجماعة. هم أرادوا أولًا أن يفروا من قول الجهمية؛ أن هذا الكلام ليس بكلام الله وأنه مخلوق، لأن هم يثبتون أن الله عز وجل يتكلم، وأيضًا لم يستطيعوا أن يثبتوا كلام أهل السنة والجماعة، ظنوا بأنهم لو أثبتوا بأن الله عز وجل – كما قلنا في أول الدروس في هذا الباب – أن كلام الله عند أهل السنة والجماعة كلام بصوت مسموع، وقد تكلم بصوت مسموع بحروف، وأن الله عز وجل يتكلم وقتما شاء إذا أراد، فهناك إرادة ومشيئة، وأن الكلام محدث أيضًا وليس قديمًا فقط. فهم ظنوا بأن إثبات هذا سيكون فيه تشبيه الخالق بالمخلوق، لأنك لما تقول أن الله يتكلم بصوت وبحروف فكأنه يستلزم مخرج أو هو فيه تشبيه الخالق بالمخلوق، أو محدث إذًا هناك إرادة ومشيئة أي يتكلم بعد أن لا يتكلم، ففيه الإحداث وفيه الفعل، وكل هذا عندهم إشكال لو أثبتوه هم يظنوا أن هذا تشبيهًا، فأرادوا أن يفروا من قول الجهمية وأرادوا إلا يثبتوا قول أهل السنة والجماعة فوقعوا فيما أتوا به ما لم يقل به أحد من قبل؛ وهو أن

قسموا الكلام أولًا إلى قسمين: كلام نفسي وكلام لفظي؛ كلام باللفظ وكلام بالنفس، وقالوا الكلام النفسي هو كلام الله عز وجل، والكلام اللفظي هو كلام المخلوق، لأن لابد يقول أن الكلام نوعين. واستدلوا ببيت شعر قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما *** جُعل اللسان على البيان دليلا

فهذا كأنه مخرج لهم، فقالوا الكلام على نوعين؛ كلام النفسي وهذا كلام الله عز وجل الذي كُتِب في اللوح المحفوظ، وأن الذي بين أيدينا قالوا هذا حكاية عن كلام الله، أي الذي نقرأه في الصلوات ونتلوه ليلًا نهارًا هذا ليس كلام الله، فقالوا هذا حكاية عن كلام الله المكتوب في اللوح المحفوظ، والله عز وجل لم يتكلم بالقرآن هذا، بل لم ينادي أحد ولم يُسمِع أحد، وأن القرآن لا حرف له ولا صوت عندهم، أي لم يتكلم الله عز وجل به لا بحرف ولا بصوت. قالوا لو أن قلنا ذلك فهذا سيكون مخلوق كله.

هم قالوا القرآن كلام الله، نعم، لكن هل الله تكلم؟ لا، قالوا هذا حكاية عن كلام الله عز وجل.

نُجمِل الكلام، لأنه عندهم وصف لكلام الله، فالآن معنى كلامهم حتى نقربه لكم أن المصحف الذي معنا الآن هذا لم يتكلم به الله عز وجل؛ هو حكاية، عن من؟ بعضهم قال عن جبريل والمتشددين منهم الذي يقتربون من الصوفية يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم.

الضوابط التي عند الأشاعرة في مسألة الكلام:

1- أول شيء أن كلام الله عندهم نفسي؛ أي معنويًا، -**انتبهوا هذا كلامهم** – أن كلام الله نفسي معنوي ليس لفظيًا، والكلام الذي بين أيدينا إما جبريل كما قلنا الذي تكلم به أو النبي صلى الله عليه وسلم. وطبعًا هذا تنقيص شديد النقص في حق الله عز وجل.

2- والنقطة الثانية قالوا أن هذا القرآن قديم، لأن هو عندهم إشكالية في الصفات الفعلية، ومعنى قديم أي كلامه لا يتجدد، أي لما جاءت المرأة تشتكي للنبي صلى

الله عليه وسلم في الحجرة، كما قالت السيدة عائشة، فينزل قول الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ } [المجادلة:1]، متى نزلت هذه الآية؟ نزلت لما جاءت المرأة. وطبعًا هو عنده هذا الكلام الذي نزل هذا ليس كلام الله عز وجل وأن كلام الله قديم في اللوح المحفوظ فليس بكلام محدث! والله عز وجل يقول:{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء:2]،

3- الثالث – وهذا المصيبة الكبرى أيضًا عندهم- قالوا أن كلام الله له معنى واحد. ما المقصود بمعنى واحد؟ أي لما تقرأه بالعربية قرآنًا، تقرأه بالعبرية توراة، تقرأه بالسريانية إنجيل، أي هو كلام واحد، ولو قرأته بلغة داوود عليه السلام كان زبورًا، الكلام واحد لم يتغير. إذًا لا يتجدد؛ قديمًا، ولا يتغير؛ هو واحد، وقبله كلام نفسي ليس فيه لفظ.

4- الرابعة أن ليس عندهم كلام بصوت ولا بحرف، لماذا؟ لأن الأصوات مخلوقة والحروف مخلوقة، فلو قالوا أنه تكلم بصوت وحرف فنسبوا إليه المخلوق.

هذه أربع أشياء عندهم في القرآن الذي قالوا أن هو حكاية ولم يثبتوا أن القرآن الذي بين أيدينا تكلم به الله عز وجل. سنرد عليهم رد موجز، وإلا أنا فصلت في هذا الكلام في الرد على الأشاعرة في الأسس الفاصلة لمن أراد أن يرجع، وأيضًا فصلنا في معالج القبول لو تذكروا أيضًا في صفة الكلام، وفصلنا في التوحيد لابن خزيمة، لأن هذا الباب باب هذه المسائل أيضًا لكن هو بما أن الشيخ ذكره فأنا أردت أن أبين الأصول والضوابط وأنا سأرد على هذه الأربعة لأن هذه هي مجمل الكلام الذي ابتدعوا فيه؛ هذه الأربعة.

الرد على هذه الضوابط:

1- الأول سنقول لهم الكلام الذي قلتوه الآن هذا – حكاية – كما قال الشيخ، لأن الشيخ رد عليهم الآن في الذي قرأته الآن، قال: قال الله عز وجل {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}، وَلَمْ يَقُلْ: حِكَايَةَ كَلَامِ اللَّهِ عز وجل، وأيضًا {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } وَلَمْ يَقُلْ: حِكَايَةَ الْقُرْآنِ . فنقول لهم كما قال الشيخ هنا في الاستدلال عليهم إذا كان الله عز وجل لم يقل ذلك، بل النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم ذلك، بل الصحابة لم يقولوا ذلك، بل التابعين لم يقولوا ذلك، فيسعكم ما وسعهم وما قالوه. والأشاعرة حقيقة كل ما يأتي أحد يتكلم معهم أول شيء ما الذي يصدروه له؟ عد العلماء الذين في الأمة الذين يقولون بقولنا، وامسك كل مذهب انظر إلى فطاحل العلماء تجد الكثرة الذين يقولون بقولنا من أهل العلم، ويحتجون بذلك! فالأخ يأتي متأرجح أو متلجم – مثل ما يقال – أو كأنه اسقط في يده

فارجع فقل لهم: ائتونا بعالم واحد في القرون الخيرية الثلاثة الذي قال فيهم الشيخ، فالشيخ انظر ماذا قال في ختام كلامه، قال: وَعَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَقَوْلِ التَّابِعِينَ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ تَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، فَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ رَجَوْتُ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ خَيْرٍ، ارجع للقرون الخيرية الثلاثة وائتنا بعالم واحد فقط قال بأن القرآن حكاية عن كلام الله عز وجل! لن تجد. فاذا كانت الخيرية مناطة في الأمة بالثلاثة قرون، وهؤلاء الثلاثة كأنه إجماع من الصحابة ومن بعدهم على هذا الكلام، فيأتي ما يأتي من بعد القرون الخيرية،{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأنعام:116]، حتى لو كانوا من أهل العلم وضلوا في هذا الباب وإن عددت ما عددت ماذا ستفعل بالثلاثة قرون الخيرية؟ بأئمة المذاهب الأربعة الفقهية التي أنت تنتمي إليها؟

لأننا اكتشفنا أيضًا أن بعض المذهبية الذين تقيدوا بالمذهب جدًا فقهيًا أدى بهم هذا التقيد إلى أن أصبحوا ينكرون على من يتكلم في هذا الباب، لماذا؟ لأنه سيضرب في علماء لنا في هذا المذهب، فهو لا يريد أن يتكلم عن العلماء وأصحاب المذهب الذين قالوا بقول الأشعرية، فأصبح الآن ليصد عنهم فيقف في قول أهل السنة والجماعة! فانظر إلى التمذهب الشديد والتقييد أدى به إلى ماذا الآن؟ خروج حتى عن المنهج أو

أهل السنة الجماعة في أصل الدين جميعًا. لماذا؟ لأنه نظر أنه هناك علماء كثر في المذهب يقولون بذلك، فكيف أنت ستخالف هؤلاء. فقذنا المسألة الحق وأنت على الحق ولو كنت وحدك، والحمد لله لست وحدك، فأسهل ما يكون قل له الآن ارجع به إلى القرون الخيرية وائتني بعالم قال بهذا. وما يهم أن تأتيني بعد القرن 300 و 400 فصاعدا. وأين هؤلاء الذين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؟ أين أئمة المذاهب الأربعة من هذا الذي تقوله؟ هل قالوا بذلك؟ أين هم؟ الإمام الآجري الذي من أهل السنة والجماعة وينكر على بداية قول الأشاعرة في أن القرآن حكاية عن كلام الله عز وجل، وينكر على ذلك وهو أقرب الناس ولم ينقل عن أحد قال بذلك. فاذا المسألة ليست بالكثرة.

وهم لم يسكتوا، أين المسألة التي سكتوا عنها؟ إذا كانت الأدلة كلها تبين بأن القرآن هو كلام الله عز وجل، من أين أنت أتيت بهذا! من أين أتيت بأن القرآن هذا حكاية عن كلام الله عز وجل! من عقلك؟ أم من السنة؟ أم من الكتاب؟ الكتاب ليس فيه شيء من هذا تمامًا.

فهو لماذا أتى بالأدلة هذه التي كنت أشرحها؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ" على أن كلام الله عز وجل له قدسية. فهو لو كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو كلام جبريل ما الإشكال أنك تسافر به أصلًا؟ ولو كان "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" هو لو لم يكن كلام الله عز وجل بين أيدينا هذا أفنتعبد بكلام جبريل عليه السلام؟! هل نتعبد بكلام النبي صلى الله عليه وسلم؟ فالقرآن هذا لو كان حكاية عن كلام الله عز وجل إذًا لم يتكلم به الله عز وجل فأنت كيف تتعبد بألفاظه؟ وكيف تقرأه في الصلاة ويكون عبادة لك؟ فالمسألة أصلًا جيوش من الأدلة تتكلم منها. فلا يوجد شئ اسمه سكت! أين السكوت، لا يوجد سكوت أصلًا، هذا تصريح بكل بذلك.

نرجع... فأول شيء سنرد بـ: أنتم لستم بأعلم من الله عز وجل طبعًا، ولست أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا تابعي التابعين،

ولا السلف في القرون الخيرية الذين لم يقولوا بهذا الكلام، من أين أتيتم بهذا الكلام، هذا أولًا الذين قالوا به.

2- أما مسألة أنهم قالوا بأنه له معنى واحد، نقول لك الله عز وجل فرَّق بين القرآن وبين التوراة وبين الإنجيل، فكيف يكون نفس الكلام هو هو؟ والله عز وجل يقول عن عيسى عليه السلام:{ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران:50]، والذي أحل لهم بعض الذي حرم عليهم أحل لهم في الإنجيل وحرم عليهم في التوراة، إذًا هناك فارق بين الإنجيل وبين التوراة. والله عز وجل لما أراد أن يتكلم: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:48]، إذًا هناك فارق. ثم يقول: {إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } [المائدة:44]، هذه في التوراة. ويقول في الإنجيل:{ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ } [المائدة:46]، (مصدقًا) إذًا ليس هو هو، {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ} أي مؤكدًا ومصدقًا كما قال. ثم يختمها: {وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران:50]، فهناك تغيير، هناك فارق بين القرآن وبين الإنجيل وبين التوراة. هذا بالنسبة للنقطة الخاصة بالفرق بين القرآن والإنجيل والتوراة.

3- أما قولهم القرآن كلام الله قديم، قالوا قديم أي لا يتجدد، وقالوا أنه ليس بصوت. قديم أي كأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وهو مكتوب صحيح في اللوح المحفوظ، لكن متى تكلم الله عز وجل؟ هم يقولوا قديم.. لماذا؟ لأن هم لا يثبتون أصلًا الكلام بصوت وحرف. طيب لما جاء موسى إلى الله عز وجل: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:143] هو متى كلم الله عز وجل موسى؟ هل الله عز وجل يكلم موسى منذ كتب في اللوح المحفوظ؟! أما لما جاء موسى إلى الميقات فكلمه الله عز وجل؟ هذه آيات صريحة كيف ستصرفها وتقول بأنه قديم! {وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ} [الشعراء:10] والنداء في لغة العرب لابد أن يكون فيه صوت، هل يوجد نداء من غير صوت؟ ليس هناك نداء غير بصوت، ولا حتى في لغة العرب هذا

موجود. إذًا لابد أن يكون النداء فيه صوت. {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ } [القصص:65] من الذي سينادي؟ الله عز وجل. (يناديهم فيقول) إذًا لابد أن سمع صوتًا فقال، الله عز وجل نادى فسمع فقال، والله عز وجل لما كلم موسى قال:{ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ} [طه:17]، سيدنا موسى سمع ورد أم لا؟ إذًا لابد من الكلام أن يكون فيه صوت ويكون فيه حروف، والنداء كذلك أيضًا.

وأيضًا جاء في السنة النبي صلى الله عليه وسلم قال:[**إِنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ عبدًا نادى جبريلَ**] ما معنى نادى جبريل؟[**إِنَّ اللَّهَ قدْ أَحَبَّ فُلَانًا فأَحِبَّهُ**] فأحبه جبريل[**يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قدْ أَحَبَّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ ويُوضَعُ له القَبُولُ في أَهْلِ الأَرْضِ**] كيف يكون هذا النداء وهذا الكلام؟

والتصريح من قول النبي صلى الله عليه وسلم:[**يَحشُرُ اللهُ العبادَ.... فيُناديهم بصوتٍ يسمعُهُ من بَعُدَ كما يسمعُهُ من قَرُبَ أَنا المِلِكُ أَنا الدَّيَّانُ**]. لذلك نقول بأن من صفات كلام الله عز وجل بأنه يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد، بخلاف المخلوق أنا الآن أجلس أمامكم صوتي عال، لكن لو يوجد شخص في الأسفل سيسمعه صوت خفيف منخفض. لكن انظر إلى صفة صوت الله عز وجل، يسمعه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:[**يَحشُرُ اللهُ العبادَ.... فيُناديهم بصوتٍ يسمعُهُ من بَعُدَ كما يسمعُهُ من قَرُبَ**]، لعظمة الله عز وجل يوم المحشر، الأمم كلها والله عز وجل ينادي فيسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد. فهذا يدلك على أنه {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى:11]. إذًا هنا نبين بأن الصوت أيضًا مسموع.

هم قالوا أيضًا ليس له إرادة ولا مشيئة، ونحن نقول هذا خطأ، هذا نقص لله عز وجل. الله إذا أراد أن يتكلم تكلم. لذلك نقول الصفة عندنا قديمة النوع حادثة الأفراد، والدلالة قال سبحانه وتعالى:{ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء:2]، و {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ} [الشعراء:5]، إذًا (محدث) جاءهم الذكر. إذًا هنا تكلم بإرادة ومشيئة أم

لا؟ هم يقولون لا، الكلام ليس بإرادة ولا مشيئة، كلام قديم لأن الإرادة والمشيئة عندهم ستكون محدث كالمخلوق، وكل متجدد عندهم حادث، وكل حادث مخلوق. ونحن لا نوافق على ذلك، ليس كل حادث مخلوق، لكن كل مخلوق حادث، فليس كل حادث مخلوق فلو كان من الله عز وجل فهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

أما ردهم على بيت الشعر لما قال: (إن الكلام لفي الفؤاد وإنما** جُعل اللسان على البيان دليلا). هم عندهم أصل من الأصول هؤلاء القوم؛ أن أحاديث الآحاد لا يعملون بها في العقيدة – تكلمنا عن ذلك من قبل، سأرد رد موجز حقيقة – أحاديث الآحاد لا يعملون بها في باب العقيدة، يقولوا باب العقيدة باب قطعي أو العقيدة قطعية وأحاديث الآحاد ظنية، وطبعًا عندهم أيضًا يقدمون العقل ويرونه قطعي، فلا يعملون بأحاديث الآحاد في باب العقيدة، يقولوا هذا ظني وهذا لا يمكن أن نعمل به. فقلنا لهم الآن أنتم رددتم أحاديث فيها صفات الله عز وجل على أنها أحاديث آحاد كقول النبي صلى الله عليه وسلم [يمينُ اللهِ ملأَى ، لا يَغيضُها نفقةٌ] وقول: [أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ] يقولون حديث آحاد فلا يعملون به. قلنا لهم أنتم رددتم هذه الأحاديث الآحاد وجئتم ببيت شعر قاله واحد شاعر تعملون به لتقولون بان الكلام نفسي وفي الفؤاد! وأنتم رددتم السنة في الآحاد التي هي جُل السنة وقلتم لا تعملون بها في العقيدة ثم أخذتم البيت هذا وهو أيضًا على خلاف في الشاعر الذي قاله نصراني أم لا، وعملتم به!! فهذا يناقض أصلكم، إن كنتم لا تعملون بالآحاد في باب العقيدة من السنة فمن باب أولى لا تعملون ببيت شعر قاله أحد الشعراء لا ندري من هو حتى قالوا أن هو رجل نصراني وليس بعربي، هو ليس من الشعر الذي يعتد به عند أهل اللغة. لأن هناك فترة شعرية يعتدون بها أهل اللغة أن هذه الابيات يعتدون بها، لكن هذا أيضًا لم يعاصرهم.

وهذا أيضًا تنزلًا سنقول – حتى أختم هذه المسألة – نقول مبدئيًا هذا الرد على أصلهم، لكن أيضًا قالوا أن العرب إذا ذكرت الكلام فلا يُعرَف في الكلام غير اللفظ؛ أي إذا ذكرت الكلام مطلقًا فلا يُعرَف عند العرب إلا الكلام الذي هو تلفظًا، لكن إن

ذُكر الكلام أراد غير التلفظ لابد أن يكون مقيدًا، وهو الذي قاله الشاعر؛ قال: (إن الكلام لفي الفؤاد) أي أراد أن يجعل الكلام مقيد بالذي في الفؤاد، يقولون كلام العيون، لغة العيون، كلام القلوب، هذا يكون عند العرب مقيد ما يُذكَر مطلقًا، لكن إن ذُكر الكلام مطلقًا فيقصد به التلفظ. فحتى تنزلًا – لو قلنا – فهذا البيت ليس فيه دلالة عندكم لأنه أراد به التقييد ولم يرد به الكلام المطلق. وأنا قلت أني أشير فقط للإشكالية التي ذكرها لنا الشيخ– رحمة الله عليه – حتى تكونوا على علم بهذه المسألة.

لذلك هذا القول الذي قالوا فيه أن القرآن حكاية عن كلام الله عز وجل لا شك أن هو أيضًا من أبطل الأقوال بل هو فاسد كقول المعتزلة الذين قالوا بأن القرآن مخلوق، بل أفحش من ذلك لأن له لوازم باطلة. أنت لو نظرت إلى كلامهم الآن ستجد لهم لوازم باطلة كثيرة جدًا في ذلك، لأن معنى كلامهم الآن أن القرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله، والله عز وجل يقول: { فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ} [النحل:98]، فأنت الآن ستستعذ بالله من كلام مخلوق؟! فالمخلوق إما جبريل وإما محمد صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل يقول {فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ} والقرآن عندنا هو كلام الله، فأنت ستستعذ بمن؟ تستعذ بكلام المخلوق على أنك تقرأه؟ فهذه مصيبة.

ولأن القرآن له ما له، كلام الله عز وجل، فأراد الله عز وجل ألا يأتيك الشيطان فقال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إذا أردت أن تقدم لقراءة القرآن لأنه كلام الله عز وجل، ولا يأتيك الشيطان. ولم يقل الله عز وجل لك (إذا قرأت حكاية القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم). فلو كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو كلام جبريل لماذا تستعذ بالله؟ هل أنت تستعذ بالله في السنة؟ فكلام النبي صلى الله عليه وسلم تلفظًا. إذًا هناك فارق من ذلك.

وطبعًا هنا الآيات التي ذكرها المؤلف كل ما قرأته الآن في مسألة {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} رد عليها المؤلف. و{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} يستمعون كلام الله عز وجل، ما قال يستمعون كلام محمد صلى الله عليه وسلم أو كلام جبريل، حتى قال: {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} إلى آخر الآيات. أيضًا:{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} وأيضًا قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» فلو لم يكن القرآن كلام الله ويتعبد به إلى الله فأنت تتعبد الآن بماذا؟ بكلام غير الله عز وجل، كلام بشر أصالة.

ونحن لا نتعبد بقراءة السنة، نتعبد بالفعل، لكن قراءة القرآن تعبدًا، وكل حرف عشر حسنات، فأنت في ذكرك للقرآن تأخذ حسنات على التلاوة لأنه كلام الله عز وجل. لكن قراءة السنة أنت لا تتعبد بالقراءة، لكن تتعبد باتباعك للسنة وغير ذلك والاعتقاد فيها، والإيمان فيها، لكن مجرد النطق للقرآن أنت تأخذ عليه حسنات، لذلك هو قال هنا: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وقال: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ» و «مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ تَعَاهَدَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا ذَهَبَتْ».

هذا كله من باب تقديس القرآن، لماذا؟ لأنه {إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ، فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ} [الواقعة: 77-78]، لذلك قال: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ» هذا من باب التقديس لأنه كلام الله، لو كان حكاية ما كان يحتاج لذلك. وقال: «لَا تُسَافِرُوا بِالْمَصَاحِفِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنَالُوهَا» ماذا فيها لو ينالوها، إلا أنه كلام الله عز وجل، من باب قدسية الله عز وجل. لذلك هو لم ينهى عن السفر بكتب السنة أو بتدوين السنة السفر بها. ولماذا نهيت الحائض عن قراءة القرآن حال عدم الطهارة الكبرى التي هي فيها؟

هنا ما هي اللوازم الباطلة التي عندهم؟ كل ما قلناه الآن لوازمهم الباطلة عندهم لو قلنا القرآن حكاية إذًا كل هذا لا إشكال فيه، فتقرأ الحائض القرآن، تسافر به إلى العدو، ليس لك قدسية في ذلك، لا يحتاج أنك تستعذ.

فكل هذه الأدلة عن القرآن، هم يقولون حكاية القرآن الذي بين أيدينا، أي ليس القرآن الذي في اللوح المحفوظ، طيب الله عز وجل لم يقل ذلك. وهل يمكن أن الله عز وجل يحير الناس؟! أي يقول لهم كل هذه الأدلة عن القرآن ويقصد بها حكاية القرآن؟! أو يجعلهم يتأرجحون لا يفهمون هل القرآن كلام الله أم حكاية عن القرآن؟ ويطلب منهم كل هذا ويأمرهم وينهاهم! هذا لا يمكن. هذه لوازم أقول لوازم من اللوازم الباطلة. وطبعًا من اللوازم الباطلة لو قلنا بالاستعاذة؛ [أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ] وقد بينا ذلك من قبل.

هو طبعًا هنا الشيخ فتح علينا الباب في مسألة حكاية القرآن، فأردنا أن نبين ذلك عن الذي قاله، والشيخ اشتد، وعدد لنا إجمال ما قلناه في الباب، لأنه قال: **فَإِنْ عَارَضَهُمْ إِنْسَانٌ جَهْمِيٌّ فَقَالَ: مَخْلُوقٌ** انظر عدد كل هؤلاء معا الآن، **فَقَالَ: مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَقَفَ**، الثانية؛ إذًا قال بقول الجهمية أو قول الواقفة، أو وقف، **أَوْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ** على القول بلفظي بالقرآن المخلوق الذي هو مشابه لقول الجهمية، هذا الثالث، انظر ماذا قال: . **أَوْ قَالَ: هَذَا الْقُرْآنُ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ** انظر جعل الأربعة مبتدعة، فكل هذا عنده من البطلان ومن البدعة بمكان، فهذا قول مهجور. لذلك هو قال بعد ذلك أنه لم يكن عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن أئمة السلف من بعدهم. وهذا قول رجل في القرن الثالث، ويبين لنا أن هذا لم نقل به من قبل.

أيضًا لما يقول الله عز وجل: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء:82] ، فالقرآن شفاء، صحيح؟ شفاء معنوي وشفاء أيضًا ممكن تقول مادي

أو شيء أو غير ذلك، والله عز وجل يأمرك أن تستشفي بالمعوذات، وتستشفي ببعض الآيات، وهذا استشفاء شرعي بكلام الله عز وجل.

طبعًا ما أحد يشكل عليه الشفاء المادي فتقول لي أنه يوجد شفاء بأسباب مادية، نقول نعم المادي هذا ملموس، لكن القرآن معنوي، فأنت كيف تستشفي بالمعنوي؟ أي هل ممكن تستشفي بقراءة السنة؟ لن تستشفي بقراءة السنة، لكن تستشفي بالقرآن. ولا أحد يقول أنني أقرأ حديثين للنبي صلى الله عليه وسلم استشفي بهم! هذه بدعة. لكن تستشفي بالقرآن لأن الله جعله شفاء. فالشفاء المعنوي هذا هل سيكون من كلام النبي؟ أم كلام جبريل؟ أم كلام الله عز وجل؟ حاشاه. إذًا لابد أن يكون كلام الله عز وجل هو الذي فيه الشفاء المعنوي، وكيف تستشفي بما هو كلام مخلوق!

193- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُمْتَنِعِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ قَالَ: أنا أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَنْصُورِ الْهَاشِمِيُّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَهْلِ الْجَلَالَةِ، وَالشَّأْنِ مِنْهُمْ قَالَ: حَضَرْتُ الْمُهْتَدِيَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

لماذا هذا مهم؟ لأن المهتدي هو الذي ربنا أكرم به على انتهاء الفتنة، المهتدي الذي حضر وهو صغير، فهو الذي حضر مع أبوه المناظرة بين ابن أبي دؤاد والشيخ – الذي قلناها من قبل – ثم لما ولي المهتدي حدثت الإنفراجة والحمد لله رفعت الفتنة. فهنا الكلام كله أن هذا الرجل حضر، فقال:

حَضَرْتُ الْمُهْتَدِيَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ جَلَسَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ، فَنَظَرْتُ إِلَى قِصَصِ النَّاسِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَيَأْمُرُ بِالتَّوْقِيعِ فِيهَا وَإِنْشَاءِ الْكُتُبِ لِأَصْحَابِهَا، وَيَخْتِمُ وَيَدْفَعُ إِلَى صَاحِبِهِ، بَيْنَ يَدَيْهِ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَفَطِنَ وَنَظَرَ إِلَيَّ، فَغَضَضْتُ عَنْهُ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْهُ

مِرَارًا ثَلَاثًا، وَإِذَا نَظَرَ غَضَضْتُ، وَإِذَا اشْتَغَلَ نَظَرْتُ، فَقَالَ لِي: يَا صَالِحُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُمْتُ قَائِمًا، فَقَالَ: فِي نَفْسِكَ مِنَّا شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ تَقُولَهُ؟ أَوْ قَالَ: تُرِيدُ أَنْ تَقُولَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِي: عُدْ إِلَى مَوْضِعِكَ، فَعُدْتُ، وَعَادَ فِي النَّظَرِ، حَتَّى إِذَا قَامَ قَالَ لِلْحَاجِبِ: لَا يَبْرَحْ صَالِحٌ، فَانْصَرَفَ النَّاسُ ثُمَّ أَذِنَ لِي، وَقَدْ أَهَمَّتْنِي نَفْسِي فَدَخَلْتُ فَدَعَوْتُ لَهُ، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ، تَقُولُ لِي، مَا دَارَ فِي نَفْسِكَ، أَوْ أَقُولُ أَنَا: مَا دَارَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ دَارَ فِي نَفْسِكَ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَعْزِمُ عَلَيْهِ، وَمَا تَأْمُرُ بِهِ فَقَالَ: وَأَقُولُ: كَأَنِّي بِكَ وَقَدِ اسْتَحْسَنْتَ مَا رَأَيْتَ مِنَّا، فَقُلْتُ: أَيُّ خَلِيفَةٍ خَلِيفَتُنَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَوَرَدَ عَلَى قَلْبِي أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَأَهَمَّتْنِي نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ: يَا نَفْسُ، هَلْ تَمُوتِينَ إِلَّا مَرَّةً؟ وَهَلْ تَمُوتِينَ قَبْلَ أَجَلِكِ؟ وَهَلْ يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ أَوْ هَزْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا دَارَ فِي نَفْسِي إِلَّا مَا قُلْتُ، ثُمَّ أَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: وَيْحَكَ، اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ، فَوَاللَّهِ لَتَسْمَعَنَّ مِنِّي الْحَقَّ، فَسُرِّيَ عَنِّي فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي وَمَنْ أَوْلَى بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ خَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَابْنُ عَمِّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَقَالَ لِي: مَا زِلْتُ أَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ صَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ الْوَاثِقِ،

الواثق كان أبوه، لأن كان الأول مأمون والمعتصم ثم الواثق ثم المهتدي بالله هو الذي جعل الله عز وجل عليه رفع الغمة

حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ أَذَنَةَ فَأُدْخِلَ الشَّيْخُ عَلَى الْوَاثِقِ مُقَيَّدًا، وَهُوَ جَمِيلُ الْوَجْهِ تَامُّ الْقَامَةِ حَسَنُ الشَّيْبَةِ، فَرَأَيْتُ الْوَاثِقَ قَدِ اسْتَحْيَى مِنْهُ، وَرَقَّ لَهُ، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ وَيُقَرِّبُهُ، حَتَّى قَرُبَ مِنْهُ، فَسَلَّمَ

الشَّيْخُ فَأَحْسَنَ السَّلَامَ، وَدَعَا فَأَبْلَغَ الدُّعَاءَ، وَأَوْجَزَ، فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ اجْلِسْ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ، نَاظِرِ ابْنَ أَبِي دُؤَادٍ عَلَى مَا يُنَاظِرُكَ عَلَيْهِ

من أول هنا الذي سيأتي هو سيحكي له ما حكيناه من قبل، سأتركه تقرأوه، لأن هذه كلها المناظرة التي تمت وقد ذكرها الشيخ من قبل بين ابن أبي دؤاد وبين الشيخ، وكان المهتدي بالله حاضر.

إلى أن قال:

قَالَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَظُنُّ الْوَاثِقَ بِاللَّهِ كَانَ رَجَعَ عَنْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ

إذًا هنا يبين لك بأن المهتدي لم يكن أميرًا وقتها، لما سمع المناظرة رجع، وقال يظن أن الواثق رجع. لكن الواثق لم يكن حقيقة فعل شيئًا وقتها، لما مات الواثق والمهتدي جاء هو الذي أخرج الإمام أحمد، فذلك الرجل كان يريد أن يعلم، فالمهتدي حكى له القصة هذه كلها ليبين له بأنه قد رجع عن هذا القول الذي هو بخلق القرآن، الذي هو المهتدي بالله.

194 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَزْوِينِيُّ أَيْضًا قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدَكَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ يُوسُفَ الزِّمِّيَّ، يَقُولُ: بَيْنَا أَنَا قَائِلٌ فِي بَعْضِ بُيُوتِ خَانَاتِ مَرْوٍ فَإِذَا أَنَا بِهَوْلٍ عَظِيمٍ، قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَيْسَ تَخَافُ، يَا أَبَا زَكَرِيَّا قَالَ قُلْتُ: فَنَعَمْ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: وَقُمْتُ وَتَهَيَّأْتُ لِقِتَالِهِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو مُرَّةَ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا حَيَّاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ لَمْ أَدْخُلْ، وَكُنْتُ أَنْزِلُ بَيْتًا آخَرَ، وَكَانَ هَذَا مَنْزِلِي حِينَ آتِي خُرَاسَانَ قَالَ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ وَقُلْتُ: وَمَا عَمِلْتَ بِالْعِرَاقِ؟ قَالَ: خَلَّفْتُ فِيهَا خَلِيفَةً، قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ، قُلْتُ: وَإِلَى مَا يَدْعُو؟ قَالَ: إِلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ قَالَ: وَآتِي خُرَاسَانَ

فَأَخْلُفُ فِيهَا خَلِيفَةً أَيْضًا قَالَ: قُلْتُ: إِيشِ تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا وَإِنْ كُنْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا أَقُولُ: " الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

(أبو مرة) هذا شيطان جاءه متلبسًا في صورة آدمي، هو عرفه، فهو خاف منه لما دخل، فهو يقول له: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَيْسَ تَخَافُ، يَا أَبَا زَكَرِيَّا أي رجل من أهل الفضل، قَالَ قُلْتُ: فَنَعَمْ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: وَقُمْتُ وَتَهَيَّأْتُ هو علم بأنه شيطان دخل عليه، فَقَالَ: أَنَا أَبُو مُرَّةَ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا حَيَّاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ لَمْ أَدْخُلْ، وَكُنْتُ أَنْزِلُ بَيْتًا آخَرَ، الشيطان لما علم أن هو في هذا البيت قال لو يعلم لم يكن أتى إليه، لأنه رجل صاحب دين، فسأله ماذا فعلت في خراسان؟ كان قد جاء من خراسان، قال أنه ترك بشر المريسي، وطبعًا بشر المريسي من أهل البدعة، رأس من رؤس البدعة. ثم قال هنا: وَآتِي خُرَاسَانَ فَأَخْلُفُ فِيهَا خَلِيفَةً أَيْضًا ومع ذلك هو انظر الإمام يأتي بالحديث، فهو سأله: إِيشِ تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا وَإِنْ كُنْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا أَقُولُ: " الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فحتى الشيطان يقول كلام الله غير مخلوق.

195 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى شَيْخٍ ضَرِيرٍ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمَّا أَحْدَثُوا بِبَغْدَادَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ قَالَ الشَّيْخُ: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقًا، فَمَحَا اللَّهُ الْقُرْآنَ مِنْ صَدْرِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْنَا هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَرَكْنَاهُ وَانْصَرَفْنَا عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ لَقِينَاهُ، فَقُلْنَا يَا فُلَانُ مَا فَعَلَ الْقُرْآنُ؟ قَالَ: مَا بَقِيَ فِي صَدْرِي مِنْهُ شَيْءٌ، قُلْنَا: وَلَا {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] قَالَ: وَلَا {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] إِلَّا أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْ غَيْرِي يَقْرَؤُهَا

نعوذ بالله من الخذلان، نسأل الله عز وجل الثبات ولله الحمد على ما نحن فيه.

انتهينا بفضل الله تعالى من هذا الباب ونقف عند **بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ**،ونكون بفضل الله قد انتهينا من أبواب القرآن وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بذلك، وأن نعمل به وأن ننشره بين الناس، لأن المسألة جلل، وهم يروجون كثيرًا لغير مذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة، ولا بد أن هذا الكلام يُتقَن ويُنقَل ويُعلَّم للناس، نعم نُعلم الأصول ولا تدخل في الخلافيات الآن، لكن نُعَلِّم أن القرآن كلام الله عز وجل، تكلم به الله عز وجل سبحانه وتعالى، وهذا لابد أن يعلمه كل أحد، ولا تدخل نعم في الخلاف هذا الذي ندرسه الآن لأننا نتكلم عن الخلافيات مثلًا التي تعرض إليها المؤلف لكن أقل شيء أنك تؤسس للناس عقيدة أهل السنة والجماعة، أول شيء، وتؤكد عليها مرارًا وتكرارًا بدون أن تدخل في الكلام عن المخالفين، لكن تبين أن لله يد، ولله عين، ولله سمع، ولله بصر، وأن الله عز وجل تكلم، وأن هذا القرآن الذي بين أيدينا كلام الله وتسكت عن ذلك. نحفظ الأصول في ذلك ونركز عليها كثيرًا حتى يتقنها الناس جميعًا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك